



دكتور محمد مؤنس عوض

# الإمبراطورية البيزنطية

دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة



# الإمبراطورية البيزنطية

دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة

( ٢٢٠ - ١٤٥٢ م )

إعداد

أ. د. محمد مؤنس عرض

أستاذ تاريخ العصر الوسطى

كلية الآداب - جامعة عين شمس

وكلية الآداب والعلوم - جامعة الشارقة

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م



مركز للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

CENTER FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

حقوق النشر محفوظة ©

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

دار شارع شرعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع. تليفون وفاكس TAV11112

PUBLISHER: EYN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St., Elherma - A.R.E. Tel : 3071693

E-mail : dar\_Eyn@hotmail.com

book.eyn@yahoo.com

web site: WWW.Dar-Eyn.com

الموقع الإلكتروني

المستشارون

د. أحمد إبراهيم الهولوى

د. شوقي عبد القوى حبيب

د. قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذي

شريف قاسم

مدير الإنتاج

جمال عاهد

تصميم الغلاف : محمد أبوطالب

على قدر أهل العزم تأتي العزائم  
وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وتمظم في عين الصغير صفارها  
وتصفر في عين العظيم العظام  
أتوك يجسرون الحديد كأنهم  
سروا بجياد مالهن قوائم  
خميس بشرق الأرض والغرب  
زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمزم

المتنبى في مدح سيف الدولة الحمداني

## الإهداء

إلى روح إيمان سالم ؛ التقيّة النقيّة .. التي  
اختطفها الموت فجأة (ت ٢٠٠٣م) ، وهي في  
ربيع العمر الأخضر الوثاب ... فبكت عليها كل  
عين رأتها ... !!! وعَصَفَ الحزن القتال بكل قلب  
عرفها ... !! ، ورثتها في عنان السماء طيور  
مدينة رشيد الجميلة ... وإنّا لله وإنّا إليه  
راجعون...!!



## المحتويات

الإهداء .....	٥
التقديم .....	٩
المقدمة .....	١١

## القسم الأول

مدخل بيليرغرافي للتاريخ البيزنطي - نماذج مختارة ومشكلات الدراسة .....	١٧
---	----

## القسم الثاني

تاريخ الأسرات البيزنطية الحاكمة ( ٣٣٠-١٤٥٣م) .....	١٢٣
أولاً : أسرتي قسطنطين ( ٣٢٤-٣٧٨م) وثيودوسيوس ( ٣٧٩-٥١٨م) .....	١٢٩
ثانياً : أسرة جستنيان ( ٥١٨-٦٢١م) ٣ .....	١٥٦
ثالثاً : الأسرة الهرقلية ( ٦١٠-٧١٧م) .....	١٨٥
رابعاً : الأسرة الأيسورية ( ٧١٧-٨٢٠م) .....	٢١٠
خامساً : الأسرة العمورية ( ٨٢٠-٨٦٧م) .....	٢٢٧
سادساً : الأسرة المقدونية ( ٨٦٧-٩٥٩م) .....	٢٥١
سابعاً : أسرتي دوكاس وكومنين ( ١٠٥٧-١١٨٥م) .....	٣٠٢
ثامناً : أسرة المجيلوس والاحتلال اللاتيني ( ١١٨٥-١٢٦١م) .....	٣٤٦
تاسعاً : أسرة باليولوج ( ١٢٦١-١٤٥٣م) .....	٣٧٨
الخاتمة .....	٤٢٧
الملاحق .....	٤٣٥
المخرائط .....	٤٥٧
قائمة المختصرات .....	٤٧١
قائمة المصادر والمراجع .....	٤٧٣





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### التقديم

يشرفني أن أقدم هذا العمل العلمي المتميز بقلم الأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض إلى القارئ العربي الخاص والعام جميعاً. ولعل أكثر ما يشير الإعجاب في هذا المؤلف الرائع ذلك المدخل الجيولوجرافي للتاريخ البيزنطي بطريقة تحليلية نقدية التي هي ما سمات المؤرخ محمد مؤنس؛ فلقد عالج في هذا القسم المصادر اليونانية واللاتينية من خلال الباثولوجيا وأيضاً الجامع للمخطوطات البيزنطية ومجموعة مؤرخي الحروب الصليبية التي تضم المصادر الأرمنية والشرقية. والجامع للتقوش البيزنطية وتلك الخاصة بآسيا الصغرى، ومجموعة مؤرخي ألمانيا، والجامع للكنائس البيزنطية في الأرض المقدسة، ومجموعة مؤرخي الغال وفرنسا وحوليات بريطانيا وأيرلندا، والباثولوجيا الشرقية، وأعمال الكتابات الإيطالية ومجموعة نصرص حجاج فلسطين إلى جانب عمدة المؤرخين البيزنطيين من أمثال يوساب القيساري وميتاندر ويوحنا الأفسوسي، وثيوفيلاكس، وأسبانوس ماركليثوس، وحنّا سالالاس، وسقراط، وسوزين وميخائيل بيلوس، ويوحنا الليدي، وجورج الراهب، وماتويل فيلبس وجورج كدريوس والامبراطور الأديب قسطنطين بورفيرو جنيتس، وليو الشماس، وليو الحكيم، وجورج البسيدي، ويولس الصامت، وثيوفانس، والقائد كيكريمينوس، ويطرس الصقلي، وزوسيموس، وبروكريوس القيساري، وإيفاجيوس اسكولاستيكوس، وجورج باخيميرس وثيودوس الراهب وصولاً إلى الأميرة المؤرخة أنا كرمينا والصلابن كيناموس ونيكتاس خونياتس.

أما المصادر اللاتينية فتشمل إكهارد وادولف ديكاين وجيبرت التوجنتي وأودو الدولى وفوشبته دي شارتر، وريوند داجيل، وروبرت كلاري، وأوتو الفريزي، وليم الصوري ونيماين التظلي، ومارينو ساندو وغيرهم.

أما المصادر الأرمنية فتشمل هلى: متى الراهب، وسبيريوس، وجيغوند وصبريل من أنى، ومرسى خورنيه إلى جانب المصادر السريانية وتتضمن ميخائيل السرياني وابن العربي وغيرهم كذلك يعرج المؤلف على المصادر الروسية من قبيل حولة نسطور وحولة نوفوجورد.

ومن المصادر العربية المصعدي، ومياقوت الحموي، وأبا الفداء، والقزويني، والطبري، وابن الأثير، وغيرهم كثير.

وسنجد خالص أود أن أقرر في هذا التقديم أن هذه أول دراسة نقدية نزيهة لمصادر التاريخ البيزنطي شرقا وغربا

ويعالج المؤلف في القسم الثاني تواريخ الأسر البيزنطية ما بين سنة ٣٣٠م - وهي سنة تأسس مدينة القسطنطينية على يد القسطنطين الكبير - مروراً بأسر قسطنطين وثيودوسيوس وجوستنيان وهرقل وليو الأيسوري والعموريين والمقدونيين وآل دوكاس وكومنين وصولاً إلى الغزو الصليبي للقسطنطينية سنة ١٢٠٤م ، ثم تحريرها على يد أسرة باليولوغوس سنة ١٢٦١م ، وأخيراً الفتح العثماني لمدينة القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني الفاتح سنة ١٤٥٣م

وبهذا يغطي المؤلف تاريخ الدولة البيزنطية من الألف إلى الياء والجميل أنه يزود عمله الرائع بخاتمة وملاحق تخدم المتخصصين من طلاب الدراسات العليا في التاريخ البيزنطي ومن أمثلتها تواريخ الأسرات البيزنطية الحاكمة من ٣٣٠م إلى ١٤٥٣م والخلفاء الفاطميين في مصر من ٩٧٢م إلى ١١٧١م ، السلاطين العثمانيين من ١٢٩٩م إلى ١٥٢٥م ، والترتيب الزمني لأهم أحداث التاريخ البيزنطي وأبيات من القصيدة الأرمينية التي أرسلها نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسي المطيع لله متهدداً ومتوعداً ، إلى جانب المستعمرات البيزنطية التي خضعت للمبندقية بعد عام ١٢٠٤م

ويؤكد المؤلف في خاتمته لهذا المؤلف الضخم على فاعلية العوامل الداخلية ودورها البارز في سقوط بيزنطة مرتين الأولى ١٢٠٤م في أيدي الصليبيين ، والثانية في ١٤٥٣م على يد السلطان الفاتح متبعاً رؤية المؤرخ البريطاني الرموز أنزولد توينبي وأستاذ عبد الرحمن ابن خلدون مؤكداً على أن السقوط في التاريخ دائماً من الداخل وليس من الخارج

كما يشوق الأستاذ الدكتور المؤلف عند التمرّج اللاأخلاقي البيزنطي والذي ورثه عنهم العثمانيون من دسائس ومزامرات البعث الحاكم ، كذلك يوضح المؤلف للقارئ أن التعامل مع المصادر التاريخية وقراءتها بالنسبة لبيزنطة يختلف من مدرسة إلى أخرى وذلك بحكم الإيديولوجية التي تحكم هذا الكاتب أو ذاك

أخيراً يسعدني أن أقرر في موضوعية ونزاهة كاملة ؛ أن هذا العمل يعد إضافة علمية موقرة للمكتبة العربية

أ.د. اسحق عبيد

أستاذ العمود الوسطى كلية الآداب جامعة عين شمس

## المقدمة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الممتدة من القرن الرابع الميلادي إلى ما زاد على منتصف القرن الخامس عشر الميلادي . وبالتحديد من عام ٣٣٠ إلى ١٤٥٣م. أى على مدى ما فاق أحد عشر قرناً من عمر الزمان من خلال الأسرات الحاكمة .

والواقع أن ذلك التاريخ يحتل أهميته الخاصة ؛ إذ أخضعت تلك الإمبراطورية بلاد الشام، ومصر وبقية الشمال الأفريقي لسيطرتها 'السياسية إلى أن ظهر الإسلام وأخضع الفاتحون العرب تلك المناطق لسيادتهم وانتزعوها من السيادة البيزنطية، وهكذا ؛ فإن المرحلة البيزنطية ليس في الإمكان إسقاطها من تاريخ منطقتنا ، كما أن تلك الإمبراطورية دخلت في علاقات سياسية وحربية، وحضارية مع الأمويين والعباسيين والأتراك السلاجقة والعثمانيين، وبالتالي؛ فإن فهم تاريخها يعد أمراً ضرورياً من أجل دراسة تاريخ العلاقات بين عالم 'الإسلام وعالم المسيحية في المرحلة القروسطية .

جدير بالذكر ؛ بـرجع اهتمامي بالتاريخ البيزنطي إلى نحو ثلاثة عقود، فالألاحظ أن المتخصص في تاريخ الحروب الصليبية خلال القرنين الثاني عشر ، والثالث عشر الميلاديين؛ يدرك حجم الاتصال الوثيق بين التاريخ البيزنطي، وتاريخ الصليبيين في الشرق، كما أنه في أطروحتي للدكتوراه- عن السياسة الخارجية للدولة 'النورية (١١٤٦-١١٧٤م) خصصت فصلاً عن العلاقات النورية - البيزنطية ، ولا أغفل كذلك جانب الخبرة التدريسية وتأثيرها الرصّاح؛ فقد قمت بتدريس التاريخ البيزنطي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها بالملكة العربية السعودية طوال ست سنوات كاملة، ولا نزاع في أن تدريس التاريخ البيزنطي يعطي للباحث في رحابه أبعاداً فكرية جديدة لاتتوافر إلا لمن خاض غمار التجربة تأليفاً وشرحاً ومعايشة العصر التاريخي ذاته، ومن خلال دراسة العلاقات الدولية بين الشرق والغرب في العصر الوسطى.

مهما يكن من أمر ؛ فتأليف كتاب عن تلك المرحلة الزمنية يحتاج إلى مجهود كبير، خاصة أن هناك العدد الوافر من الدراسات في الغرب الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية عن كافة جزيئاته، كذلك توجد أطروحات علمية للماجستير والدكتوراه من جانب عدد من الباحثين العرب، تاهبك عن إصدارات متعددة لمؤرخين مصريين، وعرب ساهموا في تطوير الدراسات

البيزنطية في العالم العربي وذلك على مدى نحو سبعين عاماً ، ولاشك في أن ذلك يضع عبئاً ثقيلاً على من يسعى إلى عرض التاريخ البيزنطي في دراسة واحدة مستقلة .

من ناحية أخرى ؛ سيلاحظ القارئ أن الكتاب يهتم - قدر الإمكان - بالجانب النقدي ، فليس هدف كاتب هذه السطور اللهث وراء الأحداث وترهم اقتناصها بل البحث فيها ، ونأملها قدر الجهد الممكن .

وقد انقسم الكتاب إلى قسمين ، اهتم الأول منهما بتقديم عرض جغرافي أولي لمصادر ومراجع التاريخ البيزنطي ، وذلك من خلال أسلوب النماذج المختارة ويهدف إلى تقديم لمحة بانورامية عامة عن مصادر ذلك التاريخ وحيث أن إيجاد دراسة جغرافية شاملة أمر خارج القدرات الفردية نظراً لوفرتها وتعددتها ؛ لذا فإن جهدي يظل في هذا المجال جهداً فردياً ومن المفترض في المستقبل - بإذن الله تعالى - سيتم تخصيص دراسة أكثر شمولية عن ذلك الجانب الجغرافي البالغ الأهمية بالنسبة للباحثين - كما اهتم بدراسة المشكلات المنهجية الخاصة بتاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، والأمر المؤكد: أن تلك المشكلات لها أهميتها الواضحة عند التعامل مع مصادر ذلك التاريخ التي تمتاز بالترفع الكمي ، والكيفي في آن واحد .

وفيما يتصل بالقسم الثاني ؛ نجده يتناول عرضاً للتاريخ البيزنطي في صورة ملامح بانورامية عامة ، وذلك من خلال دور الأسر البيزنطية الحاكمة ، والعمل - قدر الإمكان - على المقارنة بين كل أسرة وأخرى وعوامل النجاح والإخفاق . وذلك من خلال الظروف الدولية المختلفة التي صاحبت تاريخ كل أسرة حاكمة ، وشكلت أدوارها في السباستين الداخلية ، والمخارجية . وأود لفت انتباه القارئ إلى أن بيزنطة لا يزال هناك إمكانية تقديم تصورات تاريخية مغايرة بشأنها ؛ فالتاريخ - عموماً - لم يقل كلمته الأخيرة بعد ؛

كذلك تم تزويد الدراسة بخاتمة احتوت على أهم ما أمكن التوصل إليه من نتائج ، وكذلك تم إبراد عدد من الملاحق والمهرائط . ثم أخيراً قائمة بالمصادر والمراجع بلغات متعددة كالإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والعربية

وقد يتصور البعض؛ أن تناول التاريخ البيزنطي من خلال الأسرات الحاكمة يعد أمراً تقليدياً غطياً لا جديد فيه ، وللدرد على ذلك ؛ نقول ؛ أن طبيعة المعالجة هي التي تحمى الأمور؛ إذ أن عهد إمبراطور بيزنطي ما ؛ لا يمكن فهمه دون فهم طبيعة التطور التاريخي للأسرة الحاكمة التي وجد فيها من خلال إيجابيات ، وسلبيات سياستها .

من زاوية أخرى ؛ من المهم التنويه إلى أن المقارنة بين الأباطرة في الأسرة الحاكمة الواحدة، وكذلك بين أسرة وأخرى؛ يعتمد على الاقتراب أكثر من طبعة التاريخ البيزنطي التي لم تتخذ أشكالاً ثابتة أو غطية خاصة في الصراع، من أجل البقاء مع القوى الخارجية . وما أكثرها والتي عرفت بمعاداتها للإمبراطورية المترامية الأطراف جغرافياً ، والمترامية تاريخياً على نفس المقدار !

وهكذا ؛ ففي تصوري أن التعامل مع الأسرات البيزنطية الحاكمة، يمكن الدارس من تبسيط الأضراء على جوانب محددة لا تتوافر له وفي حالة دراسته لتاريخ بيزنطة وفق تصور مغاير .

والآن ؛ أتى موعد قطف زهر الشناء ، وورود الشكر والتقدير، وأقدمها إلى عدد من المؤرخين المصريين في صورة المؤرخ والمترجم والمحقق الراحل أ.د. حسن حبشي ؛ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية التربية جامعة عين شمس الذي رحل عن عالمنا عام ٢٠٠٥م<sup>(١)</sup>، تاركاً في القلب غصة لا تنتهي<sup>١</sup>، وقد عكف ابن مصر اليار على ترجمة عدد من مصادر التاريخ البيزنطي والتعليق عليها على نحو يعجز عن القيام به فريق عمل من الباحثين حالياً ؛ وكل ذلك بافتقار ، وأستاذية العالم الراحل الذي ترحل مع الداد والأوراق، ولا يفوتني هنا ؛ الإشادة بترجماته الثرية بالتحقيقات لكتابات كيناموس Kinnamos . وأنا كومنينا Anna Comnena، ونيكتاس خونياني Nicetas Choniates وقد طالعتها وهي مخطوطة ومنها ما لم يطبع بعد، بالإضافة إلى معجم التراجم البيزنطية الذي أعده دونالد نيكول Donald Nicol عالم البيزنطيات الشهير

أما المؤرخ الثاني ؛ فهو أ.د. إسحق عبيد أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب- جامعة عين شمس المحبب بالتاريخ البيزنطي، والعلاقات البيزنطية - اللاتينية، وأغتنم الفرصة للإشادة بمؤرخ تدين له الدراسات البيزنطية في جامعات نوتنجهام Nottingham بالإنجلترا، ومصر وبني غازي بالبيبا ، والكويت، واليمن الكثير، وقد أخذت من خبرته العلمية الواسعة منذ أن تطلعت على يدى ابن أسيرط عام ١٩٧٧ء. وما زالت ذكرى محاضراته منتعشة في الأذن، والقلب والعين . والروح وكأنه ألغاه على السر منذ لحظات على الرغم من توالي الأعوام مهرولة ولا أستطيع لها دفعا !!!

عن سيرته أنظر: محمد مؤنس غرض. عصر الحروب الصليبية ٩ - ١٢ ص ٢٤٣- ٢٤٢

كذلك لا أغفل الإضافة بكتابات مؤرخين بارزين في حقل الدراسات البيزنطية من أرض الكنانة وأذكر منهم أ.د. محمود سعيد عمران ، أ.د. وسام عبد العزيز فرج ، أ.د. محمد مرسى الشيخ أ.د. عليہ الجنزوري ، أ.د. زبيدة عطا ، أ.د. عفاف صبره ، أ.د. ليلي عبد الجبراد ، وقد أفدت من مؤلفاتهم، ومن سوريا- الشقيقة الجغرافية والتاريخية لأرض الكنانة- أذكر أ.د. عادل زيتون ، أ.د. تعيم فرح ، د. عبد السلام زيدان ، الذي قدم لى كل عون فى الحصول على بعض المؤلفات الصادرة فى دمشق ، وللزميل الفاضل د. حاتم الطحاوى لمراجعته الدقيقة لقسم كبير من الكتاب ولأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى لافتادى من مكتبته العاصرة فى كلية الآداب والعلوم بجامعة الشارقة، والدكتور سلامه البلوى بنفس الكلية للملاحظات القيمة التى قدمها لى بعد مطالعة مخطوط الكتاب ، كذلك أشكر عدداً من تلاميذى خاصة محمد فوزى، وأحمد عبدالله، وهنادى السيد خاصة الأخيرة التى صورت لى عدداً من المقالات والمراجع المهمة - كذلك لا أغفل تقديم شكر خاص للزميلة د. زينب توفيق خيرة اللغة اليونانية.

بصفة عامة ؛ أفدت من مكتبات اليونان ، وتركيا ، والسعودية ، والإمارات العربية، ومصر، وذلك على مدى زمنى طويل، وفى الأخيرة أذكر مركز البحوث الأمريكى ، والجامعة الأمريكية والكلية القبطية والمعهد الفرنسى والمعهد الألماني للآثار ، ومكتبات جامعات القاهرة وعين شمس والاسكندرية وأسيوط. بالإضافة إلى المكتبات الخاصة لعدد من الأساتذة الأفاضل فى حقل الدراسات البيزنطية.

لقد كان إعداد هذا الكتاب فرصة سانحة لاقتناء مئات الكتب والمقالات عن التاريخ البيزنطى ، وقد استغرق العمل فيه ثلاث سنوات من الجهد المتواصل وقد نتج عن ذلك قائمة المصادر، والمراجع فى نهاية الدراسة، وأتصور أن القارئ الموضوعى سيقدر ما بذل فيه من جهد على.

على أية حال ؛ أذكر القارئ إلى تصفح صفحاته. ودائماً وأهدأ أردت قول الحق تبارك وتعالى «وفوق كل ذى علم عليم». صدق الله العظيم

أ.د. محمد مؤنس عسوى

أستاذة تاريخ المصدر الوسطى

القاهرة- مصر الجديدة - مساكن الضباط

## القسم الأول

مدخل ببليوغرافى للتاريخ البيزنطى

ومشكلات دراسته





## مدخل ببيوغرافى للتاريخ البيزنطى

### ومشكلات الدراسة

يتناول هذا القسم من الكتاب ؛ لمة عن نماذج لأهم المصادر والمراجع التاريخية التى من خلالها يمكن للباحث الإطلاع على وقائع التاريخ البيزنطى . وبداية أود الإشارة إلى أن ذلك المدخل ليس من مهمته إبراد حصر شامل للمصادر والمراجع المذكورة ؛ إذ أن ذلك خارج عن حدود النطاق الفردى ويتطلب فريق عمل من الباحثين خاصة أنها مصادر تاريخ أحد عشر قرناً من عمر الزمان .

واقع الأمر ؛ من المهم التعرض لمجموعات مصادر التاريخ البيزنطى . ثم الكتابات العلمية . والآثار ، والنقود ، وتقديم نماذج مختارة من كل نوع من تلك المصادر حتى يمكن للباحث الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك من خلال مطالعة المزيد منها من خلال قدراته الشخصية البحثية .

وفيما يتصل بمجموعات المصادر ، من الممكن إبرادها على النحو التالى

- الباترولوجيا البيزنطية ، إصدار ج. ب ، ميني . باريس ١٨٥٧-١٨٦٦م .  
١٨٨٠-١٩٠٣م ونفع في (١٦١) جزءاً ؛

Patrologiae Cursus Completus , Series Graeco - Latine, ed J.P. Migne , Paris 1857 - 1866 , 1880-1903 , 161 vols .

- الباترولوجيا اللاتينية ، إصدار ج. ب ميني ، باريس ١٨٤٤-١٨٥٥م .  
١٨٦٢-١٨٦٤م ونفع في (٢٢١) جزءاً

Patrologiae Curus Completus Series Latina , ed . J.P. Migne , Paris 1844-1855, 1862-1864 , 221 vols .

- الجامع للمخطوطات البيزنطية .

Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae , Bonn, 1828-1897 , 50 vols.

- مجموعة مزرخى الحروب الصليبية

Recueil des Historiens des Croisades, Paris .

وتنقسم إلى :

- الوثائق الأرمنية، مجلدان ، باريس ١٨٦٩-١٩٠٦ م .  
Documents armeniens, 2 vols ., Paris 1869 - 1906 .

- المؤرخون الاغريق . مجلدان ، ط. باريس ١٨٨١-١٨٧٥ م .  
Historiens grecs , 2 vols ., Paris 1875-1881  
Lois, 2 vols , Paris , 1841-1843 .

- المؤرخون الغربيون . ٥ مجلدات في ٨ أجزاء باريس ١٨٤٤-١٨٩٥ م .  
Historiens Occidentaux , 5 vols ., in 8 pts, Paris 1844-1895 .

- المؤرخون الشرقيين . ٥ مجلدات في ٦ أجزاء ، باريس ١٨٧٢-١٩٠٦ م .  
Historiens Orientaux, 5 vols . in 6 pts , Paris 1872 - 1906 .

ومن مجموعات المصادر نذكر أيضاً

- الجامع للنقوش اليونانية ، ٤ أجزاء ، ط. برلين ١٨٢٨-١٨٧٧ م .  
Corpus Inscriptionum Graecarum , 4 vols , Berlin 1828- 1877

- مجموعة النقوش اليونانية المسيحية لآسيا الصغرى، ط. باريس ١٩٢٢ م .  
Recueil des Inscriptions Grecques Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

- مجموعة مؤرخي ألمانيا<sup>(١١)</sup>

Monumenta Germaniae historica.

١- من المهم الإقرار بأن مجموعة تاريخ ألمانيا التذكارية قام بشرها ج. ه. برتز G.H. Pertz . وتتناول تاريخها فيما بين عامي ٥٠٠ - ١٥٠٠ م . ودلعت في ١٢٠ مجلداً وقد صدرت في برلين وهانوفر فيما بين عامي ١٨٢٦-١٩٢٥ م . ويلاحظ أنها تعد من أكبر مجموعات التاريخ القومي في كل أوروبا . ولاربط في أنها صدرت على مدى قرن كامل ، وعكست حرص الألمان على تجميع ونشر مصادر تاريخهم القومي .

عن هذه المجموعة أنظر:

على الفسولوى : « المخططات الدينية في أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس حتى القرن الثامن » .  
مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، ديسمبر كانون الأول ١٩٧٤ م . ص ١٢٧ . « معالم ألمان التاريخية Monumenta Germaniae Historica مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألماني في العصور الوسطى . » مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٨٦ م .

محمد مؤنس عزمى . قصور جليو غرافية في تاريخ الحروب النسطورية . ط. القاهرة ١٩٩٦ م . ص ٥٢

وتنقسم إلى :

- Monumenta Germaniae historica: Aucta - rerum antiquissimorum, 15 vols. , Berlin 1877-1919 .
- Monumenta Germaniae historica: Epistolarum, 8 vols , Berlin 1887-1939 .
- Monumenta Germaniae historica: Legum, 5 vols, Hannover 1835-89 .
- Monumenta Germaniae historica Poetarum latinorum medi aevi, 6 vols , Berlin - Leipzig - Weimar 1880-1951 .
- Monumenta Germaniae historica: Scriptorum , 32 vols : Hannover 1826-1934 .
- Monumenta Germaniae historica, Scriptores rerum langobardicarum et italicarum Saec., Hannover 1878
- Monumenta Germaniae historica Scriptores rerum merovingicarum 7 vols , Hannover 1885-1920 .

- الجامع للكنائس البيزنطية في الأرض المقدسة ، نشر أوغاديا ، ط. بون ١٩٧٠م.  
Corpus of the Byzantine Churches in the Holy land , ed. by Ovadia , Bonn 1970 .

Nicene and post Nicene Fathers of the Church of the Christian Church , ed. by Philip Schaff and Henry Wace , Michigan 1891

- مجموعة مؤرخي الغال وفرنسا ، ٢٧ جزءاً باريس ١٧٢٨-١٨١٨م.  
Recueil des Historiens des Gaules et de la France , Par des religieux Benedictins , 27 vols ., Paris 1738-1818 .<sup>(١١)</sup>

١- يجدر الإشارة إلى أن المجموعة المذكورة تعد بمثابة أول مجموعة ضخمة شملت مصادر التاريخ القروس في أوروبا . وقد بدأ بوكه Bouquet في نشرها في باريس ، وذلك عام ١٧٢٨م ، وصدر منها في عام ١٧٨٦م ثلاثة عشر مجلداً . وتوقف إصدارها خلال أحداث الثورة الفرنسية وعادت بعدها للصدور . وللمجموعة المذكورة طبعه أخرى نشرها لـ Delisle في باريس من عام ١٨٦٨ إلى عام ١٨٨٠ مع ملاحظة أنه اقتصر على المجلدات التسعة عشر الأولى، عن ذلك أنظر : على الغسراوي: تقرير بيبليوغرافي عن بحوث فرنسا ونشراتها في القرن الثامن =

- حروب بريطانيا وأيرلندا خلال العصور الوسطى. ٩٩ جزءاً ، لندن ١٨٥٨-١٨٩٦م<sup>(١١)</sup>.

Rerum Britannicarum medii devi Scriptores , or Chronicles and memorials of Great Britain and Ireland during The Middle Ages, published by the authority of her Majesty's Treasury under the direction of the Master of the Rolls, 99 vols ., London 1858-1896 .

- الباثولوجيا الشرقية ، نشر ل. جرافين ، ف. ناو ، ط. باريس ١٩٠٤  
Patrologia Orientalis , ed . R. Graffin et F. Nau , Paris 1904 FF.  
Corpus Fontium Historiae Byzantinae.

وهي مجموعة مصدرة بيزنطية مهمة صادرة عن مركز دامبرتون أوكس Ouks<sup>(١٢)</sup> في واشنطن وقد صدر منها حتى عام ١٩٩٢م (١٠) أجزاء ، وتحتوى على النصوص اليونانية ، وترجماتها الإنجليزية . ومن أمثلة إصداراتها الأتى

عشر . مجلد كلية العلوم الاجتماعية . جامعة الإمام محمد بن سعود العدد (٧) عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. ص ١١١ . محمد مؤنس عريض، قصول بليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٨

١- عن بعض محتويات تلك المجموعة المصدرة انظر زينب عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م. ص ١١ . وتذكر الباحثة أن عددها يقترب من المائة مجلد والواقع أن العدد الحقيقي هو (٩٩) مجلدًا انظر رأيها في الصفحة المذكورة

٢- أنعم مركز التامبردون أوكس Dumharon Ouks Center في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠م . وقد توالى على المركز المذكور عدد من العلماء الذين عملوا على دراسة التاريخ البيزنطي من كافة جوانبه السياسية والحضارية ونشر المصادر وترجمتها وكذلك الأبحاث التاريخية، نذكر منهم جون س. تاكر John S. Tracher (١٩٤٠-١٩٦٩م) وكان مسئولاً عن إدارة التنظيم الداخلي، ثم هناك ألبرت م. فريد Ernest M. Friend (١٩٤٣-١٩٥٦م) . ومن بعده، نذكر إرنست كترنجيبر Ernest Kitzingeo (١٩٠٠-١٩٦٦م) وكذلك روميلي ج. ه. جنكو Romilly J. H. Jenkins (١٩٦٧-١٩٦٩م) ووليسبر. تيلور William R. Tyler (١٩٦٩-١٩٧٧م) . ثم جيلز كونستابل Giles Constable (١٩٧٧-١٩٨٤م) وروبرت و. تومسون Robert W. Thompson (١٩٨٤-١٩٨٩م) . عن ذلك المركز البحثي الذي يعد من أعظم المراكز المتخصصة على مستوى العالم إن لم يكن أهمها مع عدم إنغال دور مركز جامعة برمنجهام ومركز الدراسات البيزنطية في سالونيك ومركز جامعة السربون في باريس، أنظر

- Constantine Porphyrogenitus, *De Administrando Imperio*, ed. by Gy. Moravcsik, Trans. by R. J. H. Jenkins, 1967
- Nicholas I, Patriarch of Constantinople Letters, ed. and Trans. by R.J.H. Jenkins and L.G. Westerink, 1973.
- The Correspondence of Athanasius I Patriarch of Constantinople: Letters to the Emperor Andronicus II, Members of the imperial Family and officials, ed. with Translation and commentary by Alice - Mary Maffry Talbot, 1975.
- The Letters of Manuel II Palaeologue, ed. and Trans. by George T. Dennis, 1977
- The Synodicon Vetus, ed. with Translation by John Duffy and John Parker, 1979.
- Nicholas I, Patriarch of Constantinople : Miscellaneous Writings, ed. and Trans. by L.G. Westerink
- Letters of Gregory Akirdynos, ed. and Trans. by Angela Constantinides Hero, 1983.
- The Correspondence of Ieo, Metropolitan of Synada and Syncellus, ed. and Trans. by Martha Pollard Vinson, 1985.
- Three Byzantine Military Treatises, ed. and Trans. by George T. Dennis, 1985.
- Nikephoros, Patriarch of Constantinople, Short History, ed. and Trans. by Cyril Mango, 1990.<sup>(1)</sup>

---

= Anastos, "Dumbarton Oaks and Byzantine Studies, a Personal Account", in Laiou and Maguire (eds.) *Byzantium A World Civilization*, D.O., Washington 1992, pp. 5-18.

Laiou and Maguire (eds.), *Byzantium A world Civilization*, D.O., عن دلك أنظر : ١- Washington 1992, pp. 159-160.

- أعمال الكتابات الإيطالية ، نشر ل. ز. موراثوري (٢٥) مجلد في (٢٨) جزء ، ط. ميلانو ١٧٢٣-١٧٥١م .

- *Rerum Italicarum Scriptores* ed. L.A. Muratori , 25 vols ., in 28 pts., Milan 1723-1751

### وأيضاً

*Rerum Italicarum Scriptores*, Citta di Castello- Bologna 1900 .

- *Historiei Graeci Minores*, ed. L. Dindorf , 2 vols ., Leipzig 1870-1871

- *Fragmenta Historicorum Graecorum* , ed. Muller , 5 vols ., Paris 1874-1885 .

مجموعة نصوص حجاج فلسطين (١٣) جزءاً وتحوى على عدد من الحجاج الأوروبيين الذين مروا بمناطق الدولة البيزنطية أو كانوا من مناطقها المختلفة وقدموا إلى فلسطين وحدثوا رحلاتهم ومن أمثلتهم يوحنا فوكاس Joannes Phocas وغيره  
هناك أيضاً مجموعة :

- *Palestine Pilgrims Text Society* , 13 vols ., 1880-1897

- *Byzantine Monastic Foundation Documents, Acomplete Translation of the Surviving Founders Typika and A.C. Hero* , 5 vols . Washington 2000 .

وتختص برشائق المؤسسات الديرية البيزنطية وتقع في ٥ مجلدات ، وصدرت في واشنطن عام ٢٠٠٠م .

كذلك نجد مجموعات وثائق في الكتاب التالية

- Gumel (V.), *Les Regesta des actes du patriarcat de Constantinople* , I, Paris 1972 , II, Chalcedon 1936 , III, Chalcedon and Buchares 1947

- Tafel (G.) and Thomas (G.), *un kunden zur Alfaren Handels und Staats geschichte der Repablik Venedig Mit Besondr Beziehung Auf Byzanz und Dielevante (814-1205)*, Wien 1856 .

---

عن المجموعة المذكورة انظر: محمد مؤنس عرض ، *فصول بليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية* ،

- Movozzo Della Roca and Lombardo, Documenti del Commercio Veneziano nei secoli XI- XII , Romg 1940 .
- Miklosich (F.) et Muller (J.) Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi.
- Pothasti (A.), Regesta Pontificum Romanorum (1198-1304) , 2 vols., Berlin 1874 - 1878 .
- Jaffe (P.), Regesta Pontificum Romanorum .
- Dolger , Regesta Von Kaiserur kenden des Ostromischen Reiches von 565-1453 .

وبعد : فتلک لحة من مجموعات مصادر التاريخ البيزنطي ، ويضاف إلى ذلك الكتابات القلمية وتذكر منها

- المصادر البيزنطية .
- المصادر اللاتينية .
- المصادر السريانية .
- المصادر الروسية .
- المصادر العربية .

وفي العرض التالي : نذكر أمثلة كنماذج مختارة من كل مجموعة من المصادر المذكورة

أولاً : المصادر البيزنطية

يوساب القيساري Eusebius of Caesarea <sup>(١)</sup> مؤلف كتاب Vita Constantini :

١- يوساب القيساري : رجل كنيسة ومؤرخ ولد عام ٢٦٠م. وقد تلقى العلم على يدى يامفيليوس: وهو راهب في قيسارية تأثر بأفكار كلبمنت السكندري Clement of Alexandria الذى كان أحد آباء الكنيسة . ويلاحظ أنه عقب صديق مرسو "السامع عام ٣١٣م . صار يوساب أسقفاً على قيسارية . وتعلم أن صلاته توطدت بالإمبراطور قسطنطين وبعد مؤرخ سيرته . وتعرف أن يوساب قام بدور بارز في الجمع المكوني الأول الذى عقد في نيقية Nicæa عام ٣٢٥م . وقد توفى عام ٣٣٩م . عنه أنظر

Grant , Eusebius as Church Historian , Oxford 1980 .

Nicol. A Biographical dictionary of the Byzantine Empire , London 1991 , pp. 37-38 Cantor , Medieval History . the life and death of civilization , New york 1969 , pp. 37-38 , p. 42. p. 46 .

أى حياة قسطنطين وكذلك كتاب *Historia Ecclesiastica* <sup>(١)</sup>؛ أى التاريخ الكنسى وبعد الكتاب الأول تاريخاً للإمبراطور قسطنطين الأول، وهو عامر بالثناء عليه، وبالنسبة لبقدر لنا رؤية منحاورة له ولأعماله، ولايتحدث، إلا عن إيجابياته، ويلاحظ أنه اعتبره الخوارى الثالث عشر للسيد المسيح، وقد ألفه بعد وفاة ذلك الإمبراطور عام ٣٣٧ م <sup>(٢)</sup>.

أما الكتاب الثانى؛ فتناول فيه الأحداث التاريخية التى مرت بالكنيسة منذ عهد السيد المسيح عليه السلام حتى معركة خريسمبوليس Chrysopolis عام ٣٢٢م التى انتصر فيها قسطنطين على منافسه ليكينيوس.

= على الفساروى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ٦٨. زبيدة عطا، الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أناتاسيوس، ط. القاهرة ب-ت، ص ٩، جوز، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ت. إحسان عباس، ط. عمان ١٩٨٦م، ص ٢٧، حاشية (٢). جورج عطية، الأثر السريانى فى الحياة الفكرية والعلمية فى بلاد الشام، ضمن كتاب بلاد الشام فى العهد البيزنطى، الدورة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام، لمحرر محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور، ط. عمان ١٩٨٦م، ص ١٥٧.

ويلاحظ أن هناك مدينتين حملتا اسم قيسارية الأولى على الساحل الفلسطينى إلى الشمال من أرسوف Arsuf وبعدت عنها ١٨ ميلاً، والثانية فى إقليم كبادوكيا Cappadocia فى آسيا الصغرى ومن المقرر أن يوساب عمل أسقفاً لقيسارية فلسطين، عن ذلك أنظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، لمحقق رشيد دى صلان، ط. باريس ١٨٤٠م، ص ٢٨، حسن عبد الوهاب، قيسارية الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الإسكندرية ١٩٩٠م، مرجعى الدومنيكى، بلدانية فلسطين العربية، منشورات النجم الثقافي، ط. أبوظبى ١٩٩٣م، ص ٢٧٧، محمد منسى عرش، فى الصراع الإسلامى المسيحى معركة أرسوف - ١١٩١م / ٥٨٧هـ ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٢٨، أسامة زكى زيد، صفا ودورها فى الصراع الصليبي - الإسلامى، ط. الإسكندرية ١٩٨٩م، ص ١٠، حاشية (٥).

Eusebius, *Extrails from Eusebius life of Constantine*, Trans. by Gohn Bernard, P.P.T.S., vol. 1, London 1896.

وتوجد ترجمة عربية انظر يوساب القيسارى، حياة قسطنطين العظيم، ت. مرقص دارو، ط. القاهرة ١٩٧٥م.

Eusebius, *The Ecclesiastical History*, Trans. by Kirsopp - Lake, L.C.L., London 1930-1940.

١- التاريخ الكنسى، ت. مرقص دارو، ط. القاهرة ١٩٧٩ عرفان شهيد، روما والعرب مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب، ت. محمد فهمى عبد الباقى معسر، ط. القاهرة ب-ت، ص ١٤٤، حاشية (٢).

Nicol, *A Biographical dictionary*, p. 37



ميناندر<sup>(١١)</sup> Menander مؤلف Excepta ex historia<sup>(١٢)</sup> أى التاريخ المتوالى أو المتعاقب، ويتناول الأحداث التاريخية التى جرت فيما بين عامى ٥٥٨-٥٨٢ م. يلاحظ أنه ارتبط بخدمة الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢ م) الذى لقبه بلقب موظف البلاط الكبير.

ألف ميناندر كتابه ليكون مكملاً لكتاب أجاثيوس Agathius - كما لاحظ دونالد نيكول- وقد فقد ذلك العمل ، ولم يبق منه إلا النذر اليسير ، ولا تغفل أنه اعتمد على الوثائق الرسمية كذلك روايات شهرة العبان ، ويقرر المؤرخ السالف الذكر: أن تاريخ ميناندر يعد المصدر التاريخى الوحيد عن السنوات الأخيرة من حكم جستنيان الأول وكذلك الأعوام التى حكم خلالها خلفه جستين الثانى (٥٦٥-٥٧٨ م) ، وهى من المراحل الشاقة التى ظهرت فيها بيزنطة ككانن مثقل بالأعباء والجراح

يوحنا الانقوسى John of Ephesus<sup>(١٣)</sup> مؤلف Historia Ecclesiastica<sup>(١٤)</sup> أى التاريخ الكنسى .

١- ميناندر : معامى ومزخ ، ولد فى القسطنطينية ودرس بها القانون . وقد عمل فى بلاط الإمبراطور موريس الذى منحه لقب موظف البلاط الكبير ، بصفة عامة وبعد ذلك الإمبراطور معاصراً للنصف الثانى من القرن السادس الميلادى عنه انظر:

Nicol, A Biographical dictionary , p. 83 .

Ure, Justinian and his age , London , 1951 , pp. 187-190 .

أرنولد ثومس . الفكر التاريخى عند الاغريق ، ت. لمي المطبعى ، ط. القاهرة : ١٩٩٠ م ، ص ١٢٤-١٢٥

هازى ألف بارترز . تاريخ الكتابة التاريخية ، ت . محمد عبد الرحمن برج . ط. القاهرة : ١٩٨٤ م ، ج ١ ص ١٣١

٢- نشره نيبور فى مجموعة الكورس وصدر عمله فى عام ١٨٢٩ انظر :  
Menander, Excepta ex historia , ed. Niebuhr, C.S.H.B., Bonn 1829

وظهرت ترجمة إنجليزية له من جانب ر.سى. بطركلى فى ليفربول عام ١٩٨٥ م. أنظر :  
- Menander . The History of Menander The Guardsman , ed. and Trans. by R.C. Blockley . Liverpool 1985 .

٣- يوحنا الانقوسى : مزخ عامر القرن السادس الميلادى ، عنه أنظر : نعيم فرح ، تاريخ أوروبا السياسى فى العصور الوسطى . ط. دمشق : ١٩٩٥ م ، ص ٢٤

٤- John of Ephesus , Ecclesiastical History . Trans. by W.J. van Duijven and J.P.N. Land . Amsterdam 1889

وقد احتوى على إشارات مهمة عن إغارات العناصر السلافية على أراضي الإمبراطورية البيزنطية خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادي

مجهول ، *Miracula Sancti Demetri* أى معجزات القديس ديمتري<sup>(١١)</sup>.

ويتناول أمر محاصرة العناصر السلافية لمدينة سالونيك خلال المرحلة الواقعة بين أخريات القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاديين؛ كذلك يتعرض لدور القديس ديمتري من أجل إنقاذ المدينة المذكورة ، كما أنه قدم إشارات مهمة عن الغزو السلافي لمقدونيا وحوض البحر الابيض.

ثيوفيلكت سيموكاتس *Theophylact Simocattes*<sup>(١٢)</sup> ، ألف كتاب *Historiae*<sup>(١٣)</sup>.

ويعد المؤرخ المذكور من مؤرخي العصر البيزنطي المبكر . وقد ألف تاريخاً للإمبراطور موريس *Maurice* (٥٨٢-٦٠٢ م) ، ويعد مكملاً لتاريخ ميثانير<sup>(١٤)</sup> ، ويقدم فيه معلومات لها

١- نعيم فرح، المرجع السابق، ص ٢٤

وعن ذلك المصدر انظر أيضاً :

وسام عبد العزيز فرح ، السلاف Slavs في شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد وسادتها (٥٩١-١٠١٨) ، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٥٧ ، وأنظر الترجمة الفرنسية التي قام بها ليميرل *Lemerle* وظهرت في باريس عامي ١٩٧٩م . ١٩٨١م.

*Les Plus anciens recueils des miracles de Saint Demetrios et la Penetration de Slaves dans les Balkans*, trad. par Lemerle , 2 vols, Paris 1979-1981

٢- ثيوفيلكت سيموكاتس : مؤرخ مصري قدم من الاسكندرية، وعرف بتلك التسمية نظراً لأنه كان يشبه إلى حد كبير نقط الأنطس الأنثى، وقد ألهمه إلى اللبسطنطينية لدراسة القانون في بدايات عهد الامبراطور هرقل عام ٦١٠م، وقام بتزلي عدد من الوظائف ، ويعد ما نعرفه عنه عمومًا أمراً محدوداً

عنه انظر:

Nicol, A Biographical Dictionary, p. 129.

٣- نشره دي بور في ليزج عام ١٨٨٧م، انظر:

*Theophylact Simocatta. Historiae*, ed. de Boer , Leipzig 1887

٤- وسام عبد العزيز فرح، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإمبراطورية البيزنطية،

٣٢٤ ٢٥ ١م . ط. الاسكندرية ١٩٨٧، ص ٢٢٤

شأنها عن بلاد فارس، والصغالية، والآثار خلال حكم ذلك الإمبراطور ، مما عكس أهمية في شأن العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والعالم المحيط بها

أهورداتوس<sup>(١١)</sup> مؤلف جيتكا Getica أى تاريخ الشعب القوطى ، واعتمد فى تأليف كتابه على عدد من المصادر التاريخية المفقودة مثل مقالات كاسيدور<sup>(١٢)</sup>، وتناول العلاقات البيزنطية مع عناصر القوط فى عهد الإمبراطور فالنز Valenz (٣٦٤-٣٧٨م) وتعرض لأمر معركة أدرنة الحاسمة عام ٣٧٨م التى هزم فيها الجيش البيزنطى وقتل خلالها الإمبراطور نفسه

إمبانوس ماركلينوس<sup>(١٣)</sup> Ammianus Marcellinus مؤلف كتاب Res Gestae : أى الأعمال تناول فيه الأحداث التاريخية من عام ٣٥٣ إلى ٣٧٨م، ويلاحظ مشاركته فى الأحداث بوصفه محارباً أو مفاوضاً أو قائماً بمهام سرية تتصل بتلك العمليات، كما شارك فى إحدى العمليات العسكرية ضد الفرس عام ٣٦٣م .

جدير بالذكر : تكون كتاب إمبانوس مارسلينوس من (٣١) جزءاً ، وقد فقدت بعض الأجزاء ، ووصلت إلينا الأجزاء من (١٤) إلى (٣١)<sup>(١٤)</sup>، وهناك من يقررو أن كتاب ذلك المؤرخ يعد تكملة لتاريخ تاكيتوس Tacitus<sup>(١٥)</sup> .

١- أهورداتوس : مؤرخ معاصر للقرن الرابع الميلادى عنه انظر:

نعم فرح، تاريخ أوروبا الساسى فى العصور الوسطى، ص٣٦

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- مؤرخ ولد فى أنطاكية عام ٣٣٠ م وقد توفى فى روما فى أواخر القرن الرابع الميلادى عنه انظر:

نفسه ، ص٣٦

رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة المسيحية الجديدة ، ط١ القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢٨

٤- نعم فرح ، تاريخ أوروبا الساسى فى العصور الوسطى، ص٣٦

٥- نفسه، نفس الصفحة.

حنا مالالاس John Malalas<sup>(١)</sup> مؤلف Chronographia : أي الزمنة<sup>(٢)</sup>.

وقد عاصر القرن السادس الميلادي، وتناول في حويلته تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م). ويعد أول حولية بيزنطية عالمية<sup>(٣)</sup>؛ مما عكس ريادة ذلك المؤرخ.

من الملاحظ أن تلك الحولية؛ يلقى فيها مؤرخها الأضواء إلى جانب الأحداث السياسية والحربية على جوانب من الحياة اليومية مما أعطاها أهمية خاصة.

سقراط<sup>(٤)</sup> Socrates مؤلف:

١- حنا مالالاس، ولد في أنطاكية حوالي عام ٤٩٠م ويلاحظ أن كلمة مالالاس Malalas تعني المحطوب أو معلم البلاغة في اللغة السريانية. وقد تلقى تعليمه في المدينة المذكورة ثم انتقل إلى العاصمة البيزنطية عام ٥٣٠م أو في أعقاب عام ٥٤٠م وتوفي عام ٥٧٠م، عنه أنظر  
Jeffreys, Croke and Scout (eds.) Studies in John Malalas, Sidney 1990.

دراسة قيمة عن ذلك المؤرخ خاصة أن من شارك فيها قام بترجمة تاريخه إلى الإنجليزية وعلى غير المعتاد لم يظهر العمل المذكور في أوروبا والولايات المتحدة، بل في استراليا

Nicol, A Biographical dictionary, p. 77, O.D.B., vol. 2, p. 1215.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 183-184

هاري المربانز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٣١

٢- نشر ل. ديتلوف تاريخ مالالاس وصدر عمله في بون عام ١٨٣١م.

Malalas, Chronographia, ed. L. Dindorf, Bonn 1831

وقد صدرت ترجمة إنجليزية لتاريخ حنا مالالاس في استراليا من جانب البرزايت جيفريز، وميشيل جيفريز، وروجر سكوت وصدر العمل من جانب الجمعية الأسترالية للدراسات البيزنطية عام ١٩٨٦م، عن ذلك أنظر:

The Chronicle of John Malalas, Trans. by Jeffreys, Michael Jeffreys, R Scout (eds.) Byzantine Australiensia Australian Association for Byzantine Studies, University of Sidney 1986

O.P.B., vol. 2, p. 1275.

-٣-

٤- سقراط: مؤرخ كنسي، وله في النسطورية عام ٣٨٠م، وفيها بعد تلقى تعليمه على أيدي عدد من كبار علماء عصره مثل أمونتيوس Ammonios، وهيلاديرس Helladius، وقد توفي عام ٤٥٠م، عنه أنظر:

Historia Ecclesiastica<sup>(١١)</sup>. أى التاريخ الكنسى . وتناول فيه الأحداث ذات الطابعين الدينى والسياسى منذ عام ٣٠٥ م إلى عام ٤٣٩ م. ووقع فى سبعة أجزاء ، وقد خصص كل جزء من الأجزاء لعهد إمبراطور من الأباطرة منذ عهد قسطنطين الأول إلى ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ - ٤٥٠ م)

ويعرف دونالد نيكول Donald Nicol : أن ذلك المؤرخ بعد أول رجل علمانى حازل كتاب تاريخ للكنيسة ، على الرغم من أنه يدين بالفضل إلى درجة كبيرة فى هذا الموضوع إلى سلفه يوسيبوس<sup>(١٢)</sup> وقيمة الكتاب من وجهة نظر المؤرخ المذكور إحتوائه على عدد من الوثائق الدينية . وكذلك الديموقراطية على نحو أثرى كتابته التاريخية<sup>(١٣)</sup>.  
سوزومين<sup>(١٤)</sup> Sozomenos ألف كتاباً عثرانه<sup>(١٥)</sup> Historia Ecclesiastica أى 'لتاريخ الكنسى'.

١١ Nicol, A Biographical dictionary, p. 115, O.D.B., vol. 3, p. 1923.

سلى بالهناج صالح. المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى. ط. بيروت ١٩٩٧م، ص ٨ حاشية (١)

١- نشر الكتاب المذكور من جانب ر. حسي وراجع عسل ب. ب. برات. وصدر فى أكتوبر عام ١٩٨٢م.  
Socrates. Ecclesiastical History, ed. R. Hussey, revised by W. Bright, Oxford 1893.  
O.D.B., vol. 3, p. 1923.

٢- Nicol, Op. cit., p. 115.

٣- Ibid, p. 115.

٤- سوزومين : ولد فى باثيليا Bathelia (بيت لاهب حالياً) فى القرن الخامس الميلادى ومهدداً عام ٤٠٠ م. ولد مارس الحماما على القسطنطينية. تولى عام ٤٥٠ م. عنه أنظر

O.D.B., vol. 3, pp. 1922 - 1923.

Nicol, Op. cit., p. 115.

رأفت عبد الحميد ، دسوزمين المؤرخ الغزالي ضمن كتب فلسطين عبر التاريخ إعداد حامد غانم زيان. مركز البحوث والدراسات التاريخية ، جامعة القاهرة . ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٨٥-١٢٨

سلم عرفات المبيض. النصرانية وأثارها فى غزة وما حوله . ط. غزة- فلسطين ١٩٩٨م. ص ١٠٥

٥- نشر بعض التاريخ الكنسى وصدر عمله فى باريس ١٩٨٣م .

عاصر الموزخ المذكور القرن الخامس الميلادي حتى منتصفه، وقد احتوى كتابه على الأحداث التي وقعت منذ بواكير الكنيسة الأولى حتى الربع الأول من القرن الخامس ومجديداً من عام ٣١٤م إلى ٤٣٩م وقام بإهداء كتابه للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨ - ٤٥٠م)

تجدر الإشارة : إلى أن نهاية ذلك التاريخ تعد مفقودة ، وهي التي تتناول الأحداث الراقعة بين عامي ٤٣٥-٤٣٩م وبصفة عامة يعد مصدراً مهماً للتاريخ البيزنطي المبكر، ويقر دونالد نيكول عنه « أن الكتاب مصدر فريد للعديد من الأحداث المبكرة في التاريخ الكنسي »<sup>(١)</sup>.

ديمثريوس كيدونيس Demetrios Kydones<sup>(٢)</sup>، مؤلف الرسائل Letters<sup>(٣)</sup>، ألف ذلك الموزخ (٤٥٠) رسالة تناولت عدداً من الأحداث التاريخية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي ، وترجع أهميته إلى أنه كان من دعاة الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية . بصفة عامة؛ تعد رسائله مصدراً مهماً من مصادر العصر البيزنطي المتأخر، خاصة من خلال الوضعية السياسية التي احتلها كرئيس للوزراء في مرحلة قلقة من مراحل التاريخ البيزنطي.

---

= Sozomenos , Histoire Ecclesiastique , ed. par J Bidez, Paris 1983 .

N.P.NF., vol . 2 .

كما توجد له ترجمة في

Nicol, A Biographical dictionary , p. 116 .

٢- ديمثريوس كيدونيس؛ عاش خلال المرحلة الوثنية بين عامي ١٣٢٤م - ١٣٤٧م، وقد صار رئيساً لوزراء الإمبراطور يوحنا السادس كونتاغوزين ١٣٤٦-١٣٥٥م John V Cantacuzene ومن الملاحظ أنه تحول إلى المذهب الروماني ثم تقاعد حبساً من الوقت . وأمضى الأعوام المتبقية من عمره وذلك بين كريت والتدنية، ومات عام ١٣٩٧م.

عنه أنظر

Nicol , A Biographical dictionary, Id, p. 719, The Reluctant Emperor , A biography of John Cantacuzene , pp. 134-135 , pp. 144-148 , pp. 157-159

٣- نشرها لويس نيز في التايكان في جزأين فيما بين عامي ١٩٥٦م - ١٩٦٠م. أنظر - Demetrios Ky- drones ed, R.J. Loewertz 2 vols - vancouver city 1965 - 1960. Nicol, the Reluctant , p. 189.

جريجورى النيسى Gregory of Nyssa<sup>(١)</sup> وهو مؤلف عدة كتب هي «ليس بألثة ثلاث»  
The life of «العشرية» on Virginity «ووحياة مكرينا»<sup>(٢)</sup> The life of  
Macrina عاصر القرن الرابع الميلاد، ويعد من أكبر مفسرى اللاهوت المسيحى، وفق مجمع  
نيقية . ويعد ما ألفه مصدراً تاريخياً مهماً عن الجدل الدينى فى القرن المذكور.

أجاثياس سكولاستيكوس Agathias Scholasticus<sup>(٣)</sup> . مؤلف Historiarum<sup>(٤)</sup> أى  
التواريخ ألف تاريخاً فى خمسة كتب يدها بأحداث عام ٢٥٢م حتى عام ٥٨٠م. وأهتم فيه  
بذكر حملات القائد ناريس Narses ضد عناصر القرط، والوندال، والفرس، وعلقى الضوء  
على الكوارث الطبيعية التى حدثت فى عهد جستنيان كزوال عام ٥٥٧م وهناك من يقرر أن  
تاريخ أجاثياس هو تكملة لما كتبه بروكوبيوس<sup>(٥)</sup> Procopius.

١- جريجورى النيسى : هو أسقف نيسا Nyssa فى إقليم كبادوكيا Cappadocia بأسيا الصغرى Asia  
Minor عام ٢٢٥م . وهو الأخ الأصغر للقدس بابل الكبير St. Basil The Great . وقد تزوج من اسمها  
ثيوسيبيا Theosebeia . ويلاحظ معارضة لفكر الأريوسية وقد توفى عام ٣٩٥م وصار قديساً يوم عيد  
بولق يوم ٩ مارس ، عنه أنظر :

Nicol. A Biographical dictionary, p. 46 .

Attwater, The penguin dictionary of Saints, Penguin Book, London 1977, p. 161

على الفساروى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط، ص٦٨-٧٠ . حاشية (٣)

٢- عن تلك الملاحظات أنظر :

Nicol, op. cit. , Cit. ., p. 46 .

٣- أجاثياس سكولاستيكوس ، هو مؤرخ وشاعر كانت ولادته فى ميسينا فى آسيا الصغرى وتلقى  
تعليمه فى كل من الاسكندرية والقسطنطينية ودرس القانون وعامس المعاماة وقد توفى حوالى عام ٥٨٢م .  
عنه أنظر :

Nicol, op. cit, p. 1.

هارى ألز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ص١٢١

٤- نشره ديتندروف وصدر فى ليزج فيما بين عامى ١٨٧٠-١٨٧١م، عنه أنظر :

Agathias Scholasticus, Historiarum, ed L.A.Diodorf, Historici Graeci Minores, Vol. II,  
Leipzig 1870-1871 .

وقد صدرت ترجمة إنجليزية من جانب أ.ج. فرندو فى نيويورك عام ١٩٧٥م ، عنها أنظر :

Agathius, The Histories, Trans. by J.D. Frendo, New York, 1٩75

٥- زبيدة عطا . الدولة الساسانية ، ص٩٠

ميخائيل بسلوس<sup>(١)</sup> Michael Psellus مؤلف كتاب Chronographia<sup>(٢)</sup>؛ أي الزمنية عاش المؤرخ المذكور بين عامي ١٠١٨ . ١٠٧٨ م . وترجع أخصيته إلى أنه عمل لدى كل من الإمبراطورين ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢م) وقسطنطين التاسع Constantine IX (١٠٤٢-١٠٥٤م) . وقد تناول في كتابه أربعة عشر إمبراطوراً بيزنطياً في المرحلة المستدة من وفاة باسل الثاني حتى عهد تغفرور الثالث Nicephor III (١٠٧٨-١٠٨١م)

بصفة عامة ؛ يعد كتابه مصدراً أساسياً من مصادر القرن الحادي عشر الميلادي .

يوحنا الليدي<sup>(٣)</sup> John The Lydian مؤلف كتاب De Magistratibus Populi Romani<sup>(٤)</sup> ويعد من المصادر التاريخية المهمة عن عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)

١- ولد ميخائيل بسلوس عام ١٠١٨م من أسرة متواضعة ، وتلقى تعليمه على أيدي عدد من الأساتذة ومنهم يوحنا مسروبيوس John Mauropus ، وقد عمل في مجال الإدارة المدنية .. وارتبط بمجموعة من المفكرين الثبان، مثل يوحنا الثامن اكسيفلينيوس John VIII Xiphilinos ، وقسطنطين الثالث ليوذوس Constantine III Leiyhoutes وكان يحدوه الأمل في أن يفلتوا فترة ضغط في عهد الإمبراطور قسطنطين العاشر Constantine X (١٠٥٩-١٠٦٧م) ، وفيما بعد؛ أجبر ميخائيل بسلوس على أن يحيا حياة ديرانية في جبل أوليمبي . ثم عاد أدراجه إلى العاصمة البيزنطية ، وشارك في الحياة السياسية . وقد توفي عام ١٠٨١م . عنه انظر : Hussey. "Michael Psellus", S. vol. X., 1935, pp. 81-90 . O.D.B., vol. 2, p. 1734 - 1735 .

Jugie , " Michael Psellus ", D.T.C., T.XIII, 1936 , pp. 1149-1158 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 367 .

تقوم حائياً الباحثة آمال حامد غانم زيان المدرس المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة بإعداد أطروحتها للدكتوراه بعنوان الدور السياسي للمؤرخ البيزنطي بسلوس .

٢- انظر الترجمة الإنجليزية . Psellus , Fourteen Byzantine Rulers: The Chronographia . Trans. by E.R.A. Sewter Penguin Book, London, 1966 .

٣- يوحنا الليدي ، ولد وفي فيلادلفيا Philadelphia (البيديا Lydia) عام ٤٩٠م . وقدم إلى القسطنطينية عام ٥١١م . وهناك عمل في الخدمة المدنية أربعين عاماً ، وحظى بإعجاب وتقدير الإمبراطور جستنيان . وألف كتابه De Maystrations وتوفي حوالي عام ٥٦٥م . عنه انظر (O.D.B., vol 2, 1061 .

Maas , John Lydus and the Roman past, London 1992 .

٤- انظر الترجمة الإنجليزية التي أعدها باندو وظهرت في فيلادلفيا :-



جورج الراهب<sup>(١١)</sup> George Monachus وهو المعروف باسم Hanartulus (أى 'المنسوب') مؤلف كتاب حولى العالم World Chronicle<sup>(١٢)</sup> عاصر المؤرخ المذكور القرن التاسع الميلادى. وفى كتابه : تناول الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى عام ٨٤٢م. أى حتى نهاية عهد الإمبراطور ثيوفيلوس من أباطرة الأسرة العنصرية . حيث حكم خلال المرحلة من ٨٢٩ إلى ٨٤٢م<sup>(١٣)</sup> . وهناك من يقرر: أنه انتهى من تأليف عام ٨٦٦م و٨٦٧م<sup>(١٤)</sup> : أى خلال عهد الإمبراطور ميخائيل الكبير. وهو من أباطرة نفس الأسرة وحكم خلال المرحلة من ٨٤٢ إلى ٨٦٧م وقد ظهرت : ظهرت تكملة لذلك التاريخ عنوانها : تكملة جورجيسوس وقد ألقت فى عهد الإمبراطور نيقفور فوكاس وتشمل الأحداث التى وقعت من نهاية تاريخه. إلى سنة ٩٤٨ وهو عام وفاة رومانوس الأول<sup>(١٥)</sup>.

مجهول ، الوصف الكامل للعالم والشعوب<sup>(١٦)</sup> Exposito Totius mundi et gentium

=John The Lydian, John Lydus, De Magistratibus, ed. with Trans. by A.C. Bandy, Philadelphia, 1983.

١- جورج الراهب هو جورج موناخوس George Monachus . وقد عاصر القرن التاسع الميلادى. وهناك من يقرر أنه اجتمع فيه كل من صفة الراهب وكذلك صفة المؤرخ . ويلاحظ أن مؤلفاته لقيت استحساناً شعبياً كبيراً وقت ترجمتها خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين إلى اللغتين السلافية والجرجية . عنه أنظر:

Nicol, Biographical dictionary, p. 43 .

2- Ibid, p. 43 .

3- Ibid, p. 43 .

4- Ibid, p. 43 .

5- Ibid, p. 43 .

٦- نعيم فرح ، ثلاثه مصادر تلقى بعض الأثراء على جوارب من الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام فى العهد البيزنطى . ضمن مؤلف بلاد الشام فى العهد البيزنطى . النفوذ : الأولى من أعمال المؤرخ الفول الرابع لتاريخ بلاد الشام تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور . ط. عمان ١٩٨٦م ، ج ١ ، ص ١٩٩  
ويلاحظ أن ذلك المصدر نشر من جانب موليريسوس. وصدر فى باريس عام ١٨٩١م. انظر:

Geographi Graeci Minores, ed. Par C. Mullerus, Paris 1861 .

عن ذلك انظر: نعيم فرح . المرجع السابق. ص ١٩٩

وقد أطلق البعض على ذلك المصدر إسم «الجغرافيا الاقتصادية أو التجارية للإمبراطورية البيزنطية في القرن الرابع».

جدير بالذكر ؛ تناول المؤلف في كتابه الأوضاع الاقتصادية في مدن إيطاليا ، وأسيانيا ، وموريتانيا ، ونوميديا ، وشبه جزيرة البلقان ، وآسيا الصغرى ، ومصر ، وسورية ؛ عما عكس اتساع النطاق الجغرافى الذى تناوله

يلاحظ أن ذلك المصدر ؛ يقدم لنا إشارات مهمة عن مدن بلاد الشام مثل صور ، وبيروت ، وصيدا ، وأنطاكية ، واللاذقية ، وكانت من المراكز الصناعية ، والتجارية البارزة في العصر البيزنطى المبكر<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى؛ أشار ذلك المصدر إلى بعض المدن التجارية الواقعة في مناطق الحدود البيزنطية الفارسية في بلاد ما بين النهرين مثل نصيبين ، والرها Edessa ، وذكر أنهما كانتا تحتريان على تجار برعوا في التجارة مع الفرس وقاموا باحتكارها ، كما قاموا ببيع المنتجات البيزنطية ماعدا النحاس والحديد ، التى فرضت الدولة البيزنطية الحظر عليهما حتى لايتخدما الفرس في صناعة الأسلحة وقد امتد ذلك الحظر حتى القرن السادس الميلادى

قزما الملاح البحر في الهند ، الطبوغرافية المسيحية<sup>(٢)</sup> The Cosmas Indicopleustes , Christian Topography.<sup>(٣)</sup>

١- نمبر قرح ، ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضراء ، على جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ١٠٩ .

٢- نفسه ، ص ٢٠٤ - ص ٢٠٥ .

٣- عن قزما الملاح البحر في الهند وكتابه أنظر :

Wolska , la Topographie Chretienne de Cosmas indicopleustes: Theologie et Science au vie Siecle , Paris 1962

Beazley , The Dawn of Modern geography , vol 1 , p. 190-196 , p. 273-303 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 163 , p. 165-167

يورى ميخايلوفتش كويشنانوف ، الشمال الشرقى الأفريقى في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاتها بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع ، ت. صلاح الدين عثمان هاشم ، ط. عمان ١٩٨٨م ، ص ١٦٦

٤- يلاحظ أن نص الكتاب المذكور تمده لدى الباثولوجيا اليونانية مجلد (٨٨) عن ذلك أنظر : =

( تعني كلمة indicopleutes المبحر إلى الهند ) وهو مصدر مهم عن التجارة البيزنطية خلال القرن السادس الميلادي ، ويلاحظ أن المؤلف عمل بالتجارة في بحار ثلاثة هي: البحر الرومي أو المتوسط ، والبحر الأريتري أو المحيط الهندي، البحر الفارسي أو الخليج العربي.

جدير بالذكر: استمد المؤلف معلوماته التي أوردها في كتابه من السكان أنفسهم الذين عاشوا في المناطق التي زارها، مما عكس أهية مصدره في هذا المجال كذلك نعرف أنه قام بزيارة الحبشة في عام ٥٢٢ أو ٥٢٥م في زمن معاصر لعهد الامبراطور البيزنطي جوستين الأول .

مانويل فيليس<sup>(١)</sup> Manuel Philes له أشعاره.

وهو من شعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وتعد كتاباته مصدراً تاريخياً مهماً عن المرحلة التي عاصرها<sup>(٢)</sup> في العصر البيزنطي المتأخر

جورج كيدرينوس George Kedronos مؤلف Synopsis Historion<sup>(٣)</sup> أي موجز التاريخ، وقد تناول فيه الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى حوالي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي . وتحدثنا عام ٥٧-١م، مع تركيزه على المرحلة من ٨١١م إلى العام الأخير . وقد أفاد من عدة مؤرخين مثل ثيوفانيس Theophanes، وجورج هامارتولوس George Hamartolos ، وغيرهما

= Cosmas Indicopleustes, Topographia Christiana, XI, ed. Migne, p. G., T. LXXXVIII.

vasiliev, op cit., p. 163. uot (100) .

عن ذلك :

وتوجد ترجمة إنجليزية له أنظر:

The Christian Topography of Cosmas, An Egyptian Monk, Trans. by J.W. McCrindle, London, 1897

١- بعد مانويل فيليس من شعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي . ولد عام ١٢٧٥م، ووصف بأنه شاعر البلاط في العاصمة البيزنطية، ولأنه هذوّر دبلوماسي حيث شارك في سفارات إلى كل من روسيا، وفارس، وفيما بعد إنهم وزج به . في السجن. وقد توفي عام ١٣٤٦م.

Nicol, A Biographical dictionary, p. 104-105 .

عنه أنظر :

Ibid p. 104 .

٢- لا تعرف شيئاً عن حياة جورج كيدرينوس ويلاحظ أن تاريخه نشر من جانب بكر في جرابين وصدر =

مجهول ، Odoiporiari apo Edem أى طرق الرحلات التى تم استخدامها منذ آدم حتى الرومان<sup>(١)</sup> يحتوى المصدر المذكور على معلومات جغرافية وتاريخية فيما قبل القرن السابع الميلادى ، ويلاحظ أن الطريق المشار إليه بدأ من الهند التى كانت بمثابة المركز التجارى البارز فى الشرق يقوم بتصدير البضائع ، عبر إيران ، ووصل إلى روما عبر البحر المتوسط ، ومن روما انتقلت إلى غالة أو فرنسا ، ولا تغفل هنا الإشارة - كما يقرر نعيم فرح- إلى أن التجار السوريين قاموا بملء بارز فى تلك التجارة العالمية.

يبقى أن نلفت نظر القارئ إلى أن تعبير «جنة آدم» جاء غامضاً فى المصدر المذكور ، ولا تغفل أن قزما الملاح الهندى السالف الذكر ، لا يعترف بوجودها أصلاً وقد ذكر أنه ما من أحد عرف جنة آدم على الأرض أو وصل إليها ففى حالة إمكانية الوصول إليها لذهب إليها الكشپيون ، إذ أن الناس يلهبون إلى أقاصى الأرض للحصول على الحرير الختام ، فكيف لا يلهبون إلى جنة آدم لو كانت موجودة فى الأرض فعلاً ؛ مما عكس إنكار البعض لذلك التصور الذى أحيط بالطابع الأسطورى.

قسطنطين السابع بورفبروجينيتس<sup>(٢)</sup> Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩ م) . وله عدة مؤلفات :

= فى يون فيما بين عامى ١٨٢٨م و١٨٢٩م انظر :

Georgius Cedrenus. ed. 7 . Bekker , 2 vols. , Bonn 1838-1839.

عن ذلك انظر :

(O.D.B., vol . 2, p. 118 .

١- أورد نعيم فرح ترجمة عنوان المصدر على أنه «الطريق من جنة آدم حتى الرومان» وهى ترجمة جانبها الصواب والصحيح ما أثبتته فى المتن ، أنظر

نعيم فرح ، ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضرار ، على جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ٩-٢٠ .

ويلاحظ أن أ. كلوتز قام بنشر المصدر المذكور عام ١٩٨٠م ، عن ذلك انظر :

A. Klots. Odoiporiari apo Edem Pheloniaches Museum Fur Philologie . T. LXV, 1910, 11. 608-610 .

عن ذلك انظر : نعيم فرح ، المرجع السابق ، ص ٩-٢٠ .

٢- من قسطنطين السابع بورفبروجينيتس انظر : القسم الثانى.

عن الثغور De Thematibus<sup>(١١)</sup> ويتناول فيه الثغور التي وقعت على الحدود بين بيزنطة وجيرانها في القرن العاشر .

عن المراسيم De Ceremoniis aulae Byzantiniae<sup>(١٢)</sup> وفيه يقدم وصفاً يتسم بالدقة للبلاد البيزنطي، ويتجه إلى الإغلاء من شأن الإمبراطورية البيزنطية كقوة عالمية حينذاك.  
عن الإدارة البيزنطية De Administando imperio<sup>(١٣)</sup> ويقدم فيه أصول الدبلوماسية البيزنطية، كذلك يشير فيه إلى اشارات جغرافية على جانب كبير من الأهمية .

حياة باسل Vita Basilii<sup>(١٤)</sup>، هي سيرة لباسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وقد كتبت من جانب قسطنطين السابع حوالي عام ٩٥٠م<sup>(١٥)</sup>، وقدم لنا «حياة باسل» الإمبراطور على أنه

١- صدرت ترجمة إيطالية له من جانب بروتوس، ونشرت في الفاتيكان عام ١٩٥٣م أنظر:  
Constantine VII, De Thematibus, ed. with Italian Translation by A. Petusi, Vatican City 1953

٢- صدر في مجموعة الكريس C.S.H.B. في جزأين من جانب ريسك بين عامي ١٨٢٩، ١٩٣٠م؛  
انظر:

Constantina VII, De Ceremoniis, ed. J.J. Reiske, 2 vols., C.S.H.B., 1829-1830 .

٣- صدرت ترجمة إنجليزية له قام بها هكتز عام ١٩٦٧م، أنظر -  
Constantin VII, De Administando Imperio, ed. by Gy. Moravcsik, Trans. by R.J.H. Jenkins 1967

كما توجد ترجمة إلى العربية قام بها أ.د. محمود سعيد عمران تحت عنوان «إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ط. بيروت - ١٩٨٠م، وهو المصنف الوحيد الذي ألفه ذلك الإمبراطور وقت ترجمته إلى العربية مما عكس ريادة ابن جامعة الاسكندرية

٤- عنه  
O.D.B., vol. 3, p. 2180 .

وقد نشر، بكر وصفر في بون عام ١٨٣٨م.

Theophanes Continuatus, ed. I. Bekker, Bonn 1838 .

وهناك ترجمة ألمانية للمصنف المذكور قام بها ل. براير

L. Breyer von Bauershof auf den Kaiserthron, Trans. by L. Breyer, Cologne 1981

O.D.B., vol. 3, p. 2180 .

عن ذلك أنظر

٥- وسام عبد العزيز فرح، «الأنشاع والسادة»، دراسة في ظاهرة التبعية الشخصية في العصر البيزنطي -

متحدر من أحد النبلاء، وتؤكد على أنه أقام حكومة عادلة وقام بحماية الفلاحين من ظلم جامعي الضرائب وما يذكر : أن المؤلف كان كارها لكبار رجال الدولة ، وعلى نحو خاص للخصيان<sup>(١١)</sup>.

بصفة عامة ، يقدم المصدر المذكور عرضاً يخلط عليه طابع المديح لباسل الأول ولذلك فعلى الباحث أن ينتبه لتلك الزاوية الأساسية في الكتاب المذكور ، لأنه يقدم رؤية منحازة.

ليو الشماس<sup>(١٢)</sup> Leo The Deacon مؤلف كتاب<sup>(١٣)</sup> Historiae أى التواريخ ويعد مصدراً تاريخياً يونانياً وحيثاً عن المرحلة الواقعة بين عامى ٩٥٠ م. ٩٧٥ م<sup>(١٤)</sup> ، وبالتالى : تعرض لمهedy الإمبراطورين نقفور فوكلى Nicphore Phocas (٩٦٣-٩٦٩ م) ، ويوحنا تزميسكس John Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦ م) وهم من القادة العسكريين الذين وصلوا إلى العرش البيزنطى فى عصر الأسرة المقدونية

ليو السادس (الحكيم) Leo VI (٨٨٦-٩١٢ م)<sup>(١٥)</sup> مؤلف كتاب Tactica السذى يلقى أضواء كاشفة على توزيعات الجيش البيزنطى ، وعناصره ، وأساليبه الحربية . وهو مصدر

= الأوسط . ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى القاهرة ٢٠٠٣ م . ص ١٦٠ .  
(O.D.B., vol. 3, p. 180 .

٢- ليو انسماس - مورخ بيزنطى عاصر القرن العاشر الميلادى وقد ولد تحديدا عام ٩٥٠ م فى كالى Kaloe فى أسيا الصغرى . وقد انضم فيما بعد إلى وجال القصر الإمبراطورى ومدح باسل الثانى واشترك معه فى حملته على الطغاة عام ٩٨٦ م. عند أنظر  
Nicol. A Biographical dictionary . p. 75 .

هارى ألف بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية . ص ٩٣٣

٣- نشر الكتاب المذكور فى مجموعة الكورس C.S.H.B. من جانب ب هاسيوس B. Hasius عام ١٨٢٨ م.

Vasilev, History of the Byzantine Empire, p. 770 .

-٤

٥- انظر ما سيتم إيراداه بشأنه ضمن الأسرة المقدونية وعن ذلك المصدر انظر :

لاغنى عنه للباحث فى النظم الحربية البيزنطية خاصة خلال القرن التاسع والعشرين الأول والثانى من القرن العاشر الميلاديين . وهو يذكرنا - بصفة عامة - بكتابات الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٣-٦٠٢ م) . الاستراتيجيةكون .

جورج اليسيدى<sup>(١)</sup> George of Pisidia مؤلف Poemi<sup>(٢)</sup> أى الأشعار وقد عاصر عهد الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) ووصف بأنه أحد شهداء العيان على حملته على الفرس التى جرت وقائعها عام ٦٢٢م . كذلك وصف من خلال أسلوبه الشعرى الحملة المشتركة التى قام بها كل من الفرس والآفار على العاصمة البيزنطية وحصارهم لها عام ٦٢٦م ، كما عرض احتفالات الإمبراطورية فى عهد ذلك الإمبراطور بالانتصار النهائي على الفرس .

مجهول ، Chronicon Paschale أى حولية الفصح وتتناول الحولية المذكورة الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ٦٢٩م ، ويلاحظ أن المؤلف فى كتابه شاهد وعاصر عدداً من الأحداث ويذكر أسماء مؤلفات عدد من المؤرخين<sup>(٣)</sup> .

بولس السيلنتياري Paul Silentiary (أى الصامت)<sup>(٤)</sup> مؤلف عمل شعرى بعنوان Ek-phrasis أى وصف وقد وصف بأنه شاعر البلاط فى عهد الإمبراطور جستنيان

= طارق منصور . فى القتال عند البيزنطيين دراسة فى الاستراتيجية فى ضوء تكتيكات ليون الحكيم . ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى . أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين . التحرير حاتم الطحار . ط . القاهرة ٢٠٠٣ .

أيضاً

Mohammad , "Ibn Maqli between The Arab and Byzantine Worlds: New Evidence" , J.M.I .H. , vol. III, pp. 25-43 .

١- جورج اليسيدى : أحد مؤلفي كنيسة آيا صوفيا Hagia Sophia فى عهد بطريرك سرجيوس Ser-gius (٦١٠-٦٣٩م) . وقد عاصر عهد الإمبراطور هرقل . عنه أنظر :

وسام عبد العزيز فرج . دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية . ص ٢٢٢

Nicol , A Biographical Dictionary , p. 43

٢- Haldon , Byzantium in the Seventh Century , Cambridge 1997 , p. XXV

٣- عن ذلك المؤرخ ومحتويات تاريخه أنظر : أسد رستم . الروم . ج ١ . ص ٢٨٥

Haldon , op. cit , p. XXII

٤- بولس السيلنتياري : شاعر يرجع إلى القرن السادس الميلادى ، وقد وصف بأنه كان صديقاً للمؤرخ =

(٥٢٧-٥٦٥ م) . وقد قام بنظم قصيدتين شهيرتين في وصف كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia ، وبالتالي؛ يعد إنتاجه الشعري في هذا الصدد؛ من المصادر الأدبية المهمة عن عصر ذلك الإمبراطور، وكذلك في أمر تاريخ الفن البيزنطي<sup>(١١)</sup> . خلال القرن السادس الميلادي.

وتجدر الإشارة أن ما كتبه في هذا الشأن حدث في ظروف إعادة افتتاح الكنيسة المذكورة عام ٥٦٢ م بعد أن انتهزت قبعتها<sup>(١٢)</sup> .

ثيوفانيس<sup>(١٣)</sup> Theophanes مؤلف أي الحولية<sup>(١٤)</sup> Chronographia . عاش ذلك المؤرخ

أجاثيوس Agathius ، ووصف بأنه كان من أدياء البلاط في عهد الإمبراطور جستنيان، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary pp. 103-104 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 186 .

Evans , Procopius , New York , 1972 , p. 29 .

٢- ثيوفانيس Theophanes : مؤرخ بيزنطي ولد عام ٧٦٠ م، في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤٦-٧٧٥ م) . وتعرف أنه أقام ديراً في سحرمان Sigriane وعرف بتأييده لمبادئ الأيقونات . وتوفي عام ٨١٨ م عنه أنظر:

The life and Conduct of and narrative about our thrice Blessed and inspired Fathers David , Symeon , and George, in Talbot (ed.), Byzantine defenders of images, Eight Saints lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1998, p. 183 , note (208) .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 127 .

عبد الشافي المغربي، العصور الوسطى الأدبية رؤية في المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة، ط. الاسكندرية . ٢٠٠٤ م، ص ٣٧ . لطفى عبد الوهاب «حولية ثيوفانيس مصدر بيزنطي عن بلاد الشام في العصر الأموي» ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في العصر الأموي ، عمان ٢٤-٢٩ تشرين الأول ١٩٨٧ م.

٤- ترجم أحداث الأعوام من ٦٠٦ إلى ٨١٣ م هاري تورتيكوف . أما أحداث الأعوام من ٢٨٤ إلى ٨١٣ م فترجمها سبريل مانجيو . ووجرسكوت ريجوفري جيمرر عن ذلك أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes An English Translation of anni mundi 6095-6305 (A.D. 602-813) , with Introduction and notes by Harry Turtledove , Pennsylvania 1982 .

Theophanes, The Chronicle of Theophanes The Confessor , Byzantium and Near Eastern History A.D. 284-813 , Trans. by Cyril Mango and Roger Scott, with assistance . of Guffrey Greatier , Oxford 1997



خلال المرحلة ما بين عامي ٧٦٠م، ٨١٨م وقد ألف حوليته - كما قرر دونالد نيكول- بين عامي ٨١٠. ٨١٤م، وهي تمتد تكلمة لا ألفه صديقه جورج سينكيلوس George Synkellos واشتملت على الأعوام من ٧٨٤م إلى ٨١٣م<sup>(١١)</sup>، وقد اعتمد على بعض المصادر المفقودة ويلاحظ : أن عدداً من المؤرخين اليونانيين المجهولين عملوا على كتابة ذبيل على ذلك التاريخ بلغت ستة كتب اشتملت على الأعوام من ٨١٣ إلى ٩٦٦م وعرفت باسم تكلمة على ثيوفانيس أو Scriptores post Theophaneon<sup>(١٢)</sup>.

القائد كيكومينوس<sup>(١٣)</sup> Kekaumenos مؤلف كتاب Strategicon أي الاستراتيجية وقد إنشئ إلى عناصر الأرستقراطية العسكرية وقام بتأليف كتابه خلال الأعوام من ١٠٧٥ إلى ١٠٧٨م، اعتماده على خبرته الشخصية ، وفي ختامه كتب فصلاً صغيراً احتوى على نصائح قدمها لها يتولى المنصب الامبراطوري ، كما احتوى كتابه على إشارات سياسية مهمة خاصة عن منطقة البلقان ، وأرمينية ، والحدود الإسلامية - البيزنطية<sup>(١٤)</sup>؛ مما عكس أهمية ذلك المصدر بين مصادر العصر البيزنطي الأوسط

بطرس الصقلي<sup>(١٥)</sup> Peter of Sicily مؤلف كتاب Historia Manichaeorum<sup>(١٦)</sup> أي

Nicol, ABiographical dictionary., p. 127 -١

Ibid, p. 127 -٢

٣- كيكومينوس Kekaumenos : ولد في جنوب مقدونيا Macedonia فيما بين عامي ١٠٧٠ م، ١٠٧٤ م. وقد توفي فيما بعد عام ١٠٧٠م. والواقع أننا لا نعرف معلومات مفصلة عن حياته بغير أنه كان من أصل مختلط أرميني

O.D.B., vol . 2, p. 119 . عنه أنظر:

وسام عبد العزيز فرج ، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٤٢

٤- بطرس الصقلي : مؤرخ بيزنطي معاصر للقرن التاسع الميلادي، ووفق ما قرره عن نفسه، ثم إرساله في سفارة دبلوماسية إلى تفليك Tephrike عام ٨١٩م وهي التي اغتبرت مركزاً لعناصر البولسيين ، ويلاحظ أن ما نعرفه ضئيل عنه. انظر O.D.B., vol 3, p. 1640-1641

هاني عبد الهادي البشير ، « البياصه في آسيا الصغرى في ضوء مصنف بطرس الصقلي »، المؤرخ القري العدد (٢٤) ، يناير ٢٠٠٦م، ص ٤٥

٥- يجدر الإشارة إلى أن كتاب بطرس الصقلي باليونانية وترجمته بالإنجليزية هي

تاريخ المانويين ويعد تاريخه مصدراً أساسياً لدراسة حركة البوليسيين وهي حركة دينية معارضة نظرت إليها الكنيسة البيزنطية على أنها مهرطقة ؛ وقد برز أمرها في عهد الإمبراطور بازل الأول (٨٦٧-٨٨٦م)

تجدر الإشارة ؛ إلى أن هناك كتابات أخرى تناولت البوليسيين مثل ما كتبه فوشبوس -Pho-tios، وجورج هامارتولوس George Hamartolos ،. وهناك إعشقاد أن ما كتبه بطرس الصقلي كان بمثابة الأساس الذي اعتمد عليه المؤرخون الذين أروا للبوليسيين<sup>(١)</sup>.

بصفة عامة، يحتوي كتابه على مادة مهمة عن تاريخ وعقائد تلك الطائفة الدينية المعارضة والتي تشل دراستها أهمية كبيرة في القاء الأضواء على تاريخ الحركات الدينية المعارضة في الساحة البيزنطية

زوسيموس Zosimus<sup>(٢)</sup> مؤلف كتاب Historia Nova ؛ أي التاريخ الجديد، وهو مؤرخ بيزنطي عاصر القرن الخامس الميلادي، وتناول في حويلته أحداث التاريخ منذ عهد الإمبراطور أغسطس Augustus حتى سقوط روما على يدى ألاك عام ٤١٠م ، ولا تغفل ؛ الإشارة إلى أنه يقدم تفصيلات مهمة عن عهد الإمبراطور دقلديانوس Diocletian

---

= Useful History and refutation of the senseless and Vain Heresy of the Manichaeans .

أي تاريخ مفيد وتفنيد لهيرطقة المانويين الخاطئة والثافهة ويسمى الكتاب أيضاً Paulicians عنه أنظر

Peter of Sicily , Hisoria Manichaeorum qui et Pauliciani dicuntur , ed . ch Astruc , W. Carus - Wolska, J. Gouillard, p. Lemerle , D. Papachryssanthou and p. Paramelle, Les sources grecques Pour L'Histoire des Pauliciens d' Asie Mineure , Travaux et Memoire , Paris 1970, O.D.B., vol . 3, p. 1640 .

١- سيتم تناول البوليسيين بالتفصيل في القسم التالي من خاصة خلال عهد الإمبراطور باسل الأول

٢- زوسيموس ؛ مؤرخ بيزنطي عاصر القرن الخامس ، ولا تعرف عنه الكثير . ويبدو أنه عمل كموظف في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني وخلفائه التاليين مباشرة ، عنه أنظر :

Nicol, A Biographical dictionary, p. 138 . O.D.B., vol . 3, p. 2231 .

نصم فرح، تاريخ أوزيا السياسي، ص ٣٧

بروكوبيوس القيساري Procopius of Caesarea<sup>(١١)</sup>، مؤرخ معاصر للإمبراطور  
جستنيان Justinian (٥٢٧-٥٦٥ م) ، وقد ألف عدة مؤلفات يمكن إجمالها في الآتي:

De Bello Persico , De Bello Vandalico, De Bello Gothico.

أي الحروب الفارسية ، والوندالية ، والقوطية على التوالي. وفيها يقدم وصفاً يتسم بالدقة  
للحروب التي خاضتها الجيوش البيزنطية خلال عهد الامبراطور جستنيان ونظراً لكونه شاهد  
عيان لأحداثها؛ لذا احتلت مؤلفاته أهمية خاصة .

كذلك ألف كتاب: Libri De Aedificiis أي بالمباني، وفيه أورد كافة الإنشاءات  
التي شيدت في عهد ذلك الإمبراطور حيث شهدت سنوات حكمه ما يوصف «بتهنئة  
معمارية»

كما أن له كتاب: Historia Arcana أي التاريخ السري<sup>(١٢)</sup>، وفيه قام بنقد كافة

١ - بروكوبيوس القيساري Procopius of Caesarea من المراجع أنه ولد عام ٥٠٠م، في مدينة قيسارية  
بفلسطين ، وفيما بعد درس القانون، وفي عام ٥٢٧م صار بمثابة المستشار القانوني للإمبراطور جستنيان،  
كذلك عمل كاتباً للقائد بليزاريوس، وقد صعب جيوشه في حروب بيزنطة ضد الفرس . وكذلك الجرمان .  
ويقال أنه ختم حياته بأن صار محافظاً للقسطنطينية عام ٥٦٢م، ويقرر المؤرخ دونالد نيكول أنه يعد من أكبر  
كتاب التاريخ اليوناني القديم، عنه أنظر:

Procopius, Secret History, Trans. by Richard ATwater , Michigan 1961 , pp. V-XIV Nicol,  
A Biographical dictionary, p. 108 .

Cameron , Procopius and the Sixth century , Oxford 1989 .

دراسة قيمة متخصصة عن بروكوبيوس والمؤلف له خبرة سابقة في ترجمة مؤلفات ذلك المؤرخ

Ure , Justinian and his ago . pp. 169-184 .

Evans, Procopius, New York, 1972, pp. 15-151

ويلاحظ أن دراسة كامبرون تعد أفضل من الدراسة الأخيرة

إسحق عبيد اللغات والموضوع في كتابات مؤرخي العصور الوسطى قراءة في بوسابوس وبروكوبيوس ،  
ضمن كتاب الدراسات التاريخية للحلقة الثقافية السنتار، جامعة الكويت، ط١، الكويت . ١٩٩٥م، ص١٧

٢ - هناك ترجمة إنجليزية لتلك المؤلفات في مجموعة اللوب The Loeb Classical Library

الأعمال التي امتدحها من قبل والتي قام بها الامبراطور جستنيان ، ولانغفل الإشارة إلى أن الكتاب المذكور لم يظهر إلا بعد وفاته .

لقد هاجم بروكوبيوس الامبراطور وزوجته ثيودورا وكال لها الاتهامات ، وترجع أهمية الكتاب إلى المعلومات الخاصة بالجانبين الإداري والمالي خلال عهد الامبراطور المذكور .

إيفاجريوس سكولاستيكوس Evagarius Scholastikos<sup>(١)</sup> مؤلف - Historia Eccle- siastica<sup>(٢)</sup> أي : التاريخ الكنسي .

= في ٧ أجزاء ، صدرت في نيويورك فيما بين عامي ١٩١٤-١٩٢٥ م ؛ وهي التي قام بها هـ. ب ديونج H.B. Dewing

كذلك توجد ترجمة إنجليزية أخرى للحروب الفارسية ، والوندالية ، والقوطية بالإضافة إلى التاريخ السري ، والمبني من جانب أفيريل كامبرون ، وصدر عمله في نيويورك عام ١٩٦٧ م ، عن ذلك أنظر :

Procopius , History of Wars, Secret History and buildings, Trans. by Averil Cameron, New York 1967

توجد ترجمة إنجليزية للتاريخ السري قام بها ريتشارد أتووتر ، وصدرت في ميشيغان عام ١٩٦٦ م ، عن ذلك أنظر : Procopius , Secret History , Trans. by Richard Atwater , Michigan 1961 .

ولا أغفل الإشارة إلى أن الراحل د.أ.د. حسن حبشي ، قام بترجمة التاريخ السري وهو تحت الطبع ، عن هذه الإشارة والأعمال الأخرى التي في طبعها إلى النشر انظر :

محمد مؤنس عوض ، أ.د. حسن حبشي مؤرخ مصري رائد للعصور الوسطى ، ضمن كتاب عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦ م ، ص ٢٥٨

ومع ذلك ؛ ملاحظ صدور ترجمة عربية للكتاب المذكور قام بها الراحل د. صبري أبو الخير ، انظر : بروكوبيوس ، التاريخ السري ، ت. صبري أبو الخير ، ط. القاهرة ٢٠٠٦ م.

وعن مؤلفات بروكوبيوس بصفة عامة أنظر :

Cameron , Procopius and the Sixth century , Los Anglos 1985 , pp. 49-207 .

١- إيفاجريوس سكولاستيكوس ؛ ولد في إيفانيا Eptania في سوريا المعروفة Coele Syria عام ٥٣٦م . وقبما بعد عمله في مجال المحاماة ، في أنطاكية كما التحق بعدد من الوظائف المرموقة إدارياً ، وتوفي فيما بعد عام ٦٠٠م عنه أنظر :

O.D.B., vol. 2 , p. 761

Nicol, A Biographical dictionary , p. 39

٢- نشره بيلز وبارمينيتر في لندن عام ١٨٩٨ م . كما أعيدت طبعته عام ١٩٦٤م انظر =

وقد عاصر القرن السادس الميلادي. ووقع تاريخه في ستة أجزاء. وأستفاد فيه من كتابات سقراط ، سوزمين ، وثيودوريت ، وتناول الأحداث الراقعة بين عامي ٤٣١م ، ٥٩٣م بحكم معاصرته لها<sup>(١)</sup>.

جورج باخميريس George Pachymeres<sup>(٢)</sup> له كتاب De Michaela et Andronico Palaeologis<sup>(٣)</sup> أي تاريخ ميخائيل وأندرونيكوس باليولوغوس وقد عاصر النصف الثاني من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي. واحتوى تاريخه على تناول لعهد الإمبراطورين ميخائيل الثامن (١٢٥٩-١٢٦١م) وأندرونيكوس الثاني باليولوغوس (١٢٦١-١٣٠٨م) واستخدم في تأليفه أسلوباً يونانياً تقليدياً دعمه بكلمات مهجورة<sup>(٤)</sup>.

Evgenios Scholastikos , Ecclesiastical History , ed. J. Bidez, L. Parmentier , London, 1898 . Amsterdam 1964 .

و هناك ترجمة حديثة من جانب ميشيل ويني صفت في لفيرول عام ٢٠٠٠م أنظر:

Evagrius Scholasticas , The Ecclesiastical History , Trans. by Michael Whitby , Liverpool 2000.

O.D.B., vol 2, p. 761 .

عن ذلك أنظر:

Nicol, Abiographical dictionary . p. 39 .

-١-

٢- جورج باخميريس، ولد في نيقية عام ١٢٤٢م وفيما بعد التحق إلى العاصمة البيزنطية حيث درس هناك مع جورج أكروبوليتيس . وصار عضواً وعضواً في السلك البطريركي. وقد تعددت اهتماماته الفكرية وتناولت بين التاريخ، والفلسفة والرياضيات . والقانون ، وترقى عام ١٣١٠م. عنه أنظر:

O.D.B., vol . 3, p. 1550 .

Nicol, Op. cit ., p. 102 .

٣- نشره بيكر في بين عام ١٨٣٥م وصدر في مجلدين أنظر:

Georgii, Pachymeris , De Michaela et Andronico Palaeologis , ed . Bekker , 2 vols, Bonn 1885 .

O.D.B., vol . 3, p. 1550 .

عن ذلك أنظر:

وعن الكتاب المذكور انظر هذه الدراسة:

Laron , "On Political geography : The Black Sea of Pachymeres", in Beaton and Roveche (eds.) , The Making of Byzantine History, Studies dedicated to Donald M. Nicol , Centre of Hellenic Studies, King's College , London 1993, pp. 94-121 .

Nicol . op. cit ., p. 102 .

-٤-

### حولية المورة The Chronicle of Morea<sup>(١)</sup>.

تعد بمثابة المصدر الأكثر أهمية للتاريخ السياسي للدولة الصليبية في اليونان خلال القرنين الثالث عشر ، والرابع عشر الميلاديين ، ولذلك ؛ لا عجب أن اهتم بها عدد من الباحثين من خلال ترجمتها ، وكذلك إعداد دراسات عنها ، وتلقى الحولية المذكورة أضواء كاشفة على إمارة أخايا Achaia . كما تقدم مادة مهمة عن بحر ايجه Aegean Sea تحت السيادة الصليبية.

ولأنفعل ؛ أن تلك الحولية تروى لنا أمر اتصال الحكام اليونانيين في المورة بالفرسان اللاتين حيث كونوا مجتمعا إقطاعيا . وقد ورد فيها العديد من المصطلحات الخاصة بالنظام الإقطاعي البيزنطي (البروتريا) ونظام الإنقطاع في الغرب الأوربي<sup>(٢)</sup> ، مما عكس أهمية تلك الحولية بصفة عامة.

يوحنا سكايليتزيس John Skylitzes<sup>(٣)</sup> ألف كتاباً عنوانه Synopsis Historiarum أى مختصر التواريخ

يشناول في الكتاب المذكور ؛ وقائع الأعوام من ٨١١ إلى ١٠٥٧ م . ويعد تكملة لما كتبه ثيوفانيس المعترف Theophanes The Confessor

١- عن حولية المورة انظر هذه الترجمات

The Chronicle of Morea, Trans. by J. Schmitt, London 1904, Reprint, New York 1979

• Crusaders, Conquerors, The Chronicle of Morea, Trans. by H.E. Lurier, New York 1964

• To Chronikon Tou Moreos, p. Kalonaros, Athens 1940 .

ولمجد ترجمة عربية للحولية المذكورة لدى: سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ط. دمشق ١٩٩٥، ج. ١٠، ص ٢٠٠-٥٨٥

٢- حستين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٦٢

٣- مؤرخ بيزنطي عاش خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، ولا تزال حياته بكنفها الضوضاء

O.D.B., vol. 3, p. 1914

Nicol. A Biographical dictionary . p. 115 .

محمد زاهد عبد، العلاقات البيزنطية الألمانية ٩٦٢-٥٩٠ م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦ م، ص ٢

### ثيودوسيوس الراهب Theodosius The Monk<sup>(١١)</sup>.

هو شاهد عيان على فتح سيراكوز Syracuse على أيدي المسلمين عام ٨٧٨م . وقد وصف تلك الأحداث في رسالة أرسلها إلى الشماس ليو The Deacon Leo . ويلاحظ أن المخطوطة البيزنائية الكاملة للخطاب فقدت، وتم نشر النص على أساس مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس B.N . ويحتوى على جزء فقط من ذلك الخطاب، ولحسن الحظ فإن الترجمة اللاتينية الكاملة من جانب يوسفات أزال Josophat Azzale تم حفظها في مخطوط يرجع إلى القرن ١٧م.

وهناك من يقرر : أنه على الرغم من كونه ثيودوسيوس الراهب شاهد عيان لتلك الأحداث؛ إلا أن عرضه لم يكن شخصياً ، وهو يقدم عرضه على أنه ضمن من مجموعة من رجال الاكليريوس السيراكوزيين الذين واجهوا الحصار العرسى، ويحتوى وصفه قسماً من المبالغات كما هو متوقع في مصادر ذلك العصر .

وجدير بالذكر : كتب نفس المزور قصائد شعرية عن سقوط سيراكوز<sup>(١٢)</sup>.

سوفرونوس Sophronios<sup>(١٣)</sup> بطريرك بيت المقدس ٦٣٤-٦٣٨م الذى سلمها للخليفة عمر بن الخطاب .

١ - مزور معاصر للقرن التاسع الهلادى.

عنه أنظر : . O.D.B., vol. 3, p. 2053 - 2054

٢ - . O.D.B., vol. 3, p. 2054

٣ - سرفرونوس : هو بطريرك بيت المقدس خلال المرحلة ٦٣٤-٦٣٨م وقد ولد في دمشق عام ٥٦٠م . وترقى في بيت المقدس في ١١ مارس ٦٣٨م. والمعتمد أن يورث اسمه على أنه Sophronios The Sophist أي سرفرونوس التجادل على الرغم من أن تلك التاجية ما زالت موضع خلاف ويلاحظ أنه كان راهباً . وقد قام بالاشتراك مع معلمه يوحنا موسكوس John Moschos برحلة على نطاق متسع زار فيها أديرة متعددة في مصر وفلسطين . وروما . وعاد أدراجه إلى بيت المقدس للاتحاق بدير ثيودوسيوس Monastery of Theodosios . وقد أدت صراعاته اللاهوتية إلى ذهابه إلى مصر عام ٦٣٣م والفلسطينية ، وعلى الرغم من دفاعه الجليل عن مجمع خلقدونية إلا أنه لم يتمكن من إقناع كيروس السكندرى Cyrus of Alexandria أو سرجيوس الأول من القسطنطينية Sergios I of Constantinople

O.D.B., vol. 3, p. 1928 .

عنه أنظر

وقد ألف سيرة حياته وأرسلها إلى صديقه بوحنا إليسون John Elemon ، ويلاحظ أن أهمية سوفرونوس تتمثل في كونه يمثل نهاية السيادة البيزنطية على المدينة المقدسة وبداية السيادة الإسلامية عليها في القرن السابع الميلادي.

ثيودور ليكتور Theodore Lector<sup>(١١)</sup> مؤلف Tripartite أي الكتاب الثلاثي الأجزاء ،

وقد أفاد في كتابه مما كتب كل من سقراط Socrat ، وسوزيمون Sozomenos وسيودوريت أوف كسبرولوس Theodoret of Cyrillus ويتناول المرحلة الممتدة من أوائل القرن الرابع الميلادي وتحدد عام ٣٠٥ إلى عام ٤٣٩ م . وله أيضا : التاريخ الكنسي .

وقد تناول فيه الأحداث التاريخية التي مرت بها لكنيسة حتى عام ٥٢٧ م .

بوحنا زوناراس John Zonaras<sup>(١٢)</sup> معاصر للقرن الثاني عشر م ، ومؤلف Epitome Historiarum<sup>(١٣)</sup> أي مختصر التواريخ .

وترجع أهميته إلى أنه عمل في بلاط الإمبراطور الكسبروس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨٠-١١١٨ م) ، يمتد تاريخه منذ بدء الخليقة إلى عام ١١١٨ م ، ويعتمد اعتماداً كبيراً على ما كتبه سكيليتزنس Skylitzes ، وسيللوس Psellus وذلك خلال كتابته للمرحلة بعد عام ٨١١م غير أنه بالنسبة لعهد ذلك الإمبراطور البيزنطي السالف الذكر ، نجد أن ما كتبه زوناراس يعد مصدراً أساسياً معرضنا عن الرؤية المنحازة التي نجدها في الكسباد أنا كومنينيا .

١- مؤرخ كنسي عاصر قسراً من القرن الخامس ، واليع الأول من القرن السادس الميلادي . ونوفي بعد عام ٥٢٧ م .

عنه أنظر O.D.B., vol 2 , p .

٢- بوحنا زوناراس : مؤرخ ورجل قانون وعالم لاهوت . احتل مكاناً بارزاً في بلاط الإمبراطور الكسبروس كومنين ، ومن المحتمل أنه فقد منصبه بعد عام ١١١٨ م . وصار راهباً في دير القديس جليكيريا St. Glyke ria . وقد توفي بعد عام ١١٥٩ م . عنه أنظر O.D.B., vol . 3, p. 2229 .

٣- نشر ل . وتديرف تاريخه في ٦ أجزاء ، في ليزج خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٥ م . أنظر : Epitome Historiarum , ed . L. Dindorf , 6 vols ., Leipzig 1868 - 1875

O.D.B., vol . 3, p. 2229 .

عن ذلك انظر :



من ناحية أخرى ؛ ألف تعليقات على نظم المسانير البابوية Commentaries on the Apostolic constitutions وقوانين المجامع وآباء الكنيسة Church Fathers . وكذلك بعض الكتابات الهيجيوغرافية Hagiographical Works (أى الخاصة بسير القديسين).

جورج سفرانتزيس George Sphrantzes مؤرخ معاصر للقرن الخامس عشر م مؤلف حولية Chronicon Minus وترجع أهميته إلى أنه التحق بالعمل لدى الامبراطور مانويل الثانى Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م) كذلك قام بعدة سفارات إلى الأتراك ، وجورجيا Georgia ، وطرابيزون Trebizond والسورة Morea ، والجزر الايجية Aegean Islands . كذلك تم تعيينه حاكماً على باتراس Patras عام ١٤٢٠ ، ومسترا Mistra عام ١٤٤٦م.

جدير بالإشارة ؛ يعد الكتاب المذكور يوميات تغطي المرحلة من ١٤٠١ إلى ١٤٧٧م ، ويلاحظ ؛ أن أسلوبه الأدبى فى كتابتها نجد فيه ألفاظاً تركية وإيطالية .

ملحة ديجينيس أكرتيس Diogenis Akritis<sup>(١)</sup> .

١- جورج سفرانتزيس ؛ ولد عام ١٤٠٠م. ولما بعد صار أحد موظفى الدولة منذ عام ١٤١٨م. وعمل فى المجال الدبلوماسى. بل صار رئيس وزراء الامبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر، وقد قبض عليه الأتراك العثمانيون بعد نجاحهم فى فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م، إلا إنه تمكن من الهرب إلى شبه جزيرة البلبونيز أو المورة Morea ثم إلى كورفو. وهناك مات عام ١٤٧٨م. عنه أنظر:

Nicol, A Biographical Dictionary, p. 116, O.D.B., vol. 3 p. 1937

٢- من الملاحظ أن كلمة ديجينيس Digenes، لفظ يونانى يعنى المولود من شعبين . على اعتبار أن والد باسيليوس ديجينيس وصف بأنه كان عربى مسلماً أما أمه فرومية مسيحية . وكلمة اكرتيس Akrites ؛ لفظ يونانى يعنى الذى ينتسب إلى حدود الدولة.

عن ملحة ديجينيس اكرتيس أنظر:

Digenes Akrites, ed. and Trans. by J. Mavrogordat, Oxford 1926 .

Beaton and Ricks (eds.), Digenes Akrites, New Approaches to Byzantine Heroic Poetry, London 1993 .

طارق منصور . «الملحة البيزنطية ديجينيس اكرتيس وقوة أدبية» . ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى . ط . القاهرة ٢٠٠٢م . ج ١ . ص ٦٨-١٠٣ . الأمين أبو سعد . «بيزنطة فى الملاحم العربية» - قرأه فى سيرة=

وهي ملحمة بيزنطية ظهرت في القرن العاشر الميلادي ، وتدور أحداثها حول محارب مسلم من أصول بيزنطية قام باختطاف فتاة بيزنطية ، وذلك خلال إحدى الغزوات ، ثم قام بالارتداد عن الإسلام ، وعاد إلى مناطق الدولة البيزنطية ، وهناك ؛ أنجب طفلاً بعد بطل الملحمة المذكورة. وقد أطلق عليه اسم بازيل ديجينيس الكريتيس Basil Digenes Akrites وعاش في مناطق الحدود البيزنطية الإسلامية وهناك أثبت كفاءته الحربية في محاربة خصومه ، وهناك من يقرر أنه رفض الخضوع للسلطة البيزنطية الرسمية. وتعد الملحمة المذكورة ؛ مصدرًا أساسيًا من مصادر التاريخ البيزنطي خاصة فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية - العربية.

الإكلوجا Ecloga <sup>(١)</sup> أي المختارات وهي تلك المجموعة القانونية التي صدرت في عهد الإمبراطور ليو الثالث الأسبري Leo III The Isaurian (٧١٧-٧٤١ م) ، وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١-٧٧٥ م) ، وهي تلقى أعضاء كاشفة على التطور القانوني في الإمبراطورية ، كما أنها تعين الدارسين على دراسة المجتمع البيزنطي من خلال القانون .

الامبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢ م) الذي ينسب إليه كتاب Strategikon <sup>(٢)</sup> أي الاستراتيجية.

= الأسيرة ذات الهذبة . ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى مهداة إلى أ.د. قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين ، تحرير حاتم الطحطاوي ، ط. القاهرة ٢٠٠٢ م ، ص ٢٣١ ، حاشية (٥٩) ، نعم فرج ، الحضارة البيزنطية ، ط. دمشق ٢٠٠٢ م ، ص ٢٦٠

Runciman , Byzantine Civilization , p. 201 , Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 132 , Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 369-371  
Kazhdan and Epdlein , Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth Centuries , Los Angeles 1983, pp. 117-119 .

١- عن الإكلوجا انظر:

Leo III, Ecloga, ed. with German Trans. L. Burgmann, Ecloga: Das Gesetzbuch Leon III und Konstantins, V , Frankfurt 1983 .

٢- هناك ترجمة ألمانية لذلك الكتاب ؛ انظر:

Dennis G.T.E., Gamillscheg, Das Strategikon des Maurikios , Vienna 1981

كما أن له ترجمة إنجليزية . انظر:

Dennis G.T.E., Maurice's Strategikon Handbook of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, 1984

O.D.B., vol. 2, p.

عن ذلك انظر :

وبلاحظ أن هناك جدلاً حول نسبة الكتاب المذكور لذلك الإمبراطور ، وبصفة عامة : فإنه يعد مصدراً أساسياً لدراسة الفكر العسكري البيزنطي خاصة خلال الربع الأخير من القرن السادس الميلادي، ويحتوي على عدد من النصائح التي تعكس الخبرة الحربية عن كيفية القتال لدى الشعوب التي حاربتها بيزنطة

يوحنا السادس كانتا كوزين John VI Cantacuzene<sup>(١)</sup> مؤلف Historiae أي التاريخ<sup>(٢)</sup>

والمؤلف هو الإمبراطور البيزنطي الذي حكم خلال المرحلة من ١٣٤٧ إلى ١٣٥٣م بما أعطى لكتابه أهمية خاصة . وهو يفيد في دراسة أوضاع الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الرابع عشر الميلادي، وقد احتوى على إشارات مهمة - إلى جانب الناحية السياسية- تناولت الأوضاع الاقتصادية ، والاجتماعية، ومنها ما اتصل بالفناء الكبير Black Death الذي حدث في القرن المذكور .

كتاب الإبارخوس Eprchikon Biblion<sup>(٣)</sup> أي الوالي وقد ألف في القرن العاشر

= كما أن له ترجمة إنجليزية . انظر :

Dennis G.T.E., Maurice's Strategikon Handbook of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, 1984 .

عن ذلك انظر : O.D.B., vol . 2, p.

١- عن يوحنا السادس كانتا كوزين أنظر القسم الثاني من هذا الكتاب

٢- تم نشر الكتاب في مجموعة الكوريس C.S.H.B. في ثلاثة أجزاء، من جانب ل. شويجن وب. نيهور وصدر فيها بين عامي ١٨٢٨م. ١٨٣٢م، عن ذلك أنظر :

John VI Cantacuzenus, Historiae, ed. L. Schopen and B. Niebuhr, 3 vols., C.S.H.B., 1828- 1832

ويشير دونالد نيكول إلى أن هناك ترجمة إنجليزية للجزء الثامن من تاريخ حنا كانتا كوزين لم تنشر في صورة رسالة جامعية أعدها ت.س. ميلر من الجامعة الأمريكية الكاثوليكية عام ١٩٧٤م، عن ذلك انظر :

Nicol, The Reluctant Emperor, A biography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk, C. 1295 - 1383, Cambridge 1996, p. 188 .

Vasiliev, History, of the Byzantine, Empire, p. 343 .

٣- عنه أنظر

الميلادى، وهو مصدر أساسى لدراسة النقابات البيزنطية Byzantine Guilds ، ويلاحظ أن كلمة إيبارخوس كانت تعنى « أمين العاصمة » ، وهو الذى وقع على عاتقه الإشراف على جميع النقابات سواء الصناعات أو التجارية فى القسطنطينية.

على أية حال ؛ من الأهمية بمكان الإقرار بأن الكتاب المذكور<sup>١١</sup> ، احتوى على القواعد التى أقرتها الامبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور ليو السادس Leo VI (٨٨٦-٩١٢م)؛ من أجل تنظيم النشاط الاقتصادى فى العاصمة.

١٠- نعم فرح، الحضارة البيزنطية ، ص ٢٣٥-٢٤٩ ولما يتصل بتاريخ كتابته، يلاحظ، أنه فى عام ١٩٣٥م، قام مؤرخ يونانى هو أ.د. كريستوفيلوبوليس A.P. Christofilopoulos بدراسة تمكن من خلالها من تحديد تاريخ كتابته وهى خلال المرحلة الواقعة بين أول سبتمبر ٩١١م إلى ١١ مايو ٩١٢م . عن ذلك انظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 188 .

١١- عشر المؤرخ السورى جوليس نيقولا Julius Nicole على وثيقة كتاب الرالى عام ١٨٩٢م، ونشره مع ترجمة لاتينية فى صيف عام ١٩٩٣م، وفى عام ١٩٢٩م؛ قام بوك A.E.Book بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية فى: Journal of the Economic History and Business (J.E.H.B)

أما فى عام ١٩٣٨م، فقد صدرت الترجمة الإنجليزية الثانية انظر:

Freshfield . Roman Law in the later Roman Empire, Byzantine Guilds, Professional and Commercial , Cambridge 1938 .

ثم قام السيد الباز العرنى بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان « كتاب عن الحصة فى بيزنطة فى القرن العاشر الميلادى أو كتاب الرالى » . مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة ، (١٩٩٠) ، ج. ٩، مايو ١٩٩٥م، ص ١٣٥-١٨٧

عن ذلك انظر:

وسام عبد العزيز فرج . « الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط (من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى » . ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١١٩-١٢٠

وهناك نص منه انظر:

Lopez and Raymond, Medieval Trade in The Mediterranean World , New York 1961 . pp. 20-23 .

وقد وقع الكتاب في (٢٢) فصلاً، وتناولت الفصول التسعة عشر الأولى نقابات تجارية ، وكذلك حرفية متعددة ، أما الفصل العشرين، فإنه اختص بتناول واجبات ما عرف بتائب الرالسى أو *Leyatarios* . واختص الفصل الحادى والعشرين بواجبات الوسطاء الرسميين الملحقين بالأسواق المتخصصة فى بيع الماشية، ونجد أن الفصل الأخير وهو والثانى والعشرين إختص بتناول القواعد العامة الموثرة على نشاط التجار والحرفيين<sup>(١)</sup>، مما عكس تعدد العناصر الاقتصادية التى تناولها الكتاب المذكور ويقرر العلامة فازيليف عنه : أنه بمثابة كتر لتاريخ الأوضاع الداخلية للقسطنطينية<sup>(٢)</sup>، وهو أمر لا تكتشفه مثل هذه الصورة كتب المحليات الأخرى التى تفيض بالأحداث السياسية ، والحربية.

نقفور برينيرس<sup>(٣)</sup> Nicephor Bryennios مؤلف.

*Historiarum Libri quattuor* أى كتب التاريخ الأربعة عاصر المؤرخ المذكور قسماً من القرن الحادى عشر الميلادى، وكنا جزءاً من القرن الثانى عشر الميلادى. وقد تناول فى كتابه : الأحداث التاريخية التى مرت بالإمبراطورية البيزنطية منذ عام ١٠٧٠ إلى ١٠٧٩م، وفيه يقدم إشارات مهمة عن معركة مانزكوت عام ١٠٧١م الحاسمة التى انتصر فيها السلاجقة على القوات البيزنطية وهو ينقل رواياته عن جده الذى اشترك فعلياً فيها<sup>(٤)</sup> ؛ مما أعطى لرواياته أهمية خاصة.

١- وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة، ص ٨١

٢- vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 343 .

٣- نففور برينيرس : ولد عام ١٠٦٢م، وهو حفيد تقفور برينيرس الذى سعى إلى العرش البيزنطى عام ١٠٧٧م، وقد تزوج من الأميرة البيزنطية انا كومنينا Anna Comnena عام ١٠٩٧م. ويلاحظ أنه عمل فى الجهاز الإدارى البيزنطى. كذلك التحق بالجيش البيزنطى فى عهده الكيسرس كومنين وابنه حنا الثانى، وقد حصل على لقب قيصر . وتوفى عام ١١٣٦م ، عنه انظر .

Nicol, ABiographical dictionary, p. 21

٤- عن ذلك انظر :

فايز نجيب اسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة مانزكوت (١٠٧١م / ٤٤٩٣هـ) فى مصنف نففور برينيرس دراسة مقارنة للمصادر، ط. الاسكندرية ١٩٨٢م، ص ١١-١٢

- البطريرك نقفور Niccphorus مؤلف كتاب<sup>(١)</sup> : *Breviarium Historicum Gestis* : *Post imperium Mauricii* : أى مختصر تاريخي لا حدث بعد الإمبراطور موريس .

وقد عمل المؤلف بطريركاً للقسطنطينية فيما بين عامي ٨٠٦ ، ٨١٥ م. وبالتالي احتل منصباً دينياً بارزاً ، وفي الكتاب يجده يتعرض للأحداث التاريخية فيما بين عامي ٦٠٢ ، ٧٦٩ م : أى منذ عهد الإمبراطور فوكاس Phocas (٦٠٢ - ٦١٠ م) حتى نهاية عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٧٥ م) وتعرض لأمر الصراع البيزنطي - الفارسي ، كما قدم إشارات مهمة عن علاقات الإمبراطور البيزنطي مع عناصر الخزر .

نقفور جويجواراس Nicephorus Gregoras<sup>(٢)</sup> : وعاصر القرن الرابع عشر م. وألف

١- البطريرك نقفور : بطريرك القسطنطينية في القرن التاسع الميلادي. ولد في العاصمة البيزنطية عام ٧٥٠ أو ٧٥٨ م. وهو مؤرخ وقديس تولى منصب البطريركية خلال المدة من ١٢ أبريل ٨٠٦ م إلى ١٢ مارس ٨١٥ م. وقد وصف بأنه كان من المدافعين عن عبادة الأيقونات ، وفيما بعد توفي في دير القديس ثيودور Theodore بالقرب من خريسبوليس Chrysopolis في ٥ أبريل ٨٢٨ م. عنه أنظر :

Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople , Trans. by Elizabeth A. Fisher in Talbot (ed.) Byzantine defenders of images , Eight Saints, Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1998, pp. 25-147 .

هاني عبد الهادي البشير ، « نقفور بطريرك القسطنطينية (٨٠٦ - ٨١٥ م) ومؤلفه التاريخ المختصر المؤرخ المصري. العدد ( ٦٦ ) . يناير ٢٠٠٣ م ص ٣٩ - ٧٥

O.D.B., vol. 3, p. 1477 .

٢- الترجمة الانجليزية قام بها ماجور . وصدرت في واشنطن عام ١٩٩٠ م.

Niccphorus . Short History , ed. C. Mango Washington 1990 .

٣- نقفور جريجوراس : عالم ومؤرخ ، عاصر القرن الرابع عشر م . في صفحه قام بكفائه عنه يوحنا الذي عمل أسقفاً لمركلية برتسبكاً Hrakleia Pontika ، وارتبط ذلك المؤرخ بالإمبراطور برحق السادس كمنسكوزين John VI Comaczen (١٣٤٦ - ١٣٥٤ م) ومحمداً من جانبه للقوى السياسية المعاصرة له. ويفرر دونالد نيكول أن نقفور جريجوراس وصف بأنه من أعظم رجال القرن الرابع الميلادي . وقد توفي عام ١٣٦١ .

Nicol, Abiographical dictionary, pp. 44-45 .

عنه أنظر :

كتابه التاريخ Historia<sup>(١١)</sup> الذي وقع في ٣٧ كتاباً واشتمل على المرحلة الزمنية بين عامي ١٣٢٠ . ١٣٥٩م. وهو مصدر مهم لعصره.

من جهة أخرى؛ ألف ذلك الموزع عدداً من تراجم القديسين . كذلك نعرف أنه نظم قصيدتين لولاء كل من الإمبراطورين أندرونيكوس الثاني Andronicus II (١٢٨٢ - ١٣٢٨م) . وأندرونيكوس الثالث Andronicus III (١٣٢٨ - ١٣٤١م)

- يوستاش السالونيكي<sup>(١٢)</sup> Eustathios of Thessalonike مؤلف<sup>(١٣)</sup> سقوط سالونيك On the improvement of the life of the monks and the capture of Thessalonike . Monastic life.

١- تم نشر تاريخ نقفور جويجيوراس في ثلاثة أجزاء من جانب كل من شومين . بيكر في مجموعة الكوريس فيسا بين عامي ١٨٢٩ . ١٨٥٥م.

Nicphorus Gregoras , ed. L. Schopen and I Bekker, 3 vols, C.S.H.B., 1829-1855

٢- يوستاش السالونيكي . مؤلف كنسى وعالم. ولد في عام ١١١٥م. وقد تعلم فيسا بعد في القسطنطينية . وصار شماساً . وفي عام ١١٧٨م صار رئيساً لأساقفة سالونيك . وقد إجه إلى تأليف مؤلفات عبارة عن تعليق وشروح على هوميروس Homer مبدع الإلياذة والأوديسا وكذلك الأدب المسرحي لأرسطوفانيس Aristophanes . ويوحنا الدمشقي John of Damascus . وقد توفي عام ١١٩٥م عنه أنظر:

Kazhdan and Epstein, Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth centuries . Berkaly 1995, p. 165-166 .

O.D.B., vol . 2, p. 754 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 38 .

عبد العزيز رمضان. العلاقات البيزنطية - اللاتينية في عهد الامبراطور مانويل الأول كومنينوس ١١٤٣-١١٨٠م. رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م. ص١٠٠

حاشية (١)

٣- الترجمة الإنجليزية قام بها ماثيل جرتر. وصدرت في كاتبرا عام ١٩٨٨م.

أنظر: Eustasios of Thessaloniki , The Capture of Thessaloniki, ed. Trans. by J.R. McI-ville Jones, Canberra 1988 .

وهو مؤرخ معاصر للقرن الثاني عشر م. ووصف بأنه مفكر أصيل ، وقد دعم الإمبراطور مانويل كومنين ، ويعد الكتاب الأول مصدراً أساسياً عن سقوط سالونيك وهي من المحواضر البيزنطية البارزة- في قبضة النورمان عام ١١٨٥م.

أما الكتاب الثاني: فيمثل نقداً للعبادة الديرانية البيزنطية في عصر ذلك المؤرخ.

٨- زكريا المتيلى Zachariah of Mitylene مؤلف *Historia Ecclesiastica* أرى التاريخ الكنسى وهو من رجال الكنيسة وقد شارك بالحضور في جمع القسطنطينية الذي عقد عام ٥٣٦م. وقد ألف كتابه التاريخ الكنسى من منظور مونوفيزيى ويشتمل على دراسة للرحلة الواقعة بين عامى ٤٥٠م ، ٤٩١م ، وهناك احتمال أن يكون قد امتد ليشمل المرحلة من ٤٩٢ إلى ٤٩٥م. ويعد الكتاب المذكور من المصادر التاريخية عن القرن الخامس الميلادى.

يوحنا فوكاس<sup>(٢١)</sup> Joannes Phocas وله رحلته بعنوان *Descriptio Tevrae*

١- زكريا المتيلى، رجل كنيسة ولد في مايرما Maierma بالقرب من غزوة بين عامى ٤٦٥ ، ٤٦٦م. وفيما بعد ، درس الفلسفة في الاسكندرية ، والقانون في بيروت. وقد صار أسقفاً لمتلين Mytilene كذلك حضر انجس الكنسى في القسطنطينية عام ٥٣٦م. وقد توفي عام ٥٣٦م.  
عنه انظر:

O.D.B., vol. 3, p. 2218 .

٢- نشر بروكس التاريخ الكنسى في أربعة مجلدات في باريس خلال المرحلة ١٩١٩ إلى ١٩٢٤م. عن ذلك انظر:

*Historia Ecclesiastica*, ed. E.W. Brooks, 4 vols, Paris 1919-1924 .

O.D.B., vol. 3, p. 2218 .

٣- ولد يوحنا فوكاس Joannes Phocas في جزيرة كريت Crete، ووالده هو ماثيو Mathieu الذى عمل في السلك الديرانى ووصل فيه إلى رتبة مرتفعة . وأدركته منبته في جزيرة باتروس Patmos. وعندما شب يوحنا فوكاس عن الطوق، عمل في الجيش البيزنطى في عهد الإمبراطور مانويل كومنين. عن يوحنا فوكاس انظر:

Beazly, *The Dawn of modern geography, A History of expedition and geographical Science from " the cloise of the ninth to the middle of the Thirteenth century* , vol. II, London 1901, p. 199 .

Tobler, *Bibliographia Geographica Palaestinae*. Leipzig 1867, p. 21



Sanctae<sup>(١١)</sup>: أى وصف الأرض المقدسة وهو من كريت وقد عاصر القرن ١٢م وقام برحلة إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين حوالى عام ١١٨٥م. وقد زار كنيسة الضريح المقدس Church of Holy Sepulchre فى بيت المقدس عندما قام برحلة حج إلى هناك، وأشار فى رحلته إلى النقش الذى وجدته هناك تخليداً لذكرى تجديد الكنيسة المذكورة فى عهد الملك الصليبي عمورى الأول (١١٦٣-١١٧٤م) وذلك خلال حكم الإمبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) على نحو يلقى الضوء على العلاقات البيزنطية مع الشرق اللاتيني Levant.

- كيناموس<sup>(١٢)</sup> Kinnamos له كتاب Epitome Historiarum<sup>(١٣)</sup>، أى مختصر التاريخ.

= محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوروبيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ٢١٤ . الرحالة الأوروبيون فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م. ص ٥٧-٦٢

١- انظر الرحلة فى البيروlogia اليونانية:

Descriptio Terrae Sanctae P. G., T. CXXXIII, cols 997-1063 .

ومجموعة مؤرخى الحروب الصليبية المؤرخون الإغريق . ج ١

R.H.C., T.I, Paris 1875, pp. 527-559 , T. II, pp. 683-695 .

والترجمة الإنجليزية التى قام بها أوبرى ستيفارت فى مجموعة نصوص حجاج فلسطين ، مجلد (٥) ط.

لندن ١٨٩٦م:

Joannes Phocas, A Brief Description of the Holy land , Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol V , London , 1890 .

محمد مؤنس عوض، فصول جيوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية، ص ٦٩ ، ص ٣٧٥ الترجمة العربية

أ.د. سهيل زكار الموسوعة الشامية، رقم ١٩٩٥م. ص ٣٥ ، ص ٤٠٤

٢- كيناموس Kinnamos : وقد قبل عام ١١٤٣م وهو مؤرخ بيزنطى معاصر للإمبراطور مانويل الأول

(١١٤٣-١١٨٠م) وعمل سكرتيراً له، شارك فى معارك متعددة وتوفى بعد عام ١١٨٥م. عنه أنظر

O.D.B., vol 2, p. 1130 .

لبلى عبد الجواد ، وحملات مانويل كومنين على أنجب (١١٥١-١١٦٧م) فى ضوء كتابات حنا

كيناموس ، المجلة التاريخية المصرية، العدد (٣٧) ، عام ١٩٩٠م، ص ٧٢- ص ١٠٠

هارى المزارنة، تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٣٤

٣- أنظر الترجمة الإنجليزية التى قام بها شارلز بيراند وصدرت فى كولومبيا عام ١٩٧٦م. عنه أنظر:



الثاني ابن ماثيول كومنين (١١٨٠-١١٨٣م) ، والرابع عن أندرونيكوس كومنين (١١٨٣-١١٨٥م) ، والخامس عن إسحق إيجيولوس (١١٨٥-١١٩٥م) ، والسادس عن عهد الكيسوس الثالث إيجيولوس (١١٩٥-١٢٠٣م) والسابع عن المدة القصيرة التي عاد فيها إسحق إيجيولوس ، وابنه الكيسوس الرابع إلى الحكم عام ١٢٠٣م ، كذلك خصص الثامن لمدة حكم الكيسوس الخامس دوقاس ، كما خصص الفصلين التاسع ، والعاشر لتناول الحملة الصليبية الرابعة والاحتلال اللاتيني للعاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤م<sup>(١١)</sup>.

والكتاب المذكور يعد مصدراً على جانب كبير من الأهمية من علاقات الامبراطورية البيزنطية بالمدن الإيطالية خلال المرحلة الممتدة من ١١٨٠ إلى ١٢٠٤م ، كذلك يعد المؤرخ شاهد عيان لسقوط القسطنطينية لأول مرة في العام الأخير<sup>(١٢)</sup>.

لانتقل أن نيكيتاس خريناتس كان عاشقاً لبيزنطة ، ورأى بعيني رأسه كيف تنبع معشوقته بكيين الغرب الأوربي الغازي لها ، ويصل إلى التوحد مع بيزنطة خاصة خلال الفصل الأخير من حويلته ، ومنطقي - والأمر كذلك - أن يجده يكتب حويلته بمداد المرارة والكراهية الشديدة لللاتين.

- أنا كومنينا Anna Comnena<sup>(١٣)</sup> مؤلفة كتاب Alexiad<sup>(١٤)</sup> (أي المنسوبة إلى الكيسوس).

١- عادل زحون ، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، ط. دمشق ١٩٨٠م ، ص ٢٩

٢- نفسه ، نفس الصفحة

٣- أنا كومنينا Anna Comnena : أميرة بيزنطية ومؤرخة ولدت في ديسمبر عام ١٠٨٢م ، وتعد أكبر بنات الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م) ، وقد كت خطوبتها في صغرها لقسطنطين دوكاس ، وعندما مات خطيبها - تزوجت من نيقفور بريثيوس - ويقرر دونالد نيكول أنها تعد المؤرخة الوحيدة التي أنجبتها الإمبراطورية البيزنطية ، ويلاحظ أنها أنجبت ولدين وابنه ، وقد عاشت بعد ولداً زوجها ١٥ عاماً ، وتوفيت عام ١١٥٣م ، عنها أنظر:

Nicol, A biographical dictionary , p. 9, Buckler, Anna Comnena, London 1929 .

٤- هناك ترجمة إنجليزية له قام بها سوتير وصدرت في لندن عام ١٩٧٩م.

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by Scwter , Penguin Book, London , 1979 .

ولابد من الإشارة إلى الترجمة العربية التي أعدها العلامة أ.د. حسن حنسي.

بعد مصدرًا أساسيًا لعهد الإمبراطور الكيسريس كومنين والد المؤلفة (١٠٨٠-١١١٨م) وقد حدث في عهده مقدم الحملة الصليبية الأولى، وبالتالي: فإن المؤلفة تعبر عن وجهة النظر البيزنطية تجاه الحملة المذكورة، وهي نظرة ملؤها الكراهية الدينية، والعداء، والشكوك خاصة تجاه عناصر النورمان التي سبق لها مهاجمة أملاك الامبراطورية في إيطاليا والاستيلاء عليها.

جدير بالذكر: يظهر في الكتاب الإعجاب الزائد بالامبراطور الأب، ولذلك من المهم إدراك الطابع المتحاز بالضرورة من جانب الأميرة المؤرخة تجاه والدها، ولا ينفى ذلك- بطبيعة الحال- أنها في بعض الجوانب عارضته وكانت لها شخصيتها المستقلة في عرض الواقع التاريخية منفصلة عن «كاريزما» Charisma الامبراطور الأب. غير أن ذلك حدث في القليل النادر

ومن المهم هنا ملاحظة: الظروف النفسية التي ألقت فيها تلك الأميرة البيزنطية كتابها المذكور. فقد قامت بنصب خيوط مؤامرة بالإشتراك مع زوجها ضد شقيقها حنا كومنين وصولاً إلى السلطة، وذلك في عام ١١١٩م وأرادت قتله تحقياً للرغبة الجامحة للجاملوس على العرش الإمبراطوري. إلا أن المؤامرة كشفت وذلك عن طريق زوجها نفسه<sup>١</sup>. وقد أحسن حنا كومنين للمتنصرين فلم يفتك بهم، واكتفى بالقبض عليهم وصادر أموالهم، ورفض إبداع أخته أحد الأديرة<sup>٢</sup>. بل تركها وشأنها فأختارت الانعزال عن الحياة العامة بفترسها الشعور بالمرارة والإحباط وخلال ذلك الحين انجذبت إلى تأليف الكسياد ليكون لها بمثابة العزاء عن تلك الظروف العصيبة.

---

١- أنا كومنينا، الكسياد، ت. حسن جيسى، المشروع القومي للترجمة، ط. القاهرة ٢٠٠٥. وهي آخر أعمال الراحل العالم المذكور قبل وفاته. وأحيل القارئ إلى المقدمة الممتازة التي وضعها، وهناك ترجمة لنص من الكتاب لدى سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ط. دمشق، ١٩٩٠، ج٦، ص٩٠، ص٩٦.

Mangis, Byzantium The Empire of New Roman, New York 1980, p. 29, p. 242.

أيضاً ماجدة حسن صدقي، العلاقات البيزنطية التركية في تنو- كتاب الكسياد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م.

أنال حامد زيان، الإمبراطور الكيسريس كومنين والحملة الصليبية الأولى من خلال كتاب الكسياد رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥.

١- محمد محمد مرسى الشيخ تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٤٥، ص٢٤٦.

والأمر المؤكد : أن الكتاب المذكور على النحو الذي وصل إلينا يعكس فترة أنا كومنينيا على تجاوز ظروفها النفسية العصبية ، وهكذا حولت عقدة الإخفاق إلى نجاح عاش بعدها قروناً!!

- ثيودوروس سكواتاريوتيس<sup>(١١)</sup> Theodoros Skoatariotes .

مؤلف : Syhopsis Chronika وفيها ، يتعرض لأباطرة الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الحادي عشر الميلادي منذ عهد الإمبراطور باسل الثاني (٩٧٦-١٠٢٥م) حتى رومانوس الرابع ديوجنيس Romanus IV Diogenes (١٠٦٧-١٠٧١م)<sup>(١٢)</sup> .

- الكتابات الهيجيوجرافية<sup>(١٣)</sup> Hagiography وهي عبارة عن سير القديسين والقديسات . وهي تحوي مادة تاريخية على جانب كبير من الأهمية عن النواحي الدينية . والسياسية على مدى التاريخ البيزنطي .

ويلاحظ أن أهم الدراسات التي تحتوى تلك المصادر هي:

- Bibliotheca Hagiographia Graeca, ed. F. Halkin, 3 vols . , Bruxelles 1957

وبعد أشمل كتاب عن الكتابات الهيجيوجرافية البرنانية، ووقع في ٣ أجزاء ، وطبع في بروكسيل ١٩٥٧م.

- Talbot (ed.), Holy Women of Byzantium , Ten Sainis' Lives in English Transtation , Washington 1996 .

١- مؤرخ بيزنطي معاصر للقرن الحادي عشر الميلادي.

وقد أورد هـ . عبد العزيز رمضان أن ذلك المصدر يتعرض لأباطرة القرن الحادي عشر من باسل الثاني حتى رومانوس السابع ديوجنيس . ، والواقع أنه لا يوجد إمبراطور بهذا الاسم في القرن المذكور ، والأصح رومانوس الرابع ديوجنيس والذي حكم خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٠٦٧ ، ١٠٧١ وهزم في معركة مانزكرت ، انظر عنه القسم الثالث من هذا الكتاب ، انظر عبد العزيز رمضان . مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية، ص ٨٦

٢- ترجمة روبرت بهدروسيان ، انظر عبد العزيز رمضان . المرجع السابق، نفس الصفحة

٣- عن تلك المصادر في الغرب الأوربي أنظر هذه المقالة الرائدة بالعربية:

على القمراوي ، «المصادر الهيجيوجرافية قبل النهضة الكاروليهية» ، مجلة كلية الآداب والدرية - جامعة الكويت، العدد (٢) ، عام ١٩٧٢م. ص ٨٩- ٩٨

- Talbot (ed.), *Byzantine Defenders of Images, Eight Saints lives in English Translation*, Washington 1998 .

وصدرت الدراسات المحدثتان (١٨) سيرة مترجمة إلى الإنجليزية من جانب مركز داهميرتون أوكس براشتون وتعد الموزعة اليس ماري تالبوت Alice - Mary Talbot أبرز متخصصة في المجال المذكور وقد أشرفت على فريق عمل من المترجمين لترجمتها إلى الإنجليزية .

mlk Bil jg; hgsdn kc;n:

St. Anthousa daughter of Con- سيرة القديسة أنثوسا ابنة قسطنطين الخامس<sup>(١١)</sup> -  
stantine V.

- سيرة القديسة أنثوسا من مانتين<sup>(١٢)</sup> .

St. Antousa of Mantine.

- سيرة القديسة أنثاسيا الإيجينية<sup>(١٣)</sup> .

St. Athanasia of Aegina.

- سيرة القديس كيريل الفيلبوني<sup>(١٤)</sup> .

St. Cyrille le Philote.

- سير القديسين ديقيد . وسيميون . وجورج اللبرسين<sup>(١٥)</sup> .

١- عنها أنظر : The life of St. Anthous Daughter of Constantine V, Trans. by N. Constatas, in Talbot (ed.), *Byzantine Defenders of Images Eight Saints Lives in English Translation* Washington 1998, pp. 21-24 .

٢- عنها أنظر : The life of St. Anthousa of Mantineum in *Byzantine Defenders of Icons*, pp. 13-20 .

٣- عنها أنظر : The Aegina, Trans. by L.F. Sherry, in Talbot (ed.) *Holy woman of Byzantium*, pp. 137-158 .

٤- عنها أنظر : La Vie de Saint Cyrille Le Philote Miroir Byzantin (1100), Trans. E. Sargoloyos, Brussel 1964 .

٥- عنها أنظر : The Life of Sts. David, Symeon and George of Lesbos, Trans. by D. Do-miung- A. Forasté and D. Abrahamse, in *Byzantine Defenders of Images*, pp. 143-241 .

St. David , St. Symein, St. Georje of Lesbos .

- سيرة القديس أيونيكيوس <sup>(١)</sup>.

St. Ioannikios .

- سيرة الإمبراطورة القديسة إيرين <sup>(٢)</sup>.

St. Irene.

- سيرة القديسة إيرين كريسوبالتون <sup>(٣)</sup>.

St. Irene Abbess of Chrysobalantum.

- سيرة القديسة ماريا أو (مارينوس) <sup>(٤)</sup>.

St. Maria Marinos

- سيرة القديسة مريم المصرية <sup>(٥)</sup>؛

St. Mary of Egypt .

- سيرة القديسة ثيردور السالونيكية؛

St. Theodora of Thessalonike

- سيرة القديسة مريم الصخرى <sup>(٦)</sup>.

١- عنها أنظر: The Life of St. Ioannikios Talbot ces., Trans. by D.F. Sullivan in Talbot (ed.), Byzantine Defenders of Images Byzantine Defenders of Images , pp. 243-391

٢- عنها أنظر: La Vie de L'imperatrice Sainte Irene , et Trans. by F. Halkin, A.B 106 , 1988, pp. 5-27

٣- عنها أنظر: The lif St. Irene Abbess of Chrysobalanton , Trans. by J.O. Resenquist , 1986 uppsala,

٤- عنها أنظر: Life of St. Mary / Marinos , in Talbot (ed.), Holy women of Byzantium, pp. 1-12 .

٥- عنها أنظر: Life of St. Mary of Egypt , in Talbot (ed.), Holy Women , pp. 65-93

أيضاً طارح منصور «ماريا المصرية نموذج للقصص الدينية في العصور الوسطى»، ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطي، أولاً الأدب، ط. القاهرة: ٢٠٠٢م، ص ٤٦. ص ٦٥

St. Mary The Younger.

٦- Life of St. Theodora of Thessalonike, in Talbot (ed.), Holy woman pp. 159-237

- سيرة القديسة ثيودورا الأرتية<sup>(١١)</sup>. St. Theodora of Arta.
  - سيرة القديسة أثاناسيا الأيجينية<sup>(١٢)</sup>. St. Athanasia of Aegina.
  - سيرة القديسة ماترونا البرجية<sup>(١٣)</sup>. St. Matrona of Perge.
  - سيرة القديسة ثيوكتستي الليسبوسية<sup>(١٤)</sup>. St. theoktiste of Lesbos.
  - سيرة القديسة تومايوس الليسبوسية<sup>(١٥)</sup>. St. Thomais of Lesbos
  - سيرة القديسة إليزابيث صانعة العجايب<sup>(١٦)</sup>. St. Elisabeth the Wonderworker
- وهناك في مجال كتابات سير القديسين مصدر مهم في صورة:

جاكوبوس الفوراجيني Jacobus de Voragine ونحت عنوان The Golden Legend or Lives of Saints.

وقد ألفه في عام ١٢٧٥م وتم نشره عام ١٤٧٠م.

وقد ترجمته إلى الإنجليزية على يد وليم كسرن William Caxton ونشر عام ١٤٨٢م. ويلاحظ أنه يقع في ٧ مجلدات كاملة<sup>(١٨)</sup>.

Life of St. Mary The Younger , in Talbot (ed.) Holy women, pp. 239-290 .

Life of St. Theodora of Aegina, in Talbot (ed.), Holy Women , pp. 323-333 .

٣- Life of St. Athanasia of Aegina, in Talbot (ed.) , Holy Women , pp. 137-158 .

٤- عنها أنظر : Life of St. Marona of Perge, in Talbot (ed.) Holy Women, pp. 13-64 .

٥- عنها أنظر : Life of St. Theoktiste of Lesbos in Talbot (ed.) Holy Women , pp. 95- 116.

٦- عنها أنظر : Life of St. Thomais of Lesbos, in Talbot (ed.), Holy Women pp. 291-322.

٧- عنها أنظر : Life of St. Elisabeth the Wonder worker , in Talbot (ed.) Holy Women, pp. 117-136 .

٨- عبد العزيز رمضان ، مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الانترنت، حولة التاريخ الإسلامية والوسط ، م (٢) ، عام ٢٠٠٢ ، ص ٨٢



## ثانياً : المصادر اللاتينية :

- مجهول<sup>(١١)</sup>، مؤلف *Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum* <sup>(١٢)</sup> أي أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس.
- والمؤلف أحد الجنود الذين شاركوا في الحملة الصليبية الأولى، ووصف بأنه من أتباع الزعيم النورمانى برهموند Bohemond ابن روبرت جويسكارد Robert Guiscard وبعد الكتاب المذكور مصدراً أساسياً من مصادر الحملة الصليبية الأولى وبالتالي لا يمكن إغفاله فيما ينصل بالعلاقات البيزنطية اللاتينية<sup>(١٣)</sup>.
- أوردريك فيتشاليس<sup>(١٤)</sup> Ordericus Vitalis مؤلف كتاب *Historia Ecclesiastica*:

- 
- ١- عن المؤلف المجهول أنظر: مقدمة الترجمة العربية التي أعدها حسن حبشي ، أعمال الفرنج وحجاج بيت المقدس ، ط القاهرة ١٩٧٠م، ص٩-١٦ ، ويلاحظ أن الطبعة الأولى صدرت بالقاهرة ، عام ١٩٥٨م، محمود الروضى . إشارة الرها الصليبية ، ط. مؤنة ٢٠٠٢م، ص٢٥-٢٦
- ٢- توجد ترجمة إنجليزية للمصدر المذكور من جانب روزالين هل . وصدرت في لندن عام ١٩٩٢م ، أنظر:

Anonymous , *The Deeds of the Franks and Other Pilgrims*, Trans by R. Hill. London 1962 .

ويلاحظ أن كراي قام بنشر فقرة كانت مفقودة من التاريخ المذكور . أنظر:

Krey , " A Neglected Passage in The Gesta and its Bearing on The literature of the First Crusade , in the *Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his Former Students* , New York 1928 . pp.

- ٣- أوردريك فيتشاليس مؤرخ إنجليزي ولد في إنجلترا عام ١٠٧٥م لأب نورماندى وأم إنجليزية . وقد درس في شروسبرى Shrewsbury في صغر سنه ، وأرسله أبوه إلى نورمنديا ليصبح راهباً في دير القديس أنسول St. Evroul وألف تاريخه بناء على طلب روجر أوف لى ساب Roger of le Sap أسقف دير افرون ١٠٩١-١١٢٧م . ومات أوردريك عام ١١٤٣م، عنه أنظر: محمود الروضى، إشارة الرها الصليبية ، ص٣١، حاشية (٣) مرور عبد النعم . السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك

أى التاريخ الكنسى. ويتكون من ثلاثة عشر فصلاً وقام بتأليفه ذلك المؤرخ الإنجليزي بين عامى ١١١٤-١١٤١م. ويعد مصدراً مهماً عن العلاقات بين الصليبيين . والبيزنطيين خاصة خلال أحداث الحملة الصليبية الأولى . وما تلاها من أحداث ومع ذلك؛ يوجه للمؤرخ وكتابه النقد من خلال عدم التزامه بالتسلسل الزمني للأحداث .

ريكهارد Ekkchard<sup>(١١)</sup> مؤلف كتاب<sup>(١٢)</sup> Hierosolymitana ؛ أى بيت المقدس ويعد الكتاب المذكور مصدراً من مصادر الحملة الصليبية الأول . وكذلك أمر العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والصليبيين خلال تلك المرحلة من تاريخ الصليبيين فى الشرق وعلى نحو خاص علاقة الأمير الصليبي تانكرد مع تلك الامبراطورية خلال عهد الكيسوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م).

رادولف دى كاين<sup>(١٣)</sup> Radulf de Caen

= الانجلى ١١٣١م - ١١٤٣م / ٥٢٦ - ٥٣٨هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الناث - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م. ص ٤ . حين عطيه ، اماره انطاكية واللسون ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م. ص ٣٩

١- إيكهارد : مؤرخ ألماني من مدينة مين Main. وارتبط بالرهنة وصار مرتبطاً بدير مدينة أورا . عنه أنظر:

Cahen, la Syrie du nord a l'époque des croisades, paris 1940, p. 11

السيد الباز العربى . مؤرخو الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ٦٠

R.H.C., Hist. Occ., vol V

٢- يرجد فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية . المؤرخون الغربيون . الجزء الخامس

٣- رادولف دى كاين ؛ ولد فى مدينة كاين Caen بفرنسا عام ١٠٨٠م تقريباً . وانجبه إلى ملكه الرهنة ، وقد رافق برهبنة خلال حملته على بيزنطة عام ١١٠٧م. ثم توجه إلى بلاد الشام عام ١١٠٨م . حيث مكث بها إلى أن توفى بعد عام ١١٣١م . عنه أنظر:

مؤلف كتاب Gesta Tancardi<sup>(١١)</sup> أي أعمال تانكرد .

ويعد من المصادر المهمة عن الحملة الصليبية الأولى، والعلاقات المبكرة بين البيزنطيين والصليبيين خاصة في علاقة الأمير تانكرد مع الإمبراطور الكسبريس كومنين، وبالتالي يفيد في تتبع جذور ما عرف بالمشكلة الأنطاكية في السياسة البيزنطية؛ وهي التي ستناولها فيما بعد بشئ من التفصيل .

جيبيرت أوف نوجنت<sup>(١٢)</sup> Guilbert de Nogent مؤلف كتاب Gesta Dei per Fron-  
cos<sup>(١٣)</sup>

وقد عالج المؤرخ المذكور في كتابه أحداث المرحلة المستدة بين عامي ١٠٩٥م، ١١٠٤م، وعلى الرغم من عدم مقدمه إلى الشرق ؛ إلا أنه اعتمد على روايات شهود العيان الذين شاركوا في أحداث الحملة الصليبية الأولى، ويصفه عامة؛ يعد الكتاب المذكور من مصادر تلك الحملة وأمر العلاقات بين الجانبين البيزنطي والصليبي.

أودو أوف دل Odo of Deul<sup>(١٤)</sup>.

= محمود الرضى ، إمارة الرها الصليبية ، ص ٢٨ ، حاشية (١١) ، السيد الباز العربي، مؤرخ الحروب الصليبية، ص ٥٦-٥٧

Sybel , The History and Literature of The Crusades, Trans . by Duff Gidon, London 1861, p. 147

١- يوجد التاريخ المذكور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية المؤرخون الغربيون ، الجزء - الثالث R.H.C., Hist. Occ., Vol . III.

٢- جيبيرت أوف نوجنت؛ ولد في كلير مونت Clermont بفرنسا عام ١٠٥٣م وانحدر من إحدى الأسرات النبيلة ، ودخل سلك الرهبة ، وقد صار رئيساً لأحد الأديرة، توفي عام ١١٢٤م. عنه أنظر: محمود الرضى ، المرجع السابق، ص ٢٢ ، حاشية (٣) ، السيد الباز العربي، السيد الباز العربي، المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦

Sybel, op. cit . , p. 122.

٣- يوجد التاريخ المذكور في مجموعة الحروب الصليبية والمؤرخون الغربيون الجزء الرابع R.H.C., Hist , Occi , vol VI .

٤- أودو دي دول، وهب فرنسي يتذكر من دير القديس دنيس St. Denis ولد عام ١١٠٠م، من أصول اجتماعية متواضعة وقد خدم الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م) كسكرتير وكسيس خلال أحداث الصليبية الثانية، التي إجهت إلى الشرق بعد أن تمكن المسلمون بقيادة عماد الدين =

وله كتابه *De Protectione Ludovici VII in Orientem* <sup>(١)</sup>.

أى : أعمال لويس السابع فى الشرق وهو مؤرخ حملة ذلك الملك الفرنسى (١١٣٧-١١٨٠م) إلى بلاد الشام المعروفة بالصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٩م) بصفة عامة؛ بعد الكتاب المذكور مصدراً تاريخياً أساسياً للدراسة تطور العلاقات البيزنطية اللاتينية فى آخريات النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى من خلال وجهة نظر فرنسية بطبيعة الحال.

ويلاحظ أن ذلك المؤرخ يكشف لنا فى ثنايا كتابه عن تطور الصراعات بين بيزنطة والغرب الأوروبى منذ القرن الثانى عشر الميلادى ومع ذلك ؛ يؤخذ عليه تمصبه الشديد للعناصر اللاتينية، وكذلك الباهية ضد البيزنطيين، وكذلك كيسة القسطنطينية وعلى حين وصف الإمبراطور مانويل كومنين بأنه إمبراطور القسطنطينية ؛ فجدد قد زاد فى مديحه لروجر الثانى ملك صقلية Roger II of Sicily ؛ وهو العدو اللدود للإمبراطورية البيزنطية<sup>(٢)</sup>، ولانسزاع فى أن الصراع السياسى ، والحلاف الدينى المذهبى ؛ إنعكس بدوره على المصادر التاريخية التى وصلت إلينا من ذلك العصر فكان هناك مجال بين مؤرخى كل فريق وإلى جانب ذلك ؛ نجد أن ذلك المؤرخ يقدم لنا وصفاً مهماً للعاصمة البيزنطية على نحو يفيد فى تتبع التطور التاريخى لعمارتها خاصة خلال أواسط القرن ١٢م.

---

= زنكى من السيطرة على الرها . وخلال صحبته ألف كتابه كتاريخ لأعمال لويس السابع فى الشرق، وقد صار رئيساً للدير المذكور عام ١١٥٢م، وتوفى عام ١١٦٢م.

عن أودوى دى دول أنظر: O.D.B., vol 3, p. 1512.

عادل زيتون . العلاقات السياسية والكنسية، ص ٣٢-٣٣ ؛ شعبان محمد خلف . هغاربيا والحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢٤٨م / ٤٨٩-٦١٤هـ) . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القبا عام ٢٠٠٤م، ص ١١ . ومقدمة الترجمة الإنجليزية.

١- أنظر الترجمة الإنجليزية:

Odo of Deuil , *De Protectione Ludovici VII in Orientem*, ed. and Trans. by V. Berry, New York 1948 .

٢- عادل زيتون . المرجع السابق . ص ٢٣

فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres<sup>(١)</sup>.

مؤلف كتاب : *Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium*<sup>(٢)</sup>. أى : أعمال  
الفرجة حجاج بيت المقدس. ويعد كتابه من المصادر اللاتينية الرئيسية عن التاريخ المبكر  
للعلاقات بين بيزنطة والغرب الأوربي في أخريات القرن الحادى عشر الميلادى، والربع الأول من

١- فوشيه الشارترى ، ولد بفرنسا حوالى عام ١٠٥٩م وشارك فى الحملة الصليبية الأولى وهناك اعتقاد  
عن حضوره مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م وقد وافق بطلون دى بيرون وأقام معه فى الرها Edessa حيث  
حكمها قرابة العامين. ومن بعد ذلك انتقل معه إلى بيت المقدس حيث حكمها بعد رحيل شقيقه جودفري دى  
بيرون وصاحب بلدون الأول حتى وفاته عام ١١١٨م وسكن فى تلك المدينة المقدسة حتى عام ١١٢٧م ، عنه  
أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem, Trans. by Frances Rita  
Rian, Tennessee 1969, pp. 3-56.

فوشيه الشارترى ، تاريخ الحملة إلى القدس ، ت. زياد العسلى ط. عمان ١٩٩٥م، ص. ١-١٢

السيد الباز المريني ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٣٧-٤٤ ، على أحمد السيد، الحبل والحرم  
الإبراهيمى فى عصر الحروب الصليبية، (١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ) ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٨  
حاشية (٢) ، نور الدين خاتوم، الفتح إلى التاريخ، ط. دمشق ١٩٦٥م، ص ٤١١ ، محمد مؤنس عوض،  
التنظيمات الدينية الحربية فى مملكة بيت المقدس اللاتينية ، القرنين ٦ ، ٧ / ١٢-١٣م، ط. رام الله  
٢٠٠٤م، ص ٢١ ، إغارات أسراب الجراد وأثرها فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م  
٥٠٩-٥٥٤هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، ص ٥١-٥٠ ، حاشية (٣) ، جلال حسنى سلامه، عكا أثناء الحملة  
الصليبية الثالثة، ط. نابلس ١٩٩٨م، ص ٢٥ ، سعيد البشاي، المسلكات الكنسية فى بيت المقدس  
الصليبية ١٠٩٩-١٢٢٩م / ٤٩٢-٦٩٠هـ ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ، نابلس الأوضاع السياسية  
والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ / ١٠٩٩-١٢٢٩م، ط. عمان  
١٩٩٠م، حاشية (١٠) ، ص ٢٨ ، والاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق العيطية بها ١٠٩٩-  
١١٨٧م، ضمن بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران  
محرر على أحمد السيد، وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٢٨٧ ، (حاشية ١١) محمود  
الروضى، إمارة الرها الصليبية ، ص ٢-٢٥ مقيد الزيد، مرسعة تاريخ الحروب الصليبية ، ط. عمان  
٢٠٠٤م، ص ٢٢٩

٢- الترجمة الانجليزية أشرت إليها من قبل وهناك ترجمتان إلى العربية الأولى إعداد قاسم عبده قاسم  
والثانية أعدها زياد العسلى ، وعنوانها على التالى تاريخ الحملة إلى القدس، ط. عمان ١٩٩٥م، سنة  
١٩٩٠م، (الوجد الصليبي فى الشرق العربى، الاستيطان الصليبي فى فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس  
١٠٩٨-١١٢٧م، ط. الكويت، ١٩٩٣م.

القرن الثاني عشر الميلادي وقد عاصر ذلك المؤرخ عهد كل من الكيسوس كرمين (١٠٨٠-١١١٨م) وحنا كرمين (١١١٨-١١٤٣م) ويلاحظ أن تاريخه يتوقف عند عام ١١٢٧م. وقد شارك في الحملة الصليبية الأولى، وبعد كتابه مصدراً أساسياً عن أحداثها - رايونند اجيل Raymond d'Aguilers<sup>(١)</sup> مؤلف كتاب تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس:

#### Historia Francorum qui Cepurunt Therusalem

شارك المؤرخ المذكور في أحداث الحملة الصليبية الأولى خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٠٩٥ ، ١٠٩٩م، وبعد كتابه من المصادر التاريخية الأساسية عن العلاقات بين الغرب الأوربي وبيزنطة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الحروب الصليبية.

- روبرت كلاري Rober of Clari<sup>(٢)</sup> له كتاب سقوط القسطنطينية The Fall of Constantinople<sup>(٣)</sup>.

١- عن رايونند اجيل أنظر: مقدمة الترجمة العربية التي قام بها حسين عطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م.

٢- وتوجد ترجمة إنجليزية للكتاب من جانب جون هل ولورين هل وصدرت في ليدلاندبا ١٩٦٨م.  
Raymond d'Aguilers, Historia Francorum, Trans. by John Hill and Laurita Hill, Philadelphia 1968.

كما أن له ترجمة عربية قام بها حسين عطية أنظر:

رايوننداجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ت. حسين عطية ط. الاسكندرية ١٩٩٠م.

٣- روبرت كلاري : ولد في كلاري Clari وهي التي تعرف باسم Clery- les- Pernois . وبعد المؤرخ الفرنسي للصليبية الرابعة ١٢٠٣-١٢٠٤م. وقد شارك فيها على اعتباره أنه فصل تابع لبطرس الاميانى Pto- ters of Amiens ، وفيه بعد عاد أدراجه إلى فرنسا. ومن المحتمل أن ذلك حدث عام ١٢٠٥م. وقد توفي بعد عام ١٢١٦م، عنه أنظر  
O.D.B., vol. 2, p. 1799

٤- توجد ترجمة إنجليزية أعدها مكتبيل وصدرت في نيويورك عام ١٩٣٦م، أنظر:

Robert Clari, The Conquest of Constantinople, Trans. by E.H. McNeal, New York 1936.

وهناك ترجمة عربية ق.هـ بها حسن حبشي أنظر:

روبرت كلاري، فتح القسطنطينية ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.

ويعد مصدراً يتسم بالأهمية عن أحداث الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤م على أيدي اللاتين ، ويلاحظ أنه يتفق مع جوفري أوف فلهاردين فسران تحول الحملة إلى القسطنطينية حدث نتيجة تطور بعض الأحداث ولم يحدث من خلال مؤامرة بندقية<sup>(١)</sup>.

جوفري أوف فلهاردين Geoffrey of Villeharduin<sup>(٢)</sup> وله كتاب The Conquest of Constantiople<sup>(٣)</sup> أي غزو القسطنطينية.

الكتاب المذكور ، مصدر أساسي لأحداث الحملة الصليبية الرابعة وسقوط العاصمة البيزنطية خلالها عام ١٢٠٤م بالإضافة إلى ما كتبه روبرت كلاري Robert of Clari ومجموعة مصادر معاصرة أخرى، ويقدم لنا فلهاردين وجهة نظر فرنسية لتلك الأحداث .

أوتو الفريزي<sup>(٤)</sup> Otto of Freising

O.D.B., vol. II, p. 1799 .

-١

٢- جوفري أوف فلهاردين : مؤرخ فرنسي ، ولد بالقرب من تروى Troyes قبل عام ١١٥٢م، وبعد المؤرخ الفرنسي للحملة الصليبية الرابعة، وقد توفي فيما بين عامي ١٢١٢-١٢١٨م عنه أنظر: O.D.B., vol 3, p. 2169.

Bear, Villeharduin: *Épic Historica*, Geneva 1968 .

٣- توجد طبعة فرنسية قام بها فرال أنظر: . Villharduin, la Conquete de Constantinople , ed . E. Faral , 2 vols , Paris 1938-1939

توجد ترجمة إنجليزية Villharduin, *Chronicles of the Crusades*, Trans. by Shaw, Penguin Book, London 1963 .

وهناك ترجمة عربية قام بها حسن حشيش، تحت عنوان مذكرات فلهاردين فتح القسطنطينية . ط. جدة ١٩٨٢م.

٤- أوتو الفريزي : ولد عام ١١١٤م .. وقبلا بعد عمل كاشف فيزيغ، ويلاحظ أنه عم الامبراطور فردريك بارباروسا ونعرف أنه ألف كتابين شهيرين هما: كتاب المدينتين . وأعمال الامبراطور فردريك الأول، وعنده هاري المارتر أول فيلسوف للتاريخ يستحق الذكر في العصور الوسطى، ومن المتصور أن ذلك القول بحوى مبالغة واضحة . وقد توفي ذلك المؤرخ عام ١١٥٨م تقريباً . عنه أنظر: جوزيف ديموس، سبعة مؤرخين في العصور الوسطى، ت. محمد فتحي الشاعر، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص ١٢١-١٥٢

مؤلف كتاب *The Deeds of Frederick Barbarossa* <sup>(١)</sup> أى أعمال فردريك بارباروسا ، وهو امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة خلال المرحلة من ١١٥٢ إلى ١١٩٠م وقد دخل فى علاقات عدائية - بصورة متعددة- مع الإمبراطورية البيزنطية ووصل الأمر إلى حد الصدام المسلح بين قواته والبيزنطيين . بل فكر جدياً فى غزو القسطنطينة دون أن يتمكن من تحقيق ذلك.

وليم الصورى William of Tyre <sup>(٢)</sup>.

مؤلف كتاب : *Historia Rerum Impartibus Transmarinis gestarum*.

عبد اللطيف عبد الهادي السيد ، «دراسة نقدية لمهجع الكتابة التاريخية عند جاك دي فترى» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٦٧ هارى المزاوتز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص١٢٣ - ١٢٤

١- الترجمة الانجليزية - *Otto of Frising , The Deeds of Frederick Barbarossa, Trans. by Charles Microw , Toronto 1966 .*

٢- وليم الصورى : هو المؤرخ الرسمى لمملكة بيت المقدس الصليبية فى القسم الاكبر من القرن ١٢م . ولد فى بيت المقدس عام ١١٢٧م من أبوين فرنسيين ، وشقيق التفرقة بين اثنين من الأشخاص حملوا اسم وليم الصورى . أولهما وليم الصورى : وهو إنجليزى شغل منصب حارس القبر المقدس A Historian والثانى المؤرخ الصليبي البارز وقد كان مؤرخاً على معرفة بسبب الانجليزى. وقد تلقى مؤرخنا تعليمه الأولي فى إحدى المدارس التابعة للأديرة وفيما بعد سافر إلى القرب الأوربي حيث تطلعت هناك على مراكز العلم خلال نهضة القرن الثانى عشر لمدة عشرين عاماً فيما بين عامي ١١٤٦م-١١٦٥م . وعندما عاد أدراجه إلى المملكة الصليبية خلال عهد الملك عمورى الأول ١١٦٣م-١١٧٤م جعله مؤدياً لابنه يلدوين الرابع . وطلب منه تأليف تاريخ للمملكة الصليبية وبالفعل ألف تاريخ الأعمال وتاريخ الأمراء الشرقيين والأخير مفقود . وقد مات مسوياً فى ١٩ سبتمبر عام ١١٨٦م كما قرر البعض ، عنه أنظر

Edlbury and Rowe , William of Tyre Historian of the latin East, Cabridge, 1988, pp. 13-173.  
Krey, " William of Tyre , The making of an historian in the Middle Ages", S. vol XVI, 1941 . pp. 149-166 , Davis, " William of Tyre" in Barker (ed) . Relations between East and West i the Middle Ages, Edinburgh 1973 , pp. 64-75 , Vissey , " William of Tyre and the art of Historiography" M.S., vol XXXV, 1973 , pp. 433-455 , Edbury, " William of Tyre, A Historian, of the Crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130-1148), B.F.A.A.U., 1988, pp. 43-52 . =



وترجمته الانجليزية A History of deeds done beyond The Sea وهو عمدة مؤرخي الصليبيين في القرن الثاني عشر الميلادي. وقد عمل رئيساً لأساقفة صور Tyre وهو مؤرخ بعد مصدر أساسي للعلاقات البيزنطية - الأنطاكية - الإيطالية خاصة خلال المرحلة الممتدة بين عامي ١١٢٧م ، ١١٨٤م . وقد شارك ذلك المؤرخ في سفارات دبلوماسية ومؤتمرات إلى كل من روما والقسطنطينية ولذلك وصف بأنه صاحب إطلاع واسع على تطور العلاقات بين البيزنطيين والغرب الأوربي<sup>١١</sup>.

ويعتبر كتابه<sup>(١٢)</sup> مصدرًا أساسيًا لاغني عنه لتاريخ العلاقات الصليبية - البيزنطية منذ بداية اندلاع الحروب الصليبية حتى ثمانينيات القرن ١٢م خاصة خلال أحداث الحسنيين الأولى، والثانية ، ويلاحظ كراهيته الشديدة لبيزنطة على نحو خاص، ويعدها دومًا خاتمة للصليبيين.

---

Hanimad , Latin and Muslim Historiography of the Crusades, Acomperative Study of William of Tyre and 127 Addin Iba Alathir , ph. D., Pennsylvania University 1987 .

وهناك فصل مترجم منها في الكتاب الأمي مني حسام ، «وليام الصوري والصراع الفرنجي الإسلامي ١٠٩٩-١١٨٤م»، ضمن كتاب أبحاث ودراستات في التاريخ العربي مهداة إلى ذكرى مصطفى الحباري، ١٩٩٦-١٩٩٨م، تحرير صالح الحمارنة، الجامعة الأردنية ط. عمان ٢٠٠١م، ص ٢٥٣-٢٧٥

وهي دراسة قيمة لمؤرخه أوردنية مشيرة وتنسب أن تكمل ترجمة فصول الرسالة الجديدة بالترجمة.

سبايلي ، المؤرخون في العصر الوسطي، ث. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٨٦-١٨٧  
عمر كمال توفيق ، «المؤرخ ولهم الصوري» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م (٢١١) عام ١٩٦٧م  
تقديم حسن حشيش الوافي للترجمة العربية لتاريخ ولهم الصوري ج ١، ص ١٠-٤٠ ، محمد مؤنس عوض ،  
ولهم الصوري مؤرخًا للقلاع الجغرافية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م / ٥٣٢-٥٤٤هـ . سلسلة دراسات شرق أوسطية مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس ، ط. القاهرة  
١٩٩٥م، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ط. عمان ١٩٩٩م، ص ٦٣-١٠٤ ، محمد الرضي ،  
إشارة الرها الصليبية ، ص ٣٩-٤٢

١- عادل زعترن ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٣٥

٢- فيما يتصل بكتاب ولهم الصوري نجد أن النص اللاتيني يوجد في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية، المؤرخون الغربيون ، المجلد الأول، R.H.C.,T.I. Hist. Occ.



وقد قدم إلى الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) ، ووصف أهم معالم العاصمة البيزنطية حينذاك ، وأفادت رحلته في إلقاء الضوء على الحضارة البيزنطية ومظاهرها العمرانية في عهد أسرة آل كومنين.

وهكذا ؛ يتأكد لنا أن الرحلات من المصادر الأساسية في التاريخ البيزنطي حيث زار القسطنطينية عشرات الرحالة الذين دونوا رحلاتهم واحتسروا بجرائب لم تهتم بها حاليات المؤرخين ولذا نقول أن الرحلة - ويحيى - هي عين الجغرافيا المصرية

٦٣- مارينو سانودو Marian Sanudo <sup>(١)</sup> مؤلف كتاب *Secreta Fidelium Crucis* أي: أسرار للصليبيين الحقيقيين <sup>(٢)</sup> وقد قدمه إلى البابا كليمنت الخامس Clement V (١٣٠٥-١٣١٤م)

كما ألف تاريخاً لاتينياً عن الإمارة الفرنجية وبيزنطة، وظل قائماً على أساس ترجمة بنديقة بعنوان *Istoria del regno di Romania* ويلقى أضواءً كاشفة فريدة على دور ميخائيل الثامن -Mi chael VIII في إستعادة القسطنطينية

١- مارينو سانودو باللقب الكبير *The Elder* ، تاجر ودبلوماسي ومؤرخ بنديقي ، ولد عام ١٢٧٠م. ومات بعد ٩ مارس ١٣٤٣م. وقد انحدر من عائلة بنديقية أرستقراطية وتعلم أنه انجلى إلى مناطق متعددة في نطاق البحر المتوسط خلال المرحلة الممتدة من عام ١٢٨٩م إلى ١٣٢٣م ، وكان يدعو إلى القيام بحملة صليبية ضد مصر كذلك دعا إلى وحدة الكنائس ، وقد توفي عام ١٣٤٣م، عنه أنظر : جمال فاروق الركبل، تطور استراتيجية الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي في ضوء كتابات مارينو سانودو، رسالة جامعة طنطا عام ٢٠٠٦م، ص ٥٨-٥٩ وأنظر بعض الرسائل المترجمة ص ١٢٣-١٥٩ حسين السيد مشولى النحال، الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس في أواخر العصور الوسطى ١٢٣٥-١٤٠٧م ، رسالة دكتوراء غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس ع. ١٩٩١م، ص ١١٥ - ١١٧ O.D.B., vol . III, p. 1840 .

محمد مؤنس موسى، الرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٠٣-١٠٩

٢- هناك ترجمة إنجليزية قام بها أوبري ستوارت أنظر

Marino Santo, *Secrets for True Crusaders to help Them to recover The Holy land* Aubrey Stewart, P.P. T.S. vol V 2, london 1896 .

وهناك ترجمة عربية غير مكتملة ، أنظر مارينو سانودو كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها ت. الأب سليم رزق الله ط. بيروت ١٩٩١م.

كذلك ينسب له تأليف تاريخ مختصر باللاتينية عن ضعف ، وإنهيار الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية<sup>(١١)</sup> وجهود بلدوين الثاني Baldwin II (١٢٢٨-١٢٦١م) ولمايتر ساندرو رسائله<sup>(١٢)</sup> ، وتبلغ (٤٢) رسالة كتبها فيما بين أعوام ١٣٢٣م، ١٣٣٦-١٣٣٧م، خاض فيها - على سبيل المثال - أندرونيكوس الثاني باليولوجوس An-dronicos II Palaiologos ، وستيفن سيروبولوس Stephen Syropoulos وجيروم الأسقف الفرنيكاني لكافا Jerom. Franciscan bishop of kaffa

---

١- عن ذلك التاريخ أنظر نشر سي. هوف له في برلين عام ١٨٧٢م.

C.Hopfl. Chroniques greco romanes , Berlin 1873 .

O.D.B., vol 3 , p. 1840 .

عن ذلك أنظر :

٢- عن رسائل مارينو ساندرو أنظر نشرها على يدى سربيني في مجلة بليوفيليا العدد (٤٢) عام ١٩٩٠م.

A. Cerlini, Nuove lettere di Marine Sanudo il Vecchio", La bibliofilia. 42 , 1940, pp. 321-459

وكافة هذه المعلومات يجدها القارئ في:

O.D.B., vol 3, p. 1873 .

وبلاحظ أن الباحث رودى S. Roddy أعد أطروحة للدكتوراه عن مراسلات مارينو ساندرو ونشرت في

جامعة بنسلفانيا عام ١٩٧١م، أنظر :

S.Roddy. The Correspondence of Marino Sanudo Torsello, Ph. D., Sanudo Torsello, Ph. D., University of Pennsylvania 1971

O.D.B vol 3, p. 1873 .

عن ذلك

## ثالثاً : المصادر الأرمنية :

متى الرهاوى Matthieu d'Edesse<sup>(١١)</sup> وله حوليته Chronique<sup>(١٢)</sup>.

عاصر المؤرخ المذكور القرن الثاني عشر الميلادي، ووصف بأنه شاهد عيان لأحداث متعددة صرت بها إمارة الرها أولى الإمارات التي أقامها الغزاة الصليبيون في الشرق وتبدأ حوليته بأحداث عام ٩٥٢م وتنتهت حتى عام ١١٣٦م . وقد رتب الوقائع التاريخية وفق التقويم الأرمني اعتماداً على مصادر شفوية ومكتوبة ووفق ما قرره : فقد استغرق ثمانى أعوام في تأليفها

وعمل جريجورى الراهب Gregory The Priest على تكملة ووصل بالأحداث حتى عام ١١٦٢م<sup>(١٣)</sup>.

١- متى الرهاوى : راهب ومؤرخ ولد في الرها Edessa. ولد عمل رئيساً لأحد أديرتها . ومن المقرر أنه كان موجوداً في مدينة كيرس عام ١١٣٦م، وهو العام الذي قام فيه معمد بن غازي بن الدانشمند بجنازتها، وهناك من يقرر أنه توفي خلال حصار الأتابك عماد الدين زنكي لتلك الإمارة الصليبية عام ١١٤٤م، وقد وصف بأنه من شهد العيان لأحداث سياسية ، وحرية مهمة حلت بتلك الإمارة . وكذلك بالعلاقات بين الأرمن والبيزنطيين عنه أنظر:

فايز نجيب اسكندر . متى الرهاوى والحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥ - ١٠٩٩ م / ٤٨٨ - ٤٩٢هـ)، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. المنصورة ب-ت، ص ١٥-١٦ عليه المجزورى . إمارة الرها الصليبية ، ص ٤٤ . ط. القاهرة ١٩٨٦م ص ١١ . عادل زيتون . العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٣٩ ، حين عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ط. الاسكندرية ، ص ٦٤ محمود الروبضى . إمارة الرها الصليبية ، ص ٤٤، حاشية (٤٤)

٢- للحولية المذكورة ترجمة فرنسية قام بها م. ب. بولككين ، وصدرت في باريس عام ١٨٥٨م، عن ذلك انظر:

Mathieu d'Edesse. Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136). avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque 1162, ed. M.B Bulquien , Paris 1858 .

R.H.C. Hist. Arm. vol 1, pp. 1-150 .

كما نشر في مجموعة :

أيضاً محمد مؤنس عوض . فصول جيوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م،

ص ٣٢

ATiya, The Crusade, Historiography and Bibliography. London 1962 , p. 42

O.D.B., vol II , p. 1316 .

-٣-

وبصفة عامة؛ تعد حولية متى الرهاوى مصدراً أساسياً للتاريخ البيزنطي ، والصليبي،  
والتركي في كيليكيا Cülicia، وآسيا الصغرى Asia Minor<sup>(١١)</sup>.

ولاتفغل ؛ أنه عارض الإمبراطورية البيزنطية مثل غيره من المؤرخين الأرمن<sup>(١٢)</sup> ، ومع ذلك  
نلاحظ امتداحه لعدد من الأباطرة مثل باسل الثاني وغيره .

- سيبوس Sebeos<sup>(١٣)</sup> ، تاريخ هرقل Histoire d'Heraclius<sup>(١٤)</sup>.

والمؤرخ أرميني معاصر للفتوحات الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع،  
وتعد حولية مهمة عن عصر الإمبراطور هرقل، وقد أفاد منه مؤرخ أرميني آخر هو جيفوند  
Ghevond.

ويلاحظ أن سيبوس تعرض في تاريخه لمعركة اليرموك عام ٦٣٦م وانتصار المسلمين  
الحاسم فيها ضد البيزنطيين .

- جيفوند Ghevond<sup>(١٥)</sup> ، كتاب : تاريخ حروب وفتوحات العرب في أرمينيا :

Histoire des Guerres et des Conquetes des Arabes en Armenie.<sup>(١٦)</sup>

يبدأ تاريخه بعام ٦٣٢م، ويستمر في إيراد الأحداث التاريخية حتى عام ٧٩٠م ؛ أي  
على مدى ما زاد على قرن ونصف من الزمان . ويصف ذلك المؤرخ وكتابه بأنه من المصادر  
المهمة في التاريخ الأرميني في العصور الوسطى وتاريخ بيزنطة خلال القرن السابع ، والثامن  
الميلادي.

O.D.B., vol. 2, p. 1310 .

-١

٢- عادل زيشون ، العلاقات الكنسية ، ص٣٩

٣- عنه أنظر . O.D.B., vol . III, p. 1863 .

٤- أنظر الترجمة الفرنسية

Scheos . Histoire d'Heraclius, Trad. Par F. Macler , Paris 1904 .

٥- جيفوند ؛ عالم لاهوتي ، ومؤرخ عاصر القرن الثامن الميلادي ، وعمل مستشاراً للكنيسة الأرمينية  
عنه أنظر:

فايز نجيب إسكندر ، الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١-٤٠٠ هـ / ٦٢٢-٦٦١م) ، ج ١ ، ط.  
الاسكندرية ١٩٨٣م، ص٣-١٣

٦- أنظر الترجمة الفرنسية:

Ghevond , Histoire des Guerres et des Conquete des Arabes en Armenie, Trad. Par. G.V.  
Chahnazarians, Paris, 1856

عن ذلك انظر: فايز اسكندر ، المرجع السابق ، ص٤.

صموئيل من أني<sup>(١)</sup> Samuel of Ani مؤلف حولية<sup>(٢)</sup>:

وقد تناول فيها الأحداث منذ ميلاد السيد المسيح حتى عام ١١٧٩م، وتعرض خلالها للأحداث التي مرت بأرمينيا وجمهورية الأباطرة البيزنطيين حتى القرن الثاني عشر الميلادي ، ويفيد كتابه في دراسة السياسة البيزنطية في الأناضول ويلاحظ أن الكثيرين من الكتاب الأرمن في القرن الثالث عشر أفادوا منه بما عكس أهميته، بل إن هناك ذيولاً ألفت لتكملة وقائع تاريخه

موسى خورنبه<sup>(٣)</sup> Moses Khorenots مؤلف كتاب تاريخ الأرمن<sup>(٤)</sup> History of the Armenians.

١- صموئيل بن أني . كاتب حوليات وراهب . لا تعرف إلا القليل عن حياته . ويقال أن البطريرك الأرمني لكليسيا Cilicia ويدعى جريجوري Gregory، ومن المحتمل أنه جريجوري الثالث (١١٦٦-١١٦٣م) ؛ طلب منه أن يكتب حوليته

O.D.B., vol. 3, p. 1837 - 1838 .

عنه أنظر

فايز نجيب سكندر، استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية أني، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م

٢- تم نشر الحولية المذكورة في الباثولوجيا اليونانية P.G 19: 607-742 . وهناك ترجمة فرنسية . قام بها م.ف بروسية M.F. Brosset ونشرت في مجموعة مؤرخي الأرمن، المجلد الثاني، ط. ستراسبورج ١٨٧٦م، أنظر:

C. H.A., vol. II, Strasburg 1876

وأعيدت طباعته في أمستردام عام ١٩٧٩م.

O.D.B., vol 3, p. 1883

عن ذلك انظر:

R.H.C., Douai- الوثائق الأرمينية الصليبية - مؤرخي الحروب الصليبية - R.H.C., Douai-  
ments Armeniens.

عن ذلك انظر: محمد مؤنس عوض ، فصول بطيرغرافية، ص ٣٣

Atiya, Op. cit. , p. 43

٣- عنه أنظر محمد عبد الشافي المصري، ملكة الحزق اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م، ص ٢٤

٤- أنظر الترجمة الإنجليزية للتاريخ المذكور التي أعدها روبرت و. طوسون ، وصدرت في لندن ١٩٧٨م.

وهو مؤرخ أرمني معاصر للقرن السابع الميلادي، قدم في كتابه إشارات مهمة عن علاقة الإمبراطورية البيزنطية بالقوى السياسية المجاورة لها، ومنها الخزر، ولذلك عد من المصادر المهمة في ذلك القرن الذي شهد تحولات محورية في التاريخ البيزنطي.

### رابعاً : المصادر السريانية :

ميخائيل السرياني<sup>(١)</sup> Michael le Syrien مؤلف حولية Chronique<sup>(٢)</sup>.

= عن ذلك أنظر :

Moses khorenots, History of the Armenians , Trans. and Commentarty on the literary Sources by Robert W. Thomson , London 1978 .

١- ميخائيل السرياني : ولد عام ١١٢٦م ، وفيما بعد ؛ صار راهباً ثم أصبح رئيساً لدير سمعان إلى أن تولى منصب بطريرك أنطاكية على مدى المرحلة الواقعة بين عامي ١١٦٦م إلى ١١٩٩م : أي على مدى ثلاثين عاماً . وقد ألف عدة مؤلفات دينية خاصة بطقوس الكنيسة السريانية . وتوفي في العام الأخير عن عمر بلغ نحو ٧٣ عاماً ، عنه أنظر Auiya, The Crusade, Historiography and Bibliography, p. 43 .

O.D.B., vol . II , pp. 1362-1363 .

Cahen , la Syrie du nord a' L'epoque des Croisades , p. 97

حين عطيه ، إمارة أنطاكية الصليبية . رسالة ماحستير غير منشورة . كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م ، ص ٣٠ ، إمارة أنطاكية والمسلمون ، ص ٦٣ ، محمد مؤنس عوض ، فصول بليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية . ص ٣٣ ، محمود الروضى . إمارة الرها الصليبية ، ص ٤٨ . حاشية (٤) ، على العواصي ، مواقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية في الفترة من ١٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م إلى ١٦٩٠ هـ / ١٢٩٩م رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٩م ، ص ١٩ . فايز نجيب اسكندر . الفتوحات الإسلامية الأرمنية ، ص ١٠٥ . حاشية (١٨٧)

٢- قام ج.ب شابر بترجمة الحولية المذكورة إلى الفرنسية وصدرت في ٤ أجزاء في باريس بين عامي

١٨٩٩م - ١٩٢٤م ، عن ذلك أنظر :

Michael le Syrien, Chronique du Michael Le Syrien Patriarche Jacobite, d' Antioche (1160-1199) , ed. Trad. Par . J.B. Chabot, 4 vols ., Paris 1899-1924 .



وقد عاصر القرن الثاني عشر الميلادي، وبالتحديد خلال المرحلة الممتدة من ١١٢٦م إلى ١١٩٩م وتعد حويلته بمثابة العمل الرئيسي المتكامل في اللغة السريانية، وتستمد أهميتها من أهمية مؤلفها الذي عمل بطريركاً لأنطاكية Antioch حاضرة شمالي بلاد الشام على مدى ثلاثة وثلاثين عاماً.

تجدر الإشارة : تألفت الحولية المذكورة من (٢١) كتاباً ألفت على النمط الحولي، وتناول فيها ميشيل السرياني الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ١١٩٥م، أي حتى قبل وفاته بأربعة أعوام<sup>(١)</sup>.

- ابن العبري<sup>(٢)</sup> الملقب المعروف باسم بارهيرايروس Barhebraeus

مؤلف كتاب<sup>(٣)</sup> The Chronography of Georgyory Abul Farag

وقد تعرض في تاريخه لجوانب متعددة عن علاقات يزنطة السياسية الخارجية ومنها صراعها مع المسلمين والعليبيين حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي.

وله أيضاً تاريخ مختصر الدول وهو من المؤلفات المهمة خاصة في وقائع القرن الثالث عشر الميلادي حيث عاصرها ذلك المؤرخ .

١- وقد قرر الباحث محمود الرضي أن الحولية المذكورة تناولت الأحداث الواقعة منذ بدء الخليقة حتى زمن هشوم ملك أرمينية الصفري (١٢٢٤-١٢٥٢م) غير أن ذلك القول مردود نظراً لوقاة ميشيل السرياني عام ١١٩٩م ، (انظر رأي الباحث ، محمود الرضي، إمارة الرها الصليبية، ص ٤٩، حاشية (١))

٢- ابن العبري : أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملقب ولد عام ١٢٢٦م ويبدو أن أباه كان على الديانة البهريّة ثم تحول إلى اليعقوبية ، وقد درس ابن العبري في مطبعة بالجزيرة اللغات اليونانية والسريانية والعربية ، كذلك درس اللاهوت ، والطب ، والفلسفة . ومع مقدم الفخر المقلري إلى أنطاكية يقال أنه اتجه إلى صلك الرهبة . وقد توفي عام ١٢٨٦م، عنه أنظر :

شاك مصلحي، التاريخ العربي والمؤرخون ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٤٥٥-٤٥٦

٣- أنظر الترجمة الإنجليزية

Bar Hebraeus, The Chronography of Gregory Abul Farag . The Son of the Aron. Trans. to English from the Syriac by E.A.W. Budge, Oxford 1932

- مجهول، الحولية السريانية المجهولة The Anonymous Syriac Chronicle<sup>(١١)</sup>.

وتتناول أحداث خاصة بالقرن الثاني عشر الميلادي وتلقى الضوء على علاقات بيزنطة بالقرى الإسلامية والصليبية وتفيد فيما يتصل بأحداث الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية.

### خامساً : المصادر الروسية

ومن أمثلتها ما ألفه نسطور Nestore تحت عنوان حولية نسطور<sup>(١٢)</sup> Chronicle of Nes-tor وتعرف على أنها حولية وقائع الأهم الحالية، وفيها قام نسطور بالتأثر بالكتابة التاريخية البيزنطية، وهي تفيد في إلقاء الضوء على العلاقات بين الروس والإمبراطورية البيزنطية حيث أورد أمر المعاهدات التي أبرمت بين الجانبين خلال القرنين العاشر، والحادي عشر الميلاديين على نحو مفصل، مثلما نجده في معاهدات أعوام ٩٠٧م، ٩١١م، ٩٤٥م، ٩٧١م مما عكس أهميتها التاريخية.

### حولية نوفجورد<sup>(١٣)</sup> The Chronicle of Novgorod

وهي حولية نهشم بتاريخ إحدى المدن الروسية في صورة نوفجورد خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٠١٦، ١٤٧١م أي على مدى خمسة قرون وهي تفيد في أمر العلاقات الروسية البيزنطية

#### ١- أنظر الترجمة الإنجليزية:

The First and Second Crusades From an Anonymous Syriac Chronicle, ed. and Trans. by A.S. Triton and H. Gibb, J.R.A.S., vol. pp. 273-306.

وهناك ترجمة عربية قام بها سهيل زكار انظر: مجهول، الحلسان الصليبتان الأولى والثانية، ت. سهيل زكار في كتاب الحروب الصليبية، ج ١، ط. دمشق ١٩٨٤م.

٧- ولد نسطور حوالي عام ١٠٥٠م ووصف بأنه كان راهباً في دير الكهوف Caves Monastery عند كييف Kiev منذ الربع الأخير من القرن الحادي عشر وحتى بداية القرن الثاني عشر الميلاديين، وقد ألف عدة مؤلفات عن القديسين بولس وجليب Glab وهي ابني فلاديمير الذين تم قتلها عام ١٠٨٠م عنه أنظر

طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي ٩٤٥-١٠٥٤م، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٥٤ من المقدمة

٢- عن الحولية المذكورة انظر: طارق منصور، المرجع السابق، ص ٥٤ من المقدمة.

## سادساً : المصادر العربية

لا يخلو مصدر جغرافى أو تاريخى عربى منذ القرن الثامن حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادى من إشارات هنا وهناك عن العلاقات الإسلامية - البيزنطية، ولذا سأعرض لنماذج مختاره - منها

من أمثلة تلك المصادر الجغرافية : تذكر المسعودى<sup>(١)</sup> (ت ٩٥٧م) وكتابه مروج الذهب ، وابن خرداذبة<sup>(٢)</sup> (ت ٨٨٥م) وكتابه المسالك والممالك ، وابن رسته<sup>(٣)</sup> (ت ٩١٢م) وكتابه الأعلان النفيسة ، وابن فضلان<sup>(٤)</sup> (ت ق ١٠م) وابن بطوطة<sup>(٥)</sup> (ت ١٣٧٧م) فى رحلتيهما وشيخ الريمه الدمشقى<sup>(٦)</sup> (ت ١٣٢٩م) وكتابه نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر والادريسى (ت ١١٦٦م) وكتابه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق وأبو الفداء<sup>(٨)</sup> (ت ١٣٣٢م) وكتابه

١- عنه أنظر: دمترى ميكولسكى ، المسعودى هيروودت العرب، ت- عادل إساعيل مراجعة نوفل ينوف ط. دمشق ٢٠٠٦م ، ص ٦٥- ٢٠٨

٢- عنه أنظر السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب ، ط. الاسكندرية ١٩٧٦م، ص ١٨٨ الفاخورى، تاريخ الأدب العربى ، ط. بيروت ب-ت ص ٧٧٣

٣- عنه أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، مادة وابن رسته.

٤- عنه أنظر نقولا زيادة الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص ١٤١ - ص ١٤٩

٥- عنه أنظر دائرة المعارف الإسلامية مادة وابن بطوطة.

٦- عنه أنظر: كرانسكوفسكى، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ت. صلاح الدين هاشم ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ج ١، ص ٣٨٦

٧- عنه أنظر: محمد مؤنس عرش، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٧- ٧٢ ، أحمد سوسة ، الشريف الإدريسى فى الجغرافية العربية ، ط. تونس ١٩٧٤م ابراهيم خورى، الشريف الإدريسى نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط. أبو ظبى ٢٠٠٠م، ص ١٧- ٤٧

٨- عنه أنظر، عبد الرحمن حبيفة ، أبو الفداء ، ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء ، صاحب حناء فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م، ط. دمشق - ١٩٧٤م ص ٧- ٢٣ ، سبيل زكار، أبو الفداء، ضمن الكتاب السابق، ص ٢٤- ٤١ ، حسن الساعاني ، «متيج أبى الفداء، فى البحث»، الكتاب السابق، ص ٥٦- ٧٤ ، مصطفى الحاج ابراهيم، «الآفاق الجغرافية عند أبى الفداء، وكتابه تقويم البلدان» الكتاب السابق، ص ١٣- ١٥ ، كامل عباد ، المؤرخ أبو الفداء، ونزعة العظمية ، الكتاب السابق، ص ٧٥- ٩٥ عمر غرغوخ أبو الفداء، وتعليل التاريخ ، ص ٩٦- ١٢٩

تقرير البلدان، وياقوت الحموى<sup>(١١)</sup> (ت ١٢٢٨م) وكتابه معجم البلدان، والقزوینی<sup>(١٢)</sup> (ت ١٢٨٣م) وكتابه آثار البلاد وأخبار العباد وغيرهم من أوردت أسماهم ومزلفاتهم في خاتمة المصادر والمراجع .

أما المصادر التاريخية، فنذكر من أمثلتها، الطبری<sup>(١٣)</sup> (ت ٩٢٢م) وكتاب تاريخ الرسل والملوك والبلاذري<sup>(١٤)</sup> (ت ٨٩٢م) وكتابه فتوح البلدان، وابن الأثير<sup>(١٥)</sup> (ت ١٢٣٢م) وكتابه

١- عنه أنظر: عباس فاضل السعدی، یاقوت الحموی دراسة فی التراث الجغرافی العربی مع التركيز علی العراق فی معجم البلدان، ط. بیروت ١٩٩٢م، ص ٩-١٧

عبد علی الحفایف ومحمد أحمد عفله . دراسات فی التراث الجغرافی العربی الاسلامی، ط. عامن ١٩٩٩م، ص ٧٤-٩٠ .

٢- عنه أنظر: ابن القوطی، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فی المائة السابعة ، تحقیق مصطفى جواد، ط. بغداد ١٣٥١هـ، ص ١٣ . ابن الساعی، تلخیص معجم الآداب فی معجم الألقاب، تحقیق مصطفى جواد، ج ١٤ / ٢، ط. بغداد ١٩٦٧م، ص ٧١٥-٧٢٦

محمد مفید آل باسین . الحياة الفكرية فی العراق فی القرن السابع الهجری، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص ٣١٦-٣١٧ . محمد مؤنس عوض . الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص ١١٣-١٣٤

٣- عنه أنظر أحمد الحوقی، الطبری، ط. القاهرة ١٩٦٣م، علی بكر حسن . الطبری ومنهجه فی التاريخ ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٨-٤٠، مرغولیت . دراسات عن المؤرخین العرب، ت. حسین نصار ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٩٩-١٠٧ . محمد الزحبی، الامام الطبری، ط. دمشق ١٩٩٠، ص ١٥-٨١

٤- عنه أنظر: محمد حاسم حسادی مشهدانی، موارد البلادی عن الأسرة الأمویة فی أنساب الأشراف ط. مكة المكرمة ١٩٨١م، ج ١، ص ٤٤-٦٧

أبو الفداء، المختصر فی أخبار البشر، ط. صیدا ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٣٨٩ . عبد القادر طلمات، ابن الأثیر المؤرخ، ط. القاهرة ١٩٦٩م، فیصل السامر . ابن الأثیر، ط. بغداد ١٩٨٦م.

٥- عنه أنظر:

أبرشامة . الذیل علی الروضین . ط. القاهرة ١٣٦٦هـ، ص ١٣٥ . صلاح الدین المتجد . المؤرخون الدمشقیون وأثارهم المخطوطة، مجلة معهد المخطوطات العربیة، م (٢) . ج (١) عدد مايو ١٩٥٦م، ص ٨٠ . معجم المؤرخین الدمشقیین، ط. بیروت ١٩٧٤، ص ٣٤ . هامفترن جب، تاریخ دمشق من کتاب صلاح الدین الأيوبي، دراسات فی التاريخ الإسلامی، ت. یوسف أبیش، ط. بیروت ١٩٧٣م، ص ٤٠ . رزقنقال، =

الكامل في التاريخ، وابن الغلاتسي<sup>(١)</sup> (ت ١١٦٠م) وكتابه ذيل تاريخ دمشق، وابن العديم الحلبي (ت ١٢٦١م) وكتابه زبدة الحلب .

ويلاحظ ، أن تلك المصادر تتناول أمر العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين بصورة أو بأخرى، مع إدراك أنه لا توجد هناك مصادر بلغة ما هي المسيحية في البحث التاريخي عن الإمبراطورية البيزنطية. إذ أن كافة المصادر سواء كانت البيزنطية أو اللاتينية أو السريانية أو الأرمنية أو العربية جميعها تعين على الاقتراب قدر الإسكان من ذلك التاريخ الذي تعددت مصادره من خلال الاتساع المكاني والزمني لتلك الإمبراطورية

أما فيما يتصل بالمؤلفات الحديثة عن التاريخ البيزنطي؛ فيتطلب الآن التعرض على نحو موجز للرحلة التي قطعتها الدراسات البيزنطية إلى أن وصلت إلى مطلع القرن الحادي والعشرين، وسنركز الحديث - اعتماداً على أستروجورسكي- فيما يتصل بأوروبا ، ثم من خلال المشابهات الجيولوجرافية عن العالم العربي وخاصة مصر والأخيرة قانسة على ملاحظاتي الشخصية.

ويقرر المؤرخ المذكور : أن هيرودوتس ولف Hieronymus Wolf (١٥١٦-١٥٨٠م) عمل على أن ينشر حوله حنا زوناراس John Zonaras، وكذلك تاريخ نيكيتاس خونياتس Nicephorus Gregoras ، ونيقفورس جريجوراس Nicephorus Gregoras ، وبالتالي بوصف بأن دوره العلمي يعد رائداً مقارنةً بين أي من بعده من الباحثين.

= علم التاريخ عند المسلمين ، ت . صالح العلي . بيروت ١٩٨٣م . ص ٢٠٣ ، جمال فوزي محمد عمار . التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ٥٢١-٦٦٠ هـ . ط . القاهرة ٢٠٠١م . ص ٧٠٣ - ص ٢٢٥

١- عنه أنظر: ابن العديم ، الفراري في ذكر الفراري . لمحقق علاء عبد الوهاب . ط . القاهرة ١٩٨٤م . ص ١١-١٠ ، عباس عزاري ، التعريف بالمؤرخين . ط . بغداد ١٩٨٧م . ص ٧٧-٧٨ ، شاكور مصطفى . التاريخ العربي والمؤرخون . ط . بيروت ١٩٧٩ . ج ٢ . ص ٣٦٣

٢- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 3 .

ومجدد الإشارة هنا؛ أنني اعتمدت اعتماداً أساسياً في الجزء الخاص بالمؤلفات الحديثة عن التاريخ البيزنطي على العرض الجيولوجرافي المتنازع الذي قدمه أوسترو جورسكي

ibid. pp. 1-20

أنظر؛

ولانتغل : أن القرن السابع عشر . وفي منتصفه على نحو خاص ، بدأت الدراسات البيزنطية تنتعش بصورة حقيقية كما قرر المؤرخ السالف الذكر ، وخاصة من خلال الإزدهار الفكري في بلاط الملك الفرنسي لويس الثالث عشر Louis XIII (١٦١٠ - ١٦٤٣ م) . ومن بعده وبصورة أكبر لويس الرابع عشر Louis XIV (١٦٤٣ - ١٧١٥ م) <sup>(١١)</sup>.

جدير بالذكر : من خلال رعاية الملك المذكور ، ومن خلال دار نشر شهيرة هي كولبرت Colbert التابعة للموثر Louvre بدأ نشر سلسلة كبيرة من أعمال المؤرخين البيزنطيين ، وكان أولها صدر متمثل في تاريخ بوخنا كناكوزين John Contacuzene وذلك عام ١٦٤٥ م. وفي عام ١٦٤٨ م ، صدر كتاب عن الامبراطور قسطنطين بورفيروجينيس Constantine Porphyrogenitus هو : Constantine Porphyrogenitus Excerpta Legationibus <sup>(١٢)</sup>.

من ناحية أخرى ، ظهر خلال القرن السابع عشر م عدد من كبار المؤرخين في صورة جوسيت فيليب لابييه Jesuits Philippe Labbe (١٦٠٧ - ١٦٦٧ م) ، وبير جوسين Pierre Pous (١٦٠٩ - ١٦٨٦ م) ، جاك جوا Jacques Goua (١٦٠١ - ١٦٥٣ م) ، وفرانسوا كرمبيف Francois Combefis (١٦٠٥ - ١٦٩٧ م) و شارل أنيبال فايرو Charles Anni-bal Fabron (١٦٥٩ - ١٦٨٠ م).

= حيث خصص الصفحات المذكورة لتناول الدراسات البيزنطية حتى صدور الترجمة الإنجليزية للكتاب عام ١٩٥٦ م. مع عدم المغال أنه خلال النصف قرن الأخير حدث تطور معرفي غير مسبوق كماً ونوعاً في حقل الدراسات البيزنطية في الغرب الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية.

ولمعرفة المزيد عن ذلك المؤرخ البيروغورسكي الرائع واصفاته أشير إلى صدور كتاب تذكاري Memorial Book أو Melanges لتكريمه من جانب فرانسوا باربيك وسدر في بلغراد عام ١٩٩٧ م من جانب معهد الدراسات البيزنطية في بلغراد ، عنه أنظر :

Barisic (ed.) : Melanges Georges Ostrogorsky, Beograd 1963 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 4 .

أيضاً : وسام عبد العزيز فرح ، « الدولة البيزنطية بين أوهام النظرية وحقيقة الهزيمة » ، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري ، ط . القاهرة ٢٠٠٤ م ، ص ١٧

Ibid., p. 4 .

ويعتبر أوستروجورسكى أن المؤرخ دى كانج Du Cange (١٦١٠ - ١٦٨٨ م) يعد المؤسس الحقيقي للدراسات التاريخية البيزنطية<sup>(١١)</sup>، وقد قام بنشر عدة مصادر مثل تاريخ يوحنا كيناموس John Kinnamos، وحولية يوحنا زوناراس John Zonaras، وحولية باسكال Paschal وقد قدم تعليقات مفصلة على تلك المصادر وهنا تكمن أهمية مجهوداته العلمية خلال تلك المرحلة المبكرة فى تاريخ الدراسات البيزنطية.

جدير بالإشارة : قام المؤرخ المذكور بجهود وافر فى مختلف الدراسات كما فى التاريخ، الفيلولوجيا Philology (علم فقه اللغة) ، والظريوغرافيا Topography، والتسميات المتصلة ببيزنطة وحتى منتصف القرن العشرين عندما أصدر أوستروجورسكى كتابه عن تاريخ الدولة البيزنطية أشار إلى أن الباحثين لايزالون يستفيدون من مؤلفاته القيمة وقد أعد دى كانج عدة مؤلفات مثل:

- Histoire de L'empire de Constantinople Sous les empereurs Francais .
- Historia Byzantina duplici commentario illustrato.
- Constantinopolis Christiana .
- De Familiis byzantinis.

والعمل الأكبر فى الأهمية لكانج يتمثل فى قواميسه المتعددة عن اليونانية واللاتينية الوسطية، ومنها .

Glosarium ad Scriptores mediae et infimae graecitatis.

وعلى الرغم من وجود قواميس متعددة ، إلا أن ذلك القاموس - على نحو خاص - بما احتواه من إشارات مصدريه متعددة ، وتعليقاته التاريخية بظل - كما اعتقد أوستروجورسكى - من أدوات الباحثين فى حقل الدراسات البيزنطية<sup>(١٢)</sup>.

وهناك رائد آخر من أولئك المؤرخين الرواد فى صورة جين مابيلون Jean Mabillon (١٦٣٢-١٧٠٧ م) الذى وضع أساس الدراسات العلمية البيزنطية من خلال الاعتماد على

Ostrogsky History of The Byzantine State, p. 4 .

-١

ومن مؤلفاته أنظر : . 4-5 p.

Ibid. p. 5 .

-٢

الروائع الأصلية، وبعد جين مايبلون معاصراً للكانج<sup>(١١)</sup> واكمل دوره ، كما نذكر بيرنارد دي مونتفاكون Bernard de Montfaucon (١٦٠٥-١٧١١م)

وهو مؤلف دراسة: *Paleographia Graeca*

اليوغرافيا اليونانية ، وبها افتتح دراسة اليوغرافيا اليونانية *Greek Palaeography* phy<sup>(١٢)</sup>.

كذلك هناك دور مهم قام به ميشيل ليكوين الدومينيكانى The Dominican Michel Lequien (١٦٦١-١٧٣٣م) من خلال عمله بعنوان : *Oriens Christianus* <sup>(١٣)</sup>.

كما نشير إلى دور قام به انسلمو بن ورو الراجزى البندكتى The Benedictine Anselmo Banduri of Ragusa (١٦٧٠-١٧٤٣م) الذى ألف الامبراطورية الشرقية - *Impero Orientale* ، ووفق ما قرره اوستروجورسكى احتوى على مادة طوبوغرافية ، وأثرية مهمة<sup>(١٤)</sup>.

ويقرر اوستروجورسكى : أن الدراسات البيزنطية قد واجهت إنتكاسة Setback فى القرن الثامن عشر م وذلك من جراء جهود مفكرى عصر الاستنارة الذين أعلنوا من شأن النزعة العقلية، ومنهم من نظر بازدراء للتاريخ البيزنطى ونذكر فى هذا الصدد المؤرخ الشهير إدوار جيبون Edward Gibbon<sup>(١٥)</sup> (١٧٣٧-١٧٩٤م) وكتابه الشهير: *History of The decline and Fall of the Roman Empire*.

Ostrogorsky , *History of The byzantine State*, p. 5

-١

Ibid . p. 5 .

-٢

Ibid. p. 5.

-٣

Ibid. p. 5 .

٥- أدوارد جيبون، ولد فى ٢٧ أبريل ١٧٣٧م . وتلقى تعليمه المبكر فى وستمنستر Westminster ، وفى عام ١٧٥٢م انتقل لمواصلة تعليمه فى كلية ماجدالن Magdalen College فى أكسفورد ، وبعد إقامة قصيرة هناك، اتجه إلى لوزان Lausanne فى سويسرا ، حيث مكث ٥ سنوات اهتم فيها بدراسة اللغة الفرنسية والأدب الكلاسيكى والأعمال التاريخية والفلسفة البارزة . ويقرر غازيليف أن تلك السنوات تركت أثراً كبيراً على عقلية الشاب إدوار جيبون وغدت سويسرا بالنسبة له بمثابة الوطن الثانى . وعندما عاد أدراجه إلى إنجلترا نشر أول كتبه بالفرنسية بعنوان مقالة فى دراسة الأدب *Essai sur l'étude de la Littérature*



وبلاحظ أن أفضل طبعة للكتاب المذكور هي التي قام بها ج.ب. بيوري J.B. Bury التي صدرت خلال المرحلة من ١٨٩٧-١٩٠٠م، نظراً للتعليقات القيمة التي قام بها ذلك العالم على نص جيرون؛ على نحو أدى إلى إثرائه.

من الملاحظ أن الدراسات البيزنطية لم يقض عليها من خلال جهد مفكرى عصر الاستنارة؛ وفي هذا المجال نذكر جهد ل.ج.أ. J.A. Fabrius الذي أصدر كتابه: *Bibliotheca Graeca*؛ أي المكتبة اليونانية. وفيه يقدم مادة مهمة عن تاريخ الأدب البيزنطي في (١٤) جزء، وطبع الكتاب المذكور في مدينة هامبورج خلال المدة الواقعة بين عامي ١٧٩٠م، ١٨٠٩م.

مهما يكن من أمر؛ في نفس العام الذي اكتمل فيه إصدار كتاب فابريوس أي عام ١٧٢٨م، قام نيبور Niebuhr بوضع أساس «الجامع للكتابات التاريخية البيزنطية».

#### *Corpus Scriptorum historiae byzantinae*

المعروفة اختصاراً بـ (C.S.H.B.) وهي مجموعة على جانب كبير من الأهمية من حيث اشتغالها على (٥٠) مصدراً من المصادر التاريخية البيزنطية، ونجد فيها النص اليوناني مصححاً بالترجمة اللاتينية.

من جهة أخرى؛ ظهر دور للمؤرخين الألمان في صورة كارل كرامباشر Karl Krumbacher (١٨٥٠-١٩٠٩م) الذي أصدر عند أخريات القرن التاسع عشر م كتابه عن تاريخ الأدب البيزنطي: *Geschichte der byzantinischen literatur*.

والعمل الذي يذكره له الباحثون في حقل الدراسات البيزنطية؛ تأسيس المجلة البيزنطية *Byzantinische Zeitschrift* والتي سرعان ما صارت مركزاً للدراسات البيزنطية في الغرب الأوروبي، وأهمية دورها أنها زودت الباحثين بقاعدة بيبليوغرافية أساسية لدراساتهم.

= وقد استقبل الكتاب المذكور بحفاوة في فرنسا، وهولندا، ولكن بدرجة أقل في إنجلترا. ومن بعد ذلك اتجه جيرون إلى وجية سياسية حيث انتقل عامين ونصف في الانضمام إلى ميليشيا هامشير Hampshire Militia التي تم تنظيمها خلال حرب السنوات السبع بين إنجلترا وفرنسا، وفي عام ١٧٦٤م تأنت له فكرة كتابه الذائع الصيت تاريخ اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية، على أية حال؛ توفي ذلك المؤرخ البارز في أخريات القرن الثامن عشر ونجد بدا عام ١٧٩٤م عنه أنظر

Vasiliev, *History of the Byzantine Empire*, p. 8.

وأيضاً وسام عبد العزيز فرج. - الدولة البيزنطية بين أوهام النظرية وحقيقة الهوية، ضمن كتاب بيزنطة فرامة في التاريخ السياسي والإداري، ط القاهرة ٤٠٢٠م، ص ٢٧. حاشية (٢٦).

ويذكر لنفس المؤرخ الرائد: أن السنار الذي كان يعقد في مدينة ميونخ Munich صار بمثابة مركز دولي للدراسات البيزنطية حيث قصده المؤرخون من أنحاء متعددة من أوروبا كما قرر أستروجورسكى .

وعند نهاية القرن ١٩م حدثت نهضة كبيرة من خلال جهد عدد من العلماء الألمان في صورة كل من كارل نيومان Karl Neumann وهنريش جلزير Heinrich Gelzer وقد ألف المؤرخ الأول كتابه: Die weltstellung des byzantinischen Reiches von den Kreuzzugen, ١٨٩٤ .

وإذا اتفقنا صوب الدراسات البيزنطية في روسيا: نجد أن بداياتها كانت على يدى إرنست كونيك Ernest Kunick (١٨١٤-١٨٩٩م). ويعد من كبار المؤرخين الرواد . وكان عضواً في الأكاديمية الامبراطورية للعلوم في بطرسبرج :

#### The imperial Russian Academy of Sciences in St. Petersburg

وقد قام بدور بارز فيما يتصل بالتأليف عن التاريخ الروسى، وما يتصل بمصادر التاريخ البيزنطى.

وتذكر كذلك إدوارد دى مورالت Eduard Muralet (١٨٠٨-١٨٩٥م) الذى اهتم بالدراسات الكرونولوجية (المزمنة) Chronological Studies، وله دراسته :

#### Essai de Chronographie byzantine

ووقعت في جزأين، ط. سان بطرسبرج ١٨٥٥-١٨٧١ م. ويقرر أوستروجورسكى : أنها ذات فائدة على الرغم من أنها لم تعد دراسات حديثة وقت صدور كتاب تاريخ الدولة البيزنطية عام ١٩٤٠م.

على أية حال : فإن المؤرخ الذى يعد المؤسس الحقيقى للدراسات البيزنطية في روسيا هو ف.ج. فاسيلجيفسكى V.G. Vasiljevskij (١٨٣٨-١٨٩٩م) . وقد اهتم بدراسة العلاقات الروسية - البيزنطية ، وما يذكر عنه تأسيسه دورية هي:

#### Vizantijskij Vremennik وذلك عام ١٨٩٤م.

وقد قدمت تلك الدورية ومعها byzantinische Zertschrift التى ظهرت قبلها بعامين أى عام ١٨٩٢م قدمت خدمات جليلة لباحث البيزنطيات.

ثم ظهر دور قام به ف. أ. اوسبنسكيكج G.I. Uspenskij (١٨٤٥-١٩٢٨م) وقد اهتم بالدراسات الأثرية البيزنطية من خلال معهد عمل على إدارته وصفت عامة؛ بوصف بأنه قام بدور بارز في تطوير الدراسات البيزنطية في روسيا

على أية حال : حققت الدراسات البيزنطية نقلة نوعية من خلال جهد العلامة فازيليف Vasiliev<sup>(١١)</sup> الذي عشق التاريخ البيزنطي حتى النخاع . وألف عدة مؤلفات أهمها:

- كتابه : بيزنطة والعرب , ed. Bar H. Gregoire et M. Canard, 3 vols , Brussel 1959 .

وقد وقع في ٣ أجزاء . ونشره د. جريجوار ومايوس كنار في بروكسيل عام ١٩٥٩م. ويلاحظ هنا أن محمد عبد الهادي ترجم جزءاً واحداً من ذلك العمل الموسوعي .

- ثم كتابه تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وقد أنفقه باللغة الروسية.

وقد تمت ترجمة للكتاب المذكور إلى الإنجليزية وصدر في جزأين في ماديسون بالولايات المتحدة الأمريكية عامي ١٩٢٨-١٩٢٩م

Vasiliev, History of the Byzantine Empire , 2 vols, Madison 1928-1929

كذلك ظهرت له طبعة أخرى عام ١٩٥٢م.

١- بقلم لنا ميلتون ف. أناتوس إشارات مهمة عن شخصية العالم الروسي الكبير الكسندر الكسندروفيتش فازيليف Alexandre Alexandrovich Vasiliev وقد وصف بأنه «توجد» مع تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وعمل في جامعة وسكنسون Wisconsin في الولايات المتحدة الأمريكية . وتعرف أنه لم يتزوج وظل عاكفاً على كتابة مؤلفات في التاريخ البيزنطي وتدرسه لتلاميذه . وقد أفادته كراهيته للعراذ حيث وصف بأنه "misogypist" في الإنصراف كلية إلى عشق التاريخ البيزنطي والتأليف في مجاله . ويقرر نفس المؤلف: أنه إنخرط في "بكا" عندما كان يعاشر تلاميذه عن سقوط القسطنطينية ويفهم من السياق العام للمقالة أن ذلك السقوط هو المحاس بهام ١٤٥٣م ومن المعلومات المهمة ذات المغارقة التاريخية . ما ذكره نفس الباحث من أن فازيليف توفي عن عمر يبلغ السادسة والثمانين (٨٦ عاماً) في يوم ٢٩ مايو ١٩٥٢م. وهو يوافق الذكرى الخمسمائة لسقوط القسطنطينية في ٢٩ مايو ١٤٥٣م؛ وهكذا فقد وحل في نفس اليوم الذي انتهى فيه التاريخ البيزنطي ذاته الذي عشقه ! عن ذلك أنظر:

Anastos , " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies, a Personal Account " , in Laiou and Maguire (eds). Byzantium A World Civilization, D.O. Washington 1992, p. 10 .

يلاحظ أن أهمية الكتاب المذكور لا ترجع فقط إلى إحاطة المؤلف بكافة دقائق التاريخ البيزنطي، والعلاقات بين البيزنطيين والمسلمين، بل استخدامه عدة لغات قديمة وحديثة في بحثه التاريخي، ثم إنه زود كتابه بقائمة ببليوغرافية ثرية يندر وجردها في كتاب آخر في عصره، ولا يزال هذا الكتاب - على نحو خاص - عمدة الدراسات البيزنطية، وعلى مدى نصف قرن من صدور الترجمة الإنجليزية له؛ لم يتمكن باحث آخر من أن يقدم لنا دراسة مسحية للتاريخ البيزنطي سياسياً بمثل تلك الكفاءة دون إغفال أهمية كتاب أوستروجورسكي عن تاريخ الدولة البيزنطية.

يبقى أن نذكر: أن كتاب فازيليف عن تاريخ الامبراطورية البيزنطية له ترجمة فرنسية صدرت في باريس عام ١٩٣٢م بعنوانها

Histoire de L'empire byzantine, 2 vols, Paris 1932.

كذلك صدرت ترجمة تركية له عام ١٩٤٣م ومن بعد ذلك؛ ظهرت ترجمة ألبانية عنوانها:

Historia del impero Bisantino 2 vols, Barcelona 1948.

ولانزعاج في أن صدور عدة ترجمات للكتاب المذكور يدل على الحرص على الإفادة منه من جانب أكبر قطاع من الباحثين من خلال ترجمة لعدد من اللغات الأوربية وكان الأجدد بالعرب أن يترجموه منذ عقود مضت.

ولانغفل من بين المؤرخين الروس ما ألفه المؤرخ كلاكوفسكي Kulakovskij الذي ألف كتاباً عن تاريخ الإمبراطورية البيزنطية من عام ٣٩٥ إلى ٧١٧م، ووقع في ٣ أجزاء، وصدر في كييف Kiev خلال الرحلة من ١٩١٣ إلى ١٩١٥م.

مهما يكن من أمر، يقرر أوستروجورسكي: أن الدراسات البيزنطية في روسيا تقدمت من خلال إصدار دورية تضاف إلى الدورية الصالفة الذكر في صورة: Vizantijskoe Obozienie أو ما عرف بالمجلة البيزنطية.

أما إذا ما اتجهنا صوب إنجلترا؛ فلابد من ذكر المؤرخ الكبير بيوري (١٨٩١-١٩٢٧م)

ووصفه استرو وجورسكى بأنه كان من الرواد وأنه امتلك ندرة بارزة على النقد والتحليل<sup>(١)</sup>، وقد أصدر كتابه : History of the Later Roman Empire وتناول فيه المرحلة من ٣٩٥ إلى ٨٠٠ م ، ووقع في جزأين .

كما ألف كتابه : History of the Eastern Roman Empire وأصدره عام ١٩١٢م .  
كما يذكر لبوري: تأليفه دراسة عن النظام الإداري للإمبراطورية البيزنطية في القرن التاسع الذي صدر عام ١٩١١م .

The Imperial Administration in the ninth century , London 1911 .

وملاحظ : أن بيوري ترك مؤرخين من خلفه مثل نورمان بينز Norman Panes: الذي اهتم بالمرحلة المبكرة من التاريخ البيزنطي، وكذلك في المرحلة المتأخرة من العصور الوسطى وخاصة مجال العلاقات البيزنطية - اللاتينية في نطاق بحر إيجه Aegean Sea<sup>(٢)</sup> .

وما يذكر عنه تأليف دراسته الشهيرة عن الإمبراطورية البيزنطية الصادرة في لندن عام ١٩٢٦م .

History of the byzantine Empire , London 1926 .

والواقع أننا بعد ثلاثة أرباع قرن من الصعب أن نجد دراسة مناظرة لها على الرغم من الطفرة المعرفية في العقدين الأخيرين على نحو خاص مما عكس ريادة المستمرة.

كما نذكر أمر تاريخ كمبردج الوسيط Cambridge Medieval History الذي تم التخطيط له من جانب بيوري، وقد تم تخصيص عدة أجزاء لتناول التاريخ البيزنطي مثل الجزء الأول الصادر عام ١٩١١م، والثاني الصادر عام ١٩١٣م . وصدر الجزء الرابع عام ١٩٢٣م . ونعترف أن الجزء الرابع احتوى تناولاً للمرحلة الواقعة من عهد ليو الثالث الأيسوري (٧١٧-٧٤١م) حتى عهد الامبراطور البيزنطي الأخير قسطنطين الحادي عشر (١٤٤٨-١٤٥٣م)<sup>(٣)</sup> .

Ostrogorsky , History of The Byzantine State, p. 11

-١

Ibid , p. 11 .

Ibid , p. 18 .

-٢

كذلك لاتنقل دور بارز للمؤرخ الإنجليزي السير ستيفن رنسيان - Sir Steven Runci-man الذي ألف عدة مؤلفات رائدة في التاريخ البيزنطي أهمها

- History of the First Bulgarian Empire, London 1930

- The Byzantine Civilization, New York 1956 .

- The Eastern Schism, Oxford 1956 .

كذلك ظهر فيما بعد عدد من الباحثين الغربيين من أمثلتهم براند Brand، وهسي Hussey و بروكس Brooks، و براون Brown، و بروننج Browning، وكاهن Cahen، وشابمان Chap-man، و خرائيس Vharanis، وكولمان Coleman، وكونستانتيوس Constantinides، وديل Dichl، وإيشانز Evans وجيرو Gero، وجارلاند Garland، وجراث Grant، وكرستيدنز Christides، وماجلدلينر Magdalino، ودوثيريك Dovmik، وجيناكوبوليس Geana-koples، وجيل Gill، وهيرن Herrin، وجونز Jones، وإبولونسكي Obolensky، وميندورف Meundorff وبرايس Brice، وبيرن Byrne، وكار Canard، ودايجرون Dag-ron، ومانجو Mango، وإيكونوميد Oikonomide وجوجي Jugie، وليل Lille، وكزدان Kazhdan وهوتون Hutton، ورايس Rice، وماكريدس Macrides وغيرهم.<sup>(١١)</sup>

أما فيما يتعلق بالقواميس : فنذكر من أمثلتها الكسندر كزدان (رئيس تحرير) قاموس أكسفورد للبيزنطيات ، في ٢ مجلدات ط. أكسفورد ١٩٩١م.

Alexander , p. Kazhdan (ed.), The Oxford Dictionary of Byzantium, Oxford 1991<sup>(١٢)</sup>

وقد شارك في إصداره فريق عمل ممتاز عبارة عن عشرات الباحثين البارزين في حقل الدراسات البيزنطية ومن أبرزهم أليس - ماري تالبوت Alice - Mary Talbot وأنثوني كاتلر Antony Cutler وهو محرر تاريخ الفن .

---

عن بعض مؤلفاتهم أنظر : قائمة 'المراجع الأجنبية نهاية الكتاب.

٧ - سلاحف القارئ دون عنا. اعتمادي إلى حد كبير على القاموس المفصل المذكور في إعداد المدخل الجيولوجرافي نظراً لأهميته الخاصة.

ونيسمى إى جريجورى Timothy E. Gregory وهو محرر علم الآثار ، والجغرافيا التاريخية

ونانى ب سيفسكو Nany P. Sevcenko أما رئيس التحرير فهو الكندر كازدان Alex-ander Kazhdan وهو من كبار مؤرخى الدراسات البيزنطية حالياً على مستوى العالم.

ويعد القاموس المذكور من أشمل ما صدر فى التاريخ البيزنطى وأحتوى على مئات المواد المتصلة به فى الجوانب السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والقانونية والدينية ، والآثار ، وما أنصل بالنقوش والعملات وغيرها ، ومثل هذا الكتاب الجامع الشامل لا يستغنى عنه الباحث فى التاريخ البيزنطى ، وتاريخ الحروب الصليبية أيضاً .  
ومن الممكن العودة إلى المؤلفات الحديثة عن بيلوغرافيا التاريخ البيزنطى لمعرفة المؤرخين واسهاماتهم<sup>(١)</sup>.

كذلك ؛ لانغل ما ألفه دونالد أتووتر Donald Attwater تحت عنوان: قاموس بنجوين للقدسين ، الصادر فى لندن عام ١٩٧٧م.

Attwater, The Penguin Dictionary of Saints , London 1977.

وهو كتاب يقع فى (٣٦٣) صفحة وذو أهمية كبيرة حيث احتوى على تراجم أكثر من (٧٥٠) قدس من قديسى الكنيسة الشرقية والغربية والمؤلف متخصص فى سبر القديسين .Hagiography

جدير بالإشارة ؛ لايمكن للباحث فى مجال الدراسات البيزنطية أو الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى الاستغناء عن الكتاب المذكور.

وهناك أيضاً ما ألفه ج.ت.د. كيلي عن قاموس البابوات الصادر فى أكسفورد عام ١٩٩٦م . Kelly , Dictionary of Popes , Oxford 1996 .

١- من المقدم للغاية الرجوع إلى كتاب فهرس مؤلفى الدراسات البيزنطية الذى أعده جيلسيفدا س. الان والصادر من جانب مركز دامتون أوكس فى واشنطن عام ١٩٨٦م.

Jelisaveta S. Allen Author Index of Byzantine Studies, Washington 1986 .

ويجد فيه القارئ مادة بيلوغرافية منفصلة وأقضى أن يقوم أحد الباحثين العرب بإعداد دراسة بيلوغرافية فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية وبالتالى بسد ثغرة طالما وفقت حائلاً دون تطوير تلك الدراسات.

ويقع في (٢٤٩) صفحة، واحشوى على تراجم بابوات كنيسة روما من القديس بطرس St. Peter مؤسس تلك الكنيسة حتى البابا يوحنا بول الثاني John Paul (١٩٧٨-٢٠٠٥ م) وهو مثل سابقه صغير الحجم كبير القيمة.

وهناك قاموس اللاهوت الكاثوليكي في ١٥ جزء، بدأ صدورها في باريس عام ١٩٢٣ م.

- Dictionnaire de Theologie Catholique, 15 Tomos Paris, 1923, sqq.

كذلك لا تغفل ما ألفه دونالد نيكول تحت عنوان:

قاموس التراجم للإمبراطورية البيزنطية الصادر في لندن عام ١٩٩٠ م.

- Nicol, Biographical dictionary of the Byzantine Empire, London 1991

وبحسوى الكتاب المذكور ، على عشرات التراجم لأعلام التاريخ البيزنطي سواء من الأباطرة ، أو البطارقة أو المؤرخين ، وغيرهم . ومثل هذا القاموس من الصعب تجنب استخدامه خاصة أن مؤلفه من أعلام التاريخ البيزنطي المعاصرين.

وقد قام العلامة الراحل أ.د. حسن حبشي بترجمته إلى العربية تحت عنوان: معجم التراجم البيزنطية . وصدر بالقاهرة عام ٢٠٠٣ م ويلاحظ أنه لم يزد بتعليقات على عكس ما حدث لدى ترجماته السابقة الخاصة لدى المصادر البيزنطية والصلبية . ومع ذلك قدم لنا عملاً متكاملأ في فن الترجمة الرصينة من الإنجليزية إلى العربية كعهد الباحثين بذلك المؤرخ والمترجم والمحقق الرائد.

أما فيما يتصل بالعالم العربي ، واهتمامه بالدراسات البيزنطية ؛ فيلاحظ أن مصر - دونها مبالغة أو حساس وطني- كانت الرائدة في ذلك الحقل من الدراسات التاريخية قبل غيرها من شقيقاتها العربيات ، وقد بدأ الاهتمام بها ؛ خلال الترجمة من الإنجليزية إلى العربية ثم من بعد ذلك . وكان من الطبيعي أن تظهر إلى الوجود مرحلة الترجمة نظراً لعدم توافر دراسات متعددة بالعربية تغطي تاريخ الامبراطورية البيزنطية بصورة بانورامية عامة ، ومن أمثلة ذلك قيام د. مصطفى طه بدر بترجمة كتاب شارلز أومان بعنوان الإمبراطورية البيزنطية . وقد صدر بالقاهرة عام ١٩٥٣ م

---

عنه أنظر محمد مؤنس عوض، عصر الحروب الصليبية . بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٦٠٢٠ م .



ثم من بعده قام أ.د. حسين مؤنس بالإشتراك مع محمود زايد بشرجمة كتاب نورمان بينز بعنوان الإمبراطورية البيزنطية وصدر ذلك العمل في القاهرة عام ١٩٥٧م، كذلك إجه أ.د. محمد عبد الهادي شعيرة إلى ترجمة جزء من كتاب فازيليف بعنوان العرب والروم وصدر في القاهرة دون تاريخ للطباعة<sup>(١١)</sup>. كما حدث تطور مبكر مهم عندما ترجم أول كتاب من مؤلفات السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman في حقل الدراسات البيزنطية في صورة الحضارة البيزنطية من جانب عبد العزيز توفيق جاويد في القاهرة عام ١٩٦١م، وهو مترجم كيف كان مبصراً بنور البصيرة<sup>(١٢)</sup>، ساهم في ترجمة عدة دراسات في التاريخ البيزنطي والغرب الأوروبي في العصور الوسطى.

مهما يكن من أمر؛ إلى جانب الترجمة هناك مذكرخون مصريون ألفوا مؤلفات رائدة ونذكر في هذا الصدد : المؤرخ أ.د. محمد عبد الهادي شعيرة الذي ألف دراسة عن الصراع بين العرب والبيزنطيين، فتح وتنظيم الحدود في القرنين السابع والثامن الميلاديين، وقد صدر ذلك العمل بالفرنسية في الاسكندرية عام ١٩٤٧م<sup>(١٣)</sup>.

Cheira , la Lutte entre Arabes et Byzantins : la Conquête et l'Organization des Frontieres aux VII et VIII Siecle, Alexandria 1947

وبالتالي يمكن القول - دونما مبالغة أو إعساف في الأحكام - أن ذلك المؤرخ هو الرائد العربي الأول في التأليف الأكاديمي عن تاريخ بيزنطة وإن كان عمله الأول صدر بالفرنسية وليس بالعربية ، وفي وقت مبكر أي عام ١٩٤٧م، وأصدره في الاسكندرية دون القاهرة

١- عن المقرر أن الجزء الذي ترجمه محمد عبد الهادي شعيرة هو الجزء الأول، عن ذلك أنظر:

الأمين أبو سعدة ، بيزنطة في الملاحم العربية لقراءة في سيرة الأميرة ذات الهمه ، ص ٢٤٣

٢- ولد ذلك المترجم البارز بالراحل بالقاهرة ، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة إلى أن تخرج في مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٩م. واشتغل بالتدريس إلى أن وصل إلى منصب وكيل مدرسة مصر الجديدة الثانوية فسدبراً للمركز الرئيسى للتدريب بوزارة التربية والتعليم . وقد ترجم عدة آخر من المؤلفات عن الإنجليزية وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الترجمة عام ١٩٨١م. كما تال وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى. عنه أنظر ما كتب عنه ترجمة كتاب رنسيمان ، الحضارة البيزنطية

٣- عن محمد عبد الهادي شعيرة ، محمد مؤنس عرمت، رواد تاريخ العصور الوسطى في مصر ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م.

وبالتالي تكون عروس البحر المتوسط قد شهدت ميلاد تلك الدراسات. ولا تغفل كذلك إبراهيم العدوي؛ وقد ألف مقالاً رائداً بعنوان : «أقريطش بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادي» ونشر في المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد (٢) أكتوبر ١٩٥٠م. وفي العام التالي مباشرة : أي عام ١٩٥١م، أصدر كتاباً عن الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٥١م .

وبلاحظ أن خمسينيات القرن العشرين شهدت أيضاً صدور مؤلفات رائدة بالعربية في التاريخ البيزنطي ، ونذكر في هذا الصدد إصدار إبراهيم طرخان كتابه الحركة المبركة للأيقونية في الدولة البيزنطية ، وصدر في القاهرة عام ١٩٥٦م وقيمة الكتاب المذكور أنه تناول موضوعاً جزئياً ارتبط بالأسرة الأسبورية في الأصل، وخصص له ذلك الكتاب الرائد.

كذلك أصدر السيد الباز العرنى كتاباً عن أجناد الروم بالقاهرة عام ١٩٥٦م، مما يدل على أن العام المذكور شهد بداية التأليف التاريخي المتخصص في موضوعات محددة من التاريخ البيزنطي.

وقد واصل ذلك المؤرخ الرائد إصداراته فقام بخطوة مهمة حيث أصدر ترجمة لكتاب والي المدينة ، ونشر عمله في مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة مجلد (١٩) ج (١) صابر ١٩٥٧م، ويعد ذلك بمثابة أول ترجمة لمصدر بيزنطي إلى العربية خلال ذلك الوقت المبكر.

من جهة أخرى: قام المؤرخ اللبناني أسد رستم بإصدار كتابه الرائد الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب في جزأين ، عامي ١٩٥٥م، ١٩٥٦م وقيمة ذلك الكتاب تتأتى من خلال إدراكنا أن صاحبه طالع المصادر التاريخية البيزنطية خلال تلك المرحلة المبكرة، وقدم لنا كتاباً مفصلاً يتناول التاريخ البيزنطي منذ البداية حتى النهاية من خلال الجانبين السياسي والحضاري، ومن الملفت للانتباه : أن هذا العام (١٩٥٦م) يمر نصف قرن على صدور الجزء الثاني من ذلك الكتاب الرائد الذي أعده مؤرخ لبناني بارز.

يضاف إلى ذلك : شهدت مرحلة الستينيات صدور مؤلفات مهمة في مصر ، وكذلك لبنان، وسوريا وبالنسبة للأولى، نذكر ما ألفه عمر كمال توفيق تحت عنوان: مقدمات الصداق الصليبي الإمبراطور بوجنا تزعمك وسياسته الشرقية الذي صدر في الاسكندرية عام ١٩٦٦م، ثم في العام التالي مباشرة أصدر كتابه الإمبراطورية البيزنطية في نفس المدينة . وقد حدث ذلك بعد أن عاد من بعثته العلمية في بنسلفانيا Pennsylvania بالولايات المتحدة الأمريكية حيث اشتهرت الجامعة المذكورة بدراسات العصور الوسطى.

ثم أصدر فتحى عثمان دراسته الموسومة الرائدة بعنوان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحرسى والاتصال الحضارى، وذلك فى ٣ أجزاء وصدر بالقاهرة عام ١٩٦٦م، وتعد دراسة متميزة من خلال اهتمام مؤلفها بالزاويتين الحربية والحضارة وتتناول بغزارة التفاصيل ويعد كتابه أول عمل أكاديمى عربى يقع فى ٣ أجزاء كاملة، ولم يسمع من قبل عن مؤرخ عربى يؤلف كتاباً فى عدة أجزاء عن التاريخ البيزنطى قبل ذلك المؤرخ الرائد، وإن تكرر فيما بعد فى صورة أ.د. رأفت عبد الحميد وكتابه الدولة والكنيسة .

وفيما بعد: وفى مطلع السبعينيات، أصدر المؤرخ الرائد أ.د. إسحق عبيد دراسته بعنوان روما وبيزنطة الصادر فى القاهرة عام ١٩٧٠م وهى فى الأصل أطروحة الدكتوراه التى أعدها من جامعة نوتنجهام باجلترا باشراف برنارد هاملتون Bernard Hamilton، وتتناول هذه الدراسة بأنها تقدم لنا عرضاً موثقاً يعشده على المصادر البيزنطية واللاتينية فى المقام الأول على تطور العلاقات بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى على مدى عدة قرون.

من بعد ذلك ، نجد مؤرخاً بارزاً فى التاريخ الكنسى هو الراحل أ.د. رأفت عبد الحميد وأهم إسهاماته كتابه الدولة والكنيسة فى ٤ أجزاء.

كذلك نشير إلى مؤلفات عدد من المؤرخين<sup>(١)</sup> كل من العرب البارزين مثل أ.د. عليه الجنتورى ، أ.د. ليلى عبد الجواد، أ.د. عقاف صبره ، أ.د. محمود سعيد عمران ، أ.د. وسام عبد العزيز فرج<sup>(٢)</sup> ، أ.د. جوزيف نسيم يوسف ، أ.د. محمد مرسى الشيخ ، أ.د. محمود عبد الغنى عبد العاطى ، أ.د. حسين ربيع ، أ.د. عادل زيتون، أ.د. نعيم فرح ، د. عبد السلام زيدان وغيرهم.

#### ٦ - عن مؤلفاتهم أنظر قائمة المراجع العربية والعربية.

من الملاحظ أن ذلك المؤرخ على نحر خاص تسميز مؤلفاته ، وذلك بعد عودته من بعثته إلى مركز الدراسات البيزنطية فى جامعة بترجمتها فى إنجلترا، وقد تناول دراسات ذات طابعين سياسى وحضارى ، وذلك بالاعتماد على المصادر التاريخية البيزنطية وكذلك المؤلفات الحديثة خاصة الدوريات ، ويعد القارئ عدداً من مؤلفاته فى قائمة المصادر والمراجع وقد جعل من كلية الآداب - جامعة المنصورة مركزاً بحثياً مهماً لجال الدراسات البيزنطية وأشرف على عدة أطروحات علمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه.

تلك ملامح الكتابات العلمية المصدرة أو المرجعية الأجنبية والعربية والمعرية : أما المصادر الأخرى للتاريخ البيزنطي مثل الآثار ، والنقوش ، والنقود فتقدم عرضاً موجزاً لأهم الدراسات عنها

وفيسا يتصل بالآثار البيزنطية . يمكن الإشارة إلى أمثلة بعض المؤلفات المهمة وهي كالآتي

- Ross, Catalogue of the Byzantine and Early Medieval Antiquities in the Dambarton Oaks Collection , vol . 1-2 , Washington 1962-1965 .
- vol . 3, by Weitzmaun, 1972 .
- Hamilton , Byzantine architecture and Decoration, London , 1958
- Foss (C.) , Winfield (D.) Byzantine Fortifications : An Introduction, Pretoria 1986 .
- Grabar (A.), L'Iconoclisme byzantine : le dossier. archaeologique , Paris 1984 .
- The Great Palace of Byzantine Emperors , being a first Report on The excavations carried out in Istanbul on behalf of the Walker Trust, University of St. Andrews 1935- 1938 , London 1947
- Jackson, Byzantine and Romanesque Architectue , Cambridge 1930

وفيسا يتعلق بالموازيكو البيزنطي أنظر :

Furlan (I) , le Icone byzantine a mosaico , Mylan 1979 .

Demus (O.), The Mosaics of Norman Sicily , London 1949 , Byzantine Mosaic Decoration, London 1976, The Moosaics of San Marco in Venice , 2 vols., Chicago 1984

والباحث المذكور متخصص في أعمال الموازيكو البيزنطي<sup>١١١</sup>.

---

١ - رفي معرض تناولنا الأمر غناذج من المؤلفات الخاصة لآثار البيزنطية أود الإشارة إلى أن هناك مجلة =

أما النقوش البيزنطية : فتشير في أمورها إلى المؤلفات التالية :

- Corpus Inscriptionum Graecarum , 4 vols ., Berlin 1828-1877
- Recueil des Inscriptions Grecques Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

(ويلاحظ أنه تم إيرادهما من قبل لدى مجموعات المصادر)

كما أن هناك دراسات مهمة في هذا المجال من أمثلتها:

Millet (G.), Inscriptions Chretiennes de L'Athos, Paris 1904 .

- Le Fevre (G.), Inscriptions Chretiennes d'Egypte, le Carie 1907

- Gregoire (H.) , Inscriptions Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

أما العملة البيزنطية، فهناك دراسات قليلة ومهمة عنها بالفرنسية ، والإنجليزية نذكر من أمثلتها:

- Sabatier (J.), Description Generale des monnies byzantines, 2 vols , Paris 1863 .

- Wroth (W.), Catalogue of Byzantine (Coins in the British Museum, 2 vols ., London 1908 .

- Fagerlie (J.M.), Late Roman and Byzantine Solidi Found in Sweden and Denmark , New York 1967

- Witting (P.), Monnaies Byzantine Paris 1975

= سنوية تصدر من جانب المعهد البريطاني للآثار في أنقرة، British Institute of Archaeology at An-Kara's Journal .

كذلك هناك مجلة دراسات أناتولية Anatolian Studies ولا تغفل التقرير الأثرى

Archaeological Report

وهو تقرير سنوي يصدر كملحق لـ مجلة الدراسات الهلنسية: Journal of Hellenic Studies.

Whittow , The Making of Byzantium 600-1025, p. 426 .

عن ذلك انظر:

- Grierson (p. Byzantine Coins, London 1982 .
- Hendy (M.F.), Coinage and Money in The Byzantine Empire 1081-1261 , Dumbarton Oaks , Washington 1964 .
- Studies in the Byzantine Monetary Economy 300-1450 , Cambridge 1984
- Catalogue of the Byzantine Coins in the Dumbarton Oaks Collection and in The Whistmore Collection , ed. by Alfred R. Bellinger and Philip Grierson: vol . I. الجزء الأول .

من أناستاسيوس إلى موريس ٤٥١-٦٠٢م

Anastasius I to Maurice, 451-602, 1966 .

الجزء الثاني vol . II

من فوكاس إلى ثيودسيوس الثالث ٦٠٢-٧١٧م.

Phocas to Theodosius III, 602-717, 1968 .

الجزء الثالث Vol . III

من ليو الثالث إلى نقفور الثالث ٧١٧-١٠٨١م.

Leo III to Nicephorus III 717-1081, 1973 .

وهكذا : فإن ذلك الكاتالوج يحتوى على نماذج من العملات البيزنطية من منتصف القرن الخامس م حتى أوائل ثمانينيات القرن الحادى عشر م.  
وبصفة عامة : يعد Hendy أهم من اهتم بدراسة العملة البيزنطية.

- Lopez (R.) , "The Dollar of The Middle Ages", J.E.H., vol . II, 1951 , pp. 209-234

ذلك مدخل بلبسوغرافى أولى عن التاريخ البيزنطى من خلال النماذج المختارة . أما الصفحات التالية فيتم تخصيصها لبحث مشكلات دراسة تاريخ الامبراطورية البيزنطية.  
أما المشكلات المنهجية التى تواجه الباحث فى دراسة التاريخ البيزنطى فهى تحتل أهمية كبيرة؛ فالباحث الذى لا يدركها : يكرر ما قاله المؤرخون الآخرون دون دراية بالقضايا المنهجية

التي هي أساسية في التعامل مع المصادر التاريخية، وكذلك الدراسات الحديثة، ويلاحظ هنا: أن دراسة وقائع التاريخ من زاوية المشكلات المنهجية من شأنه استنطاق موضوعي للنصرص المصدرة والمرجعية. وفي نفس الحين يعين ذلك على التوصل إلى زوايا متجددة في تاريخ تلك الإمبراطورية، وفي تصوري أنه لا جدوى من دراسة ذلك الفرع من الدراسات التاريخية الخاصة بآسيا الصغرى، وشرقي أوروبا في القرون الوسطى دون دراسة إشكالياته المنهجية: فهي المدخل الحقيقي والأساس العلمي الذي لا يمكن تجاهله

والواقع أن مشكلات دراسة التاريخ البيزنطي متعددة ويمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: الامتداد الزمني للتاريخ البيزنطي؛ إذ عُسرت الإمبراطورية البيزنطية على مدى المرحلة الواقعة من القرن الرابع م إلى القرن الخامس عشر (تجديداً من ٣٣٠ إلى ١٤٥٣ = ١١٢٣ عاماً)؛ وهي بالتالي تعد أطول كيان سياسي «معمر» على مدى العصور الوسطى. وبالتالي فاقت بمراحل من قبل الإمبراطورية الرومانية التي عمرت خمسة قرون إلى أن سقطت على أيدي الجرمان عام ٤٧٦م، وكذلك الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي عمرت من القرن العاشر م إلى القرن السادس عشر؛ كما فاقت دولة الإسلام في الأندلس التي عمرت ثمانية قرون، والدولة العباسية التي امتدت نحو ستة قرون. ومعنى ذلك؛ أن الإمبراطورية البيزنطية تعد الكيان المعمر الأول في عالم العصور الوسطى وقد أدى ذلك الامتداد الزمني الغير مسبوق إلى تعدد الظواهر التاريخية بها، وتعدد العلاقات الدولية بين تلك الإمبراطورية وغيرها من القوى المجاورة مثل القوط والروس والبلغار، والماجيار، والنورمان، والمسلمين، والصليبيين، وغيرهم، على نحو لا يجده لدى أي كيان سياسي آخر في مرحلة العصور الوسطى. ويلاحظ أن تاريخ بيزنطة لا ينفصل عن تاريخ علاقاتها مع جيرانها حرباً أم سلماً على مدى أحد عشر قرناً من الزمان، وبالتالي: فإن مؤرخها المحدث عليه معرفة أوضاع تلك القوى المجاورة بالضرورة

من زاوية أخرى؛ أدى ذلك الامتداد الزمني العابر للقرون إلى تصور بعض المؤرخين أن بيزنطة تمثل ظاهرة تاريخية فريدة وأنها تعبر عن المقدرة الفاتكة على الاستمرار والبقاء، في التاريخ، ومن ثم درس عدد من المؤرخين عوامل استمرارها<sup>(١)</sup> واعتبروا الأمر «مخصوصية

١- من أمثلة تلك الدراسات: عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م.

ص ٢٥-٢٨، جوزيف نعيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص ٢٧-٣٢

تاريخية بيزنطية : مع ملاحظة ان الاستمرار في التاريخ ينبغي ألا يقاس بالمقياس الزمني فقط ، بل من خلال الفعالية التاريخية ذاتها .

ولانفغل : الإشارة إلى أن ذلك الوضع جعل المؤرخين الذين أرادوا التخصص في دراسة التاريخ البيزنطي في مشكلة حقيقية ، إذ كيف يمكن الإحاطة بأحداث أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان بصورة علمية ودقيقة ؟ وفي تقديري : أن التخصص في ذلك المجال من مجالات الدراسات التاريخية المتصلة بشرقي أوروبا وآسيا الصغرى في القرون الوسطى يتخصص في زاوية محددة ثم يحيط - قدر إمكانه - بأهم ملامح التاريخ البيزنطي ، وهو وضع أمثلته طبيعة دراسة تلك الإمبراطورية .

ولانفغل كذلك : اتجه الباحثين إلى تقسيم التاريخ البيزنطي إلى عصور في صورة العصر المبكر ، والأوسط ، والتأخر ، وهو أمر ما كان يحدث في حالة اقتصره على عدد محدود من القرون .

ثانيا : النطاق الجغرافي للإمبراطورية البيزنطية واتعكافاته فيلاحظ أن تلك الإمبراطورية شملت مناطق واسعة وامتدت في مرحلة من مراحل تاريخها مثلما حدث خلال مرحلة من القرن السادس الميلادي من نهر الفرات شرقاً إلى المحيط الاطلنطي غرباً ، والأمر المؤكد أن ذلك الوضع ألقى على حكام القسطنطينية تبعات متعددة في إدارة ذلك الامتداد المتسع بما احتواه من شعوب ، وأمم ، وأقوام متباينة ذات أبعاد انفصالية عن المركز .

ومع ذلك : فإن النطاق المذكور لم يكن ثابتاً ، بل لحقته تغيرات متعددة على مدى التاريخ البيزنطي المديد ، ففي القرن السابع الميلادي وكنتيبة للتوسعات ثم إخضاع بلاد الشام ومصر والشمال الأفريقي وخرجت بالتالي من نطاق السيادة البيزنطية ، وفيما بعد في النصف الأول من القرن الخامس عشر م ، وفي عهد الامبراطور البيزنطي 'الآخر قسطنطين' الحادي عشر لم يكن له من نفوذ سوى على القسطنطينية فقط ، وذلك قبيل سقوطها في أيدي الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م .

كذلك لانفغل : أن ذلك النطاق الجغرافي امتاز بتعدد مظاهر السطح فيه بين مناطق جبلية وسهلية وتعددت مرارده الاقتصادية ونشاط السكان فيه ، وفرض ذلك بالتالي على الباحث في تاريخه إدراك كافة تلك المظاهر الجغرافية المتباينة من أجل فهم الأحداث التاريخية ذاتها .



وهكذا ؛ يتأكد للمرء أن تلك الامبراطورية مثلت كياناً سياسياً معقداً من حيث زوايتي الزمان والمكان، مع عدم إغفال أن «الزمان» البيزنطي كان أكثر استقراراً من «المكان» بحكم استمرارية الأول وتغير الثاني.

تجدر الإشارة ؛ أن ذلك الاتساع المكاني ، ومن قبل الزماني - السالفي الذكر - انعكس بالضرورة على حجم التراث التاريخي المصدري المكتوب عن الامبراطورية البيزنطية وهي التي دخلت في علاقات سياسية وحضارية متشعبة مع مختلف القوى المجاورة لها ، وحتى البعيدة جغرافياً عنها بحكم رابطة المصالح المتبادلة على كافة الأصعدة والمستويات. وهكذا ؛ وجدنا مصادر تاريخية - إلى جانب البيزنطية بطبيعتها الحال - روسية ، وألمانية ، وفرنسية ، وسريانية وأرمينية ، وعربية على نحو يجعل المؤرخ الذي يتصدى بالكتابة عن تلك الامبراطورية يغاجاً بوجود كم مصدري يصعب إحصاؤه؛ وهو أمر ما كان من الممكن أن يحدث في حالة محدودة النطاقين الزماني ، وكذلك المكاني.

من الملاحظ ؛ أن الزاوية المذكورة تتأكد لنا عندما نجد مصادر تاريخية متعددة لمحادثة واحدة، ونلاحظ تعدد مشارب المؤرخين وانتماءاتهم الدينية والسياسية على نحو يجعل التوصل إلى الحقيقة التاريخية أو محاولة الاقتراب منها أمراً شاقاً ، وهناك من يرى أن ذلك يعد مكسباً لذلك التاريخ نظراً لكون اختلاف المصادر التاريخية من شأنه إثراء الكتابة التاريخية ذاتها، نجد أن ذلك يمثل جانباً واحداً من وجهي القضية ، وعلى هذا الاعتبار ؛ نجد أن ذلك التنوع يدعم الإشكالية العامة لدراسة التاريخ البيزنطي، بل من الممكن القول أن من الصعوبة بمكان أن يحاول الباحث المتخصص في ذلك النوع من الدراسات التاريخية التوصل بآسيا الصغرى وشرقي أوروبا الاحاطة الشاملة بالمصادر التاريخية ، نظراً لتعدددها البالغ كما وكيفاً ناهيك عن تعدد اللغات التي كتب بها تلك المصادر

وهكذا ؛ يتضح لنا بجلاء ؛ أن الاتساع الزماني وكذلك المكاني كان له أثره الواضح على الكتابة التاريخية المصدرة ذاتها، على نحو دعم إشكالية كتابة التاريخ البيزنطي ذات الأوجه المتعددة.

ومن المهم هنا الاقرار - أن جانبي الزمان والمكان لا يمكن دراستهما بصورة منفصلة بعدد الأخرى نظراً لتلازمهما معاً.

ثالثاً : الطابع الرسمي للمصادر التاريخية ، من المفارقات الحادة في التأريخ البيزنطي : أن المصادر التاريخية لتلك الإمبراطورية مصادر ذات طابع رسمي واضح المعالم في جانب كبير منها ، فلدنيا تاريخ الأباطرة، وليس لدنيا تاريخ الشعوب التي صنعت تاريخها ؛ وشأكد للباحث : أن الإشارات التي تتناول عامة الناس تعد ثانوية ومحدودة مقارنة بالمحولات الكاملة التي تناولت إمبراطوراً ما ، أو عدة أباطرة

ومن المقرر : أن التاريخ تصنعه الشعوب وبسببه المؤرخون الرسيون للحكام، ويصدق ذلك تماماً على تلك الإمبراطورية، وهي بالتالي مشككة منهجية أن يقوم المؤرخ المحدث بكتابة تاريخ نخبة سياسية وعسكرية حاكمة ويغفل تاريخ كيانات اجتماعية ضخمة نظراً لعدم المصادر التاريخية في الغالب الأعم.

حقيقة أن لدينا سير للقديسين Hagiography<sup>(١١)</sup>، وملاحم أدبية، وشواهد القبور Epi- grama ، وغيرها وهي تقدم لنا مادة تاريخية عن عامة سكان الإمبراطورية، ومع ذلك؛ فإن الأمر في نطاق محدود.

رابعاً : إستثمار العاصمة القسطنطينية بحجم التأليف التاريخي؛ من الملاحظ أن تلك العاصمة امتأثرت بإهتمام الأباطرة البيزنطيين . وكذلك المؤرخين المعاصرين أنفسهم، ولم يكن ذلك متناسب مع المناطق الأخرى من تلك الإمبراطورية ، ولذلك يمكن القول- دون اعتصاف في الأحكام؛ أن تاريخ بيزنطة ما هو إلا تاريخ القلب البيزنطي في الأساس؛ أي القسطنطينية بصورة طاغية لافتكاك منها

إن الوضع السابق : يجعل المؤرخ الذي يؤرخ لأية مدينة أو إقليم أخرى في أرجاء الإمبراطورية الشاسعة يجد صعوبة بالغة في أن تتوافر لديه مادة تاريخية مصدرية متوازنة، وكان باقى أجزاء بيزنطة كان شغيباً مقارنة بالقلب الذي كان بمثابة «البؤرة التاريخية» المكثفة التي استأثرت بنصيب الأسد على حساب الأطراف.

وقد بره البعض بأن العاصمة دائماً تكون محور الأحداث وبالتالي الكتابة التاريخية وأن ذلك ينطبق على عواصم أخرى في القرون الوسطى مثل دمشق، وبغداد وقرطبة والقاهرة : إلا

أن العاصمة البيزنطية لمجد فيها ذلك الأمر بصورة غير مسبقة خاصة أن لدينا مؤلفات تاريخية خاصة بالحراضر الإسلامية خلال تلك القرون نظراً لبروز غط تأليفي لدى المسلمين في صورة تواريخ المدن<sup>(١)</sup>.

والواقع : أن نظرة مثالية لمحتويات المؤلفات المصدرة للتاريخ البيزنطي سوف يتضح لنا أن مؤلفيها في الحقيقة يدرسون العاصمة دون إمكانية الفكاه من سيطرتها السياسية على المعاصرين ، وسطوتها العلمية من حيث المعالجة على الباحثين الأوروبيين<sup>(٢)</sup>

وإذا أجهنا إلى مقارنة بين تلك الإمبراطورية وملكة بيت المقدس الصليبية اللاتينية The Latin Kingdom of Jerusalem فعلى الرغم من أن الأولى حكمت ما زاد على خمسة ما يزيد على أضعاف حكم الثانية (القرنان ١٢ ، ١٣ م) : سيجد أن الأخيرة يمكن كتابة مؤلفات

١- من أمثلتها كتاب ، تاريخ مدينة دمشق الذي ألفه ابن عساكر (ت ١١٧٦ م) . وقد وقع في (٨٠٠) جز ، جمعوا في ٨٠ مجلد فهو أكبر تاريخ ألف من مدينة إسلامية . عنه أنظر

مجموعة من الباحثين . ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ١٢٩٩-١٣٩٩ هـ . وزارة التعليم العالي . ط . دمشق ١٩٧٩ م ، ص ٣٣- ٧٧٥

وبعد الكتاب المذكور من أفضل ما نتج عن المؤثرات العربية في حفل الدراسات التاريخية ، في القرن الماضي . وهناك أيضا ما ألفه ابن العديم الحلبي (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) تحت عنوان زبدة الحلب . وغبية الطلب في تاريخ حلب . عن ذلك انظر :

نتيجة البراي . علم التاريخ دراسة في منابع البحث ، ط . القاهرة ١٩٩٩ م ، ص ١٠٧-١٠٨

٢- من أمثلة الدراسات المتخصصة في القسطنطينية أنظر

Barth, Constantinople, Paris, 1906 , Hutton, Constantinople: The Story of The Old Capital of the Empire, London 1907

Schlumberger, La Pris et le sac le Sac de Constantinople par les Turks, Paris, 1914 .

Janin , Constantinople byzantine developement Urbain et repertoire Topographie , Paris, 1950

Maclagan, The City of Constantinople, New York 1968

Asimov, Constantinople The Forgotten Empire, Boston 1970 .

متخصصة عن كل مدينة من مدنها سواء الإمارات الصليبية أو المدن الساحلية والداخلية ، وساعد على ذلك : أن رقعة مملكة الصليبيين في بلاد الشام كانت محدودة ، وبالتالي فالحدث الحربي 'صندت تأثيراته السياسية على المناطق المجاورة فأنعكس ذلك كله على ما ورد في المصادر المعاصرة ، وما أكثرها سواء اللاتينية ، والسريانية ، والأرمنية والعربية ، وغيرها .

وهكذا : يمكن القول أن الإتساع الزماني ، والمكاني لم يُمكن المؤرخين المحدثين في مجال الدراسات البيزنطية من الخروج من مأزق العاصمة المتأثرة والمتأسدة والتي تُلغى مناطق شاسعة أخرى من ربيع الإمبراطورية

وهذا ملاحظة جديرة بالانتباه : تتمثل في أن هناك مرحلة استثنائية قصيرة في التاريخ البيزنطي المديد أمكن فيها الخروج من دائرة العاصمة على مستوى الكتابة التاريخية ، وهي الفترة من ١٢٤١ إلى ١٢٧١م . حيث ظهرت إشارة بيزنطية بديلة في نيقية ، وكذلك وجدت إشارة أخرى في طرابزون ، وثالثة في إبيروس وخلال تلك الفترة المحدودة ، والاستثنائية : من الممكن القول أن الكتابة التاريخية البيزنطية خرجت - مرحلياً وموقتاً من أسر العاصمة القسطنطينية ، إلا أنها بعد عام ١٢٧١م : عادت إليها مرة أخرى .

نخلص من ذلك كله : أن المشكلة القائمة تتمثل في أن لدينا مصادر تاريخية بل ودراسات حديثة وفيرة عن بيزنطة العاصمة وليس بيزنطة الإمبراطورية المترامية الأطراف : مما عكس التناقض الحاد بين المعالجة التاريخية للقلب والأطراف

#### خاصة : المركبة الأوروبية ، وتأثيراتها على معالجة تاريخ بيزنطة :

واقع الأمر : أن دراسة التاريخ البيزنطي بدأت من خلال المدارس التاريخية الفرنسية والروسية والإنجليزية ، والألمانية ، كما أسلفت الذكر من قبل وهكذا : فإن الريادة في الكتابة التاريخية الحديثة كانت للباحثين الغربيين دون نزاع في صورة نشر النصوص المصدرة أو المولفات الحديثة

ولانغفل زاوية أساسية وهي : أن فتح القسطنطينية على أيدي المسلمين بقيادة محمد الفاتح العثماني عام ١٤٥٣م : جعل المؤرخين الأوروبيين يحرصون على الكتابة التاريخية عنها حفظاً لها من 'ضياع' ، وتذكراً للعقل الجمعي الأوروبي بمراحل الصدام بين عالمي المسيحية ، والإسلام خلال 'العصر الوسيط ، وتحبباً لتكرار التجربة مرة أخرى في غير صالح الأوروبيين .

وملاحظ : أن من أولئك المؤرخين الغربيين من نظر إلى بيزنطة بنوع من الحنين المتدفق والألم الدفين على ضياع درع المسيحية الأرثوذكسية على أيدي المسلمين ، وهو أمر يتشابه إلى حد كبير في نظرة المؤرخين المسلمين المحدثين عندما يتناولون دولة الإسلام في الأندلس وسقوطها على أيدي الأسبان الكاثوليك عام ١٤٩٢م بالدراسة . ويعتبرونها بمثابة الفردوس المفقود : ونفاؤلاً للفردوس الموعود !

جدير بالإشارة : أن من أولئك المؤرخين الغربيين من أراد خلق نماذج من البطولة الأوروبية في القرون الوسطى ولذلك أحاطوا كل إمبراطور بيزنطي محارب بجيوش جرارة ؛ بهالة من التقدير والانتباه . ومن ثم ظهرت في عناوين مؤلفاتهم تعبيرات مثل : « قسطنطين الكبير » ، و « جستنيان العظيم » ، وغيرها من العبارات التي تعكس المبالغة أكثر من المعالجة الموضوعية ذاتها

ومن المهم ملاحظة : أن الباحثين العرب المحدثين عندما اتجهوا إلى تأليف مؤلفات عن التاريخ البيزنطي تأثروا بشكل المركزة بحكم أسبقيتها . ووبادتها <sup>(١١)</sup> ، ولم يكن في الإمكان الفكاك منها خاصة خلال تلك المرحلة المبكرة من مراحل التأليف التاريخي العربي الحديث عن بيزنطة وهو لا يتجاوز سبعة عقود ، ولاعراء في أن زاوية الترجمة كان لها دورها في ذلك المجال . باستثناء مراحل تاريخية معينة كتلك التي حدث خلالها الصراع العربي - البيزنطي كما تجده في عهود الأسرة الهرقلية ، والأيسورية ، والعسوية ، والقنوتية ، وذلك كله يعني :

١- من أسئلة مثل ذلك التأثير ما أورده عادل زيتون عن الصراع بين المسلمين والبنادقة في البحر الأوربيكتيك حيث ذكر ما نصه « على عام ١٠٠٤م هز التجار البنادقة القراصنة المسلمين في باري ورفعوا الحصار عنها . وطردوا السفين من أبوليا ، وبهذا نجح البنادقة في تنظيف البحر الأدرياتي من القراصنة وكسبوا بذلك مدخلاً هاماً إلى البحر المتوسط الشرقي » . انظر : عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ١١٥

مثل تلك العبارات أبعد ما تكون عن الواقع التاريخي لقد كان دور المسلمين حينذاك جهاداً بحرياً مشروعاً ولم يكونوا البتة قراصنة ، ومثل ذلك الرأي قد يقبل من مؤرخ قروي لا من مؤرخ عربي مسلم مع تقرير الشخص له ولؤلغاته

أن المركزية الأوروبية كان تأثيرها محدوداً نسبياً فيما اتصل بالعلاقات الحدودية العربية- البيزنطية، أما ما يتعلق بالتاريخ السياسي، والحضارى لتلك الإمبراطورية - فالاعتماد الأوفر تأتي من خلال كتابات المؤرخين الأوروبيين المحدثين .

وقد ساعد على تفاقم المشكلة ؛ غياب مركزية عربية مقابلة، فالملاحظ أن جانباً وافرًا من الكتابات العربية الحديثة في مجال البيزنطيات تنف عند حد الترجمة من المصادر اليونانية ، واللاتينية ، والمراجع الحديثة الإنجليزية والفرنسية دون تصورات نقدية تحليلية منطلقة من مركزية خاصة مع وجود بعض الاستثناءات على أبدي مؤرخين رواد<sup>(١)</sup> ليس في الإمكان إغفال دورهم بأي حال من الأحوال.

ومن ناحية أخرى؛ من الملاحظ أن تلك المركزية الأوروبية، كان لها تأثيرها في مجال آخر، من حيث مهاجمة الدولة العثمانية التي كان لها فضل إسقاط العاصمة البيزنطية عام ١٤٥٣م والوصول بالإسلام إلى شرقي أوروبا ، وجعل البحر الأحمر بعيرة إسلامية مغلفة وحماية الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز من مؤامرات البرتغاليين ، كذلك عمل العثمانيون جاهدتين على إنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ، وقد حرص المؤرخون الأوروبيون على الإساءة إليها بكل وسيلة بل والهجوم على شخص السلطان محمد الفاتح لإسقاطه من مكانته السامية كقائد عسكري شاب فذ وسياسي قدير حقق - ومعده المسلمون- ما عجز عنه السابقون عبر قرون عديدة وانهزموا بأنها السبب الرئيسي في تخلف المسلمين خاصة مطلع العصر الحديث ، وقد وقع ذلك الأمر، الذي تأثر به قطاع من المؤرخين العرب المحدثين- إلى قيام الراحل أ.د. عبد العزيز الشناوي بتأليف دراسته الشهيرة بعنوان: الدولة العثمانية دولة إسلامية مغترى عليها<sup>(٢)</sup>.

١- في هذا الشأن انظر: محمد منير عوض، رواد العصور الوسطى في مصر ط. القاهرة ٢٠٠٧م.

٢- لم يكن للتدليل على ازدواجية المعايير لدى الغربيين أن الدولة العثمانية - كما لاحظ عبد العزيز الشناوي- عسرت أكثر من ٦ قرون، أما إمبراطورية نابليون بونابرت فقد دامت ١١ عامًا فقط ١٨٠٤-١٨١٥م ثم انهارت عقب هزيمة الغاشقة في ووترلو Waterloo، أما الإمبراطورية الثانية التي أقامها نابليون الثالث فقد إنهارت هي الأخرى بعد ١٨ عامًا فقط (١٨٥٢-١٨٧٠م) عقب هزيمته في معركة سيدان Sedan ومن الغريب أن نابليون الأول والثالث لهما اهتمام بالغًا دعائيًا من جانب المؤرخين=

وهكذا ؛ فإن المركزية الأوروبية تعد مشكلة حقيقية عند كتابة التاريخ البيزنطي؛ نظراً لكون بيزنطة تمثل جزءاً رئيسياً من تاريخ شرقي أوروبا في القرون الوسطى ، ولأسبقية المؤرخين الأوروبيين المحدثين في التأليف التاريخي عنها، فله ينسبوا شاردة، ولا واردة عنها إلا وكتبوا بشأنها - من وجهة نظرهم بطبيعة الحال.

ولأنغل هنا زاوية على جانب كبير من الأهمية، تمثل في أن تلك المركزية تدعمت حالياً على نحو بارز من خلال شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) التي من خلال التعامل معها يتضح للباحث بجلاء وجود ما يوصف - بطرفان- من المصادر التاريخية ، والمراجع الحديثة خاصة الإنجليزية، والفرنسية والروسية والألمانية في مجال الدراسات البيزنطية. أما الوجود العريس فيها فلا يكاد يُذكر ، ولانزع في أنه خلال "عشر سنوات الأخيرة حدث ما يوصف « باتفجار معرفي » كان لتلك الدراسات نصيب منه. على نحو جعل التعامل مع نتاج الرؤية التاريخية الأوروبية أمراً لا مفر منه ، ويكتشف كمية وبراعة غير مسبوقه ولم تحدث في عهود رواد الدراسات البيزنطية أنفسهم وبذلك فإن « الثورة المعرفية » تزيد من مأزق ضالة الإسهام العربي في كتابة التاريخ البيزنطي وتدعم المركزية الأوروبية الطاغية

#### سادساً : مؤسسو الأسرات البيزنطية الحاكمة ودورهم الريادي<sup>(١)</sup>.

يعد مؤسسو الأسرات البيزنطية الحاكمة بمثابة القوة الفعلية، والمحرك للتاريخ البيزنطي مع عدم إغفال أوجه الاختلاف بينهم من حيث الدور التاريخي ذاته، والظروف الداخلية والدولية المصاحبة لحكمهم وكذلك الحصاد الختامى لكل منهم.

« الغربيين خاصة الفرنسيين على حين وصفوا السلفاء العثمانيين على أنه: « السلطان المسلم المجهل المتبرير المستغرق في ملذاته مع جواريه الفاتحات ». وأمام كافة تلك التوجهات المتناقضة لم يكن غريباً أن يخضار المؤلف العثمان السالف الفكر لكتابه. عبد العزيز الشري، الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها ج. ١، ط. القاهرة ١٩٨٠م. ص ٦-٧

ولأنغل أن المفكر المصري. د. حسن حنفي رأى أن الحل يكمن في الاستغراب لمواجهة الاستشراق وقد فصل ذلك في كتابه. انظر:

حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب ، ط. بيروت مع ملاحظة أن تنفيذ ذلك على المستوى الراقى أمر صعب المثال لأمر ليس هنا مجال تفصيل الحديث فيها

١ - تجدر الإشارة إلى أن القسم الثاني من كتابي أتتالي فيه الأسرات الحاكمة البيزنطية، ولا يدل ذلك =

وهكذا : من السير ملاحظة أن الأباطرة قسطنطين الأول (٣٠٦-٣٣٧م) ، وثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م) وهرقل (٦١٠-٦٤١م) وليو الثالث الأيسوري (٧١٧-٧٤١م) وميخائيل الثاني العموري (٨٢٠-٨٢٩م) والكسيوس كومنين (٨١١-١١١٨م) ، وإسحق الثاني أنجيليوس (١١٨٥-١١٩٥م) ، وميخائيل باليولوجوس (١٢٦١-١٢٨٢م) . هؤلاء وغيرهم هم التاريخ الفعلي البيزنطي - إلى حد كبير - ومن أتى من بعدهم يعدون في الغالب مجرد أباطرة ثانويين . ويعاني ذلك التاريخ مما يوصف « بعقده الامبراطور المؤسس » ، الذي يقوم بالدور التاريخي البارز ويحقق نجاحاً أو فشلاً ، ويجعل من يأتي من بعده من الأباطرة بجنون حصاد ما زرع إيجابياً أو سلبياً . ويلاحظ هنا : أن الإمبراطور المؤسس يحظى بوفرة مصدرية بارزة على عكس الاهتمام المحدود الذي وجهه المؤرخون البيزنطيون المعاصرون لمن أتى من بعده . وأنعكس ذلك بالتالي على معالجات المؤرخين المحدثين أنفسهم .

بناءً على ذلك : ليس من الغريب ملاحظة أن التاريخ البيزنطي وافر النشاط خلال عهد أولئك الأباطرة المؤسسين ويعاني من الخمول ، والنمطية في عهود الأباطرة التاليين مع وجود استثناءات بالطبع ولا يستطيع الباحث في التاريخ البيزنطي التكاثر من ذلك الوضع الذي يأتي على حساب الدور التاريخي لباقي الأباطرة ، وما أكثرهم . وهكذا يتأكد لنا أن مجريات ذلك التاريخ تم حسمها في الغالب الأعم من خلال دور أولئك الأباطرة المؤسسين على نحو خاص .

ومع ذلك : قد يرد البعض بأن هناك أباطرة بيزنطيين لعبوا أدواراً بارزة في التاريخ البيزنطي ولم يكونوا من مؤسسي الأسرات . ومن أمثلتهم الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م) ، والإمبراطور باسل الثاني قسّاب البلفار Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦-١٠٢٥م) ، وقد لعب كل منهما أدواراً محورية فالأول حارب الجرماني ، والثاني بعد - في تقدير البعض - آخر الأباطرة البيزنطيين الكبار . وللدور على ذلك : يمكن القول بأن الإمبراطورين المذكورين يعدان من الحالات الاستثنائية النادرة غير أن مؤسسي الأسرات

---

على الفرع في دائرة الاعجاب بمؤسسي تلك الأسرات غير أن تاريخ الامبراطورية البيزنطية يمكن أن يدرس من خلال ذلك الترجمة مع الحرص على المقارنة بين التطورات التي حدثت في عهد كل أسرة .

أنظر الملحق الخامس بأباطرة التاريخ البيزنطي وإثباته عليه خاصة من خلال دور مؤسسي الأسرات البيزنطية الحاكمة .



-بروجه عام- يعدلون أصحاب الأدوار الكبرى في التاريخ البيزنطي ومن أتى من بعدهم مجرد أباطرة تابعين ومدد حكمهم معروفة سلفاً من حيث طبيعتها على اعتبار أنهم صدى للأباطرة السابقين الكبار<sup>(١)</sup>.

سابعاً : مشكلة الطابع الذكوري للتاريخ البيزنطي وتغيب دور المرأة خاصة البعيدة عن السلطة:

من الملاحظ أن المجتمع البيزنطي كان مجتمعاً يسيطر عليه الرجل ولم يكن للمرأة<sup>(٢)</sup> الدور البارز فيه إذا ما قورنت بالرجل، وهكذا : كان المؤرخون من الرجال، ويكتبون تاريخ الإمبراطورية ومجاهلوا المرأة، والإشارة إليها إلا في القليل النادر، ووجدت كتابات متحيزة يحكم التكوين الديني الكنسي لأغلب أولئك المؤرخين، وهكذا : كان الرجل هو المحسم والحكم في أن واحد بما انعكس بدوره على نصوص المصادر ذاتها.

وإذا رُفِّعَ البعض بأن هناك إشارات ثرية عن المرأة البيزنطية خاصة في عالم السياسة مثل ثيودورا Theodora زوجة جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) والإمبراطورة إيريني Irene (٧٩٧-٨٠٢م)، وأناكومينا Anna Comnena ابنة الإمبراطور الكيسوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) وغيرهن، إلا أن الدور النسوي في الحياة العامة، لا ينجده إلا النثر البير، والتاريخ البيزنطي من خلال المصادر الأصلية غير متوازن والكفة الراجحة - على نحو مؤكد- في جانب الرجال لا النساء، وانعكست ذات الصفة على المعالجات الحديثة لدى المؤرخين الأوروبيين أنفسهم ومن الأمور ذات الدلالة : أنه في وسط الكم الكبير من المؤرخين الرجال لا يظهر لنا سوى مؤرخة واحدة هي أنا كومينا ابنة الكيسوس كومنين ولو لم تكن ابنة ذلك الإمبراطور لما ظهرت إلى الساحة أصلاً كمؤرخة فديرة ذات تكوين ثقافي، وعلمي

١- سيتم تناول ذلك على نحو مفصل في ملحق خاص في القسم المخصص للملاحق.

٢- لا تزال الدراسة الغربية والقيسة التي ألفتها أ.د. عليّة المنزوري : أستاذ العصور الوسطى بكلية البنات - جامعة عين شمس عن المرأة البيزنطية والصادرة بالقاهرة عام ١٩٨٠م على مدى التاريخ البيزنطي بأمله .  
 إضافة الدراسة الرائدة بالعربية في الموضوع المذكور ولوقته بحثاً ودرساً على نحو يجهد كل من يحاول دراسته من بعدها . وعلى الرغم من صدور دراسات متعددة عن المرأة البيزنطية بالإنجليزية في الأعوام الأخيرة إلا أنه لا توجد دراسات منشورة بالعربية- حتى الآن- تصل إلى مستوى دراسة تلك المؤرخة الرائدة وتتناز بأنها مؤرخة ولذلك في مقدرتها إدراك الجوانب النفسية المتصلة بتاريخ المرأة تاهلك عن قدرتها على التحليل والعرض السليم.

خاص ! وبذلك توصف بأنها مؤرخة استثنائية . ولا يمكن اتخاذها بالتالي كقاعدة عامة عن المرأة البيزنطية.

وهكذا : فإن المؤرخين المحدثين - دون قصد منهم- يكتبون « تاريخاً ذكورياً » للإمبراطورية البيزنطية، ودائماً كانت المرأة فى تلك الامبراطورية بشابة « الجندى المجهول » الذى لم تسلط عليه الأضواء الكافية خاصة القطاعات البعيدة عن السلطة السياسية وهى القطاعات الأوسع نطاقاً بطبيعة الحال.

ولاتفعل كذلك: أن المرأة البيزنطية دفعت الثمن غالباً خاصة خلال مراحل الحروب المتعددة التى خيض غسارها مع الأعداء، وما أكثرهم، وكذلك خلال أحداث الشررات، والصراعات الداخلية وبالتالى : والصراعات الداخلية وبالتالى : فإن ذلك الوضع الذى لايمكن الفكك منه : يجعلنا ندرك أن تاريخ تلك الامبراطورية يشويه النقص الدائم من خلال غياب عناصر أساسية فى تكوينه المصدري ومثل تهيش دور المرأة عن عمد مظهر واضحاً دالاً على ذلك النقص.

ومع ذلك : أود أن ألفت نظر القارئ : إلى خطورة تبنى توجهات بعض المؤرخات حالياً- فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من أصحاب وجهات نظر الحركات النسوية التى تعصبت لدور المرأة، ورأت أن التاريخ النسوى لم يكتب البتة بعد بروح الموضوعية ، وهكذا : فعندما قدم ذلك القطاع من المؤرخات إسهاماته وجذنا لديه التعصب للمرأة ودورها التاريخي، وكأنها فى خصومة أبدية تاريخية مع الرجل ! وهو تصور مغلوط بكرر ذات المأزق الذى وقع فيه المؤرخون الرجال الذين تجاهلوا « حواء » البيزنطية « إلا ما ندر من إشارات متناثرة هنا وهناك . وأنصور أن كلاً من الطرفين لم يقدم إلا رؤية جزئية متسرة لأحداث التاريخ البيزنطى الذى صنعته الرجال والنساء معاً.

#### ثامناً : الطابع الدينى لمصادر تاريخ الإمبراطورية البيزنطية:

من الملاحظ أن تاريخ تلك الإمبراطورية تم تغليفه بالدين فى العديد من أحداثه فى عصور عرفت بعصور الإيمان من خلال تعاطف الظاهرة الدينية خلالها، وهكذا : نجد أن المصادر التاريخية التى ألفها مؤرخون تلقوا تعليماً كنسياً فى المقام الأول؛ ففيض كتاباتهم بلطابع

الدينى . وهو أمر يجعل المؤرخ الذى يريد تفسير الأحداث تفسيراً عقلياً من خلال البحث عن الدوافع الحقيقية المحركة للحدث التاريخي . وكذلك النتائج الناتجة عنه - تجعله يواجه مشكلة حقيقية هي هل يأخذ دانساً بالتفسير الدينى للأحداث ؟ أم أن هناك الجوانب الأخرى التى حرم قطاع من المؤرخين المعاصرين على إختفائها ؛ دعماً للتفسير المذكور ؟ ولاتفعل أن الامبراطور البيزنطى نفسه ؛ نظر إليه المعاصرون على أنه نائب السيد المسيح ولذلك تم ترك الجانب الأيسر من العرش شاغراً<sup>(١٦)</sup> ؛ على نحو لم يخل من الدلالة الدينية

كما أن الامبراطور كان إمبراطوراً وأسقفاً معاً . ولاتفعل أيضاً أن الغرب الأوروبى خلال القرون الوسطى شهد الصراع بين الامبراطورية والبابوية . أما في بيزنطة فشمل ذلك الصراع لم يوجد إلا في حالات نادرة لاقتل باى حالى من الأحوال ما يوصف بأنه ظاهرة تاريخية

ولاتفعل ؛ أن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح مثل جدلاً محتدماً لا يمكن إنكاره . وفي مرحلة من المراحل ؛ حدث صراع محتدم على عبادة الأيقونات Icons . وكان لزاماً على كل إمبراطور أن يوضح موقفه من تلك القضية التى أثارت صراعاً واسع النطاق واستهلكت طاقة الإمبراطورية في مرحلة من مراحل تاريخها

وبندرج تحت ذات المشكلة ؛ توافر عدد كبير من القديسين<sup>(١٧)</sup> في تاريخ بيزنطة . ومن أمثالهم وأشهرهم القديس يوحنا الذهبي الفم St. John Chrysostom<sup>(١٨)</sup> ، والقديس

١- هس . العالم البيزنطى . ص ٢٣٠

٢- عن ذلك انظر المدخل الجليوغرافي الجزء الخاص بالكتابات الهجيوغرافية

٣- القديس يوحنا الذهبي الفم؛ ولد في أنطاكية عام ٣٤٧م. وتعني كلمة Chrysostom أى ذهبي الفم Golden mouth . وكان الابن الوحيد لأحد ضباط الجيش الامبراطورى . وصار مبشراً بالمسيحية لند ١٢ عاماً وفي عام ٣٩٨م تم انتخابه رئيس اساقفة للقسطنطينية . وقد واجه عدداً من جهتين معارفاً ضد في صورة أبودوكسيا Eudoxia زوجة الامبراطور اركاديوس Arcadius ورئيس أساقفة الاسكندرية ثيوفيلوس Theophilus . ويلاحظ أن أعماله قد ترجمت إلى الانجليزية . ونعرف أنه توفي في كرمانيا Cn-mana في بوترنس Potus في ١٤ سبتمبر عام ٤٠٧م . ويوم عبده هو ٢٧ يناير عنه انظر :

Atwater, The Penguin dictionary of Saints , p. 198-199

خليل رسته . القديس يوحنا الذهبي الفم . ط . دمشق ١٩٨٢م.

جريجوريو الزباني Gregory of Nazianzus<sup>١١١</sup>، والقديس ديمتري St. Demettry وغيرهم. وقد فصلت المصادر التاريخية - معجزاتهم - على نحو عكس اعتقاد معاصريهم الراسخ فيهم وتأثيرهم الكبير على الوجدان الشعبي البيزنطي العام.

وهكذا : فإن تاريخ بيزنطة يرتبط دائماً (بالتأثر) أو الدينى والقدس الذى تعنى على مدى توالى القرون ، وصار جزءاً من «العقل الجمعى البيزنطى» حتى لحظة السقوط الأخيرة عام ١٤٥٣م.

ومن زاوية أخرى؛ كثيراً ما احتوى تاريخ تلك الإمبراطورية على ظاهرة واضحة المعالم فى صورة «تسييس الدين»؛ من أجل إضفاء طابع أخلاقى تبرى لسلوك رجال السياسة البرجائين وللإرضاء الجماهير التى كانت فى أحيان كثيرة تمنى من التدين العاطفى.

ويلاحظ : أن تسييس الدين لم يبق به الأباطرة فقط ، بل شارك المؤرخون الرسميون فى أمره. وأيسر دليل وضاح دال على ذلك يشتمل فى المؤرخ البيزنطى الأول يوساب القيسارى أسقف قيسارية فلسطين Eusebius Caesarinus Eusabius of Caesarea مؤلف كتاب حياة قسطنطين The life of Constantine, Vita Eusebius Caesarinus Eusabius of Caesarea حيث اعتبره الخوارى الثالث عشر للسيد المسيح عليه السلام. على الرغم من أن الدراسة المتأنية تثبت أنه كان رجلاً سياسياً ماهراً ، ودعماً عبقياً حتى مع أقرب الأقربين ، ولم يكن الدين يمثل له أكثر من قنطرة عبور لتحقيق أهدافه السياسية العليا

تأسماً : الطهيعة الجدلية للتاريخ البيزنطى ووجوه أكثر من روية تقرعية له.

واقع الأمر: يملك ذلك التاريخ طبيعة خاصة فى صورة الجدل بشأن أباطرته . ودوافع سياساتهم . ونشأتها . ولذلك اختلف مؤرخو الدراسات البيزنطية فى العديد من وقائع ذلك

١ - جريجوريو الزباني Gregory of Nazianzus عالم لاهوت . ولد فى أربانزوس Arianzus وكان والده أسقفاً على نزيانزوس Nazianzus فى كبادوكيا Cappadocia. وتم ترسيمه كاهناً على يد والده عام ٣٦٢م . وكان ذلك على عكس رغبته حيث أراد أن يكون راهباً . على أية حال فى عام ٣٧٩. التحق باللاهوت كسبى فى القسطنطينية. ويلاحظ أنه توفى بالقرب من أربانزوس Arianzus عام ٣٨٩م. ويوم

عبده برافن ٩ مايو . عنه أنظر : Attwater, Dictionary of Saints. p. 160-161

التاريخ منذ بدايته حتى نهايته ، ولاتفعل ؛ أن الشعب البيزنطي نفسه أتسمت حياته بالجدل حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام ، وصار « الجدل البيزنطي » مضرب الأمثال .

ولاتفعل ؛ أن ذلك الوضع منح التاريخ المذكور نوعاً من الحيرية الخاصة ، على نحو لانجد معه الاتفاق على مختلف قضايا الكبرى بل الإختلاف الجوى المستمر ، وهو أمر لانجد على نفس الدرجة فى تاريخ الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى المتزامن معه .

ومقياس « الثابت » و« المتغير » فى التاريخ البيزنطي ؛ نجد أن عناصر التفسير فى رصد أحداثه وتحليلها تعد متفرقة على عناصر « الثبات »<sup>(١١)</sup> ، ودعم ذلك كله اختلاف المؤرخين فى تقويمه ، وبكاد لاتوجد أحداث فى ذلك التاريخ دون أن تكون فى دائرة الجدل بين المؤرخين

واقع الأمر ؛ فقد مر التاريخ البيزنطي بعدة مراحل ، فخلال القرن ١٨ م ، الذى عرف بعصر الإستنارة نجد أن فولتير Voltaire (١٦٩٤-١٧٧٨م) ندد بما أسماه الامبراطورية الإغريقية ، ولم يجد فى أحداث تاريخها إلا كل ما يبعث على الحزى ، والعار كما لاحظ العلامة شفيق غريال<sup>(١٢)</sup> .

١- يلاحظ هنا أن تفسير « الثبات » هنا استعارى لأنه لا يوجد ثبات حقيقى فى حركة التاريخ فالثبات الوحيد هو التغير .

٢- عن ذلك انظر المقدمة التى كتبها المؤرخ الراحل فى تصديره لترجمة عبد العزيز توفيق جاويد للعضارة البيزنطية الذى ألفه ستيفن ريسمان

فولتير ؛ لقب أطلق على فرانسوا مارى أرويه Francois Marie Arouet de Voltaire وهو مفكر فرنسى عاش فيما بين عامى ١٦٩٤ ، ١٧٧٨م وقد تنازل بالنقد اللائع أفكار عصره وسخر من أغلب الشخصيات المعاصرة ، وتعرض من حراء ذلك للسجن فى الباستيل . كذلك تم نفيه إلى إنجلترا ، وقد خلف الحرية فى مآساته برونوس عام ١٧٣٠م . وهاجم النظام السياسى الفرنسى من خلال الرسائل الفلسفية عام ١٧٣٤م ، وتعد مؤلفاته أحد الروافد الأساسية التى أدت إلى إنفلاق الثورة الفرنسية .

عن فولتير انظر :

Hunt, The French Revolution, London 1998, p. 7 .

Doyle, Origins of the French Revolution, Oxford 1999, p. 37, p. 82, p. 84

جورج كوسى ، تاريخ الثورة الفرنسية ، ط . بيروت - باريس ١٩٨٩م ، ص ٨٥-٨٦

محمود المغداد ، تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا ، سلطة عالم المعرفة ط . الكويت نوفمبر / تشرين الثانى ١٩٩٢م ، ص ١٤٩ ، حاشية (٣)

إسماعيل باغى ، تاريخ أوروبا المعاصر ، ط . الرياض ٢٠٠٣ ، ص ١٠

وعلى ذات النهج: نجد أن المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون Edward Gibbon مؤلف الكتاب الشهير . A History of the decline and Fall of the Roman Empire أي تاريخ اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية وقد نظر إلى تاريخ العصور الوسطى بصفة عامة نظرة عقلانية وقد رأى أن تاريخ بيزنطة ما هو إلا سلسلة متصلة الحلقات من عمليات سفك الدماء . والاعتقالات والمؤامرات للوصول إلى النصب الامبراطوري . وبوجه عام : لم ينظر نظرة تعاطف تجاهه ، بل نظرة ازدراء<sup>(١)</sup>.

كذلك : لاتفغل إسهام فنلاي Finlay الذي ألف كتاباً عن تاريخ الاغريق من سيطرة الرومان حتى عصره أي حتى عام ١٨٦٤م على وجه التحديد ووقع في (٧) مجلدات .

ويلاحظ أنه- على عكس جيبون- تمحصر لتاريخ الاغريق خاصة لثورتهم ضد الحكم التركي ، وقد نظر إلى تاريخ الدولة البيزنطية على أنه تاريخ دولة إغريقية قومية<sup>(٢)</sup> ، ويلاحظ هنا: أن المؤرخين الإغريق المحدثين نظروا إلى تاريخ تلك الدولة كما لو كانت دولة إغريقية قومية ، ولذلك : أشادوا بها ، ولم يعملوا على إبراز ما فيها من سلبيات

وقد انتقل الأمر إلى الروس: نظراً لكون القياصرة الروس قد اعتبروا أنفسهم خلفاء لأباطرة القسطنطينية<sup>(٣)</sup> ، ولاتفغل دور بيزنطة السابق في نشر المسيحية في صفوف الروس ، ونشر حضارتها بينهم . وهكذا: اهتم المؤرخون الروس المحدثون بإبراز التاريخ البيزنطي من خلال اهتمامهم بالتاريخ القومي الروسي.

وهكذا : نتضح لنا أبعاد المشكلة من خلال رصد سريع لتطور الاهتمام بالدراسات البيزنطية . فكل عصر كان يُشكّل تصورات مؤرخيه ، وبالتالي يظهر لنا تبنى المؤرخين

= عبد العزيز سليمان نوار. التاريخ الحديث أوروبا من الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية ، ١٨٧٨-١٨٧٩ ، ط. القاهرة ب- ت . ص ٣٩-٤٣

١- ويلاحظ أن أفضل عمل جماعي لدراسة فكر جيبون كمؤرخ من خلال كتابه المذكور هو Mckitterick and quinault (eds.) Edward Gibbon and Empire. Cambridge 1997

ويحتوي على (١٣) بحثاً لتقييم توجهات جيبون كمؤرخ ووقع الكتاب المذكور في ٣٥١ صفحة. أما جيبون نفسه فانظر ما أسلفت الإشارة إليه من قبل

٢- رنسمان ، الحضارة البيزنطية . ص (من مقدمة شفيق غريال)

اليونانيين والروس المحدثين للتاريخ البيزنطي على إعتبار أنه جزء لا يتجزأ من تاريخهم القومي<sup>(١)</sup>، ويلاحظ أن كل فريق رأى في ذلك التاريخ جوانب تدعم وجهة نظره بل ومصالحه القومية حتى في العصر الحديث بأصليه تاريخياً وامتلك المبررات الكافية من أجل دعم تصوراتهم، ولذلك يحق لنا القول : أن التاريخ البيزنطي؛ نظراً للوضع السالف الذكر احتوى على تصورات تتسم بالتباين، والاختلاف حتى أن الطبيعة الخلاقية صارت جزءاً لا يتجزأ منه . حقيقة أن ذلك أوجد نوعاً من الحيوية في دراسته غير أنه - من زاوية أخرى - يرهق باحثيه الجادين

والواقع : أن هناك جوانب بالغة القسوة ، والعنف ، والدموية عبر فصوله المتعددة خاصة عند الصراخ على المنصب الإمبراطوري مطلق السلطات ، ومع ذلك؛ هناك جوانب حضارية لا تنكر فيه في صورة العبارة الدينية ، والمدنية والحربية وكذلك الأدب البيزنطي الكنسي ، والملحس ولا تغفل : كتابات المؤرخين البيزنطيين الذين عبروا عن روح أمه كاملة ؛ على نحو عكس أن الصورة لم تكن قائمة تماماً ، بل احتوت على جوانب أخرى مضينة لا تنكر كذلك دور بيزنطة في التبادل الحضاري في العصور الوسطى مع العباسيين ، والروس ، وغيرهم ؛ مما دلّ على دورها الإيجابي حينذاك

وهكذا ؛ فالمنطق يدعو إلى التصور بأن كلاً من الطرفين يحوى جانباً صائباً ، من خلال وقائع التاريخ البيزنطي ذاتها . وبصفة عامة؛ فإن الهجوم الزائد، والتعاطف الزائد لا يفيد في تفويم ذلك التاريخ المحافل بالتناقضات التي قد نجدها في سياسات أسرة حاكمة واحدة ، بل ربما سياسة إمبراطور واحد !

---

١- نفسه ، ص

٢- ولا أدل على ذلك من إشارة المؤرخ استروجورسكى حيث قال ما نصه بشأن اليونانيين والتاريخ البيزنطي:

"Greece had long been concerned with Byzantine history for to Greek Scholars Byzantium was Simply apart of Their own national History". Ostrogorsky. History of the Byzantine State, p. 11

### عاشرًا : مشكلة تأثير القادات الكارزمية<sup>(١)</sup> :

احتوى التاريخ البيزنطى على عدد من القادات السياسية والحربية التى تركت تأثيراً كبيراً على المؤرخين المعاصرين ، وكذلك المحدثين ، وكانت شخصياتهم أثره بحيث صعب التخلص من تأثيرها ، وهكذا : فعندما تناولهم المؤرخون المعاصرون ، واللاحقون وجدنا قطعاً منهم إنهم بهم - وكتب تاريخهم من خلال ذلك الطابع ، وبالتالي لم يلتزم بدور الموضوعية العلمية الراجية

وينطبق ذلك على عدد من الشخصيات مثل قسطنطين الأول (٣٢٤-٣٣٧) ، وباسل الثانى (٩٧٦-١٠٢٥م)

لانغفل : أن المؤرخين المعاصرين لذلك التاريخ ومنهم من اقترح بدرجات متفاوتة من عدد من الأباطرة بالقوا - فى أحيان متعددة- فى تقويمهم ، وارتبطت زاوية الكارزما بالدعائية التى تفيض بها المصادر التاريخية البيزنطية عندما يكون المؤرخ المعاصر متأثراً بأحد الأباطرة على نحو خاص عن شارك فى رفعة شأن الإمبراطورية على الصعيد الحربى والسياسى وزاد الأمر من خلال احاطة مثل تلك الشخصيات بالطابع الدينى كما أسلفت الإشارة من قبل.

ومن المهم الإشارة هنا : إلى أن تأثير الكارزما يجعل المؤرخ لا يرى قادة التاريخ البيزنطى بالروية الموضوعية ، بل من خلال نظرة الإعجاب الزائد بهم وتعظيم شأن كل عمل قاموا به ، - على الرغم من أن المعاصرة حجاب- وهنا يتحول المؤرخ ليصبح جزءاً لا يتجزأ من مشكلة كتابة

١- الكاريزما Charisma هى إحدى الخواص التى تتصف بها القيادة ، وتعنى القدرة على بث واستلهام الإيمان لدى الآخرين والتأثير فيهم إلى حد كبير ، ويرى ماكس فيبر Max Weber أن الكارزمية قوة خلاقة مؤثرة فى التاريخ وأنه من الضروري دراستها من خلال البيئة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والثقافية التى تحيط بالزعيم صاحب مثل تلك الشخصية.

عن مصطلح الكاريزما أنظر :

ملوحة محمد سلامة ، «الكارزمية- القدرة على التأثير على الآخرين» ، مجلة علم النفس، العدد (١٦) ، أبريل - مايو - يونيو ١٩٩٠م ، ص١٥٨-١٦٤ ، أحمد الحشاش التفكير الاجتماعى ، ط. بهروت ١٩٨٦م ، ص٥٩ ، عبدالله محمد عبد الرحمن ، علم اجتماع التنظيم ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م ، ص٧٠٢ ، جاسم بنو الحريرى ، دور القيادة الكارزمية ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، =



التاريخ المذكور : خاصة عندما يقوم بفروسة إمبراطور ما من الأباطرة لعدة أعوام من خلال « التوحيد » مع المادة التاريخية المصدرية ، والمرجعية ، على نحو يجعله « جزءاً » لا يتجزأ ، منها ويلاحظ أن التاريخ البيزنطي حينئذ يعاني من تصارع « الذات » و« الموضوع » ، ومثل تلك الحالة من « التشيع » بالبطل التاريخي يجعل المؤرخ الحديث يتحول كآته مؤرخ رسمي معاصر يكتب دراسته بعيداً عن الموضوعية التاريخية الواجبة دون أن يدري ، مع ملاحظة : أن « التوحيد » ، و« المعاشية » مع أحداث التاريخ البيزنطي - وما أكثرها تتعارض مع الانفصال الضروري من جانب المؤرخ عندما يقوم بالحكم بموضوعية على وقائع الأحداث ، لكي يتجر بنفسه ، وبأبطاله ، وبقرائه - وهذا هو الأهم - من أسر الكاريزما التي من الصعب الفكك منها .

### حادى عشر : واقع الكتابة التاريخية العربية المدينة عن التاريخ البيزنطي (المشكلة الإقليمية) :

نعاني الدراسات التاريخية البيزنطية في العالم العربى من عدم توافر مراكز بحثية متخصصة على شاكلة المعروف على المستوى العالمى وكذلك المجلات العلمية المتخصصة ، ومن أمثلة تلك المراكز

- مركز الدراسات البيزنطية والبرناتية الحديثة والعثمانية فى برمنجهام بالمجلىترا
- مركز الدراسات البيزنطية فى سالونيك باليونان .
- مركز دامبرتون او كس براشطن بالولايات المتحدة الامريكية .
- مركز الدراسات البيزنطية التابع للأكاديمية الصربية للعلوم فى بلجراة .
- معهد دراسات العصور الوسطى والدراسات البيزنطية بجامعة نورثام . وذلك على الرغم من توافر الإمكانات المادية ، وأهمية العلاقات العربية البيزنطية وهى جزء لا يتجزأ من

---

= ط . أبوطيس ٠٠٣ : ص ١٠ : محد مؤنس عرخر « أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين ١٢ - ١٣ م / ٧٠٦ هـ » . ضمن حولية التاريخ الإسلامى والوسط ، م ( ٣١ ) ، عام ٢٠٠٣م ، ص ٢٦٧ . « من مشكلات دراسة تاريخ الحروب الصليبية » . ضمن كتاب الحروب الصليبية الساسة - المياه - العبيد ط . القاهرة ٢٠٠٦م ، ص ٩ - ص ٢٤ ، ميشيل مان ، موسوعة العلوم الاجتماعية ، ت عادل مختار الهوارى ، وسعيد عبد العزيز مطروح ، ط . الكويت ١٩٩٤م ، ص ١٠٢

تاريخنا القومى؛ ولذلك فإن جهد الباحثين فى المجال المذكور تعاني من التشرذم وعدم التنسيق، ولا أمل فى تطويرها دون القيام بتأسيس مركز عربى متخصص فى التاريخ البيزنطى؛ كى يعمل على عقد حتى هذه اللحظة أى مؤتمر دولى واحد عن الدراسات البيزنطية فى أى دولة من الدول العربية على الرغم من الإمكانيات المادية البارزة التى يشهد عليها الجميع

ولانزاع؛ فى أن أى تطور فى حقل الدراسات البيزنطية - على المستوى العربى - لا يمكن تحقيقه دون عقد مثل تلك المؤتمرات التى من شأنها تقديم الجديد من البحوث والدراسات وإيجاد الاحتكاك مع المؤرخين الأوروبيين، لتكوين تصور واقعى عن الفجوة المعرفية التى تنسج بين العالم العربى وبينهم.

على أية حال؛ فإن كافة تلك المشكلات تعكس لنا أن التاريخ البيزنطى له خصوميته خلال توافر عدد منها عند التصدى له بالكتابة.

وقد يتصور البعض؛ أن كل كيان سياسى ما فى العصور الوسطى سواء فى الشرق الإسلامى أو فى أسيا الصغرى أو شرقى أوروبا أو فى الغرب الأوروبى، كانت له مشكلاته الخاصة به فى المعالجة التاريخية من خلال طبيعة المصادر ذاتها على نحو إنعكس بدوره فى معالجة المؤرخين المحدثين أنفسهم. ومع ذلك؛ تبقى هناك خصوصية مشكلات الكتابة التاريخية، وهكذا؛ فإن الامبراطورية البيزنطية لها طابعها الخاص على نحو مبرها على غيرها من الكيانات السياسية الكبرى خاصة لدى عالم العصور الوسطى العامر بالأحداث والصراع، والمواجهات بين مختلف القوى الدولية.

ذلك عرض عن مصادر التاريخ "بيزنطى" ثم مشكلات دراسته، أما الصفحات التالية، فبتم تخصيصها لعرض أهم ملامح ذلك التاريخ من خلال تناول الأسر الحاكمة.

القسم الثاني

تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة

٢٢٠ - ١٤٥٢م



## تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة

٣٣-١٤٥٣م

يتعرض هذا القسم من الكتاب للملامح التاريخ البيزنطى على مدى القرون المتعددة التى شكلت التطور التاريخى لتلك الإمبراطورية المعصرة.

واقع الأمر؛ افتتحت بيزنطة تاريخها بالجدل بين الباحثين بشأن عام الميلاد<sup>(١١)</sup>، ولما يلى أقدم عرضاً موجزاً عن أهم الأراء التى قيلت فى هذا الشأن:

أولاً: هناك من تصور أن عام ٢٨٤م يصلح لميلاد تاريخ الإمبراطورية البيزنطية على اعتبار أنه يمثل حداً فاصلاً فى تاريخ الدولة الرومانية حيث تولي حكمها الإمبراطور دقلديانوس وهو أول من اتجه إلى تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين شرقى . وغربى<sup>(١٢)</sup>.

١- اعتمدت فى هذا الشأن على ما أورده أ.د. جوزيف نسيب يوسف حيث قدم أفضل عرض بالعربية أنظر:

جوزيف نسيب يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨-١٤٥٣ . ط. الاسكندرية ١٩٨٤م . ص ١٥-٢٣  
كذلك هناك تناول مهم فى المقدمة التى كتبها أ.د. رأفت عبد الحميد فى تقديم الترجمة العربية لكتاب هسى. أنظر هسى، العالم البيزنطى، ترجمة رأفت عبد الحميد . ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٣ - ٦٥

٢- يتطلب الأمر تسليط الضوء على ما عرفه بأزمة القرن الثالث الميلادى، حتى يمكن معرفة قيمة الدور الذى قام به دقلديانوس ، فلاحظ أن الإمبراطورية الرومانية خلال المرحلة من ٢٣٥م إلى ٢٨٥م احتل العرش خلالها أكثر من ٢٦ إمبراطوراً وقد اغتيل أغلبهم وكان من يصل إلى العرش يقوم باغتيال معارضيه . ولاتفعل أن من مظاهر تلك الأزمة عدم الاستقرار السياسى والإضطراب الاقتصادى . وتأثير غارات القبائل الجرمانية والفرس وعند تولي دقلديانوس الحكم تمتع بموهبة الإدارة . ففعل على الفصل بين السلطين العسكرية والمدنية ، وجعل الإمبراطورية تنقسم إلى قسمين قسم شرقى وآخر غربى وكل قسم يترأه إمبراطور يتلقب بلفظ أغسطس Augustus كذلك اتخذنا إجراءات أخرى كان من شأنها إنقاذ الإمبراطورية نفسها فيه من اضطراب عن ذلك انظر:

ريستوفلوز ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الإقتصادى والاقتصادى . ت. زكى على ومحمد سليم سالم . ط. القاهرة ١٩٥٧م، ج ١، ص ٦٠٤-٦١٧

سيد الناصرى ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والمختصارى . ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص ٢٧٩-٢٨٠

حستين ريج ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٣-١٨

ثانيًا: رأى البعض أن عام ٣٢٣ م. وهو عام تولية الامبراطور قسطنطين عرش الامبراطورية، هو الأجدد بذلك نظرًا للتغيرات الفعالة التي حدثت خلال عهده.؛ وهو أمر مستبعد من خلال الصفحات التالية.

ثالثًا: وجد إنجهاه آخر يقرر أن عام ٣٣٠ م.<sup>(١١)</sup>؛ الأجدد بأن يكون تاريخ ميلاد الامبراطورية البيزنطية نظرًا لافتتاح القسطنطينية في ١١ مايو منه، والتي عدت عاصمة تلك الامبراطورية.

رابعًا: فُضِّل البعض عام ٣٩٥ م. على اعتبار أنه العام الذي قام فيه الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I بتقسيم الامبراطورية إلى قسمين شرقي حكمه ابنه أركاديوس Arcadius، وغربي، وحكمه ابنه هونوريوس Honorius<sup>(١٢)</sup>.

خامسًا: اتخذ فريق آخر من المؤرخين عام ٤٧٦ م. بداية ذلك التاريخ على اعتبار إسقاط روما فيه على أيدي الجرمان بقيادة ادواكر Odoacer وانتهاء حكم الإمبراطور رومولوس أوجستولوس Romulus Augustulus آخر امبراطور روماني، وبذلك انتهت الامبراطورية في الغرب- وعند أصحاب ذلك الرأي - بدأت الإمبراطورية الرومانية الشرقية أي البيزنطية.

سادسًا: هناك من قرر أنه حتى عهد الامبراطور جستنيان الذي امتد عهده بين عامي ٥٢٧ إلى ٥٦٥ م؛ لم يكن هناك دولة بيزنطية بالمعنى الشائع لتلك العبارة؛ إذ حاول استعادة القسم الغربي من الإمبراطورية من أيدي الجرمان، ولذلك؛ اعتبره ذلك الفريق آخر إمبراطور روماني، كما أوضح جوزيف نسيب يوسف<sup>(١٣)</sup>.

= أينا هذه الدراسة:

محمد السيد محمد عبد الغنى، تحدث من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م، ص١٢٧ - ص١٤

١- وفي هذا المجال يقرر السير ستيفن رنسيمان ما نصه:

"The year 330 is the best date to take as The Starting- point for Byzantine History"

Runciman, Byzantine Civilization, p. 11

٢- اعتقد محمد صلاح سالم؛ أن ذلك التقسيم حدث بعد مصرع الامبراطور جوليان وهو أمر بعيد عن التصواب، انظر: محمد صلاح سالم، القدس - الحق - التاريخ والسقوط، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٥٣

٣- تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٨

سابقاً رأى فريق آخر : أن بداية ذلك التاريخ عام ٥٦٥م؛ وهو عام وفاة الإمبراطور السالف الذكر؛ حيث قُتلته جهوده في استعادة القسم المفقود من الامبراطورية . وكان على القسم الشرقي أن يتجه اتجاهاً حليئياً خاصاً به .

ثانياً : وهو اتجاهاً يقول بهام ٧١٧م ؛ وهو عام تولية الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري Leo III The Isaurian الحكم في القسطنطينية وتصديه لحصار المسلمين لها حينذاك وكذلك ظهور الحلاف حول عبادة الأيقونات

تاسعاً : هناك قطاع من المؤرخين قرر أن عام ٨٠٠م. هو العام الذي يبدأ به التاريخ البيزنطي؛ ففي ذلك العام؛ تم تتويج شارلمان إمبراطوراً في كنيسة القديس بطرس St. Peter في روما. فمنذ تلك الحادثة- في تقدير ذلك الفريق - ظهرت إمبراطوريتان واحدة في الغرب وأخرى في الشرق في صورة الإمبراطورية البيزنطية.

ومن وجهة نظري : أرى أن عام ٣٣٠م ؛ وهو العام الذي شهدت فيه القسطنطينية العاصمة البيزنطية ، هو الأرجح لبداية التاريخ البيزنطي. حيث أن تلك المدينة كانت بمثابة القلب بالنسبة للإمبراطورية واستمرت الأخيرة قائمة طالما استمرت الحياة متدفقة في ذلك القلب. وبالتالي ، فإن تأسيسها وافتتاحها في العام المذكور لا يمثل حدثاً عادياً ؛ بل محورياً في تاريخ تلك الإمبراطورية على نحو خاص . وتاريخ العصور الوسطى بصفة عامة.

على أية حال ؛ فإن ذلك الجدل حول الميلاد البيزنطي غير خير تعبير عن الطبيعة الجدلية العامة لذلك التاريخ منذ خضواته الأولى.

أما المساء البيزنطي فقد اتفق عليه غالبية المؤرخين بأنه ٢٩ مايو ١٤٥٣م عندما فشحت على أيدي الأتراك العثمانيين بقيادة محمد الفاتح وكان حاكمها حينذاك قسطنطين الحادي عشر آخر الأباطرة البيزنطية.

جدير بالتنويه؛ على مدى تاريخ تلك الإمبراطورية كان شبح الموت يتهددها ، وفي مرات متعددة كانت على وشك السقوط إلا أنها قاومت ذلك بكل ما أوتيت من عزمة وقوة وقسوة على البقاء وقد أفادت من إمكانياتها المتوافرة ؛ الجغرافية والعسكرية والاقتصادية.

وهكذا ! ندرك تماماً أن تاريخ بيزنطة ذاته مما هو إلا تاريخ تصارعها مع فكرة الموت<sup>(١)</sup> إلى أن حل بها في العام السالف الذكر كقضاء محتوم لا يمكن الفرار منه. مهما يكن من أمر؛ نبدأ في تناول عرضنا للعالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية من خلال الأسرار الحاكمة ونبدأ بأسرتي قسطنطين وثيودوسيوس.

---

١ - فكرة الحياة والموت للكيانات الأرضية في العصور الوسطى حتى أن تناولها كل من برييه بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية، ونورمان كانتور بالنسبة لتاريخ أوروبا العصور الوسطى بصفة عامة - من ذلك مؤلفاتهما وهي:

Brehier, Vie et mort de Byzance, Paris 1946 .

Cantpur . Medieval History birth and death of civilization, New York 1969 .

وأخسور أن تلك الثانية جذيرة بأن تطرح بصفة مستمرة نظراً لحوريتها ولشعده معالجتها بين الحين والآخر



## أولاً : أسرتى قسطنطين وثيودوسيوس (٣٢٤-٣١٨ م) :

نتناول في العرض التالى : أسرتى قسطنطين وثيودوسيوس ودورها في التاريخ المبكر للإمبراطورية البيزنطية . ويلاحظ أنهما يعدان وحدة تاريخية من خلال تواصل الأحداث التي وقعت خلال عهدهما

أما فيما يتصل بأسرة قسطنطين : فقد حكم فيها عدد من الأباطرة في صورة قسطنطين Constantine الذي يحلر للبعض تلقبته بالكبير (٢٢٤-٣٣٧م) و قسطنطين الثانى Con-stantine II (٣٣٧-٣٤٠م) و قسطنطاز Constance (٣٣٧-٣٥٠م) و قسطنطوس Con-stantius (٣٣٧-٣٦١م) ، وجرليان المرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣م) وجوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤م) ، وفالنز Valenz (٣٧٤-٣٧٨م) . ويعد الامبراطور قسطنطين<sup>١١</sup> صاحب أكبر تأثير من بين أولئك الأباطرة جسيماً ليس في تاريخ تلك الأسرة فقط ، بل على مدى مراحل التاريخ البيزنطى بصفة عامة.

ومن الممكن إبراد أبرز أعمال ذلك الامبراطور على النحو التالى :

أولاً : الاعتراف بالمسيحية كأحدى الديانات القائمة في الامبراطورية . ودوره في مجمع نيقية عام ٣١٥م.

ثانياً : تشييد مدينة القسطنطينية . وافتتاحها عام ٣٣٠م.

وفيما يتصل بالإنجاز التاريخى الأول: من الملاحظ أن السيد المسيح عليه السلام ولد أثناء عهد الإمبراطور أغسطس Augustus (ت ١٤م) في بيت لحم واتجه إلى الدعوة للديانة الجديدة

١- قسطنطين الأول: هو فلانيوس فاليريوس كونستانتينوس Flavius Valerius Constantinus ، ابن كونستانتينوس وهيلنا . وقد قام الإمبراطور دقلديانوس بالإشراف على تربيته في نيقية. وعندما تنازل عن العرش عام ٣٠٥م شارك والده في حكم القسم العربى . وعندما مات والده عام ٣٠٦م نادى به جنوده إمبراطوراً . وفيما بعد قام بهزيمة ماكسنطيوس Maxintius في معركة جسر ميلينيان بالقرب من روما عام ٣١٢م كما قام في عام ٣٢٤م بهزيمة ليكنينيوس Lecinius في تراقيا . وقد ترقى قريباً من نيقوميديا في ٢٢ مايو ٣٢٧م.

عنه أنظر:

Eusebius, Extrats from Eusebius life of Constantine. Trans. by John Bernard, P.P.T.S., vol I . London 1896 . Nicol, A Biographical dictionary , pp. 24-25 .

رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة . ج٢ قسطنطين . ط. القاهرة ١٩٩٩م.

ونجد في العهد الجديد صوراً متعددة لسيرة حياته ودعوته والأفكار التي أتى بها مع ملاحظة أن القديس بولس<sup>(١)</sup> St. Paul قام بدور بارز في مجال تنظيم المجتمعات المسيحية المبكرة ، وكذلك وضع أسس اللاهوت المسيحي ، وملاحظ الإنتشار الواسع للمسيحية؛ جنباً إلى جنب بجموار العقائد الوثنية مثل ديانة سيبيل Cybele في آسيا الصغرى، وديانة إيزيس<sup>(٢)</sup> Isis المصرية ، ومثرا Mithras الفارسي

جدير بالذكر؛ تمكن المسيحيون من تشكيل جالية في وقت مبكر خلال القرن الميلادي الأول، ويلاحظ أنها ظلت على مدى ثلاثة قرون؛ غير معترف بها من جانب الرومان

١- القديس بولس St. Paul : ولد في طرسوس Tarsus في كيليكية Cilicia بأسيا صغرى Asia Mior وقد عُرف باسم سول Saul ، ومن المعروف أنه ورث المواطنة الرومانية من والده اليهودي، وقد توفي في روما عام ٦٧م؛ وعين عبيد يوافق ٢٩ يونيو ، عنه أنظر :

Atwater, The Penguin dictionary of Saints, pp.266-278 .

أحمد زكي . إنعزاع فتاح بولس عن المسيح . ط. الرياض ١٩٩٥م، أحمد علي عجيبة ، الرهبانية المسيحية وسوق الإسلام منها، ط. القاهرة : ٢٠٠٤م، ص٥٣-ص٦٠

٢- إيزيس Isis: معبودة مصرية قديمة لها تاريخ تمتد عبر القرون وأول إشارة إليها نجدها في نصوص الأهرامات التي ترجع إلى عام ٢٣٥٠ ق.م ونجدها هي وأختها نفثيس Nephthys تلعب دوراً بارزاً في إعادة ميلاد الفرعون. ويلاحظ أنها كانت في الأصل نجسبداً للعرش واعتبرت الأم الرمزية للفرعون، ويلاحظ أنها ظهرت في صورة الثماثيل البرونزية وهي جالسة تقوم بإرضاع طفلها حيث قامت تبحث عن جسد زوجها أوزيريس الذي قتله ست واعتبر الأول إله الخير والثاني إله الشر. عنها أنظر: مانفرد لوركر ، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة. ت . صلاح الدين رمضان، مراجعة محمود ماهر . ط. القاهرة : ٢٠٠٠م، ص١٧ جورج بوزنر . معجم الحضارة المصرية القديمة. ت أمين سلامة، مراجعة سيد توفيق، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٧٦ - ص٧٧

E. W. W. R., Isis", ed. by Serniyy: young vol 1, New York 1999, pp. 487-488 .

٣- ميثراس Mithras: إله آري الأصل عبد في فارس بوصفه إلهاً للمعروف، والاتفاقيات ، واعتبر حافظاً للنش ، والنظام . وقد دخلت عبادته روما في القرن الأول للميلاد عنه أنظر محمد الصابر سالم . عبادة ميثراس في روما ، رسالة ماجستير غير منسورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م، ص٦-٩٧

كذلك تعرض أتباعها للإضطهاد خاصة في عهد الإمبراطور نيرون (٥٤-٦٨ م)، ووصل الأمر إلى الذروة في عهد الإمبراطور دقلديانوس (Deocletianus) (٢٨٤-٣١٣ م) حيث نعرف أنه أصدر خلال عامي ٣٠٣، ٣٠٤ م : أربعة مراسيم قضت بهدم الكنائس ، وإبداع رجال الدين المسيحي السجن<sup>(٦٦)</sup>، وقد اشترط تقديمهم القوابل للألوهة الوثنية ؛ حتى يتم إطلاق سراحهم . ويلاحظ أن المسيحيين؛ اعتبروا كافة من قتلوا من جراء الإضطهاد الروماني خلال تلك المرحلة من الشهداء . وهكذا ؛ عرف ذلك العصر بعصر الشهداء ، ولاتفعل هنا الإشارة ؛ إلى أن الكتيبة المصرية جعلت عام ٢٨٤م الذي اعتلى فيه الإمبراطور دقلديانوس العرش؛ بداية لتقويمها ؛ مما عكس أهمية ومحورية ذلك العام<sup>(٦٧)</sup> . بالنسبة لأقباط مصر

مهما يكن من أمر؛ استمر الحال على هذا النحو إلى أن قام الإمبراطور قسطنطين ، وشريكه في الحكم جنتالك ليكينوس بإصدار ما عرف بمرسوم ميلان عام ٣١٣م<sup>(٦٨)</sup> ومن خلال نصوصه يمكن استنتاج الآتي :

١- عن الإمبراطور دقلديانوس انظر ما سبق ذكره عنه وأيضاً:

Dicht, History of the Byzantine Empire, Trans. by George B. Ives, Princeton 1925 , p. 3 .

Grant, The Collapse and Recovery of The Roman Empire, New York 1999, pp. 39-48 .

٢- عن ذلك انظر:

Jones, The Later Roman Empire 284-602 , vol . I, Baltimore 1986, pp. 71-76 .

٣- Kamil, Coptic Egypt .History and Guide, Cairo, 1990, p. 25 .

٤- لجدير الإشارة إلى أن المؤرخ الألماني أو. سيك O. Seek خرج بنظرية عام ١٨٩١م ترى أنه لا يوجد هناك مرسوم يسمى مرسوم ميلان Edict of Melan ؛ إذ أن المرسوم الوحيد هو ذلك الذي عرف بمرسوم التسامح Edict of Tolerance الذي صدر من جانب جاليريوس Galerius عام ٣١١م . ولدة طويلة فإن أغلب الباحثين لم يقبلوا ذلك التصور وفي عام ١٩١٣ م وبخاصة مرور ١٦٠٠ عام على تلك المصادفة ظهرت احتفالات في العديد من الأنظار السبعية وظهرت كتابات متعددة حول ذلك الأمر، وقرر فازيليف أن الوثيقة التي صدرت في ميلانو في مارس ٣١٣ م من جانب قسطنطين وليكينوس لم يكن مرسوم بل مجرد خطاب إلى حكام مقاطعات آسيا الصغرى والشرق عمومًا شارحًا لهم كيفية التعامل مع المسيحيين وحالًا أدرك الباحثون ذلك التصور ، عن ذلك انظر

- ١- إن المسيحية ظلت أشبه شئ بحركة سرية منذ بدايتها حتى إعلان المرسوم المذكور
- ٢- لم يكن ما عرف بمرسوم ميلان أول مرسوم من نوعه يعبر عن التسامح تجاه المسيحيين بل سبقه ذلك المرسوم الذى حمل اسم كل من جالريوس وليكينوس . وهما من القبادات البارزة حينذاك ، مع ملاحظة أنه لم يعمل به<sup>(١)</sup>
- ٣- أقر ما عرف بمرسوم ميلان برد كافة الحقوق الدينية للمسيحيين الذين حرصوا منها ، كذلك أقر بأن تعاد للكنيسة أماكن العبادة ، والأراضي التى صودرت من المسيحيين دون إبطاء ، مع الإقرار بدفع تعويض مالى كبير من الخزانة الإمبراطورية لأولئك الذين اشتروا من قبل أسلاك الكنيسة<sup>(٢)</sup> .
- ولانزعاج : فى أن ما عرف بمرسوم ميلان يعد تحولاً نوعياً له شأنه فى تاريخ تلك الديانة حيث نقلها من مرحلة الاضطهاد إلى مرحلة الاعتراف بها بين الأديان ، والعقائد الموجودة فى ربوع الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف .
- على أية حال : ثار جدل واسع النطاق حول دوافع قسطنطين لإيقاف الاضطهاد بالمسيحية ، وكذلك احتمالية اعتناقه شخصياً تلك الديانة أو إنعدام ذلك<sup>(٣)</sup> ، وبصفة عامة : من الممكن القول بإدراكه مبكراً أن المسيحية حتماً سيكون لها الشأن الأكبر فى مستقبل الأيام . وأن كافة المجهودات التى بذلتها الإمبراطورية الرومانية فى سبيل اضطهادها ذهبت أدراج الرياح لمنع
- 
- Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 51-52 .
- أنظر أيضاً : محمود درويش مصطفى . التاريخ الروماني من أقدم العصور حتى بداية العصر الإمبراطورى ، ط . الرياض ٢٠٠٤م ، ص ٣٦٧-٣٦٨
- ١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ط . الاسكندرية ١٩٩٨م ، ص ٣٨ ، معالم تاريخ الإمبراطورية ، ط . الاسكندرية ٢٠٠٠م ، ص ٢٦
- ٢- وسام عبد العزيز فرج ، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٤٦
- ٣- أفضل عرض باللغة العربية عن مسيحية قسطنطين لمجد لدى المؤرخ الراحل الكبير أ . رأفت عبد الحميد . أنظر : رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة ، ج ٢ ، قسطنطين ، ط . القاهرة ١٩٩٩م ، ص ١٠٩-١٤٠
- وهو أفضل مؤرخ عربى تخصص فى التاريخ الكنسى للإمبراطورية البيزنطية وقدم فى هذا المجال ٤ أجزاء من كتابه الدولة والكنيسة . انظر القائمة البيبلوغرافية فى نهاية الكتاب .

إنتشارها، وإجبار المسيحيين على العدول عنها. ورأى الوسيلة الأفضل للاستقرار السياسي . وكذلك دعم النشاط الاقتصادي؛ أن يتم الاعتراف بها ضمن المنظومة الدينية القائمة في الإمبراطورية الرومانية . ولا تغفل ؛ أن ذلك السياسي المحنك؛ أدرك ضرورة مشاركة المسيحيين في بناء الإمبراطورية ، وذلك لن يأتى إلا من خلال روح التسامح . ونبت الأضطهاد الذي لم يهد الإمبراطورية بشئ بل شجع المسيحيين على التمسك بهدياتهم، وسقط الكثيرون منهم ضحية له واعتبروا شهداء حظوا بأكبر تقدير في صفوف مقتنعي تلك الديانة.

أما فيما يتصل بمسحيته ؛ فمن المتصور أنه كان رجلاً سياسياً ، ولم يكن الدين يلعب دوراً بارزاً في تفكيره بل مارس براعة لعبة توازن القوى Balance of Powers؛ فكان مسيحياً مع المسيحيين ، ووثيقاً مع الوثنيين . ويقال أنه اعتنق المسيحية ، وهو على فراش الموت، وإذا صحت تلك الرواية؛ فإنها تؤكد أنه طوال حياته لم يكن مزتماً بها واعتنقها في اللحظة الأخيرة؛

من ناحية أخرى ؛ يلاحظ أن ذلك الإمبراطور تدخل في الخلاف الذي نشأ بين أريوس Arius، وهو أحد رجال الدين المصريين ، وبين أثاناسيوس Athanasius أسقف الاسكندرية، وقد نادى الأول برحمانية الله، وعارض في فكرة مساواة الأبنم الأول والثاني في نطاق الثالوث المقدس الذي يعتنق به المسيحيون.

وقد إجتبه ذلك الإمبراطور إلى معالجة الموقف من خلال دافع سياسي في صورة أن يظل السلام قائماً في ربوع الإمبراطورية، ولذلك؛ عقد مجمعاً كنسياً في مدينة نيقية<sup>(١)</sup> Nicea عام ٣٢٥م شارك فيه (٣١٨) عضواً ، وفيه تم تأييد أفكار اثاناسيوس ، وتكفير أرا. أريوس الذي أمر الإمبراطور بتنفيه

---

١- عن مجمع نيقية انظر:

Diehl, History of The Byzantine Empire, p. 9

Jones, The later Roman Empire, p. 47 Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 44 .

السيد البار العربي، الدولة البيزنطية ٣٢٣-٨١٠م، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ٢٨-٢٩ ، ميشيل جرجس ، الكنيسة المصرية . ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ٧٠-٧١ صبرى أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٤٤-٤٥

ويلاحظ هنا؛ أن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح، وتصارع البعض على الجانبين البشرى والإلهي - كما يتصور المسيحيون ذلك - مثل وكنا ركبنا في تاريخ الفكر الكنسي، وقد استهلك طاقة الامبراطورية في جعل واسع النطاق . ولا أدل على ذلك من أن نفس الامبراطور قام فيما بعد بمعتقد مجمع آخر في صرر<sup>(١١)</sup> Tyre وذلك في عام ٣٣٤م؛ أي قبل وفاته بنحو ثلاثة أعوام تم فيه إلغاء قرارات مجمع نيقية السالفة الذكر . وتم تأييد آراء أريوس Arius ، على نحو عكس أن عصر المؤسس البارز شهد بداية صراعات المجامع الكنسية حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام.

ويلاحظ هنا؛ أن موقف ذلك الإمبراطور، وتدخله في أمور الكنيسة قد بدأ به ما عرف بالقيصرية البابوية Caesarpapism<sup>(١٢)</sup>؛ أي أنه إمبراطور، وأنصف معاً

ولتوضيح ذلك ؛ تؤكد على أن الامبراطور قسطنطين ومن أمى بعده من الأباطرة - وعلى نحو خاص جستنيان<sup>(١٣)</sup>، (٥٢٧-٥٦٥م) - اعتقدوا أنهم أصحاب سلطة مزدوجة فباعثهم

= ويلاحظ هنا؛ أن ذلك المجمع أدى إلى صدور ما عرف بمعتقد الإيمان النقي وتنص على أن الابن مساو للأب في الجوهر Homousius (الهوموسية) وأن الابن مولود غير مخلوق (كما يعتقد قطاع من المسيحيين) وأصبح هذا القانون هو الأساس الإيمانى الأرثوذكسى إلى يومنا هذا على الرغم من التعديلات التى دخلت عليه بصور متعددة . عن ذلك انظر:

رأفت عبد الحسيد ، «سوزومينوس Sozomenus المؤرخ الفزائوى»، ص ١٢١، حاشية (٢٦) . عبد الواحد داود الأحمري، الانجيل والفصلب، قدم له وعلق عليه محمد على سلامة، ط. القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٤

١- عنه أنظر: رأفت عبد الحسيد ، «السر البابوى بين النظرية والتطبيق»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسط ، (١٣) . تحرير قاسم عبد القاسم رأفت عبد الحسيد، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٦٣

٢- عن مصطلح القيصرية البابوية أنظر:

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 148-150. pp. 257-258 .

رأفت عبد الحسيد ، «السر البابوى بين النظرية والتطبيق»، ص ١٦٣

٣- جدير بالإشارة؛ أن جستنيان - الذى سنفضل الحديث عنه فيما بعد- قرر ما نصه : «حيث أن الامبراطورية Imperium، والكنهانة Sacerdotium تنبثق من مصدر واحد، فليس هناك ما يهيم الامبراطور فى المقار الأول إلا خبرة الكنيسة وسمعتها». عن ذلك أنظر: رأفت عبد الحسيد، المرجع السابق، ص ١٦٣ وأيضاً

Vastiev, Op. cit. , p. 148 .

رومان عدوا أنفسهم الورثة التاريخيين والشرعيين للأباطرة الرومان من الناحية السياسية ، ومن الناحية الدينية اعتبروا أنفسهم ورثة الرسل . وقد أطلق المؤرخون على تلك السلطة المزدوجة ؛ مصطلح « القيصرة البابوية » السالف الذكر ، للدلالة على أن ما يمثله البابا في الكنيسة الغربية ؛ يمثله الإمبراطورية في الكنيسة الشرقية ، وهو ما شكل ظاهرة عرفت باسم اللاهوت السياسي Political Theology في تاريخ الديانة المسيحية<sup>(١١)</sup>.

بصفة عامة؛ وضع ذلك الإمبراطور قاعدة اتبعتها الأباطرة الرومان المسيحيون ، أو الأباطرة البيزنطيون وهي رئاسة الإمبراطور للمجامع الدينية<sup>(١٢)</sup>.

جدير بالإشارة ؛ بعد تأسيس مدينة القسطنطينية بمثابة الإنجاز التاريخي البارز لذلك الإمبراطور وهي التي ستغدو بمثابة القلب البيزنطي . وقد فكر في بداية الأمر ، في إتخاذ عاصمة جديدة بدلاً من روما . وقد راوده تفكيره في إتخاذ مسقط رأسه نيش Nish الواقعة في شمالي البلقان ، كذلك تصور في مرحلة أخرى إمكانية إتخاذ مدينة سردبكا Sardica لذلك الغرض؛ وهي المعروفة باسم صوفيا Sophia<sup>(١٣)</sup> ، في نيقوميديا Nicomedia في الطرف الشرقي من بحر مرمرة كعاصمة له<sup>(١٤)</sup> ، غير أن كافة تلك الاختيارات نجاها جانباً ، ومال تفكيره إلى إتخاذ العاصمة في جهة الشرق حتى يتمكن من مراقبة تحركات كل من الفرس ، والعناصر الجرمانية<sup>(١٥)</sup>.

١- عرفان عبد الحميد فتاح: «نصراوية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها» ط. عمان ٢٠٠٠م، ص ٧٥ دراسة ممتازة لباحث ممتاز بالتحليل والعق.

Nicol. A Biographical dictionary, p. 25

٢- شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ت. مصطفى ض. بدر، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص ١٩

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٨-٢٩

٤- شارلز أومان، المرجع السابق، ص ١٩

٥- محمود سعيد عمران ، المرجع السابق، ص ٢٩ ، وعن الجرمان بصفة عامة أنظر:

Tacitus, Tacitus on Britain and Germany, Trans. by H. Muntz, The Penguin Book, London 1954, pp. 101-140. La Monte, The World of the Middle Ages, New York 1949, pp. 36-50.

وبالفعل كان ذلك الاختيار الأفضل مقارنة بغيره من الاختيارات السابقة وأكدت وقائع التاريخ صحته .

وأخيراً : توصل إلى موضوع جغرافى عبقرى فى صورة قرية بيزنتيوم Byzantium التى كان قد أسسها قائد يسمى بيزاس Byzace ومعه مجموعة من إغريق مدينة ميجارا Megara عام ٦٥٧ ق.م<sup>(١)</sup> ضمن حركة الاستعمار الإغريقى الكبرى، وقد اتخذت شكل مثلث تحيط به المياه من ثلاثة جوانب فى صورة البسفور Bosphore، وبحر مرمرة Marmara Sea . والقرن الذهبى Golden Horn.

= Wollant, History of the Goths. Trans. by Thomas J. Dunlop, Berkeley 1901, pp. 19-573

من أفضل الدراسات فى موضوعها أنظر :

Howarth, Attila King of the Huns , The Man and Myth, New York 1994 .

Wells, The Barbarian Speak how The Conquered Peoples Shaped Roman Europe , Princeton 1999 .

Katz The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, New York, 1960 , p. 88-89

إبراهيم طرخان ، تآليف والشعوب الجرمانية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

على القسراوى ، ملحمة البطولة الجرمانية، ط. القاهرة ١٩٧٢م. محمد محمد مرسى الشيخ، الممالك الجرمانية فى أوروبا فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٧٥م.

محمد شاكر محمود، الجرمان ، نظمهم وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٩٣م. ص ١٩-١١٩، ص ١٥٠-٢٣٥

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 57 - ١

محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م. ص ١٣. حاشية

(١٦)

وميجارا Megara: مدينة وقعت فى وسط شبه جزيرة اليونان بالقرب من خليج كورنثا، وفصل ميجارا عن كورنثاجيل جيرانيز Geraniens . كذلك فصلها عن أثينا جبل كيراتا Kerata، وقد عرفت ميجارا سكانا منذ الفترة الموكينية، وتعرضت فيما بعد للغزو الفورى، ويبدو أن الدوريين أطلقوا عليها اسم ميجارا نسبة إلى قصور الميجاريون، وهى على نط معمارى خاص. واشتهر أهل ميجارا بالملاحة، وبالفعل صادروا أوائل الإغريق الذين المجهوإلى إنشاء المستوطنات خلال مركز الاستعمار الإغريقى الكبرى، وقد أقاموا =



جدير بالذكر ؛ أن العاصمة الجديدة وقعت على خط عرض ٤٣ ، وخط طول ٢٩ . وكان خليج البسفور ، وكذلك خليج المردنيل بمثابة بوابتين للمدينة<sup>١١</sup> التي حملت اسم مؤسسها فصار اسمها القسطنطينية Constantinople وقد أعطى لها ذلك الموقع الفريد إمكانية التحكم في حركة السفن القادمة من البحر الأسود والمتجهة إلى البحر المتوسط.

والأمر المؤكد ؛ أن القرن الذهبي مثل أهمية خاصة بالنسبة لتلك الامبراطورية الوليدة. فقبل مرور مياه البسفور في بحر مرمرة وجد هناك من الداخل إلى الشمال الغربي خليج كبير مقوس بلغ طوله سبعة أميال عرف بالقرن الذهبي، وكذلك وجد بين ذلك القرن وبحر مرمرة نتوء جبلي أنبىه شي يثلث متساوي الساقين له رأس مستويه في مواجهة قارة آسيا . وبالتالي: صار البحر يحجبها من كافة الجهات باستثناء جهة واحدة<sup>١٢</sup>.

= مستوطنة ميجارا هيباليا Megara Hyblalia في صقلية تقريباً في عام ٧٢٨ ق.م. ومستعمرة سليمبيا Solymbria على بحر مرمرة عام ٦٦٧ ق.م. ، كذلك أقاموا مستعمرة بيزنطة على البسفور. وقبلها بعد صار أهل ميجارا يتحكمون في تجارة البحر الأسود. عن ذلك انظر: عزت زكي حامد قادوس ، المصطلحات اليونانية والهلنستية ، ط. الاسكندرية ١-٢٠٠١م، ص١١٩-١٢٠ ، محمد كامل عباد ، تاريخ اليونان، ط. دمشق ١٩٩٢م، ج ١، ص١٩٩ ، فوزي مكاي، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته من أقدم عصوره، ص١٤٢ ٣٣٢ ق.م. ط. القاهرة ، ١٩٩٩م، ص٨١ ، حاشية (١٣) ، حسن صبحي بكري، الاغريق والرومان والشرق الاغريقي الروماني، ط. الرياض ١٩٨٥م، ص١٨

Faoulaub, " The Transformation of Athens in The Fifth century". in Boedeker & Raallaub (eds.), Democracy , Empire and the Arts in the Fifth Century Athens, Cambridge , 1998 , p. 18

وعن حركة الاستعمار الاغريقي انظر:

حسن عبد الحميد الأشقر، دراسات في تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربي، ط. بنى غازي ١٩٩٩.

ص٩٩

٢- محمد سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٢٩

٣- جوزيف نسيب يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٤٩

وفي هذا الشأن يذكر إسحاق بن الحسين ( ق. ١٠ / م ٤ هـ ) عن القسطنطينية ما نصه « لها ثلاثة أبواب وجوانب . جانب إلى البحر . وجانب إلى البر بما يلي الروم » عن ذلك انظر إسحاق بن الحسين ، أكله المرجان في ذكر المدن المشهورة في كل مكان ، إجتا ، فهمي سعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص١١٦

فيإذا لاحظنا أن ذلك الموقع «العقري» قد أعطاه مناعة طبيعية تزايدت من خلال الدفاعات الصناعية التي شيدت بها بالإضافة إلى أهلها الذين دافعوا عنها دفاعاً متيناً عندما ادلهمت الأخطار ؛ أدركنا كيف أن تلك المدينة وقفت خاصة في العصرين المبكر والأوسط كقلعة حصينة تنظر بعين السخريّة الساخرة تجاه كل من رام إسقاطها أو نجحت في ذلك على مدى عدة قرون باستثناء حادثتين تاريخيتين سوف يتم تفصيلهما في الصفحات التالية.

من زاوية أخرى؛ أدى ذلك الموقع الجغرافي القذ إلى أن لعبت بيزنطة دوراً محورياً في تجارة عالمي البحر الأسود والمتوسط وتجارة الشرق والغرب وغنمت من وراء ذلك أموالاً ضخمة<sup>(١)</sup> وبالتالي ؛ حققت ثراءً عريضاً اعترفت به المصادر اللاتينية الغربية قديماً بعد<sup>(٢)</sup> . وحسارت موضع حد جيرانها، ودقعت - فيما بعد- ثمناً قادحاً لذلك.

على أية حال ؛ لايفهم من القول السابق؛ أن التاريخ البيزنطي أسير المحتبة الجغرافية ؛ إذ أن تلك الأخيرة لاقيمة لها دون الفعل الإنساني تفاعلاً معها، ومن المؤكد أن شعوب الإمبراطورية التي وصفت بالحيوية والنشاط الاقتصادي الزاخر؛ استثمرت ذلك الموقع الجغرافي لصالحها بوجه عام.

---

= وينبغي ألا يفهم من المزايا المتعددة لموقع القسطنطينية أنها كانت متكاملة العناصر، إذ أن أحوالها المناخية اتسمت بالحر الشديد في الصيف، والرياح الشمالية الباردة في الشتاء عبر البحر الأسود . عن ذلك أنظر: جوزيف نيسم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٤٩

١- تورمان بيتر، الإمبراطورية البيزنطية، ت. حسين مؤنس ومحمود زايد ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص٧-٨

وعن التجارة في الإمبراطورية البيزنطية أنظر

Runciman, Byzantine Civilization, pp 130-142

وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادي عشر ، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٧٧-١٣٠

٢- عن ثراء القسطنطينية أنظر شهيدان من الغرب الأوربي.

Robert Clark, The Conquest of Constantinople , Trans. by E. H. Mc Neal, New York 1936, p 81, p 101

ويتمتع بعض الباحثين الغربيين إلى تصوير دور قسطنطين في إختيار موقع العاصمة الجديدة على أنه يعكس « عبقرية » خاصة ، والأمر - في تقديرى - لا يعدو أن يكون إحياء لموقع جغرافى قديم ، وحسن تقدير . والعبقرية هنا هي فى الأصل عبقرية المكان فى الرتبة الأولى ، ومن بعدها الخبرة الإنسانية حتى عصر قسطنطين .

مهما يكن من أمر : تم إفتتاح العاصمة الجديدة فى ١١ مايو عام ٣٣٠م<sup>(١)</sup> ، وذلك بعد أن تم إتفاق الأموال الطائلة على تشييدها كى تتنافس روما التبر ، وتعرف أن تشييدها استغرق المرحلة من عام ٣٢٤ إلى عام ٣٣٠م ؛ أى على مدى سبع سنوات إلى أن افتتحت فى اليوم المذكور فى احتفال امبراطورى مهيب<sup>(٢)</sup> .

على أية حال ؛ احتوت العاصمة على مرافق مدنية ودينية متعددة فى عصر قسطنطين وإمتد عمرانها إلى درجة كبيرة فيما بعد عهده . وبصفة عامة يمكن إبراز أهم معالم القسطنطينية على النحو التالى :

---

« Villehardouin, The Conquest of Constantinople , in Joinville and Villehard ouin, Chronicles of the Crusades, Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book, 1963 , pp. 58-49 .

ومن المطين أنظر : مجهول : حدود العالم من الشرق إلى الغرب ، ت. عن الفارسية وتحقيق يوسف الهادى . ط. القاهرة ٢٠٧٠م ، ص ١٨٤

١- على الرغم من الاتفاق على أن إفتتاح القسطنطينية حدث فى ١١ مايو ٣٣٠م ، إلا أن نوريش اعتقد أن ذلك حدث فى يوم الاثنين ١٢ مايو ٣٣٠م. وهو مالا يجد من بزيده ، انظر رأيه Norwich, Byzantium , The decline and Fall, New York 2000, p. XXXIII .

أما الرأى الصحاح ليجده لدى :

Runciman, Byzantine Civilization, p. 11

٢- عن ذلك هذه المقالة المهمة :

Emereau, " Notes Sur Les Origines et la fondauon de Constantinople " , R.A.T., XXI, 1925 , pp. 1-25

وأبحث

Diehl, Byzantium, Greeces and Decline, New Jersey 1957, pp. 94-111

اشتملت على القصر الإمبراطوري ؛ وهو مركز المدينة ، ووقع في الجزء الجنوبي الشرقي .  
- تم إقامة الهيبودروم Hippodrome أو ساحة السباق وطل على مرقا القصر . واحتوى على مقصورة عرفت باسم الكاسيسما Kathisma ويطل من خلالها الإمبراطور على الشعب عند مخاطبته له

- ابتداءً من مدخل القصر وساحة السباق إلى امتداد ميلين كان هناك الشارع المسمى « الشارع الأوسط » وهو منع تحف به من جانبيه العقود (البواكي) وكان يمر من خلال سوقين أحدهما سوق قسطنطين الملاصق للقصر ، وفيما بعد ؛ تم إقامة سوق ثيودوسيوس الذي فاقه في المساحة . وفرع في النهاية إلى شارعين رئيسيين كذلك وجد عدد من الكنائس وبكثافة عديدة ومن أشهرها كنيسة القديس جرجيس ، والقديس باكرس .

- لانغفل اللسة الجمالية التي وجدت في القسطنطينية ، حيث أقيمت التماثيل ومن بينها تمثال لأفروديت ، - إلهة الجمال عند الإغريق في حي زيجما الواقع على القرن الذهبي .

- احتوت المدينة على شوارع متعرة ، وأخرى ضيقة ، وفيما بعد اشتملت على القصور القنصية ، والأكواخ الصغيرة ، كذلك الحدائق الفخا .

- أحيطت بسور قوي كان في عهد قسطنطين يمتد من القرن الذهبي إلى بحر حرمره<sup>(١)</sup> .  
ومع تعاقب القرون بعد عصر قسطنطين ازداد عمرانها ، واحتوت على مظاهر للفخامة والعظمة حتى أن السانحين والرحالة الذين قدموا إليها أعجبوا بما شاهدوه فيها<sup>(٢)</sup>

---

Ruticman, The Byzantine Civilization, p.

٢- عن أوصاف الرحالة والجغرافيين المسلمين - على سبيل المثال - للقسطنطينية أنظر ابن الفقيه . كتاب البلدان ، تحقيق يوسف الحادي ، ط. بيروت ١٩٩٦م ، ص ١٨٣ ، ابن خردادبه ، المسالك والممالك ، ط "قاهرة" ١٩٦٩-١١٠ ، ابن رسته ، الأعلام النفسية ، ط. لندن ١٨٩٢م ، ص ١١٩-١٢٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ط. بيروت ١٩٩٢ ، ص ١٧٧ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم ، ط. بيروت ١٩٤٥ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ط. بيروت ١٩٩٨م ، ص ٦٠٤ ، ليلى عبد الجواد ، «القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين» ، المزيخ المصري ، العدد (٣) ، يناير ١٩٨٩م ، ص ١٥١-٢٠٢ ، العدد (٤) ، ص ١٠٩-١٤٥ شمس الدين الكيلاني ، صورة أوروبا عند العرب في العصر الوسط ، ط. دمشق ١٠٤٠م ، ص ٣-٣٠٦

ولاتفعل هنا الإشارة : إلى أن قيام الإمبراطور قسطنطين بالانتقال إلى الشرق وتسيده لتلك العاصمة جعلت بعض المتحسين للبابوية يعتقدون أنه ابتلى بمرض الجفام ، ولم يشف إلا بصلوات من البابا سلفستور الأول<sup>(١١)</sup> Silvester 1 (٣١٤-٣٣٥ م) ، ورددوا أن ذلك الإمبراطور كافأه بإصدار قانون يمنح البابا ليس الشاح. واستعمال الصولجان كالأنباطرة تمامًا ، وحتى لاتأثر السلطة البابوية بوجود الإمبراطور في روما؛ فكر في تركها للبابوية. وقد اشتهر ذلك بما عرف بهبة قسطنطين Donation of Constantine. وهي هبة مزعومة ظلت ذات تأثير طوال العصور الوسطى إلى أن قندها الباحث الإيطالي لورانزو فاللا Loranzo Valla عام ١٤٤٠م من خلال بحث تناولها بالدراسة والتحليل ، حيث قرر أن انتقال الإمبراطور قسطنطين إلى الشرق لادخل له اليته بتلك الهبة المزيفة<sup>(١٢)</sup> . وبالتالي سقطت تلك الهبة

= وعن الرحلة والرحالة الغربيين في الإمبراطورية البيزنطية أنظر هذه الدراسة المتأخرة:

Ciggaar , western Travellers to Constantinople . The West and Byzantium 962-1204 : cultural and Political Relations, Leiden 1996, pp. 1-77 .

وأيضًا

Majeska (G.) , Russian Travelers to Constantinople in The Fourteenth and Fifteenth Centuries, Washington 1984 .

وعن الوصف الطبوغرافي للقسطنطينية وعمرانها أنظر:

Janin, Constantinople byzantine : developement urbain et repertoire Topographie , Paris, 1950 .

١- سلفستور الأول : بابا وقدس . تولى النصب البابوي خلال المرحلة من ٢٩ يناير ٣١٤ إلى ٢٩ ديسمبر ٣١١م إلى ١٠ يناير ٣١٤م. عن ذلك انظر:

Kelly , Oxford dictionary of Popes , pp. 26-28 .

٢- عن هبة قسطنطين أنظر هارتان وباراكلاف . الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى ، ت. جوزيف نسيم يوسف ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م. ص ٥٥

ميلاد المقرحى . تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م. منشورات جامعة قار بونس ، ط. بنغازي ١٩٩٦م.

الأكاذيب بعد أن ظلت سبباً مشرعاً لعدة قرون يسلطه أنصار الباهية ضد أنصار الإمبراطورية.

من ناحية أخرى ؛ نلاحظ عن ذلك الإمبراطور المؤسس روايات تاريخية صاحبها جانب أسطوري. وقام المؤرخ البيزنطي الأول يوساب القيساري Eusebius Caesarensis - كما وصفه البعض - بدور بارز في هذا المجال حيث اعتبره الحواري الثالث عشر للسيد المسيح - كما أسلفت الإشارة من قبل - ومن قبيل تلك التصورات الأسطورية؛ تلك الرواية الشائعة عندما رأى في ليلة من ليالى خريف عام ٣١٢م صليباً من النور مكتوب عليه «بهذا سرف تنصر»<sup>(١١)</sup>، وردد المؤرخون أن تلك الحادثة كانت سبباً في إتخاذه للصلب شعاراً . ومن الجلى البين ؛ أن الوقائع التاريخية لا تفسر بمثل تلك التصورات بل من خلال الدوافع السياسية ونتائجها المتوقعة على المدى القصير والبعيد. خاصة بالنسبة لقيادة بارزة مثل قسطنطين

---

١- ترددت تلك الرواية كثيراً ، وتم الأخذ بها على اعتبار أنها صادرة من يوساب القيساري مؤرخ سيرة حياة قسطنطين. بينما علينا ألا نغفل أن ورودها لديه؛ عكس الطابع الدني الذي أضفاها على الإمبراطور، مع ملاحظة أن ما نسب إليه من قتله لزوجته الثانية. وأبنة يتفان تلك الصيغة الدنيبة التي أراد إضافتها ذلك المؤرخ على سببه .

عن ذلك أنظر: هارولد أبند ساهل، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ت عبد اللطيف أحمد على ومحمد عواد حسين، ط. القاهرة ١٩٥٤م، ص١٣ ، عبد القادر البرسف ، الإمبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص١٣

من جهة أخرى؛ وتضيفاً للفكرة السابقة؛ من الملاحظ أن زوجته الثانية فاوستا Fausta؛ قامت بدور بارز في التآمر على ابنه كريسوس Crispus من زوجته الأولى مينيرفا Minervina وقد اتهمت بأنه هام بها حباً، ولذا قرر قسطنطين بالفعل إعدام ابنه في بولا Pola عام ٣١١م فسات إما بالذبح أو بالسهم، وفيما بعد عندما اكتشف براءة ابنه من ذلك الاتهام؛ فلم ندماً شديداً وشبه له قتلاً ذهبياً نقش عليه عبارة تقول «إلى ولدى الذي أعدته غير حق» أما فارستا ، فقد اتهمت أمه هيلينا انتقاماً من مقتل كريسوس بوجود علاقة مشبهة لها مع أحد العبيد في الاسطبلات الإمبراطورية، وبالفعل ؛ تم قتلها عن طريق البخار المتصاعد الناتج عن غلي الماء.

عن ذلك انظر: إدوارد جيبون ، إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ت. محمد على أبو درة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ج١ ص ٣٨٠ - ص ٣٨١ ؛ عليه الجيزوري ، المرأة في الحضارة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص١٩٨ - ٢٠٠

لقد تأثر بالرؤية البيوسابية المؤرخون في العصر الوسطى وامتد الأمر إلى العصر الحديث وراثاً يعود اسمه على أنه « قسطنطين الكبير »، وانتقل الأمر إلى المؤرخين العرب بالضرورة؛<sup>١</sup> والأمر لا يخلو من زاوية الدعاية التي تفيض بها مصادر تاريخ العصور الوسطى سواء في الشرق البيزنطي أو في الغرب الأوربي على حد سواء.

كذلك لا تخفى أن المؤرخين الذين وقفوا في أسر « كاريزما » البطل المؤسس؛ نظروا إليه بإتباعه؛ فبالفرا في مختلف سياساته ، وأنعكس ذلك بدوره على كتاباتهم التاريخية .

تبقى زاوية محورية عن عهد الامبراطور قسطنطين ، تركت أثراً كبيراً على التراث الروحي خلال العصور الوسطى؛ إذ أن أمه هيلينا Helena<sup>(١)</sup>، زارت مدينة بيت المقدس، ويقال أنها عثرت هناك على بعض الآثار المسيحية المبكرة . وقامت بتشييد كنيسة المهد في بيت لحم . وكنيسة القيامة في بيت المقدس<sup>(٢)</sup> اللتان صارتا أهم المزارات المسيحية في فلسطين طوال العصور الوسطى وحتى عصرنا الحالي.

#### ١- عن دور القديسة هيلانة أنظر:

Eusebius, Extrait From Eusebius life of Constantine , Trans. by John Vernerd , P. P. T.S., vol . I, London 1896, p. 11 .

Kuelzer, " Byzantine and Early Post Byzantine Pilgrimage to The Holy Land Travel, in Macrids, (ed.) Travel in Byzantine World Byzantine World , Builington 2002, . 152-153 .

إسحق عبيد ، قصة عشور القديسة هيلانة على خشبة الصلب أسطورة أم حقيقة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، م ( ١٧١ ) ، عام ١٩٧٠م، ص ٥-٢١ ، عليه الجنزوري ، المرأة في الحضارة البيزنطية، ص ١٢٩-١٣٤ ، هنري كقة، القدس الشريف، ت. نور الدين كنانة، ط. عمان ١٩٨٩م، ص ٥٨ ، حاشية (٢) محمد مؤنس عوض ، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الغروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٦٢، حاشية (٥٠)

٢- كنيسة القيامة Church of Resurrection بنتها هيلانة أم قسطنطين عام ٣٢٥م. عند الجلجثة ؛ وهو الموقع الذي يقال أنه عندئذ تم اكتشاف ما يعتقد أنه خشبة الصلب . ويلاحظ أن الفرس قاموا بإحراقها في عهد كسرى عام ٦١٤م وتمت إعادة بنائها على يد الراهب مروستين عام ٦١٧م . ونسباً بعد؛ عندما قدم الخليفة عمر بن الخطاب إليها عام ٦٣٦م. رفض الصلاة فيها حتى لا يحولها المسلمون إلى مسجد. وقد قام الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ١٠٠٩م بتدميرها وإن عمل ابن الخليفة الظاهر على إعادة بنائها بمعاونة

لقد دعمت هيلانة أمر الحج إلى فلسطين ، ومنذ القرن الرابع الميلادي ، تدفقت جموع غفيرة من الحجاج إلى هناك لزيارة تلك المواقع التي شهدت الذكريات المبكرة للمسيحية ، وفيما بعد ، صارت هيلانة تحمل لقب قديسة ، St. Helena .

بصفة عامة : وصلت إلينا كتابات عدد كبير من الحجاج الأوربيين الذين زاروا تلك البقاع ، وسجلوا خواطروهم ، ومشاعرهم حتى صار أدب<sup>١١</sup> الحج المسيحي وكنا ركناً من أداب العصور الوسطى ، وصار مصدراً أساسياً من مصادر دراسة تلك الحقبة التاريخية التي نشطت فيها الظاهرة الدينية .

مهما يكن من أمر : خلف قسطنطين ، أبناؤه الثلاثة قسطنطين الثاني (٣٣٧-٣٣٨م) وقسطنطين (٣٣٧-٣٥٠م) وقسطانطيوس (٣٣٧-٣٦١م)<sup>١٢</sup> .

= عام ١٨٣٤م ، ولم يتم إصلاحها إلا عام ١٨٦٩م باتفاق فرنسا وروسيا وإشراف الدولة العثمانية ؛ عن كنيسة القيامة أنظر :

Arculfus, The Pilgrimage of Arculfu in The Holy land , Trans . by Machpherson .

P.P.T.S., vol . III, London 1885 , p. 45 .

ناصر خسرو ، سفرنامه ، ت. يحيى الخشاب . ط. بيروت ١٩٨٣م ، ص٧٤-٧٦ ، الإدريسي . نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ط. بيروت ١٩٨٩م ، ص٣٥٨ ، فاروق عز الدين ، القدس تاريخياً وجغرافياً ، ط. القاهرة ١٩٨١م ، ص٧٤-٧٥ ، عماد الدين خليل ، « فلسطين في الأدب الجغرافي العربي » ضمن كتاب ، دراسات تاريخية ، ط. بيروت ١٩٨٣م ، ص١٢٩ ، رشدي الأثهب ، المعالم الأثرية في فلسطين ط. القدس ٢٠٠٢م ، ص٣٩ ، محمود سعيد عمران ، « أركونف ورحلته إلى الشرق ، ندوة : لتاريخ الإسلامى والوسط ، م (٣) » لمحرر قاسم عبد قاسم ورأفت عبد الحيد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م ، ص٢٢٢

وقد تصدّر زياد المدني أنها شهدت في عهد قسطنطين الرابع وهو رأى جانبه الصواب . انظر زياد عبد العزيز المدني ، مدينة القدس ، وجوارها خلال الفترة ١٢١٥م / ١٢٢٥هـ / ١٨٠٠-١٨٢٠م ط. عمان ١٩٩٦م ، ص٢٩٦

٢- محمود سعيد عمران ، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ، ط. بيروت ٢٠٠٢م ، ص٢١ .  
توفى قسطنطينوس وقسطانز ، وهكذا : انفرد قسطنطين الثاني بالسلطة عام ٣٥١م .



ليحكم الإمبراطورية عشر سنوات حتى موته عام ٣٦١م<sup>(١)</sup>، وخلالها : تنامي الخطران الفارسي والجرماني من خلال ظهور قبائل الهون، وإن أمكن تجنب ذلك الخطر مرحلياً من خلال الامبراطور جوليان .

على أية حال : يعد الامبراطور جوليان الملقب - من جانب أعدائه- بالمرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٢م)<sup>(٢)</sup>، من أهم الأباطرة في أسرة قسطنطين وخلال مدة حكمه

١- محمود سعيد عمران، الامبراطورية البيزنطية، ص ٣١

٢- جوليان Julian هو فلاقيوس كلابديوس جولباتوس Flavius Claudius Julianus، وهو ابن أخى قسطنطين الأول، كما أنه ابن عم الإمبراطور قسطنطين Constantius وقد أطلقت عليه الكنييسة تعبير المرتد Apostate، وتولى في شهر يونيو عام ٣٦٢م، عنه أنظر Julian, Works, Trans. by W.C. Wright, 3 vols., London 1913.

Gardiner, Julian Emperor and Philosopher and the last Struggle of Paganism against Christianity, London 1895 .

Ridley Julian the Apostate and the Rise of Christianity, London . 1937

Browning , The Empeor Julian , London , 1975 .

Bowersock , Julian the Apostate, London 1978 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , California 1997, pp. 59-6 .

Jones, The Later Roman Empir, pp. 119-123 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 68-78 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 46-47

Norwich , A short History of Byzantium , Penguin Book, London 1997 , pp. 25-26 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 65 .

رأفت عبد الحميد «مصراع جوليان الفيلسوف الإمبراطور» . ضمن كتاب لطوف دائية مهداة إلى ناصر الدين الأسد، لعمري عبد القادر الرابعي، ط . عسان ١٩٩٧م، ج ١، ص ٤٨١- ٥٣٣ . نورمان بينز . الإمبراطورية البيزنطية، ص ٤١ . هارني برتر . موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط . القاهرة ١٩٩١م.

القصة اتجه إلى إحياء الوثنية من جديد، ويلاحظ تأثره بأفكار الفيلسوف ليبانيوس Lihanius<sup>١١١</sup>؛ الذي نادى بأفضلية الوثنية مقارنة بالمسيحية<sup>١١٢</sup>. وقد اتجه إلى إصدار عدة قرارات من أجل إحيائها فأمر بإعادة فتح معابدها ، وتقديم القرابين للآلهة الوثنية وفي بداية الأمر ، وقف موقفًا وسطًا بين الوثنية والمسيحية، غير أنه فيما بعد : إنحاز للأولى ضد الثانية ؛ فحزل المسيحيين من المناصب العسكرية ، وكذلك المدنية لتحجيم نفوذهم وحتى لا يمثلوا أية أخطار في مواجهة الإمبراطور ، كذلك اتجه إلى إبعاد الصلبان ، وحصر السيد المسيح، والسيدة مريم العذراء عليهما السلام، وجعل بدلاً منهما الرموز الوثنية<sup>١١٣</sup>.

والواقع أن سياسة جوليان كانت بمثابة الصخرة المؤقتة للوثنية ؛ لأنه عسلياً لم يكن من الممكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ، ولم يكن في الإمكان أن يتخلى المسيحيون عن المكاسب التي حققوها من خلال عهد الامبراطور قسطنطين . وانتهت تلك المرحلة المؤقتة التي لم يكتب لها الاستمرار بقتله عام ٣٦٣م<sup>١١٤</sup>.

جدير بالذكر ؛ لم يجد الإمبراطور جوليان من المؤرخين الكتبيين إلا العداء الشديد، ولم يعملوا على إنصافه ، وكالوا له الإتهامات على نحو ضاعت معه حقيقته

١- ليبانيوس . فيلسوف أنطاكي وثني رأى أن الآلهة الوثنية هي التي كانت من وراء صنع مجد روما، وقد تأثر به جوليان وقد اتهم المسيحيين صراحة بأنهم كانوا من وراء قتل ذلك الامبراطور ، عنه . رأت عبد الحميد، المرجع السابق، ص ٥٢٩

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص ٦٥

٣- عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire , pp. 72-76 .

٤- عن ذلك أنظر:

Baynes, " The death of Julian The Apostate in a Christian Legend", in Byzantine Studies and other Essays, Connecticut 1974 , pp. 271-281

يلاحظ أن هناك من قرر أن ذلك الإمبراطور لم يمارس أي نوع من أنواع الإضطهاد التي مارسها من قبل الأباطرة الوثنيون ضد المسيحيين ، وإنما إتبع فقط فكرًا اتفق مع تكوينه الفلسفي في مواجهة المسيحيين حتى أن القديس جيروم لقبه «الاضطهاد النبيل» عن ذلك أنظر:

رأت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، ط. القاهرة ، ٢٠٠٧م، ص ٨٨

على أية حال : تولى من بعده الإمبراطور جوثيان Jovian ٣٦٣-٣٦٤م<sup>(١)</sup> ، الذى لا يذكر له التاريخ سوى عقده هدنة مع الفرس بلغت مدتها ثلاثين عاماً ، وكأنه تصور أن الالتزام بها سيستمر إلى ذلك العدد البالغ فيه من الأعوام ، وقد تنازل لهم عن مناطق في بلاد ما بين النهرين وكذلك أرمينيا<sup>(٢)</sup> ، ومن ناحية أخرى : نجد أنه عاد إلى رعاية المسيحية على حساب الوثنية ، على عكس السياسة التى سار عليها سلفه جوليان من قبل .

يتفق كل من جوليان وجاثيان : فى قصر مدة الحكم وإن اختلفا فى السياسة تجاه الفرس ؛ حيث حاربهم الأول ، وهادنهم على نحو مذل الثانى . كذلك أبد الأول الوثنية وخالفه خلفه بتأييد المسيحية . بصفة عامة : حكم الإمبراطورية خلال الأعوام الواقعة بين عامى ٣٦٤ ، ٣٧٨م الإمبراطور فالنز Valens<sup>(٣)</sup> ، وفى عهده تنامى خطر عناصر القوط الشرقيين الذين

١- تولى جوليان المنصب الإمبراطورى فى ٢٧ يونيو ٣٦٣م وتوفى فى ١٧ فبراير ٣٦٤م ، ويلاحظ أنه اختلف عن جوليان فى بعض الجوانب منها اتجاهه نحو الحمر والنساء ، كما أن تعليمه كان محدوداً وبالتالى اختلف عن سابقه ، ويلاحظ أن جاثيان على الرغم من كونه مسيحياً إلا أنه تسامح مع معتقدات الوثنيين عنه أنظر :

O. D.B., vol 2 , pp. 107 , 1077 . Nicol, ABiographical dictionary, p. 65 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 78 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State . p. 47 .

Jones, The Later Roman Empire , p. 138 . Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , p. 62 . O.D.B., vol 2, p. 1076-1077 .

محمود سعيد عمران ، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها ، ص٣٢-٣٣ : نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة الساسى ، ط١ ، دمشق ٢٠٠٤م ، ص٥٨ نورمان بيتز ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٤١

-٢-

Ostrogorsky, Op.cit., p. 47 .

٣- الإمبراطور فالنز Valens : ولد فى سيلاي Cibulac فى باتونيا Pannonia عام ٢٢٨م ، وبعثا بعد : تولى المنصب الإمبراطورى فى ٢٨ مارس ٣٦٤م ، وكان ضابطاً فى الجيش فى عهده جوليان Julian ، وجاثيان Javian ، وقد تولى بالقرب من أدريانوبل Adrianople فى ٩ أغسطس ٣٧٨م .

O.D.B. , Vol. 3, p. 3149

عنه أنظر

Nicol, Op. cit . p. 134 . Diehl, History of the Byzantine Empire . p. 7

تزايد عددهم وكانوا قد اعتنقوا المسيحية على المذهب الأريوسي وبحسب ما ورد للمطعم، وسع لهم - مضطراً - بعبور نهر الدانوب، وكان ذلك من القرارات التاريخية الثلاثة التي اتخذها ودفع الإمبراطور ثمناً قادحاً في مقابلها

وقد أدى ذلك العبور : إلى استقرارهم داخل ربوع الإمبراطورية ، وقد قرر البعض اعتمادهم بنحو ٢٠٠ شخص وذلك دون حساب ذريعتهم وعبيدهم<sup>(١)</sup>، دون إمكانية التأكد من مثل تلك الأرقام في عصر لم يشهد إحصاءات دقيقة وعندما اشتد بهم الجوع وقد يكون في الرقم مبالغته لكنه - على أية حال - لا يخلو من دلالة تاريخية ، وفيما بعد : إزداد العدد بين الطرفين؛ على نحو أدى إلى وقوع معركة أدرنة في ٩ أغسطس من عام ٣٧٨م<sup>(٢)</sup>، التي أورد وقائعها المؤرخ أميانوس ماركليينوس Ammianus Marcellinus<sup>(٣)</sup>، وهي - بلاريب - من المعارك الحاسمة في التاريخ وقد نتج عنها عدة نتائج يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً : تم إلحاق الهزيمة المروعة بقوات الإمبراطور فالنز، بل قُتل خلالها ثلثي جيشه. وكان القتل كذلك من نصيب الإمبراطور شخصياً

ثانياً : من المقرر أن الرومان لم يصيبوا بهزيمة مروعة في تاريخهم مثل تلك الهزيمة في أدرنة منذ صراعهم مع القائد القرطاجي هانيبال<sup>(٤)</sup>.

١- إسحق عبيد، من ألاك إلى جستنيان، دراسة في حروب العصور المظلمة، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ١٦

٢- عن معركة أدرنة أنظر:

Oman . A History of the art of war in the Middle Ages vol I, London 1927, p. 14-15  
Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 67

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٩-٤٤. وأنت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية، المعقدة والساسة، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٢٤، الدولة والكنيسة، ج ٤، فيودوسيوس وأمبريز، ط. القاهرة ١٩٨٣، ص ٤١-٤٢

حديث بالذكر؛ أن هناك من المؤرخين من تصور أن تلك المعركة فاصلة وتصلح لتكون بداية للعصر "الوسطى الأوروبية"

عن ذلك أنظر جوزيف نعيم يوسف، دراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص ٢٠. تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، ط. بيروت ١٩٨٧م، ص ٢٧

٣- وأنت عبد الحميد، المرجع السابق، ص ١٢٣

٤- شارلز أومان، المرجع السابق، ص ٣٣

ثالثاً : كانت النتيجة المباشرة لمعركة أدونة أن إنجبه القوط الشرقيون الذين انتشروا بخسر النحر إلى مهاجمة القسطنطينية ذاتها، إلا أن حصانتها، ومناعتها، وقفت حائلاً دون إخضاعهم لها ، وهكذا ؛ يمكن القول ؛ أن أسوار تلك المدينة منعت القوط من استئثار إنتصارهم التاريخي وهو أمر تكرر مرات متعددة لأعداء آخرين على مدى عدة قرون تالية<sup>(١)</sup>.

رابعاً : يقرر البعض أن تلك المعركة كانت بمثابة فاتحة عهد جديد بين الجرمان والإمبراطورية؛ فمن قبل كانوا ينظرون إليها بالتقدير والاحترام خاصة مع وجود الفارق الحضاري الشاسع بينهم وبين الرومان، أما من بعد المعركة؛ زاد طموحهم إلى حد كبير ، ورغبوا في الإستفادة من حصاد الحضارة الرومانية<sup>(٢)</sup>.

خامساً : لا ننفل - في معرض عرضنا لنتائج تلك المعركة- الإشارة إلى أنها جاءت مقدمة لمرحلة محورية في القرن التالي فبعدها بأقل من مائة عام وبالتحديد عام ٤٧٦م : تنسقط روما القديمة Roma Antiqua حاضرة نهر التيبر على أيديهم ، ويستبقي روما الجديد Roma Nova أي القسطنطينية بعيدة عن ذلك القصور، لتقوم بدور العنق الاستراتيجي والعاصمة البديلة عن روما التي صارت خاضعة للسيادة الجرمانية .

على أية حال ؛ من الممكن إدراك عدة أحداث ونسبية وضعت من خلال دراسة أسرة قسطنطين وتشمل في تأسيس العاصمة ، والتسامع مع المسيحية ، والارتداد القيصري إلى الوثنية ، ثم الهزيمة الفادحة في أدونه .

أما أسرة ثيودوسيوس وهي مكتملة في أعمالها لأسرة قسطنطين ؛ فقد حكمت خلال الأوام من ٣٧٩ إلى ٥١٨ م ، وبالتالي؛ امتد عهدها إلى قرن، وقرابة أربعة عقود من الزمان، وتوالى عهدها من خلال عدد من الأباطرة في صورة ثيودوسيوس Theodosius (٣٧٩-٣٩٥ م) ، وأركاديوس Arcadius (٣٩٥-٤٠٨ م) وثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠ م)، وممرقيان Marican (٤٥٠-٤٥٧ م) ، وليبر الأول الكبير Leo I (٤٥٧-٤٧٤ م) لير الثاني Leo II (٤٧٤ م) وزينون Zenon (٤٧٤-٤٩١ م) وناستاسيوس Anastasius (٤٩١-٥١٨ م).

١- سيندم ذلك خاصة بعد الدور الذي قام به الإمبراطور ثيودوسيوس حيث عمل على إقامة أسرار مدعمة للأسوار الموجودة من قبل هر ما تنفصله في موضع تالي

٢- وأغت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية، العقيدة والسياسة، ج ١، ص ١٣٠.

والواقع ؛ أن أهم أولئك الأباطرة من حكم خلال المرحلة الممتدة من ٣٧٩ إلى ٣٩٥م وكذلك من ٤٠٨ إلى ٤٥٠م في صورة ثيودوسيوس الأول ، وثيودوسيوس الثاني ومن ثم سيتم تسليط الضوء عليهما نظراً للإنجازات التاريخية التي حدثت خلال عهديهما

وفيما يتصل بالإمبراطور ثيودوسيوس الأول<sup>(١)</sup>؛ نجد أنه ما قام بمواجهة تزايد خطر العناصر الجرمانية بأن عمل على استيعابهم في الإمبراطورية ، ولذا عقد معاهدة مع عناصر الفوط وعلى أساسها ؛ صاروا معاهدين *Foederati* للإمبراطورية<sup>(٢)</sup>، كذلك تم إعتبارها قوة احتياطية للجيش الروماني ، ثم أعطاهم إقليم تراقيا ليتخفوه مسكناً لهم. ولأرب؛ في أن كارثة معركة أدونة كانت ماثلة أمام ناظره على نحو أكد له تزايد خطر العناصر الجرمانية وضرورة التعايش معها ؛ تجنباً لمزيد من الأخطار في المستقبل.

من زاوية أخرى؛ اتجه ذلك الإمبراطور إلى تقسيم الإمبراطور بين ولديه أركاديوس *Ar-cadius* الذي حصل على القسم الشرقي ، وهونوريوس *Honorius* الذي نال القسم الغربي<sup>(٣)</sup>، وهكذا؛ قابله برفاة ثيودوسيوس الأول عام ٣٩٥م انفصل الشرق عن الغرب، وصار كل في سار تاريخ مختلف عن الآخر.

١- ثيودوسيوس الأول ؛ كان أسياناً تفوق في ساحات الوغى. وقد عينه الإمبراطور جراتيان *Gratian* عام ٣٧٩م بمثابة إمبراطور مشارك . وقد حكم خلال المرحلة من العام المذكور حتى عام ٣٩٥م حيث توفي في ميلان بإيطاليا وتم نقل جثته إلى القسطنطينية عنه أنظر

Nicot, A Biographical dictionary , pp 124-125 .

Vasiliev, History of the Byzantine State, pp. 48-50 .

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧١

حنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٤١

داوني ، أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير ، ت. اليرت بطرس ، ط . بيروت ١٩٦٨م.

٢- عن ذلك انظر

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 48

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 88 .

Ostrogorsk , Op. cit., p. 49

حنين ربيع ، المرجع السابق، ص. ٤٢

نعيم فرج ، تاريخ بيزنطة السياسي، ص. ٦٠

وفي عهد ثيودوسيوس : حدث تطور حاسم في تاريخ الديانة المسيحية عندما إتخذها الديانة الرسمية للإمبراطورية ؛ وبذلك تأكد لنا : أن المسيحية مورت بثلاث مراحل على مدى أربعة قرون : الأولى مرحلة الإضطهاد ، ثم مرحلة التسامح والاعتراف بها كديانة من الديانات الموجودة في الإمبراطورية، ثم التحول إلى أن تكون الديانة الرسمية ، وقد صدر في عهد ثيودوسيوس مرسوم إمبراطوري يحظر على معتنقي العقائد الوثنية أن يظهرأو شعائهم الدينية ، وفرض عقوبات وادعة من أجل العمل على مقاومة الوثنية ومتاصرة المسيحية<sup>(١)</sup> وبذلك قام بخطوة جديدة لم تكن لدى الإمبراطور قسطنطين من قبل.

من ناحية أخرى؛ إنجبه إلى عقد مجمع كنسى عرف بمجمع القسطنطينية عام ٣٨١م<sup>(٢)</sup>، وأعلن فيه بصورة نهائية عدم مشروعية الآريوسية وبالتالي حاربها في أنحاء الإمبراطورية ، وهكذا ؛ يتأكد لنا ؛ أن عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول يعد مكملاً ومتشابها مع عهد المؤسس البارز قسطنطين ، وعلى نحو خاص في الناحية الدينية من خلال دعم المسيحية ، وكذلك عقد المجمع الكنسي لمناقشة الخلافات الدينية بين الفرق المسيحية المتصارعة.

أما عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني<sup>(٣)</sup> (٤٠٨ - ٤٥٠م)؛ فإن أهم ما حدث فيه يشتمل

١- عن إنجاء ثيودوسيوس الأول إلى إتخاذ المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية أنظر:

Angold , Byzantium The Bridge From Antiquity to the Middle Ages, London 2001, p.4

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 82

باور ، الرومان، ت. عبد الرازق بسري، ط. القاهرة ١٩٦٨م. من ١٩٢-١٩٣

٢- عنه :

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 9

٣- ثيودوسيوس الثاني؛ لم يكن قد تجاوز السابعة من عمره عندما توفي والده أركاديوس في يناير عام

٤٠٨م فتولى الوصاية عليه انتيموس وزير والده. ومن بعد ذلك أخه بروكيريا ، وقد تزوج فيما بعد من اثيناسي بودوكيا عام ٤٥٠م. عنه أنظر:

Diehl , History of The Byzantine Empire , p. 10 .

Osrogorsky, History of the Byzantine State, p. 51, p. 55 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 66, p. 96 .

Nicol. A Biographical dictionary, pp. 126-126 .

فى الإسهام القانونى البارز ؛ حيث أصدر عام ٤٢٨م. مجموعة قانونية وهى التى عرفت باسم Codex Theodosianus<sup>(١١)</sup> التى يراها الباحثون حدثاً مهماً فى تاريخ التشريع الرومانى فى مرحلة ما قبل جستنيان. قد دلت على ما حققته المسيحية من تأثير فى مجال التشريع ، وكذلك فى الحياة الاجتماعية<sup>(١٢)</sup>.

جدير بالذكر؛ احتوت تلك المجموعة على التشريعات القانونية التى صدرت منذ عهد الامبراطور قسطنطين حتى تلك التى أصدرها ثيودوسيوس ، ويلاحظ أنها كانت مصدرًا مهمًا من المصادر القانونية التى اعتمد عليها الإمبراطور جستنيان<sup>(١٣)</sup> فى مرحلة تالية من التاريخ البيزنطى.

ولانفغل هنا ؛ أن تلك التشريعات صدرت خلال مرحلة الفزود الجرمانى لمناطق الغرب الأوروبى وبالتالى أثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة على التشريعات الجرمانية التالية مثل قوانين القوط ويلاحظ أن جميعها كما قرر أحد المزيخين البارزين إصطبغت بالصبغة المسيحية<sup>(١٤)</sup>.

بصفة عامة؛ من الملاحظ أن الأباطرة البيزنطيين الذين اهتموا بالجانب القانونى. كانوا أكثر بقاءً فى التاريخ على المستوى الحضارى من أولئك الذين اهتموا فقط بعالمى الحرب والسياسة وتلك ملاحظة جديرة بالاهتمام فى دراسة التاريخ البيزنطى. مع عدم إغفال حقيقة محورية وهى أن هناك أباطرة قلائل اهتموا بالجانبين ؛ أى بالقانون والحرب والسياسة ، على نحو ضمن لهم المكانة الأكثر فعالية فى مسار ذلك التاريخ الحافل بالأحداث.

كذلك تم فى عهد ثيودوسيوس الثانى حدث مهم على الصعيد الحربى الاستراتيجى فى صورة إقامة أسوار جديدة للقسطنطينية امتدت من بحر مرمرة حتى القرن الذهبى نحو ميلين غربى السور القديم الذى شيد من قبل وقد حدث ذلك عام ٤١٣م. بعد خمس سنوات فقط من تولى ذلك الإمبراطور العرش ؛ مما عكس إدراكه لأهمية تشييد ذلك السور خلال تلك المرحلة

١- حنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص. ٥٠ ، حاشية (٧٠)

Vasiliev ,p. 101

٢- نفسه ، نفس الصفحة والحاشية.

٣- نفسه ، نفس الصفحة والحاشية.

٤- نفسه ، نفس الصفحة والحاشية (٧)



المبكرة من عهده . دُعِمَ الأمر من خلال إقامة أسوار بحرية عام ٤٣٩م<sup>(١)</sup>، انصلت بالأسوار البرية السالفة الذكر، ولا ريب ؛ في أنها دعمت دفاعات القسطنطينية . وصارت في مأمن من غزواتها على تعددهم، وقوتهم ، وعلى مدى عدة قرون تالية.

واقع الأمر ؛ من الممكن القول أن ثيردوسيوس الثاني بخلك الأعمال العمرانية البحرية الدفاعية ؛ ساهم بصورة كبيرة في تدعيم القلب البيزنطي فظل ينبض بالحياة قرون تالية دون أن يسقط في قبضة أعدائه، وذلك دون إغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال، كوجود الأباطرة الأقرباء، واستبسال البيزنطيين في الدفاع عن عاصمتهم ونحو ذلك.

لاتغفل كذلك أنه خلال عهده حدث تطور مهم في صورة صدور قرار تنظيم جامعة القسطنطينية عام ٤٢٥م التي كان لها دورها في الحياة العلمية البيزنطية وهو قرار محوري أثر على تاريخ بيزنطة الحضارى لعدة قرون تالية

على أية حال ؛ في عهد الإمبراطور زنون (٤٧٤-٤٩١م) حدث تطور على جانب كبير من الأهمية في مسار الغرب الأوروبي في العصور الوسطى في العصور الوسطى . في صورة سقوط روما على أيدي الجرمان وذلك في عام ٤٧٦هـ ، وقد تزعم الجرمان القائد ادواكر Odauacer ، الزعيم الجرمانى لقبائل الهرول Heruls ، والروجيين Rugians ولم يكن الإمبراطور الرومانى الأخير رومولوس أوجستيلوس Romulus Augustulus<sup>(٢)</sup>

#### ١- جوزيف نسيم يرسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٧٢

ويلاحظ أن تلك الأسوار لم يكتمل تشييدها إلا حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى . ومنها سور ارتفاعه بلغ ١٢ متراً وتم تزويده بـ ٩٦ برج صراقية، ومن ورائه جدار سور ثانى ارتفاعه ١٠ أمتار واحتوى هو الآخر على ٩٢ برجاً كما تم حفر خندق عميق تراوح عرضه بين ٥ ، ٧ أمتار . ومن بعد ذلك كان هناك سور ثالث.

عن تفصيل تشييد تلك الأسوار أنظر:

مسعود حميد عمران ، « تحصينات مدينة القسطنطينية في مواجهة الغزوات الخارجية »، بحث ألقى في ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار ، وإتقاد المؤرخين العرب، "قاهرة ٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م.

Whitow, The Making of Byzantium 600 . 1025, Los Angeles 1996, p. 426 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 125 .

٢- رومولوس أوجستيلوس تولى العرش الإمبراطورى خلال المرحلة من ٣١ أكتوبر ٤٧٥م إلى ٢

(٤٧٥-٤٧٦م) الذي يصلح لمراجعة الأحداث الخطيرة التي واجهت الإمبراطورية حينذاك، ومن المهم هنا الأخذ بذات التصور الذي قال به المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي Arnold Toynbee صاحب نظرية التحدي والاستجابة Challenge and Respons التي أوردتها في كتاب دراسة التاريخ Asudy of History عندما أدرك أن إدواكر ليس له الادعاء بأنه صاحب إسقاط روما ؛ لأنها سقطت من الداخل قبل الخارج بعد أن إنهار نظامها السياسي ومعه البناء الاقتصادي والاجتماعي، والإداري.

جدير بالذكر؛ طلب ذلك القائد الجرمانى من الإمبراطور زينون الموافقة على وضعه السياسى الجديد فى الغرب الأوروبى لكن الإمبراطور البيزنطى لم يكن ليقبل ذلك؛ لإعتقاده بأن النظرية السبابة الرومانية لم تكن لتقبل سوى إمبراطور واحد لإمبراطورية واحدة.

لانغفل أن تلك النظرية؛ ستكون بيزنطة ثمتاً باهظاً من الرجال، والأموال والوقت والجهد على الرغم من أن أحداث التاريخ كانت تتغير من حولها، وإذا بها نصر على ثبوت تلك التصورات !! ولذلك لم تكن لتقبل باستمرار التغير الذى حدث على أرض القرب الأوروبى، ومن هنا ؛ كان تدخلها فى قلب قضاياء دعماً لتلك النظرية السالفة الذكر.

مهما يكن من أمر؛ فى عهد آخر إمبراطور من أباطرة أسرة ثيودوسيوس ؛ ونعنى به أناستاس (٤٩١-٥١٨م) حدث إنقلاب عسكرى من جانب أحد القادة هر جستين، وتمكن من خلاله من الوصول إلى العرش الإمبراطورى .

وجدير بالإشارة ؛ أن ذلك المشهد تكرر كثيراً فى التاريخ البيزنطى، فكلما ظهر فى الجيش البيزنطى قائد بارع رفعه إنتصاره العسكرى إلى عليين ؛ دفعه ذلك إلى التطلع إلى المنصب الإمبراطورى الوقح الشأن، وفيما بعد؛ حكم الإمبراطورية قادة عسكرون «دياجوجيون»

= ٤ سبتمبر ٤٧٦م . ومن المعتدل أنه ترقى بعد عام ٧ ٥ أو ٥١١ م . وكان قد أعلن كاثوليكسى - Au- gustus من جانب والده أوريستس Orestes الذى عمل بمثابة السكرتير السابق لأثيلا Atila .

عنه أنظر

(O.D.B., vol. III, p.1812 . Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 267

وعن سقوط الإمبراطورية الرومانية أنظر هذه الدراسة المتخصصة محمدر المحمدي باللغة العربية، وقوة فى سقوط الامبراطورية الرومانية . ط . القاهرة ١٩٩٣م .  
وهي دراسة قيمة لم تتل اهتماماً يليق بها من الباحثين

عملوا على إثارة مشاعر الجماهير من خلال الانتصارات العسكرية ، وهكذا ؛ ندرك أن الجيش البيزنطي كان قادته أحياناً على استعداد لدخول معترك السياسة ، ولم يكن لهم مزل للذلك سوى الحرب والتفوق فيها ودغدغة مشاعر الجماهير الملتهبة بنتائجها المظفرة ومن أمثلة ذلك ما حدث خلال عهد الأسرة المقدونية حيث تورط أمرها بعض القادة العسكريين على نحو كشف عن دور المؤسسة العسكرية البيزنطية في صنع تاريخ تلك الإمبراطورية وبصورة عكست صعوبة الفضل أحياناً بين السياسة والحرب في ذلك التاريخ المخاض بالأحداث.

يبقى أن نذكر عن أسرة ثيودوسيوس أن الإمبراطور أناستاسيوس الأول (٤٩١-٥١٨م) عمل على تجديد أسرار القسطنطينية عام ٤٩٧م من أجل تأمينها في أعقاب هجوم الجرمان على البلقان عام ٤٩٣م<sup>(١)</sup> ؛ مما عكس أن أكثر من إمبراطور شارك في ذلك

وعند المقارنة بين أسرة قسطنطين وثيودوسيوس نجد أنهما تمثلان مرحلة تاريخية واحدة، ومتراصة، ولاريب في أن أسرة ثيودوسيوس تعد امتداداً طبيعياً لأسرة قسطنطين ، فإذا كان الأخير شيد القسطنطينية وأوقف الاضطهاد الذي لحق بالمسيحية ، فإن ثيودوسيوس الأول جعلها الديانة الرسمية للإمبراطورية ، وقام ثيودوسيوس التالي بتدعيم حصانتها ، على نحو أكد التراصل بين الأسرتين.

كذلك لا ننفل اهتمام المؤرخين القدامى ومن بعدهم المؤرخين المحدثين بـقسطنطين من خلال أعماله ؛ فاق اهتمامهم بالإمبراطور ثيودوسيوس الأول على الرغم من أن كلا منهما من مزسى الأسرات البيزنطية الحاكمة، ولا ننفل أيضاً ؛ أن الأول أحيط بهالة من التقديس أما الثاني فلم يتوافر له ذلك.

من ناحية أخرى ؛ من الملاحظ أن أسرة ثيودوسيوس تميزت باهتمام إمبراطورها ثيودوسيوس الثاني بالجانب القانوني، كذلك هناك إصداره قراراً بتنظيم جامعة القسطنطينية؛ مما انعكس بدوره على النظم التعليمية البيزنطية فيما بعد؛ فإذا أضفنا إلى ذلك جميعه دعمه لدفاعات المدينة وهي التي ظلت العامل الأول في مواجهة أعدائها؛ أدركنا أهمية تلك الأسرة في التاريخ البيزنطي.

ذلك أمر أسرتي قسطنطين ، وثيودوسيوس ودورها في العصر البيزنطي المبكر؛ أما الصفحات التالية، فيتم فيها تناول أسرة جستنيان.

١- وسام عبد العزيز فرج ، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٤٧.

## ثانيًا : أسرة جستنيان (٥١٨-٦١٠م)

نتناول في الصفحات التالية؛ بالعرض أبرز الأحداث التاريخية التي وقعت خلال عهد أسرة جستنيان ؛ لتكوين رؤية موضوعية عن حجم الإنجاز التاريخي الذي تحقّق حينذاك ، وتقويمه بين الإيجابيات ، والسلبيات وذلك ضمن المسار العام للتاريخ البيزنطي.

لقد تولى العرش الإمبراطوري من تلك الأسرة ٦ أباطرة هم: جستين الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧م) وجستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م) ، وجستين الثاني Justin II (٥٦٥-٥٧٨م) ، وتيسيريوس الأول Tiberius I (٥٧٨-٥٨٢م) ، وموريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) ، وفوكاس Phocas (٦٠٢-٦١٠م) ، قد امتد عمر تلك الأسرة (٩٢) عامًا .  
على أية حال ؛ تولى جستين حكم الإمبراطورية خلال الأعوام من ٥١٨ إلى ٥٢٧م وعاونه ابن أخته جستنيان الذي كان على مستوى أفضل من التعليم ، وبعد انقضاء حكم جستين تولى الأمر الأخير حتى عام ٥٦٥م<sup>١١</sup>.

مهما يكن من أمر ؛ هناك عدة مشكلات تواجه الباحث عند التصدي لأعمال جستنيان على نحو خاص يمكن إجمالها في الآتي :

أولاً وجود مصادر تاريخية معلنة، وأخرى سرية عن عهده ومن أمثلة الأولى؛ ما ألفه بروكوبيوس Procopius وكذلك يوحنا الليدي John Lydus ، ومن أمثلة النوع الثاني من المؤلفات ما ألفه بروكوبيوس نفسه تحت عنوان التاريخ السري، وهكذا نجد روايات تاريخية متناقضة ومختلفة لمؤرخ واحد عن نفس الإمبراطور !!!

### ١- عن عهد الإمبراطور جستنيان بصفة عامة أنظر

Procopius, Secret History, Trans. by Richard Atwater, Michigan 1961

Holmes, The Age of Justinian and Theodora , 2 vols., London 1912 .

Ure, Justinian and his age , London 1951

Moorhead . Justinian , London 1994 .

Browning, Justinian and Theodora, London 1987

Evans , The Age of Justinian, the circumstances of imperial Power, London 1996 .

است غنيم ، إمبراطورية جستنيان، ط. جدة ١٩٧٧م ، محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي عصر جستنيان، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب- جامعة القزوين ١٩٨٥م.

ثانيًا : ظهر في عهد جستنيان تأثير قوى الحراء البيزنطية في صورة زوجته الإمبراطورة ثيودورا Theodora<sup>(١١)</sup> التي - وفق ما أورده - بروكيبيوس كانت من أصول اجتماعية وضيفة، وعملت كراقصة وانحرفت وتزوجها الإمبراطور ، وتمتعت بإرادة قوية ، وذكاء حاد وبصفة عامة لا يمكن الفصل بين الإمبراطور وتأثير زوجته عليه حتى وفاتها عام ٥٤٨م. على امتداد ٢١ عامًا ؛ أي أكثر من نصف مدة حكمه ، ومن بعد ذلك العام المذكور حتى وفاته عام ٥٦٥م من الممكن القول بإطمئنان أن جستنيان حكم منفردًا بعد أن حطمه رحيلها على مدى ١٨ عامًا هي السنوات العجاف على مستواه الشخصي

بصفة عامة ؛ من الممكن إجمال أهم أحداث عصره على النحو التالي.

أولاً : ثورة النصر Nika عام ٥٣٢م.

ثانيًا : حروبه ضد العناصر الجرمانية .

ثالثًا : النهضة القانونية والعمرانية

رابعًا : السياسة الدينية.

خامسًا : الكوارث الطبيعية. سادسًا : الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في عهده.

١- ثيودور : زوجة جستنيان ، كانت في الأصل ابنة سائر في إحدى الحانات التي وجدت في الهيبودروم (ساحة السباق) وعاشت حياة ماجنة خليعة ، وسافرت إلى ليبيا ، وكذلك مصر ، وعهدًا الاسكندرية. وقبل أنه كان لها ابن غير شرعي ، وعملت على إيواء التائبين من بالوعات الهرق البيزنطيات. وقد ماتت بمرض السرطان في ٢٨ يونيو عام ٥٤٨م. ويقال أن وفاتها أدت إلى أسوأ الأثر على نفسية جستنيان ، وافقد القدرة على الابتكار كما قرر دونالد نيكول . عن ثيودورا بالتفصيل أنظر:

Procopius . pp. 20-31

Evans , The Empress Theodora Partner of Justinian, Texas 2002. pp. 13-119

Nicol, A Biographical dictionary . p. 120

Hussey , The Byzantium World , New York 1961 . p. 21

Id., Theodora , Empress of Byzantium . Trans. by Samuel R. Rosenbaum, New York 1972, pp. 45-147

Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 20-22 .

Evans. Procopius , New York 1972 , p. 128 .

حبيب جاماني. ثيودورا المثلة المنجزة ، ط. القاهرة ب-ت

أيضًا : بول ولسمان. ثيودورا . جزان ، ط. بيروت ١٩٩٥م

وفيما يتصل بالعنصر الأول، وجد في العاصمة البيزنطية حزبان سياسيان: حزب الزرق وحزب المخضر . وقد تنافسا، كما أن الإدارة الإمبراطورية اشتدت في فرض الضرائب على المعاصرين . وفيما بعد : اتحد الحزبان المذكوران للثورة ضد جستنيان وقامت أحداث شغب واسعة النطاق في العاصمة البيزنطية وتمكن الثوار الذين قدر عددهم بعشرات الآلاف من هزيمة قوات الإمبراطور .

وعندما اضطرت الأمور خلال أحداث إنذلاع الثورة على مدى الأيام من ١١ - ١٩ يناير ٥٣٢م<sup>(١)</sup>؛ فكر الإمبراطور في أن يلجأ بالفرار ، إلا أن زوجته ثيودورا التي امتلكت إرادة قوية، ورغبة صادقة في قبول التحدي، قالت له عبارات حاسمة حازمة « ما من إنسان يأتي إلى هذه الدنيا إلا ومصيره الموت في النهاية. ومن يمارس السلطة لا يطبق الحياة في المنفى، فإذا أردت أن تنجو بنفسك أيها الإمبراطور فليس ثمة ما يمنعك من ذلك . وهاك البحر والسفن والأموال تريت قلباً ، وسل نفسك . ألا تندم على فراقك، ووصولك إلى ملاذ آمن فتد أن لو كنت أثرت الموت على النجاة بالهزيمة ؟ أما أنا فباقية هنا والحلة الملكية الأرجوانية هي عندي أجمل الأكفان »<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت لتلك الكلمات التأثير البارز على الإمبراطور الذي استمد منها طاقة للمقاومة، ومن المفترض أن ثيودورا نظراً لأصولها الاجتماعية الفقيرة كانت أقدر على التعامل مع تلك الثورة التي دامت ثمانية أيام عاصفة تعد من أصعب الأيام في حياة ذلك الإمبراطور على مدى سنوات حكمه فيما بين ٥٢٧-٥٦٥م<sup>(٣)</sup>.

على أية حال : تمكن الإمبراطور من مواجهة تلك الأحداث العاصفة . وساعده على ذلك: حدوث إنشقاق في صفوف الثوار ، حيث استطاع رئيس الحشيمان ويدعى ناريس من إشماله زعماء حزب الزرق بالأموال ، ولذلك طالبوا أنتصارهم بالترقف عن المشاركة في تلك

١- تعبير فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ١٢٧، وعن ثورة النصر أنظر:

Barker, Justinian and the Later Roman Empire, Wisconsin 1966, pp. 82-91

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 154-157

رأفت عبد الحميد ، « الثورة الشعبية في القسطنطينية ٥٣٢م »، ضمن كتابه بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٩٩-٢٤٩ . وهي الدراسة العربية المتخصصة عن الموضوع

٢- عن ذلك النص أنظر: تعبير فرح . المرجع السابق، ص ١٢٧

الأحداث<sup>(١)</sup>، كما لا بد من الإشارة ، إلى دور بارز للقائد بلزارايوس Belisarius<sup>(٢)</sup> الذي تمكن ومعه قواته من القتل بقسوة بالآلاف الشوار الذين دفعوا حياتهم ثمنًا للثورة ونظر المؤرخون الرسميون إليهم على أنهم مجرد مشيرى شغب. على اعتبار أن التاريخ دومًا يكتبه المنتصر.

في نهاية المطاف؛ أصبحت ثورة النصر بالهزيمة؛ ومن بعدها شدد الإمبراطور قبضته على العاصمة من أجل تجنب تكرارها في المستقبل بعد أن لقنته درسًا قاسيًا

لأرب في أن الأهم العصبة السالفة الذكر كان لها أثرها على الأعرام التالية من حكم جستنيان ، ويرى البعض أن هناك عدة نتائج نجمت عن ثورة النصر.

فقد أدى فشلها إلى انتصار الأوتوقراطية وتدعت سلطة الإمبراطور بينما - من جهة أخرى - أصيبت الأحزاب السياسية بالشلل<sup>(٣)</sup>، كما أن 'لمن البيزنطية قد فقدت الحرية المدنية، والمنظمات البلدية التي كانت موجودة في مدن الامبراطورية الرومانية القديمة'<sup>(٤)</sup>.

كذلك أكدت وقائع تلك الثورة أهمية دور الشعب البيزنطي الذي كان يثور أحيانًا عندما يتعرض لضغط اقتصادي زائد خارج عن قدرته على تحمله .

= وعن موقف ثيودورا من تلك الثورة أنظر :

Evans, " The Nika Rebellion and the Empress Theodora", B. vol. L.IV , 1984 , pp. 380-387

١- نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي، ص١٣٦

٢- بلزارايوس : قائد عسكري خبير عمل في خدمة الإمبراطور جستنيان وهناك من يقر أنه كان الخاطئ لأغلب المعارك التي مكنت ذلك الإمبراطور من استرداد عدد من الأقاليم من أيدي الجرمان. خلال المرحلة الأولى من حروب الاسترداد . ويلاحظ مواجهة لعدد من الصاعب . من ذلك انهزامه بالخيانة، ولم ينقذه من ذلك سوى الإمبراطورة ثيودورا التي كانت صديقة لزوجه، ومن بعد وفاة ثيودورا انقلبت الأمور في غير صالحه، وتولى نارسيس قيادة الجيش وقاعد بلزارايوس وإن تم استدعاؤه فيما بعد لقتال الهون عام ٥٥٩ م . على أية حال ؛ توفي في مارس ٥٦٥م. وقد نسجت حوله عدة روايات من جانب البيزنطيين ، عنه أنظر :

Procopius , pp. 5-9

Nicol , Biographical dictionary, p. 19 , Diehl, History of the Byzantine Empire, p.20, p. 22 .

٣- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص١٣٢

٤- نفسه، ص١٣٢-١٣٣

أما التأثير الأكبر - فى تصورى - الذى أحدثته ثورة النصر عام ٥٣٢م، فقد غشلت فى السياسة الخارجية ، فمن أجل أن يصرف الإمبراطور الشعب البيزنطى عن المشكلات الداخلية وليرجعه تحت شعار واحد وحلم جماعى يتمسك به فى النفوس جميعها ، اتجه إلى اتباع سياسة توسعية على المستوى الخارجى ، مع ملاحظة أن جانباً من تلك السياسة وقع من قبل أحداث تلك الثورة اتجه إلى نفس الوجهة ، لكن ثورة النصر دعمت ذلك التصور بقوة.

من ناحية أخرى؛ أكدت وقائع الثورة أهمية دور الذى لعبه بلزارىوس فى إخضاعها، ولأربع فى محورية دوره بصفة عام خلال عهد الإمبراطور المذكور على الرغم من أن المؤرخين الرسميين وكثروا اهتمامهم على وأس السلطة ولم يعطوه التقدير الجدير به وشبه دوره دور أسد الدين شيركوه فى عهد نور الدين محمود فى القرن ١٢م<sup>(١)</sup>.

أما حروب جسنيان ضد القبائل الجرمانية<sup>(٢)</sup> ، فقد اتسعت حباتها ؛ حيث استقرت عناصرهم فى عدة أقاليم، فالقوط الشرقيون استقروا فى إيطاليا ، والقوط الغربيون فى أسبانيا<sup>(٣)</sup> ، والفرنجية فى غالة (فرنسا) ، والأنجلو سكسون فى إنجلترا ، والوندال فى

١- نعم فرج، تاريخ بيزنطة السياسى . ص ١٣٣

٢- عنه أنظر:

ابن الأثير، الكامل، ج ١١ ، ص ١٢١

محمد مزنى عرض . فى الصراع الإسلامى - الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ١١٤٦ - ١١٧٤ م. ط. القاهرة ١٩٩٨م. ص ٨٩-٩٩ . أحمد الببلى ، حياة صلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة، ١٩٤٦ م. ص ٨٤ . حسن ابراهيم، الفاطميون فى مصر ط. القاهرة، ١٩٣٢م. ص ٣٠٣

٣- أورد هنا توجهه نظر القارئ إلى عدم استعمال كلمة «البرابرة» فى وصف الجرمان ، ويلاحظ أن تلك الكلمة تنطلق من المركزية الأوربية . ونحو نوعاً واضحاً من التجيز . حقيقة أن الجرمان قاموا بمنازع وأعمال تغريب واسعة ؛ لكن ماذا عن الصليبيين الذين اتوا من بعدهم بعد قرون وقاموا بمنازع أشد منهم ولم يوصفوا بالبرابرة ؟! أورد التأكيد على ازدواجية المعايير لدى المؤرخ الغربى انحدث فى نظرتهم للفرنجيين الجرمان والصليبيين، وإنعازهم للفرنج الأخر . وعن الوصف الأول انظر الفصل الذى خصه نورمان كانتور تحت عنوان: "The age of Barbarian invasions"

نورمان كانتور ، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية . ت. قاسم عبد قاسم . ط. القاهرة ١٩٩٧م. ج ١. ص ١٤٥-١٨٢



شمالي أفريقيا<sup>(١)</sup>، وكانت مواجهة كافة تلك القرى بالإضافة إلى الفرس؛ يعنى أن تتسع مباديّن المعارك التى على بيزنطة أن تخوضها خاصة مع توزعها بين أوروبا، وأفريقيا، وآسيا أى بقاع مختلفة من العالم القديم وهو أمر كان خارج إمكانياتها بطبيعة الحال.

على أية حال ؛ هناك عدة ملاحظات أساسية من الضرورة إبرادها عن صراع بيزنطة مع الجرمان وهى كالآتى :

أولاً ؛ لم يرد جستنيان أن تخلد اسمه القوانين والمنشآت المعمارية فقط، بل إنجه إلى ليكون حاكماً على روما حاضرة نهر التيبر، وبالتالي تخضع له روما القديمة ، والجديدة معاً والأخيرة هى القسطنطينية على ضفاف البسفور . وقد دفعه إلى ذلك ثلاثة عناصر فى صورة تقاليد الحكم الأتوقراطى الإمبراطورى ؛ كذلك لانغفل تقاليد البلاط البيزنطى الذى ساهم تفديس الإمبراطور، وجعله نائباً للسيد المسيح ، ثم حدث الطموح غير المحدود الذى انصف به<sup>(٢)</sup>.

ثانياً ؛ كانت حروب جستنيان ضد عناصر القوط الشرقيين فى إيطاليا<sup>(٣)</sup>؛ وهى التى عرفت بالحروب القوطية مجبهة إلى حد كبير من الناحية العسكرية، وقد استمرت أمداً طويلاً، واحتاجت الإمبراطورية إلى ثلاثين عاماً- أى معظم سنوات حكم جستنيان البالغة ٣٨ عاماً ؛

٥- عن حروب جستنيان ضد القوط الغربيين فى أسبانيا أنظر :

Collins, Visigothic Spain 409-711, in Carr (ed.) Spain, A History , Oxford 2000, p.50 .

١- عن حروبه ضد الوندال أنظر :

Procopius of Caesarea, the Vandal War, in Evans, Procopius, New York 19 , pp.47-51 .

Procopius , The Vandalic War, Trans .by Dewing, Cambridge 1968.

أنظر أيضاً ؛ إسحق عبيد ، من الآوك إلى جستنيان ، ص١٣٦-١٥٦ ؛ محمود سعيد عمران ، مملكة الوندال فى شمال أفريقيا ، ط . ١ لاكنة ١٩٨٥م، ص٥٧-١٦١ . نعم فرج ، تاريخ بيزنطة السباسب، ص٩٩-٩٩

٢- نومان كاننور، التاريخ الوسيط، ج١، ص١٨٧

٣- عن ذلك أنظر : Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 24-25 .

Moorhead, Justinian, pp. 72-88 .

وعن حروبه فى إيطاليا انظر :

من أجل القضاء على مقاومتهم<sup>(١)</sup>، وقد أدت إلى إنهاك الإمبراطورية البيزنطية التي اضطرت إلى إعادة فرض الضرائب التي فرضت من قبل من جانب الإمبراطورية الرومانية، من ناحية أخرى؛ أثرت الحروب القوطية سلباً على إيطاليا حتى القرن العاشر الميلادي، وقد أدت - كما لاحظ نورمان كانتور Norman Cantor - إلى إنخفاض حاد للسكان في المدن الكبرى هناك مثل روما Rome ، و نابولي Napoli ، وميلانو Melano ، وتحولت مدن البحر المتوسط الكبرى إلى مدن تتصف بالحرول<sup>(٢)</sup> بعد أن أنهكتها الحرب وتداعياتها

ولانزعاج في أنه كان من الصعب بل من المستحيل؛ احتفاظ الإمبراطورية بإقتصاد حرب لسنوات طويلة بدعم تلك المعارك الطاحنة ضد أعداء متعددين، وعلى دواية واسعة بفترات القتال، دون أن تتأثر سلباً كافة قطاعاتها ، ولاتبالغ إذا ذكرنا أن الفرد البيزنطي العادي هو الذي دفع ثمن الطروح المدفع لذلك الإمبراطور، وهو ما مجاهدته عن عهد المؤرخون الرسميون.

ثالثاً؛ لانغفل؛ أن حملات جستنيان كلفت الإمبراطورية زهرة شبابها ، وأموالها ووقتها وجهدها مع ملاحظة أنه لم تسكن من استرجاع عدد من المناطق التي استمرت سيطرة الجرمان عليها مثل غالة ، وإنجلترا

على أية حال ؛ في كافة تلك العمليات العسكرية نلاحظ دوراً قيادياً بارزاً لاثنتين من القادة في صورة هليزاريوس ، و نارسيس غير أنه عتلمنا أخفقت مشروعاته الاستردادية ؛ تأكيد للمؤرخ الموضوعي أنهما صاراً ضحية تصورات ذلك الإمبراطور الواهم!

لانغفل - من ناحية أخرى- أن جستنيان إنجحه إلى شراء السلام الشاحب المفتر مع الفرس بالذهب، لتجنب الوقوع بين شقي الرحي، أي بين عدو فارسي في الشرق وجرماني في الغرب وبلا حظ في هذا الشأن أن معاهدة عام ٥٣٢م التي عقدها مع الفرس أنهت ٣١ عاماً من العداء بين الجانبين<sup>(٣)</sup>، كما يقرر أحد المؤرخين.

١- نورمان كانتور ، التاريخ الوسيط، ص ١٩٠

٢- نفسه، نفس الصفحة

ويجد نفس فكرة المؤرخ المذكور لدى ما أورده برونيغ أنظر:

Browning, The Byzantine Empire p, 221 .

٣- Scout, " Diplomacy in the Sixth century : The Evidence of John Malalas", = -٣

كى يتفرغ لحرب الأخيرين ، غير أن فترات الهدن بين الجانبين أدت - من حيث لا يدري - إلى تقوية الفرس على نحو سيظهر فيما بعد .

على أية حال ؛ من بعد اللهث وراء وهم استعادة القسم الغربى من الإمبراطورية من أبدى الجرمان ، شهدت الأعوام الأخيرة من حكمه عودة السيادة الجرمانية إلى سابق عهدها ، وهكذا ، كان جستنيان أشبه شئ من يحاول إعادة عقارب الساعة إلى الوراء أو من يضرب بسيفه طواحين الهواء ، فى يوم عاصف دون جدوى ، وقد أضاع جهود إمبراطوريته جرياً وراء نظرية عتيقة أكدت القبائل الجرمانية عدم جنواها ، وصارت جثة هامدة لآحراك فيها ١ .

على أية حال ؛ تأكد لنا أن العناصر الجرمانية مشترك فى تكوين غربى أوروبا فى العصور الوسطى بالإضافة إلى عنصرين أساسيين آخرين فى صورة التراث الكلاسيكى اليونانى والرومانى ، والمسيحية .

أما ما اتصل بالناحية القانونية، فقد عمل على جمع القانون الرومانى ، وأصدر ثلاثة مؤلفات قانونية فى صورة Novellae Leges . Digesta ، Codex Justinianus ، وقد عُدَّ ذلك العمل من أكبر الأعمال شأنًا فى ذلك العصر<sup>١١</sup> ، وقد استغرق ذلك ١٤ عامًا من العمل

in Shepard and Franklin (eds.), Byzantine diplomacy, apers From the Twenty- Fourth = Spring Symposium of Byzantine Studies, by Society for The Promotion of Byzantine Studies, Hampshire 2003, p. 159

١ - مجمع ذلك فى صورة مجموعة القانون المدنى ، عنها أنظر

Corpus Juris Civilis, ed. T. Mommsen. p. kruger, R. Scholl, W. kroll, 3 vols., Berlin 1945-1963 .

Hussey, The Byzantine World , pp. 22-23

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 31

وعن جهود جستنيان القانونية أنظر :

Ure, Justinian and his age , pp. 139-167

است غنيم . إمبراطورية جستنيان ، ص ٧١-٧٧ ، السيد 'لجاز العربى' ، تاريخ أوزيا العصور الوسطى .

ط . بيروت ١٩٦٨م ، ص ١٣٩

المواصل من جانب مجموعة من كبار رجال القانون<sup>(١١)</sup>. وقد أثر عمله الرائد على كافة الجيودات القانونية التالية التي تمت في العصور الوسطى بصفة عامة.

والأمراء . في أن إسهامه في المجال المذكور ضمن له الخلود في التاريخ البيزنطي. ومن سفارقات القدر: أن إنجازاته الحربية ضد الجرمانيون الباهظة التكاليف ذهبت سدى. وبقيت إسهاماته القانونية قائمة حتى يومنا هذا وهي التي لم تكلفه الأموال الباهظة التي دفع بها لألة الحرب.

وإذا تمجدها إلى الناحية العمرانية في عهده . نجد أنه عنى بها عناية خاصة. إدراكاً منه أن البشر يمشون وتبقى الآثار التي شيدوها شاهدة عليهم. تنطق بل وتصرخ بالتاريخ

وقد سعى إلى إصلاح ما هدمته ثورة النصر عام ٥٣٢م والإنجاز المعاري البارز الذي حقق شهرة واسعة النطاق. تمثل في كنيسة الحكمة الإلهية Hagia Sophia<sup>(١٢)</sup>، التي عُدَّت من

١- سعيد عاشور. أوروبا العصور الوسطى. ط. القاهرة ١٩٨٦م. ص ١١٩

٢- كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia : أقامها جستنيان من أجل تكون مركزاً دينياً بارزاً. وحتى يتم تخليد اسمه على مر العصور. وقد بدأ في بنائها عام ٥٣٢م. وافتتحت في ٢٧ ديسمبر ٥٣٧م. أي أن تشييدها استغرق نحو ست سنوات وأشرف على ذلك إيزيدور اللطيف Isidore of Miletus وأنثيموس التريسي Anthemius of Tralles . وقت الاستعانة في سبيل تشييدها بأمر الصناع من كافة أنحاء الإمبراطورية ويقال أن عددهم بلغ ألفاً ويلاحظ أن أعجب ما فيها قبتها الضخمة من الأعمدة . والأرض والأعمدة . والأقسام السفلى من الجدران تكونت من الرخام أما الجدران والسقف فتكونت من النسيجاء الذهبية. وظل النور على المصلين فيها عبر ٤ نافذة عند أسفل القبة. وكانت الأشعة تنعكس على الفسيفساء الملونة عنها أنظر:

Procopius, The Buildings, Trans. by H.B. Beaving and G. Downey, London 1940, pp. 172-174. Yücel, Hagia Sophia, Istanbul 1986, pp. 3-44.

Leithaby and Swainson, The Church of Sancta Sophia Constantinople. A study of Byzantine Building, London 1894, p. 21-297

Kleinhaues, white and Matthews, Hagia Sophia, Istanbul 2004, pp. 9-77

Mainstone, Hagia Sophia Architecture, Structure and liturgy of Justinian's Great church, Hungary 1997, pp. 175-281

Nelson, Hagia Sophia 1850-1950, Holy wisdom, Modern Monument, Chicago 2004, pp. 1-28.

روائع المعمار والفن البيزنطي، ويلاحظ أنها شيدت على قط الطراز المعماري الذي وجد في أواخر عصر الإمبراطورية الرومانية؛ وهو طراز البازيليكا Basilica<sup>(١١)</sup> الرومانية وهي تكشف لنا عن المستوى الرفيع الذي وصلت إليه العمارة في عهد جستنيان، ولانغفل أنها لاتزال قائمة حتى يومنا هذا بعد أن تحولت إلى مسجد فخم على إثر الفتح العثماني للقسطنطينية عام ١٤٥٣م.

كذلك يذكر عن عهد ذلك الإمبراطور: تشييد دير سانت كاترين St. Catherine<sup>(١٢)</sup> في أقصى جنوبى شبه جزيرة سيناء، بمصر ويلاحظ هنا: أن الموقع الجغرافي الفريد للدير المذكور حماه عبر القرون. وقد احتوى على مجموعة نادرة من الأيقونات Icons، وفيما بعد؛ عندما حدثت حركة مضادة لعبادة الأيقونات، والتي نتج عنها؛ إلحاق الضرر بها في مختلف الكنائس

Asimov, Constantinople The forgotten Empire, Boston 1970, p. 69.

Grabar, Byzantine Architecture and art, C.M.H., vol V, p.310-317

است غم، إمبراطورية جستنيان، ص ٦٧، أسد رستم، الروم، ج ١، ص ٢١٧

١- الطراز البازيليكي Basilica- Shape: هو ذلك الطراز المعماري الذي انتشر في بناء الكنائس زمنًا طويلًا، واحتوى على صحن للكعبة. وأجنعتها وسقفها القباب مع تطور تشييد القبة وكلفة بازيلكي من الكلمة اليونانية Basilikos ومعناها «ملكي». وهي في الأصل أطلقت على قصر الملك، عن ذلك أنظر: شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٣، حاشية (١)

٢- القديسة كاترين: هي كاترين السكندرية Catherine of Alexandria، شهيدة مسيحية، ولا تعرف تاريخًا محددًا لإستشهادها، وقد نسبت بشأنها أسطورة شهيرة ووفقًا للأسطورة يقال أن إمبراطورًا هو ماكسنطيوس Maxentius، أراد «ازواج بها نظرًا لما عرفت به من جمال فخاذ». وقد رفضت كاترين التخلي عن ديانتها، ووفقًا لتلك الأسطورة ظهر لها السيد المسيح، وأن جسدها حمل عن طريق الملائكة إلى جبل سيناء، ويلاحظ أن عيدها يوافق يوم ٢٥ نوفمبر. عنها أنظر:

Atwater, The Penguin dictionary of Saints, p. 210.

حاتم الطحارى «كريستوفر كولومبوس يدعو فرديناند وإيزابيلا للشن حملة صليبية والاستيلاء على القدس ١٤٥٠م»، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصر الوسطى، مجسوة من الأبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عامًا، تحرير حاتم الطحارى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٩٠. حاشية (٣٦)

والأديرة . وجدنا أن المجموعة التي إقتناها ذلك الدير ظلت في مأمن من التخريب ، وهناك من يقرر أنها لا تقدر بشئ ، كذلك لانغفل انراء مكتبة على مخطوطات ثمينة<sup>(١١)</sup> .

جدير بالإشارة هنا : أن رهبان ذلك الدير قمتوا بحصافة سياسية لاتنكر على نحو جنهم الاصطدام بالقرى السياسية المتعاقبة التي قدمت إلى مصر وعبرت شبه جزيرة سيناء وبوابتها الشرقية على مدى قرون متعددة .

كذلك تم تشييد عدد من الأديرة الكرمية الفخمة التي تليق بمكانة الامبراطورية .

أما فيما يخص السياسة الدينية لمستنيان : فمن الملاحظ أن سياسته في ذلك المجال: وصفت بأنها ذات ميول غربية<sup>(١٢)</sup> شأنها في ذلك شأن سياسته الحربية ، وقد أراد إيهجاد علاقات قوية مع البابوية في روما ، وهكذا : وجدناه يزيد مذهب الطبيعيتين ، ولذلك حارب أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة أو المذهب المونوفيزيتي<sup>(١٣)</sup> ، غير أن الأخيرين وجدوا دعماً

١- جوزيف نسم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٨٦ وعن دير سانت كاترين أنظر:

جيسى بنطلي ، اكتشاف الكتاب المقدس ، قسامة المسيح في سيناء ، ت . أسيا محمد الطريحي ، ط . القاهرة ١٩٩٥ م . ص ٥٩ - ٦٠

Weitzmann, The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai, The Icons, vol. 1, Princeton 1976 .

وهي أفضل دراسة تناولت أبقونات دير سانت كاترين ، نعوم شقير . تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلاقات التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ إلى اليوم . ط . بيروت ١٩٩١ م . ص ٤٧٨ - ٥٠٣

الكتاب المذكور أول عمل عربي مفصل عن شبه جزيرة سيناء وبوابة مصر الشرقية وهناك دراسة أخرى جديره بالتقدير أنظر : أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، ط . القاهرة ١٩٧٧ م .

أنظر أيضاً عن معتمريات مكتبة الدير المذكور : جوزيف نسم يوسف ، المخطوطات العربية بدير القديسة كاترين في سيناء ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ / ١٩٦٩ م . ص ٩٥ - ١٣٩

٢- عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٨٩

٣- اعتقد المونوفيزيتيين أن للسيد المسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية ، ويسمى المذهب المونوفيزيتي من Monophysitism وأتباعه هم المناوذة Memophysites . عن ذلك المذهب أنظر : شارلز أرماني . الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١١٠ . حاشية (١١)

ومساندة من ثيودورا التي اعتنقت مذهبهم وتدرجياً صار جستنيان نفسه على نفس مذهبها بل وحارب أصحاب الطبيعتين<sup>(١١)</sup>.

بصفة عامة: أحقق ذلك الامبراطور في إيجاد توفيق بين أنصار المذهبين، ولا تغفل أنه خلال تلك الأحداث ظهر دور بارز ليمعقرب البرادعى الذي أدخل قوة جديدة على قوة المينورقيزيين، وصاروا يعرفون بالعاقبة<sup>(١٢)</sup>.

وجدير بالإشارة: إتجاه ذلك الإمبراطور إلى إغلاق مدرسة أثينا الفلسفية ذات التاريخ المجيد في خدمة الفكر الفلسفى الإنسانى وذلك عام ٥٢٩م<sup>(١٣)</sup>، وكذلك إتيه إلى إبعاد كل من أثيرت الشكوك حول عقيدته وينفى التقرير هنا: أن الفكر دوماً يواجه بالفكر، أما أسلوب الإغلاق فلم يكن بمثابة القرار الصائب من جانب ذلك الإمبراطور على الرغم من المبررات الدينية الجاهزة التي يمكن أن يقدمها المؤرخون المدافعون عن سياسته.

أما فيما يخص يرقفه من اليهود، فالملاحظ أنه اصطدم بهم في عدة مناطق، ولا تغفل هنا أنهم حاربوا بجوار عناصر الرندال، والقوط الشرقيين ضد محاولات البيزنطيين استرداد القسم الغربى من الإمبراطورية، كذلك هناك من يقرر اشتراكهم في ثورة النصر Nika عام ٥٣٢م السالفة الذكر<sup>(١٤)</sup>

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص-٩

٢- نفسه، نفس الصفحة. وعن سياسته الدينية انظر أيضاً: جوزيف تسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٧٧

٣- عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 150.

Ostrogorky, History of the Byzantine State, p. 77

(O.D.B., vol. 2, p. 1040.

Vasiliev, Op. cit, p. 149-150.

وأيضاً

وعن علاقة اليهود بالإمبراطورية البيزنطية بصفة عامة أنظر: أحمد عامر «اليهود وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى»، التاريخ والمقبل، عدد يناير ٢٠٠٣م، ص١-٥٩

كذلك لانغفل : أن عناصر السامرة Samaritans <sup>(١)</sup> الذين جعلوا مركزهم في نابلس ؛ وهم عنصر منشق عن اليهود ، تكررت : أحداث ثوراتهم ضد الإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان ، ويذكر التاريخ لهم ثورتين الأولى وقعت عام ٥٢٩م. بعد عامين من توليه العرش عام ٥٢٧م. والثانية عام ٥٥٥م <sup>(٢)</sup> . وقد تمكن الإمبراطور من القضاء عليهما

مهما يكن من أمر؛ وجد المؤرخون اليهود المحدثون في موقف ذلك الإمبراطور ومن أتى من بعده الأباطرة البيزنطيين <sup>(٣)</sup> تأصيلاً لما عرف لديهم من معاداة السامية وعقدة الاضطهاد وصوروا الأمر على أنهم دوماً ضحية حكاهم مغفلين أنهم تعاملوا بالبراءة من خلال الإقراض بغوائد باهظة <sup>(٤)</sup> ، كذلك كان لشوقهم وانغزالهم في مناطق خاصة بهم أثره في إثارة الشكوك

١- السامرة : طائفة يهودية تركزت في نابلس Neapolis وقد انقسموا إلى قسمين أحدهما أفضل عليه «الكوشان» والثاني «البوسشان» . ويلاحظ عدم اعترافهم بما جاء من بعد موسى عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل ، وأطلقوا على أنفسهم تسمية المحافظين على أساس محافظتهم على العقائد اليهودية بدون أي تعديل. عن السامرة انظر: أحمد رمضان . المجتمع الإسلامي في بلاد الشام . ص ٦١. كرد على. حفظ الشام. ج ٩ . ص ٢١٦

أحمد فؤاد سيد. الحكم الإسلامي لفلسطين في ظل دولة الخلافة الإسلامية ١٥هـ / ٤٩٦هـ . ط. القاهرة ٢٠٠١م. ص ٢١-٢١١

حسن طاهي . الفكر الديني اليهودي. ط. دمشق بيت . ص ٢٠٦

٢- عن ذلك انظر: John Malalas, The Chronicle , p.294 Sharf, Byzantine Jewry From Justinian to the Fourth Crusade, New York 1971, pp.29-30. pp.44-45

وعن علاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان انظر:

محمد عثمان عبد الجليل . «الساميريون في فلسطين وعلاقتهم بالدولة البيزنطية (٣٠٥-٦٣١م)» . المؤرخ المصري. العدد (٧٥) ، يناير ٢٠٠٥م. ص ٨٧-٩٠

٣- يجدر الإشارة : إلى ثمة اليهود عام ٥٧٨م. بما فيهم عناصر السامرة عام ٥٧٨م. كذلك ساعدوا الفرس عند غزوهم لفلسطين ٦١٤-٦١٧م. وقد اتجه الإمبراطور هرقل إلى الفتك بعدد منهم . عن ذلك : O.D.B., vol . II , p. 1040 .

٤- عن ذلك انظر:

ديويت لوييز. ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠ - ١٩٩٧م . ص ٨٤ . مسعود شاكر. موسوعة تاريخ اليهود . ط. عمان ٢٠٠٢م. ص ٢٣٧



حولهم بما ساعد على تنامي العفاء ضدهم في القارة الأوروبية عموماً في شرقها وكذلك غربها ، ولانفعل أنهم ميزوا أنفسهم عن سائر بني البشر<sup>(١١)</sup>.

جدير بالذكر: لم يجد اليهود عموماً في الإمبراطورية البيزنطية ما وجدوه في المناطق التي أخضعها المسلمون لسيطرتهم بدءاً من القرن السابع الميلادي حيث نعموا في ديار الإسلام - بوجه عام- في العصور الوسطى بالأمان والأمان، ووصلوا إلى مناصب سياسية رفيعة كما في عهد الدولة الفاطمية في مصر، كذلك: كان لهم نشاطهم البارز على الصعيد التجاري وأيضاً بالنسبة للناحية الطبية حيث برع منهم عدد من الأطباء ، ولم يواجهوا تطهيراً عرقياً أو إجباراً على التحول من يهوديتهم إلى الإسلام<sup>(١٢)</sup>. وعلى حين وجدنا حوليات يهودية *Jewish Chronicles* تفيض بالمحدث عن المذابح التي تعرض لها اليهود في أوروبا العصور

١- وقد أطلق اليهود على شهرهم كلمة جري *Joi* ولها دلالة عنصرية، عن ذلك انظر:

ديفيد سوليفر، جغرافية الأديان ، ت. أحمد غسان سيانو، ط. دمشق ١٩٩٩م، ص ١٤-١٥

٢- عن تسامح المسلمين بصفة عامة مع اليهود في العصور الوسطى أنظر: مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط المخرج الأخير من الجيتو الجديد، ط. عمان ١٩٩٦م، ص ٢٠

برنار لازار ، مناهضة الصابئة تاريخها وأصولها ، ت. ماري شيرتاني، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص ٦٤  
محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الأندلس ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ١١ - ١٧٧ إسرائيل ولتسون ،  
موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط. القاهرة ١٩٣٦م.

يعني أحمد عبد الهادي أهل الذمة في العراق في العصر العباسي ، الفترة السلجوقية نموذجاً  
٤٤٧-٥٩٠ هـ / ١٠٥٥-١١٩٦م ، ط. الكويت ٢٠٠٤م ، ص ٥٨-٧٠ ، حسن الميسى ، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ١٢٢ ، فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، ج ١، ص ٢٨٥-٢٨٦ ، عطية القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ١١ - ١٧٥ ، سليم شعشوع ، صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس، شفا عمرو- فلسطين، ١٩٩٠م ، وولتر فيشيل ، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الإسلامي العباسية - الفاطمية - الإلفانية ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ص ١٥ - ١٥٥

Goitein , " Saladin and The Jews", H.U.C.A., vol. XXVII, 1956, pp. 305-326 .

Awad, " Highlights on the Medical contribution of Musa Ibn Maimun (1135-1204 A. 525-602 A.H). during the Ayybid Rule in Egypt, " M. E.R.J., vol . 12 , March 2003, pp. 1-20 .  
Lewis, "Maimondes, Lionheart and Saladin", E.I ., vol . VII . Jerusalem 1964 , pp. 70-75 .

الوسطى<sup>(١١)</sup>، لم نجد نظيراً لها عند عناصرهم التي عاشت جنباً إلى جنب بجرار المسلمين وشاركت في صنع الحضارة الإسلامية في تلك الحقبة التاريخية من ناحية أخرى.

وكامتداد لسياسته الدينية، إنجبه جستنيان إلى اتباع سياسة تنصيرية من خلال إدراكه لأهمية توسيع نفوذ كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية<sup>(١٢)</sup>، ولذلك أرسل بالبعثات التبشيرية إلى مناطق مختلفة مثل مراحل البحر الأسود القريبة وكذلك إلى الحبشة البعيدة<sup>(١٣)</sup>، وغيرها

١- عن ذلك انظر: The Chronicle of Salomon bar Simson, in Eidelbery (ed.) The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades, Wisconsin 1977, 15-72 The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous, in Eidelberg (ed.) The Jews and The Crusades, pp. 95-115.

زينب عبد الجيد عبد القوى، اليهود في إنجلترا العصور الوسطى ١٠٦٦-١٢٢٩م، ط. القاهرة ١٩٧٦، ص ٦٤، حاشية (١١)

إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي، ت. صالح على سوادح، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص ١٠١  
وهو الزحيلي، الإسلام وغير المسلمين، ط. دمشق ١٩٩٨م، ص ١٨٠، حيث يعرض لحقوق أهل الفقه في الإسلام

٢- كلمة أرثوذكسية (Orthodoxy)، هي كلمة يونانية الأصل مركبة من لفظين هما أرثوس، وتعني سليم أو قويم، وزوكسا، وتعني عقيدة، فيكون معناها المعتقد القويم. ويشتمل مصطلح الارثوذكسية على الكنائس الشرقية غير الخلقونية وهي التي رفضت قرارات مجمع خلقدونية عام ٤٥١م، وتضم الكنيسة الأرمنية والسريانية (كنيسة البعلبة) في سوريا، والهند، والكنيسة القبطية في مصر وكذلك في أثيوبيا، والكنائس الشرقية الخلقونية وتضم الكنائس الأربع القديمة في القسطنطينية، والاسكندرية، وأنطاكية وبيت المقدس، عنها أنظر هذه الدراسة المهمة:

سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية احتسابية، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ص ٤٧-٤٨؛ مدوح الزوي، التسرعة العربية المبصرة الأديان، المفاهيم المعتقادات المصطلحات الدينية، ط. دمشق، ب- ص ٣٨٥، سعد السمدي، معجم الشرق الأوسط، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ٣٤٩-٣٥٠

٣- عن ذلك أنظر: موسى، ميلاد العصور الوسطى، ت. عبد العزيز توفيق جاويد، ومراجعة السيد الباز العربي، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٠١ - ٢٠٢، ص ٢٠٢

من المناطق، ويلاحظ هنا؛ أن هناك عدة دوافع دفعت إلى إتياع تلك السياسة؛ فلاربط أنه أراد إعادة المجد الإمبراطوري من جديد تحت مظلة المسيحية الأرثوذكسية وتحقيق مكاسب اقتصادية من خلال فتح أسواق تجارية جديدة من خلال معتنقى تلك الديانة، كذلك إيجاد قوى مسيحية مجاورة يمكن أن تكون بمثابة «حزام أمن». يدعم الإمبراطورية في مواجهة أعدائها في الحاضر، وكذلك المستقبل.

بصفة عامة؛ يعد ذلك الإمبراطور من أوائل الأباطرة البيزنطيين الذين جعلوا التنصير جزءاً من العمل السياسي. وعلى نهجه سار من بعده عدد من الأباطرة البيزنطيين.

والى جانب ما سبق من أحداث سياسية، والمجازاة القانونية وعمرانية، واجهت الإمبراطورية البيزنطية خلال عهد جستنيان بعض الكوارث الطبيعية مثل الأمراض الوبائية الفتاكة، وكذلك حدوث هزات زلزالية عنيفة ولم يكن من السهول مواجهة مثل تلك الكوارث التي - من الطبيعي - أن حكومة ذلك الإمبراطور لم تكن لتتوقعها، وأضادت أعباءاً ثقيلاً إلى الأعباء الأصلية التي كانت تعاني منها

وفيما يتصل بالأمراض الوبائية نلاحظ انتشار الطاعون Plague في عصره<sup>(١)</sup>، وقد هاجم الإمبراطورية خلال الأعوام الممتدة بين عامي ٥٤١م. و ٥٤٤م ولا ريب في أن ذلك الامتداد على مدى عدة أعوام أكد أن الأمر اتسع نطاقه الزمني وبالتالي امتد خطره على شعوب الإمبراطورية، ونعرف أن الوباء بدأ - كما قرر البعض - من مصر<sup>(٢)</sup> ثم امتد إلى مقاطعات

= وعن التنصير بصفة عامة أنظر: علي بن إبراهيم النسبة، التنصير في المراجع العربية دراسة ورسد وزاقي للطبر، ط. الرياض، ٢٠٠٣م، ص ٩ - ص ١١٣

Evagrius Scholasticus, The Ecclesiastical History, Trans. by Michael Whitby, Liv. - ١ erpool 2000, pp. 229-232.

أيضاً هذه المقالة المتخصصة المتأخرة

Allen, "The Justinianic Plague", B., 49, 1979, pp. 5-20

Treadgold, A concise History of Byzantium, New York 2001, pp. 62-63.

Angold, Byzantium, p. 25.

والطاعون؛ منه نوعان الطاعون الفدوى، والطاعون الرنوي، والأخير يوصف بأنه الأشد والأخطر. ويختلف عن الطاعون الفدوى في أن العدوى في الطاعون الفدوى تنتقل عن طريق البراغيت التي تحيطها=

أخرى في أنحاء الإمبراطورية وقد وصف بأنه الطاعون الجسنتيانى The Justinianic Plague نسبة إلى الإمبراطور المعاصر له ، ويلاحظ : أن عدداً من المؤرخين البيزنطيين أشاروا إليه مثل بروكوبيوس Procopius<sup>(١)</sup>، وروحنا الإفيسوس John of Ephesus، وأفيجاريوس Eph-egarius ومن خلال ما أوردوه أمكن الإطلاع على حجم الكارثة التى أصابت الإمبراطورية حينذاك.

ويلاحظ أن عدد من فُتِكَ بهم الطاعون بلغ ٥.٠٠٠ يومياً وفق ما قرره البعض<sup>(٢)</sup>، وقد عجز الأطباء عن مواجهته أمام استفحال خطره على نحو هدد البنية السكانية، والأنشطة

= القفران ، والجردان، أما الرثى فتنتقل عدواً عن طريق الهواء القاسد، والأول أعراضه تظهر من خلال ظهور أورام وبثور في أنحاء مختلفة من الجسم، أما الثاني: فأعراضه تتمثل في أن المريض يبحق دماً بعد أن يصاب بالقيح، ويبدأ في القيح. عن ذلك أنظر:

إبراهيم خميس ، «الأوبئة والأمراض التى نشبت بين الصليبيين في الشرق الأدنى الإسلامي وأثرها (٩٨١-١٢٩١م / ٤٩١ - ٦٩٠هـ)» ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى كتاب تفكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد، وإبراهيم خميس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٧٦-٧٨

وانظر هذه الأطروحة العلمية غير المنشورة :

Conrad (L.), The Plagne in Early Medieval Near East, unpublished ph.D. diss. in Near Eastern Studies, Princeton University 1981 .

Evans, Procopius, p. 26 .

-١-

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٧٩ ، وخلال تلك الأحداث تعطلت جميع الأعمال العادية في القسطنطينية وصار السرقة خالكة إلا من يحملون جثث الموتى، وفي كثير من البوت لم تبق نفس واحدة على قيد الحياة وقد اضطرت الحكومة البيزنطية إلى اتخاذ إجراءات خاصة بدفن الجثث المجهولة ، عن ذلك انظر

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص٧٩

أيضا اسد رستم ، الزم . ج١، ص١٧٢

٢- شارلز أومان ، المرجع السابق، ص٧٩

الاقتصادية للإمبراطورية. كذلك كان لفلوك الأمر أثره النفسي فقد نجح الناس في الكنائس على اعتبار تصرفهم أنها يمكن أن توفر لهم الحساب نظراً لطابعها الديني. ولانفعل أن العصور الوسطى بصفة عامة. سواءً في الشرق البيزنطي أو الغرب الأوروبي اتسمت بشعاطم الظاهرة الدينية التي تنكفت بصرة وضاحة خلال أحداث الكوارث الطبيعية على نحو خاص.

وكما هو متوقع في مثل تلك الأحداث رأى المعاصرون أن ذلك الطاعون إنما حدث كمقاب إلهي نظراً للأثام التي ارتكبت<sup>(١١)</sup>، وكانت فداحة الخسائر - حيث نعلم أن هناك أسرات بيزنطية فقدت أغلب أفرادها<sup>(١٢)</sup> - كان ذلك أثره في تعميق الانحياز إلى الجانب الديني كملاذ من الكارثة الوبائية الفتاكة.

جدير بالذكر : أن هناك حادثتين بارزتين في التاريخ البيزنطي بصفة عامة لانتشار الطاعون : الأولى تلك التي حدثت في عهد جستنيان والثانية في صورة الفناء الكبير The Black Death الذي وقع فيما بين عامي ١٣٤٦، ١٣٤٩م. وهو ما سيتم تناوله في موضعه من هذه الدراسة.

بصفة عامة: يدل حدوث الطاعون المستثنائي على تأثير الأمراض الوبائية الفتاكة على التاريخ البيزنطي وهو عنصر خارج عن حدود القدرات البشرية على مواجهته حينذاك ، ومن الممكن القول أن ذلك الطاعون كان أشد تأثيراً من أي عامل آخر في إضعاف الامبراطورية البيزنطية على النحو الذي يلاحظه الباحثون في النصف الثاني من القرن السادس م<sup>(١٣)</sup>

من ناحية أخرى حدثت في خلال حكم ذلك الامبراطور هزات زلزالية مدمرة<sup>(١٤)</sup>، وملاحظ وقوعها فيما قبل عصره ؛ إذ شهد عام ٥٢٥م: أي قبل عامين فقط من توليه الحكم

Angold, Byzantium, p. 26 .

-١-

Ibid, p.26

-٢-

٣- شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية، ص٧٩. وقد قرر أن ذلك الطاعون لم يحدث من قبل منذ ثلاثمائة عام من خلال حجم تأثيره، أنظر، ص٧٩، ومنطقي أن ذلك يعكس بشاعة تأثيره، وفكته بالكثيرين.

٤- الزلازل Earthquakes: عبارة عن هزات سريعة متلاحقة وقصيرة المدى تصيب القشرة الأرضية خلال فترات متقطعة نتيجة للاضطرابات الباطنية ومحدث كنتيجة لحركات القشرة الأرضية . ويعقبها احتكاكات

عام ٥٢٧م بعضها ، كذلك عاودت الزلازل نشاطها ، ويمكن القول أنه خلال المرحلة بين عامي ٥٢٦م ، ٥٥٧م<sup>(١١)</sup> وقعت ٩ هزات زلزالية<sup>(١٢)</sup> وهي مدة زمنية تقدر بـ ٣١ عاماً من إجمالي مدة حكم جستنيان الرائعة بين عامي ٥٢٧ . ٥٦٥م ، أى ٣٨ عاماً، وكل ذلك يعنى أن تلك الظاهرة الطبيعية المدمرة تكرر وقوعها على مدى أعوام حكمه، على نحو لا يستطيع المؤرخ تجاهل أحداثها وتأثيراتها على الصعيد الداخلى ، مع ملاحظة أن الوضع الداخلى والخارجى يثقلان وجهى عملة واحدة

على أية حال : حدثت تلك الزلازل تأثيرها المدمر على الأبنية فى العاصمة البيزنطية على نحو استدعى القيام بإعادة بنائها أو ترميمها . وتعرف أنه فى يوم ١٤ ديسمبر ٥٥٧م - على

١- الأجسام الصخرية التى يتكون منها القلاف الخارجى، وتبدأ الموجات الزلزالية فى العادة فى صورة هزات خفيفة أو أولية تتزايد قوة حتى تصل إلى سطح الأرض الخارجى ، وهناك عدة أنواع من الزلازل مثل البلوتونية Plutonic Earthquakes ، ويكون مركزها فى العادة فى الأعماق البعيدة من باطن الأرض، ثم الزلازل التكتونية Tectonic Earthquakes وتحدث نتيجة فى المناطق التى ترجد بها إنكسارات فى القشرة الأرضية، أما النوع الثالث، فيمثل فى الزلازل البركانية Volcanic Earthquakes ، وتحدث كنتيجة للهزات الناجمة عن النشاط البركانى ، عن الزلازل بصفة عامة أنظر:

Skinner, Physical Geology, New York 1974, p. 329, Stieglar, Dictionary of earth Sciences, London 1976, p.95 .

محمد على المغربى ، الهزات الزلزالية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص٩ ، فردريك بو، البراكين والزلازل ، ط. الدرداش سرحان ، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص٩٨ ، على عبد العظيم نصيب ، الحركات الحديثة للقشرة الأرضية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص٩ ، حسن أبو العنين ، كوكب الأرض طواره التضاريسية الكبرى، ط. بيروت ١٩٧٩م، ص٢٣٦ ، محمد منى الدين، جيمورولوجية قشرة الأرض، ط. بيروت ١٩٧١م، ص٢٥١-٢٥٠ ، صلاح الدين بغيرى، أشكال الأرض ، ط. دمشق ١٩٧٩م، ص٢٢٠ ، محمد منولى، وجه الأرض ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٦٦ ، محمد مؤنس عرض، الزلازل فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٥٥ - ٦٢ ، هدى الويسى، الزلازل فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة أسيوط، عام ٢٠٠٧م ، ص٦٥-٦٦

Agathias, The Histories, Trans. by O.J.D. Freedon, New York 1975 , p. 128 .

Evans, Procopius, p.26 .

سبيل المثال - : حدثت هزة زلزالية عنيفة تركت آثارها على كنيسة أيا صوفيا<sup>(١١)</sup>.

جدير بالذكر؛ تعرضت الإمبراطورية البيزنطية على مدى تاريخها لعدد من الهزات الزلزالية التي اختلفت قوتها وتأثيراتها، على مدى أعوام ٣٤٢م، ٤٥٤م، ٥٢٦م، ٥٥٧م، ٧٤٠م، ٨٨٦م، ٨٦٩م، ٩٨٩م، ١٠٦٤م، ١٢٩٦م، ١٣٤٦<sup>(١٢)</sup>؛ أي خلال المرحلة الراقصة . بين القرنين الرابع، والرابع عشر الميلاديين، ولانغفل هنا آسيا الصغرى كانت مرتعاً لمثل تلك الهزات الزلزالية بالإضافة إلى قربها من منطقة جبال زاغروس التي امتلكت نفس الصفة ولم تكن الزلازل قاصرة على تلك الإمبراطورية فحسب ؛ بل أحدثت تأثيرها على المناطق المجاورة أحياناً مثل بلاد الشام وما وراءها كمصر . وبالتالي غدت جزءاً من نطاق جغرافى أكبر.

على أية حال ؛ تركت مثل تلك الزلازل تأثيراتها السلبية على البنية المعمارية والسكانية والنشاط الاقتصادى عموماً

أما فيما يتصل بالجنابيين الاقتصادى ، والاجتماعى ؛ فقد حدث خلال عهد ذلك الامبراطور حدث اقتصادى محورى؛ إذ توصل البيزنطيون إلى سر الحريق<sup>(١٣)</sup> الطبيعى من خلال دود القز،

-١-

Evans, Procopius, p.26 .

-٢- عن ذلك انظر:

Downey, " Earthquakes, at Constantinople and Vicinity (324-1453) ", S., vol . XXX, 1955 , pp. 596-600 .

وتعد أفضل ما كتب عن الزلازل فى التاريخ البيزنطى.

أيضاً:

O.D.B., vol . 1 , pp. 629-670 .

٣- فيما يتصل بالحريق ؛ من المقرر أن مصدر دودة القز أو دودة الحرير كان فى جبال آسام فى شمالى الهند، وفى بلاد البنغال ، إلا أنه فى شمالى الصين تعلم الإنسان لأول مرة فى تاريخه كيفية القيام بنسج خيوط الحرير من الشرقة . وتم ذلك فى حوض نهر تاريم فيما عرف باسم تركستان الصينية، وفيما بعد ظهر إلى الوجود طريق الحرير Silk Road وقد بدأ من الصين، واخترق ما عرف بتغوليا وحوض نهر تاريم وكرات أفغانستان وبلاد فارس حتى يصل إلى بلاد الرافدين ثم إلى بلاد الشام ، وهناك تفرع إلى آسيا الصغرى ، ومنها إلى أوروبا ، أو من الساحل الشامى إلى أوروبا ؛ ويلاحظ أن الجيولوجى والرحالة الألماني ليرديناند فون ريشتهوفن Ferdinand von Richthoffen (١٨٣٣-١٩٠٥م) قام عام ١٨٦٠م برحلته فى الشرق وعاد أدرجه إلى ألمانيا عام ١٨٧٢م وأطلق على الطريق المذكور تعبير « طريق الحرير » انظر: محمد مزنن عوض ، الرحالة الأوروبيون فى العصور الوسطى ص٩٣

وقد اختلف في كيفية حدوث ذلك. إذ رأى البعض: أن عدداً من البيزنطيين ذهبوا إلى الصين، وتكنوا من جلب دود القز، وأوراق الصنوبر، أو أن أميرة صينية أحببت شاباً، وخانت بلادها وأنشأت أمر الحرير الذي كان حينذاك سرّاً صينياً فومياً لا يعرفه إلا الصينيون وحدهم، وعندما عرفت ببيزنتة ذلك الأمر: دخلت في دائرة استخراج الحرير على نطاق متسع على نحو خاص في القسطنطينية وبيروت، وصور، وأنطاكية، وبلاد اليونان خاصة طيبة.

ولانغفل: أن بيزنطة جنت من وراء ذلك أرباحاً طائلة مع ملاحظة أن أركان التجارة في العصور الوسطى - بوجه عام - تشكلت في الحرير Silk، والذهب Gold، والرقيق Slaves، والتوابل Spices، مع عدم اغفال باقي السلع الأخرى، ضمن المنظومة التجارية بطبيعة الحال، وساعد الامبراطورية على التفوق التجاري موقعها الفريد بين آسيا وأوروبا وفي مواجهة أفريقيا

أما من الناحية الاجتماعية: فقد شهد عصر جستنيان محاولات للإصلاح الاجتماعي قامت بها زوجته ثيودورا التي عملت على مواجهة ظاهرة الدعارة Prostitution<sup>(١٢)</sup>، الشيء

= هاب - تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى. ت. أحمد محمد رضا، ط. القاهرة ١٩٨٥، ج ١ ص ٢٧١. م. ريس لومبار - الإسلام في مجده الأول، ت. إسماعيل العربي، ط. الدار البيضاء، ١٩٩٠م، ص ٢٧١ - ٢٧٢، ص ٢٧٢، مجدي غنيم، الحرير، ط. القاهرة ١٩٩٣م، عبد الرحمن سامي، القز الحق في بيروت ودمشق، ط. بيروت ١٩٨١م، ص ١٠٣، على أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية: الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة (١٢)، العددان ٣٩، ٤٠، كانون الأول ١٩٩١، ص ٧٢-٨٢؛ عبد الرحمن حبيدة، بين ابن بطوطة وصاركوبرلو، العدد المذكور، ص ٨٣-٩٥، محمد حرب قرزات، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين و"شام"، العدد المذكور، ص ٩٦-١١٨، نعمان محسن جبران، محارلات الخول السيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج، العدد المذكور ص ١٣٨-١٥٥

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 168 - ١

وعن الحرير في بيزنطة ترجمه عام، نظره Lopez, "Silk Industry in The Byzantine Empire", S., vol. XX, 1945, pp. 1-42.

Maniatis, Organization, Market Structure and Mosus Operandi of The Private Silk industry in 10 Thh century Byzantium, D.O.P., 53, 1999, pp. 203,334.

- وجدت الدعارة في أنحاء الإمبراطورية البيزنطية على مدى تاريخها وغدت على نحو منظم ووجدت مقارها في الحمامات والساحر وساحات، والحانات، ويلاحظ أن القوانين حرمت استغلال الفتيات



انتشرت في أنحاء العاصمة البيزنطية ، ولاتفعل أنه وفقاً لما قرره بروكوبيوس فإن ثيودورا ؛ وصفت بممارسة الدعارة . ولذلك كانت أكثر استعداداً للتعاطف مع بائعات الهوى ، وهكذا ؛ اتجهت إلى معارضة التائبات منهن للإشهاد عن ذلك الطريق الضال ، وأقامت مراكز وبيوتاً للإصلاح ، كذلك شيدت دير ميتانويا Metanoia : لايواء أولئك التائبات <sup>(١١)</sup> . ووفق ما قرره بروكوبيوس فقد عملت على رعاية ٥٠ عاهرة من خلال الايواء ، في مثل ذلك الدير <sup>(١٢)</sup> .

ولا يفهم من العبارات السابقة أن زوجة جستنيان تمكنت نهائياً من معالجة مشكلة الدعارة . بل أنها استمرت فيما بعد على مدى التاريخ البيزنطي . وبصفة عامة ؛ فإن ذلك بعكس الدور الاصلاحى الاجتماعى الذى قامت به ثيودورا على نحو ضمن لها مكانة بارزة في ذلك العصر وأكد أهمية دورها في الامبراطورية جنباً إلى جنب مع جستنيان

على أبة حال ؛ نرفى أن جستنيان عام ٥٦٥م ؛ عقب حياة حافلة بالأحداث على كافة المستويات ، تاريخاً المؤرخين في جدل واسع بشأن تقويم إنجازات عهده بين مؤيد إلى حد بعيد ، ومعارض على نفس التوجه على نحو لم يشأت لأى إمبراطور بيزنطى آخر خلال العصر

= القاصرات في أعمال الدعارة . ومجد أ جستنيان في التجديدات أقر رفضه ذلك الأمر قائلاً : كما قلت نفس الموقب الكتبة ، ومع ذلك عملت الفتيات الفقيرات كمومسات Prostitutes مع ملاحظة أن منهن من تاب وانصف بالتداسة ، وهو أمر عهده في سيرة بلاطين العاهرة Pelagin The Harlot . وسمي المصرية Mary of Egypt ، وهن في ذلك سرن على ذات الخطى التى سارت عليها من قبل مريم المجدلية - Mary of Magdalen . وعلى أبة حال ؛ وصلت المومسات أحياناً إلى النصر الإمبراطوري ؛ كما حدث في عهد الإمبراطور أندرونيكوس ١ Andronus 1 (١١٨٣-١١٨٥م) الذى اتجه إلى التصريح عن نفسه من خلال المومسات والمحظيات . عن الدعارة في الإمبراطورية البيزنطية أنظر :

Procopius , Secret History , p. 84 .

Life of St. Mary of Egypt . Trans. by Maria Kouli . in Talbot (ed.) Holy Women Byzantium Ten essnt'a lives in English Translation. Washington 1996, pp. 65-93 .  
O.D.B., vol III, p. 1741

Evans, The Empress Theodora Partner of Justinian, pp. 32-34 .

-١

O.D.B., vol III, p. 1741

Procopius, Op. cit ., p. 84 .

-٢

البيزنطي المبكر، والأوسط، والمتأخر. دونما مبالغة أو اعتصاف في الأحكام على نحو يؤكد لنا أن جستنيان عاش في التاريخ البيزنطي بفنخل الجدل الذي أثير بشأن جدوى سياساته وأعماله أكثر مما عاش بفضل أعماله الحربية التي تؤكد اخفاؤها حتى من قبل وفاته، وبصفة عامة، وبغض النظر على أوجه الاختلاف حول تقييمه فالأمر المؤكد أنه من أبرز الأباطرة البيزنطيين.

ونأتى الآن إلى زاوية محورية . وهي محاولة تقويم لعهد ذلك الإمبراطور.

والواقع أن هناك من قرر عنه ما نصه : « أن جستنيان أتم كثيراً من الأعمال فجعل العالم، وأمهده بأدنى مجموعة من القوانين . وأصبحت فترحاته الحضارة الرومانية في الغرب ، كما أنفذت سطوته الدينية، والعلمانية التي قدم بتطبيقها خلفاء الشرقيين من الإذلال في حادثة كانوسا، ولكن كان من نتيجة ذلك درسا عظيما ، إذ وضع أنه لا يمكن التوفيق بين الشرق والغرب . وأن المالية السلبية، والمنظمة هي أساس الحكومة الناجحة ، وتجاهل جستنيان هذه القواعد سبب للإمبراطورية خسارة لا تعوض بها أثرها واضعاً عقب موته مباشرة»<sup>١١</sup>.

والواقع أن الرأي المذكور يعكس لنا وجود جوانب إيجابية لا تنكر، وكذلك سلبية كبيرة دفع الشعب البيزنطي ثمنها فادحاً نتيجة لها ، ولاتفعل أن «الفرسين» المذكورين كان من الممكن تجنبهما في حالة الاحتكام إلى العقل وعدم اللهث وراء أفكار وتصورات أكل عليها الدهر وشرب خاص بإعادة مجد روما المنهار، واقعياً تحت ستار خيل القبائل الجرمانية الغازية والمستقرة بالفعل.

- جوزيف نيسيم يوسف - تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٨٨

وحادثة كانوسا Canossa التي أشار إليها المفرد المذكور عبارة عن ذهاب الإمبراطور الألماني هنري الرابع Henry IV إلى البابا حريجوري السابع Georgy VII في كانوسا Canossa في مقاطعة توسكانيا Tuscany بإيطاليا لتقديم الاعتذار له وبالتالي يرفع عنه الحرمان الكنسي Excommunication الذي فرض عليه وقد مكث الإمبراطور ثلاثة أيام أمام أبواب القلعة الموجودة هناك وفي يناير ١٠٧٧ م ، ثم فتح الباب أبواب القلعة وخرج لديه، فقبل الإمبراطور قدمه واعتذر له وعلى ذلك : قبل البابا اعتذاره وتم رفع الحرمان الكنسي عن ذلك انظر :

Tout, The Empire and the Papacy , 918-1273, London 1914 , pp. 13-132

Rand, Founders of the Middle Ages, New York 1975 , p. 77

ويقرر مؤرخ آخر ما نصه : « فلعل جستنيان يبدو من أكثر الشخصيات إثارة للعبرة ، فبينما الإمبراطورية أشد ما تكون حاجة إلى سياسة حازمة تجنبها شر الفرس ، والصقالة والآفار ، والبغار ، تجده يولع بمشروعات غريبة ربما لم تكن الدولة في أي حاجة إلى إقامها ، بل جلبت عليها الكوارث المروعة واستنزفت كثيراً من طاقاتها ، ومواردها ولم تزد في النهاية إلا إلى اختطافها <sup>(١١)</sup> .

وفي موضع آخر يقرر ذات المؤرخ « توفي جستنيان سنة ٥٦٥ م عن ثلاثة وثمانين عاماً وترك الإمبراطورية أفقر مما كانت حين تولاه وأشد ما تكون قرباً من التدهور ، والإنهيار ، وأقل رومانية مما كانت عليه . بل إن إيطاليا التي أجهد نفسه في انتزاعها من القوط الشرقيين ما لبث أن وقعت فريسة سهلة في أيدي اللباردين ، وقويت فيها شركة البايروية . وترنحت فيها دعائم السيطرة البيزنطية لتؤكد الفشل الذريع لسياسة هذا الإمبراطور العسكرية ، والدبئية في إيطاليا قلب العالم الروماني ومركز الثقل فيه » <sup>(١٢)</sup> .

وفي تصوري : أن ذلك الرأي يعكس - بواقعية - نتائج سياسة ذلك الامبراطور الذي وصفه البعض بالعظمة دون إبراز دوره بما له وما عليه .

ومن ناحية أخرى : نجد أن المؤرخين الأوروبيين الذين وقعوا في أسر كارزما Charisma جستنيان وأوا فيه (إمبراطور) متفرداً : ولذلك وجدت مؤلفات تتناول عصر « جستنيان » أو « جستيان » العظيم بينما يؤكد الواقع التاريخي أنه لم يكن يمثل ذلك التصور إن تأكد لنا أننا أمام إمبراطور مخفق حاول أن يقاوم قوة غرست جذورها في التربة الأوروبية على مدى خمسة قرون كاملة خاصة بعد أن نجحت في إسقاط روما عام ٤٧٦ م ، وبالتالي فذلك الجانب الدعائي هو نتاج المركزية الأوروبية دون أن نجد سنداً من الواقع التاريخي المرمي على الأقل .

لقد ألبس جستنيان خزانة الإمبراطورية ، وترك خلفاته مشكلات مزمنة . كما يهد طاقات أبناء الإمبراطورية جريئاً وراء سراب لا طائل من ورائه فهل بعد هذا يوصف بأنه إمبراطور عظيم ؟ إنها رؤية المؤرخين الأوروبيين الذين حاولوا إيجاد نموذج أوربي قروسطي للبطلنة ووقع اختيارهم على ذلك الامبراطور !!

١ - محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦٤

٢ - نفسه ، ص ٦٥

ومع ذلك : من الإنصاف الرأى بأن إنجازاته القانونية والمعمارية شهدت نجاحاً بارزاً . ومن الملفت للإنتباه : أن العسبلت العسكرية التى أجهت الإمبراطورية ذهبت هباءً منثوراً . أما الجانب المعماري : فلا يزال منه ما بقى على الرغم من تعاقب القرون . وكنيسة أيا صوفيا تنطق بفصاحة بالتاريخ الذى يرجع إلى عصره

من الملاحظ أن جستنيان استجاب لرؤية البيزنطيين الذين توهموا أن من الممكن استعادة القسم الغربى من الإمبراطورية . وانتهروا بانتصارات جيوش الامبراطور خاصة في المرحلة المبكرة . دون أن يدرك أنها انتصارات مؤقتة ولن تستمر . وفي تقديرى : أنه فى حالة قيام جستنيان بالإتفاق على الجوانب الاقتصادية . والعمرانية فى داخل الامبراطورية لتحقيق نجاحاً أكثر دواماً بدلاً من انفاق الأموال الطائلة على آلة الحرب . وبالتالي . يحق لى وفق سياسته نحر الغرب بعدم الواقعية ونفس النظر

وهناك من المؤرخين من اعتاد إطلاق اسمه على عصر بأكمله فيسمونه عصر جستنيان<sup>(١)</sup> . ولا يملك الباحث أمام ذلك التصور : إلا أن يقرر أن مثل تلك الرؤية تتسم بالإتنبهار بشخصية جستنيان<sup>(٢)</sup> . وإنجازاته ولا يوجد مخرج من مثل تلك التصورات إلا من خلال الرؤية

١- أرنست مثال دال على ذلك كتاب إيجر

Ure . Justinian and his age London 1951

فهو يطلق اسم جستنيان على عصر بأكمله وكأنه كان إمبراطوراً ناجحاً نجاحاً غير مسبوق .

٢- نجد مثلاً دالاً على ذلك في صورة ما أورده المؤرخ أ.د. است غنيم عن جستنيان حيث ذكرت ما نصه : « من أن عهد جستنيان لم بدأ بداية طيبة بشرت بالأعمال المزدهرة . ثم صار وهو مكمل بالأعمال الرائعة والمجهد الخليفة من أهل النبوض بالإمبراطورية وتربتها مكانة رفيعة سامية . ثم انتهى هذا العهد وهو محاط بهو من اللوم . والسخط الشديد على إمبراطور هو قى الحقيقتمن عمالقة التاريخ الأوروبى . ويكنى وصف المؤرخ المعاصر أجاتيوس الذى قال عن جستنيان إنه أول من دل بأقواله وأفعاله دين حسيق فباطرة الدولة الرومانية أنه إمبراطور » أنظر :

است غنيم . إمبراطورية جستنيان . ص ٨٩ . وفي تصورى أن العبارة المذكورة تمكس إنبهار المؤلف بالامبراطور المكندر . والعطف المذكورة غير واردة على المستوى السياسى والجبرى . أما قول المؤرخ جاجيوس فقد تردد على ألسنة مورخين آخرين معاصرين لأب طرة بيزنطيين آخرين وهو لا يخرج من دائرة الدعاية =

الموضوعية التي توضع الإيجابيات والسلبيات مهما يكن من أمر؛ على الرغم من رحيله عام ٥٦٥م، إلا أن المرحلة الواقعة من العام المذكور حتى عام ٦١٠م وحتى من بعد ذلك كانت تعبر خير تعبير عن أخطائه ترك إمبراطورية مجهدة، ومنهكة، وخزائنها خاوية وتكالب عليها الأعداء من كل حذب وصوب، وينطبق ذلك على عهود كل من جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م)، وتيسيريوس (٥٧٨-٥٨٢م)، وموريس (٥٨٢-٦٠٢م) وفروكاس (٦٠٢-٦١٠م)؛ وهم أوائل ضحايا جستينيان؛ وبالتالي يتأكد لنا أن عصره لا ينهم دون المرحلة التالية له التي دفعت الثمن فادحاً

وزاد من اضطراب الأمور في الإمبراطورية البيزنطية؛ عودة الصراع بين حزبي الزرق والخضر السالفي الذكر، كما تجدد الصراع البيزنطي- الفارسي، وقد استغل الفرس تلك الأحداث؛ لتحقيق مكاسب عسكرية، وسياسية بارزة في مرحلة ما بعد جستينيان حيث مثل لهم ذلك الوضع فرصة ذهبية كان عليهم احتيالها، والأمر المؤكد نجاحهم في ذلك المجال

وهكذا؛ تجددت أحداث الحرب خلال المرحلة من ٥٧٢ إلى ٥٩١م لتشمل قسمًا من عهد الإمبراطور جستينيان الثاني، وكذلك تيسيريوس<sup>(١)</sup> ثم جاثيًا من عهد الإمبراطور موريس؛ مما عكس أن بيزنطة واجهت عدواً شرساً مصرًا على هدفه ولم يكن من الممكن إلحاق الهزيمة به في يسر وسهولة.

---

= السباسة الواضحة، ومن المهم الإشارة إلى أن رأى مؤرخ معاصر واحد لا يلزمنا لأتينا نجد عكس ما قاله في لدى بروكويوس المؤرخ المعاصر.

١- عن هزين الإمبراطورين أنظر:

Stein, Studien Zur Geschichte der byzantinischen Reiches Vornehmlich Unter den Kaisern Justinus II und Tiberius, Stuttgart 1919

وهي أشمل وأفضل دراسة في موضوعها

Jones, The Later Roman Empire, p.302-309.

وأنظر أيضاً هذه الرسالة:

ناصر عبد الحميد زيدان، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطورين جستين الثاني وتيسيريوس ٥٦٥-٥٨٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م

على أية حال ، من الممكن التنصر بأن خلفاء جستنيان وضعوا في ظروف اقتصادية وعسكرية وسياسية قاسية أكبر من قدراتهم ، ومن الخطأ البين ؛ تصور أنهم كانوا يملكون قراراتهم في المجالات المذكورة بحرية ؛ لأنهم كانوا يعمكون إمبراطورية منهكة كان يحكمها واقعياً جستنيان من قبله بفضل سياساته!!!

مهما يكن من أمر ؛ في مقدورنا القول بأن الإمبراطور موريس<sup>(١)</sup> يعد أكثر الأباطرة الذين حكموا من بعد جستنيان كفاءة من الناحيتين العسكرية والسياسية وملاحظ ؛ أنه وضع نصب عينيه ضرورة استمرار السيادة البيزنطية على كل من آسيا الصغرى ، وكذلك البلقان ، وفي سبيل ذلك ؛ طرق أبراب الدبلوماسية فعهق مع الفرس إنفاقاً عام ٥٩٢م بعد عشر سنوات من توليه السلطة ، وبموجب تم الاتفاق على أن يتم ضم أرمينيا ، وقسم من شمالي بلاد ما بين النهرين Mesopotamia للإمبراطورية البيزنطية وفي المقابل ؛ كان على الأخيرة أن تقدم فدية سنوية للفرس ، ومن الملاحظ هنا ؛ أن الاتفاق المذكور كان من شأنه سيطرة بيزنطة على مناطق استراتيجية في مواجهة الفرس ، كذلك إن النقاط الأنفاس لمواجهة الظروف الداخلية السيئة التي مثلت تحدياً حقيقياً في وجه ذلك الإمبراطور

والواقع ؛ أن قبول الإمبراطور موريس للاتفاق المذكور ، وهو الرجل العسكري لا يخجل من دلالة ، وهو رغبته في تجنب الاستمرار في الصدام مع الفرس ، وإدراكه أن ذلك يعد أفضل الحلول التي يمكن الإقدام عليها وسط الظروف الراهنة التي عايشها .

مهما يكن من أمر ؛ هدد خطر آخر الإمبراطورية في صورة هجمات عناصر السلاف ، والألار الذين تقدموا في مناطق تراقيا ، ومقدونيا ، وبالفعل تقدم الإمبراطور بقواته لصد الخطر القادم عبر نهر الدانوب وتمكن بعد عشر أعوام من الاتفاق السالف الذكر من تحقيق انتصار له من شأنه هناك إلا أن تمرداً حدث في صفوف جنوده ، أدى إلى قتله وظهر في الساحة قائد آخر هو فركاس Phocas الذي صار إمبراطوراً ، وذلك في عام ٦٠٢م .

١- عن ذلك الإمبراطور أنظر :

وفا ، محمد ، الإمبراطور موريس رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام

١٩٨٦م .

Norwich, Ashott History of Byzantium , p. 87

Diehl History of the Byzantine Empire, p. 37 . p. 38 .

ومن الجلى البين : أن الإمبراطور موريس على الرغم من جهود الحربية والدبلوماسية في مواجهة القوى المعادية للإمبراطورية في جبهتين مختلفتين سراء في الشرق مع الفرس أو عبر نهر الدانوب مع السلاف ، والأكثار ؛ إلا أنه لم يجد لدى أغلب المؤرخين إلا أقل القليل من الاهتمام ، بل ركزوا الأمر على الإمبراطور جستنيان . وعند مقارنة الإمبراطور موريس بغيره من خلفاء جستنيان يتضح بجلاء أنه أكثرهم نشاطاً ، وواجه ظروفًا قاسية وحاول جاهداً مواجهة الأعداء ومن أكثرهم ولم يفلح (ما يستحقه من المؤرخين إلا ما ندر على نحو يجعلنا نعتبره من الأباطرة المظلومين في التاريخ البيزنطي المبكر .

مهما يكن من أمر ؛ انتهز الفرس الفرصة السانحة . وأرادوا تحقيق انتصارات على الإمبراطورية المضطربة الأوضاع واستطاعوا بالفعل التوغل في مناطق بلاد الشام . ومصر وأسيا الصغرى بل أمكنهم الوصول إلى مدينة خلقديونية ، ولأن خزائن الإمبراطورية كانت من قبل عامرة ، وصارت الآن خاوية ؛ لم يكن في الإمكان شراء السلام الشاحب الحفز معهم هذه المرة ؛

وهكذا : من الممكن القول - دونما مبالغة - أن تأثير هجرة جستنيان امتد حتى عهد الأسرة التالية وخاصة عهد مؤسسها واعتى به الإمبراطور هرقل إن لم يكن فيما بعد ذلك دون إمكانية تحديد النتائج البعيدة المدى لتلك المرحلة التاريخية على نحو خاص من مراحل التاريخ البيزنطي الجديد .

ذلك أمر جستنيان وأحداث عصره الصاخبة وتقديمه بين المؤيدين والمعارضين أما إذا قمنا صوب عرض موجز لأهم الأعلام الذين ظهروا خلال القرن السادس الميلادي فنذكر عدد من المؤرخين والجغرافيين في صورة بروكوبيوس<sup>(١)</sup> ، وروحا سالالاس<sup>(٢)</sup> ، ثم هناك قسوزما الملاح<sup>(٣)</sup> .

أما في مجال الأدب ؛ نذكر الشاعر رومانوس المرتل ، ويعد أفضل الشعراء في عهد جستنيان وهناك من يقرر اقتصار أعماله على الابتهالات الدينية<sup>(٤)</sup> .

١- عنه أنظر: المدخل البيبلوغرافي.

٢- عنه أنظر: المدخل البيبلوغرافي.

٣- عنه أنظر: المدخل البيبلوغرافي.

٤- أمد ومشم ، الروم ، ج ١ ، ص ٢٦٦ ، وأنظر أيضاً المدخل البيبلوغرافي.

كذلك هناك شاعر آخر في صورة بولس السليدي أبي الصامت<sup>(١)</sup>، الذي خشي كنيسته الحكمة الإلهية Hagian Sophia بقصبتين نعد من مصادر تاريخ تلك التحفة المعمارية الباقية. وعند عقد مقارنة وجيزة بين أسرة جستنيان والأسرتين السابقتين في صورة قسطنطين وثيودوسيوس، نلاحظ أن أسرة جستنيان حكمت ٩٢ عامًا، وبالتالي؛ فافتت زمنيًا أسرة قسطنطين التي امتد حكمها إلى ٧٧ عامًا وهي في نفس الحين أقصر عهدًا من أسرة ثيودوسيوس التي امتد عصرها إلى ١٣٩ عامًا.

ومع ذلك؛ من الأهمية بمكان هنا الإقرار، بأن الوجود في التاريخ ليس وجودًا زمنيًا، بل من خلال الفعالية التاريخية ذاتها، ومن خلال ذلك؛ نفكر أن الأسرة الأولى امتازت بوقف الاضطهاد الذي حل بالمسيحية، وتشبيد العاصمة البيزنطية والثانية امتازت باتخاذ المسيحية ديانة رسمية والاهتمام بالقانون، أما الثالثة فقد أتميزت إسهامات قانونية ومعمارية ناجعة ونجربة عسكرية فاشلة!

ولنتغل أن أسرة جستنيان أثارت جدلاً لم تشره الأسرتين السابقتين عليها

من جهة أخرى؛ تشترك الأسرات الثلاث في أن هناك دورًا للمرأة بصورة أو بآخر وتأثيرًا على امبراطور بارز من الأباطرة، مثال ذلك تأثير هيلانة أم قسطنطين على ابنها، وكذلك تأثير إيناس يودوكيا زوجة ثيودوسيوس الثاني عليه وكان مطيعًا لها، ثم أثر ثيودورا على زوجها جستنيان، ومن الجلي البين؛ أن الأخيرة كانت أكثرهن قدرة على التأثير على مسار الأحداث، كما تفتحت بصفات أهلنها عن سابقتها من خلال أن لفظاً أثير حول سلوكياتها من خلال ما أورده بروكوبيوس، كما أن هليينا تحولت إلى قديسة وهو ما لم يتأت للشخصيتين التاليتين. ولأمرء؛ في أن ذلك يؤكد دور المرأة في توجيه السياسة البيزنطية منذ ذلك العهد المبكر. ذلك أمر أسرة جستنيان؛ أما الأسرة الهرقلية وهي التالية لها فتعرض لمعامل عصرها على مدى الصفحات التالية.

١- أند رستم، المرجع السابق، ص ٢١٦. عندما قمت شخصيًا بزيارة تركيا، وشاهدت تلك الكنيسة التي صارت مسجدًا أدركت بالفعل استحقاقها لمثل تلك القوائد ويكنى ارتفاع قمتها بذلك المقار الشاهق.



### ثالثاً : الأسرة الهرقلية ( ٦١٠ - ٧١٧ م )

نتمرض في هذا القسم من الكتاب لعهد الأسرة الهرقلية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة من ٦١٠ إلى ٧١٧ م ؛ أي ما زاد على قرن من الزمان

تتماز الأسرة الهرقلية بكثرة عدد أباطرتها الذين تولوا الحكم فيها على نحو فاق الأسرات السابقة عليها في صورة أسرات قسطنطين ، وثيودوروس ، وأسرة جستنيان وأباطرة الأسرة الهرقلية هم: هرقل Heraclius ( ٦١٠ - ٦٤١ م ) قسطنطين الثالث Constantine III ( ٦٤١ - ٦٤٢ م ) وقنسطانز الثاني Constance II ( ٦٤٢ - ٦٦٨ م ) ، وقسطنطين الرابع - Constatine IV ( ٦٦٨ - ٦٨٥ م ) ، وجستنيان الثاني Justinian II ( ٦٨٥ - ٦٩٥ م ) وليونتيوس Leontius ( ٦٩٥ - ٦٩٨ م ) ، وتيبيريوس الثاني Tiberius II ( ٦٩٨ - ٧٠٥ م ) وجستنيان الثاني Justinian II ( ٧٠٥ - ٧١١ م ) ، وفيليبجكوس Philippicus ( ٧١١ - ٧١٣ م ) ، اناسانس الثاني Justinian II ( ٧١٣ - ٧١٥ م ) ، وثيودوسيوس الثالث Theodosius III ( ٧١٥ - ٧١٧ م )

ومن الملاحظ ؛ أن تلك الأسرة احتوت أباطرة حكما مدة طويلة نسبياً كما في حالة كل من الإمبراطور هرقل ، وقنسطانز الثاني ، وقسطنطين الرابع. وهناك من لم يتجاوز حكمه عام أو عامين فقط مثل ثيودوسيوس الثالث ؛ مما عكس الضعف السياسي ، وعدم الاستقرار خاصة خلال المرحلة الأخيرة من عهد تلك الأسرة

على أية حال ؛ الأمر المؤكد أن أهم إمبراطور خلال حكم تلك الأسرة هو الإمبراطور هرقل<sup>(١)</sup> المؤسس البارز الذي كان إنشاً لحاكم قوطاجية ، وقدم إلى القسطنطينية ، وقام بانقلاب أوصله إلى سدة الحكم عام ٦١٠ م في ظروف تاريخية معقدة وعصيبة خاصة على جبهة الصراع البيزنطي - الفارسي.

١ - عن الإمبراطور هرقل أنظر

Reinink and Stolte (eds.) The Reign of Heraclius (616-641), Crisis and Confrontation, Paris, 2002 .

ويحتري على (١٣) بحث من الأبحاث التي ألفت في ورشة العمل التي عقدت في جامعة جرونيمن خلال المدة من ١٩ إلى ٢١ أبريل ٢٠٠١ م.

Kaegi, Heraclius Emperor of Byzantium, Cambridge 2003 .

ومن الممكن إجمال أهم أعماله على النحو التالي:

أولاً : مواجهة الخطر الفارسي.

ثانياً : المشكلة الدينية .

ثالثاً : الصراع البيزنطي - العربي.

وفيما يتصل بالخطر الفارسي؛ يلاحظ أن الفرس في عهد خسرو الثاني Khosroes II (591-628م) تمكنوا من تحقيق نجاحات غير مسبقة على حساب بيزنطة وقد أسقطوا عدداً من مدن بلاد الشام ، بل تمكنوا من دخول بيت المقدس وذلك عام ٦١٥م بعد خمس سنوات فقط من تولية الإمبراطور هرقل أمر الإمبراطورية البيزنطية . وقد تم الاستيلاء على ما يعتقد المسيحيون أنه صليب الصليبوت . كذلك تم مهاجمة كنيسة القيامة، واشتعلت النيران فيها، ويعني ذلك كله؛ أن الرموز الدينية المسيحية الكبرى صارت نهباً في أيدي الفرس. بل وصل الأمر إلى حد أنهم استولوا على مصر عام ٦١٧م كذلك واصلوا توسعاتهم إلى آسيا الصغرى Asia Minor ، وبلغوا خريسوبوليس Chrysopolis وكانت الأخيرة بمثابة آخر منطقة أمكن للفرس أن يتوسعوا فيها على حساب السيادة المسيحية البيزنطية حينذاك ، ويلاحظ أن آسيا الصغرى خلال تلك الأحداث العصبية مثلت درعاً واقياً قام بحماية القلب البيزنطي واستهلك جزئياً طاقات الفرس.

ونظراً للرابطة الجغرافية والتاريخية الأتلية بين بلاد الشام ومصر (الشامصر) ، اتجه الفرس إلى الأخيرة وتمكنوا من الاستيلاء عليها عام ٦١٩م، وفي كل مكان حلوا فيه نشروا الدمار والحراب<sup>(١)</sup>.

---

= وهي أحدث وأفضل دراسة بالإنجليزية وأنظر أيضاً

Haldon . Byzantium in The Seventh Century . the Transformation of a culture, Cambridge 1997 . pp. 41-53 .

Diehl. History of the Byantine Empire, pp.41-42 .

لبنى عبد الجواد . الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين ، ط . القاهرة ١٩٨٥م.

وهي أفضل دراسة أكاديمية متخصصة بالعربية في موضوعها

١- ثيودريش، وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريش القرن الثاني عشر الميلادي=

كان الإمبراطور هرقل بالفعل رجل الساعة للإمبراطورية ؛ وقد اتجه إلى مهادنة الأخطار الجانبيه كما حدث بالنسبة لعناصر السلاف ، والآقار . وتفرغ لمواجهة الخطر الأكبر في صورة الفرس ، وقام بالالتفاف على القوات الفارسية ، وهاجمهم في داخل بلادهم في عام ٦٢٧م . وحدث صدام حربي بين الجانبين في مقابل نينوى بالقرب من الموصل الواقعة في شمالي العراق ، وكان النصر حليفاً له <sup>(١١)</sup> . وقد أدت نتيجة المعركة إلى عزل كسرى فارس ، وتولى من بعده ابنه الذي وافق على شروط بيزنطة وإنسحب الفرس من المناطق التي استولوا عليها من قبل ، ومنها بلاد الشام ، ومصر

---

= السادس الهجري ، ت . سعيد عبدالله البشاري ورياض شاهين . ط . عمان ٢٠٠٣م ، ص ٢٥ حاشية (١١) .

عن خضوع مصر لسيطرة الفرس أنظر :

Diehl, History of the Byzantine Empire, p.41 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 196 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 86 .

Peters, Europe and the Middle Ages, New Jersey, 1997, . 88 .

محسود المحمدي . مصر في العصور الوسطى . ط . القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٤٧ ، ص ٤٨

١- عن هروب هرقل ضد الفرس أنظر :

Theophanes, The Chronicle of Theophanes An English Trans. of anni undi 6095 . 6305 (A.b.602-813) , by Harry turtledove, Philadelphia 1982 , p. 29 .

Kaegi, Heraclius Emperor of Byzantium, pp. 156-191

Regan, First Crusader Byzantium's Holy Wars, New York 2003, pp. 75-80 .

Hussey , The Byzantine World , p. 25 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 92-93.

Treadgold. A History of the Byzantine State, and Society, pp. 293-301 .

عفاف صبرة . والمجزئة الفراتية بين الصراع الفارسي البيزنطي من القرن الرابع الميلادي إلى الفتح الإسلامي ما قبل ٨ - ٦٦١ هـ / ٦٦٩-٦٨٢م . المجلة التاريخية المصرية، م (٤٣) . عام ٢٠٠٥م ، ص ١١٤ .  
ويلاحظ أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك في سورة مريم ١-٦ في قوله تعالى : **وَآلِمَ مَا فِي بُحْرَيْنِ مُتَسَلِّطِينَ** (١) **فَلَمَّا تَبَيَّنَ الْأَمْرُ** (٢) **فِي الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ** (٣) **فِي بَعْضِ مَسَاجِدَ اللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** ٤

جدير بالذكر : صاحب حروب هرقل ضد الفرس استخدام اشارات دينية مثل الصليان ، وصور السيدة مريم العذراء عليها السلام وهي تحمل المسيح عليه السلام طفلاً : من أجل إثارة حساس الجنود . ومع ذلك : لا يمكن إعتبار ما قام به نوعاً من الحروب الصليبية . Crusades William of Tyre<sup>(١١)</sup> ، كما تصور المؤرخ الصليبي البارز وليم الصوري في أنها قامت من الغرب الأوربي ، ولم تندلع من الإمبراطورية البيزنطية كما أنها نتاج أخريات القرن الحادي عشر الميلادي وليس القرن السابع الميلادي ، وفيما بعد : حاول بعض المؤرخين تكرار نفس التصور بالنسبة لحروب شارلمان Carolus Magnus ضد المسلمين في الأندلس ، عندما انجبه إلى حصار سرقسطة<sup>(١٢)</sup> عام ٧٧٨م ، غير أن ذلك يعد تحميلاً للأمور أكثر مما

#### ١- عن فكرة الحرب المقدسة لدى العائليين المسيحي والإسلامي أنظر

Canard, " la guerre Sainte dans le monde Islamique et dans le monde Chretien" R. AF. T. LXXIX, 1956, pp. 605-623 .

Brundage, " Holy war and The Medieval Lawyers ", in, Brundage (ed.), the Holy war. Ohio State 1977, pp. 99-139 .

Saunders, " The Gusaden as a holy war ", in Brundage (ed.) The Crusades, Motives and achievements, Boston 1964 .

قاسم عبد قاسم ، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية - ط. القاهرة ١٩٨٣م ، ص ١٤-٢٠ ، حان قلوري ، الحرب المقدسة ، الجهاد والحرب الصليبية ، ت. غسان مابسر ومراجعة جلال شعاعته ، ط. دمشق ١٩٩٤م ، ص ١٧٣ ، ويلاحظ أن المؤلف متعصب ضد الاسلام ، بوجه عام

٢- سرقسطة : Zaragoza ، مدينة كبيرة وقعت في شمال شرقي الأندلس ، وامتازت بوجود خمسة أنهار بها في صورة أنهار إبرو ، دليق ، ثلوسه ، وروبه ، وفنتشن . ويلاحظ : أن اسمها القديم هو Suldaba ، وعندما قام الرومان باحتلال أسبانيا : أسس الامبراطور أغسطس Augustus مستعمرة بها أسماها Caesarea Auguste ثم تم تحويل الاسم خلال عهد القوط إلى Caesaragusta وصار خلال الحكم العربي سرقسطة ، وقد قام طارق بن زياد بفتحها عام ٧١٤م ، واستمر الحكم العربي بها إلى أن تمكن الأسبان من إعادة السيطرة عليها في عام ١١١٨م من خلال ما أطلقوا عليه «حرب الاسترداد» Reconquesta من سرقسطة أنظر :

بناغرت ، معجم البلدان ، ط. بيروت - بـ ٣ ، ص ٢١٢-٢١٤ ، يوسف أحمد ياسين ، بلدان الأندلس في أعمال بالقرن الحادي عشر الجغرافية (٥٧٤-١١٧٨ / ١١٢٦-١٢٢٦) ، ط. أبوظبي ، مركز زايد للتراث ٢٠٠١م ، ص ٣٣٤ ، حاشية (١) ، عبد السلام الترماني - أزمنة التاريخ الاسلامي ، ج ١/٩ ، ط. الكويت ١٩٨٢م ، ص ١٥٣

تحتل : فلا صليبيات قبل عام ١٠٩٥ م عندما قام البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٩-١٠٩٩م) بالدعوة إليها تحديداً في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م في مجمع كليرمونت Clermont فرنسا كما ستفصله فيما بعد .

والأمر المزدك : أن هرقل يعد بالفعل الإمبراطور المنقذ للإمبراطورية البيزنطية خلال تلك الظروف العصيبة التي مرت بها وبعد دوره في هذا المجال، أكثر أهمية من دور الامبراطور جستنيان خاصة أن الأخير في عهده لم تكن الامبراطورية مهددة بمثل تلك الدرجة التي كانت عليها في عهد الامبراطور هرقل.

من المزدك أن المؤرخين الذين درسوا عهد ذلك الامبراطور : لم يعطوه حقه الجدير به نظراً لهرجته فيما بعد على أيدي المسلمين غير أن الإنصاف التاريخي يجعلنا نقرر أنه من وجهة نظر بيزنطية كان من أكفأ الأباطرة البيزنطيين ونجاحه في مواجهة الفرس خير دليل على ذلك.

على أية حال : يوصف هرقل «بالامبراطور التعيس» : إذ لم يهنأ بانتصاره على الفرس، فقد ظهر أمامه خطر داهم في صورة العرب الذين اعتنقوا الإسلام ، وصاروا قوة لا يستهان بها، وقد أثبت قدرتها الفذة على تغيير التاريخ في العصر الوسطى بصورة غير مسبوقة وخلال عقود قليلة !!!.

ومن المكن أن تلقى نظرة عابرة على بدايات غر تلك القوة التي لم يحسب لها البيزنطيون حساباً ! فقد ولد النبي محمد بن عبد الله عليه أشرف الصلاة وأزكى السلام في مكة المكرمة ٣٠ أغسطس عام ٥٧٠م من أسرة من أشرافها وفيما بعد عمل بالرعي، والتجارة ووصف بالصادق الأمين ، وعند بلوغه الأربعين عاماً جاءه الوحي من الله تبارك وتعالى وهو يتعبد في

= وعن حملة شارلمان عليها عام ٧٧٨م انظر:

مجهول، أخبار مسجوعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيها بينهم، تحقيق إبراهيم الأيباري، ط . بيروت ١٩٨٩م، ص ١٠٣ حيث يقول: « طبع لمارل في مدينة سرقسطة من أجل ذلك، فخرج حتى حل بها، فقاتله أهلها، ودفعوا، أشد الدفع فرجع إلى بلده، إسماعيل نوري ربيعي، تاريخ أوروبا في العصر الوسطى، ص ٦٢، صالح السعدون، العلاقات الخارجية للأندلس في عهد الامارة، ط. الرياض ب-٢، ص ٩٨-٩٩، متى حسن محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجية ٩٢-١٠٦٠هـ /

٧١٤-٨١٥ م، ط القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٨٠-١٨١

غار حراء . وكان نزول القرآن الكريم الذي يعد معجزة إلهية حبة منذ ذلك الحين ، وإلى قيام الساعة . وفي يوم حده بعض المؤرخين بأنه ١٨ يولييه ٦٢٢م قام النبي عليه الصلاة والسلام بالهجرة من مكة المكرمة إلى يثرب التي غدت تحمل اسم المدينة المنورة ، وقد واصل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، وتمكن من فتح مكة

بلا حظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بإرسال سفراء إلى حكام الدول المجاورة<sup>(١)</sup> ومنهم الدولة البيزنطية من أجل إبلاغهم برسالة الإسلام الذي هو في الحقيقة دين عالمي لكافة البشر صالح لكل زمان ومكان ، فأحسن البعض استقبال سفراءه وأساء البعض الآخر إليهم ، وكان الامبراطور هرقل من أولئك الذين أرسل لهم نبي الإسلام رسالة للإبلاغ بالدين الجديد

جدير بالذكر ؛ حدثت معركة مزنة بين المسلمين والبيزنطيين<sup>(٢)</sup> عام (٦٢٩م) انتصر فيها الأخيرون . واستشهد فيها ثلاثة من قادة المسلمين في صورة زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، وتمكن خالد بن الوليد من الإنسحاب بباقي القوات الإسلامية .

١- عن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل أنظر : أحمد فؤاد سيد ، الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين- بلاغ الدعوة ، ط. القاهرة ١٩٩٧م ، ص ٥٢٧-٥٢٨ ، وأرد الإشادة بإنجهد العلمي البارز في أطروحة الدكتوراه التي أعدها المؤرخ البارز الراحل د. أحمد فؤاد سيد أنظر أيضًا : كيلي عبد الجواد ، الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل ، ص ٢٢٨ - ٢٤٠ ، محمد لقمان الأعظمي ، السيرة النبوية ، ط. جدة ب-٢ ، ص ٢٢٨-٢٥٨

وعن الرسائل التي أرسلها النبي (ص) بصفة عامة إلى الأباطرة والملوك أنظر :

محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط. بيروت ١٩٦٩م ، ص ١٠٥-١٠٨ ، عبد الجبار السامرائي ، «الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة» ، المجلد (٥٥) ، (١٢) عن معركة مزنة انظر :

٢- عن معركة مزنة أنظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ط. بيروت ١٩٥٨م ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، إبراهيم بيضون ، «حملة مزنة مقاربة للمشروع السياسي الأول للدولة الإسلامية في بلاد الشام» ، في كتاب تاريخ بلاد الشام ، إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية ، ط. بيروت ١٩٩٧م ، ص ٩٩-١٢٥ ، عبد الرحمن أحمد سالم ، المسلمون والروم ، في عصر النبوة دراسة في جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ط. القاهرة ١٩٩٧م ، ص ٨٧-١٢١ ، شكوي فيصل ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، ط. بيروت ١٩٧٤م ، ص ٢٦-٢٧ ، إبراهيم المصدي ، الإمبراطورية البيزنطية ، والدولة الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٢٦-٢٧

ومن الجلى البين : أن الامبراطورية البيزنطية التي كانت قد خرجت من صراعها مع الفرس بانتصار باذن ، استخفت بقوة المسلمين وتصورت أنهم يقومون بمجرد مناوشات حدودية محدودة الشأن ولم يتصور البيزنطيين البشة أن يصل بهم الأمر إلى حد إلحاق هزائم مروعة بأباطرة القسطنطينية الكبار الذين انتشروا بخر الانتصار على الفرس منذ قليل.

ومن المهم هنا الإقرار : بأن حركة الفتوحات العربية الكبرى لم يكن دافعها الناحية الاقتصادية كما توهم قطاع من المؤرخين الماركسيين وكذلك المستشرقين . بل إبلاغ رسالة الإسلام ، وهى رسالة عالمية . وتخجير الشعوب بين أن تعتنقه أم لا دون أى إكراه فى سبيل اعتناق الدين الجديد ، حيث قال تعالى فى كتابه العزيز « لا إكراه فى الدين »<sup>(١)</sup> . ولاربيب : أن الإسلام إمتاز بوضوح الرؤية الدينية ولم يكن فيه ذلك الجدل الدنى الذى لايتنهى بشأن طبيعة السيد المسيح عليه السلام . على نحو سيؤدى إلى إقبال الكثيرين نحو اعتناقه باعتراف المنصفين من المستشرقين<sup>(٢)</sup> . لانقل هنا الإشارة إلى أن الإمبراطور هرقل توجه إلى محاولة تسوية الصراع الدائر بين أصحاب الطبيعة الواحدة والطبعيتين بأن أوجد مذهباً توفيقياً جديداً عبارة عن مذهب المشيئة الواحدة أو المونوتوليضى Monothelism<sup>(٣)</sup> . من خلال مرسوم صدر عام ٦٣٨م. غير أنه أخفق فى إقناع الطرفين به . وقد حاولت بيزنطة فرضه على رعاياها كما

١- أحمد الشريف . دور المحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، ط . القاهرة ١٩٦٨م . ص١٦٧-١٨٠ حيث يتناول دوافع تلك الحركة وأفضل دراسة بالعربية تفند أكلوية انتشار الإسلام بعد السيف التى كثيراً ما ردها قطاع من الباحثين الغربيين أنظر : نبيل لوقا بابوى . انتشار الإسلام بعد السيف بين الحقيقة والافتراء . ط . القاهرة ٢٠٠٢م . ص٢٤-١٨٤

والمؤلف القبطى منصف للإسلام وحاصل على عدة درجات للدكتوراه

٢- عن خالد أنطرس : Arnold, The Spread of Islam in the World . A History of Peaceful Preaching. India 2001

ويلاحظ أن الكتاب المذكور له ترجمة عربية أنظر :

توماس أرنولد . الدعوة إلى الإسلام . ت . حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحرولى ، ط . القاهرة ١٩٤٧م .

٣- عن ذلك المذهب أنظر :

شارلز أوسان . تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ت . مصطفى طه بدر . ط . القاهرة ١٩٥٣م . ص١٣٥

حدث في بلاد الشام ومصر، دون جدوى، وفي الأخيرة - على سبيل المثال - عارض الأقباط بشدة سياسة هرقل الدينية في بيته عرفت بتدنيها الفطري منذ أقدم الأزمان، وقد فر رأس الكنيسة القبطية بنيامين Benjamin إلى الصحراء بحقيقته هرباً من جراء الجور البيزنطي<sup>(١)</sup> الذي لاحق كل من لا يعتنق المذهب الرسمي للإمبراطورية.

يضاف إلى ذلك، كانت السياسة البيزنطية الجائرة على المستوى الاقتصادي القاسية على فرض الضرائب واستنزاف ثروات الولايات الشرقية خاصة القمح كما في حالة مصر<sup>(٢)</sup>؛ كان ذلك أثره في اشتعال نيران السخط، والتمرد في نفوس سكان تلك الولايات وهكذا؛ قدم البيزنطيون بأخطائهم الفادحة فرصة ذهبية للفاتحين العرب ليشفروا عليهم، ويحققوا انتصاراتهم في وقت قياسي غير مسبوق ومن قبل ذلك كله الجوانب الإيجابية المتعددة التي احتراها الإسلام نفسه كدين سماوي خاتم.

١ - حاشية (١)، السيد الباز العربي، الدولة البيزنطية، ط. القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١١٧، عبد القادر يوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ط. بيروت، ١٩٦٦م، ص ٩٧-٩٨، أسد وسيم، الروم، ط. بيروت، ١٩٥٥م، ج ١، ص ٢٣، وإكية رشدي، تاريخ الأدب السرياني، مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس م (١٧)، عام ١٩٧٣م، ص ٣٦٤، محمد مؤنس عوض، «أضواء على تاريخ موازنة لبنان عصر الحروب الصليبية»، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصر الوسطي، مجموعة أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبيد قاسم، بمناسبة بلوغه الستين، تحرير عاتم الطحطاوي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٨٩، حسين العمادات، العرب النصارى، عرض تاريخي، ط. دمشق، ١٩٩٢م، ص ٥٤.

Angold, Byzantium the Bridge from Antiquity to the Middle Ages, p. 166.

٢ - عنه أنظر قايير نجيب اسكندر، «بنيامين الأول البطريك الثامن والثلاثون بين نهاية العصر البيزنطي وبداية الفتح الإسلامي لمصر ٦٢٣-٦٦٢م»، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٣٦-٣٧، عزيز سورمال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ت. اسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٩٨.

٣ - بلاط أن الإمبراطورية الرومانية من قبل كانت ترى أن القمح المصري على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لها، وهناك من يقرر أنه في حالة سزال أي إمبراطور روماني عن العلاقة الوثيقة التي ربطت مصر بالإمبراطورية الرومانية لأجاب من فورده القمح والنقود، وقبلا بعد؛ كان على مصر تقديم ما تراوح بين ٨، ٩ مليون أردب من القمح؛ بما عكس أهمية الدين الاقتصادي الذي لعبته بالنسبة لتلك الإمبراطورية ومن بعدها البيزنطية، أنظر:



ومن الأهمية بمكان هنا الإشارة بمقال « تاريخي » خطه أ.د. اسحق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة عين شمس بعنوان « شمس العرب تسطع على أرض النيل »<sup>(١)</sup> أقر فيه بأن ذلك الفتح جاء بمثابة إنقاذ لمصر ، وأهلها الأقياط حينذاك من الإضطهاد البيزنطي ، فكانت شهادة حق من مؤرخ بارز رداً على إدعاءات واقتراعات لا تنف على قدميها .

على أية حال : تمكن المسلمون بقيادة عبيد الحارث بن الوليد - الذي لم يهزم طوال حياته في أية معركة حربية على نحو فريد لا تجد له نظير على الأقل في حقبة العصور الوسطى والذي لقبه نبي الاسلام مبكراً بسيف الله المسلول ، وأكدت وقائع التاريخ صدق ذلك الرصف - تمكن من قيادة المسلمين في انتصار تاريخي فذ في صورة معركة اليرموك في ٢٢ أغسطس من عام ٦٣٦م<sup>(٢)</sup> وتفوق الفرسان المسلمون خيفي الحركة الذين برعوا في حرب الصحراء على القوات البيزنطية الثقيلة البطيئة الحركة ، وكان الانتصار الإسلامي فيها حاسماً ، وتعد أول

١- وأنت عبد الحميد وطائق منصور . مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤-٦٤١م . ط. القاهرة ٢٠٠١م . ص ٣-٥ . وأنت عبد الحميد . « مصر والعرش البيزنطي » . ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط . إعداد وتقديم رؤوف عباس . ط. القاهرة ١٩٨٦م . ص ٧٧-٧٩

٢- عن ذلك انظر : اسحق عبيد ، « شمس العرب تسطع على أرض النيل » . ضمن كتاب أثر الاسلام في مصر وأثر مصر في الحياة العربية الاسلامية ، اشراف أ.د. قاسم عبده قاسم . ط. القاهرة ١٩٩٩م . Theophane, p. 38.

٣- عن معركة اليرموك أنظر : البلاذري ، فتوح البلدان . ط. بيروت ١٩٥٨م . ص ١٣٦

ابن الأثير ، الكامل . ط. بيروت ١٩٩٤م . ج ٢ . ص ٦٩-٧٢

Nicol, Yarmuk ad 636 The Muslim conquest of Syria , Oxford 1994, pp. 46-86 .

Kaegi, Byzantium and the Early Islamic Conquests , Cambridge 2000, pp. 112-146 .

Whitrow , The Making of Byzantium 600-1025 , Los Angeles 1996, p. 86, p. 89

وبلاحظ أن المؤرخ شارل ديل وصفها بأنها كارثة « اليرموك » « The disaster of Yermuk » أنظر :

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 43 .

علاء الدين حسين مكي ، فن الحرب عند العرب دراسة في الفتحوات الكبرى في العصر الراشدي . ط. بغداد ، ١٩٩٩م . ص ٢٤٨-٣١٨ وهي دراسة تحليلية ذات طابع عسكري أعدها خبير عسكري عراقي : حازم عبد القادر الراوي ، الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي في صدر الاسلام ، ط. بغداد ١٩٩٨م .

مواجهة حرية كبيرة بين المسلمين ، والبيزنطيين ، وفيها تأكدت مقولة المفكر التونسي الكبير ابن خلدون أن البلد «أقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواه من الأمم»<sup>(١)</sup> . وجدير بالذكر أن الفيلد مارشال مونتهجومري القائد البريطاني الذي انتصر في معركة العلمين على قوات المحور خلال الحرب العالمية الثانية ألف كتابا بعنوان : A History of Warfare ، أي الحرب عبر التاريخ وفيه أشاد بإنجاز الجيش المسلم بقيادة خالد بن الوليد القائد الفذ<sup>(٢)</sup> .

بصفة عامة ؛ حسنت تلك المعركة أمر السيادة السياسية على بلاد الشام لصالح المسلمين ، ولارب ؛ في أنها بالإضافة إلى معركة القادسية ضد الفرس قد أحدثت واقعا جيوبوليتيكيا جديدا أثر بدوره في تغيير النظام العالمي حينذاك ؛ إذ انحسرت الدولة البيزنطية غربا ، وجاء ذلك إيدانا لها فيما بعد في حركة تاريخية بطيئة بين القرنين ٧ - ١٥م . كذلك جعلت تلك المعركة المسلمين يقتربون من الساحل الشرقي للبحر المتوسط ملتقي الحضارات ، والسياسات في العصور الوسطى .

على أية حال ؛ نسب المؤرخون المسلمون وغيرهم وداعا رمزيا للإمبراطور البيزنطي هرقل لبلاد الشام إذ قال : Vale Syria et Ultimatum ؛ أي «الوداع يا سورية وداعا» ؛

= ويلاحظ أن من عوامل الانتصار في تلك المعركة براعة المسلمين من خلال خفة الحركة وخبرتهم في التحرك حركات تقدم وانسحاب واستدراة وكذلك قطع خطوط المواصلات والتموين للبيزنطيين ولم يكن من الممكن لجيش البيزنطيين الثقلة التفوق عليهم انظر : جلوب ، المتوحشات العربية الكبرى ، ت. خيري حماد ط. بيروت ب-ت ، ص ١٤٢

١- المقدمة تصحيح وفهرسة أبو عبدالله السعيد المددو ، ط. بيروت ٢٠٠٥م ، ص ١٣٣

الأمر المؤكد ؛ أن ابن خلدون من عباقرة الإسلام في العصور الوسطى . ويمتاز بالأصالة الفكرية ، وقد تأثر بفكره في نظرية الدول ، كما أشاد به المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي مدح التحدي والاستجابة .

الفيلد مارشال مونتهجومري ، الحرب عبر التاريخ ، ت. عبدالله النمر ، ط. القاهرة ١٩٧٣ ، ج ١ . يقول ذلك القائد البريطاني المحتك «في عام ٦٣٦ هـ عند الإمبراطور البيزنطي هرقل جيشا مكونا من خمسين ألفا ليقا تل بالعرب ، وكان جيشهم نصف عدد الجيش البيزنطي وبقيادة خالد بن الوليد والتقى الجيشان عند الهموك . وأسفرت المعركة على هزيمة الجيش البيزنطي وتشتت صفوفه ولاقوا حتفهم على أيدي أهل الصحراء» .

نهائياً»<sup>(١)</sup> على نعر عكس مدى إحساسه بالكارثة التي حلت بالدولة البيزنطية من جراء التوسعات العربية الحافظة ، والناجحة .

وفيما بعد: تمكن المسلمون من إخضاع مدن بلاد الشام الكبرى بما فيها بيت المقدس التي دخلها الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧م<sup>(٢)</sup>، دخولاً سلمياً متحضرًا وأعطي أهلها الأمان على عقائدهم ، وأرواحهم ، وممتلكاتهم . ورفض الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يحولها المسلمون إلى مسجد فقدم درساً تاريخياً في التسامح والسلام منذ القرن السابع الميلادي، ويستكرر من بعد ذلك بعدة قرون عندما دخلها السلطان صلاح الدين الأيوبي محرراً في عام ١١٨٧م. وما ذلك إلا التعبير الحى الصادق عن أخلاق الإسلام النبيلة ودوماً شبيهة تعصب.

جدير بالذكر: اتجه المسلمون بقيادة عمرو بن العاص إلى فتح مصر، وكانت مهبة لاستقبال الفاتحين الجدد. ويحدثنا مؤرخ قبطي معاصر للفتح العربي وهو يوحنا النقيوسى أن العرب وجدوا المساعدة من أقباط مصر<sup>(٣)</sup> الذين رحبوا بهم وقدموا لهم المأوى والامدادات والأهم سلاح

١- الأزدى : فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عامر، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٢٣٦

الطبرى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ج ٣ . ص٦٠٣

لبلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية ، ص٣٨٠ . عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية ، ط.

القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٢

وعن الصراع البيزنطى- العربى حينذاك أنظر: Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 99

٢- من دخول عمر بن الخطاب بيت المقدس أنظر: إبراهيم جابر . قضية القدس ومستقبلها فى القرن الحادى والعشرين دراسات (٢١) مركز دراسات الشرق الأوسط عمان ٢٠٠٢م، ص٢٢ . الأزدى . المصدر السابق، ص٢٥٩ ، عبد الباسط التكرورى، موسوعة الخلفاء الراشدين ، ط. عمان ٢٠٠٣م، ص١٢٧ محمود السيد ، الفتوحات الإسلامية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص٤٦- ٤٥ ، حلى شاعين ، الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢٠٤ - ٢٠٥ ، فاروق عمر غوزى، محسن محمد حسن ، الوسيط فى تاريخ فلسطين فى العصر الإسلامى الوسيط، ط. رام الله، ١٩٩٨م، ص٤٧

٣- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر، المغرب ، ج ١، تحقيق عبد المنعم عامر، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٨٦ . يقول ما نصه : «فيقال أن القبط الذين كانوا بالقرى كانوا يومئذ يعمروا أعراساً» =

المعلومات للتخلص من الاضطهاد البيزنطي، وبالفعل؛ تم للمسلمين فتح مصر عام ٦٤٢م في عهد قسطنطين الثالث. وكان ذلك كله دليلاً وضاحاً على أن المقاطعتين المهتمتين ببلاد الشام، ومصر صارتا خارج نطاق السيادة البيزنطية، ولاشك أن ذلك حرم بيزنطة من القمح الذي كانت تقدمه مصر لها كإمتداد لعلاقاتها السابقة بالإمبراطورية الرومانية، ولكن من ناحية أخرى؛ أدى ذلك إلى إيقاظ المشكلات الدينية من خلال معارضة بلاد الشام، ومصر لمذهب المشبته الواحدة الذي حاول الامبراطور هرقل فرضه هناك دون جدوى، وبصفة عامة؛ فإن الأمر المؤكد فداحة خسائر بيزنطة مقارنة بتلك الزاوية الإيجابية المحدودة.

= وعن تلك الأحداث أنظر:

John Bishop of Nikou, Trans. From Ethiopien by Zotenberg, Paris 1883, English Trans. by R.M Charles 1916.

وهناك ترجمة عربية قام بها عمر صابر عبد الجليل، انظر بروخا القيقسي، تاريخ مصر لبروخا القيقسي، ت. عمر صابر، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٩٢ وما بعدها أيضاً؛  
Amelineau, "La conquete de L' Egypte par les Arabes," R.H., T. CXIX, 1915, pp. 273-310.  
١- يقول مفكر قبطي قدير ما نصه «على مدى ستة قرون كاملة تعرض القبطون للاضطهاد الشرس».  
ويقصد بذلك اضطهاد البيزنطيين لهم انظر:

وليم سليمان قلاو، «العلاقات الاسلامية - المسيحية في الواقع المصري». ضمن كتاب العلاقات الاسلامية المسيحية قراءات التاريخ والحاضر والمستقبل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط بيروت ١٩٩٤م، ص ٥٦؛ أحمد عبد الرازق، تاريخ مصر وآثارها الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٤- ٩ ص ١٥

Arnold, The Spread of Islam in The World p. 102.

-٢-

ويقول ذلك المؤرخ البريطاني عن تسامح الفاطميين العرب، ما نصه  
"Muhammadian Conquest brought a freedom of religious life such as They had not enjoyed for acentury"  
Arnold Ibid p. 102.

والاعتراض على عبارته في كلمة «محمدي» والمفروض أن تكون «الإسلامي» بدلاً منها. فالإسلام ليس دين محمد بل دين الله جل سبحانه وتعالى ومحمد عليه الصلاة والسلام رسول الله جل شأنه المصطفى والمختار من جئاته لإبلاغ رسالة الاسلام العالمية.

لا تغفل هنا زاوية لها أهميتها ضمن الحديث عن الفتح العربي لمصر. إذ أتتهم فريق من الباحثين الغربيين العرب بأنهم قاموا بإحراق مكتبة الاسكندرية التي كانت محوى تراثاً إنسانياً ضخماً ومن الممكن الرد على تلك الفكرة من خلال النقاط المعددة التالية

أولاً : إن مكتبة الاسكندرية قد أصابها الحريق مرتين الأولى عام ٤٨ ق.م إثر حريق أسطول يوليوس قيصر Julius Cæsar ، والثانية خلال عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧١-٣٩٥ م) وذلك في عام ٣٩١ م ؛ أى من قبل مقدم الفاتحين العرب بعدة قرون.

ثانياً : من الملاحظ أن رواية إحراق المكتبة المذكورة لا يزيدنا أحد من المؤرخين المعاصرين مثل أوتيسا ، الذى قدم تفصيلات مسببة عن الفتح العربي لمصر، كذلك لم نجد أثراً للحديث عنها لدى المؤرخين الآخرين مثل يعقوبى ، والبلاذرى ، وابن عبد الحكم ، والطبرى، والكندى، وكذلك لدى المؤرخين المتأخرين مثل المقرئى (ت ١٤٤٦م) شيخ مؤرخى مصر الإسلامية ، وأبى المعاسن (ت ١٤٩٩م) والسيوطى (ت ١٥٠٥م)

ثالثاً : هناك من يقرر أن المؤرخ أوراسيوس Orasius قرر أنه وجد وفوف المكتبة خالية من الكتب وذلك عندما قام بزيارة مدينة الاسكندرية فى أوائل القرن الخامس الميلادى، مما عكس عدم وجود تلك المكتبة من قبل مقدم الفاتحين العرب، واستيلائهم على الاسكندرية .

خامساً : من المفترض فى حالة بقاء تلك المكتبة إلى الفتح العربى؛ لم يكن هناك ما يمنع من نقلها إلى العاصمة البيزنطية القسطنطينية على أبهى البيزنطينية خاصة أن عسرو بن العاص قرر فى الصلح الذى عقده معهم ؛ أن من حقهم أن ينقلوا ما يستطعون حمله، وهناك من أوضح أنه كان بإمكانهم حينذاك نقل عدة مكتبات لا مكتبة واحدة<sup>(١١)</sup>.

١- عن الرد على افتراءات إحراق مكتبة الاسكندرية أنظر:

ألفريد بلتر ، فتح العرب لمصر ص ٢٤٨- ص ٣٧٠ ، حيث يقدم أفضل عرض عن الموضوع بصورة مفصلة .  
حسن ابراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ط . بيروت ٢٠٠١ م ، ص ١٩٧ - ص ٢٠١

محمد عبد النعم ، الاسكندرية ، المكتبة الأكاديمية فى العالم القديم ، ط . القاهرة ٢٠٠٠ م ، ص ١١٨ - ص ١١٩

ابراهيم عبد الفتاح التناوى ، فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية ، ط . طنطا ٢٠٠٢ .  
ص ١٣١ - ص ١٣٦

سادساً : لا تغفل : أن قطاعاً من الباحثين الغربيين، حرصوا الحرص أجمعه على أن يضعوا الإسلام، والمسلمين دوماً في قفص الاتهام حتى ينفقوا وقتهم وجهدهم في الرد على الافتراءات وتفنيدها، ويكفي أن نرد عليهم بأن المسلمين في العصور الوسطى كانوا من أكبر الأمم اهتماماً بالكتب تأليفًا ، وترجمة ، ونسخًا على نحو لم نجد لدى أمة أخرى بإعتراف المنصفين من المستشرقين الذين اعترفوا بذلك الحقيقة الراسخة القدم، ولجد ذلك واضحاً في مؤلفاتهم ذاتها

سابعاً : يقرر البعض نشوء تلك الشبهة التي تم إلصاقها بالعرب الفاتحين في الأصل في بلاد الشام في أعقاب فترة حاسمة من تاريخ الحروب الصليبية، ومن المرجح أن السبب المباشر لإثارتها : التغطية على ما ارتكبه الصليبيون في طرابلس الشام عندما اقتحموها عام ١١٠٩م ، وأوتكروا بها مذبحة ودمروا دار العلم هناك وهي التي احتسرت على كنوز المعرفة<sup>(١)</sup>، ناهيك عن الاستيلاء على تلك المكتبة التي قام بجمعها الفارس والشاعر أسامة بن منقذ والتي تركت حادثة فقدانها أثراً نفسياً سيئاً لديه وضمت أربعة آلاف من الكتب النادرة.

ويقرو العلامة الراحل أ.د. السيد عبد العزيز سالم، أن الصليبيين قاموا بإختلاق القصة المزعومة السابقة التي أوردها ابن القفطي: كي تكون سابقة على ما حدث في طرابلس الشام. وقد شاعت تلك القصة، ومن المفترض أن والد ابن القفطي عمل في حياته في خدمة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام حينما انتشرت روايتها فتناقلها والده ، وقام بترويجها؛ نظراً لارتباطه بالسلطان الأيوبي الذي كان له دور بارز في «تفريق وبيع بقايا المكتبة الفاطمية ، وكأننا أراد بترويجه لهذه القصة أن يزيل ما تعرض له صلاح الدين من انتقادات»<sup>(٢)</sup> بسبب ذلك الموقف .

١- السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط الاسكندرية ١٩٩٧م، ص١٩٤، حاشية (٢)

وقد اعتمد عرضه على: مصطفى العيادي، مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ص١٤٣ وعن تلك الدار أنظر: عمر عبد السلام تدمري، «دار العلم في طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجري»، مجلة عالم الفكر، م (١٢) ج (٣) الكويت ١٩٨١م، ص٨٧-٩٨  
٢- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص١٩٤ - حاشية (٢) .

وفى تقديري : أن الرأي المذكور على جانب من الأهمية والقيمة، ومع ذلك يظل يمثل احتمالاً من الاحتمالات، دون أن يقلل ذلك من معارضتنا للرواية المذكورة.  
وهكذا : يتأكد لنا أن رواية إحراق مكتبة الاسكندرية؛ فرية لاتنف على قدميها أمام النقد التاريخي الموضوعي.

على أية حال ؛ كانت طموحات المسلمين قوية؛ لإبلاغ الدعوة الإسلامية في كافة البقاع ، وقد انطلقوا من مصر غرباً لإخضاع الشمال الأفريقي، ولأرب؛ في أنهم مثلوا عدواً لم تألفه يبرزه على مدى تاريخها المديد؛ حيث واجهها براً ، وبحراً من خلال الصراع على الأطراف، وكذلك القلب من بعد ذلك، وقد لهم إسقاطها في نهاية المطاف عام ١٤٥٣م؛ مما عكس أهمية دورهم في صنع تاريخ تلك الإمبراطورية على مدى المرحلة الواقعة فيما بين القرنين السابع والخامس عشر الميلاديين.

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أن الأسرة الهرقلية حدث خلال حكمها حدثان محوريان يمكن إجمالهما على النحو التالي

أولاً : إنجاء الإمبراطورية إلى إقامة نظام دفاعي عرف بنظام الثيمات Themes<sup>(١)</sup> أو الألوية ، وقد قدمت الإدارة الإمبراطورية قطعاً من الأرض الزراعية للجند في صورة منح يمنح التصرف فيها شريطة أن يقوم الجندي بتقديم الخدمة الحربية في جند هذه المنطقة أو التيم وتقرر أن يتم توريث تلك الخدمة الحربية، كذلك توريث الأرض.

= بصفة عامة بعد ذلك الوقت بالفعل خطأ تاريخياً وقع فيه ذلك السلطان الأيوبي البauer ، ومع ذلك ندرك أن سروره يرجع إلى معاداته للفكر الشيوعي الإسماعيلي غير أن ذلك البرر لاينفي عنه مسئولية تبديد تلك الثروة العلمية الكبرى.

١- عن نظام الثيمات البيزنطي انظر:

Brooks, "Arabic Lists of the Byzantine Themes", J.H.S., vol. XXI, 1901, pp. 67-77

Cheira, la lutte entre Arabes et Byzantines: la Conquete et l'Organisation des Frontieres au VII et VIII siecles, Alexandrie 1947

Kaegi, Byzantium and The early Islamic Conquests , Cambridge 2000, pp. 279-28 .

Hussey , The Byzantine World , p. 2 .

Bridge , " The History ", in Daniel (ed.), The Byzantines, London 1962 , pp. 47-50 .

على أي حال ؛ كان هناك قائد على رأس كل ثيم سعى الاستراتيجوس strategos<sup>(١١)</sup>. ويقرر البعض؛ أنه في أخريات عهد الامبراطور هرقل ظهرت ملامح أربع ثيمات يمكن إجمالها كالآتي:

١- ثيم الأناضول Anatolikoi ، من الكلمة اليونانية Anatoli؛ وتعني الشرق. وقد تكون - كما قرر البعض- من الفرق الحربية البيزنطية التي كانت موجودة من قبل في بلاد الشام ، وأنسحبت من هناك عقب التوسع العربي<sup>(١٢)</sup>.

٢- الثيم الأرميني Armeniakoi؛ ويلاحظ أنه ارتبط بمنطقة شمال شرقي آسيا الصغرى على الحدود الأرمينية وقد تألفت من الفرق الحربية التي كانت متمركزة في منطقة أرمينية البيزنطية. ثم إنسحبت بعد فتح العرب للشام ثم مهاجمتهم لأرمينيا<sup>(١٣)</sup>.

= السيد الباز العريضي، أجناد الروم، ط. القاهرة ١٩٥٦م، فتحي عثمان، الحدود الإسلامي البيزنطية، ج ١، ص ١٠٤ ص ١١٣ . وسام عبد العزيز فرج ، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٩-٢٠٢

١- الاستراتيجوس؛ هو قائد الإقليم الإداري والعسكري وله جند خاص به يثلون الحرس الخاص ، ويعد نائباً للإمبراطور في إنقليبه ويتحمل مسئولتي الأمن والإدارة ، وفي حال كون الثيم على جانب كبير من الأهمية يتم وصف حاكمه عندئذ بالقوق بدلاً من الاستراتيجوس، عن ذلك انظر:  
فايز نجيب اسكندر، أسرة برينوس ودورها في تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص ١٧ .  
حاشية (١٦)

Haldon, Byzantium in the Seventh Century, p. 62 , p. 72 , p. 82 .

Browning, The Byzantine Empire, p. 48 , p. 50 .

٢- Bosworth , " The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab incursions", Proceedings of the Second Symposium on the History of Bilad al - Sham during the early Islamic Period up to 40 A.H / A.D. 640, the fourth international conference . ed by N. A. Bakhit vol. I . Amman 1987 , p. 122 .

ابراهيم العدوي ، «نواتين الإصلاح الزراعي في الامبراطورية البيزنطية» ، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العددان (٤٠٣) يونيو ١٩٧٣م، ص ١٥٦

وسام عبد العزيز فرج ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ . حسين ربيع، دراسات في تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٧٥

Theophanes, p. 151

-٣-

وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ٢٠٠-٢٠١ . حسين ربيع، المرجع السابق، ص ٧٥



٣- التيم البحري : الذى سقى فيما بعد فى القرن الثامن الميلادى كيبيروت Cihyraiot فى الشاطئ الجنوبي لمنطقة آسيا الصغرى، وكذلك الجزر المجاورة لها<sup>(١١)</sup>.

٤- تيم الأوسينى Opsikon فى آسيا الصغرى فى إقليم بثنيا بالقرب من العاصمة البيزنطية وقام بالدفاع عنها من جهة الشرق<sup>(١٢)</sup>.

ويصفه عامة: إقتصرت نظام الثيمات خلال النصف الثانى من القرن السابع الميلادى على منطقة آسيا الصغرى، ومن المرجح: أنه لم يمتد إلى شبه جزيرة البلقان حينذاك. بل تم ذلك فى مرحلة تالية يرى البعض أنها تحدد بالنصف الثانى من القرن التاسع الميلادى<sup>(١٣)</sup>؛ مما عكس نموه وتطوره كنظام دفاعى بيزنطى فعال.

ثانيًا : اتخذت بيزنطة خلال عهد تلك الأسرة إجراءات دلت على الوجهة الشرقية لها، فصارت اللغة اليونانية بمثابة اللغة الرسمية للدولة. بل إن الإمبراطور البيزنطى نفسه

١- حنين ربيع، دراسات فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٧٩  
Busworth, The Byzantine defence., p. 122 .

٢- نفسه، ص٢٠٩

Ibid, p. 122, O.D.B., vol. III, p. 1528-1529

جدير بالإشارة : تطورت الثيمات فيما بعد وتزايد عددها من ذلك مثلاً أنه خلال عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣-٩٥٩م) من الأسرة المقدونية وجدت فى شرقى أورسا، هذه ثيمات فى صورة

١- تيم كفالونيا ٢- تيم نيقوبوليس

٣- تيم البليرونيز ٤- تيم دراكيرم

٥- تيم ميلادس ٦- تيم سالونيك

٧- تيم سترغون ٨- تيم مقدونيا

٩- تيم تراقية.

عن ذلك أنظر الخريطة الحديثة بالثيمات حينذاك فى القسم الخاص بالخرائط.

٣- وسام عبد العزيز فرج . دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢١

صار اسمه بازيلوس Basileus<sup>(١)</sup>؛ الذى يعنى « ملك » باليونانية وذلك بدلا من لقباب رومانية سابقة مثل إمبراطور Imperator ، وقبصر Caesar ، ولذا ؛ وجد من المؤرخين من اعتبر تلك المرحلة بمثابة نهاية الفترة الرومانية ، وبداية البيزنطية نظراً للتغيرات العسكرية والحضارية التى حدثت حينذاك .

هكذا ؛ كان تاريخ الأسرة الهرقلية إنتصاراً ضد الفرس، وهزيمة فادحة أمام العرب، وبالتالي نرى التناقض فى داخل الأسرة الواحدة. بل فى عهد الإمبراطور الواحد كما فى حالة الامبراطور هرقل.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن عهد ذلك الامبراطور يعد بمثابة مرحلة فاصلة فى التاريخ البيزنطى؛ إذ نتيجة للفترحات الإسلامية ، اتخذت الإمبراطورية البيزنطية بصفة نهائية شكلها الذى عرفت به فى العصور الوسطى، وقبما عدا آسيا الصغرى وضواحي العاصمة؛ فقد نقلت رقعة الأراضي البيزنطية بالإضافة إلى تلك الثروات المتبقية على الساحل الشمالى لبحر المتوسط، وتوضح الصورة أكثر عندما تشير إلى أنه خلال القرن السابع استلمت مراكزها الاسبانية لعناصر القوط الغربيين بينما وقع الجزء الشمالى الغربى من أفريقيا تحت السيادة الإسلامية<sup>(٢)</sup>، وبذلك يحق لنا القول أن القرن السابع الميلادى - خاصة عهد هرقل - شهد تقديم «التنازلات الجغرافية الكبرى فى التاريخ البيزنطى ، ووفق ما قرره مؤرخ بارز ذكر ما نصه «لقد ولت الآن أيام روما الجديدة - باعتبارها قوة برية عظمى»<sup>(٣)</sup>، وسلاحظ أن المساحات التى تنازلت عنها الامبراطورية مرغمة تعد من أكبر ما تنازلت عنه على مدى تاريخها من القرن السابع حتى القرن الخامس عشر م مما عكس أهمية محورية تلك الأحداث الخاصة فى ذلك القرن.

١- من الملاحظ أنه فى عهد تلك الأسرة؛ ظهر للمرة الأولى «تعبير الباسيليوس المؤمن بالله» .وهى بالإنجليزية "Basileus faithful in God" وهى تعبير استعمل من جانب كافة الأباطرة البيزنطيين . بربرت اليونانية هى الرسبة كما ذكرت ، وقد جعل ذلك المؤرخ شارل دبل يقر ما نصه "In the Seventh Century the Empire became Hellenized".

Diehl . History of the Byzantine Empire, p. 48

أنظر

٢- جوزيف نيسم يرمف . تاريخ الدولة البيزنطية ص١١٥

٣- نفسه . نفس الصفحة.

من الملاحظ عند تقييم للأسرة الهرقلية، وإنجازاتها؛ نجد أنها أنهكت بالصراع مع الفرس، ومن بعد ذلك؛ وحتى بعد انتصارها عليهم لم يحسن البيزنطيون تقدير حجم قوة المسلمين وعندما التقى الطرفان في ساحات المعارك؛ كان الانتصار حليف أصحاب الدين الجديد على الرغم من التفوق العددي والتسلح البيزنطي، ولا مرء البيزنطي في أن القوة الروحية التي أعطاها الدين الختامي للعرب الفاتحين كانت من وراء إنتصارهم على البيزنطيين بالإضافة إلى إنهاك دولتهم بعد صراعها مع الفرس، ثم كانت المشكلة الدينية والصراع اللاهوتي من عوامل إخفاق بيزنطة وهكذا؛ جاء الفاتحون العرب إلى مناطق تفتح ذراعها لهم مرجية بهم !!

ويشار هنا تساؤل؛ هل كان الإمبراطور هرقل إمبراطوراً ناجحاً أم فاشلاً؛ والواقع أن الصفتين معاً تتوافران فيه؛ فقد نجح مع الفرس، وافتقر مع المسلمين ومع ذلك؛ من الملاحظ أنه ورث تركة مثقلة، وواجه عدواً لم يكن من الممكن هزيمته في صورة المسلمين الذين تشبهوا بروح الجهاد والمخلقة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية، وفي تقديرى أن أى حاكم آخر لبيزنطة لم يكن من الممكن أن يحقق انتصاراً عليهم من خلال فهم حقيقى لطبيعة المرحلة وليس من خلال دعائية مبحوجة للمسلمين.

ينبى أن نذكر؛ أن المؤرخ البلجيكي هنرى بيرين في كتابه محمد وشارلمان، اعتقد أن الفاتحين العرب يتحملون مسئولية إنهيار وحدة البحر المتوسط القديمة The ancient Unity of the Mediterranean وأنهم فرضوا احتكاراً على بعض السلع التجارية<sup>(١)</sup> على نحو أدى إلى عدم وصولها إلى الغرب الأوروبي، وظلت تلك النظرية تجد من يؤيدها إلى أن ظهر من عارضها من الباحثين الأوروبيين أنفسهم، وقد أكدوا أن الوحدة المزعومة لعالم البحر المتوسط

١ - عن تصورات ذلك المؤرخ انظر:

Pirenne, Mohammed and Charlemagne, London 2001, pp. 147-185

Economic and Social History of Medieval Europe, London 1972, p. 2, Medieval Cities,

Their igitos and The revival of Trade, Princeton 1929, p. 23-31

أيضاً هذه الدراسة

Hodges and whitehouse, Mohammed Charlemagne and the Origins of Europe, Archaeology and the Pirenne thesis, New York 1983

إنهارت من قبل الفتح العربى بعدة قرون<sup>(١١)</sup> ، وأن ذلك الفتح لم يؤد إلى إنهيارها كذلك فإن العرب لم يمارسوا سياسة الاحتكار التجارى بل مارسوها ببنظرة ذاتها التى رأت أن ذلك خير وسيلة لمواجهة الغرب الأوروبى، وبصفة عامة، فالأمر المؤكد أن البحر المتوسط يعد أن كان يطلق عليه الرومان من قبل بحرنا Mare Nostrum صار بالتدريج بحيرة عربية<sup>(١٢)</sup>.

ولانفعل هنا : الإشارة إلى أن من الباحثين الأوروبين من سار وراء أية فكرة جديدة تهاجم المسلمين وتشيع فى نفوسهم عداوات تاريخية ضد الإسلام وأهله دون أدنى قدر من الموضوعية، وبالتالي مارسوا «الحروب الصليبية» على صفحات مؤلفاتهم .

من ناحية أخرى ؛ من غير التطفى أن يتحول المسلمون دوماً إلى أن يكونوا فى قفص الاتهام الغربى لهم على نحر مستمر إذ أن ذلك أبعد ما يكون من الكتابة التاريخية الواجبة، ويلاحظ أن ذلك صار نوعاً من «تأويل» الكتابة التاريخية الغربية عنهم إلا فى القليل النادر.

مهسا يكن من أمر ؛ نوالى على حكم الإمبراطورية البيزنطية من بعد وفاة الإمبراطور المؤسس البارز هرقل<sup>(١٣)</sup> عدد من الأباطرة وقد حكموا خلال المرحلة الممتدة بين عامى ٦٤١م.

١- من أهم الآراء المعارضة له انظر على الفصاوى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ٢٨٧-٣٠٥ . حيث يقدم المؤرخ المذكور أفقاً عريضاً باللغة العربية عن النظرية ومعارضتها بالاعتماد على المراجع الإنجليزية والفرنسية والألمانية المتخصصة.

عادل زيتون . «ملاحظات على أطروحة هنرى برين من خلال كتاب محمد وشارلمان» . ضمن الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السنار) قسم التاريخ . كلية الآداب- جامعة الكويت عام ١٩٩٣- ١٩٩٤م . ص ٦٥-٨٩

حسن مؤنس. تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط. الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ١١٨-١٣٥

وأفضل دراسة احترت على الردود على قضية برين لمجدها لدى:

Havighurst . The Pirenne Thesis : analysis Criticism and Revision , Boston 1958 .

٢- ترمى الإمبراطور هرقل فى ١١ فبراير ٦٤١م . وفى تصورى - كنوع من الاقتراب من نفسية قادة التاريخ البيزنطى- أن أصعب أعوام عمره تمثلت خلال المرحلة من ٢٢ أغسطس ٦٣٩م وهو يوم معركة =

٧١٧م . لكنهم لم يصلوا إلى حجم التأثير الذي حدث خلال عهد هرقل المنتصر ثم المهزوم ! ومن الملفت للانتباه : أن أعوام حكمه التي لم تتجاوز (٣١) عاماً ، فاقت في أهميتها مدة حكمهم مجتمعين وهي التي بلغت (٧٦) عاماً ، ولاريب في أن تاريخ الأسرة الهرقلية يكشف بجلاء عن استحواذ تأثير الإمبراطور المؤسس على غيره من الأباطرة إيجاباً وسلباً

بصفة عامة : من الملاحظ أن أهم أحداث مرحلة ما بعد هرقل تتشمل في نجاح المسلمين في السيطرة على مصر ، ثم احتلالهم لجزيرة قبرص Cyprus ذات الموقع الاستراتيجي في مواجهة الساحل الشامي وذلك عام ٦٤٩م . وفي العام التالي ٦٥٠م احتلوا جزيرة أرواد<sup>(١)</sup> .

وفي عام ٦٥٤م : أخضعوا جزيرة رودس Rhodes ومن بعد ذلك ، وفي العام التالي مباشرة أي عام ٦٥٥م : حققوا انتصاراً بحرياً مبكراً ، وملفناً للإنتباه في صورة معركة ذات الصواري<sup>(٢)</sup> ، التي سميت بذلك ؛ نظراً لكثرة عدد السفن المشاركة فيها : وهو أمر يشير

= اليرموك حتى وفاته في اليوم المذكور حيث إقتصره على الأرجح الشعور بالهزيمة بعد الانتصار الساحق الذي حققه المسلمون فيها . أنظر لمجيد يوم وفاته لدى : نعيم فرج . تاريخ بيزنطة السياسي ، ص ١٤٤

ويقول دونالد نيكل أنه مات مريضاً ويانسا Nicol , ABiographical dictionary , p. 49

١- عن المرحلة التالية لعهد الإمبراطور هرقل ثم نهاية الأسرة الهرقلية أنظر :

Theophanes, pp. 40-83 .

Dichl , History of the Byzantine Empire, p. 51 .

٢- قرر هازي تورديليدوف في تعليقه على نص ثيوفانيس أن أرواد هي مدينة ساحلية في فيثيقيا أي لبنان . وهو قول جانسه الصواب لأن أرواد جزيرة في مقابل الساحل السوري . وليست مدينة ساحلية . كما أن باقوت الحموي أخطأ عندما تصور أنها بالقرب من القسطنطينية . من ذلك أنظر :

Theophanes, p. 43, note (101)

باقوت ، معجم البلدان ، ط . بيروت ١٩٩٧م ، ص ٩٠ ، ١٣٤ وعن استيلاء المسلمين عليها انظر :

شجاعة على الناطور ، تاريخ صدر الاسلام وفجره ، ط . عمان ٢٠٠١م ، ص ٢٦٩

وعن سيطرتهم على جزر البحر المتوسط بصفة عامة مثل قبرص وارواد وغيرها انظر بالتفصيل : ابراهيم طرخان ، المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، ط . القاهرة ١٩٦٦م ، ص ٧٩-٨٧

٣- عن معركة ذات الصواري أنظر

الإعجاب أيضاً من جزء هزيمة الإمبراطورية البيزنطية ذات الصيت الواسع النطاق في المجال البحرى على الرغم من أن المسلمين كانوا حديثى عهد بذلك المجال الحربى ومن قبل كانت معاركهم مع تلك الامبراطورية تتخذ الشكل البرى، ومع ذلك يلاحظ أن تلك المعركة لم يتمكن المسلمون من استثمارها عسكرياً وسياسياً؛ نظراً لحدوث ما عرف بالفتنة الكبرى فى أعقاب مصرع الخليفة عثمان بن عفان عام ٦٥٦م<sup>(١)</sup>.

على أية حال من الملاحظ أن طرحات المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام كانت واسعة؛ إذ أننا نجدهم من بعد ذلك يتطلعون إلى إسقاط العاصمة البيزنطية، وهكذا؛ حاصروها عام ٦٦٩م. وذلك خلال عهد الامبراطور قسطنطين الرابع، وأثناء خلافة الخليفة معاوية بن أبى سفيان مرتين<sup>(٢)</sup>؛ ويلاحظ؛ أن تلك العملية العسكرية شارك فيها أحد الصحابة

= الكندى، ولاة مصر، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص٣٧-٣٨، السعدى، التنبيه والاشراف، ط. بيروت ١٩٦٨م، ص١٣٥، الذهبى، الغرب فى خير من غير، تحقيق أبوهاجر محمد العيد، ط. بيروت ١٩٨٥م، ج١، ص٢٥، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٤٢، أوشيبالد لوبس، القوى البحرية والتجارة فى البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠، ت. أحمد عيسى، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٩١-٩٢، أنور عبد العظيم، الملاحه وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عام المعرفة، ط. الكويت ١٩٧٩م، ص٩٢-٩٣، السيد الباز العريش، الدولة البيزنطية، ص١٢٦، محمد ثابت توفيق، ذات الصراى، ط. الرياض ٢٠٠١م، ص٥-٤، قنيت بيرجكللى، ذات الصراى، ط. الشارقة ٢٠٠٦م، ابراهيم المدوى، الدولة الأموية والبيزنطيين، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص٩٨، عليه المجنزورى، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٤١-٦٠، سعد زغلول عبد الحسيد، والاسكتورية قاعدة عسكرية فى القرن الأول من تاريخها العربى وسلسلة الصراى، ندوة سواحل مصر عبر العصور سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص١٣٤-١٣٥، على محمد الصلاى، الشرق والتنامى بحركة الفتح الإسلامى، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص١٩٩-٢٠٠.

Fahmy, Muslim Sea Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century A.D., Cairo 1966, pp. 85-89.

Bosworth, " Byzantium and the Arabs: War and Peace between Two Civilizations".

I.O.A.S. 3-4, ATHeas 1991 - 1992, p. 2.

١- محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٩٦

٢- عن حصار القسطنطينية فى عهد معاوية بن أبى سفيان أنظر

وهو أبو أيوب الأنصاري الذي كان طاعناً في السن في صحبة قائد الحملة يزيد بن معاوية كنوع من التبرك ولكن أدركته المنية، ودفن هناك<sup>(١١)</sup>.

على أية حال ؛ فشلت تلك الحملة نظراً لحصانة القسطنطينية<sup>(١٢)</sup> وعدم استهلاك المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخهم الفترة اللازمة لتحقيق مثل ذلك الهدف الاستراتيجي

Theophanes, The Chronicle of Theophanes, An English Translation of anni mundi = 60-95- 6305 (A.D. 602-813), with introduction and notes by Harry Turtledove, Pennsylvania 1982, p. 45.

Michael le Syrien, Chronique, T. p. 455.

الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ، ص ٢٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل، ج ٣ ، ص ٤٥٩ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٦٠٦ ، صيف الله بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط. عمان ١٩٩٧م. ص ٢٥٢- ٢٥٤ ، علي محمد الصلاحي، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ط. الشارقة ٢٠٠٦م، ج ١ ص ٢٨٠-٢٩٢ ، نبيه عاقل، تاريخ خلافة بني أمية ، ج ١ ، دمشق ١٩٧٥م ، ص ٨٦-٨٧ ، عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي (٤١١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٥٠م)، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص ٢٤٩-٢٥٣

Bosworth , Byzantium and the Arabs, p. 2.

١- مجمل الإشارة ؛ تم اكتشاف قبر ذلك الصحابي - كما يقال- عام ١٤٥٨م أي بعد خمس سنوات فقط من الفتح العثماني للقسطنطينية عام ١٤٥٣م عن ذلك انظر:

ألفونس ماريا شيندر، «قبر الصحابة في القسطنطينية»، ضمن كتاب المتنقي من دراسات المستشرقين ت. صلاح الدين المنجد، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ج ١ ، ص ١٥٣-١٥٩

وقد امتدحه الشاعر التركي أسعد أفندي بأبيات رائعة قال فيها

شهد أشاهد جاهدًا ومجاهدًا      وصكايدًا يعزوه ما كابدا

حتى أتى بهلاية ومهابة      في آخر القزوات هذا المشهدا

قد مات مبطلًا غريبًا غارِبًا      فغدا شهيدًا قبل أن يشهدا

أنظر: علي محمد الصلاحي، الشرف والناسي بحركة الفتح الإسلامي ، ص ٣٨٨

Lewis , Naval Power and Trade in the Mediterranean A.D. 5000- 1100, Princeton -٢ 1951 , p. 61

العنبر النال حينذاك ، ومع ذلك ، فإن تلك المحاولة على الرغم من عدم توفيقها ، فإنها تثبت لنا إتساع دائرة الطموحات الإسلامية خلال تلك المرحلة . وإن استمرت محاولاتهم كما حدث عام ٧١٧م ، ١٤٥٣م إلى أن قتل لهم في نهاية المطاف فتحتها في العام الأخير .

أما بالنسبة لأبرز الأعلام في عهد الأسرة الهرقلية فنذكر منهم: المؤرخ يوحنا الأنطاكي الذي ألف كتاباً تناول فيه الأحداث منذ آدم حتى آخر أيام فوكاس عام ٦٦٠م<sup>(١)</sup>.

وهناك أيضاً المؤرخ المجهول لحرلية الفصح المعروفة باسم Chronicon Paschale<sup>(٢)</sup>.

أما في مجال اللاهوت نذكر يوحنا الدمشقي<sup>(٣)</sup> (٦٧٦-٧٦٠م) وهناك من يقرر أن أفضل أعماله كتابه «دنيوع المعرفة» الذي عرض فيه للعقيدة المسيحية متأثراً بالمنطق الأرسطي.

كذلك لانتغل الراهب موشخوس Meschos<sup>(٤)</sup> (يوكراتاس) (ت ٦١٩م) والذي أقام في دير القديس ثيودوسيوس St. Theodosius بالقرب من بيت المقدس . وقد تصادق مع

١- عنه أنظر: أسد رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٢٨١

٢- عنه أنظر: المدخل البيبلوغرافي .

٣- عنه أنظر أسد رستم ، المرجع السابق ، ص ٣٤٦-٣٤٢ . اليكس جرافسكي ، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ط . دمشق سنة ٢٠٠٠م . ص ٩٨ ، حاشية (١) . نجد الإشارة إلى أن يوحنا الدمشقي شارك في المناظرات التي كانت تعقد للمقارنة بين المسيحية والإسلام وكل طرف كانت له وجهات نظر المرافعة عن ديانته بطبيعة الحال . وامتدت رحلة السجال الديني من القرن السابع الميلادي فصاعداً وشارك فيها المسلمون بمؤلفات من أمثلتها

المباحظ (ق-٩م) الرد على النصارى . الفزالي (ت ١١١١م) الرد الجليل في بيان الهبة المسيح بصريح الانجيل لمحقق . محمد عبد القادر الشرقاوي . ط . القاهرة ١٩٨٦هـ ط . القاهرة ب-ت . الخزرجي القرطبي (ت ١١٨٦م) بين الإسلام والمسيحية . لمحقق محمد شامه . ط . القاهرة ١٩٧٣م . الامام القرطبي (ت ١٢٧٢م) الإعلام . لمحقق حجازي السقا . ط . القاهرة ١٩٨٠م . الفزالي (ت ١٢٨٥م) الأجرية الفاخرة . القاهرة . د . ت . الخطيب السكندري (ت ١١٣٠م) ، دولة الرافدية في الرد على (الجملة النصرانية) تحقيق خليل الحاج . ط . القاهرة ١٩٨١م . البرصيري ، منظومة الامام البرصيري في الرد على النصارى واليهود . ط . القاهرة (ت ١٣٤٩م) هداية الخيارات في أجوبة اليهود والنصارى . ط . القاهرة ب-ت

٤- Nicol , A Biographical Dictionary , p.93 .

٤- عنه أنظر

John Moschos , The Spiritual Meadow (Pratum Spirituale), trans. by John Wortley . Kalamazoo . Michigan 1992 , pp. XVI - XVII.



سفرونيسي بطريك المدينة المقدسة وتنقل بين مصر وقبرص وروما ، واشتهر بكتابه المرجح الروحي *Pratum Spirituale, The Spiritual Meadow*

مهما يكن من أمر؛ ذلك عرض عن الأسرة الهرقلية ، وقد ظهر بهجلاء من خلاله كيف أن الإمبراطورية البيزنطية شهدت تغيرات جذرية في مختلف المجالات السياسية ، والمهرية، والشقاقية<sup>(١)</sup>؛ على نحو كشف عن أن عصر تلك الأسرة شكل مرحلة فارقة في التاريخ البيزنطي .

أما إذا قارنا بين تلك الأسرة والأسرات السابقة عليها ، من الممكن أن نجد تشابهًا بينها وبين أسرة جستنيان ؛ إذ أن القرن السادس شهد انفصال المقاطعات الغربية من خلال تنامي القوة الجرمانية . أما القرن التالي وهو القرن السابع فقد شهد اقتطاعًا لعدد من المقاطعات من خلال الضغط العسكري العربي والقياس مع الفارق بطبيعة الحال . وبوجه عام يتأكد لنا من خلال دراسة الأسرة الهرقلية أن الخطر قدم من الشرق في صورة الفرس والعرب مع ملاحظة أن جهة الشرق ستظل تمثل الخطر الأكبر المستمر لبيزنطية حتى اللحظة الأخيرة من تاريخها دون أن تتمكن من إيجاد حل لها

ولاتفعل كذلك؛ أن كلاً من الإمبراطورين ، جستنيان وهرقل قاما بحركة استرداد ضد الجرمان والفرس . غير أن جهدهما في ذلك المجال ذهب أدراج الرياح ، وأن اختلف كلاً منهما في جهد الصراع كما أوضحت.

ومع ذلك ، فالأمر المؤكد أن سياسة جستنيان من خلال شراء السلامة مع الفرس بالذهب ليستفرغ للصراع مع الجرمان جعلت قوتهم تنامي على نحو جعل الأمر شاقاً أمام هرقل فيما بعد عندما اتجه إلى محاربتهم ، واسترداد ما أخضعوه من مقاطعات الإمبراطورية . ذلك أمر الأسرة الهرقلية ؛ أما الأسرة الأمورية؛ فتناولها في الصفحات التالية.

١ - عن تلك التغيرات بقية عامة ؛ أنظر:

Haldon, *Byzantium in the Seventh Century, The Transformation of a culture*, Cambridge 1997

من أفضل الدراسات في مجالها.

عائشة سعيد أبو الجبائل، الامبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادى / الأول الهجرى ، دراسة في التغيرات والتطورات، الرياض ١٤١٥ هـ ، ص ١٦٩-٤٤٣ وهي دراسة غلبة مقبذة أعدتها باحثة سعودية وتخصصت في قرن واحد من قرون التاريخ البيزنطي الممتد ووفقت في دراسته بحكم اقتصرها على مدة تعد بمثابة ١ / ١١ من التاريخ البيزنطي ومن هنا تكون الإضافة الغلبة الحقيقية.

## رابعاً : الأسرة الأيسورية (٧١٧ - ٨٢٠م) :

نشأوا في الصفحات التالية : عهد الأسرة الأيسورية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة من ٧١٧ إلى ٨٢٠م؛ أي ما زاد على قرن من الزمان

تولى الحكم في تلك الأسرة تسعة أباطرة ، في صورة ليو الثالث الأيسوري Leo III The Isaurian (٧١٧ - ٧٤١م) ، وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١ - ٧٧٥م) ، وليو الرابع Leo IV (٧٧٥ - ٧٨٠م) ، وقسطنطين السادس Constantine VI (٧٨٠ - ٧٩٧م) ، والإمبراطورة إيريني Irene (٧٩٧ - ٨٠٢م) ثم هناك خلفاء الأيسوريين وهم : نقفور الأول Nicephorus I (٨٠٢ - ٨١١م) وستوراكيوس Stauracius (٨١١م) ، وميخائيل الأول رانجاس Michael I Rangah (٨١١ - ٨١٣م) ، وليو الخامس Leo V (٨١٣ - ٨٢٠م) ؛ وبصفة عامة ستركز الحديث على أبرز الأباطرة.

على أية حال؛ فإن الامبراطور المؤسس ليو الثالث، قدم من منطقة ايسوريا Isauria في جنوب شرقي آسيا الصغرى ، ووصل إلى المنصب الإمبراطوري من خلال مؤامرة ، على نحو يؤكد لنا مقولة المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون Edward Gibbon السالفة الذكر من قبل ؛ وهكذا ؛ يندر أن نجد أسرة بيزنطية حاكمة دون مؤامرات هنا أو هناك خاصة في نهاية عهد كل أسرة تقريباً على نحو صار معه الأمر كطابع تقليدي يميز للتاريخ البيزنطي، وبصورة لانجدها بنفس الدرجة في تاريخ الغرب الأوروبي في العصور الوسطى.

بصفة عامة؛ من الممكن القول؛ بأن أهم أعمال الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً : مواجهة الحصار الإسلامي للعاصمة البيزنطية ٧١٧-٧١٨م

ثانياً : التشريعات القانونية

ثالثاً : الحركة اللاأيقونية<sup>(١)</sup>.

١- ليو الثالث الأيسوري؛ مؤسس الأسرة الأيسورية وقد حكم خلال المرحلة من ٧١٧ إلى ٧٤١م. ومن المفضل أنه قدم من شمالي بلاد الشام. وقد وصف بأنه عمل قاتلاً أو استراتيجوس لتيم الأناضول Ant-tolikon، وقد أعلنه جنوده كإمبراطور بدلاً من ثيودوسيوس الثالث. وفي ٢٥ مارس عام ٧١٧م تم تنويجه كإمبراطور في القسطنطينية ، وبعد ذلك بسنة أشهر . واجه أمر الحصار الذي فرضه المسلمون على العاصمة البيزنطية، وقد توفي في يونيو ٧٤١م. عنه أنظر

ولاربيب ، في أن تلك الأعمال ضمنت لمؤسس الأسرة الأيسورية مكانة بارزة في التاريخ البيزنطي.

وفيما يتصل بالأمر الأول : من الملاحظ أن المسلمين في عهد الدولة الأموية اتجهوا إلى حصار القسطنطينية وذلك في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك وبالتحديد في المرحلة بين عامي ٧١٧-٧١٨م<sup>(١)</sup>، وقد بلغوا في تحقيق هدفهم مجهودات مضنية ؛ إلا أنهم عجزوا عن فتحها ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل يمكن إيجازها كالآتي:

Browning, The Byzantine Empire, pp. 53-56 .

Nicoul, A Biographical dictionary, pp. 72-73 .

(Ktugorsky, History of the Byzantine State . pp. 138-147

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 194 . p.230 . pp. 252-253 .

Hussey, The Byzantine World , p. 28-31

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 110-113 .

وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، ط . الاسكندرية ١٩٨٦م.

والدراسة الأخيرة أفضل دراسة عربية في موضوعها

١- عن تفاصيل حملة المسلمين ضد القسطنطينيين عام ٧١٧-٧١٨م أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes . p. 88 .

ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، تحقيق مصطفى نجيب تونز وحسكت تونز ، ط. بيروت ١٩٩٥م. ص ٢٠٩- ص ٢٠٤ . الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ج ٦، ص ٥٢٠- ٥٣٩ . ابن العسري، تاريخ مختصر الدول ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ١١٤ . وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، ص ١٢١- ١٢٥ . إنسان أحمد السيد عباس، صراع القوى في البحر المتوسط بين البيزنطيين والعرب في الفترة من ٢٥-٢٢٢هـ / ٨٤٦-٨٤٦م. رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد دراسات البحر المتوسط . جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠٥م، ص ١٢- ١٢٩ . عمر عبد السلام تدمري ، لبنان من الفتح الاسلامي حتى سقوط الدولة الأموية ١٢-١٣٢٢هـ / ٦٣٤-٧٥٠ . ط. القاهرة ١٩٧٩م، ج ١، ص ٢٤٤- ٢٤٩ . فتحي عثمان، المهدى الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٨٦- ٩٥

Brooks, " The Campaign of 716- 718 from Arabic sources", J. H. S., T. XIX . 1899, pp.

19-31 . Lewis . Naval Powers and Trade . pp. 66-67

Hussey . The Byzantine World , p. 28

أولاً: الناعة الطبيعية والصناعية للقسطنطينية بحيث لم يكن من الممكن للأسطول الإسلامي تحقيق نجاحات فعلية في مواجهتها ، كذلك لاتغفل أمر دفاع البيزنطيين عن عاصمتهم.

ثانياً : نجاح البيزنطيين من خلال عمليات التجسس المختلفة في معرفة استمدادات الأرمين نحو حصار مدينتهم ، ولذلك تجهزوا من أجل حصار أموي طويل ، وعملوا على تخزين السلع التموينية؛ مما عكس أهمية سلاح المعلومات ، في ذلك العصر وفي كل عصر في واقع الأمر.

ثالثاً : استخدام البيزنطيين لسلاح فتاك في صورة النار الاغريقية Greek Fire<sup>(١)</sup> التي اخترعها مهندس يدعى كاليينكوس Kallinikos ، وقد فتكت بعدد كبير من قطع الأسطول الأرمي وكانت من العوامل الفعالة والمؤثرة في حسم الصراع لصالح البيزنطيين .

رابعاً : كان شتاء ٧١٧-٧١٨ م قاسياً لم يلقه المسلمون ، وخلالها نزلت من السماء كرات الثلج<sup>(٢)</sup> ، وهكذا ؛ فإن البيئة الجغرافية الأوربية لم تكن ملائمة لهم ، ولاتغفل أنه في العصور القديمة ، والوسطى بصفة عامة ؛ كانت الجغرافيا توجه التاريخ، ثم أن التاريخ ذات ما هو إلا صراعاً على الجغرافيا بأبعادها المختلفة مع عدم إغفال دور الإنسان نفسه كفاعل تاريخي بطبيعة الحال.

١- عن النار الاغريقية أنظر:

Theophanes, p. 52 , note (114) .

Enan , Decisive moments in the History of Islam , New Delhi 2001, pp. 109-126

سعاد ماهر، البحرية في عصر الاسلام ، ص٢٣٣ - ٢٣٤ ، وسام محمد العزيز فرج، «النار الاغريقية طبعه تركيها وأثرها في نشاط المسلمين البحري» ، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري ط. القاهرة ٢٠٠٤م ، ص١٤٣ ، ص١٥٦ طارق منصور ، «النار الاغريقية - قراءة جديدة في منبره المصادر البيزنطية والإسلامية» ، حولية التاريخ الإسلامي والوسط ، م (٤) ، عام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م ، ص١١٥-١٥٩ طارق منصور ومحمدين الرقاد ، النفط استخراجه وتطوره عند المسلمين ٦٤-٩٢٣ هـ / ٦٨٤-١٥١٧ م ، ط القاهرة ٢٠٠٦م ، ص١٢-١٧

عن الظروف المناخية القاسية في شتاء ذلك العام ، أنظر:

خامساً الأمر المؤكد : أن وصول ليو الثالث الأيسوري للمنصب الإمبراطوري مثل نقطة تحول مهمة من خلال قيادته للإمبراطورية البيزنطية خلال تلك الظروف العصيبة، وقد اتجه إلى التحالف مع عناصر الخزر<sup>(١)</sup>، والبنار كي يدعم قوته في مواجهة المسلمين، وهو أسلوب بيزنطي معتاد، وتكرر مرات مختلفة على مدى التاريخ.

على أية حال : هناك من المؤرخين الأوروبيين من أصبحهم عقدة «الإسلاموفوبيا» دون أي مبرر، وقد نظروا للإمبراطور المذكور على أنه المخلص لشرقي أوروبا مما وصفوه بأنه الخطر الإسلامي واهتموا بإبراز دوره في التصدي للأستول الإسلامي أكثر من إبرازهم لأية أدوار

= شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٦

وأرد أن أورد ما ذكره ذلك المؤرخ حيث قال «كان نزول الجليد لا ينقطع أبداً» مدة اثني عشر أسبوعاً واستطاع ليو أن يهزم مثل القيصر نقولا بأن ديسمبر، ونovember ونovember كانوا أعظم فوائده لأن تلك الشهور أهلكت الجند المسلمين بشكل مخيف، ولم يستطع المسلمون الذين يرتدون الملابس الخفيفة أن يقاوموا الجمر وماتوا كالذباب من الصقيع، والبرد».

ولا أحتاج -في الواقع- إلى التعليق على ذلك المؤرخ الشعب الذي ألف كتابه وقلت أن كانت بريطانيا تلعب نفسها بالعظمى فانهكس ذلك على استعلاية كتابته التاريخية

١- عن العلاقات البيزنطية مع الخزر بصفة عامة أنظر:

Noonan, " Byzantium and The Khazars aspecial relationship ? " in Shepard (J.) and Franklin (S.), eds , Byzantine Diplomacy , Papers from the twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies Cambridge 1990, Hampshire 2003, pp. 109-132 .

محمد محمد مرسى التسيخ، «الخزر وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية»، مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، العدد (٤٤) عام ١٩٨٠م، ص ٣٤٨- ٣٧٧

وعن العلاقات بين تلك الإمبراطورية في عهد ليو الثالث الأيسوري، والخزر أنظر: محمد عبد الشافي المغربي، ملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين، ص ١٠٦- ١١١

وعن الخزر بصفة عامة أنظر الدمشقي، نخبة الدرر في عجائب البر والبحر تحقيق مهدي ط. لبرج ١٩٢٣م، ص ٦٦٣ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدغاني، ط. بيروت ١٩٨٧م، ص ١٦٩- ١٧٢

دلتوب، تاريخ بهمد الخزر، ت. سهيل زكار، ط. دمشق ١٩٩٠م وأيضاً بارتولد الترك، في آسيا الوسطى، ت. أحمد السيد سليمان، ط. القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٦٣- ٦٤

تاريخية أخرى له وقد تشابه موقفهم ذلك مع موقف أولئك المؤرخين الذين هلكوا لهزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء، أوتور Tours أو بواسيجيه Poitiers التي جرت وقائعها - بعد ذلك بأعوام قليلة بفرنسا- بين والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي، وقواته، وبين ملك الفرنجة شارل مارتل عام ٧٣٢م<sup>(١)</sup>، وحاولوا الربط بين إنكسار المسلمين أمام القلب البيزنطي النضج عام ٧١٧م، والهزيمة من جانب الفرنجة في فرنسا ويمكن الرد على ذلك من خلال ما قاله المؤرخ الفرنسي النصف جوستاف لويون عندما قرر أن أسوأ يوم في تاريخ أوروبا عندما هزم المسلمون في تلك المعركة ؛ لأنه كان على أوروبا الإنتظار عدة قرون، من أجل أن تلتقي بالمسلمين وتتأثر بحضارتهم<sup>(٢)</sup> من خلال الحروب الصليبية ، فكانت شهادته النصف كلمة حق كالتور وسط دياجير الظلام.

١- عن معركة بلاط الشهداء، أنظر: ابن الأثير ، الكامل، ج. ٥، ص. ٦٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ج. ٤ ،

ص. ١١٤

أيضاً : مونترجيمري وات، في تاريخ اسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيه، ت محمد رضا المصري، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص. ٣٩- ٣٩ ، على حين الشطشاط ، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص. ٧١- ٧٥

Fouracre, The Age of Charles Martel, Essex 2000, p. 148-149 .

صبحي عبد الحسيد ، معارك العرب الحاسمة، ط. بيروت ١٩٨٣م، ص. ١٧٣- ١٨٤ ، عبد الفتاح القبيني، معركة بلاط الشهداء ، في التاريخ الاسلامي والأوروبي، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص. ٥١- ١٠٩

وفا. عبدالله الزروع، جهاد المسلمين خلف جبال البرنات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري ، ط القاهرة ، ب-ت. ص. ١٠٨- ١٣٩ حيث تقدم تناولاً مفصلاً للمعركة المذكورة ، خليل الساساني ، وعبد الواحد ذنون طه ، وناطق صالح ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ص. ٥٨- ٦٠ ، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص. ٢٢٧- ٢٣٠ ، مني حسن محسنة ، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرجة ٩٢- ٢٠٦ هـ / ٧١٤- ٨١٥م، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص. ١٤٩- ١٥٠ ، نور الدين خاطر، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص. ٨٨

ومن المهم هنا الإشارة أن المسلمين في أعقاب تلك المعركة، عملوا على استرداد مراكزهم السابقة، وقد استقروا بفرنسا كمرتين من الزمان ، ومن المعروف أن حاكم مرسله سلم لهم مقاطعة بروقانس في عام ٧٣٧م ، واستولوا على الأول، ودخلوا مقاطعة سان نرويذ عام ٨٨٩م، واستمر وجودهم في بروقانس حتى ختام القرن عن ذلك أنظر جوستاف لويون، حضارة العرب، ت. عادل زعير، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص. ٣١٦

٢- المرجع السابق ، ص. ٣١٧

وهكذا ؛ يتضح لنا أن مثل تلك الأحداث تكشف لنا عن الجوانب النفسية العدوانية لدى الغرب الأوربي أكثر من أى شئ آخر. وقد ردّد أحد كبار المؤرخين العرب فى مجال الدراسات البيزنطية عبارة هنا نصها « مع فشل هذه الحملة تبدأ عظمة ليو كرجل وقف ضد الزحف الإسلامى إلى أوروبا. حتى أنه يقال ، أنه لولا ليو الأيسورى لأنتشر الإسلام فى أوروبا كما تنتشر النار فى البرارى<sup>(١)</sup>؛ وهى عبارة من الممكن قبولها - فقط- فى حالة إيراد عبارة « من وجهة نظر بيزنطية . ويلاحظ أنه الآن، ينتشر الإسلام فى أوروبا من خلال قدراته الذاتية كدبى يملك القدرة على الحوار مع الأديان الأخرى، والأمر المؤكد أن الإسلام قويا<sup>(٢)</sup> أو الرعب من الإسلام ، وهم غريبى إنعكس على معالجات قطاع من المؤرخين الأوروبيين للعلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى دون مبرر منطقي، وما زال يترعرع حالياً فى ظل الوضع الدولى المتأزم الراهن !

= يقول جريستاف لويون « ولكن لنفرض جدلاً أن النصارى عجزوا عن دحر العرب ، وأن العرب وجدوا جر شالى فرنسا غير بارد، ولا ماطر كجو أسبانيا فطابت لهم الإقامة العائمة به، فإذا كان يصيب أوروبا ١ كان نصب أوروبا النصرانية المنسيرة مثل ما أصاب أسبانيا من المضارة الزاهرة تحت راية النسي العربى ، وكان لا يحدث لى أوروبا التى تكون قد هذبت ما حدث ليهما من الكبائر كالمغرب الديية ، وملحة سان بارتلمى، ومطالم محاكم التفتيش وكل ما يعرفه المسلمون من الرقائع التى ضربت أوروبا بالدماء، عدة قرون» ص ٣١٧

١- محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩٨

٢- عن ذلك أحيل القارئ إلى هذه الدراسة المتنازة التى أعدها باحث أسكى معاصر:

جون ل. إسبرنتر، التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

وتعد أفضل دراسة كتبها باحث غربى عن ظاهرة الإسلاموفوبيا أو الرعب من الإسلام ، ولجدها عرفت مفيداً لدى:

حاتم الطحاوى ، « جون ل. إسبرنتر، التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ١ ترجمة / قاسم عبده قاسم ،

٢٠٠١ ، ٤٢١

J. Esposito, The Islamic Threat Myth or Reality, Oxford 1999

حولية التاريخ الإسلامى والوسطى، م (٣)، عام ٢٠٠٣م، ص ٢٩٧- ٣٠١، (أيضاً).

إبراهيم نافع ، جنون «المفكر الأخضر» وحيلة تشويه الإسلام ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٦٧-

ص ١٨٣

مهما يكن من أمر؛ فالملاحظ أن هناك مراجعة أخرى حدثت بين قوات ذلك الامبراطور والمسلمين في معركة اكرونيون Acronion عام ٧٤٠م وهي التي هزم فيها الآخرون واستشهد فيها عبدالله البطال<sup>(١)</sup>.

أما الزاوية الثانية الخاصة بالجانب القانوني؛ فيلاحظ اتجاه ليو الثالث الأيسوري إلى الانضمام بالنهاية التشريعية وقد ارتبط اسمه بمجموعة قانونية عرفت باسم الاكلوجا Eclo-ga<sup>(٢)</sup> أو المختارات القانونية التي صدرت عام ٧٢٦م، وقد دفعته عدة دوافع نحو إصدارها؛ إذ أن قوانين الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) وضعت باللاتينية، وأراد ليو الثالث أن يضع قوانينه باليونانية، بعد أن نقلت مساحة الإمبراطورية نتيجة لتوسعات المسلمين، والسلاط، وفقدت أغلب المقاطعات الشرقية كذلك فإن احتياطات الإمبراطورية البيزنطية الاقتصادية والاجتماعية تطورت على مدى المرحلة الواقعة فيما بين القرنين السادس، والثامن الميلاديين، ولذلك احتاجت إلى قوانين تتفق مع ذلك التطور<sup>(٣)</sup>.

وقد وقعت الاكلوجا في (١٨) فصلاً احتوت على جوانب متعددة في القانون المدني<sup>(٤)</sup>، منها ما اتصل بالزواج، والميراث، والودائع والامانات، وتوزيع المغانم، وغيرها.

١- عن ذلك انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ١٩١، ابن كثير، البداية والنهاية، ط. بيروت ١٩٩٨م، ج ٩، ص ٣٨٤ - ٣٨٧.

وعن عبدالله البطال انظر:

وشاد محمد خبص، سيرة سيد بطال غازي في القصص الشعبية التركية وأثر الصراع الإسلامي البيزنطي فيها، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م. السيد الباز العريضي الدولة البيزنطية، ص ١٦٧، محمد فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٢٨٢ - ٢٨٤.

٢- عن الاكلوجا انظر:

Spulher, L' Eclogue des Isauriens, Texte, Traduction, et Histoire, Ceruanti 1929  
Hussey, The Byzantine World, p. 30, p. 43, p. 132.  
Browning The Byzantine Empire, p. 53.  
Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 242-244.  
Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 134, p. 141  
Nicol, A Biographical dictionary, p. 73.

والمدخل الجبلوغرافي

٣- نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص ١٣٥

٤- تكررت الاكلوجا من ١٨ فصلاً موزعة كالتالي



جدير بالذكر ؛ على الرغم من استفادة الاكلوجا من قوانين جستنيان ، إلا أنها اختلفت عنها في بعض الجوانب، بل كانت متقدمة عنها- وهو أمر متوقع- وقد فرضت عقوبات موحدة على الجرائم التي تشابه ويرتكبها الأمراء أو العامة ، بينما كانت العقوبات في قوانين جستنيان تفرض وفق الوضع والمكانة الاجتماعية للشخص الذي قام بارتكاب الجريمة<sup>(١١)</sup>.

وقد تأثرت الاكلوجا بالأعراف والعادات الشرقية أكثر من قوانين القرن السادس م، ونجد فيها احتراماً أكبر لعقد الزواج، وكذلك حقوق الزوج، والأبناء ، وقد ظهر فيها التأثير المسيحي أكثر من ذي قبل<sup>(١٢)</sup>.

كما أن هناك القانون الزراعي *Leges rusticae* ويتكون من ٨٥ مادة قانونية ولا تغفل كذلك ؛ صدور القانون البحري *Lege navales* ، والهدف منه تنظيم التجارة البحرية، وقد احتوى على سجل للعادات ، وكذلك التقاليد التي تم مراعاتها في أمور الملاحة البيزنطية .

أما القانون العسكري *Leges Militares* <sup>(١٣)</sup>؛ فيلاحظ أنه تناول على نحو أساسي العقوبات التي كانت تفرض على الجنود عندما أقدموا على ارتكاب الجرائم مثل التمرد ، أو الفرار ، ونحوها ، ومنطقي تصور أن مثل ذلك القانون هدف إلى فرض الانضباط في الجيش البيزنطي ليتمكن من تحقيق الأهداف المناطة به

---

= المخطوطة ٢- عقد الزواج بين المسيحيين ٣- جهاز العروس وصادقها ٤- هدايا العروس ٥- الرصبة والأشخاص الذين يحق لهم الرصبة ٦- الإرث والورثة ٧- اليتامى والرعاية عليهم ٨- تحرير العبيد والاستعباد ٩- البيع والشراء ١٠- يوجب عقد مكتوب أو التعهد الشفهي والعرايين التي تم دفعها ١١- الدين والقرض ١٢- الرذائع والأمانات ١٣- الضمان والتأمين ١٤- الإيجار والاستئجار ١٥- الشهود المقبولة وشهادتهم وغير المقبولين ١٦- اتفاقيات الصلح ١٧- أطلاق المجدد ١٨- العقوبات على ارتكاب الجرائم ١٩- توزيع غنائم الحرب.

عن ذلك انظر نعم فرح ، الحضارة البيزنطية، ص ١٣٦- ص ١٣٧

١- نفسه ، ص ١٣٧

٢- نفسه ، نفس الصفحة ، عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١٩

٣- نعم فرح ، المرجع السابق، ص ١٤١- ص ١٤٢ ، عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ١١٨

١١٩

وهكذا ؛ صارت القوانين التي صدرت في عهد الامبراطور ليو الثالث الأيسوري وسيلة من أجل تدعيم السلطة الامبراطورية من ناحية ، وكذلك إخضاع شعوب الامبراطورية لسلطة قانونية واحدة تتفق مع الاحتياجات المتطورة لشعبها ولاشك في أن القانون كان عنصرًا فاعلاً من وراء استمراره تلك الامبراطور أحد عشر قرنًا من الزمان مع عدم اغفال أهمية العوامل الأخرى بطبيعة الحال.

أما فيما يتصل بالحركة الأيقونية؛ فمن الملاحظ أن التدين العاطفي للشعب البيزنطي دفعه إلى التعلق الزائد بصورة القديسين أو الأيقونات Icons<sup>(١)</sup> فتم تقديسها ، وهناك من يقرر أنه منذ القرن الثامن الميلادي؛ حدثت مبالغة في التعلق بالأيقونات وتقديسها وصارت تلك الصور في الكنائس ، والأديرة وكذلك في كافة المنشآت المدنية الخاصة ، العامة ، وصار الناس يسجدون أمامها تقديسًا لها<sup>(٢)</sup>

على أية حال؛ كان ليو الثالث الأيسوري من أبسوريا Isauria بأسيا الصغرى Asia Minor من منطقة لم تكن قماوس فيها عبادة الأيقونات وبالتالي ؛ أراد تخليص الإمبراطورية مما اعتقد أنه «البدعة» التي عارضها عدد من كبار آباء الكنيسة من قبل .

كذلك ؛ لانفعل التأثير الإسلامي . فالمسلمون كانوا ينظرون باستهجان لقيام البيزنطيين بالسجود أمام صور القديسين كما أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (٧٢٠-٧٢٤) أزال الأيقونات الموجودة ، وقيل إن ذلك كان يذاقع من تأثير أحد اليهود<sup>(٣)</sup> . وهكذا ؛ فإن العلاقات بين

١- كلمة أيقونة Icon مشتقة من الفعل Eiko في اليونانية ومعنا، شبه أو يماثل ، والاسم Eikon يعنى صورة أو صورة مقدسة، ويسمى محطم الصور ايكونوكلاست Iconoclast ، ومعارضة عبادة الأيقونات تسمى ايكونوكلاسم Iconoclasm . عن ذلك أنظر: إبراهيم طرخان ، الحركة اللا أيقونية في الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٥٦م، ص٩

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٩

٣- عن ذلك أنظر "The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II A.D. 721" Vasilev, D.O.P., Nos. 9-10, Massachusets 1956, pp. 24-47

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص١٢٩ . سبده كاشف ، مصر في عصر الولاة ، ط. القاهرة ب-٢ ، ص١٢١ ، قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص٣٤ ، حسان حلاق، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي الحياة المالية والاقتصادية والادارية ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٥٨ وبصفة عامة؛ أفضل دراسة بالعربية عن التأثيرات المتبادلة بين الجانبين العربي والبيزنطي هي: فتحي عثمان، الحضرة الإسلامية بين الاحتكاك الحري والاتصال الحضاري، ٣ أجزاء ، ط. القاهرة ١٩٦٦م

الطرفين لم تكن كلها ذات طابع حربي عدائي ، بل امتد الأمر للجوانب الدينية، ومن المفترض حدوث حوار أو جدال ديني بين المجانبيين .

من جهة أخرى؛ أراد ذلك الامبراطور الحد من نفوذ رجال الكنيسة ، وكذلك الحصول على دعم النماطرة، واليعاقبة، وبالتالي ؛ يمكن القول أن هناك عدة دوافع وراء تلك التغييرات على المستوى الديني في عهد ليو الثالث الأيسوري كما أن هناك عدة نتائج على الصعيد الدولي نجحت عن تلك السياسة كما سيتضح لنا.

مهما يكن من أمر؛ تم عقد مجلس شارك فيه عدد من الأساقفة عام ٧٢٦ م<sup>(١)</sup> بعد تسع سنوات من توليه الحكم- وتم فيه الإقرار بإزالة كافة الصور والتماثيل ذات الطابع الديني من

= وهي في الأصل أطروحة دكتوراه من كلية الآداب- جامعة القاهرة إشراف الراحل أ.د. حسين مؤنس بعنوان التفرد الشامية والجزرية إلى عهد المتوكل العباس

ومن المهم هنا الإقرار أنه بعد أربعين عامًا على صدورهما يصعب وجود دراسة مماثلة لها باللغة العربية، دون اغفال أنها ألفت - بطبيعة الحال- بإسكانات السنينيات . ولا يعد ذلك نقلاً لها

١- عن الحركة اللاأيقونية بصفة عامة أنظر؛

Theophanes, pp. 93-94

Brubaker and Haldon , Byzantium in the Iconoclast Era ( ca 680-850) : The Sources, An annotated Survey, B.B.O.M., Birmingham 2001 .

Bryer and Herrin, Iconoclasm, Birmingham 1977 .

Martin, AHistory of the Iconoclastic Controversy, London 1978

Hussey, The Byzantine World , pp. 30-32 .

Angold, Byzantium , pp. 70-93 .

ابراهيم طرخان . الحركة اللاأيقونية في الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٥٦م.

وعن الحركة اللاأيقونية في عهد ليو الثالث الأيسوري أنظر

Gero, Byzantine Iconoclasm during the Reign of Leo III , with Particular attention to the Oriental Sources, Louvain 1999

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 57-61 .

حسين ربيع . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٨٠-١٠٨، ص١١٥، شارلو أوسان، الإمبراطورية

البيزنطية، ص١٤٩-١٥٣ ، جوزيف نعيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٣-١٣٣

الكنائس ، كما تم تحريم تصوير السيد المسيح والسيدة مريم العذراء عليهما السلام وأدى ذلك إلى اندلاع معارضة شديدة من جانب الرهبان وصغار رجال الدين ، إلا أن الامبراطور تمكن من إخضاعهم . وتطور الأمر عندما وقف البطريرك البيزنطي حينذاك ضد الإمبراطور فقام الأخير بعزله عام ٧٣٠م، ولارب في أنه أدرك أن مثل تلك الحركة التي وأها ضرورية من وجهة نظره لإصلاح المعتقد الديني في الامبراطورية ، تحتاج إلى قبضة جديدة من أجل تنفيذها ومبعتها

ويلاحظ أن معارضة البطريرك للإمبراطور مثلت حالة من الحالات المتعددة في التاريخ البيزنطي .

جدير بالإشارة: أن الأحداث التي وقعت في بيزنطة لم تكن ذات بعد محلي محدود ، بل امتد تأثيرها خارج حدود الإمبراطورية وهنا مكن خطورتها ، فلم يكن في الإمكان أن تقف البابوية في روما مكتوفة اليدين حيال ما يحدث في القسطنطينية ، وهكذا : قام البابا جريجوري الثاني Gregory II (٧١٥ - ٧٣١م) بعقد مجلس ديني من أساقفة الغرب الأوروبي، وأصدر قراراً يعتبر ما قام به ، أولئك الذين يحاربون الأيقونات هرطقة<sup>(١١)</sup> . وامتد الأمر في عهد البابا الثالي: وهو جريجوري الثالث Gregory III (٧٣١ - ٧٤١م) الذي عمل على إزال اللعنة على كل من يزيد مخلص الأيقونات<sup>(١٢)</sup> ، مما عكس إتخاذة خطوة أقوى أبعد من السابقة التي اتخذها سلفه

---

= محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٠١ - ص ١٠٢ ، محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١١٨ - ص ١٢٧ ، وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧١ - ص ١٧٩

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٥

وجريجوري الثاني: بابا وقديس ، ولد في روما عام ٦٦٩م من أسرة ثرية، وقد تولى المنصب البابوي من ١٩ مايو ٧١٥ إلى ١١ فبراير ٧٣١م، ويلاحظ أن يوم عبده يوافق ١١ فبراير، عنه أنظر Kelly Oxford Dictionary of Popes, Oxford 1996, p. 86-87

٢- جريجوري الثالث، بابا وقديس تولى منصبه خلال المرحلة من ٨ مارس ٧٣١م إلى ٢٨ نوفمبر ٧٤١م ، ووصف بأنه كان رجلاً فصيحاً ، وتمثل أعباء دور في معاصرته مرحلة الصراع على الأيقونات عنه Ibid, p. 88-89

Diehl, History of The Byzantine Empire, p. 59

لاتفعل هنا ؛ أن أحداث التاريخ كانت تتلاحق خلال القرن الثامن الميلادي وفيما بعد على نحو زاد من التباعد بين كنيستي القسطنطينية وروما من خلال قطيعة قوشبوس في القرن التاسع الميلادي ومن بعدها القرن الحادي عشر الميلادي عندما حدث الانشقاق الأعظم بينهما خاصة عام ١٠٥٤م فكانت نهاية رحلة طويلة وشاقة من الشكوك، والتناقض، والعداء، المتبادل المتراكم والمتوالي عبر القرون ، الأمر الذي متوضعه الصفحات التالية.

مهما يكن من أمر؛ توفي ليو الثالث الأيسوري عام ٧٤١م ، وذلك بعد أن أحدث تأثيراً مهماً في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية سياسياً ، وعقائدياً على الصعيد الداخلي والخارجي.

ومن بعده ؛ تولى العرض البيزنطي ابنه قسطنطين الخامس<sup>(١)</sup> الذي حكم خلال المرحلة من ٧٤١ إلى ٧٧٥م وبعد عهده مكملاً ، ومتسماً لعهد والده من قبل، ويمكن إبراز أهم معالم التاريخ البيزنطي في عهده على النحو التالي:

أولاً ؛ سياسة تجاه عبادة الأيقونات .

ثانياً ؛ الصراع مع المسلمين .

ثالثاً ؛ مواجهة اللبهاردين والبلغار

جدير بالذكر ، أن قسطنطين الخامس حكم مدة زمنية أكثر إستعداداً من تلك التي حكمها والده ، إذ امتدت ٣٤ عاماً ، على حين حكم ليو الثالث ٢٤ عاماً فقط، وقد أعانته ذلك على مواصلة سياسته على نطاق زمني أكبر وإن كانت في معاملها العامة مكحلة للعهد السابق

---

١- عن الإمبراطور قسطنطين الخامس أنظر:

Theophanes, p. 125 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 234 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 147-155 .

Norwich , A Short History of Byzantium, pp. 113-115 .

Angold, Byzantium, p. 77-78 , pp. 78-84 .

Hussey, The Byzantine World, p. 28, p. 29, p. 31

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 53-55

وفيما يتصل بمواجهة عبادة الأيقونات ، أثبت الإمبراطور أنه أكثر تشدداً من والده ، ولذلك خطى خطوات أبعد في عدائها ، وقد قام بم عقد مجمع ديني عام ٧٥٤م حضره (٢٣٨) من الأساقفة في مدينة هيريا Hiera بالقرب من القسطنطينية<sup>(١)</sup> ، وقد أبدوا العقيدة اللاأيقونية ، وتقرر أن من يعارض السياسة العامة للإمبراطورية تجاه تلك القضية سوف يتعرض للعقاب وفق القانون ، وبذلك يتضح لنا حرص ذلك الإمبراطور على الحصول على الشرعية الدينية قبل تنفيذ سياسته ويقدم ذلك نموذجاً على أن الدين كان في خدمة السياسة حينذاك .

هكذا ؛ تمكن قسطنطين الخامس من الحصول على دعم ذلك المجمع الديني لسياسته العدائية تجاه عبادة الأيقونات ، ومن الممكن القول أن عهده ظهر فيه الإرتباط الوثيق بين السباستين الداخلي ، والخارجية فظالما أن الإمبراطورية كان يهددها الخطر الخارجي - كالبلفار على سبيل المثال- لم يكن الإمبراطور في مقدوره التوسع في سياسته اللاأيقونية ، ولذلك ؛ فإنه عندما تمكن من توقيع إتفاق للصالح مع عناصر البلفار عام ٧٦٥م ؛ إتجه من بعد ذلك لفرض سياسته بقسوة ، وعنف وتمثل عدوه الرئيسي في صرورة عناصر الرهبان الذين تمسكوا بعبادتها وقد اتخذ ضدهم عدة إجراءات ، إذ أنه إتجه إلى تسميل عيون الرهبان المعارضين<sup>(٢)</sup> ، وبلاحظ أن ذلك الأسلوب العقابي البشع يعد نمطاً تقليدياً في التاريخ البيزنطي على نحو يجعل المزوخ المتصف بشهر بمدى الوحشية ، والرغبة الغير سوية في الإنتقام ، وقد وصل ذلك الأسلوب إلى أبشع مراحل على يد الإمبراطور باسل الثاني في عهد الأسرة المقدونية كما سيتضح لنا فيما بعد مما دل على تواصله تاريخياً من بعد ذلك ، كما أمر الإمبراطور بقطع

#### ١- عن ذلك أنظر

Angold , Byzantium p. 79-80 .

Norwich, A Short History of Byzantium , p. 113 .

Talbot (ed..) Byzantine defenders of Images Eight Saints Lives in English Translation  
Dambarton Oaks , Washington 1998, p. X .

#### ٢- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٨

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 60 .

Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images , p. X .

أسفة وأنوف معارضيه . كذلك إنجده إلى إيداعهم في السجن أو إبعادهم من خلال النفي، والتشريد<sup>(١)</sup>.

وهكذا؛ كشفت لنا سياسة ذلك الإمبراطور تجاه الرهبان الذين اعتقدوا في عبادة الأيقونات ؛ عن رغبته في عقاب معارضيه كأنهم أعداء حقيقيين للإمبراطورية البيزنطية وليسوا من أبنائها المخالفين في معتقداتهم تجاه الإمبراطور ويمكن وصف السنوات العشر الواقعة بين عامي ٧٦٥م. و٧٧٥م بأنها سنوات الحرب الأهلية الدينية العنيفة بين السلطة الحاكمة ، والرهبان مما عكس طول مدة الصراع . والأمر المؤكد ؛ أن ليو الثالث الأيسوري كان أقل عنفاً تجاه معارضيه إذا ما قورن بالقسوة البالغة التي اتبعها ابنه من بعده ومن المفترض أنه في حالة استمرار حربه ضد ما اتبع تلك السياسة ضد أولئك الرهبان.

من الملفت للانتباه أن من المؤرخين الأوروبيين المحدثين من إنبهز بالأباطرة اللاأيقونيين، وصورهم على أنهم دعاة إصلاحيين، وتم التضاضى على وسائل التكتيل، والاضطهاد والتعذيب البشعة التي أثبتت أن الإمبراطورية عاشت حينذاك مرحلة بالغة العنف من تاريخها، وسرف تدفع الامبراطورية الثمن فادحاً في صورة اتساع الهوة بينها وبين الغرب الأوربي.

#### ١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية . ص١٢٨

ولانتفل أنه خلال تلك الأحداث ؛ قتل بعض الرهبان مثل القديس ستيفن الصغير St. Stephen The Younger، وكان قد ولد في العاصمة البيزنطية في عام ٧١٥م. وعندما حدثت الصراعات حول الأيقونات خلال عهد قسطنطين الخامس، دافع عن عبادتها . وقد تم قتله عام ٧٦٥م . ويقال أن الإمبراطور المذكور لم يشأ قتله وبذلك تتشابه تلك الحادثة مع حادثة تالية وقعت في عهد الملك الإنجليزي هنري الثاني Henry II (١١٥٤-١١٨٩م) عندما قتل أتباعه توماس بكت St. Thomas Beket رئيس أساقفة كنشيري Canter-bury ويلاحظ أن عبد القديس ستيفن الصغير يقابل يوم ٢٨ نوفمبر ، عنه انظر:

سفر أعمال الرسل، الإصحاحين (٧، ٨).

Life of St. Stephen The Younger, Trans. by Alice - Mary Talbot, in Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images, pp. 9-12 .

John of Wurzburg, Description of The Holy Land , Trans . by A. Stewart , P.P.T.S., vol XII, London 1892, p. 40.

Artwater, The Penguin dictionary of Saints , pp. 313-34

Diehl , History of The Byzantine Empire. p. 60

تجدر الإشارة؛ وجدت عبادة الأيقونات أنصاراً لها ودافعوا عنها أحياناً حتى الموت. وقد حفظ التاريخ لنا ضمن المصادر الجغرافية سير عدد منهم في صورة القديس ثيودوسيا القسطنطينية Theodosia of Constantinople، والقديس ستيفن الصغير St. Stephen the Younger، والقديسة أنتوسا المنتبشونية St. Anthousa of antineon، والقديسة انتوسا ابنة الامبراطور قسطنطين الخامس St. Anthousa daughter of Constantine V وهي تعكس حركات المعارضة ضد سياسة الأباطرة اللاأيقونيين خلال المرحلة ٧٢٦ إلى ٧٨٧م<sup>(١١)</sup>. أما المرحلة التالية هي الممتدة من ٨١٥ إلى ٨٤٣ م. فلدينا سير حياة عدد من المعارضين في صورة البطريرك نفقور الأول بطريرك القسطنطينية I Patriarch Nicephoros، وحياة القديسين ديفيد وسيمون وجورج لسبوس St. S. David, Symeon and George of Lesbos، والقديس ابونيكوس St. Icaunnikos، والقديسة الامبراطورة ثيودورا St. Theo-dora The Empress<sup>(١٢)</sup>.

جدير بالإشارة؛ أن البابية في روما في عهد قسطنطين الخامس بحثت عن حليف في الغرب الأوربي من خلاله تتمكن من تحقيق أهدافها وتوجه من خلاله ضرباتها المتلاحقة تجاه الأباطرة اللاأيقونيين. إذ أن هجمات اللرمباردين في إقليم رافنا بإيطاليا؛ جعلت البابية تتجه صوب دولة الفرنجة، وتترك الإمبراطور البيزنطي. وظهر خلال تلك الأحداث ما عرف بهبة بين<sup>(١٣)</sup> Pepin The Donation والتي بمقتضاها تردد أن الملك الفرنجي بين القصير

١ - عن تلك السير التي تعد مصدراً أساسياً عن تلك المرحلة أنظر:

Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images pp. 1 - 21.

وكذلك المدخل الجغرافي

Ibid, pp. 25- 382.

٢ - حبة بين Pepin's Donation تنسب إلى بين القصير الذي عد آخر وزراء المبروفنجيين، وأول ملوك الأسرة الكارولنجية. وقد غمر في أواسط القرن ٨ الميلادي الاستيلاء على التاج المبروفنجي سياسياً وديبلوماسياً وليس عن طريق القوة. وقد أرسل إلى البابية في روما بعثة يعرض عليها تسال عن إذا كان التاج الفرنجي بظل على رأس من هو بلا قوة، وأن يكون على رأس من بيده القوة الفعلية حتى لو لم يكن بحمل لقب الملك، ويقر جريز تسميم يوسف أن البابا زكريا (٧٤١-٧٥٢م) وصف بالحكمة وأدرك أن من =



Short (٧٥١-٧٦٨م) منح البابا هبة بمقتضاها أعطاه الحق في حكم روما ، ورافنا ، وكان البابا حتى ذلك الحين يمارس سلطاته في روما من خلال النفوذ البيزنطي ، وهكذا ، دفع الأباطرة اللاتينيون ثمن سياستهم على حساب النفوذ البيزنطي في إيطاليا

أما السياسة البيزنطية تجاه المسلمين : فقد حرص قسطنطين الخامس على تحقيق عدد من الانتصارات في مناطق الحدود البيزنطية - العربية حتى يطرأ الجهد الغربي الدفاعي الذي حققه والده ليو الثالث ، ويحقق وقوف الشعب البيزنطي وراء امبراطورهم المنتصر ضد أعداء الامبراطورية منذ عهد الإمبراطور هرقل ،

على أية حال: حدثت تطورات تاريخية حاسمة إذ سقطت الخلافة الأموية عام ٧٥٠م وقامت في أعقابها الخلافة العباسية ، واستغل الإمبراطور ثيوفيل العباسيين عن محاربة بيزنطة لتحقيق بعض الانتصارات . يلاحظ استغلاله لإضطراب أوضاع الأميين قبل سقوطهم حيث استرلى على مرعش عام ٧٤٦م وقام بترحيل سكانها . ومن بعد ذلك بعد سقوط دولتهم تقدم في صراعه معهم وفي عام ٧٥٢-٧٥٣م توجه إلى إخضاع ملطية ، وبصفة عامة: نلاحظ تبدل الأدوار ، فقد تحول المسلمون حينذاك من الهجوم في عهد الدولة الأموية حتى صاروا في موقف الدفاع . أما الدولة البيزنطية : فقد تحولت من الدفاع في عهد ليو الثالث إلى الهجوم في عهد ابنه قسطنطين الخامس<sup>(١)</sup> ، وبمكس ذلك الارتباط الوثيق بين الأوضاع الداخلية في الدولة الإسلامية ونجاح البيزنطيين في تحقيق مكاسب استراتيجية .

= الأفضل مملأته واكتسابه إلى جانبه وأجابه إلى صفه . وهكذا : قام بين بنقل التاج من آخر الملوك الميروفنجيين: وهو شيلدريك الثالث عام ٧٥١م ، وهو العام الذي بعده المؤرخون بباية عهد الأسرة الكارولنجية ويلاحظ أنه في عام ٧٥٤م ، قدم البابا ستيفن الذي توفي من بعد البابا المذكور - قدم إلى غالة حيث خرج بين ملكاً على الفرنجة ولانفصل أنه في عام ٧٥٤م أنزل ذلك الملك الهزيمة باليسارديين . وذهب بين البابوية إلى جانب كيائها الرومي كالة إيطاليا كي تصعب ملكاً لها . عن هبة بين أنظر

Angold , Byzantium , p. 102 .

هارقان وهاراكلاف . الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى . ص ١٤١ . حاشية (٢)

١- من المهم هنا الإشارة بهذه الملاحظة:

Brooks , " Byzantium and Arabs in The Time of The Early Abbasids " . E.H.R. , vol XV , 1900 , pp. 728-747

أما فيما يتعلق بمراجعة اللبّارديين : من الملاحظ أنهم عملوا على توجيه هجماتهم ضد النفوذ البيزنطي في إيطاليا، وفي عام ٧٥١م حققوا إنجازاً كبيراً على حساب بيزنطة من خلال السيطرة على رافنا<sup>(١)</sup> Ravenna، وفيما بعد ، حدث صدام بين الملك بين القصير السالف الذكر ، واللبّارديين ، وتمكن من هزيمتهم، ولم يكن يفعل ذلك للصالح البيزنطي، بل من أجل مصلحته العليا بظيعة الحال ، وحاول الإمبراطور قسطنطين الخامس جاهداً مقاومة النفوذ البابوي، وكذلك نفوذ ملك الفرنجة بين دون جدوى ، وتأكد بالفعل أن النفوذ البيزنطي يتحصر عن إيطاليا وذلك مع ملاحظة استمراره في كل من القسم الشمالي الشرقي في البندقية Ven-ice ، وكذلك في القسم الجنوبي .

وهكذا ، تأكد إخفاق ذلك الإمبراطور في التعامل مع اللبّارديين ، ومن المؤكد أن سياسته تجاه أنصار عبادة الأيقونات عجلت بارتقاء البابوية في أحضان بين القصير ، وبالتالي دفعت بيزنطة الثمن في ضياع قسم من أملكها في إيطاليا

أما فيما يتعلق بسياسة تجاه البلغار<sup>(٢)</sup> الذين شكلوا خطراً داهماً على الإمبراطورية : نجد أنه اصطدم معهم في عدة حملات خلال الأعوام من ٧٥٩ إلى ٧٧٥م . ويلاحظ أنه تمكن

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٩

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 174-176 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 151

٢- وجع البلغار إلى أصل تركي ، وقد استقروا في نهاية الأمر في المنطقة الواقعة شمال البحر الأسود وبحر قزوين ، وهناك خضعوا لسيطرة عناصر الأتار ، وقد ضعفت تلك العناصر بعد فشل حصارها للقسطنطينية عام ٦٢٩م ، وهنا ثار البلغار عليهم ، وأيدت الإدارة البيزنطية موقفهم ضد الأتار . وفيما بعد نتيجة لضغط عناصر الحزب الحضر البلغار إلى الانحياز غيراً حتى وصلوا عا ٦٧٠م إلى دلتا نهر الدانوب، عن ذلك أنظر:

وصام عبد العزيز فرج، السلاف (الصلابة) في شبه جزيرة البلقان، ص ١٨٨- ١٨٩

ومن البلغار وعلاوة بيزنطة يوم أنظر:

Theophanes, p. 12 .

Stephenson, Byzantium's Balkan Frontier, A Political Study of the Northern Balkan 900-1204 . Cambridge 2000 .

من الإنتصار عليهم عام ٧٦٣م<sup>(١١)</sup>، وتجددت إنتصاراته عندما تمكن من هزغتهم فى عام ٧٧٣م، أى بعد عشرة أعوام من الانتصار السابق.

هكذا ، كانت جبهة البلغار مرفقة النتائج بالنسبة لبيزنطة وإن مات الإمبراطور خلال إحدى المعارك معهم عام ٧٧٥م. وبذلك اتضح لنا أنه أخفق مع اللبارديين ، ونجح مع البلغار مع عدم إغفال أن الصراع البيزنطى - البلغارى؛ لم ينته عند ذلك الحد ؛ بل استمر فى عهد أباطرة بيزنطة فيما بعد خاصة فى عهد الإمبراطور باسل الثانى ٩٧٦-١٠٢٥م.

من بعد عهد قسطنطين الخامس؛ تولى الحكم عدد من الأباطرة مثل ليو الرابع . وقسطنطين السادس . وإيرينى ، وثقور الأول، وستوراكيوس . وميخائيل الأول، وليو الخامس الأرمينى؛ ومع ذلك ؛ فمن المهم تسليط الضوء على عدد منهم ليس لكفاءتهم ، بل لوجود أحداث مميزة كشف فيها التاريخ البيزنطى عن بعض خصائصه التى قد لاتتضح فى يسر، وسهولة لدى عهود أباطرة بيزنطيين سابقين آخرين

وبالنسبة لليو الرابع؛ الذى حكم خمس سنوات من ٧٧٥ إلى ٧٨٠م، نلاحظ أنه لم يكن له شأن بارز فى التاريخ البيزنطى، ومن بعده حكمت الإمبراطورة إيرينى<sup>(١٢)</sup> باعتبارها وصية على

= هى أفضل دراسة فى الموضوع المذكور من خلال المعالجة العلمية وكذلك المصادر والمراجع المتعددة ، وهى أحدث ما كتب عن العلاقات بين الجانبين بالإنجليزية.

هانى عبد الهادى الشبير، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٩٨١-١٠٨١م رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة طنطا عام ١٩٩٩م، وهى أطروحة متميزة لباحث متمكن  
١- عن صراع قسطنطين الخامس مع البلغار أنظر:

Theophans, p. 13 .

Norwich, Short History of Byzantium . p. 11 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 10-11

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 55-56 .

محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٠٦-١٠٨

٢- عن الإمبراطورة إيرينى ومضى اسمها «السلام» أنظر :

Theophanes , pp. 155-157

ابنها قسطنطين السادس، وإمتد حكمها من ٧٨٠-٨٠٢م ومن أهم ملامح عهدها إيجابها إلى إعادة عبادة الأيقونات<sup>(١١)</sup>، وبالتالي عارضت تمامًا سياسة ليو الثالث، وقسطنطين الخامس، كذلك ألحقت إلى عقد صلح مهين مع الخلافة العباسية عام ٧٨٣م<sup>(١٢)</sup>، حيث عاصرها الخليفة الذائع الصيت هارون الرشيد؛ وذلك كي تستفرغ نقضها الداخلي البيزنطي خاصة أنه لم يكن لها قبل مراجعة ذلك الخليفة الذي بلغت الدولة العباسية في عهده مرحلة من أقوى مراحل تاريخها.

= عليه الجنزوري، الإمبراطورة إيريني، ط. القاهرة ١٩٨١م.

Angold, Byzantium, p.84, p. 86.

Herrin, Women in purple Rulers of Medieval Byzantium, Princeton 2001, p. 51-129

حيث خصصت الميزة الأمريكية جريدت هيرن الفصل الثاني من كتابها للحدث الفصل عن الإمبراطورة إيريني. وقد دافعت عنها دفاعًا مجيدًا خاصة من خلال المحررات الأخيرة في حكمها

من ناحية أخرى؛ لا يمكن دراسة عهد إيريني دون إدراك دور مهم لأحد الخصيان، وهو شوراكيوس Stru- raios الذي وصف بأنه مستشار الإمبراطورة واحتل مكانة بارزة، وتولى مهمة كل شيء، كما وصفه ثيوفانس، ويلاحظ أنه شارك في الصراع مع العرب، كذلك حارب ضد السلاف في بلاد اليونان حتى ألبمبونيز عام ٧٨٣م، واحتفل بانتصاره في القسطنطينية في يناير ٧٨٤م، وفي عام ٧٨٩م، عاون الإمبراطرة المذكورة في مراجعة أمعاء، عبادة الأيقونات، وقد توفي في ٣ يونيو ٨٠٠م، عنه أنظر:

O.D.B., vol. 3, p. 1945.

ولانفغل أن الخصيان لعبوا دورًا بارزًا في العصر البيزنطي الأوسط عن ذلك أنظر

Ringrose "Eunuchs as Cultural Mediators", in Walter E. Kaegi (ed.) B.F., vol XXIII Amsterdam 1996, pp. 75-93, vol. XXIII.

١- نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ط. دمشق ١٩٦٩م، ص ١٦٤

٢- عن علاقات الإمبراطورة إيريني بالخليفة هارون الرشيد ودور الأخير في مراجعة بيزنطة أنظر: إبراهيم أديب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص ٥٤

وديع فتحي، العلاقات الساسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، ص ٢٢٦، حيث يقدم عرضًا ممتازًا، أيضًا: محمود الخوري، العرب والديين في التاريخ والحضارة، ٥٦٨- ٧٧٤م، ط. القاهرة ١٩٨٦م.

ص ١٦١

Bosworth, Byzantium and the Syrian Frontier in the Early Abbasid Period, Bilad al- Sham

جدير بالذكر ؛ لأرادت إيرين الإستحواذ على السلطة على حساب ابنها ، وكثيراً ما تأمرت عليه ، بعد أن تجردت من مشاعر الأمومة ، ووصل بها الأمر إلى حد قيامها بعد تنازلها عن العرش له عام ٧٩٠ بمواصلة مؤامراتها ، وقام أنصارها بالقبض عليه ، ومن خلال أوامرها قاموا بتسليم عينه<sup>(١)</sup> يوم ١٥ أغسطس ٧٩٧م. في واقعة فريدة في التاريخ البيزنطي.

إن المؤرخين الأوروبيين الذين انتهوا بأباطرة بيزنطة لم ينفوا طويلاً أمام ذلك المشهد الأسود الفريد في مأساويته حيث تجردت إيريني من كافة المشاعر الإنسانية واقتضت عدم استوائها نفسياً دون إمكانية دعم ذلك من نصوص مصدرة أو مرجعية ، إلا أن الواقعة التاريخية يصنعها المأكدة تدل بجلال على ترجيح ذلك الاحتمال . ولا تغفل هنا القول بأن التاريخ أحياناً الغير أسوياء من الناحية النفسية<sup>(٢)</sup>.

على أية حال: فشكل المرأة المتسلطة حصلت على لقب إمبراطور وظلت في السلطة بعد أن جعلت مكانة بيزنطة الأدبية في الحضيض ولذا؛ لم يكن غريباً أن أقدم البابا ليو الثالث<sup>(٣)</sup> Leo III (٧٩٥-٨١٦م) على ترويع شارلمان Carlus Magnus في ليلة عيد الميلاد من

= during the Abbasid Period ( 132- S.A.H/ S.A.P. 750 - 491 A.H. ( A.p. 1059) Proceedings of the Fifth international conference on the History of Bilad Al- Sham ed. by M. Albakhi . Amman 1991) . p. 59-60.

١- عن صراع الإمبراطورة إيرين مع ابنها وتسليم عينه أنظر:

Norwich . A Short History of Byzantium . p. 117-118 .

Bosworth . Byzantium and the Syrian Frontier, p. 59 .

وديع فتحي ، العلاقات السياسية بين بيزنط والشرق الأدنى الإسلامي ٧٤٦ - ٨٢٠م. ط الاسكندرية ١٩٩٠م. ص٢٦٩

٢- عن ذلك أنظر

زهيرة البيلي ، التاريخ يستعفه المرضى ، ط. القاهرة ١٩٨٥م. وتقدم الزلفة في المقام الأول المرض النفسي.

٣- ليو الثالث ؛ بابا وفديس . تولى المنصب البابوي في ٢٦ ديسمبر ٧٩٥م حتى ١٢ يونيو ٨١٦م . وهو من أصل روماني من جنس إيطالي . وقد عمل راهباً ، وفيما بعد كرهناً وبناً ونسب إليه أمر ترويع شارلمان في ليلة عيد الميلاد من عام ٨٠٠م . وعرفت عنه كفاية الإدارة . وملاحظ أن عيده يوافق يوم ١٢ يونيو . عنه أنظر

عام ٨٠٠م<sup>(١١)</sup>، وذلك بعد أن أثبت براعته في محاربة اللومباردين ، ووفر الحماية للبابوية ، وقد أرادت الأخيرة خلق قوة سياسية كبيرة في الغرب الأوروبي تواجه البيزنطة ، وبالتالي؛ صارت هناك قوتان سياسيتان كبيرتان متنافستان تحاولان مغاطبة ود البابوية ؛ في القسطنطينية وأخن Aachen (أكس لاشابيل Aix La Chapelle عاصمة شارلمان

لاتغفل أن تلك الحادثة ، عدت حادثة محورية في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية على نحر جعل بعض المؤرخين يتصورون أن ميلاد تلك العصور يمكن أن يبدأ منذ عام ٨٠٠م. وإن كان ذلك رأى مستبعد على أية حال؛ لعدم منطقته نظراً لتأخره الزمني مع عدم إغفال مركزية الحادثة ذاتها كحادثة تاريخية لها شأنها في تاريخ الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، وكذلك في علاقاته مع الشرق البيزنطي.

لقد ساعدت الإمبراطورة إيرني- دون أن ننسى- ساعدت البابوية في توجيه صدمة قوية لبيزنطة ، لقد كان هناك الضعف السياسي، ثم السقوط الأدبي، ومن قبل كانت هناك سياسة الأباطرة اللأيقونيين . وأدى ذلك كله ؛ إلى أن توافرت الظروف التاريخية الملائمة لتشريع شارلمان خاصة أن الأخير أثبت كفاءته الحربية. ومهارته السياسية ، بالإضافة إلى زاوية التنصير التي سار عليها مثلما حدث من خلال تنصيره لعناصر السكسون، واستخدامه الفسوة البالغة في سبيل تحقيق ذلك إلى حد قيامه بمذبحة مروعة في فردان Verden<sup>(١٢)</sup> عام ٧٨٢م.

---

= Kelly . Oxford dictionary of Poper pp. 97-99 .

١- عن تشريع شارلمان أنظر:

Einhard, Vita Caroli Magni, Trans. by Lewis Thorpe In Two Lives of Charlemagne by Einhard and Notker the Stammerer, Penguin Book London 1969, pp. 80-81

Theophanes, p. 157 .

Becher, Charlemagne, Trans. by David S. Bachrach . London 2003, pp. 7-17 .

ديمز. شارلمان . ت. السيد الباز العريضي. ط القاهرة ١٩٥٩م. ص ١٧٢-١٨٧

٢- عن مؤلف شارلمان من السكسون: أنظر:

Notker the Stammerer, in Two Lives of Charlemagne, Trans.

By Lewis Thorpe. Penguin Book, London 1969, p. 136-137

وهي التي قتل فيها ٤٥٠٠ شخص منهم، وهكذا : توافرت لديه كافة الشروط اللازمة : من أجل تحالف البابوية معه ، مع إدراك أن البابوية دائماً ما تحالفت مع الأقوى على مدى تاريخها خلال حقبة العصور الوسطى.

على أية حال؛ كان تنصيب شارلمان بمثابة صدمة كبيرة للأباطرة البيزنطيين كما قرر البعض. وقد رفضت بيزنطة في أول الأمر : الاعتراف بذلك التطور السياسي المحوري الذي حدث في روما، وظلت ترفض الأمر طوال نحو ١٢ عاماً ، إلى أن اضطرت للاعتراف ؛ بالآخر الراجع *Ipsso Facto*، ويلاحظ : أن شارلمان - وهو أول إمبراطور مسيحي لاتنجري في عروقه الدم الروماني، أو اليوناني إذ أنه يرى الأصل فرنجي المنبت<sup>(١)</sup> نفسه كان حريصاً المحرص أجمعه على أن تعترف الإمبراطورية البيزنطية به.

على أية حال ؛ إتحده شارلمان عام ٨١٠ م ، أي بعد عشر سنوات على تنصيبه إلى أن يطلب من ابنه بين *Popia* احتلال فينيسيا *Venice*<sup>(٢)</sup> (البندقية) في شمال شرقى إيطاليا، وكانت خاضعة لسيطرة بيزنطة والهدف من ذلك كان جلياً ؛ إذ أراد الضغط عليها من خلال دور تلك المدينة ذات الأهمية الاقتصادية التجارية في العلاقات بين الشرق البيزنطي والغرب الأوربي حينذاك وقد حدث إسقاطها في عهد الإمبراطور نقفور في وقت واجه فيه البلغار في البلقان والمسلمين في آسيا الصغرى وقد دخل نقفور في مفاوضات مع شارلمان ؛ من أجل الإتسحاب

---

« وعن مذهبة فردان أنظر :

Becher, Charlemagne, p. 67

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج١، ط١، القاهرة ١٩٨١م، ص٢٠٢ . محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ط١ . الاسكندرية ١٩٩٤م، ص٢٥٩

وهناك من يقر ما نصه « كان من نتيجة حروب شارلمان التي استمرت من ٧٧٢ حتى ٨٠٤ غنا، جيل باكسله، ولم ينته إلا بعد أن أكره عدداً كبيراً من السكسون مع أسرهم على ترك سكسونيا والإستقرار في الأقاليم الفرنجية، عن ذلك أنظر :

رأفت عبد الحسيب، « الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب في العصور الوسطى »، ندوة التاريخ الإسلامي والوسط، م (٢٢) ، عام ١٩٨٣م، ص٩٨ ، حاشية (٢٧)

١- نعم فرح ، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى ، ط١، دمشق ١٩٩٥م.

٢- نفسه، ص٦٣

من تلك المدينة المحيوة، وتم إرسال وفد إلى آخن Aachen من أجل عقد صلح مع الإمبراطور الجديد وتم التوصل إلى إتفاق يقر بأن يتم الإنسحاب من تلك المدينة الإيطالية ، وأن تعترف ببيزنطة بإمبراطورية شارلمان ، ولاتفعل ، أن تقف قتل عام ٨١١م، وفي العام التالي ٨١٢م؛ وافق الإمبراطور ميخائيل الأول على الإتفاق السابق<sup>(١)</sup>.

على أية حال؛ تأكد لنا أن شارلمان تمكن من إدارة التنافس بين القسطنطينية، وآخن بهدوء، واستطاع أن يفرض على الإمبراطورية البيزنطية القبول بالأمر الواقع الجديد في الغرب الأوربي من خلال الضغط العسكري.

على أية حال ؛ كانت بيزنطة الخاسرة الأولى من وراء أحداث عام ٨٠٠م ، حيث تغيرت خريطة القوى السياسية في الغرب الأوربي؛ الأمر الذي انعكس تأثيره بالضرورة على الشرق القارة

هكذا ؛ يمكن القول أن الإمبراطورية إيرين بسلوكتاتها أدت إلى خلق الأجواء المساعدة على ماحدث في العام المذكور دون إغفال عوامل أخرى خاصة بترايزات القوى في السياسة الدولية حينذاك. من خلال التنافس التقليدي بين الغرب الأوربي والشرق البيزنطي على الصدارة.

مهسا يكن من أمر ؛ بالنسبة لتلك الإمبراطورية ؛ كان للفقر كلمته، فتملأ غمرت بابنها غدر بها أحد كبار رجال دولتها وهو تقفور الذي عمل وزيراً للمالية !!

وقد تمكن من تدبير إنقلاب ضدها عام ٨٠٢م<sup>(٢)</sup>، وتم نفيها من بعد ذلك، وماتت في العام التالي تاركة وراءها ذكرى امرأة قاسية فتنت بالمنصب الإمبراطوري البراق المطلق السلطات.

مهسا يكن من أمر ؛ تولي أمر الإمبراطورية خلال المرحلة الممتدة بين عامي ٨٠٢ . ٨٢٠م عدد من الأباطرة الشانويين- وما أكثرهم في التاريخ البيزنطي المديد - وقد أطلق عليهم المؤرخون تعبير « خلفاء الأيسوريين »، ولعل أهم ما يذكر عنهم الإمبراطور تقفور الذي امتد حكمه من ٨٠٢م إلى ٨١١م<sup>(٣)</sup>، وأهم ما حدث في عهده صراعه مع هارون الرشيد

١- نسم فرح . تاريخ أوروبا السياسي، ص ٦٤

Theophanes, p. 158 .

٢- عن ذلك أنظر:

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 67

Theophanes, pp. 158-163 .

٣- عن الامبراطور تقفور أنظر:



(٧٨٦-٨٠٩م) الذي رفض أن يدفع له الفدية التي دفعتها له صاغرة من قبل إيرين؛ فأرسل له ذلك الخليفة رسالة طبقت شهرتها الأفاق وحرصت المصادر التاريخية العربية على إبرادها ، تعبيراً عن قوة العباسيين في عصرهم الذهبي، وإذلالهم للبيزنطيين ، وكنوع من الدعاية السياسية القوية<sup>(١)</sup>، وأرسل إليه جيشاً كبيراً يحمل الثقل السياسي للخلافة العباسية حينذاك، حيث تمكن من اختراق الدفاعات البيزنطية في آسيا الصغرى عام ٨٠٣ ، ٨٠٤م وتم إجبار ذلك الإمبراطور الواهم على دفع تلك الفدية التي لم يكن هارون الرشيد يحتاجها في

Niavis, The Reign of the Byzantine Emperor Nicephorus I (802-811), Athens 1987

وتأتى أهميتها من خلال تخصصها في أعراف ثقلية من التاريخ البيزنطي المبد.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 166-177

Norwich, A Short History of Byzantium, p. 123.

وديع فتحي عبدالله ، والعلاقة بين الدولة والكنيسة في عصر نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) المؤرخ المصري، العدد (٢٨) ، يناير ٢٠٠٥م، ص١٠٧ - ص١٦٠ . عمر كمال تولى، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٩ ، حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٢- ص١٣٣

١- نص الرسالة : «من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراء دون أن نسمعه والسلام».

عنها أنظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل ، ط. القاهرة ، ج٨ ص٢٠٧- ص٢٠٨ . القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ط. القاهرة، ج٦ ، ص٤٥٧ ، يوسف العث، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ط . دمشق ١٩٩٨م، ص٨١ ، إبراهيم المعدي ، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، ط . القاهرة ١٩٥١م، ص٩٧ ، حسين ربيع، المرجع السابق، ص١٣٩

وعن علاقات نقفور الأول مع هارون الرشيد أنظر: Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 425 .

محمد عبد الحفيظ الناصر ، الجيش في العصر العباسي الأول، ١٣٢-٢٢٢ هـ ، ط. عمان ٢٠٠٠م، ص٤٠٥- ٤١٦

حيث يقدم عرضاً مهماً لموقف هارون الرشيد من نقفور وكذلك، إيرين ودور الجيش العباسي في فرض الإرادة السياسية للعباسيين.

أيضاً: غاروق حسر فوزي، العباسيون الأوائل ١٣٢-٢٢٢ هـ / ٧٤٩-٨١١ م، الدولة - المعارضة، ط. عمان، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٦٠٩- ص٦١٤

الأصل نظراً للثراء العريض لدولته . بل أنه إتخذها أداة ضغط . وإذلال لبيزنتة لا أكثر . كما تم تبادل الأسرى بين الجانبين عام ٨٠٥ م : مما عكس أهمية الدبلوماسية في العلاقات بين الطرفين .

وهناك قضية على جانب كبير من الأهمية . فقد زعم أحد الباحثين الغربيين أن هناك خلطاً حدث بين هارون الرشيد في بغداد وشارلمان في آخن<sup>(١١)</sup> على أساس أن بحارب الأول البيزنطيين أعداء شارلمان وفي المقابل يقوم الأخير مهاجمة الأسويين في الأندلس وهم أعداء العباسيين . ويستدل على ذلك بالسفارات المتبادلة بين الجانبين ومهاجمة هارون الرشيد لبيزنتة وحملة شارلمان على سرقسطة عام ٧٧٨م .

إلا أن ذلك التصور لا يمكن قبوله لعدة اعتبارات<sup>(١٢)</sup> :

أولاً : لم يرد في أي مصدر تاريخي عربي ذكر لذلك التحالف المزعوم . وبالنسبة لمصادر تاريخ دولة الفرنجة : لا نجد في ما ألفه إينهارد Einhard تحت عنوان Vita Caroli Magni وكذلك الحوليات المكية Royal Chronicles ما يدل على ذلك صراحة . ومعنى ذلك : أن التصور المذكور لا يستند إلى أساس مصدري صريح لدى أحد الطرفين . والتاريخ بصفة عامة لا يكتب إلا اعتماداً على النصوص الصريحة الواضحة التي لا تحتمل تأويلات يلعب الخيال فيها دوراً أساسياً كما في حالة تلك الواقعة

Buckler , Harunl Rashid and Charles The Great, Massachusetts 1931

٢- من أهم الدراسات بالعربية عن الموضوع المذكور أنظر :

مجيد خفوري . الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان . ط . بغداد ١٩٣٩م .

سليمان الرحبلى . العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهدي الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان . ط . الرياض ب-ت ص ٣٥ - ص ٦٤

وهي دراسة مهمة على الرغم من طابع الاختصار الذي يخلب عليها

عبد الجبار الجومرد . هارون الرشيد . حقائق عن عهده وخلافته . ط . بيروت ١٩٩٩م . ص ٣١٢ - ص ٣١٦

عبد العزيز العمري . العصر العباسي الأول . دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي . ط . بيروت ١٩٩٧م . ص ١١٨ - ص ١١٩

عبد المنعم ماجد . العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين التاريخ السياسي . ط . القاهرة ١٩٧٣م . ص ٢٦٩

ثانيًا : السفارات التي تم تبادلها بين الجانبين كان هدفها دبلوماسيًا في المقام الأول .  
والمرجع أن الخليفة العباسي السالف الذكر : أراد فتح أسواق جديدة للمنتجات العباسية  
الراقية في قلب أوروبا ، وكان المدخل الطبيعي لذلك يتشكل في الدولة الكارولنجية

ثالثًا : إن الهدف من وراء فكرة التحالف الموهوم أن يتم إظهار هارون الرشيد بمظهر الخليفة  
الذي يحركه إمبراطور أوروبي ، وهو أمر مغفوط لأن من أساسيات عمل الخليفة المسلم مجاهدة  
الكفار . وهو ما قام به ذلك الخليفة فعلاً تجاه بيزنطة

رابعًا : لا تغفل أن كلاً من شارلمان و هارون الرشيد أحبطا بروايات مغفوطة وهو أمر نجده  
لدى الأول من خلال أسطورة حج شارلمان . والثاني ما نجده في « ألف ليلة وليلة » التي عملت  
على تشويه سيرته وإظهاره بمظهر اللاهي العايب على الرغم من أنه كان مجاهدًا . وأول من  
حج من الخلفاء : مثيب . ويلاحظ أن نكبه للبرامكة جعلت الفرس يسيئون إليه على نحو انضح  
في ذلك العمل الأدبي السالف الذكر . وهكذا : فإن المغالطة في تاريخ هارون الرشيد أمر قديم  
حديث .

خلاصة القول : حارب هارون الرشيد بيزنطة كامتداد لسياسة الخلفاء الراشدين والأمويين من  
قبل في مواجهة تلك الإمبراطورية .

على أية حال : يبقى أن نذكر عن الإمبراطور نقفور أنه حارب البلغار غير أنهم تمكروا من  
هزيمته . بل قتلوه عام ٨١١م . وعملت جمجمته كوعاء لاحتساء الخمر من جانب خان البلغار<sup>(١١)</sup>  
الذي احتفل بانتصاره على البيزنطيين بتلك الصورة الشديدة القسوة . مع ملاحظة : أنه انتقام  
فردى لاجتماعي . وهو يخالف ما ستقوم به بيزنطة فيما بعد ضد البلغار على نحو خاص في  
عهد الأسرة المقدونية وهو ما سوف يتم التعرض له في الصفحات التالية

مهملًا يكن من أمر : كان الإمبراطور ليو الخامس الذي حكم من ٨١٢ إلى ٨٢٠م . آخر  
خلفاء الأيسوريين . وفي العام الأخير : تكرر المشهد الرئيسي في التاريخ البيزنطي : وتعنى به  
مزاورة بقردها أحد كبار القادة العسكريين . أو بمن كانوا موضع ثقة الإمبراطور . وهكذا : قام  
ميخائيل العموري . وهو من أولئك القادة - بمزاورة أدت إلى القضاء على ليو الخامس<sup>(١٢)</sup> :

١- نعم فرح ، تاريخ أوروبا السياسي . ص ٦٤

Dich History of the Byzantine Empire. p. 67

٢- عن تلك المزاورة أنظر :

Leo V : وبالتالي الأسرة الأيسورية، وكان نجاحه في ذلك له أثره في إعلان ميلاد أسرة حاكمة جديدة لتلك الإمبراطورية.

والواقع : أن نظرة متأنية لأباطرة الأسرة الأيسورية تكشف لنا عن أهمية دور الامبراطور المؤسس لير الثالث ومن بعده ابنه قسطنطين الخامس ، أما الأباطرة الآخرين، فغالبًا ما كان دورهم محدوداً وليس من اليسير إعتبارهم من أصحاب الإنجازات البارزة في مسار تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

وعند مقارنة الأسرة الأيسورية بأسرة جستنيان ؛ نجد بعض أوجه التشابه ، وأخرى للاختلاف؛ ويكفي أن نذكر الجانب القانوني لدى الأسرتين خاصة جستنيان كما أن كلا منهما أثار جدلاً الأول بحرب الاسترداد والثاني بمقاومته لعبادة الأيقونات ، ومع ذلك ؛ فإن لير الثالث كان أكثر نجاحًا من الناحية العسكرية - ذات الطابع الدفاعي في المقام الأول خاصة تجاه المسلمين في حالة مقارنته بالأول

من ناحية أخرى؛ من الصعب أن يكتب تاريخ الإمبراطورية البيزنطية في عهد كل من الأسرتين المذكورتين دون العلاقة المتصارعة مع الغرب الأوروبي وإن كان الاختلاف الجوهري بينهما أن أسرة جستنيان قامت بحرب استرداد طويلة ومجيدة حيال الغرب ؛ لاستعادته من أبدى الجرحان، أما الأسرة الأيسورية فيلاحظ أن سياستها تجاه الغرب لم تكن ذات بعد حربي واضح المعالم ، بل تم تنحية ذلك التوجه خاصة مع ظهور قوة عسكرية ، وسياسية لها شأنها في صورة الدولة الكارولنجية خاصة بعد عام ٨٠٠م ولا ريب ؛ في أن شارلمان وصف بالحنكة الساسية مقارنة بالأباطرة الأيسوريين حينذاك.

ذلك عرض عن الأسرة الأيسورية؛ أما الصفحات التالية فتتناول الأسرة العمورية.

---

= حنين ربيع . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية. ص ١٢٥ . نعم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي .

## خاصة : الأسرة العمورية ( ٨٢٠ - ٨٦٧ م ) :

نتمرض في الصفحات التالية لدور الأسرة العمورية في التاريخ البيزنطي. كذلك يتم المقارنة بينها وبين الأسرات البيزنطية السابقة عليها

جدير بالإشارة : تولي حكم الأسرة العمورية ثلاثة من الأباطرة في صورة ميخائيل الثاني Michael II ( ٨٢٠ - ٨٢٩ م ) وثيوفيلوس Theophilus ( ٨٢٩ - ٨٤٢ م ) وميخائيل الثالث الكبير Michael III The Drunkard ( ٨٤٢ - ٨٦٧ م ) ويلاحظ عن تلك الأسرة على نحو خاص : أن المؤسس حكم عشر سنوات فقط، ونعتي به ميخائيل الثاني، أما ميخائيل الثالث؛ فقد استمر حكمه ربع قرن من الزمان ؛ أي أكثر من نصف مدة حكم الأسرة المذكورة التي امتد حكمها على مدى ٤٧ عاماً وتعد من أقصر الأسرات البيزنطية الحاكمة وإن وجدت أسرة أخرى ثالبة حكمت مدة زمنية أقصر في القرن ١٢م، وأوائل القرن ١٣م في صورة أسرة أنجيلوس التي حكمت ( ١٩ عاماً ) وهي التي سيتم تناولها فيما بعد .

أما فيما يتعلق بالإمبراطور المؤسس ميخائيل الثاني<sup>(١)</sup> ٨٢٠ - ٨٢٩م: فيمكن إبراز أهم أحداث عصره على النحو التالي:

١- ميخائيل الثاني العموري : إمبراطور بيزنطي حكم خلال المرحلة بين عامي ٨٢٠ - ٨٢٩م ولد من أبوين من أسرة متواضعة في فريجيا Phrugia . وفيما بعد التحق بالجيش البيزنطي ووافق الإمبراطور ليو الخامس . وقد ألقى القبض عليه بتهمة الخيانة وقبض بعد دير مزامرة للنخلص من ذلك الإمبراطور وبالفعل تم تبرجه بدلاً منه . وقد مات ميخائيل الثاني العموري في أكتوبر عام ٨٢٩م وحكم من بعده ثيوفيلوس وهو ابنه من زوجته ثيلا Thecla . عنه أنظر :

Nicol, A Biographical dictionary , p. 87.

O.D.B., vol . 2, p. 1363 .

Browning, The Byzantine Empire , p. 64 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, op. 433-436 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 285-286 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 180-183 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 65, p. 67

أولاً قمع حركات المعارضة الداخلية خاصة ثورة توماس الصقلي.

ثانياً الصراع مع المسلمين بشأن جزيرتي كريت Crete ، وصقلية Sicily

وفيما يتصل بالعنصر الأول؛ تعرضت الإمبراطورية البيزنطية في عهده لثورة عارمة من جانب توماس الصقلي ، وهو ثائر على الإمبراطور كان مؤيداً لعبادة الأيقونات ، وقد عارض سياسة الإمبراطورية في مجال "ضرائب التي أثقلت كاهل السكان في آسيا الصغرى، ولاغفل؛ أن الإمبراطورية قامت بنقل أعداد كبيرة من الصقالبة إلى آسيا كنوع من التحريك الديموغرافي خدمة لمصالحها الأمنية العليا حتى يسهل عليها إخضاعهم فيما بعد وهو أمر اتبعته بيزنطة لسيما خلال الثورات العنيفة من جانب أرم وأعراق مختلفة.

تمثلت أهمية تلك الثورة من خلال كثرة المزيدين لها. وكذلك من خلال أن الخليفة العباسي المأمون (٨١٣-٨٣٣م) : قام بتقديم المساعدات العسكرية لتوماس الصقلي ليدعسه ضد الإمبراطور البيزنطي<sup>(١)</sup>، كنوع من الضغط العسكري والسياسي على الأخير، بل إن قسماً من الأسطول البيزنطي ذاته إنضم إلى جانبه ؛ مما عكس اتساع حركته وقدرتها على اكتساب مزيدين تقليديين ضد الجالس على العرش البيزنطي سواء في داخل بيزنطة أو في خارجها، بل وصل الأمر به أن تم تنويع توماس الصقلي (إمبراطوراً) من جانب بطريق أنطاكية وتمكن من محاصرة القسطنطينية براً، وبحراً في عام ٨٢١م، ولكن مجهوداته في ذلك المجال لم تكلل بالنجاح ، وذلك لعدة أسباب يمكن إجمالها في الآتي :

١- عن حركة توماس الصقلي أنظر:

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 274-275 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 181-182 .

Nicol. A Biographical dictionary , p. 87

محمد عثمان عبد الجليل ، ثورة توماس الصقلي في الإمبراطورية البيزنطية (٨٢١-٨٢٣م) / ٢٠٥-٢٠٧هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٢م

غازي ليف . العرب والروم، ص٢٨- ص٥١ ، حيث يقدم عرضاً مختاراً نعيم لرح . تاريخ بيزنطة السياسي، ص٢٢١- ص٢٢٤ ، حسنين زبيح ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص١٤٠- ص١٤٩ تادية حسني سفر . السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الرائق بالله ط. مكة المكرمة ١٩٨٥م، ص٨٣- ص٨٤ ، الدراسة المذكورة له أحد فيها تحليلاً بالعين الأكاديمي للكلمة<sup>١</sup> ويغل عليها المنهج السردى الوصفى

أولاً : إستانة الإمبراطور ميخائيل الثاني العموري؛ في الدفاع عن العاصمة البيزنطية ضد تلك الثورة العنيفة ، وأيده في ذلك ابنه ثيوفيلوس، ولارب ؛ في أن قطاعات واسعة من الشعب البيزنطي وقفت مؤيدة لها ضد ذلك الثائر ، وقد استمر الحصار عدة شهور دون جدوى لعبت فيه - مرة أخرى- حصانة العاصمة الدور الفعال

ثانياً : جلب تحالف توماس الصقلي مع المأمون العباسي تأثيراً سلبياً عليه : إذ انصرف عنه الكثيرون نظراً لتعاونه مع المسلمين الذين مثلوا العدو التقليدي لبيزنطة .

تجدر الإشارة : تمكن الإمبراطور ميخائيل الثاني العموري من القضاء على حركة توماس الصقلي عام ٨٢٢م وذلك بعد أن أجهدت الإمبراطورية البيزنطية، وبالتالي تمكن من توطيد أركان حكمه بعد أن أفضل التحالف العباسي مع ذلك المتسرد

أما فيما يتصل بالمواجهة مع المسلمين في شأن جزيرتي كريت وصقلية : نلاحظ أن الصراع بين الجانبين انتقل من جبهة الحدود البرية بينهما في آسيا الصغرى ليشمل جزر البحر المتوسط، ويلاحظ أن المسلمين أرادوا إلى جانب زاوية الجهاد وضع أيديهم على مثل تلك الجزر التي تمر بها خطوط التجارة العالمية بين الشرق والغرب عبر البحر المتوسط كذلك أرادوا جعلها نقطة إنطلاق إلى مناطق أبعد من أملاك الدولة البيزنطية في الأدرياتيك والبلقان

وفيما يتصل بجزيرة كريت؛ يلاحظ أن ثورة نشبت في قرطبة بالأندلس ضد الأمير الأموي الحكم الأول الذي عرف فيما بعد بالحكم الرضي<sup>(١١)</sup> (٧٩٦-٨٢٢م) وعندما أخفقت؛ عاقب الشراة بأن أمر بطردهم من الأندلس ، فالتجها صوب مصر ولجأوا إلى الإسكندرية، واستولوا عليها، واستغلوا في ذلك الحرب الأهلية التي جرت بين الأمين والمأمون ابني هارون الرشيد في بغداد وعلمنا توطدت الأمور للمأمون؛ عمل على التخلص منهم بأن طلب منهم مغادرة المدينة

---

١- عن ذلك أنظر :

مجهول ، أخبار مجسوعة في فتح الأندلس . ص١١٨- ص١١٩ . محمد أبو الفضل ، قضية ثوار في الأندلس : ثورة التانيخ الإسلامي والوسط . م (٣) . عام ١٩٨٥م . ص٢٦٧- ص٢٦٨

محمد خالد الرمزي . الفقه . وثورة أهل الرقي في الأندلس ( ١٨٠- ٢٠٦ هـ / ٧٩٦- ٨٢١م ) رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب - الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٥م .

وبالفعل اتجهوا صوب جزيرة كريت وتمكنوا من إخضاعها عام ٨٢٧م بقيادة أبي حفص عمر بن عيسى البلوطي<sup>(١١)</sup>، وبذلك أمكن إخضاع جزيرة أخرى من جزر البحر المتوسط للسيادة الإسلامية وحرمت بيزنطة من نقطة ارتكاز عسكري دفاعية وهجومية بالإضافة إلى أهميتها في طرق التجارة كما أسلفت القول، واستمر الوجود الإسلامي فيها إلى أن تمكنت بيزنطة من استردادها خلال القرن العاشر الميلادي خلال عهد الأسرة المقدونية أما صقلية Sicily ذات الموقع الاستراتيجي المتميز في جنوبي شبه الجزيرة الإيطالية وفي مقابل تونس، فقد حدث فيها صراع بين اثنين من القادة البيزنطيين في صورة قائد الأسطول البيزنطي ، ويدعى يوفيموس Euphemius ، وقسطنطين Constantine<sup>(١٢)</sup> الذي كان واليا من جانب الإمبراطور على صقلية وعلى إثر ذلك ؛ طلب الأول مساعدة المسلمين في صورة دولة الأغالية<sup>(١٣)</sup> التي

١- عن ذلك انظر

أسست نخبة ، الدولة البيزنطية وكريت الإسلامية، ص ٣٩-٩٢ ، إبراهيم العدوي، «تقريظ بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادي» المجلد التاريخي المصرية ، م (٣) العدد (٢) أكتوبر ١٩٥٠م، ص ٥٣-٦٨ ، فازيليف ، العرب والروم، ص ٥٨-٦٩

Brooks, " The Arab occupation of Crete ", A.H.R., vol. XXVIII, 1913, pp. 431-441

محمد الهشري والسيد أبو الفتح وعلى اسماعيل مرسى، انتشار الإسلام في أوروبا ، ط. الرياض

١٩٩٧م، ص ١٨٨

٢- ولي الإمبراطور ميخائيل الثاني على صقلية رجلاً يدعى قسطنطين وقد دب نزاع بينه وبين قائد الأسطول البيزنطي أيرفيموس Euphemius وكان قد سبق له الإغارة على شالي أفريقيا عدة مرات ، وذكر البعض أن أيرفيموس أحب راحة اسمها هومونيزا Homoniza وتزوجها كرهاً عنها فعاقبه الإمبراطور عن ذلك بأن طلب من واليه جدد أنفه ، فتمرد عليه وقام باحتلال سرسلطة ، وتمكن من هزيمة قسطنطين وأسره ثم أعدمه عن ذلك أنظر: محمود اسماعيل ، الأغالية ١٨٤-٢٩٦هـ سياستهم الخارجية ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، ت أمين توفيق الطيبي ، ص ١٤٨-١٤٩ ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص ١٢ ، تركي مسير العتيبي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في صقلية الإسلامية، ط. الرياض ١٩٨٧م، ص ١٢ ، مكيلى أسارى ، تاريخ مسلمي صقلية ت. محب محمد إبراهيم، م ١ ، ط. فلورنسا ٢٠٠٣م، ص ٣٠٩ ، وأورد الإشادة بالجهاد البارز الذي بذله المترجم المصري البارز في مجال اللغة الإيطالية أ.د. محب محمد إبراهيم بكلية الآلسن جامعة عين شمس

٣- عن دولة الأغالية أنظر:-



أقامها الخليفة هارون الرشيد كي تكون بمثابة دولة حاجزة Buffer State بين الأملاك العباسية في بلاد المغرب ودول الخوارج الصفرية والإباضية هناك.

الأمر المؤكد أن هناك عدة دوافع دفعت بالمسلمين للتدخل في ذلك الصراع البيزنطي. إذ أن الموقع السالف الذكر لتلك الجزيرة من شأنه تدعيم أقداسهم في القارة الأوروبية من طرفها الجنوبي، بعد أن تمكنوا من دخولها من غربها في صورة شبه الجزيرة الأيبيرية من قبل وعجزوا عن دخولها من برابها الشرقية في صورة القسطنطينية كذلك لانفعل رغبة المسلمين الصادقة في الجهاد وإبلاغ رسالة الإسلام إلى تلك المنطقة ، ولانفعل أنهم أدركوا كذلك أن إخضاع صقلية من شأنه تأمين وجردهم في المغرب الأدنى على الأقل، وكذلك اتخاذها قاعدة إنطلاق لما هو أبعد من مناطق السيادة البيزنطية وفرض سيطرة المسلمين عليها خاصة في مجال الأدرباتيكي.

مهما يكن من أمر؛ قامت حملة بقيادة أسد بن الفرات واستطاع المسلمون في نهاية المطاف إخضاع صقلية عام ٨٣١م<sup>(١)</sup> محققين بذلك إنتصاراً بارزاً علي الدولة البيزنطية ، ومن المهم هنا إدراك، أن الصراع بينهم وبين تلك الأخيرة على جزر البحر المتوسط مثل قبرص ورودس وكريت ومالطة وصقلية لانفصل البتة عن الصراع في بلاد الشام ومصر من قبل في عهد الأسرة الهرقلية لأن تلك الجزر بدون إخضاعها لسيادتهم لظلت مراكز هجوم بيزنطي ضد المناطق التي سيطروا عليها في السواحل الشرقية والجنوبية من البحر المتوسط .

١- ابن وردان، تاريخ الأغلبية ، تحقيق محمد زينهم ، ط . القاهرة ١٩٨٨م. محمد الطالبي، الدولة الأغلبية ٢٩٦- ١٨٤ / ٩٥٩- ٨٠٠ التاريخ السياسي ، ت. المنجي الصيادي ، ط. بيروت ١٩٨٥م.

وتعد الدراسة المذكورة أوفى وأشمل دراسة بالعربية عن الدولة الأغلبية اعتمدت على المصادر والمراجع المتعددة ووقعت في (٨٥٥) صفحة من القطع المتوسط. وحدير بالذكر أن قائمة المصادر والمراجع امتدت لتشمل الصفحات من ص ٧٦٥- إلى ص ٧٨٧ واستازت بالتحليل والنقاش، ناهيك عن سلامة العرض، واعتمد في تأليفها المزج التونسي البارز على مؤلفات بالعربية والانجليزية والفرنسية؛ والأولية ، وفي النهاية فإن الكتاب المذكور ، بلا أدنى شك ، يعد مضافة لجهود المؤرخين التونسيين الحديثين .

٢- عن ذلك انظر: ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق كولان رليش برونسال. ط بيروت ١٩٤٨م ، ص ١٠٢- ١٠٦. إحصان عباس، العرب في صقلية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص ٣٢- ٣٩ . غازيليف ، العرب والروم ، ص ٦٢- ٨٤

تجدر الإشارة : أن المسلمين ظلوا في جزيرة صقلية إلى أن قدم إليهم النورمان وتكنوا من إخضاعها عام ١٠٩١م وقد تمكنوا بالفعل من هزيمة المسلمين عسكرياً وسياسياً إلا أن التأثير الذي تركه المسلمون في تلك الجزيرة يكشف على نحو واضح أنهم تفرقوا عليهم حضارياً ، وهو أمر اعترف به المنصفون من المستشرقين الإيطاليين<sup>(١)</sup> مثل أماري Amari ، وجابرييلي Gabrieli ، وغيرها

ومن الأهمية هنا الاقرار بحقيقة أولية ، وهي أن صقلية وجنوب إيطاليا ، ومن قبل الأندلس ، ومن بعد بلاد الشام عصر الحروب الصليبية غدت بمثابة المعابر الثلاثة للحضارة الإسلامية في العصور الوسطى إلى أوروبا . وهي حضارة توصف بأنها عالمية المنبع عالمية المصب تتلمذت على أيدي أعلامها أوروبا

وهكذا شهد عصر ميخائيل الثاني العموري تمكنه من القضاء على حركة توماس الصقلي ، وكذلك انقضاء الامبراطورية لكل من جزيرتي كريت وصقلية ؛ وبالتالي صارت هناك عدة جزر تحت سيادتهم السياسية وهي قبرص ، وأرواد ، وروديس ، وكريت ، وصقلية ، مع ملاحظة أن الجزيرة الأخيرة احتلت أهمية استراتيجية خاصة نظراً لموقعها الجغرافي المتميز مقارنة بالجزر الأربعة الأولى . مع ملاحظة أن القضية ليس مرفوع جغرافياً متميز بل أستغلاله من جانب المسلمين لتحقيق مكاسب عسكرية وسياسية . من بعد ذلك : تولى العرش البيزنطي الإمبراطور ثيوفيلوس Theophilos (٨٢٩ - ٨٤٢م) وخلال عهده ثار ضده ثائر يدعى بايك الحرصي ، ووجدت الامبراطورية البيزنطية عملة في ثيوفيلوس الفرصة سانحة للتدخل لدعمه ودأ على سياسة الخليفة المأمون عندما وقف إلى جانب توماس الصقلي ، كما ذكرت من

#### ١- عن الاستشراق الإيطالي بصفة عامة أنظر

- نجيب العنفي ، المستشرقون ، ط. القاهرة ١٩٨٠م ، ج ١ ، ص ٤٠٥ - ٤٦٧ ، كارولين جولر ، مستشرق المدرسة الإيطالية ت رانيا فرداخي ، ط. دمشق ٢٠٠٥م ، ص ٢٥ - ١٧١
- يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والاستشراق في أوروبا حتى بداية القرن العشرين
- ت- عمر لطفي العالم ، ط. بيروت ٢٠٠٠م ، ص ٤٥ - ٨٩
- ميشيل جحا ، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ط. بيروت ١٩٨٢م ، ص ٨٣ - ٩٠ ، أنور الزناني ، زيارة جديدة للاستشراق ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥

قبل ، وقد سمح ذلك الامبراطور بإيواء نحو ١٥.٠٠٠ من اتباع بابك في داخل مناطق الامبراطورية واستنكهم في مناطق الحدود مع المسلمين ، مما عكس أن تغيرات ديموغرافية حدثت حينذاك من جراء الصراع العباسي - البيزنطي.

من ناحية أخرى؛ عمل ثيوفيلوس على استغلال الموقف لصالحه فبادر بمهاجمة بعض المدن الحدودية مثل زبطرة Zapetra التي استولى عليها عام ٨٣٧م. ومن التصور أنه كان يريد اختبار قوة المعتصم ورد فعله خاصة أن دخول البيزنطيين لزبطرة صاحبه عمليات وحشية مثل تسميل العميون، وجذع الأنوف والسيى وغيرها

لم يكن من الممكن للمعتصم أن يقف مكتوف اليدين أمام ما حدث . وقد بادر بإرسال قائده البارغ الأفشين إلى البيزنطيين وبالفعل تمكن من إلحاق الهزيمة بهم في معركة دازيمون Darimon في ٢٢ يوليو ٨٣٨م وتمكن على أثره من دخول أنقرة Ankara . ومن بعد ذلك بادر بالهجوم على عمورية Amorium التي منها قدمت الأسرة البيزنطية الحاكمة ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، وبالتالي وجه لطمة قوية لهيبة الامبراطورية ، ومع ذلك ؛ فالأمر المؤكد أن

١- ثيوفيلوس الصوري، هو الامبراطور الثاني من أفراد الأسرة الصورية ، وقد أظهر ميلاً نحو العلم وقد تلقى تعليمه على يدي العالم برحنا السابع الجراماتيكي ، وبصفة عامة ؛ يوصف بأنه من أولئك الذين عملوا على إحداث نهضة علمية في الإمبراطورية البيزنطية. وقد توفي عام ٨٤٢م. عنه أنظر:

Nicol , A Biographical Dictionary , p. 128-129 .

محمد محمد مرسى الشيخ ، سياسة الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس تجاه الخلافة العباسية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرباط، العدد (١٣) ، عام ١٩٧٩م.

٢- عن حركة بابك المجرمي أنظر:

مفلطاي، مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق أسيا كليمان على البارغ . ط القاهرة ١٩٠١م، ص ١١٩، عبد النعم ماجد ، العصر العباسي الأول، ص ٣٩٩-٤٠٦ ، محمد السيد الركيل، العصر الذهبي للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لتلك الفترة. ط. دمشق ١٩٩٨م، ص ٤٢٩-٤٣٤

٣- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٦٦

٤- نفسه، ص ١٧٧

٥- عن فتح عمورية أنظر: •

ذلك الخليفة العباسي لم يكن يضع القلب البيزنطي في تصوراتهِ الحربية ؛ إذ أراد فقط القيام بعمل عسكري عند بيزنطة لإشعار إمبراطورها بأن العباسيين ما وهنا وأن في مقدورهم الضغط الحربي والسياسي على أباطرة القسطنطينية ، والمنطق التاريخي يدهونا إلى التصور أن محنة الأمرين السابقة عام ٧١٧-٧١٨م كانت لازال ماثلة لدى العباسيين ، ولم يكن في الإمكان تكرار الأمر جرياً وراء شعارات جوفاء لاطائل من ورائها ؛ مما يجعلنا نصف ذلك الخليفة بالحكمة في مواجهته لبيزنطة .

أما آخر أباطرة الأسرة العمورية فهو ميخائيل الثالث الملقب بالسكير<sup>(١)</sup> الذي حكم من عام ٨٤٤ إلى ٨٦٧م . وقد تولت الرصاية عليه أمه ثيودورا وأهم أحداث عصره حدوث تبادل

محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٩- ص ١٦٧ . أبوقام ، ديوان أبوقام ، ط. بيروت ب-ت . ص ١٥ . فاضل ، العرب والروم . ص ١٣٠- ص ١٥٣ .  
ومما يذكر في هذا الصدد ؛ أن الشاعر البارز أبوقام نظم قصيدة من عيون الشعر العربي مجد فيها ذلك الفتح وقال فيها

الصف أصدق أنباء من الكتب	في حقه المد بين المد واللعب
بعض الصفائح لا سرد الصحائف في	متونها جلاء الشك والريب
والعلم في شبه الأرماسح لا معة	بين الحبسين لا في السبعة الشهب
با يوم وقعة عمورية انصرفت	عنك التي حقلأ معسولة الخلب

أبوقام . ديوان أبوقام ، ط. بيروت ب-ت . ص ١٥

١- ميخائيل الثالث السكير ؛ مات والده في يناير عام ٨٤٧م . وكان في الثانية من عمره فقامت أمه ثيودورا بأمر الرصاية عليه وعازنها مجلس على رأسه عشيقها الوزير ثيوكتستوس *Thoktistos* ولم يتطع ميخائيل حتى عام ٨٨٦م تكبد سلطته الإمبراطورية ويزاولها حتى تمكن من التخلص من ثيوكتستوس وجعل بدلاً منه يرداس . وبعد العام المذكور بثابة البابية الفعلية لعهد ميخائيل الثالث . ويقر دوناك نيكول أن وصفه بالسكير ليس مرضعياً ، وربما مارس سلوك الشباب العاث اللامع غير أنه في عهده بدأت طلائع النهضة التي شهدتها الأسرة القودونية . ولد توفي في سبتمبر عام ٨٦٧م ، عنه أنظر

Nicol, A Biographical dictionary . p. 87-88

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society . pp. 430-435

O.D.B., vol . II . p. 1364 .

Vasitiev, History of the Byzantine Empire, p. 272 .

Ostrogorsky . History of the Byzantine State, p. 187 . pp. 197-206 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 70 . 71

للأسرى مع المسلمين عام ٨٤٥م<sup>(١)</sup> ، مما عكس إدراك الطرفين لأهمية الدبلوماسية من أجل تقليل حدة الصراع الحربي والسياسي بين القسطنطينية وسامراء مؤقتاً

يبقى أن نشير إلى حادثة محورية في تاريخ الأسرة العمورية ، وفي تاريخ العلاقات البيزنطية - اللاتينية في صورة- النزاع بين أسقف القسطنطينية فرثيوس<sup>(٢)</sup> Photius (٨٥٨-٩٦٧م) أسقف وكنيسة روما على بعض الجوانب العقائدية ، وكذلك التنافس التقليدي بين الكنيستين ، وقد عقد فرثيوس ، مجلساً كنسياً عام ٨٦٧م ، أعلن فيه اختلاعه عن كنيسة روما<sup>(٣)</sup> ولذلك لم يجد إلا اللعنات من المصادر التاريخية اللاتينية المعاصرة.

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٣١

٢- انتهى فرثيوس إلى إحدى الأسرار البيزنطية الأرستقراطية، وقد نال نصيباً وافراً من مختلف العلوم والمعارف إلى حد أن وصف بأنه كان أشبه بدائرة معارف، وقد عين عام ٨٥٨م بطريركاً خلفاً لأغناطيوس وفيما بعد ترقى على تقهر الأباطرة عام ٨٦٧م: أن تم خلع فرثيوس . ولكن أعاده باسل الأول إلى منصبه ، ثم عقد مجمعاً في العاصمة البيزنطية ، عام ٨٧٦م وصغر قرار بتفنيه عام ٨٩٣م ، ومن المعروف أن فرثيوس كتب مقالاً بعنوان De Spiritu Mystagogia ، هاجم فيه ما أسماه بانحراف قانون الإيمان عند اللاتين بسبب إضافة كلمته Filioque «الروح القدس المنشق من الابن أيضاً» كما يعتقد فريق من المسيحيين وقد اعتقد أن تلك الإضافة تعد إنحرافاً عما اتفق عليه آباء الكنيسة الأوائل ، ويلاحظ أن الكنيسة الأرثوذكسية تعدد قديساً، عنه وعن مؤلفاته أنظر:

Photius, The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople, Trans. by Cyril Mango, D.O.S., 3 Cambridge 1958 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 106-107 .

وعنه أنظر دراسة هرجنروتر الموسعة،

Hergenrother, Photius Patriarch von Konstantinopel, Seine Leben, Seine Schriften und das griechische Schisma, 3 vols, Regensburg 1867 - 1869 .

وإسحق عبيد ، روما وبيزنطة ، ص١١

أشد رستم ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ج٢، ص١٢٨-١٦٠

٣- وعن طبعة فرثيوس بصفة عامة أنظر:

Dvornik, The Photian Schism, History and Legend Cambridge 1948

عبد الرحمن عبد الغنى ، «فرثيوس والطبعة بين كنيستي روما والقسطنطينية في القرن التاسع الميلادي»، عالم الفكر، العدد (٣) أكتوبر - ديسمبر ١٩٨٦م، ص٢٠٥-٢٣٤

لا تغفل هنا؛ الإشارة إلى أن العلاقات بين كنيسة القسطنطينية وروما مرت بقطعتين الأولى قطعية غوشبوس السالفة الذكر. ثم الإنشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م. وعلى أرضية الفطيمتين المذكورتين؛ حدثت كارثة عام ١٢٠٤م ويلاحظ أن كافة محاولات التوفيق بين الكنيستين ذهبت أدراج الرياح وتحمل الطرفان المسؤولية في ذلك المجال، مع عدم إغفال سطوة وسيطرة كنيسة روما التي لم تكن لتقبل إلا خضوع الكنيسة الأرثوذكسية لهيمنتها على اعتبار أن القديس بطرس St. Peter<sup>(١)</sup> رأس الخواريين هو الذي أسسها.

وهناك حدث مهم كان له أثره على مسار التاريخ البيزنطي فيما بعد في صورة مهاجمة الروس للقسطنطينية وسلبها. ونهبها. وذلك في عام ٨٦٠م. وقد اغتنسوا فرصة وجود الإمبراطور ميخائيل الثالث خارج العاصمة وقاموا بمهاجمتها. وأدى ذلك إلى 'لغثتكم بالكثيرين من البيزنطيين'<sup>(٢)</sup>.

١- القديس بطرس St. Peter : رأس الخواريين. كان في الأصل صياداً للسماك في بحيرة خيرية التي عرفت ببحر الجليل، وبعد أخا للقديس أنترو St. Andrew. وفي الأصل دعي سمعان بن يونا. غير أن السيد المسيح عليه السلام أطلق عليه اللقب الأرامي Kapha الذي يعنى Petrus أو الصخرة Rock وهو ما عرف به. ويعطى العهد الجديد للقديس بطرس مكانة بارزة من بين الخواريين، ويتضح ذلك بجملة من خلال مطالعة نصوص إنجيل متى. إذ أن السيد المسيح عليه السلام يقول مخاطباً بطرس «أنا أقول لك أبناً أنت بطرس. وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة. وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات». وقد تمت الاستفادة من تلك العبارات إلى حد كبير من أجل دعم مكانة كنيسة روما. وتفرقها على غيرها من الكنائس. عن ذلك انظر:

منى. الإصحاح (١٦). من ١٨-٢٠.

إسحق عبيد. الامراطورية الرومانية بين الدين والسياسة. ط. القاهرة ١٩٧٢م. ص ١٧٧- ص ١٧٣ شارل جينبير. المسيحية نشأتها وتطورها. ت. عبد الحليم محسود. ط. القاهرة ١٩٨٥م. ص ١٦٧. بول بوبار. الفاتيكان عاصته الكنيسة في العالم. ت. انطوان الهاشم. ج. ١. بيروت ١٩٩٦م. ص ١٤.

Altwater . The Penguin dictionary of Saints, p. 273-274

٢- عن ذلك أنظر: Photius . The Homilies, Trans. by Cyril Mango. Harvard 1958 , pp. 82- 95 .

Jenkins. The Supposed Russian attack on Constantinople in 907 . S., 1949 . pp. 403-409

Ostrogorsky. History of the Byzantine State, p . 202-203

Vasiliev . History of the Byzantine Empire, p. 277- 278

جدير بالإشارة : أن الإمبراطورية البيزنطية بصفة عام عندما كانت لا تتمسك من مواجهة عدو أوربي قريب من حدودها الجغرافية على الصعيد العسكري؛ عندئذ كان عليها التفكير في وسيلة أكثر نجاحاً واستمرارية وتؤكد على مدى القرون في صرامة التنصير ، وبالتالي يتم تحويل الأعداء المجاورين إلى حلفاء يربطهم صفاً رباط الدين وبالتالي المصالح المشتركة على كافة المستويات مع عدم إغفال أهمية الجانب الديني في عالم العصور الوسطى؛ حيث تعاطف شأن الظاهرة الدينية .

وهكذا : اتجهت بيزنطة إلى السعي إلى تنصير العناصر السلافية في مورافيا، ويتطلب الأمر تسليط الأضواء على دولتهم لإدراك حجم الإنجاز البيزنطي هناك .

جدير بالإشارة : شهد القرن التاسع الميلادي نشوء دولة للسلاف الغربيين التي اشتملت على تشيكيا ، وسلوفاكيا ، ومورافيا<sup>(١)</sup>، وكذلك بعض المناطق السلافية المجاورة ، وأطلق على تلك الدولة اسم «الدولة المورافية العظمى» ، وقد شهدت ازدهاراً خلال عهد أميرها روسنيسلاف Rastislav (٨٤٦-٨٧٠م) وما يذكر عنه تصارعه مع الألمان؛ من أجل الحفاظ على استقلالية دولته<sup>(٢)</sup>، ويلاحظ أن السلاف الغربيين انتصروا بالوثنية ووجد الملوك الألمان الفرصة سانحة من أجل تنصيرهم ومسيحهم وبالتالي تابعين للكنيسة الألمانية الكاثوليكية التابعة بدورها للكنيسة روما<sup>(٣)</sup>.

= طارق منصور، الروس والمجتمعات النبوية ٩٤٥-١٠٥٤ م ط. القاهرة ١-٢٠٠٦م، ص ٢٠٠، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٣٢

١ - مورافيا Moravia، وتسمى أيضاً Great Moravia . وهي دولة شهيرة في يانوبيا في وقت مبكر من القرن التاسع م. ووصلت إلى ذروة توسعها ونفوذها في عهد الأمير واستيسلاف Rastislav وسجاتوبلوك Svatopluk . وقد اكتشفت علماء الآثار بقايا كنائس تعود إلى القرن التاسع الميلادي وبعضها ذات طراز معماري بيزنطي، وقد كان المورافيون وثنيين إلى أن اعتنقوا المسيحية فيما بعد في القرن التاسع م.

عنها أنظر: Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, p. 181 .  
O.D.B., vol II, p. 1409 .

٢ - نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ٢٢٥

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 203 .

٣ - نعيم فرح ، المرجع السابق، ص ٢٢٥

مهما يكن من أمر : هناك من يقرر : أن روستيسلاف سعى إلى مواجهة المخططات الألمانية بالاتجاه إلى تأسيس كنيسة سلافية مروافية تتمتع بالاستقلال عن الكنيسة الألمانية الكاثوليكية<sup>(١١)</sup>، وانجبه بصره صوب الإمبراطورية البيزنطية ، وطالبها بأن ترسل إلى بلاده منصرين يعرفون اللغة السلافية ، وقد هدف من وراء ذلك أن يجد في المستقبل الدعم البيزنطي في مواجهة الألمان وكذلك البلغار الذين ناصبوه العدا . بالإضافة إلى دعم العلاقات التجارية بين حكام صرافيا ، والقسطنطينية . ولذلك بادروا بإرسال سفارة دبلوماسية إلى العاصمة البيزنطية عام ٨٦٣م<sup>(١٢)</sup> . ومن بعدها ؛ بادرت الإمبراطورية بإرسال بعثة تنصيرية يرأسها قسطنطين الحكيم Constantine The Philosopher الذي لقب فيما بعد كيريلوس وكذلك صيشوة بوس<sup>(١٣)</sup> . وتم ترجمة الانجيل من اليونانية إلى السلافية في خطوة كشفت عن حرص بيزنطة على توسيع نطاق الاثوذكسية وأن الأمر لم يكن يتم بصورة عشوائية ، بل من خلال تخطيط علمي دقيق . كما تمت ترجمة بعض الكتب والصلوات الدينية إلى السلافية<sup>(١٤)</sup> .

وفي تقديري؛ أن إنجاء السلاف الغربيين صوب بيزنطة قد لقي قبولاً من الإمبراطورية البيزنطية التي احتاجت إلى حليف قوى جذير يرتبط بها برباط وثيق ، ويمكنها من أن تجد دعماً في المستقبل عندما تتعرض لخطر من جانب الروس وغيرهم من القوى المتأونة لها سياسياً . ومن الممكن القول : أن عهد الأسرة المعنوية شهد تنصير السلاف الغربيين . ومن بعد ذلك ؛ في عهد الأسرة المقدونية سيتم تنصير الروس على نحو مثل نجاحات متعددة للإمبراطورية

١- نعيم فرج ، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ٢٢٥

٢- نفسه ، ص ٢٢٦

أنظر أيضاً: محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٢٢

٣- عن ذلك أنظر:

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 202-203

Diehl, History of Byzantine Empire, p. 69 .

وسام عبد العزيز فرج ، السلاف Slavs في شبه جزيرة البلقان وجهود الإمبراطورية البيزنطية لاسترداد

سيادتها ، ص ١٧٦

٤- نعيم فرج، المرجع السابق، ص ٢٢٦

٥- وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ١٧٧



البيزنطية ، ومثل الأمر؛ حضرات متلاحقة في مراجعة كنيسة روما الكاثوليكية التي كانت تنظر نظرة عدا . لأية توسعات أرثوذكسية على حساب سيادتها الكاثوليكية

مهما يكن من أمر؛ إذ نجينا جانباً كافة الأحداث السالف الذكر؛ نجد أن الخيانة كانت لها القدرح العلوي في تحديد مصير الأسرة العمورية : إذ قام قائد عسكري يدعى بازل يقتل الامبراطور ميخائيل الثالث عام ٨٦٧م ليؤسس أسرة جديدة هي التي عرفت في التاريخ باسم الأسرة المقدونية . وذلك يدل على أن تاريخ تلك الأسرة بدأ بالخيانة وانتهى بها «وتلك مفارقة تحتاج إلى التأمل .

ذلك أمر الأسرة العمورية . تاريخ قصير شهد الصراع العنيف مع توماس الصقلي . واقتتاد الامبراطورية جزيرتي كريت ، وصقلية ، والهجوم الروسي الدموي على القسطنطينية التي لم يتمكن المسلمون من اقتحامها من قبل عام ٧١٧م ، ولكن تم اختراقه بعد ذلك من جانب الروس بقرن ونصف . كما حدث عام ٨٦٧م والسياسة التنصيرية تجاه السلاف الغربيين . ثم النهاية التقليدية الغالبة لعدد وافر من الأسرات البيزنطية من خلال الخيانة أو القدر دون لحامل على التاريخ البيزنطي الذي يعد متعقداً حياً لكافة الطبائع والفرائز البشرية بإيجابياتها وسلبياتها مثل أية حقبة تاريخية أخرى.

والواقع : أن الأسرة العمورية تقع في موقع متوسط فيما بين أسرتين حاكيتين كبيرتين في صورة الأسرة الأيسورية من ناحية والأسرة المقدونية الأيسورية من ناحية أخرى .

وإذا حاولنا المقارنة بين الأسرة العمورية والهرقلية يتضح لنا من خلالها : أن الامبراطورية في عهد الأسرة الأولى فقدت أقاليم مهمة كانت تابعة لها في صورة بلاد الشام ومصر مع ملاحظة أن الإقليم الأول كان يعنى لها - إلى جانب أهمية الاقتصادية - أهمية خاصة دينية من خلال وجود الأماكن المقدسة المسيحية فيه وارتباط الحج بها ، أما في عهد الأسرة العمورية؛ فاللحظ أن الإمبراطورية فقدت مناطق ليست لها الصفة الدينية في صورة جزيرتي كريت ، وصقلية ، وإن امتلكت أهمية استراتيجية عسكرية ووقعت على خطوط التجارة في عالم البحر المتوسط .

ولانغفل أنها ستتمكن فيما بعد من إستعادة الجزيرتين المذكورتين خلال حكم الأسرة المقدونية أما الاتليسية المذكورتين فقد ظلا تحت السيادة الإسلامية ولم تتمكن الإمبراطورية البتة من إعادة عقارب الساعة إلى الوراء باستعادتهما .

أما إذا ما قارنا بين الأسرتين العمورية والأيسورية ؛ نجد أن الأولى تولى الحكم فيها ثلاثة أباطرة، أما الثانية فقد احتوت على خمسة أباطرة وإذا أضفنا خلفاءهم صاروا تسعة ومع ذلك ؛ لا نجد من بين الأباطرة العموريين من يصل إلى دور الإمبراطور لير الثالث الأيسوري عسكرياً وقانونياً وذلك من وجهة النظر البيزنطية بطبيعة الحال، كذلك نلاحظ أن قوة المسلمين في بداية عهد الأيسوريين جعلتهم يتهددون القلب البيزنطي. أما في عهد العموريين فقد صاروا يتهددون الأطراف الجزرية فقط نظراً لتغير الظروف السياسية والاستراتيجية لدى كل من الخلافتين الأموية والعباسية .

من جهة أخرى ؛ لم يحدث في عهد الأسرة الأيسورية حركة مضادة ومعارضة في حجم حركة توماس الصقلي خاصة أنها دعمت من جانب الخلافة الإسلامية ، مع ملاحظة أن المعارضة تمثلت في عناصر مزیدی عبادة الأيقونات أي في صورة غير عسكرية كما في حالة المتمرّد المذكور.

ولانفخل كذلك؛ أن الأسرة العمورية لم تجد فيها اهتماماً بالجانب القانوني؛ وهو أمر لاحظناه بجملاً في عهد لير الثالث الأيسوري

من زاوية أخرى؛ هناك عناصر إتفاق بين الأسرتين المذكورتين، إذ إن كلا منها واجه عدواً بارزاً في صورة المسلمين مع اختلاف درجة فعالياته ، كذلك نلاحظ أن العداء مع الغرب الأوروبي سار خطوات واسعة في عهديهما من خلال النزاع على عبادة الأيقونات ، ثم قطيعة فوشبوس . ويلاحظ أن الهوة أخذت في الاتساع التدريجي بين الجانبين منذ ذلك الحين.

بصفة عامة؛ تعد الأسرة العمورية بمثابة الجسر بين أسرتين بارزتين في العصر البيزنطي الأوسط في صورة الأسرة الأيسورية ومن بعدها ؛ للقونية

ذلك معرض عن الأسرة العمورية ؛ أما الصفحات التالية فتتناول الأسرة القونية

## سادساً : الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٧م)

تتناول الصفحات التالية بالعرض : عهد الأسرة المقدونية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية على مدى مرحلة زمنية طويلة امتدت من النصف الثاني من القرن التاسع إلى ما زاد على منتصف القرن الحادى عشر الميلاديين: أى ما قات قرنين من الزمان .

لقد حكم فى تلك الأسرة عدد كبير من الأباطرة فى صورة : باسل الأول Basil I (٨٦٧-٨٨٦م) ، وليه السادس (الحكيم) Leo VI the philosopher (٨٨٦-٩١٢م) الكسندر Alexander (٩١٢-٩١٣م) ، قسطنطين السابع بروفيروجينيتس Constantine VII Porphrogenitus (٩١٣-٩٥٩م) ورومانوس الثانى Romanus II (٩٥٩-٩١٢م) ، ونقفور فوقاس Nicephor Phocas (٩٦٣-٩٦٩م) ، يوحنا الأول تزيمكس John I Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦م) ، باسل الثانى (قصاب البغار) Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦-١٠٢٥م) ، قسطنطين الثامن Constantine VIII (١٠٢٥-١٠٢٨م) ، زوى Zoe (٩٧٦-١٠٢٨م) ، وقد شاركها فى الحكم أزواجها رومانوس الثالث Romanus III (١٠٢٨-١٠٣٤م) ، أرجهيوس Michael IV البافلاجيوني (١٠٣٤-١٠٤١م) ، ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢م) ، قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) ، ثم ثيودورا Theodora (١٠٥٤-١٠٥٦م) ، ميخائيل السادس Micael VI (١٠٥٦-١٠٥٧م) .

وهكذا يتضح لنا بجملاء : أن تلك الأسرة البيزنطية الحاكمة إستمرت بالإتساع الزمانى. وكذلك تعدد الأباطرة فيها، وإن أمكننا القول- دونما مبالغة- أن أبرز أباطرتها هم باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وليه السادس (٨٨٦-٩١٢م) ، ومرحلة القادة العسكرية (٩٦٣-٩٧٦م) وباسل الثانى (٩٧٦-١٠٢٥م) ، وسوف أتمرض لأهم أحداث عصرهم نظراً لدورهم المحورى فى تاريخ الدولة البيزنطية حينذاك.

ولمّا يتصل بالإمبراطور باسل الأول<sup>(١)</sup> : من الممكن القول بأن من أهم أعماله الآتى:

١- باسل الأول ، ولد عام ٨٢٦م إنحدر من أسرة أرمينية عبر أنها استقرت فى مقدونيا ولذا عرفت بالأسرة المقدونية . ولم يحقق قدراً من التعليم، ولكن بفضل ذكائه من الوصول إلى بلاط الإمبراطور ميخائيل الثالث آخر أباطرة الأسرة الصغرى . وقد تولى خلال حادث للصبى فى أغسطس عام ٨٨٦م . =

أولاً : مواجهة حركة التوسع الإسلامي في الأديرياتيك .

ثانياً : مواجهة حركة البوليسيين .

ثالثاً : الإسهام القانوني .

وفيما يتصل بالعنصر الأول : من الملاحظ أن منطقة الأديرياتيك شهدت نشاطاً واضحاً للبحرية الإسلامية إنطلاقاً من جنوى إيطاليا، وهكذا : نجد أن المسلمين تمكنوا من مهاجمة بودوا Budua ، كذلك حاصروا واجوزة Ragusa - في الضفة الشرقية من الأديرياتيك ؛ وذلك عام ٨٩٧م . واستنجدت الأخيرة بالقسطنطينية التي قدمت إليها العرن البحري الذي تمكن من رفع الحصار عنها من جانب المسلمين بعد أن استمر شهوراً طويلاً.

ويلاحظ أن المسلمين ، على الرغم من اضطرابهم إلى رفع الحصار عن واجوزة إلا أنهم بعد ذلك بثلاث سنوات وتحديداً عام ٨٧٠م، حققوا إنتصاراً جديداً في البحر المتوسط هذه المرة بإخضاعهم جزيرة مالطة Malta وتأكد لنا أن مرحلة الصراع على جزر البحر المتوسط لم تنقرف بعد، وبذلك أثبتوا قدرتهم على تجاوز الهزيمة إلى الانتصار (٢).

= عن الإمبراطور باسل الأول أنظر :

Pesellus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia of Michael psellus, Trans. by Sewter, penguin Book, London 1966, p. 63.

Vogot , Basile Ier empereur de Byzance (867-886) et la Civilisation Byzantine à la fin du IXe Siecle, Paris 1908 .

وأيضاً

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 207-214

Nicol, A Brographical dictionary, p. 16-17

Angold, Byzantium , p. 135 , 136 .

Norwich, Ashort History of Byzantium , p. 148-149 , p. 156 .

أسد رستم، الروم، ج ٢ ، ص ٢٣-١٣

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٩

٢- عن الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين حينذاك أنظر :

وديع نسحي عبدالله، بيزنطة ومسلمو إيطاليا وصقلية في عهد باسيل الأول المقدوني (٨٦٧-٨٨٦م /

٢٥٣-٢٧٣هـ) ، ط. الاسكندرية ١٩٩٣م ، ص ٧-٨٢

جذب بالإشارة : اتجه الباحثون الأوروبيون إلى تصوير نشاط المسلمين البحري في البحر المتوسط على أنه من قبيل القرصنة التي هدفت إلى السلب والنهب وبعث الاضطراب والفوضى في الأملاك البيزنطية على حين كان الأمر جهاداً بحرياً مشروعاً طالما أن حالة الحرب بين المسلمين والبيزنطيين لم تنته. ولا ينكر المؤرخ المنصف أن المسلمين كانوا رسل حضارة ولم يكونوا رسل تدمير وتخريب كما تروهم ذلك القطاع المتعصب من الباحثين الأوروبيين، الذين ترصدوا للمسلمين ، وصوروا في المقابل البيزنطيين على أنهم رسل الاخاء والمحبة وعضوا الطرف عن جوانب الصراع الدموي الداخلي وكذلك في علاقات بيزنطة مع العالم الخارجى.

على أية حال : من الممكن القول أن الدولة البيزنطية في عهد باسل الأول حاولت إبقاء المد البحرى الإسلامى قدر استطاعتها ، ولكن ذلك لم يغير شيئاً في الموقف ، حيث تحول البحر المتوسط<sup>(١)</sup> الذى كان بحيرة رومانية من قبل عندما أطلق عليه الرومان تعبير «بحرنا» Mare Nostrum<sup>(٢)</sup>؛ تحول إلى أن يكون بحيرة عربية ، وهكذا صارت المواجهة بين الطرفين مواجهة

= متى البرى. العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والمسلمين في صقلية ، وجنوب إيطاليا زمن الأسرة الفلوتية ٢٧٣-٤٣٢ هـ / ٨٨٦-١٠٤٠ م، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٩ م، ص ٥٣-٦٢

١- محمد الإشارة : إلى أن البحر المتوسط تبلغ مساحته ٢.٥ مليون كم. ، ومتوسط عمق مياهه ١.٥ كم. ، ويبلغ طول شواطئه ٤٦,٠٠٠ كم. منها ١٩,٠٠٠ كم. تحتل شواطئ الجزر المنتشرة به مثل غيرها، وكريت ، ورودى ، ومالطة، وغيرها ، وقد أساء المصريون القدماء ، والأخضر العظيم أما الفينيقيين فقد اسموه «الأزرق الواسع» ، ومن المقرر أن الكاتب الرومانى كايوس جوليوس سوليتوس -Caius Julius Solinus هو أول من أطلق عليه تعبير البحر المتوسط على اعتبار أنه يتوسط قارات العالم القديم، أفريقيا وآسيا وأوروبا . ونظرا لأهميته سميت كافة قوى العصور الحديثة والوسطى لاختناعه لسيطرتها، عن البحر المتوسط بصفة عامة أنظر:

يسرى الجوهري ، جغرافية البحر المتوسط ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، فرنان بروديل. البحر المتوسط المجال والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام، ط. حصص ٢٠٠١م، (دراسة مركزية ونماذج)

Siegfried , The Mediterranean, Trans. by Doris Hemming London 1948, pp. 49-65 .

Horden and Paroel, The Corrupting Sea , A study of Mediterranean History, (Oxford 2001

بعد دراسة موسعة عن البحر المتوسط عن مختلف جوانبه الجغرافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية

٢- أطلق الرومان عليه لكبير بحرنا Mare Nostrum أو البحر الأعظم Mare Magnum أو البحر =

شهادتها أمواج ذلك البحر، انحسرت المواجهات البرية على أرض أسبا الصغرى؛ بما عكس كفاة المسلمين وفقرتهم على أن يكونوا نذًا حربيًا للقوة العسكرية البيزنطية في صور متعددة على مدى المرحلة الواقعة بين القرنين السابع والتاسع الميلاديين.

أما فيسا يتصل بحركة البوليسيين Paulicians<sup>(١١)</sup>، فهي حركة دينية من أصل أرميني عارضت الكنيسة البيزنطية ونظرت إليها الأخيرة على أنها حركة مهرطقة.

#### «الداخلي» Mare interium .

عن ذلك انظر

جورجي ريكان، بحرنا البحر المتوسط، ضمن كتاب البحر والتاريخ تحديات الطبيعة واستجابات البشر، تحرير آ. وابس، ت. عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت أبريل ٢٠٠٥م، ص ٢١-٦ عن الحركة البولسية أنظر:

Gibbon, The decline and Fall of the Roman Empire, vol. III, New York 1995, p. 1925.

Dagron, Emperor and Priest, The Imperial office in Byzantium, trans. by J. Birell, Cambridge 2003, p. 194, p. 224, p. 232.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 303.

Browning, The Byzantine Empire, p. 66, p. 76-77, p. 96.

Treadgold, History, p. 450-451.

O.D.B., vol. 3, p. 1606.

هاني عبد الهادي الشخير، «البالعة في أسبا الصغرى في ضوء مصنف بطرس العسقلاني»، المؤرخ المصري، العدد (٢٤١)، يناير ٢٠٠١م، ص ٤٥-٨٨

فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٢٢١-٢٢٢، نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص ٢١٤-٢١٧ ويكاد يكون المؤرخ العربي الوحيد الذي فصل الحديث عنهم في كتاب يتناول ملامح الحضارة البيزنطية بصفة عامة.

وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٥٩

شارلز أومار، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٦٧، حاشية (١)، محمّد سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٤١

وهناك من يقرر أن مبتكرها هو بولس السميساطي Paul of Samosata الذي عمل أسقفًا لأنطاكية خلال المرحلة من ٢٦٠ إلى ٢٦٨ م ، وقد أنكر ألوهية السيد المسيح عليه السلام ، ونظر إليه على أنه مجرد مخلوق صالح ورفض تمامًا فكرة تأليهه<sup>(١١)</sup>.

ويلاحظ أن بطرس الصقلي Peter of Sicily يقرر اعتماد البولسيين في تعاليمهم على رسائل بولس الرسول تلميذ السيد المسيح.

من ناحية أخرى؛ من المقرر أن البولسية التفت مع أفكار الفرس الدينية خاصة الحركة المانوية<sup>(١٢)</sup> نسبة إلى ماني. والتي آمنت بدورها بالصراع بين النور والظلام، أو الخير، والشر، وأطلقت على إله النور أهورامزدا ، وإله الشر أهرمن .

ويلاحظ أن البولسيين رفضوا تقديس الصليب، والأيقونات، ولم يعترفوا بأسرار الكنيسة<sup>(١٣)</sup>

١- نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص ٢١٤ ، سعد رستم، التوحيد في الأنجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا ، ط. دمشق ٢٠٠٢ م، ص ٢٥

٢- المانوية . تنسب إلى ماني ابن فاتهك الحكيم الذي ظهر في عهد شاپور بن أردشبر الذي تولى الحكم في فارس عام ٢٤٢م. وقد ولد في عام ٢١٥م أو ٢١٦م ، وهناك من يذكر أن تعاليمه مزجت بين المسيحية والزرادشتية . واعتقد بفكرة الحلول التي آمن بها الهندو. عنه أنظر: عبد الرزاق محمد أسود، موسوعة الأدباء والمذاهب ، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٤٤، ص ٤٧ ، آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين، ت. يحيى الخشاب ، مراجعة عبد الوهاب عزام ط١ . القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٦٩-١٩٥ ، مفيد رائف محمود العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية عصر الأكاسرة ٢٢٦-٦٥١ م. ط. دمشق ١٩٩٩م ديمتري غورتاس ، الفكر اليوناني والثقافة العربية حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر القرن الثاني - الرابع القرن الثامن - القرن العاشر . ت. نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة العربية للنسجة ، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص ١٢٤-١٢٥

٣- نعيم فرح ، المرجع السابق، ص ٢١٤

ومن المقرر أن أسرار الكنيسة السبعة هي: العباد، القبرون، القربان المقدس، الكهانة ، التكفير، مسحة المرض، الزواج. ويلاحظ أنه تم إيرادها في الاعترافات الأرثوذكسية التي صدرت في القرن ١٧م ودأ على حركة الإصلاح الديني . عن ذلك أنظر:

سعد رستم . الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم، دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، ط. دمشق ٢٠٠٤، ص ٥١

حسن الباش . العقيدة النصرانية بين القرآن والأنجيل ، ط. دمشق ٢٠٠١م، ص ١٩٣-١٩٧

وكان لهم أدبهم الخاص بهم وتصورتهم حيال الكتاب المقدس<sup>(١١)</sup>.

وبصفة عامة ؛ يلاحظ أن التاريخ المبكر للبولسيين يكتنفه الضموض وموضع خلاف وجدل بين الباحثين، وعلى العكس من ذلك، نجد أن تاريخهم المتأخر منذ تأسيس دولتهم حتى القضاء عليهم من جانب الإمبراطور باسل الأول في القرن التاسع الميلادي ، وهجرة الكثير منهم إلى بلاد الشام، وجنوبي إيطاليا، والبلقان، حيث كانوا لا يزالون هناك حتى عهد الإمبراطور الكسبريس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م) ؛ كل ذلك يعد معروفاً بصورة واضحة<sup>(١٢)</sup>، إذا ما قورن بنشاطهم

مهما يكن من أمر ؛ تزايد نشاط البولسيين وحصلوا على دعم كبير من جانب الولايات البيزنطية الشرقية، ونجد أنهم حملوا السلاح<sup>(١٣)</sup> ومثلوا خطراً يهدد الإمبراطورية ، وقد أدت مقاومة الأخيرة لهم منذ وفاة الإمبراطور ثقفور الأول عام ٨١١م ؛ إلى انجلاء الكثيرين منهم إلى الاتصال بالمسلمين بل وهاجروا إلى بلاد الشام، وهناك من يقرر أنهم تعاونوا معهم ضد حكام القسطنطينية<sup>(١٤)</sup>.

وبصفة عامة؛ من المقرر أن خطر البولسيين هذه المقاطعات الشرقية للإمبراطورية خلال المرحلة الواقعة بين عامي ٨٤٣ . ٨٧٩م<sup>(١٥)</sup>، وقد كانت لهم ، دولتهم المستقلة في تفريك Tephrike (حاليً Divrigi) غربي أرمينيا وقد جعلوها بمثابة عاصمة لهم<sup>(١٦)</sup>.

١ - عن ذلك انظر : Hamilton , "Wisdom from the East: The Reception among the Cathars of Eastern Dualis Texts " , in Billar (ed.) Heresy and literacy , 1000-1530 . Cambridge 1994 , p. 38 .

O.D.B., vol 3, p. 1606 . - ٢

Browning , The Byzantine Empire , p. 66 . - ٣

Ibid, p. 66 . - ٤

O.D.B., vol . 3, p. 1606 .

Browning, op. cit.,p. 96 . - ٦



وقد تزايد شأنهم تحت قيادة رجل يدعى كاريباس Karbas<sup>(١١)</sup>، ومن بعد ذلك ؛ تولى قيادة البوليسيين قائد آخر هو كريموخيروس Chrysocheirus<sup>(١٢)</sup>، وقد تعاونوا عسكرياً مع المسلمين الذين اتفقت مصالحهم السياسية معهم من أجل إضعاف الامبراطورية البيزنطية ووصلت غاراتهم إلى نيقية Nicea بل إنهم نهبوا إفسوس Ephesus في ٨٦٩-٨٧٠م<sup>(١٣)</sup>.

على أية حال ؛ اشتد خطر البوليسيين في عهد الإمبراطور باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وقد أرسل إليهم سفارة على رأسها بطرس الصقلي خلال المرحلة بين عامي ٨٦٩-٨٧٠م، وقد قدم لنا وصفاً مسهباً لتلك السفارة التي وصل بها إلى مدينة تفريك<sup>(١٤)</sup>، وبصفة عامة ، بعد عامين من تلك السفارة وتحديداً في عام ٨٧٢م تمكن الإمبراطور من خلال دور عسكري بارز لشقيق زوجته كريستوفر Christophe وقائد قوائد الشرق من تحقيق الانتصار الحاسم عليهم ، وخرّب عاصمتهم وكذلك عدة قلاع أخرى وقتل زعيمهم كريموخيروس<sup>(١٥)</sup>.

بصفة عامة ؛ يمكن للباحث الخروج بعدة دلالات من خلال صراع باسل الأول مع حركة البوليسيين.

فيلاحظ أن تلك الحركة لها جانبها الاقتصادي إذ عبرت عن حركات المعارضة ضد العلاقات الإقطاعية ، وكذلك الفوارق بين الطبقات في آسيا الصغرى<sup>(١٦)</sup> وكذلك سلطة الكنيسة البيزنطية وعقائدها وهي تعد جزءاً لا يتجزأ من حركات المعارضة الدينية سواءً في الشرق البيزنطي أو في الغرب الأوربي مثل ما قام به الكتاوين<sup>(١٧)</sup> في جنوبي فرنسا في

O.D.B., vol 3, p. 1606 .

-١

O.D.B., vol. 3, p. 1606 .

-٢

Ibid, p. 1606 .

-٣

٤- أورد تفاصيل ذلك في كتابه تاريخ البلوسيين؛ نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص ٢١٤

٥- محمّد سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٤١

٦- نعيم فرح ، المرجع السابق ، ص ٢١٥

٧- عن الكتاوين أنظر:

أخريات القرن ١٢م ، وهناك من يقرر أنه خلال عصر الحروب الصليبية انتشرت أفكار البولسين من خلال التجارة إلى إيطاليا<sup>(١)</sup> وفرنسا ؛ مما عكس قوة تأثيرها فيما بعد عصر باسل الأول.

من زاوية أخرى ، نؤكد أن القضاء على نشاطهم دعم الرضعية السياسية لذلك الامبراطور الذى تمكن بعد جهد جهيد من فرض السيادة الإمبراطورية على مناطقهم ، كذلك تمكنت بيزنطة من خلال تلك الأحداث من إيقاع تحالف المسلمين مع البولسين بإعتبارهم قوة معارضة ، ولذلك لاتتمجب من إدراكنا أنه خلال العام التالى مباشرة للقضاء عليهم عام ٨٧٣م ، أمكن لبيزنطة إخضاع سباط Samsat ، Samosta ، مما دعم وضع الامبراطورية العسكرية فى مواجهة عدوها التقليدى فى صورة المسلمين .

أما بالنسبة للإسهام القانونى : فيلاحظ أن عهد باسل الأول شهد ظهور القانون البسر وهو Procheiron<sup>(٢)</sup> الذى كان الهدف منه أن تكون مواد القانونية ميسرة لعامة المعاصرين وهو عبارة عن مختارات مأخوذة من القوانين السائدة حينذاك ، وكذلك مجموعة قانونية شاملة هى

Rainier Sacconi , in Peters (ed.), Heresy and Authority, pp. 125-132 .

Colish. Medieval Foundations of the Western Intellectual Tradition 400-1400, London 1998 , p. 250-251 .

Sumpton The Albigenian Crusade, London 1988, pp. 43-60 .

Cowdrey , " The Carthusians and Their Contemporary World : The Evidence of the Twelfth - century Bishops , Vitae", in The Crusades and Latin Monasticism , 11 th centuries, Great yarmouth 1999 , pp. 26-43 .

والمؤرخ المذكور من أفضل من كتب عن الكنائس.

Hamilton. The Cathares and the Seven Churches of Asia , in Howard and Johstone (eds.) Byzantium and The West (850-1200), Amsterdam 1988 , p. 295-296

ix Due . The Chair of Saint Peter , A History of the Papacy , New York 1999, p. 114, p. 127 , p. 146 .

أسحق عبيد ، محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها ، ط. القاهرة ١٩٧٨م ، شارلو أومان ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٦٧ ، حاشية (٧)

١- شارلو أومان ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ١٦٧ ، حاشية (١١)

٢- عنه أنظر محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٤٣

التي عرفت باسم الإباناجوج Epanagoge<sup>(٢١)</sup> وتعنى المقدمة Introduction . ووفقاً لما ورد في افتتاحيتها نعرف أنها كانت بمثابة مقدمة للأجزاء الأربعين لمجموعة قانونية قديمة عرفت بعنوان:

Collectio Librorum Juris Graeco Romani Ineditorum.<sup>(٢٢)</sup>

جدير بالذكر : احتوت الإباناجوج في القسم الأول منها على فصول على جانب كبير من الأهمية عن السلطة الإمبراطورية، وكذلك سلطة البطريرك وغيرها من الوظائف المدنية والكنسية الأخرى على نحو يعين في تقديم صورة واضحة للغاية عن مؤسسات الدولة والمجتمع في الامبراطورية البيزنطية، وكذلك العلاقات بين الكنيسة والدولة<sup>(٢٣)</sup>.

ولانقل في معرض الحديث عن جهود الامبراطور باسل القانونية الاشارة إلى أن الإباناجوج كانت تمثل نوعاً من إعادة القانون الميسر ولكن مع "تعديلات المهمة وكذلك إعادة التنظيم"<sup>(٢٤)</sup>، نجد الاستفادة من الجهد القانوني الذي بذل في عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري من قبل، مما عكس التواصل والاستمرارية بين أدوار الأباطرة البيزنطيين في ذلك المجال.

وهكذا ؛ يتضح لنا على نحو جلي أن من الأباطرة البيزنطيين المقدونيين من أدرك - عن حق- أهمية القانون في توحيد شعوب الامبراطورية البيزنطية . وفي تدعيم السلطة الإمبراطورية .

مهما يكن من أمر ، نختتم الحديث عن مؤسس الأسرة المقدونية بحثه الشخصية ، إذ أن باسل تعرض لوفاة ابنه في أخريات سنوات حكمه . على نحو أحدث أثراً نفسياً سيئاً<sup>(٢٥)</sup> عليه فافترسه الحزن الشديد، وقد وضع الموت حداً لذلك عام ٨٨٩م.

#### ١- من الإباناجوج أنظر

Vasiliev , History of The Byzantine Empire , pp. 341-342

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 192, p. 213 .

Vasiliev, Op. cit., p. 341 , note (110) .

Vasiliev , Op. cit., p. 341 .

٤- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٤٤

٥- نفسه ، ص ١٤٥

وجدير بالإشارة : أن الباحث في التاريخ البيزنطي في حاجة ماسة إلى معرفة أثر الزوايا النفسية لدى كبار الأباطرة على صنع القرار السياسي وبالتالي على تاريخ الشعب البيزنطي ذاته، غير أنه أمام صمت المصادر ليس في الإمكان ترجمة تلك الناحية التي لا تزال غامضة على الرغم من أهميتها الخاصة .

أما الامبراطور ليو السادس Leo II (الملقب بالحكيم)<sup>(١)</sup> الذي حكم فيما بين عامي ٨٨٦م، ٩١٢م، فيمكن إجمال أهم أعماله من خلال الآتي:

أولاً : الإسهام القانوني.

ثانياً : سياسته تجاه البلغار.

ثالثاً : المواجهة مع المسلمين .

رابعاً : زيجاته المتعددة بحثاً عن وريث للعرش.

وفيما يتصل بالعنصر الأول: من الملاحظ إصدار الأوامر الامبراطورية Basilica في عصر ذلك الإمبراطور، وقد تكونت من ٦٠ فصلاً وملاحظ أنها اعتمدت على قوانين جستنيان ، ومن المهم هنا الإقرار بدور بارز لأحد رجال القانون في بيزنطة في صورة سيميانيوس -Symba-tius<sup>(٢)</sup> الذي كثيراً ما يذكر اسمه وجهده ونسب الأمر برمه للإمبراطور ليو السادس، وهي زاوية تعددت في مواقف مختلفة من التاريخ البيزنطي.

على أية حال : فإن تلك المجموعة القانونية كان لها أثرها الرمثاح من حيث أن فاق استعمالها استعمال المجموعة القانونية التي تنسب للإمبراطور جستنيان ، ومع ذلك : فمن المهم هنا الإقرار بأن النشاط القانوني البيزنطي في عهد ليو السادس شمل ما يعرف بالمجندات التي اعتمدت اعتماداً كبيراً على متجددات جستنيان السالفة الذكر.

---

١- ليو السادس Leo VI : إمبراطور بالاشتراك من ٦ يناير ٨٧٠م وإمبراطور من ٣٠ يوليو ٨٨٦ إلى ٩١٢م. ولد في القسطنطينية في ١٩ سبتمبر عام ٨٦٦م . وهو الابن الثاني للإمبراطور باسل الأول . وقد لقب بالحكيم . وكان مستشاره الكبار هم : زوولزيس Zuolzes ، والحصى ساموناس Samonas ، والحصى نسططين Constantine ، ولد نوفي ليو السادس في ١١ مايو عام ٩١٢م عنه أنظر بالتفصيل : Tougher, The Reign of Leo VI (886-912), Politics, and People, Leiden 1997 .

وهي دراسة مفصلة وموسعة عنه من خلال أوتول الصادر والمراجع.

O.D.B., vol .2, pp. 1210-1211

Nicol, A Biographical dictionary. p. 74 .

٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ص١٤٦

أما ما اتصل بالموقف البيزنطي من البلغار<sup>(١١)</sup>، نجد توتر العلاقات البيزنطية- البلغارية ؛ وذلك بسبب إتجاه بيزنطة إلى إتباع أسلوب الاحتكار في تجارة بلغاريا على نحو أضر بمصالح الأخيرة ، وحدث صدام عسكري من خلاله هاجم البلغار أراضي بيزنطة عام ٨٩٤م، فلدغات إلى التحالف مع الما جي ار الذين قاموا بهاجمة المناطق الشمالية من بلغاريا ، وتمكنوا من تحقيق انتصارات هناك. وبالتالي ؛ أكدت بيزنطة قدرتها على إيجاد حلفاء أقوياء يقدمون لها المساعدة العسكرية عندما تضيق بها السبل ، وفي الوقت المناسب ، ويلاحظ أن البلغار تحالفوا في مواجهة ذلك الأمر. مع البجتن الذين تمكنوا بالتعاون معهم من هزيمة الما جي ار عام ٨٩٦م، واضطرت بيزنطة لمواجهة البلغار بعد أن قوى شأنهم بالتحالف المذكور. وهزمت على أيديهم واضطرت إلى مصالحتهم وبالفعل دفعت لهم فدية سنوية ؛ مما عكس أن الصراع مع البلغار لم يكن في صالح الامبراطورية البيزنطية خلال تلك المرحلة.

أما بالنسبة للصراع مع المسلمين ؛ فيلاحظ أنهم وصلوا بحساس هجماتهم ضد أسلاك الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور ليو السادس ، ويقرر أحد المؤرخين العرب البارزين في حفل الدراسات البيزنطية ه ... على فترات متقطعة نهب العرب وخرّبوا أرخبيل ، وساحل شبه جزيرة المورة Morea ، وتسالبا Thessaly ، وفي عام ٩٠٢م، دمّرت مدينة ديمترياس Demetriass الفنية على ساحل تساليا<sup>(١٢)</sup>.

ولست في حاجة إلى معارضة ذلك الرأي الذي يعكس بجلاء المركزية الأوروبية ، ومرة أخرى. فإن ما قام به المسلمون ضد بيزنطة حينذاك جهاد مشروع طالما أن حالة الحرب كانت قائمة بين الطرفين ، ولاتفعل أن البيزنطيين اتبعوا نفس الأسلوب في صراعهم مع المسلمين وليس من الموضوعية بمكان تبني وجهة نظر غريبة على هذه الصورة.

١- عن صراع ليو السادس مع البلغار أنظر:

Constantine Porphyrogenitus , De Administrando Imperio, p. 253

Runciman, A History of The First Bulgarian Empire, London 1930. pp. 145-146

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , pp. 231-239 .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٦٢-١٦٤

حسنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٥٨

٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطور البيزنطية ، ص ١٥٢

وينبغي أن نذكر جيداً إنه في عالم الحرب حينذاك ؛ كافة أشكالها متروقة والهدف منها أصلاً كسر إرادة الخصم وإجباره على تقديم تنازلات سياسية.

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ دور بارز لقيادتين ممن اعتنقا الإسلام من البيزنطيين وعملوا على جهاد الإمبراطورية البيزنطية ، ومن أمثلتهم ليو الطرابلسي Leo of Tripolis<sup>(١١)</sup> ، ودميان السوري Damian of Tyre<sup>(١٢)</sup> . ولذلك نطلب الأمر ؛ تسليط الضوء عليهما لما لهما من أهمية خاصة خلال تلك المرحلة المؤثرة من مراحل العلاقات الإسلامية- البيزنطية.

على أية حال ؛ هناك من يقرر أن ليو الطرابلسي ؛ قد ولد من أبوين مسيحيين في مدينة أتاليا Atalia الواقعة على الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى وفيما بعد؛ تم أسرهم من جانب المسلمين ، ويعتقد أنه جن به إلى طرابلس حاضرة شمالى لبنان بين عامي ٨٦٣ ، ٨٦٦م، ثم تلقى فنون القتال البحري وصار خبيراً بها حتى أنه لقب «بأبى الحرب» ؛ على نحو عكس أهمية دوره . وبالتالي إنطبق ذلك الوصف عليه

بصفة عامة؛ نعرف أن ليو الطرابلسي قام بمهاجمة مناطق تابعة للدولة البيزنطية ، وذلك بعد أن اعتنق الإسلام وهو لا يزال صغيراً كما قرر البعض، ومن المناطق التي عمل على مهاجمتها أتاليا.

١- عن ليو الطرابلسي انظر:

Gregoire, " Le Communiqué arabe sur la prise de thessalonique 904" B.Z., 82 , 1989 , pp. 373-378

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 305-306 .

نعب فوج، تاريخ بيزنطة السياسي ، ص٢٤٨

عمر عبد السلام تدمري، لبنان من قبل الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية ١٣٢-٣٥٨هـ / ٧٥٠-٩٦٩م، ط. طرابلس ١٩٩٢م، ص٨١-٨٦

وأنتوجه بالشكر العتيق للمؤرخ اللبناني الكبير أ.د. عمر عبد السلام تدمري الذي أفادني بمناقشاته العلمية الثرية معه في يناير ٢٠٠٦م بإمارة الشارقة خلال زيارته لها

٢- عن دميان السوري أنظر

عمر عبد السلام تدمري، المرجع السابق، ص٢٨-٩٤ ، مدينة صور في كتابات المؤرخين والرحالة من الفتح الإسلامي حتى التحرير من الصليبيين، ضمن كتاب صور من العهد الفينيقي إلى القرن العشرين، منتدى صور الثقافي ١٥-١٦ حزيران ١٩٩٧م، ط. صور ١٩٩٧م، ص١٣٥ ، والمؤرخ المذكور بعد أول من سلب العدو على دميان السوري.

جدير بالذكر ؛ يعد الدور البارز الذي قام به ليو الطرابلسي ؛ المشاركة في الاستيلاء على مدينة سالونيك Thessalonica التي تمكن المسلمون من إخضاعها في أوائل القرن العاشر الميلادي. وتحديدًا عام ٩٠٤م ، وبعد ذلك مكسبًا بارزًا للمسلمين على حساب البيزنطيين ؛ إذ أن سالونيك عُدت حينذاك إحدى الحواضر البيزنطية البارزة<sup>(١)</sup>، ولا ريب في أنها عُدت في الدرجة الثانية بعد القسطنطينية من المراكز الصناعية والتجارية بل والفكرية كما يقرر البعض<sup>(٢)</sup>.

أما القائد الثاني فهو دميان الصوري ؛ وقد ولد هو الآخر من أبوين مسيحيين ، وتم أسره خلال إحدى المعارك مع المسلمين. وقد تم نقله إلى مدينة صحر؛ ولذلك عرف بدميان الصوري<sup>(٣)</sup>، وفيما بعد قام بدور بارز في جهاد البيزنطيين، وهناك من يقرر أن عام ٨٩٥م: عد بداية ظهور ذلك القائد على مسرح الأحداث حينذاك.

ويلاحظ أن دميان الصوري اكتسب خبرة عريضة بأساليب البيزنطيين الحربية، ونعرف أنه تولى أمر ثغر طرسوس ؛ مما عكس أهمية ذلك المنصب الذي تولاه على الأرجح من خلال كفاءته الحربية التي برزت في ميادين القتال .

١- عن سقوط سالونيك في يد ليو الطرابلس أنظر:

(Osrogorsky, History of The Byzantine State, p. 228 .

محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٨٢

٢- نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص٢٣٧

ولا تغفل هنا الإشارة إلى أن سالونيك ، إزداد عدد سكانها زيادة كبيرة مع بداية القرن العاشر م حيث عُدت ملجأ لسكان الجزر والسواحل التي تعرضت لهجمات المسلمين خاصة أنها تمتعت بأسوار متينة فصار من الصعب الاستيلاء عليها ، ويلاحظ أنها تمتعت بمكانة تجارية من خلال وقوعها على الطريق التجاري الروماني القديم المعروف باسم Via Egnatia الذي أوصلها بشواطئ الادرياتيكي في الغرب والقسطنطينية في جهة الشرق كذلك تعرف اشتهارها بمعدن الحديد ، والنحاس ، والقصدير ، وصناعات الزجاج ، والصوف ، والكتان، والسفن والأسلحة وكل ذلك يوضح لنا أهمية انجاز المسلمين عام ٩٠٤م.

عن ذلك أنظر: O.D.B., vol. 3, p. 2071 - 2072 .

نعيم فرح، المرجع السابق، ص٢٣٧

٣- عمر عبد السلام تدمري، مدينة صحر ، ص١٣٥

جدير بالإشارة : عمل المؤرخون الغربيون على مهاجمة ليو الطرابلسي، ودميان الصوري، وتم تصديرهما على أنهما مرتدين<sup>(١)</sup>، ولم يبرزاً حقيقة الدور الجهادي الفعال الذي قاما به ، إلى أن قام المؤرخ اللبناني البارز عمر عبد السلام تدمري بتسليط الضوء على ذلك الدور لكل منهما بصورة غير مسبقة .

بصفة عامة؛ يدل أمر هذين القائدين على قدرة الإسلام على الانتشار في قلوب البيزنطيين بل وتحولهم إلى الجهاد ضد تلك الإمبراطورية التي ناصبت المسلمين العدا .

نترك الآن الصراع بين بيزنطة والمسلمين، ونتجه إلى ناحية أخرى مغايرة في صورة زواج الامبراطور البيزنطي ليو السادس وجدير بالإشارة ؛ أن ذلك الامبراطور تزوج أربع زيجات - سعيًا إلى وريث للحكم- ويمكن إجمالها على النحو التالي :

أولاً : تزوج من إحدى قريباته تدعى ثيوفانو Theophano<sup>(٢)</sup> عام ٨٨٥م. وأنجبت له طفلة ؛ وقد ماتت الأخيرة، ومن بعدها أمها<sup>(٣)</sup>.

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 78 .

-١-

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 228 .

-٢- عن نضية زواج الإمبراطور ليو السادس أنظر

Tougher, The Reign of Leo VI , pp. 133-163 .

Garland , Byzantine Emperress Woman and Power in Byzantium, A. D. 527-1204 , London 1999, pp. 109-124 .

حيث خصص المؤلف في دراسته للمنازة فصلاً مستقلاً عن ذلك الموضوع

أما أفضل دراسة بالعربية فهي تلك التي قام بها وسام عبد العزيز فرج . أنظر: وسام عبد العزيز فرج ، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١٢) ، ط. الاسكندرية ١٩٩١م، وقد عاد ونشرها في كتابه الحديث بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري . ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٦٥-١٢٢

وعن ذلك الأمر أنظر

عليه الجنزوري ، المرأة في الحضارة البيزنطية ، ص١٩٣-١٩٤

محمود معبد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٥٧-١٥٨

-٣- عليه الجنزوري ، المرجع السابق، ص١٩٣



ثانيًا : دخل في علاقة مع زوي Zoe ابنة الوزير ستليانوس<sup>(١)</sup> زوتوس - Stylianus Zaut zes وعندما أراد إضفاء صفة الشرعية عليه عام ٨٩٨م؛ اعترض بطريرق القسطنطينية حينذاك . إلا أن كاهن البلاط الإمبراطوري؛ وافق على الأمر. وتوفيت زوي في العام التالي؛ أي عام ٨٩٩م. بعد إغياها لطفلة .

ثالثًا : تكرر الإمبراطور مرة ثالثة في صورة يودوكيا بابانا Eudocia Baiana ، عام ٩٠٠م وأنجبت له طفلًا هو باسل Basil إلا أنها ماتت ومن بعدها توفي الابن عام ٩٠١م .

رابعًا : أقام الإمبراطور علاقة مع محظية هي زوي كاربونسينا Zoe Carbonsina التي حققت له حلمه الذي تحرق شوقًا إليه حيث أنجبت له عام ٩٠٥م ابنًا سيئولي العرش الإمبراطوري تحت إسم قسطنطين السابع بورفيروجيتيس<sup>(٢)</sup> Constantine VII Porphyro- genitus. وعندما أراد أن يجعل ذلك الزواج رسميًا اعترض عليه البطريرك نيقولا مستيكوس<sup>(٣)</sup> Nicolas Mysticus ، وحدثت أزمة عنيفة بين الإمبراطور ، والبطريرك - وهي من

١- عليه المجلد ١٩٣ ، المرأة في الحضارة البيزنطية ، ص ١٩٣

٢- قسطنطين السابع بورفيروجيتيس Constantine VII Porphyrogenitus . هو الابن الوحيد للإمبراطور ليو السادس Leo VI من زوجته زوي كاربونسينا Zoe Carbonsino . ويلاحظ أن كلمة بورفيروجيتيس تعني المولود في العيادة الأرجوانية أو الذهبية واشتق من الكلمة Porphyro؛ وتعني ذهب أو أرجواني. أما كلمة genetius فتعني مولود والمقصود بها التعبير أن ذلك الإمبراطور وصل إلى العرش بشرعية كاملة، ولم يكن من متفصبه ، ومن المقرر أنه - كما قرر دونالد نيكول- على مدى ٢٤ عامًا حكم في ظل حبه رومانوس . ولكن عندما مات الأخير عام ٩١٤م تولى الحكم منفردًا ، عنه أنظر:

Constantine Porphyrogenitus , De Adminisrando Imperio, Trans . by P.S.H. Jenkins, Dunbarton Oaks Center, Washington 1967 . pp. 7- 79 . Toynbee, Constantine Poophryogenitus and his World, London 1973 .

Nicol, A Biographical Dictionary . p. 27 Little and Coulson. The Shorter Oxford English Dictionary on historiol Principles, vol II, Oxford 1950, p. 1546 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 75-76 . Vasiliev, History of the Byzantine State, p. 246 - 251

عبد القادر البوسف . الامبراطورية البيزنطية ، ط . بيروت ١٩٩٦م ، ص ١٣٨

محمد منسى عيسى، الرحالة الأوربيون في ملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ٢٣١ ، حاشية (٣٩)

٢- نيقولا مستيكوس. هو بطريرك القسطنطينية خلال المرحلة من ٩٠١-٩٠٧م . ٩١٢-٩٢٤ . وقد وصف بأنه كان من أصل إيطالي. وتأثر بأفكار فوشبوس، عنه أنظر : محمود سعيد عمران، نيقولا مستيكوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالفكر الإسلامية من خلال مراسلاته ، ط . بيروت ب-ث . أحمد عبد الكريم =

الأحداث النادرة في التاريخ البيزنطي إنتهت بأن وافق البطريرك على تعمييد الطفل وتمهيد الإمبراطور ليو السادس بأن بطرد زوى كاربونسيا من القصر.

على أية حال ؛ تم تعمييد الطفل في كنيسة أيا صوفيا الشهيرة وتم طرد أمه، إلا أن ليو السادس سرعان ما أعادها بعد أن تزوجها على يد الأسقف توماس . بل وتزوجها كامبراطورة، ومنحها لقب أوغسطس Augusta مما أدى إلى تجدد الصراع بين الإمبراطور ونيقولا مستيكوس الذي اتجه الإمبراطور إلى عزله

بصفة عامة؛ اتجه ليو السادس إلى تنويع ابنه امبراطوراً عام ٩١١م وقد صار للإمبراطورية ثلاثة 'باطرة' هم ليو السادس ، وأخوه الكسندر . ثم قسطنطين السابع، وعلى إثر وفاة ليو عام ٩١٢م؛ تولى الكسندر الوصاية على قسطنطين السابع ؛ نظراً لصغر سنه

والواقع أن نظرة متأنية إلى ليو السادس على المستوى الشخصي نجد أنه تصارع مع الزمن والموت معاً في ثنائية تثير التأمل. فقد كان في سباق محموم مع الزمن ؛ ليتحقق أمله في وجود وريث للعرش؛ إلا أن الموت كان يلاحقه من خلال رحيل من زوج . ومع ذلك واصل السعي دون هراة - في سبيل تحقيق هدفه . ويمكن القول أن حياته تصلح لتكون صرصة مصفرة من تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ذاتها التي تصارعت مع الموت مرات عديدة إلى أن نال منها في نهاية المطاف .

ويلاحظ أنه حقق طموحاته في تلك الزاوية قبل وفاته بأعوام قليلة أى بسبع سنوات فقط. وبذلك أمكن أن يطمئن لوجود وريث يرث العرش الإمبراطوري بعد أن تراوحت نفسية أبيه بين الأمل واليأس وقلقه ألم الانتظار لأعوام عديدة.

على أية حال ؛ تولى العرش البيزنطي الكسندر Alexander مدة قصيرة ٩١٢-٩١٣م، وفي العام الأخير ؛ توفي . ومن بعد ذلك . تمكن القائد البحري رومانوس الأول ليكابيتوس Romanus I Lecapenus<sup>(١)</sup> . من الوصول إلى العرش عام ٩١٩م ، وذلك بعد أن تولى

١ - سليمان . رسالة البطريرك نيقولا مستيكوس إلى العباسي . المجلة التاريخية المصرية ، م ( ٢٨ ) . ١٩٨١ - ١٩٨٢م .

٢ - رومانوس الأول ليكابيتوس ؛ هو الابن الوحيد لأحد الفلاحين الأرم من لاكابه في شرقي الأناضول Anatolia ، وقد شغل منصب قائد الأسطول البيزنطي . أو ما أطلق عليه درونجاريوس Drongarios . ومن المعروف أن ذلك الإمبراطور عرف عنه الدهاء . والصبر في التعامل مع خصومه السياسيين ووصف بأنه الإمبراطور الذي هاجم عناصر ملاك الأراضي الذين نزادت قوتهم في الإمبراطورية البيزنطية بعد قيامهم بشرا . أراضي سفار المزارعين

مجلس وصاية الرصاية على قسطنطين السابع خلال المرحلة الواقعة بين عامي ٩١٣ إلى ٩١٩م.

يلاحظ : أن رومانوس ليكاپينوس يعد إمتداداً طبيعياً لظاهرة القادة العسكريين الذين أنحسهم الجيش أو الأسطول البيزنطيين ، وتمكنوا من خلال كفاءتهم الحربية وكذلك طموحهم الطامح من الوصول إلى المنصب الإمبراطوري الذي صار هدفاً لكل من رأى في نفسه قدرة على التآمر للوصول إليه .

على أية حال : عمل رومانوس ليكاپينوس جاهداً على إضفاء طابع الشرعية على حكمه ، فزوج قسطنطين السابع من ابنته عام ٩١٩م . كذلك تزوج من الإمبراطورة زوى وذلك بعد وفاة زوجها . ويلاحظ أن ابنه سيميون ، وقسطنطين ، تأمرا عليه للاستحواذ على المنصب الإمبراطوري ، ومن بعد تلك المأساة الشخصية إنتقطع إلى سلك الرهبنة كحل هروبي . ومات عام ٩٤٨م ، بعد معاناة نفسية لاتنكر .

مهما يكن من أمر : ألقى قسطنطين السابع القبض على الابنيتين العاقبتين ، وتولى العرش خلال المرحلة من ٩٤٥ إلى ٩٥٩م وقد دخل في صراع مرير مع البلغار خاصة مع وجود زعيم قوي قادهم ضد الإمبراطورية هو سيمون Simeon<sup>(١)</sup> وبعد وفاته عام ٩٢٧م : قاد الأمر بدلاً من ابنه بطرس خلال المرحلة الطويلة المستدة من ٩٢٧م إلى ٩٦٩م . قد اتجه إلى مهادنة الإمبراطورية البيزنطية<sup>(٢)</sup> . وقد أفاد ذلك الإمبراطورية في النقاط الأتفاس بعد صراع مرير مع البلغار أجهد جيشها وميزانياتها على نحو كبير .

عن رومانوس ليكاپينوس انظر :

= Runciman , The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign, Cambridge 1963

O.D.B., vol . 3 , p. 1806 .

Nicol , A Biographical dictionary , pp. 72-73 . Head, Imperial Byzantine Portraits . A verbal and graphic Gallery , New York 1982 , pp. 81-82 .

Vasiliev, History of the byzantine Empire, p. 187

Treadgold , A History of the Byzantine State and Society, pp. 476-486 .

Osrogorsky, History of the Byzantine State, p. 234-247

١- عنه أنظر : حسين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية . ص ١٥٨

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 318-319 .

-٢-

أما فيما يتصل بالصراع البيزنطي مع المسلمين ؛ فيلاحظ بروز قيادة فعالة لدى الآخرين في صورة سيف الدولة الحمداني<sup>(١١)</sup> (٩٤٤-٩٦٧م) ، وهو الذي قام ببلور بارز في جهاد البيزنطيين ؛ بعد أن ضعفت الخلافة العباسية ، ولم تعد تستطيع القيام بدورها في التصدي لهم على خلاف ما قامت به من قبل في العصر العباسي الأول ٧٥٠-٨٥٠م . بل إن البيزنطيين حسنوا علاقاتهم معها ومع الاخشيديين في مصر<sup>(١٢)</sup> ، لقد تمكن سيف الدولة الحمداني من تحقيق عدد من الانتصارات ضد البيزنطيين عام ٩٢٨م حيث تمكن من هزيمة القوات البيزنطية أمام حصن زياد في منطقة أعالي الفرات . وكانت بقيادة حنا كوركواس John Kourkouas<sup>(١٣)</sup> ، كذلك تمكن من التوسع في عدد من المناطق الأرمينية . وتم إجبار عدد كبير من الأمراء هناك على الخضوع له . كما أنه في عام ٩٤٠م هاجم منطقة

---

١- يلاحظ أن سيف الدولة الحمداني ، جعل من حلب مركزاً ثقافياً وعسكرياً إلى جانب كونها مركزاً للجهاد ضد البيزنطيين ويكنى للتدليل على ذلك أن بلاطه قصدت المنفى وأبو الفرج الاصفهاني والقاري . وعن جهاده للروم أنظر :

مسكويه ، معجزة الأسماء ، ط. القاهرة - بيت ج. ٢ ، ص ١٨٠

المنفى ، ديوان المنفى ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، ط. بيروت ١٩٨٠م ، ج ٤ ، ص ٩٤-١٠٨

Canard , Sayf Aldaula, Alger 1934

Id, Histoire de la dynastie de Hamadanides, de Jazira et de Syrie , T.I, Paris 1953 .

وتعد دراسة كتار رائدة في مجال تاريخ الحمدانيين على الرغم من صدورهما في النصف الأول من القرن الماضي . مع عدم إغفال أن صاحبا مستشرق فرنسي .

أخيراً محطتي الشكفة ، سيف الدولة الحمداني ملكة السيف ودولة الألفلام ، ط. القاهرة ص ١١٧-١٢٢ وهي دراسة مبينة على الرغم من أن مؤلفها إهتمامه الأصلي بتاريخ الأدب ، أيضاً أحد اساعيل على . تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢-٤٦٣هـ / ٧٤٩-١٠٧٠م ودراسة سياسية واجتماعية . ط. دمشق ١٩٨٣م ، ص ١٠٤-١١٠

٢- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٦

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, op. cit, p. 245

٣- حنا كوركواس ، يعد من رجال القرن العاشر الميلادي . وقد تفرج من مجرد جندي أرميني حتى وصل إلى درجة رفيعة في صورة رئيس الحرس الامبراطوري . ثم صار دومستيك Domestic أو قائد الجيوش =

كولونيا Colonea<sup>(١١)</sup>، وبعد عامين فقط من تلك الأحداث وقعت معركة بغراس، ومرعش عام ٩٤٢م. وتكن فيها من هزيمة البيزنطيين.

على أية حال؛ لم تقف الإمبراطورية البيزنطية مكتوفة الأيدي أمام هجمات ذلك القائد المسلم، وهكذا؛ قامت بتوجيه قواتها عام ٩٤٣م في منطقة الجزيرة الفراتية وتمكنت من الاستيلاء على مارثيروبوليس، وأن، ودارا، ونصيبين<sup>(١٢)</sup>، وذلك تحت قيادة القائد السالف الذكر<sup>(١٣)</sup>، وقد أطمعته انتصاراته في أن يشرجهما بالتوجه إلى الرها Edessa عام ٩٤٤م على نحر جعلها بمثابة قسمة انتصاراته في تلك المرحلة، وكانت في قبضة المسلمين عام ٩٤٦م. ويلاحظ أنها مثلت مكانة دينية خاصة مع وجود المندبل المقدس The Sacred Mandilon الخاص بالسيد المسيح<sup>(١٤)</sup> كما يعتقد المسيحيون في كنيستها

---

« الشرقية ضد المسلمين في عهد الامبراطور رومانوس الأول ليكاپينوس Romanus I Lakapenos. ويقرر دونالدنيكول عنه أنه تولى أمر الدفاع عن العاصمة البيزنطية في مواجهة الروس عام ٩٤١م. وقد وصفه رنسيمان بأنه أعظم جندي أنجبهت بيزنطة لعدة أجيال، كذلك حارب المسلمين في الجبهة الشرقية. وعندما أسقط الامبراطور المذكور عن عرشه عام ٩٤٤م تبدلت الأمور بالنسبة لحناكروكواس قنصر في طلال النيبان بعد أن جرد من مناصبه. عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, pp. 70-71. Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 245.

Norwich, Short History of Byzantium, p. 177

Runciman, Romanus Lecapenus, p. 146-150.

حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٥٧ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٨٧

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245.

-١

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245.

-٢

أيضاً محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ١٨٧

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245.

-٣

Norwich, Op. cit., p. 177.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 306.

Nicol, Op. cit., p. 71

-٤

ولا يعنى ذلك بالطبع ؛ تصور أن سيف الدولة الحمداني لم يرد على تلك التوسعات البيزنطية ؛ إذ دارت الحرب بينه وبين البيزنطيين سجلاً وتراوحت بين الانتصار والهزيمة. حدثت معركة حصن برزويه عام ٩٤٧م ، وفى عام ٩٥٠م . توغل فى مناطق البيزنطيين وصعب عليه أمر العودة ومعنى بالهزيمة ولاريب فى أن الطبيعة الجبلية ، والظروف المناخية القاسية حالت دون تحقيق الانتصار مع عدم اغفال فعاليات الجيش البيزنطى بطبيعة الحال .

تجدر الإشارة إلى أن ذلك القائد لم توقفه الهزيمة المذكورة عن مواصلة الجهاد ، بل استمر يواجه البيزنطيين روح وثابه فقام بغزوتين عام ٩٥٣م وفى العامين التاليين واصل تقدمه بل تمكن من الانتصار فى معركة الحدث وامتدحه أبى الطيب بقصيدة رائعة قال فى مطلعها

على قدم أهل العزم تأتى العزائم

وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها

وتصغر فى عين العظيم العظام<sup>(١)</sup>

جدير بالذكر ؛ حرص المؤرخون الأوربيون الذين تحمسوا للتاريخ البيزنطى على تصور سيف الدولة الحمداني على أنه أحد اللصوص الذين هاجموا بيزنطة ، وتصوروا أن كافة عساكراته العسكرية لم يكن لها من هدف سوى السلب والنهب<sup>(٢)</sup> والعودة بالغنائم ، والأسلاب . وفى المقابل ؛ أظهروا الحملات العسكرية البيزنطية حينذاك على أنها بمثابة محاولة لإعادة الأمن لمناطق الجزيرة الفراتية ، وبالتالي نسوا أو تناسوا أن ذلك القائد كان من كبار قادة الجهاد الإسلامى فى ذلك العصر ، وقد أبلى بلاءً حسناً فى مواجهة العدوان البيزنطى على أملاك المسلمين حينذاك

بوجه عام؛ لم يجد ذلك القائد المسلم من ينصفه إلا بعض أبيات رائعة لعبقري الشعر العربى أبو الطيب المتنبي هي- بلاريب- درة دبرائه . وكذلك القليل من الباحثين من لم يتأثر بالرؤية المركزية الأوربية

١- عن جهاد سيف الدولة ضد البيزنطيين أنظر:

سكويه ، تجارب الأمم، ج٢ ، ص ١٨٠ ، مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمداني، ص ١١٧-١٣٢

٢- على سبيل المثال أنظر:

Schlumberger, Un Empereur Byzantin au Dixieme Siecle, Nicephor Phocas phocas, Paris 1890 , p. 227 .

من بعد ذلك : تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية الإمبراطور رومانوس الثاني<sup>(١١)</sup> ٩٥٩-٩٦٣م، الذي حقق لإمبراطوريته إنجازاً في صورة استرداد كريت Crete من السيادة الإسلامية ، وذلك عام ٩٦١م<sup>(١٢)</sup>؛ بعد أن ضعفت أحوال المسلمين السياسية بصفة عامة، وهكذا؛ فإن نجاح البيزنطيين في استرداد تلك الجزيرة لم يكن ليتم دون ضعفهم . ويقرر أحد كبار المؤرخين العرب ما نصه « ترتب على سقوط الجزيرة : عودة الأمن إلى بحر إيجه بعد أن تعرض لفترة طويلة لحملات المسلمين ، وعادت كريت مركزاً تجارياً بيزنطياً هاماً في حوض البحر المتوسط »<sup>(١٣)</sup>، الواقع : أن ذلك الرأي يمكن ترقعه مؤرخ غربي؛ أما أن يصدر من مؤرخ عربي فهو أمر يدعو للدهشة ولا يمكن الموافقة عليه وقد تقبل العبارة في حالة الإشارة إلى أن ذلك من وجه النظر البيزنطية ومرة أخرى : ما قام به المسلمون في بحر إيجه جهاد بحري مشروع ، من خلال استمرار حالة الحرب بينهم وبين بيزنطة.

على أية حال : من الملاحظ أن عهد الأسرة المقدونية احتوى على ما يعرف بمرحلة القادة العسكريين وتعنى عهد الإمبراطورين: نقفور فوكاس<sup>(١٤)</sup> (٩٦٣-٩٦٩م)، ويوحنا تريميسكس

١- رومانوس الثاني بن قسطنطين السابع : من المقرر أنه عندما توفي أبوه كان قد بلغ الحادية والعشرين من عمره في نوفمبر عام ٩٥٩م . ويقرر دونالد نيكول إنصافه بالعرفة ، والعبث، ومع ذلك وجد حوله عدد من كبار رجال السياسة والحرب على نحو أفاد الإمبراطورية البيزنطية، عنه أنظر :

Nicol, A Biographical dictionary, p. 112 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. vol . I, p. 302 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 251-252 .

٢- أفضل دراسة بالعربية عن كريت والصراع الإسلامي - البيزنطي عليها ، أعدها أ . د . أسمت غنيم . أنظر : غنيم، الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ط . الاسكندرية ١٩٨٣م، وعن استرداد بيزنطة لها أنظر : ص ٢٣٧-٢٧٦ وهي في الأصل أطروحة علمية من كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

٣- محمدر سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٨

٤- نقفور فوكاس ولد من أسرة من الأسر العسكرية العربية في آسيا الصغرى ويلاحظ أنه عمل في خدمة الإمبراطورين بازل الأول وليو السادس وأبوه يرداس فوكاس عمل كقائد عام في عهد قسطنطين السادس، عنه أنظر

ابن العديم، زبدة الخلب من تاريخ حلب، تحقيق ساسي الدهان، ط . دمشق ١٩٥١م، ج ١، ص ٢٩ وما بعدها . =

(٦٦٩-٩٧٦م)، وقد حققت الامبراطورية البيزنطية خلال حكمهما عدداً من الانتصارات على المسلمين؛ نظراً لضعفهم، وكذلك كفاءة القوة العسكرية البيزنطية التي توافرت لها خبرة عريضة في مواجهة المسلمين في ساحات المعارك، ولاتفعل إنتهاز بيزنطة لوضع المسلمين السياسي المتدهور من أجل خلق واقع جيوبوليتيكي على الأرض لصالحها.

ومن الممكن ملاحظة أن صراع تقفور فوكاس ضد المسلمين مر بثلاث مراحل أساسية هي كالآتي:

المرحلة الأولى: وتقع بين عامي ٩٦٣، ٩٦٥م، وقد تركزت حروبه خلالها في إقليم كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى Asia Minor؛ من أجل التمسيد للقوات البيزنطية للترغل في بلاد الشام. وقد انتهت تلك المرحلة باخضاعه أدنه Adana، والمصبصة، وطرسوس، وقد اعتبرت من أهم المراكز الحربية

المرحلة الثانية: وهي فيما بين عامي ٩٦٦م، ٩٦٧م وفيها دخل مناطق دارا، ونصيبين في أعالي الفرات، ويقال أنه خلال ذلك إضطرب سيف الدولة الحمداني إلى السراج إلى شيزر، ولم يواصل تقفور فوكاس حملاته، وعاد أدراجه إلى مناطقه الأصلية عام ٩٦٧م؛ للحصول على الإمدادات اللازمة بالإضافة إلى أن أوضاع الإمبراطورية الداخلية استدعت عزمته<sup>(١)</sup>.

---

Schlumberger, Un Empereur Byzantin au Dixieme Siecle Nicephore Phocas Paris = 1890.

دراسة مهمة مع عدم إغفال أن مؤلفها كتبها بإسكانات أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومع ذلك؛ فإلى الآن لا بد من الإنادة منها بعد مرور (١١٦) عاماً على صدورها

عبر كمال توفيق، الإمبراطور تقفور فوكاس واسترجاع الأراض المفقدة، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م.

Nicol, A Biographical dictionary, p. 96-97.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 252-260.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 302, p. 403.

Norwich, A short History of Byzantium, p. 181, p. 184 - 185.

نجم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص٢٥٨-٢٦١؛ حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،

ص١٥٧

١- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦٦



ويلاحظ أنه خلال تلك المرحلة تم طرق بوابة الدبلوماسية ، ولذلك اتجهت بيزنطة إلى أن تتناول الأسرى مع المسلمين ومنهم الشاعر أبو فراس الحمداني بعد أن مكث أربعة أعوام في أسر البيزنطيين مرت عليه كالدهر<sup>(١١)</sup> ، عام ٩٦٦م. ومن المنصور أن الاتجاه إلى الدبلوماسية يعكس عدم قدرتها على الحسم العسكري في صراعها مع المسلمين

أما المرحلة الثالثة : فقد نشأت في وقائع عام ٩٦٨م. وفيها تمكنت من دخول معرة النعمان، وشييز وحماه، وحمص وأظهرت بيزنطة تعصبها الأعمى ضد الاسلام بإحراق المساجد. والأمر المؤكد : أن أهم نجاح يحقق من جانب بيزنطة ضد المسلمين خلال تلك المرحلة تمثل في نجاح إنثين من القادة البيزنطيين في دخول أنطاكية<sup>(١٢)</sup> Antioch دوة شمالي بلاد الشام عام ٩٦٩م. ومن بعد ذلك : ظلت في قبضة البيزنطيين لما زاد على قرن من الزمان وبالتحديد ١١٥ عاماً إلى أن قام المسلمون باستردادها عام ١٠٨٤ على أيدي الأتراك السلجوقية إلى أن استولى عليها الصليبيون خلال أحداث الحملة الأولى عام ١٠٩٨م.

من جهة أخرى؛ تمكن ذلك الإمبراطور البيزنطي من دخول مدينة حلب<sup>(١٣)</sup>، وفرض على أهلها شروطاً قاسية، كذلك بلغ به الأمر حداً جعله يرسل رسالة تهديد في صورة قصبدة شعرية<sup>(١٤)</sup>، للخبيلة العباسي المطيع لله (٩٤٦-٩٧٤هـ) نظمها له أحد كتابه على نحو دُلَّ على أن الشعر- ديوان العرب- دخل في معترك الصراع البيزنطي - العربي حينذاك وهو أمر

= ونجد عرماً مهماً لصراع البيزنطيين وسيف الدولة الحمداني لدى ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ص ١١١ - ص ١٥٢ وأهبة ابن العديم تكمن في أنه خصص كتابه لتناول شمالي بلاد الشام خاصة حلب من أبكر الأزمنة حتى القرن الثالث عشر الهلالي.

١- معهود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٠٩

٢- عن استيلاء نفقور فوكاس على أنطاكية أنظر:

ابن العديم ، زبدة الحلب، ج ١ ، ص ١٦٢-١٦٣

وسيسه «نفقور بن الفُكَّاس» . أيضاً أحمد مختار العبادي في التاريخ العباسي والفاطمي، ط. بيروت

ب-ت ص ٣٢٩

Canard, Histoire de la dynastie de Hamdanides de Jazira et de Syrie , Paris 1953, p. ٣ 814-815 .

٤- عنها أنظر ابن كثير، البداية والنهاية ، ط. القاهرة، ب-ت ج ١١، ص ٢٤٤-٢٤٧ =

ما كان يفعله ذلك الإمبراطور إلا من خلال مرحلة الضعف الشديد التي مرت بها الخلافة العباسية حينذاك .

ومن الأهمية بمكان الإقرار بدوافع التوسع البيزنطي خلال القرن العاشر الميلادي، إذ يقرر أحد كبار مؤرخي الدراسات البيزنطية ، أن قيام الإمبراطورية بالتوسع في الأقاليم الشرقية على حساب المسلمين مثل عملاً قامت به طبقة الأقباط Dynatoi<sup>(١١)</sup>، وهو تعبير أطلقه البيزنطيون على الطبقة العسكرية الأرستقراطية ، والتي خرج منها كل من نقفور فوكاس ، ويوحنا تزيمسكي . وقد إنجبه أبناء تلك الطبقة إلى الشرق للحصول على الأرض<sup>(١٢)</sup>، خاصة أن ذلك الاتجاه صار مأسوئاً من أجل الاستثمار ، ولا تغفل أن السبب في الاستثمار في الاقطاعات الزراعية، رجع إلى أنها مثلت المجال الوحيد المتاح نظراً لكون مجالات الصناعة والتجارة عدت من المجالات المقيدة<sup>(١٣)</sup>.

وهناك عدة ملاحظات تعلّقنا على حملات نقفور فوكاس يمكن إبرادها على النحو الآتي:

أولاً : حاول بعض الباحثين الأوروبيين<sup>(١٤)</sup>، وأيدهم في ذلك بعض الباحثين العرب<sup>(١٥)</sup> القول

= وقد أوردت عدداً من أبحاثها في الملاحق

١- وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٩٢

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، نفس الصفحة.

وبعد أ.د. وسام عبد العزيز فرج أول باحث عربي حرص على إبراد الدوافع الاقتصادية التي كانت من وراء توسع الإمبراطورية البيزنطية خلال تلك المرحلة.

٤- أنظر على سبيل المثال :

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 403 .

٥- من أمثلتهم عمر كمال توفيق، الإمبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضي المقتصة، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م.

أيضاً محمد صالح منصور، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية ، منشورات جامعة قاريونس، ط. بنى غازي ١٩٩٦م، ص ١٤٦

بأن حملات ذلك الإمبراطور البيزنطي تمثل نوعاً من الحروب الصليبية ، والواقع التاريخي عكس ذلك تماماً : إذ لا صليبيات قبل عام ١٠٩٥م. كما أسلفت الإشارة من قبل ويمكن وصف الأمر بتعبير ما قبل الصليبيات Pre-Crusades عليها ، ومن الممكن القول : أن تلك الحملات البيزنطية ما هي إلا محاولات عسكرية ؛ من أجل زيادة النفوذ الإمبراطوري في تلك المنطقة المجاورة لها دون أن تكون هناك «أيدبلوجية» معينة خاصة بالحروب المقدسة تلك المنطقة المجاورة لها دون أن تكون هناك «أيدبلوجية» معينة خاصة بالحروب المقدسة Bellum Sacrum, The Holy War خاصة أن الكنيسة البيزنطية لم تكن تفضل تلك الفكرة.

ولاتفعل : أن عدداً من الباحثين الأوربيين تأثروا بأقوال الإمبراطور نغفور فوكاس عندما خاطب الجماهير الغفيرة المحتشدة في ساحة السباق أو الهيدرودروم Hippodrome موضحاً لهم أنه يريد الوصول إلى بيت المقدس ، لتحريرها من قبضة المسلمين ، وقد تصوروا نتيجة لذلك أن الأمر يتدرج تحت مسمى الحروب الصليبية Crusades, Croisades<sup>(٢٦)</sup> ، وبالتالي : حُملوا الأمر أكثر مما يحتمل ، كذلك حاولوا إيجاد أصول تاريخية لتلك الظاهرة التاريخية المحورية والفعالة في عالم العصور الوسطى.

---

= حيث يذكر «إعتبر بعض الباحثين هذه المحاولات إرغاصات للحروب الصليبية» ، أنظر نفس الصفحة أيضاً : صابر دياب حيث يشير إلى ما نصه : «نقرر بشئ من الشك أن عصر الحروب الصليبية إنما يرجع إلى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وليس إلى تلك الصبغة الرعنا ، التي نطق بها البابا أوربان الثاني في مجمع كليمونت سنة ١٠٩١هـ (أواخر القرن الخامس الهجري)

صابر دياب ، المسلمون ، وجهادهم ضد الروم في أرمينية والشفر الجوزية ، والثامنة خلال القرن الرابع الهجري ، ط. القاهرة ١٩٨٤م. ص ٣٩

ويلاحظ أن المجمع المذكور عقد في ١٠٩٥م. وليس ١٠٩١م. كما تصور المؤرخ الفاضل.

٣- عن بيلوجرافيا تاريخ الحروب الصليبية أنظر:

Atiya, The Crusade , Historiography and Bibliography , London 1962 .

Mayer , Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzüge , Hannover 1960.

إن الرؤية الموضوعية تدعونا إلى تصور : أن ذلك الإمبراطور البيزنطي أطلق تلك الشعارات كنوع من الدعاية السياسية؛ من أجل إثارة الجماهير وليضمن تأييدها لتوسعاته العسكرية . ولم تحتوى الشعارات الدينية على أى « مشروع » بوصف بأنه مشروع صليبي متكامل على شاكلة ما ظهر فى الغرب الأوروبى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى فيما بعد .

ثالثاً : لم يكن نجاح نفغور فوكاس فى كافة الأحداث السابقة نوعاً من الإنتصارات البيزنطية « المحارقة » التى تعبر عن قدرة بارزة على تغيير الواقع الجيوبولوتيكى فى بلاد الشام . فالملحوظ أن بقاءه فى تلك المناطق لم يستمر طويلاً بالنسبة للإمبراطورية ، والعبرة فى التاريخ عمومًا ليس بالاستيلاء على المواقع بل البقاء فيها لأمد طويل وكذلك تقديم رسالة حضارية لأبناء تلك المواقع وهو أمر ينتفى تماماً فى حالة الإمبراطور المغامر المذكور .

رابعاً : كان ضعف المسلمين فى العصر العباسى الثانى له دوره البارز فى نجاح أعدائهم التاريخيين البيزنطيين فى تحقيق تلك الانتصارات خاصة ، أن العلاقات بين الطرفين كانت لصالح المسلمين بصورة تامة منذ ثلاثة قرون مضت .

وعلىنا ألا نتبع كل ما ورد فى المصادر البيزنطية المعاصرة بشأن توسعات نفغور فوكاس إذ أنها تعاملت مع تلك الأحداث بنوع سافر من الدعاية الدينية والسياسة ، وطابع المبالغة بصفة

= Mayer, Literaturbericht über die Geschichte der krenzzüge: Veröffentlicht ungern 1958 - 1967 . Historische Zeitschrift 3 1969 , pp. 641-731 , Mayer and Mclellan , Select Bibliography of the Crusades, in Setton (ed ) A History of the Crusades , vol VI Wisconsin, 1989 .

نسططنج زريق . « ما ساهم به المؤرخون العرب فى المائة سنة الأخيرة فى دراسة التاريخ العربى عن فترة الحروب الصليبية » مجلة الأبحاث الجامعة الامريكية بيروت السنة ( ٢ ) ج ٢ ، يونيو ١٩٥٩م ، وهو مؤرخ رائد بعد أول من كتب فى بيبليوجرافيا الحروب الصليبية . محمد مؤنس عرش ، « بيبليوجرافيا الحروب الصليبية - المرجع العربى والعربية » ندوة التاريخ الإسلامى والوسط . م ( ٣ ) عام ١٩٨٥م . ص ٣٩٤ - ٤٣٣ ، فصول بيبليوجرافية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٩٩م . ويوجد القارئ آلاف التعاونين عن الحروب الصليبية قدر المجهود المتواضع .

عامّة، على الرغم من أن الأمر كان أبسر من ذلك : فالفراغ السياسي الذي عانت منه المنطقة مهدد لذلك الإمبراطور النجاح ، وبعبارة أخرى ساعد المسلمون بضعفهم ذلك الامبراطور - دون أن يدروا على الانتصار البيزنطي !.

خامساً لا تغفل أن من الباحثين الغربيين من إعتبر عهد الأسرة المقدونية بمثابة العصر الذهبي في تاريخ الدولة البيزنطية ، وكان من أسباب تلك التسمية لديهم: إلى جانب التفوق في المجالات الحضارية المتعددة النجاحات العسكرية التي بالقوا بشأنه من جانب تقفرو فوكاس - ومن بعده يوحنا تريميسكس - ومن الممكن تقديم ملاحظة أساسية هنا وهي أن أباطرة العصر الذهبي The Golden Age المذكور أباطرة غلبت عليهم الروح العسكرية الشغصة ، وصنعوا مجدهم الحربي على جماجم آلاف القتلى.

مهما يكن من أمر: تولى بعد تقفرو فوكاس الإمبراطور يوحنا تريميسكس (٩٦٩-٩٧٦م) ويلاحظ هنا : تكرار المشهد الرئيسي في القصر الامبراطوري على نحو أكثر خسة : إذ أن تقفرو كان قد تزوج من ثيوفانو Theophano<sup>(١)</sup> ، وقد تأمرت الأخيرة على زوجها للإرباط بعشيقها ليو حنا تريميسكس، وبالفعل تم تدبير مؤامرة أعدتها الزوجة الهاتئة، وذبح تقفرو عام ٩٦٩م في غرفة نومه !

١- الإمبراطورة ثيوفانو Theophano، زوجة رومانوس الثاني ثم تقفرو فوكاس . ومن بعده حنا تريميسكس وصفت بالجمال ، والطموح، والدهاء. وهناك من يقرر أنه عرف عنها الانحلال الخلقي، وقد لفت جمالها الإمبراطور رومانوس الثاني الذي عرف عنه ضعف الشخصية فأخضعها زوجة، ومن بعده تزوجها تقفرو ، وقيل أنها لم تكن ترغب في الزواج منه، وتقرر المؤرخة القديرة، أ. د. عليه الجزيري: أن زواجها من تقفرو آثار: حشة المعاصرين : نظرًا لما عرف عنه من زهد - كما زده البيزنطيون - خاصة ما عرف عنها من أخلاق متعطفة، وقد سجل نقش على قبره يقول: إن ذلك الإمبراطور فكّر من هزيمة كل شيء إلا المرأة ، وعلى أية حال، لم يستمر ذلك الزواج إذ تأمرت ثيوفانو مع عشيقها يوحنا تريميسكس لقتل زوجها، عنها أنظر

Nicol, A Biographical dictionary, p. 127-128 .

Vasiliev, History of The Byzantine Empire, p. 302, p. 335 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 251, p. 260 .

عليه الجزيري ، المرأة في الحضارة البيزنطية، ص ١٩٦-١٩٧، محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٩

وهكذا : يتأكد لنا أن شهرة السلطة ، والرغبة في المجد السياسي ، دفعت الكثيرين إلى الوصول إلى المنصب الإمبراطوري بالدعاء ، والحيلة ، وذلك صفة لا يمكن أن ينكرها مزور منصف تعامل مع ذلك المنصب الذي أغرى الكثيرين بالتجرد من الشاعر الإنسانية من أجل السعي إليه ، وبذلك قدمت لنا بيزنطة صورا بالغة السوء في المجال المذكور

على أية حال : ليس هناك في عهد يوحنا تزميسكس من أحداث جذيرة بالتسجيل إلا صراعه مع المسلمين ، ويلاحظ أنه - من جهة أخرى - دخل في صراع مع الروس حققت فيها بيزنطة نجاحاً<sup>(١)</sup> مع ملاحظة أن حسم الأمر سيكون لبيزنطة في علاقتها مع الروس من خلال التصبر وليس القوة العسكرية فيما بعد .

أما العلاقات مع المسلمين : فيلاحظ أن عهد يوحنا تزميسكس (المعروف في المصادر العربية باسم ابن شقير)<sup>(٢)</sup> بعد إمتداداً واضحاً لعهد سلفه نقفور فوكاس ، وقد أغراء ضعف الخلافة العباسية ، وظهور القاطنين الشيعة والصراع القائم بين القوتين المتنافستين سياسياً ومنهجياً - أغراء ذلك على التوسع على حساب المسلمين وقد هدف - فيما هدف - إلى إعادة الأملاك التي كانت للإمبراطورية البيزنطية منذ ثلاثة قرون خلت ، كذلك بتكوين مجدد عسكري بارز يدعم ، وضعته السياسية داخل ريع الإمبراطورية البيزنطية ، ولاتغفل ، ورغبته في إكمال النشاط العسكري الذي قام به سلفه<sup>(٣)</sup> .

كذلك لاتغفل الأهمية الاقتصادية - خاصة التجارية - لمنطقة شمالي بلاد الشام ولا ترتاب في أنها أغرته في التقدم بقواته إليها<sup>(٤)</sup> .

١ - عمر كمال ثوبين ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٦٨ - ص ١٦٩

٢ - أنظر على سبيل المثال : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٦

٣ - ومع ذلك : فمما خلف الحقيقة التاريخية ما تصوره آ.د. أحمد مختار العبادي حيث ذكر أن غارات ذلك الإمبراطور البيزنطي وصلت إلى أرياض بيت المقدس وبغداد ، وقال ما نصه : « يوحنا الأول الشيبشني (تزميسكس) الذي بلغت غاراته أرياض بيت المقدس وبغداد » ولا يوجد في المصادر التاريخية ما يؤكد مثل ذلك التصور المبالغ فيه تماماً ، أنظر إشارة

أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ط. بيروت ب-ت ، ص ٣٢٩ ، ص ٩٠ ، في التاريخ العباسي والأندلسي ، ط. بيروت ب-ت ، ص ٩٠

٤ - عن الأهمية التجارية لتلك المنطقة أنظر : شيخ الزيرة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق مهسن ، ط. بطرسبرج ١٨٣٥م ، ج ٢ ، ٢ ، الفري ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط. حلب ١٩٤٢ ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، هايد ، تاريخ التجارة ، ص ١٨٠ ، أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٠٧

وقد تمكن الإمبراطور البيزنطي المذكور من الإستيلاء على حمص ، وكذلك بعلبك، وفرض على دمشق ؛ ضرورة أن تدفع له فدية مالية، وتعرف عنه قيامه بعدة حملات على إقليم الجزيرة في شمالي العراق لبيست السيادة البيزنطية هناك واستولى خلال ذلك على آمد، وميافارقين، ونصيبين؛ وذلك عام ٩٧٤م<sup>(١)</sup>.

ومن المهم هنا ملاحظة : عقده حلفاً دفاعياً مع الملك أشوط الثالث الأرمني Ashot III ، الذي حكم خلال المرحلة الممتدة بين عامي ٩٥٢ ، ٩٧٧م<sup>(٢)</sup> ليواصل أعماله الحربية في إقليم الجزيرة بعد العودة إلى بيزنطة غير أن الحليف الأرمني باء سماعه بالفشل المبين .

على أية حال؛ حرص المؤرخون الأوروبيون على التركيز على البعد الديني في حملات يوحنا تزميسكس<sup>(٣)</sup> وأبرزوا رغبته في تحرير القدس من السيادة الإسلامية، وبذلك : خلطوا بين القدرة الفعلية على تحقيق ذلك والبقاء باستمرار هناك ، وبين عنصر الدعاية السياسية الذي تفيض به المصادر التاريخية البيزنطية ولا ريب في أن نوعية مثل ذلك الإمبراطور استهوت الكثيرين منهم لأسباب لاتغنى على أحد.

١- مجرد الإشارة إلى أن العلماء والفقهاء لم يترددوا في إثارة الحساس للجهاد ضد البيزنطيين حينذاك . ونذكر في هذا الشأن : ابن نباتة (ت ٩٨٥م) ، وهو أبي يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارسي من أهل ميافارقين وقد التقى في حلب بالفتى في خدمة سيف الدولة ، وارتبط بالخطب الحساسة وقد أحدث أثر كبيراً في نفوس معاصريه ، عنه أنظر، ديوان ابن نباتة ، ط. بيروت ١٣١١هـ

الذهبي، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ، عبد اللطيف حصره ، أدب الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ص ٢١٤ ، آدم منتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ت. عبد الهادي أبوريدة ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ج ٢ ، ص ٩٤ ، عمر كمال توفيق، مقدمات "ديوان الصليبي" ص ١٧٢ ، محمد مؤنس عوضي ، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٩١، حاشية (١٤٠)

Hillenbrand , The Crusades, Islamic Perspectives, Illinois 1999, p. 101 .

وهي دراسة ممتازة غير أنها رؤية أوروبية على أية حال

٢- محمدر سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٠٥ . طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١ ، البيزنطيون والعالم الإسلامي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢١٩، ص ٢٢٠

٣- من أمثلة ذلك المؤرخ ، أنظر مقال

Walker , " The Crusade of John Tzimistes in The Light of New Arabic Evidence" B., vol. XLVII, 1477, pp. 301-327

ومرة أخرى : من المهم الإقرار بأن العبرة فى التاريخ بالبقاء فى المواقع التى تم السيطرة عليها : وهو أمر لم يحدث فى الغامرات العسكرية لذلك الإمبراطور البيزنطى التى إنتمت بالسرعة وعدم الاستمرارية .

على أية حال : توفى يرحنا تنعكس المذكور عام ٩٧٦م : ليوشلى من بعده أحد أشهر أباطرة الدولة البيزنطية ألا وهو باسل الثانى ٩٧٦-١٠٢٥م<sup>(١)</sup>.

جدير بالإشارة : أن أغلب المؤرخين الأوربيين الذين تخصصوا فى حقل الدراسات البيزنطية واهتموا على أعمال ذلك الإمبراطور الذى وصفوه بأنه آخر الأباطرة البيزنطيين الكبار ، واعتبروا وفاته عام ١٠٢٥م ، بمثابة نهاية العصر الذهبى للأسرة المقدونية<sup>(٢)</sup> ، وبالتالي علينا تسليط الضوء على أعماله والحكم عليها بموضوعية .

١- باسل الثانى : إمبراطور بيزنطى حكم خلال المرحلة بين عامى ٩٧٦ ، ١٠٢٥م وبعد من أبرز الأباطرة فى عهد الأسرة المقدونية . وقد تولى فى العام الأخير عن عمر بلغ الثمان والستين عاماً ويلاحظ أنه لم يتزوج ، عنه أنظر :

Psellus , Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia , pp. 27-49 .

Gibbon , The History of the decline and Fall, vol . III, p. 1939- 1942 Nicol , A Biographical dictionary, pp. 17-18 .

Farag, Byzantium and its Muslim Neighbours during The Reign of Basol II , 96-1025, ph. D., University of Birmingham 1979 .

تعد أفضل دراسة بالإنجليزية كتبها مؤرخ عربى بارز فى مجال الدراسات البيزنطية صاحب مكانة دولية مرموقة ، انظر : وسام عبد العزيز قرج ، «الإمبراطور باسل الثانى سفاخ الفخار » (٩٧٦-١٠٢٥م) : الصراعات التى أثرت على السياسة فى عصره ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسط ، م (١١) ، عام ١٩٨٢م ، ص ١٦٩-٢٠٢ . وهى أفضل دراسة عربية مركزة عن ذلك الإمبراطور .

وسام عبد العزيز قرج ، «قوانين الملكية الزراعية فى الامبراطورية البيزنطية فى القرن العاشر الميلادى : دراسة تحليلية » ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسط ، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، ص ٢٢٨-٢٣٦ ، والبحث الأخير من أسع ما كتب هذا المؤرخ . نذى تدعى له الدراسات البيزنطية فى مصر بالكثير .

أنظر عنه أيضاً : عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٦٩ - ١٧٨ ، أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٤٩-٩٠ ، حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٥٨-١٦٠ ، استغنىم ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٣



يلاحظ أن أبرز ما قام به باسل الثاني بموضوعة يمكن ملاحظته على النحر الآتى:  
أولاً: تنصير الروس.

ثانياً : العلاقات مع الفاطميين في مصر والشام.

ثالثاً الصراع مع البلغار والتنكيل القاسي بهم.

جدير بالإشارة : أن الإمبراطورية دخلت في صراع مرير مع الروس. وقد لاحظنا كيف أنهم هاجموا من قبل عام ٨٦٠م العاصمة البيزنطية وأعملوا فيها التخريب والقتل؛ على نحو أبرزته المصادر التاريخية ، ولكن فيما بعد تحسنت العلاقات بين الطرفين وأخذت بعداً سياسياً ودينياً آخر في عهد باسل الثاني.

لأنفعل : أن العرش البيزنطي تعرض لمحنة كبيرة في عهد باسل الثاني ، وإذ أنه لم يوفق في صراعه المبكر مع البلغار ، وثار ضده اثنان من القيادات البيزنطية في صورة برداس فوكاس Berdas Phocas ، وبرداس سكليروس Berdas Sklero ، وأعلن الأخير نفسه إمبراطوراً خاصة أنه كان يمت بصلة القرابة لتقفوز فوكاس ؛ إذ كان عمّاً له . وقد حدث اتفاق بين القاتلين على أساس أن ينال برداس فوكاس القسم الأوروي من الامبراطورية بما فيه العاصمة ، ويحصل برداس سكليروس على القسم الآسيوي . غير أن الخلاف دب بينهما ، وألقى برداس فوكاس القبض على منافسه وصار مطالبا بالعرش الامبراطوري<sup>١١</sup> وتأزم الوضع العسكري للإمبراطور باسل الثاني ويحث عن حليف في تلك الظروف العصيبة فتمثل في

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٢١٧ . أنظر أيضاً طارق منصور ، الروس والمجنح الدولي ٩٤٥ - ١٠٥٤ م. ص ٩٥

وعن العلاقات بين الروس والإمبراطورية البيزنطية في عهد الأسرة المقدونية بصفة عامة أنظر هذه الدراسة المفصلة والعصيفة: عليه الجزيري، العلاقات البيزنطية الروسية في عهد الأسرة المقدونية ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.

وهي أفضل دراسة بالعربية في موضوعها ، وتناز بالتحليل والعمق من مؤرخة لدية في حقلي الدراسات البيزنطية والصليبية.

٢- Obolensky , The Byzantine commonwealth Eastern Europe 500-1453 . washington - 1971. p. 255

الأمير الروسي فلاديمير Vladimir<sup>(١١)</sup> (٩٨٠-١٠١٥ م) - فيما بعد القديس فلاديمير - وبالفعل أرسل له فرقة عسكرية من ٦ آلاف مقاتل لدعم الإمبراطور الشرعى على نحو أدى إلى هزيمة برداس فوكاس عام ٩٨٩م فى معركة ابيدوس<sup>(١٢)</sup> وفى مقابل ذلك : قدم الإمبراطور باسل الثانى وعداً بالغ القيمة للأمير الروسى بأن يزوجه من أخته الأميرة Anna شريطة أن يعتنق المسيحية<sup>(١٣)</sup> . وكذلك يفرضها على شعبه.

Treadgold , A History of the Byzantine State and Society, p.

= أيضًا

517

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 332, 347

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 269 .

١- فلاديمير أو القديس فلاديمير SL Vladimir : هو فلاديمير الأول بن سفياتوسلاف . ولد عام ٩٥٥م . وتولى إمارة كييف عام ٩٨٠م تقريباً . وفى عام ٩٦٩م : صار أميراً على نوفجورد Novgorod وذلك بمساعدة خاله دوبرينيا . وقد أقام خطاً دفاعياً لمواجهة قبائل البجناك على نهر ديسنا . وسوليفر . وغيرها . وهناك من يقرر أن عهد فلاديمير شهد نهوضاً للدولة كييف . وارتبط بثقافة الحكم فى الداخل . وحملات خارجية للفوز . على أية حال : توفى فلاديمير عام ١٠١٥م وتم منحه لقب قديس . عنه أنظر :

Pselus, Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia , p. 201 . Aitwater , Penguin Dictionary of Saints , London 1977, p. 338-339 .

مجهول . قصة حملة الأمير أليغور . ت . خميس فرج . ط . موسكو ١٩٨٩م . ص ١٤٧ . وهو مصدر روسى

مهم .

ول ديورانت . قصة الحضارة . ج ١٤ . ت . محمد بدران . ط . القاهرة ١٩٧٥م . ص ١٩٩

(Zholensky The Byzantium Commonwealth, p. 255

٢- عن اعتناق فلاديمير المسيحية انظر :

Mcendorff and paynes, " The Byzantine inheritance in Russia", in Paynes and Moss, Byzantium . An Introduction to East Roman civilization , Oxford 1952 , p. 371- 372 . Rybarov, Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 , p. 51. Browning, The Byzantine Empire. New York 1980, p. 90 .

Rybarov, Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 , p. 51. Browning, The Byzantine Empire, New York 1980, p. 90 .

على أية حال ؛ بعد زوال الخطر ؛ ماطل الامبراطور في تنفيذ الاتفاق، وأمام ذلك الموقف البيزنطي قام فلاديمير كنوع من الضغط العسكري، والسياسي بالاستيلاء على ميناء خرسون Cherson<sup>(١)</sup> الاستراتيجية والجبري على البحر الأسود ، وفيما بعد ؛ وافق الإمبراطور على أمر المصاهرة مع الروس ، في واحدة من أهم أحداث الزواج السياسي Political Marriage في شرقي أوروبا في العصور الوسطى .

من ناحية أخرى ؛ عمل باسل الثاني على تزويج إحدى قريباته وهي ماريا أرجيروبولينا Maria Argyropoulaina من ابن دوق البندقية عام ١٠٠٤م، كما أنه زوج ابنة أخته زوى Zoe إلى أوتو الثالث ملك ألمانيا<sup>(٢)</sup>.

جدير بالذكر ؛ أن أمر الزيجات السياسية استمرت من بعد ذلك بين الروس والامبراطورية البيزنطية، ولا أدل على ذلك؛ من أن فزيغولد ابن باروسلاف قد تزوج من ماريا ابنة الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) وذلك في عام ١٠٤٦م ومن بعد ذلك ؛ نجد أن دوق روسيا إيفان الثالث فاسيليفتش Ivan III Vasi lievch (١٤٦٢-١٥٠٥م) تزوج من صوفى باليولوغوس Sophie Palcologue ابنة شقيق قسطنطين الحادي عشر Constantine XI (١٤٢٨-١٤٥٢م)<sup>(٣)</sup>. على نحو أكد أن زواج

= Brehier, Vie et Mort de Byzance , Paris 1946 , p. 222, 2000, p. 34 . Ziegler, History of Russia, London 1999, p. 12 .

لهلى عبد الجواد . تاريخ الروس من خلال المصادر العربية . ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص ٥٩ . بريس روستيناخ . تعميد كييف . مجلة رسالة البونسكو . العدد التذكاري بمناسبة مرور ألف عام على تعميد كييف، رقم (٣٢٥) يونيو ١٩٨٨م، ص ٤-٨، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م، ص ٢٨

كوبستوف دوسون، تكوين أوروبا ، ت. مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٢١٦

١- عنها Constantine Prophyrogenitus, De Adminisurando imperio, p. 259

٢- Nicol, A Biographical dictionary, p. 18 .

٣- عن ذلك أنظر؛ عليه الجيتزوري ، العلاقات البيزنطية الروسية في عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧-١٠٥٦م، ص ١٧٥، فتاز نجيب اسكندر، مصر في كتابات المهجاج الروس في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص ٥-٦

فلاديمير من أنا شقيقة باسل الثاني كان مقدمة لحالات أخرى من الزواج السياسي بين الجانبين والملاحظ أن تحول روسيا إلى النصرانية ؛ قد تم بصورة تدريجية فقد بدأ بالفئات العليا من المجتمع الروسى، ثم انتشر ببطء بين العناصر الأدنى، ولايفهم من ذلك أن العناصر الوثنية لم تظهر مقاومة؛ إذ لاذت بالفرار إلى الأدغال ، والغابات <sup>(١١)</sup>، وظلت أشكال الوثنية قائمة لعدة قرون تالية ، ولكن من خلال الكنائس والأديرة صارت روسيا تحتل مكانها ضمن المراكز الروحية المسيحية فى ذلك العصر <sup>(١٢)</sup>.

على أية حال؛ لتحويل روسيا إلى المسيحية ؛ تم بناء العديد من الكنائس فى كافة أنحاء البلاد فى عهد فلاديمير ، وقد قرر أن يتم إقامة الكنائس فى ذات الأماكن التى شهدت من قبل تشييد المعابد الوثنية، كذلك تم تشييد الأديرة ليس فقط فى كييف Kiev بل حتى فى مناطق الغابات دعماً للدين الجديدة ، وليشجع الرهبان مع الطبيعة - كما يتصورون- كذلك أنشئت فى عهده- المدارس التى حرصت الفئات العليا على إلحاق أبنائهم فيها، ومثلت الأساس الذى قامت عليه المدارس الكنسية التى هدفت إلى تخريج عناصر تعمل بالسلوك الكنسى فيما بعد <sup>(١٣)</sup>.

مهما يكن من أمر؛ تطور الأمر من بعد ذلك على نحو جعل الروس يحجرون إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين وسجلون خواطر رحلاتهم إلى هناك كجزء من أدب الحج الأوروبى فى العصور الوسطى، ومن أمثلتهم فى القرن الثانى عشر م؛ Daniel دانيال <sup>(١٤)</sup>.

١- Parus, A History of Russia, London 1962 , p. 52 .

٢- Hareave, Russia , A History, London , Russia, A History , London 1954, p. 14 .

ولاقتفل أنه فيما بعد؛ عمل الروس على نشر المسيحية عبر سبيلها إلى الاسكا عن ذلك أنظر: حسين ربيع ، دراسات فى تاريخ العرلة البيزنطية، ص١٦٦

٣- Wren, Acourse of Russian History, New York 1958 , p. 52 .

٤- أنظر رحلته

Daniel, Pilgrimage of The Russian Abbot Danic in The Holy Land, Trans. by Wilson . P.P.TS., vol . IV , London 1895 .

والترجمة العربية التى قام بها سعيد البيشاوى :

دانيال الروسى، رحلة الحاج الروسى دانيال الراهب فى الأراضى المقدسة، ت سعيد البيشاوى، ط. عثمان ١٩٩٢م، وعن ذلك الرحالة ورحلته أنظر:

والأميرة أيفروزين Euphrosine<sup>(١١)</sup>، وغيرهما

ولانزاع ، في أن الروس كانوا بمثابة الميدان البكر لبيزنطة في سياستها التنصيرية حينذاك، وما حققته هناك مثقل إبتصاراً بارزاً على كتبستها المنافسة لها : روما، ومن الممكن القول- دون مبالغة أن بيزنطة في عهد باسل الثاني الثاني توسعت جغرافياً خارج حدودها ولم يكن ذلك عن طريق الجيوش ، ولكن بالتنصير وبالتوسع العقائدي والثقافي.

بصفة عامة؛ نلاحظ أن الدبلوماسية البيزنطية<sup>(١٢)</sup>، وضعت من بين أهدافها الكبرى : السعي إلى تنصير الشعوب المجاورة التي من الممكن أن تشكل خطراً داهماً على الامبراطورية، ولأربب؛ في أن خبراتها التاريخية في ذلك المجال كان لها دورها. فمن قبل لاحظنا أن عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م) : أي منذ القرن السادس الميلادي شهد نشاطاً تنصيرياً خلال الصراع مع الدولة الساسانية، ومنذ ذلك الحين إمتد النشاط التنصيري، ونجد في القرن التاسع الميلادي إنجماً نحو تنصير مورافيا Moravia كما أسلفت الإشارة من قبل.

برغولييرسكي. «رحلة السائح الروسي دانيال الراهب في الأرمنى القدس، في أول عهد الصليبيين»، مجلة المشرق، العدد (١٩)، السنة (٢٤) عام ١٩٢٦م، ص٦٤١-٦٤٤، نقولا زيادة، رواد المشرق العربي في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ص٨٢-٨٣، محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيين في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٧٢-١٠٠.

١- أنظر رحلتها Euphrosine, "Pelerinage en Palestine", Trans. by De khitrowo, R.(L.), T. III. Année 1895.

محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص١٤٤-١٥٥.

٢- عن الدبلوماسية البيزنطية أنظر:

Shepard and Franklin (eds.) Byzantine Diplomacy, Papers From The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, Publication, N. I, Hampdure 2003.

ويحتوي الكتاب المذكور على ٢١ بحثاً عن الدبلوماسية البيزنطية، ومن أفضلها

Haldon, " Blood and ink, Some Observations on Byzantine attitudes Towards Warfare and diplomacy, pp. 281-294.

وأنظر أيضاً : رأفت عبد الحميد، بيزنطة الدين والفكر والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٠٣-١٤١.

حيث فحضره العالم الراحل فضلاً مستقلاً عن الدبلوماسية البيزنطية.

جدير بالذكر ، مثل ذلك الجانب سياسة عامة للإمبراطورية البيزنطية لم تكن لتتغير بتغيير الأباطرة ، وقد أدركت أن من عناصر استمرارها ، وبقيائها وسط عالم شديد الاضطراب والتصارع نظراً لاختلاف الأمم ، والأعراق ، والأديان ، والمصالح والأهداف أن تتجه نحو التنصير ، ولاتغفل وجود دوافع سياسية واقتصادية لاتنكر ، ولاتنكر أنه خلف القوة العسكرية وجدت التجارة والتنصير ، وحتى عندما كانت هناك العلاقات السلبية لم تتدخل بيزنطة عن التنصير لتحقيق مكاسب متعددة جنتها من ورائه .

وهكذا ، كان تنصير الروس نقطة تحول مهمة ومحورية في العلاقات البيزنطية الروسية؛ خاصة أنها حينذاك توافرت لديها خبرة خاصة بذلك المجال؛ فمع التغير الجديد لن يكون الروس بمثابة أعداء يهددون القسطنطينية مثلما حدث عام ٨٦٠م ، بل إنهم عندئذ صاروا تابعين دينياً ، ومذهبياً للإمبراطورية البيزنطية على نحو جعلهم بمثابة عمق استراتيجي بحسب له حساباته لصالح تلك الإمبراطورية

يبقى أن نذكر هنا ، أن كافة الكيانات السياسية البارزة في العصور الوسطى سواء في الغرب الأوروبي ، أو في شرقي أوروبا وآسيا الصغرى كما في حالة بيزنطة ، وحتى في مملكة بيت المقدس اللاتينية Latin kingdom of Jerusalem في بلاد الشام فيما بعد على مدى القرنين ١٢ ، ١٣م<sup>(١)</sup> وضعت نصب عينيها القيام بالتنصير؛ دعماً لوضعها السياسي ولتحقيق أهداف متعددة من خلال مظلة نشر المسيحية سواء كانت كاثوليكية تابعة لكنيسة روما أو أرثوذكسية تابعة لكنيسة القسطنطينية ، خاصة المكاسب الاقتصادية لأسباب التجارة.

وبصفة عامة؛ مهما اختلفت التوجهات السياسية للكيانات السياسية في أوروبا العصور الوسطى فقد اتفقت في زاوية التنصير بصورة ملفتة للانتباه ، وحقيقة الأمر؛ أن التنصير كان الدافع الظاهري الذي استتريت من ورائه عدة دوافع أخرى اقتصادية وسياسية لا يمكن إنكارها وبعبارة أخرى؛ كان التنصير بمثابة الفطاء الذي وجدت من ورائه دوافع أخرى على جانب كبير من الأهمية والمطورة.

١- عن التنصير في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣م ، انظر: أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، تحقيق فيليب حقي ، ط. بيروت ١٩٨١م ، ص ١٦٨ ، ابن جبير ، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٤م ، ص ٢٨١

Baldwin "Mission to the east in The Thirteenth and Fourteenth Centuries" in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol. V, Philadelphia 1985, pp. 432-518 .

Kedar , Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims, Princeton 1988 .

وتبقى هنا زاوية أخيرة فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية - الروسية في عهد باسل الثاني؛ فالملامح أن التأثير لم يكن بيزنطياً فقط مثلما قد يتبادر للأذهان ، بل أن الروس تركوا تأثيرهم هم أيضاً في الإمبراطورية البيزنطية لاسيما من الناحية العسكرية . وكما لاحظ المؤرخ ديميتري أوبولينسكي إذ أن العناصر التي أرسلها فلاديمير إلى القسطنطينية بعد أن انتهت من تأدية مهمتها الحربية لصالح الإمبراطور الشرعي ظل عدد منهم في العاصمة البيزنطية ووجد منهم أعضاء في الحرس الفرنجي Varangian Guard؛ الذي مثل الحرس الشخصي للإمبراطور الذي تولى مهمة الدفاع عن القصر، وشارك في جيش الإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup>، وهكذا؛ فإن الكفاءة الحربية لتلك العناصر الروسية ضمنت لها دورها حينذاك وفيما بعد.

وفيما يتصل بالصراع بين بيزنطة والفاطميين في مصر والشام؛ يلاحظ أن امتداد نفوذ الفاطميين من المغرب إلى مصر، ثم بلاد الشام جعلهم في مواجهة الإمبراطورية البيزنطية، وقد عاصر الإمبراطور باسل الثاني إثنين من الخلفاء الفاطميين هما؛ العزيز بالله (٩٧٥-٩٩٦م) والحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠١١م).

وبصفة عامة؛ اتجه العزيز بالله إلى أن تكون بلاد الشام خاضعة لسيطرته من خلال رغبته في نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي هناك، ولكي يكون مجاوراً للخلافة العباسية السنية العدو الرئيسي للفاطميين الشيعة. وقد اصطدم مع الحمدانيين في حلب على نحو سمع بزيادة هجمات البيزنطيين هناك، واتجه الحمدانيون فيما بعد إلى مهادنة الفاطميين، وبالفعل اتجه سعيد الدولة الحمداني (٩٩١-١٠١٠م) إلى الاعتراف بالتبعية للخليفة الفاطمي العزيز بالله.

= وهي دراسة نعد أفضل ما كتب بالإنجليزية في موضوعها.

محمد مؤنر عرض، الإسلام والسبحة بين الاعتناق والارتداد عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب الحروب الصليبية الساسة - ثوب - العقيدة، ط. القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٩١-٩٧

ويقوم حاليًا الطالب البسني التابه / محمد المقدم بإعداد رسالته للدكتوراه عن نفس الموضوع من كلية الآداب- جامعة المنصورة.

١- وفي هذا المجال يقول ذلك المؤرخ ما نصه:

"These Russian mercenaries, Their mission completely continued to play a role in Byzantine history: Some of them at least remained in Constantinople and became members of the Varangian Guard, The Emperor's Personal bodyguard who defended the Palace and where Sometimes enrolled in the field armies of Byzantium"

(Holensky, The Byzantine Commonwealth, p. 255-256.

إنجده الخليفة المذكور إلى محاربة البيزنطية وأعد جيشاً كبيراً لذلك غير أن المنية لاحتقه عام ٩٩٦م، فتولى من بعده الحاكم بأمر الله الذي واصل سياسة والده حبال البيزنطيين . وقد حدث في عام ٩٩٧: أي العام التالي مباشرة لتولية الحاكم السلطة، أن قامت في مدينة صيد حركة تمرد بقيادة بُحَّار سُمِّيَ علاقه<sup>(١)</sup>، الذي أعلن استقلاله وقد قام باسل بتقديم العون له نكابة في الفاطميين، وقد أرسل إليه الحاكم بأمر الله جيشاً بقيادة ابن الصمصامة استطاع حصار صور Tyre- التي اشتهرت بمناعتها وحصانتها على مر عصور التاريخ<sup>(٢)</sup> - وحوصرت بركاً وبحراً وتم إلقاء القبض على ذلك المتمرّد وأرسل إلى مصر، وتابع الجيش الفاطمي تقدمه في بلاد الشام، من أجل محاربة البيزنطيين ، وبالفعل إصطدم بهم عند أقمابية، وتمكن من الإنتصار عليهم . بل تمت مطاردتهم حتى أنطاكية.

حفزت هزيمة الفاطميين للجيش البيزنطي باسل الثاني ليخرج على وأمر قواته ليعيد هبة البيزنطيين وقام بالإغارة على المنطقة الممتدة من أنطاكية إلى بيروت<sup>(٣)</sup>، وهكذا اصطدم

١- عن الحاكم بأمر الله أنظر: المقرئ، إتعاظ الخفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. محقق محمد حلي أحمد، ط. القاهرة ب-ت، ج ٢، ص ٣-٢٤٣

محمد عبدالله عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط. القاهرة ١٩٢٧م؛ عبد النعير ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة المفسر عليه، ط. القاهرة ١٩٥٩م، عارف تامر، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين، الحاكم بأمر الله، ط. بيروت ١٩٨٠م، أحمد كامل محمود، الحاكم بأمر الله وعصره، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

٢- عن ذلك أنظر: جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٣٧٣

٣- عن حصانة مدينة صور التي عرفت بها منذ عهد الاسكندر الأكبر أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، تحقيق دي جوه، ط. لندن ١٩٦٧م، ص ١٧٤، ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧٧-٢٧٨، باقوت، المشترك وضعاً والمفترق صفحاً، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٨٦، ابن بطوطة، الرحلة، ط. بيروت ب-ت، ص ٧٥  
مر الحتم هشاش، مدينة صور في القرنين ١٢، ١٣م رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م، ص ٤، ص ٧، محسن محمد حسين، «مستولية صلاح الدين في فشل حصار صور»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م (٧)، العدد (٢٦١)، الكويت ١٩٨٧م، ص ٣٢

٤- عن حملات باسل الثاني على بلاد الشام أنظر



بالفاطمين في طرابلس في عام ٩٩٩م، إلا أنه خسر المعركة ، واضطر إلى رفع الحصار عنها، وعاد أدراجة إلى أنطاكية.

على أية حال ؛ ظهر انجاء لدى الفاطمين يدعو إلى تجنب إتساع الصدام مع بيزنطة، بل والدخول معها في علاقات سلمية يستفيد منها الطرفان. وهكذا ؛ عقدت هدنة بين الجانبين عام ١٠٠١م مدتها عشر سنوات، وتمهدت بيزنطة من خلال باسل الثاني بتقديم الحبوب الذي تحتاجها مصر الفاطمية، مع ملاحظة أن مرحلة الهدنة لم تكتمل نظراً لعودة العلاقات للتوتر بينهما<sup>(١)</sup>.

أما الصراع مع البلغار<sup>(٢)</sup>؛ فقد حقق فيه ذلك الإمبراطور إنتصاراً بارزاً في آخر المطاف. ومنحه لقبه الدموي الذي اشتهر به ، وهو قصاب البلغار Bulgaroctonus. فقد فصل فيه المؤرخون الأمر ، على نحو لا يدعو إلى تقديم المزيد من التفاصيل بشأنه ، ومع ذلك؛ من الممكن تقديم أهم الملامح العامة عن الصراع البيزنطي- البلغاري حينذاك من خلال النقاط التالية:

أولاً ؛ اعتبر القيصر صموئيل Samuel<sup>(٣)</sup> (٩٧٦-١٠١٤م) من أبرز القيادات البلغارية،

= ابن تقي بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٢١ ، السيد عبد العزيز سالم. طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، ط. الاسكندرية ، ٢٠٠١م. ص ٥٩-٥٧ ، محمد سهيل طقوش. تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ، ومصر وبلاد الشام. ط. بيروت ٢٠٠١م. ص ٢٤٨. حسن إبراهيم. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. ج ٢. ص ٢٤٥ ، عمر عبد السلام تدمري. لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بين الصليبين ٣٥٨-٥١٨هـ / ٩٦٩-١١٢٤م. ط. طرابلس ١٩٩٤م. ص ٣٧-٤٥

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 311

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 273

١- محمد سهيل طقوش. التاريخ الإسلامي الوجيز . ص ٢٩٧

٢- عن تفاصيل صراع باسل الثاني مع البلغار أنظر:

Gibbon, The History of the decline and fall , vol . III, p. 1939-1942

Ostrogorsky . Op. cit, p. 268 .

Stephenson, The Legend of Basil The Bulgar Slayer, Cambridge 2003. pp. 32-48 .

Ostrogorsky , p. 268 , note (1).

٣- عنه أنظر

حيث يناقش أصول ملكة صموئيل واختلاف الباحثين بشأنها ، أياً؛ است غنيم . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٣٣

وبعد البعوض من أكبر حكام ما عرف بالدولة البلغارية الأولى. وقد تمكن من إعادة تكوين بلغاريا ، وحرر مناطقها الواقعة على نهر الدانوب ، بل نجح في غزو مقدونيا ، وساناليا ، بل وصل به الأمر إلى أن وصل إلى شبه جزيرة البلقان. وقد ساعده على تحقيق مثل تلك الانتصارات الغير المسبوقة عدم استقرار الأوضاع للإمبراطور باسل الثاني في بدايات عهده ، بالإضافة إلى كفاءة قواته من الناحية العسكرية وخبرتها السابقة في مواجهة البيزنطيين.

ثانيًا : تعرض الإمبراطور باسل الثاني للهزيمة من جانب الزعيم البلغاري عندما تمكن من مهاجمة قواته عند بحر تراجان أو ما عرف باسم Tragan's Gates في البلغار ؛ وذلك في أغسطس عام ٩٨٩م ومن بعدها تمكن صمويل من مد حدوده من البحر الأسود إلى الأدرياتيكي<sup>(١)</sup>.

ومن المؤكد أنها كانت هزيمة كبيرة بكافة المقاييس، ومن المرجح أنها تركت أثرًا نفسيًا بالغًا على الإمبراطور وولدت لديه رغبة قوية نحو الشأ من البلغار. وقد تعاضت تلك الرغبة مع توالي الأعوام.

ويلاحظ أنه لم يتمكن من الرد عليها إلا بعد أن أنفق ثلاثة عقود تقريبًا ، حرص فيها على تكوين قاعدة معلومات وفيرة عن عدوه اللدود وكذلك إعداد جيش قوى على نحو يمكنه من الانتصار في مواجهة ذلك العدو العتيق المتمد التقوى من نهر الدانوب شمالاً إلى البحر الأدرياتيكي، وبحر إيجه Aegean Sea جنوبًا.

على أية حال ؛ أمام صمت المصادر ليس في مقدور الباحث أن يبرز التفسير النفسى لسياسات ذلك الإمبراطور حيال عناصر البلغار ، غير أن الأمر يظل في دائرة الترجيح دون التأكيد التام. ولاتفعل ؛ أن المصاعب التي واجهته في سنوات حكمه الأولى، وكذلك أحداث الصرد التي واجهها كل ذلك من المحتمل أنه ولّد لديه نوعًا من الشراسة والغضب

نالًا ؛ تمكن باسل الثاني من الرد على الهزيمة السابقة من خلال إنتعاشه الحاسم في بحر يسمى كيمبالونجو Kimbalongou في يوليو عام ١٠١٤م<sup>(٢)</sup>. وقد نتج عن تلك المعركة

Ostrogorsky, History of The Byzantine State, p. 275 . -٢

حسين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٥٨ . عمر كمال توفيق. تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٧ . أسد رستم . الروم ، ج٢ ، ص٥٨

وقوع عدد كبير من البلغار بين قتيل، وأسير، ويقال أن الأسرى بلغوا ١٤,٠٠٠ أسير، وقد أظهر الإمبراطور- الذي حركته - على الأرجح- الهزيمة والرغبة في الشار حث ٢٨ عامًا- وحشية بالغة عندما قام بتحميل أعينهم، وجعل على رأس كل مائة رجل أعور بقودهم ومتطقي أنه هدف من وراء ذلك إشباع رغبته في الانتقام. ثم جعل أولئك الأسرى لابلصلون للحرب ضد بيزنطة في المستقبل وكذلك توجه ضربة نفسية موجبة لعناصر البلغار ليتجنبوا محاربة الامبراطورية البيزنطية مرة أخرى، وقد أرسل أولئك الأسرى إلى القبرص المهزوم صموئيل ومن هنا؛ تولدت التسمية الشهيرة «قصاب البلغار» السالفة الذكر، ويلاحظ أن القبرص البلغارى التعيس؛ لم يلبث أن توفى بعد تلك الحادثة البشعة كمدًا وحسرة<sup>(١١)</sup>.

من الملاحظ أن المؤرخين الأوربيين الذين استهوتهم الأعمال الحربية، واهتموا على ذلك الإمبراطور وتصوروا أنه من أعظم الأباطرة البيزنطيين، وصار على مسيرتهم المؤرخون العرب فرددوا ذات العبارات، والأفكار دونًا معارضة تذكرًا، بل وصل الأمر إلى أن أورد أحد كبار المؤرخين العرب ممن ذرّسوا عصر ذلك الإمبراطور عبارات تفيض بالاعجاب به<sup>(١٢)</sup>، وأنصروا أن باسل الثانى كشف عن عنصرية غير مسبقة فى تعامله مع الأسرى البلغار؛ على نحو ينذر أن نجد له نظيرًا فى القرون الوسطى قاطبة، ومن الغرب؛ أن أولئك المؤرخين الغربيين، ومن أهدم من المؤرخين العرب لم يهاجموا ذلك الإمبراطور الذى قام بسلوك بربرى كشف عن طابع يميز فى «السادية» أو حب تعذيب الآخرين، ولا يستطيع المؤرخ المنصف إلا الإقرار بما فى سلوكه من عنف ووحشية غير مسبقة.

Gibbon, The History of the decline Fall, vol. III, p. 1942

-١-

Stephenson, Byzantium's Balkan Frontier, A Political Study of the Northern Balkan, p. 72.

Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, London 1930, p. 240.

Crampton, A concise History of Bulgaria, Cambridge 1997, pp. 21-22

٢- وسام عبد العزيز فرج، «الإمبراطور باسل الثانى (سفاح البلغار ١١٧٦-١٠٢٥) يقول ما نصه «والجدير بالذكر أن الإمبراطور باسل الثانى اقترح بحكمه- أكثر من كل أباطرة بيزنطة - إلى تحقيق المثل الإمبراطورى الأعلى، والمتمثل فى سر لاشيل له، وسلطان بلاحدود، فقد كان القائد لجيشه، رؤاس الإدارة الدتية والكنسية على حد سوا، وبفضل نشاطه حققت الإمبراطورية امتدادًا إقليميًا وإزدهارًا اقتصاديًا لم يتحقق من قبل ولا من بعده، أنظر: «الامبراطور باسل الثانى (سفاح البلغار ١١٧٦-١٠٢٥)» ص ١٦٩

لقد أكد ذلك الموقف على حقيقة محورية، وهي أن العنف والقسرة، والتشكيل بالحصر، والتأمر بصورة متعددة؛ جزء رئيسي في التاريخ البيزنطي لا يمكن إنكاره. وإن اختلفت أساء وأشكال الأباطرة وكذلك الضحايا.

ومن المهم هنا عقد مقارنة عامة بين توسعات ذلك الإمبراطور البيزنطي، ومعاملته للأسرى البلغار، ومعاملة المسلمين في العصور الوسطى لأسراهم وقد أثبتنا - بما لا يدع مجالاً للشك - محضهم، ولم يرد في المصادر التاريخية، مثل تلك العمليات البشعة من التعذيب الجماعي مثلما حدث مع الأسرى البلغار.

هكذا؛ خسرت الإمبراطورية على المستوى الإنساني بذلك السلوك، على الرغم من أنها رجت على الصعيد الحربي والسياسي؛ إذ تمكنت من القضاء على المملكة البلغارية الأولى عام ١٠١٨م<sup>(١)</sup> - بعد أن تمكن باسل الثاني من دخول أوخريدا Ochrida عاصمتها - التي ناصبتها العداة زمناً طويلاً، وبذلك امتدت رقعتها من نهر الدانوب إلى البحر الأدرياتيكي، وصولاً إلى جنوب شبه جزيرة البلقان.

مهما يكن من أمر؛ توفي باسل الثاني عام ١٠٢٥م بعد تاريخ عامر بالأحداث السياسية والحربية الخضبة بالدماء والتعذيب.

١- درسها بالتفصيل رنسمان في دراسته التالية:

Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, London 1930.

وعن المملكة البلغارية الأولى انظر أيضاً

هاني عبد الهادي البشير - علاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة بلغار الأولى ٦٨١ - ٨١٠م، رسالة دكتوراء، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٣م

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 112-114, p. 226-227, p. 231-236.

Ibid, p. 358-360.

وعن المرحلة الثانية انظر:

وانظر عن دخول باسل الثاني العاصمة البلغارية، إلى عبد الجبار، «أضواء جديدة على تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطي ١٠١٨-١٠٩٧م»، مجلة المشرق المصري، العدد (١٤)، يناير ١٩٩٥م،

يبقى أن نذكر عن الإمبراطور باسل الثاني حرصه على تحجيم دور كبار الملاك الأثرياء في الأقاليم؛ وهم الذين أطلق عليهم تعبير Dynatoi. وفي هذا الصدد: يقرر مؤرخ بارز بارز للتاريخ البيزنطي أن استقرار المجتمع البيزنطي اعتمد على جماعات الفلاحين الأحرار في صورة صغار المزارعين؛ وهم الذين تعاملوا بصورة مباشرة مع الحكومة المركزية، وقد اعتمدت قوة بيزنطة العسكرية، والمالية عليهم خاصة أنهم دفعوا الضرائب للحكومة المركزية بالتضامن. كذلك أدوا الخدمة العسكرية من خلال خدمتهم في الثيسات للدفاع عن أقاليم الإمبراطورية البيزنطية<sup>(١١)</sup>. غير أنه في القرن العاشر الميلادي تعرضت طبقة صغار المزارعين لطعم الأثرياء، مما دفع الأباطرة البيزنطيين إلى القيام بدورهم من أجل حمايتهم. وهناك ثلاثة عوامل أدت إلى تعرض الطبقة المذكورة لذلك الموقف في صورة سياسة التوسع العسكري صوب الشرق وقد صاحبه توجه الأثرياء إلى شراء المزيد من الأراضي<sup>(١٢)</sup>. ثم هناك المجاعة التي لحقت بالإمبراطورية البيزنطية عامي ٩٢٧م، ٩٢٨م، حيث ارتفعت نسبة الوفيات، كذلك اتجه فقراء الفلاحين إلى بيع أراضيهم للأثرياء واشتراها الأخيرون بأسعار زهيدة<sup>(١٣)</sup>. أما العنصر الثالث فيتمثل في سياسة الإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١٢م) التشريعية التي كانت في صالح الأثرياء<sup>(١٤)</sup>.

أما بالنسبة لباسل الثاني: فقد اتجه إلى تحجيم دور الطبقة العليا التي تأمر عليه من قبل. وهكذا؛ وجدناه في أعوام ٩٨٨م، ٩٩٦م؛ سعى إلى تحقيق ذلك الهدف، وجدير بالذكر في أوائل القرن الحادي عشر أصدر مرسوماً قرر فيه أن الأغنياء عليهم وحدهم تحمل المسئولية

١- وسام عبد العزيز فرج : قوانين الملكية الزراعية في الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٠٣.

وبلاحظ أن نفس المقالة المذكورة؛ أصدرها المؤلف ضمن كتابه: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ولكن تحت عنوان تشريعات الملكية الزراعية في الدولة البيزنطية في القرن العاشر الميلادي، ص ٤٥-٧٩.

٢- وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ٣٠٣. ويقرر دونالد نيكول ما نصه: «عمل على تحجيم الأرستقراطية من ملاك الأراضي وقروض حماية على صغار الفلاحين الذين كانوا عنصرًا حيويًا للغاية بالنسبة لوجود الجيش» أنظر: Nicol, A. Biographical dictionary, p. 18.

٣- وسام عبد العزيز فرج : قوانين الملكية الزراعية، ص ١٠٤.

٤- نفسه، ص ١٠٥.

الجماعية نحو دفع الضرائب التي يتم تقديرها في كل منطقة من المناطق<sup>(١١)</sup>، وتم إعفاء الفقراء من دفعها في المستقبل . وإن لاحظ البعض أن التنفيذ الفعلي لذلك لم يتم واقعياً حيث حدث تناقض بين كبار الملاك ، والقضاء وجباة الضرائب؛ لعدم تنفيذ إيجاب ذلك الإمبراطور<sup>(١٢)</sup>.

وواقع الأمر ؛ يذكر لباسل الثاني حرصه على تحجيم قوة تلك العناصر للحفاظ على مكاسب الامبراطورية البيزنطية حيثذاك من خطر كبار الملاك الأثرياء .

بصفة عامة؛ تعد المرحلة الواقعة بين عامي ١٠٢٥ م ، ١٠٥٧ م ؛ مرحلة قلق على المستوى السياسي، ولارب ؛ أن رحيل باسل الثاني عن الساحة البيزنطية قد ترك فراغاً سياسياً لا يمكن إنكاره بغض النظر عن أوجه النقد التي سبق إيرادها من قبل

بصفة عامة؛ ومن بين عدد من الأباطرة الذين خلفوه ؛ من الممكن إتخاذ الإمبراطور قسطنطين التاسع<sup>(١٣)</sup> مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤ م) كأحد أهم الأباطرة في مرحلة ما بعد باسل الثاني.

١- وسام عبد العزيز فوج ، قوانين الملكية الزراعية ، ص٢٢٢

٢- نفسه، ص٢٢٤

٣- قسطنطين التاسع مونوماخوس تولى العرش البيزنطي كنتيجة لزوجته من زوى عام ١٠٤٢ م وتقر دونالك نيكول عنه أنه عرف عنه الإسراف في اللهب وشاركتته زوى ذات الأمر على نحو أدى إلى الإنفلاس وإلحاق الأضرار بالهزاة الإمبراطورية . وقد توفي في يناير عام ١٠٥٥ م، عنه أنظر؛

Psellus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia, pp. 165-260 .

Hussey , The Byzantine World, p. 47 . p. 48 .

Norwich, A Short History of Byzantium , p. 226-228 , p. 230-232 . Nicol, A Biographical dictionary, p. 28 . Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 315 , p. 355 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , pp. 294-298 .

Diehl History of the Byzantine Empire, p. 76 , p. 97

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٢٦-٢٢٧

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٤-١٩٤ ، محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٩٩-٣٠٠

لقد حدث في عهد ذلك الإمبراطور حدثان على جانب كبير من الأهمية أولهما في مجال التعليم البيزنطي والثاني خاص بالعلاقات مع الغرب اللاتيني ويتمثلان في:

أولاً : إعادة تنظيم جامعة القسطنطينية عام ١٠٤٥م.

ثانياً : الإنشقاق الأعظم The Great Schism بين كنيسة القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤م.

وفيما يتعلق بالعنصر الأول : من المقرر أن قرار تنظيمها كان قد صدر من قبل في عهد الإمبراطور ثيودورسيوس الثاني؛ وذلك عام ٤٢٥م، وفيما بعد؛ في القرن التاسع الميلادي، إنجبه الإمبراطور ميخائيل الثالث (السكر) (٨٤٢-٨٦٧م) إلى الاهتمام بها من خلال خاله برداس فعمل على تنظيمها مرة أخرى<sup>(١)</sup> بعد أن توالى عليها القرون، وبصفة عامة؛ غدت الجامعة المذكورة : مركزاً رفيعاً من مراكز العلم البيزنطي غير أن الإهتمام بالجانب العسكري في عهده كل من الأباطرة تفغور فوكاس، ويوحنا تريميسكس، وكذلك باسل الثاني؛ جاء، على حساب الناحية العلمية التي توارث أمام ارتفاع صوت آلة الحرب مقارنة بالورق، والمباد على الرغم من خلدهما مقارنة بالأولى المدمرة

على أية حال : إنجبه الإمبراطور قسطنطين التاسع إلى العناية بالجامعة المذكورة<sup>(٢)</sup>، ويقال أنها احتوت على كليتين في مجالات القانون، والفلسفة، وكذلك الدراسات الانسانية .

١- Ostrogorsky , History of the Byzantine State. p. 198 .

٢- Hussey , The Byzantine World. p. 147

Ostrogorsky, op. cit., p. 290 .

نعم فرج، الحضارة البيزنطية، ص ٢٥٧

أما عن الجامعات في الغرب لأوربي في العصور الوسطى من أجل عقد المقارنة التاريخية أنظر:

Rashdall, The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford 1936 .

دراسة رائدة لا يمكن الاستغناء عنها

جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨١م.

ياسر عبد المعهود ، جامعة باريس ودورها في النهضة الفكرية بأوروبا في العصر الوسيط، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢م. وأود الإشادة بهذه الدراسة حيث تتنازع بالمجهود العلمي البارز. من جانب صاحبها الباحث الراحل

زينب عبد القوي ، «جامعة اكسفورد في العصور الوسطى»، حولية التاريخ الإسلامي والوسطى، م (٣) ، عام ٢٠٠٣م، ص٢٩-٧٤. سها إبراهيم منصور، جامعة اكسفورد نشأتها وتطورها ، رسالة ماجستير ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م، دراسة مهمة ومتميزة.

ومما يذكر : أن تلك الجامعة تم فيها تدريس ما عرف بالفنون السبعة الحرة التي عرفت باسم *Septem artes liberales* ، والتي ضمت النحو ، والبلاغة ، والمنطق الجدلي ، والحساب ، والهندسة ، والفلك ، والموسيقى<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى؛ قامت الدولة البيزنطية بتخصيص رواتب وملابس رسمية ، وكذلك مساكن لأساتذة الجامعة<sup>(٢)</sup>، مما عكس وجود تنظيم دقيق لكافة جوانب النشاط العلمي داخل تلك المؤسسة التعليمية العليا.

على أية حال ؛ اتجه ذلك الإمبراطور السالف الذكر؛ نحو استخدام كبار علماء عصره، ومن أمثلتهم يوحنا إكسيفلينوس *John Xiphilinus* ، وميخائيل بسللوس *Michael Psellus*<sup>(٣)</sup> وغيرهما ، وقد ترك علماء تلك الجامعة تراثاً دالاً على المستوى التعليمي الرفيع الذي شهدته بيزنطة حينذاك .

ومع ذلك ؛ من المهم الإقرار بأنه في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي فيما بعد وفي أعقاب عام ١٢٠٤م قلبت النظم التعليمية، البيزنطية رأساً على عقب وكانت جامعة القسطنطينية من المؤسسات التعليمية التي تأثرت بذلك الحدث الجلل.

أما الحدث الثاني المحوري الذي حدث خلال حكم قسطنطين التاسع؛ فقد تمثل في الانفصال الذي حدث بين كنيسة القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤م .

وهناك من يقرر ؛ أن البطريرك البيزنطي حينذاك وهو ميخائيل كيرولاريوس *Michael Cerularius*<sup>(٤)</sup> (١٠٤٣-١٠٥٨م) سعى إلى أن يكون صاحب نفوذ بارز شأنه في ذلك شأن بابا روما ، وقد اختار عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع للقيام بحركته الانفصالية.

١- نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص ٢٥٧

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- رأفت عبد الحميد ، الإمبراطورية البيزنطية، العقيدة والسياسة، ص ٣١٢

و عن ميخائيل بسللوس أنظر المدخل الجيغرافي.

٤- ميخائيل كيرولاريوس *Michael Keroullarios* ، تولى بطريركية القسطنطينية ، وفيما بعد ؛ صار في سلك الرهبنة وشارك في المؤامرة ضد الإمبراطور ميخائيل الرابع ، يلاحظ أن قسطنطين التاسع كان =



على أية حال ؛ أعلن البطريرك أن البابوية<sup>(١)</sup> معجلة في ليو التاسع Leo IX ( ١٠٤٩ - ١٠٥٤ م ) صارت أداة تم تسخيرها في أيدي النورمان وأنها تبذل جهودها من أجل إبعاد السيادة البيزنطية عن جنوبي إيطاليا من خلال تأييدها للأطباع النورمانية<sup>(٢)</sup>.

وقد رأى أن خير ضمان للإمبراطورية البيزنطية أن تكون كنيسة منفصلة ومستقلة بشروطها. وملاحظ أنه أرسل في عام ١٠٥٣م إلى أساقفته خطباً شق فيه هجوماً على البابوية في روما. وقد اعتبر هذا الأمر بمثابة إعلان « حرب » على الأخيرة، خاصة أن البابا القائم حينذاك هو ليو التاسع كان من أشد أنصار دعم نفوذ البابوية . وقد أرسل رسالة بقر فيها بأنفسه كنيسة روما وأحققتها في السيادة على الكنيسة الشرقية، إلا أن النتيجة أدركته عام ١٠٥٤م. وخلال مرحلة خلل المنصب البابوي ، تمكن ميخائيل كيرولاريوس من استمالة الإمبراطور البيزنطي، وبالفعل ؛ تم الإعلان رسمياً في كنيسة أيا صوفيا في مايو ١٠٥٤م عن أن كنيسة القسطنطينية صارت كنيسة مستقلة عن كنيسة روما<sup>(٣)</sup>.

« مشاركاً له فيها، وقد اختار، ليكون بطريركاً على القسطنطينية . واشتهر بجده مع الكاردينال هيبيرت Humbert الرسول البابوي عام ١٠٥٤ م، وأسفر ذلك الجعل عن حدوث ما عرف بالانشقاق الأعظم، ويقرر دونالد نيكول أن ميخائيل كيرولاريوس لم يكن باللاهوتي البارع، ولم يكن أيضاً بالعالم الذي يشار له بالبيان، عنه انظر:

Runciman, The Eastern Schism . A study of The Papacy and The Eastern Churches during The XI and XII centuries, Oxford 1956 . pp. 28-54 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 91

أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٣٠٣

١- ليو التاسع Leo IX : بابا وقديس . تولى المنصب البابوي خلال المرحلة من ١٢ فبراير ١٠٤٩ إلى ١٩ أبريل ١٠٥٤م. وكان ابناً للكونت هير الاشمسي Hugh of Egisheim . وقام بدور بارز في إصلاح الكنيسة وتطهيرها من البسرية أو بيع المناصب الدينية، عنه انظر :

Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 147-148 .

Attwater, The Penguin dictionary of Saints, p. 217- 218 .

٢- هارلان وباراكلاف، الدولة والإمبراطورية ، ص ٢١٧ ، حاشية (٢)

٣- نفسه، نفس الصفحة والحاشية

جدير بالإشارة : مثل ذلك الأمر الذي اشتهر لدى المؤرخين «بالإنشقاق الأعظم» The Great Schism (١٥ يوليو ١٠٥٤م)؛ مرحلة على جانب كبير من الخطورة في العلاقات بين الشرق البيزنطي، والغرب اللاتيني. وقد ساعد ذلك على إنتهاء الحكم البيزنطي في إيطاليا، كذلك اتسعت الهوة بين الطرفين ظلت قائمة حتى سقوط العاصمة البيزنطية القسطنطينية عام ١٢٠٤م وفيما بعد ذلك : ولاتفعل أن الأجيال المتعاقبة لدى كل كيان نشرت الكراهية ورضعت منذ نعومة أظفارها حليب العداء المتبادل، ومن الآن فصاعداً : يمكن القول أن كل طرف صار يكن للطرف الآخر قدراً كبيراً من العداء، والكراهية، وكان كل تصرف يحدث يتم تغليفه بقدر كبير من الشك، والإرتياب على نحو يمكن أن يجعل المؤرخ النصف يصف العلاقات بين الجانبين بأنها «علاقة مسسمة» مزهلة للانفجار في أية لحظة ! وقد دفع البيزنطيون ثمناً فادحاً لما حدث عام ١٠٥٤م فيما بعد

من ناحية أخرى: من الملاحظ أن عصر الأسرة المقدونية- على نحو خاص- شهد نهضة حضارية في مختلف المجالات على نحو دفع بالمؤرخين إلى إعتباره «العصر الذهبي

#### ١- عن الإنشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م أنظر:

Brehier, La Schism Oriental du XIe Siecle Paris 1899.

دراسة أساسية على الرغم من أنها نتاج أواخر القرن التاسع عشر

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 107 , Ware, The Orthodox Church, Penguin Book, London 1997 , p. 58 - 59 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 282 .

إسحق عبيد، روما وبيزنطة ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٢١-٢٩

عادل زيشون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠، ص٢٣٥، ص٣٥٥ : جيهان عبيد المقصود فتحي، السنوات الأخيرة للأسرة المقدونية ١٠٢٥-١٠٥٦م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، عام ٢٠٠٢م، ص٩٢-١١٦، أسد رستم، الروم، ج٢، ص٧١-٧٦

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٨٥-١٨٦ ، حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦٦ - ١٦٥ نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص٦٥

للإمبراطورية البيزنطية<sup>١٠</sup>، ويلاحظ هنا؛ أن تقدم الاقتصاد البيزنطي، والنجاح في فتح أسواق تجارية جديدة، كل ذلك؛ دُرَّ على ميزانية تلك الدولة أموالاً طائلة مكنتها من الإنفاق بسخاء على كافة المظاهر المعاصرة التي شيدت . وكذلك رعاية الآداب والفنون التي ازدهرت حينذاك. ويمكن إبراد أهم تلك الإنجازات - على نحو موجز- على النحو التالي:

أولاً : ازدهرت العلوم، والفنون في عصر تلك الأسرة. وإذا اتخذنا «التاريخ» Historia نموذجاً على سبيل المثال، نجد ظهور عدد من كبار المؤرخين في صورة ميخائيل بسلوس Mi-chael Psellus . ولير الشماس<sup>١١</sup> Leo The Deacon .

كذلك لانغفل؛ أن الكتابة التاريخية حظيت باهتمام الأباطرة حينذاك . ولذا نجد أن الامبراطور قسطنطين السابع بورفيريوجنيتيس Constantine Porphyrogenitus يقوم بتأليف عدة مؤلفات مثل كتاب عن الشغور . وآخر عن المراسيم . وكتاب ثالث عن الإدارة الإمبراطورية<sup>١٢</sup> وهي مصادر على جانب كبير من الأهمية وتعكس جوانب متعددة من تاريخ تلك الأسرة وعلاقات بيزنطة الخارجية.

ثانياً : فيما يتصل بإزدهار الأدب البيزنطي؛ يكفي أن نشير هنا إلى ظهور ملحمة بيزنطية شهيرة في صورة ملحمة ديجنيس أكرينيس Diogenis Akritis<sup>١٣</sup> التي تكونت من خلال الإستراج القفاني على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية . وقد وصفها المؤرخة القديرة جران هسي J. Hussey بقولها « أشعلت خيال الأجيال التالية، ودفعت المراحل الشعبية عند الصقالية ، واليونان على حد السواء، حتى إذا كانت العصور الوسطى المتأخرة، ظهرت القصائد الرومانسية الطويلة في اللغة الوطنية متأثرة بالقروسية الاقروحية، والترات الملحى اليوناني»<sup>١٤</sup>. بينما وصفها مؤرخ آخر بأنها تضارع أنشودة رولان La Chanson de Roland

١- عنه أنظر المدخل البيبلوغرافي.

٢- عنه أنظر: المدخل البيبلوغرافي

٣- عن ملحمة ديجنيس أكرينيس Diogenis Akritis: أنظر المدخل البيبلوغرافي

٤- Hussey, The Byzantine World, p. 152 .

جدير بالذكر؛ من خلال الاحتكاك بين المسلمين والبيزنطيين على الحدود؛ ظهرت سيرة الأميرة ذات الهمّة، عنها أنظر: نبيلة ابراهيم . سيرة الأميرة ذات الهمّة، دراسة مقارنة ط. القاهرة ١٩٩٤م.

التي تناولت حملة شارلمان على الأندلس عام ٧٧٨م، ومصرع رولان وهو أحد قادة جيشه ومعده عدد من الجنود من جراء هجوم عناصر اليباسك أثناء الانتحار عبر جبال البرانس خاصة عبر روتشفال، مع ملاحظة أن أنشودة رولان كانت أكثر شهرة من الملحمة البيزنطية المذكورة خاصة أنها استمرت في أعماق العقل الأوربي حتى إندلاع الحروب الصليبية أواخر القرن ١١م. رابعاً ازدهرت العمارة والفنون في عهد تلك الأسرة، وتم تشييد عدد من الكنائس - التي اعتقد البيزنطيون أنها ستبقى ما بقي الإيمان في تصورهم - على شاكله كنيسة أيا صوفيا (القرن ٩م) التي صارت بمثابة النموذج الأعلى في تشييد الكنائس على المستوى البيزنطي وحتى خارج أنحاء الإمبراطورية<sup>(١٢)</sup>. كذلك كثرت أعمال الفسيفساء، التي حققت شهرة عالمية ونفس الأمر بالنسبة للموزايكو<sup>(١٣)</sup>، والمصنوعات العاجية؛ على نحو عكس رقي الأعمال الفنية في ذلك العصر، وأكد على حقيقة مهمة وهي أن ذلك الرقي انعكس إيجابياً على التجارة الخارجية حيث طافت المنتجات الفنية البيزنطية الراقية مختلف الأسواق العالمية سفيرة لبلادها وحققت مكانة تجارية مرموقة، وصارت موضع ثقة المستهلكين.

بصفة عامة؛ رحل أباطرة الأسرة المقدونية وبقيت لدينا كتابات مؤرخي ذلك العصر وبعض العمانر والتحف الفنية الشاهدة على المستوى الحضاري الذي بلغته بيزنطة حينذاك فالبشر يحضون وبقى آثارهم شاهدة عليهم وتنطق بل تصرخ بالتاريخ على أية حال؛ وصل إلى السلطنة قسطنطين دوكاس ليؤسس أسرة بيزنطية حاكمة جديدة ضمن الرحلة الطويلة الشاقة لذلك التاريخ !

نسر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٨٠، وعن أنشودة رولان أنظر،

The Song of Roland, Trans. by Sayers, Penguin Book, London 1977.

جوزيف نيسم يوسف، «أنشودة رولان قيمتها التاريخية وما أثير حولها من جدل وتفاش»، حسن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٧٥، وهي الدراسة الوحيدة المتخصصة باللغة العربية.

قاسم محمد قاسم، «الشعر والتاريخ»، دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، م (٢٨)، (٢٩)، عا ١٩٨١ - ١٩٨٢، ص ٧٨.

ويلاحظ أن الترجمة العربية للأنشودة توجد لدى: سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ط. دمشق ١٩٩٣م.

ج ٩، ص ٩٨٧.

عنها أنظر ما سبق إبراء الحديث عن أسرة جنتيان.

٣ - عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ١٨١.

وعند مقارنة الأسرة المقدونية بالأسرات البيزنطية السابقة؛ نجد أنها تفوقت على ما سبقها من أسرات من خلال طول المدة الزمنية التي حكمت خلالها حيث أمتد عهدها- كما أسلفت إلى ما زاد على قرنين من الزمان. كذلك نلاحظ تعدد الأباطرة فيها بصورة فاقت ما لدى كل أسرة من الأسرات السابقة.

من جهة أخرىك تفوقت الأسرة المقدونية في أمر توسعاتها العسكرية - وإن كانت مؤقتة أحياناً خاصة في الجبهة مع المسلمين، كذلك نلاحظ ظهور أباطرة كبار فيها مثل؛ باسل الثاني وهو أمر افتقدته الأسرة العصورية على سبيل المثال.

ولاتفعل كذلك؛ أن الإنجازات الحضارية وخاصة العلمية في عهد تلك الأسرة على نحو خاص؛ جعل البعض من المؤرخين يعتبر عهدها بمثابة العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup> خاصة المرحلة الممتدة من ٨٦٧م إلى ١٠٢٥م كما أسلفت الإشارة من قبل . مع عدم إغفال أن التوسعات العسكرية خلالها دعم لديهم مثل ذلك التصور.

كذلك من الأمور الملفتة للإنتباه ؛ أن الأسرة المقدونية تتشابه مع الأسرة العصورية من خلال أن كلا منهما شهد مرحلة من مراحل التباعد الكنسي بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني، ففي خلال حكم الأسرة العصورية حدثت قطيعة فوشيسوس في عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث ، أما في أثناء حكم الأسرة المقدونية فقد وقعت أحداث ما عرف بالإتشقاق الأعظم في عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع وإن كنا نلاحظ أن التشقاق الأخير فاق في آثاره البعيدة القطيعة الأولى وإن جاء ليؤكددها ويعبر بحقق عن تأزم العلاقة بين الكنيستين الشرقية والغربية.

وهكذا ؛ وجدت عدة أوجه للمقارنة بين الأسرة المقدونية وغيرها من الأسرات البيزنطية السابقة .

#### ١- أنظر على سبيل المثال:

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٩٤٢

وفي تصوري ؛ أن يطلق على مرحلة معينة من مراحل التاريخ البيزنطي بأنها العصر الذهبي؛ فذلك يحوي قوليه واضحة ، إذ أن كل أسرة من الأسرات الحاكمة كانت لها فترات قوة وفترات ضعف ، ومثل ذلك التصور يجعلنا نتصور أن الأسرات السابقة، والثالثة لم تنعم بإسهامات بارزة في ذلك التاريخ الممتد ما زاد على ١١ قرناً من الزمان. وبالتالي ليس من المنطقي أن نطلق ذلك الوصف على ما زاد قليلاً على قرن ونصف فقط من الزمان

## سابعاً : أسرتى دو كاس وآل كومنين (١٠٥٧-١١٨٥م)

نتجه الصفحات التالية إلى عرض ملامح عهد أسرتى دو كاس، وآل كومنين على مدى المرحلة الممتدة من ١٠٥٧ إلى ١١٨٥م؛ لرصد التطورات المحورية التى حلت بالامبراطورية البيزنطية خلال مدة حكم تلك الأسرتين

لقد امتدت تلك المرحلة نحو ١٢٨ عاماً ، وحكم خلالها عدد من الأباطرة هم: إسحق الأول كومنين Issac I Comnenus (١٠٥٧-١٠٥٩م) ، وقسطنطين العاشر دو كاس-Constans X Ducas (١٠٥٩-١٠٦٧م) ، ورومانوس الرابع ديوجينيس Romanus IV Diogenes (١٠٦٧-١٠٧١م) ، وميخائيل السابع دو كاس Micael VII Ducas (١٠٧١-١٠٧٨م) ، ونقفور الثالث بورتانباتس Nicephor III Potaniates (١٠٧٨-١٠٨١م) ، والكبيرس الأول كومنين Alexius I Comnenus (١٠٨١-١١١٨م) ، ويوحنا الثانى كومنين John II Comnenus (١١١٨-١١٤٣م) ، ومانويل الأول كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) الكبيرس الثانى كومنين Alexius II Comnenus (١١٨٠-١١٨٣م) ، وأندرونيكوس الأول كومنين Andronicus I Comnenus (١١٨٣-١١٨٥م)

وليس الهدف من عرضنا الحالى التعرض لكل إمبراطور بيزنطى بالتفصيل ، بل تقديم ملامح عامة عن أهم أحداث ذلك العصر

وهكذا؛ يظهر لنا ضرورة التحدث عن قوتين خارجيتين قدر لهما القيام بتأثير مركزى فى التاريخ البيزنطى فى صورة الأتراك السلاجقة ، والنورمان.

جدير بالإشارة؛ أن السلاجقة -فى الأصل- عناصر من القبائل التركية أقامت فى منطقة التركستان ، ويلاذ ما وراء النهر، ويلاحظ ؛ أن مؤسسها يدعى سلجوق بن دقاق<sup>(١)</sup>، وقد

١- الحسينى، أخبار الدولة السلجوقية ، تحقيق عباس إقبال ، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص-٢، ص٣

وعن أصل السلاجقة أنظر:

El- Azhari, The Saljuks of Syria during the Crusades, 493-549 A.H. / 1070-1154 A. D., Berlin 1997, pp. 26-77

Cahen, Pre- Ottoman Turkey ageneral Survey of the matercy and Splritual Culture , 1011-1330, Trans. by J.J. Jones - Williams, New York 1968 .

اعتنقوا الإسلام، وصاروا من أشد المزيدين له ، ومن كبار زعمائهم طغرل بك الذي تمكن من دخول بغداد عام ١٠٥٥م ونجح في إنهاء حكم البرهيين هناك الذين كانوا من الشيعة بينما كان السلاجقة ومن بعد طغرل بك: تولى أمرهم ألب أرسلان (١٠٦٥-١٠٧٢م) وفي عهده حدث الاصطدام العنيف مع الإمبراطورية البيزنطية التي حكمها حينذاك الامبراطور رومانوس الرابع ديوجينيس<sup>(١)</sup> في صووة معركة مانزكرت الحاسمة عام ١٠٧١م، وقد وقعت مانزكرت في شمالي بحيرة قان عند جنوب شرقي البحر الأسود

جدير بالذكر ؛ أن العام المذكور حدث فيه تلك المعركة الشهيرة بين جيش ميخائيل ضخم قدره البعض - من قبيل الجبالفة - بـ ٣٠٠.٠٠٠ من الفرسان، والمشاة ، أما القوات السلجوقية؛ فقدر البعض عددها بـ ١٥.٠٠٠<sup>(٢)</sup>؛ وهي أرقام من العسبر الأخذ بها ، نظراً لضعف الرقعة الأولى، ومحدودية الرقم الثاني مقارنة به . وعدم جبره إحصاءات محددة

---

= متى محمد بدر محمد. أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيربية والملوكية . ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٧-١٨ ، محمد سهيل طقوش. تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص٧٦-٧٧ ، أحمد كمال الدين حلس، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط. الكويت ١٩٨٩م، ص٢٣-٢٤ . آين فزاد سيد. الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد . ط. الرياض ١٩٩٨م، ص١٨٠

١- رومانوس الرابع ديوجينيس : تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٦٨م، ويلاحظ أنه بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين العاشر : أغرى البعض أرمسته أبودوكيا مكرمير ليحيا بالزواج من أحد القادة العسكريين وهو الذي تولى العرش البيزنطي بالاسم المذكور، ويصفه دونالد نيكول بأنه كان قائماً محتكاً ، إلا أنه حكم خلال مرحلة تدهور للإمبراطورية البيزنطية، وفي أعقاب هزيمته في مانزكرت عام ١٠٧١م ، تم تسليم عينيه وأرسل إلى المنفى حيث مات عام ١٠٧١م، وتولى الحكم من بعده الإمبراطور ميخائيل السابع . عن رومانوس الرابع أنظر:

Psellos, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia, pp. 350-366 . O.D.B., vol. 3, p. 1807 .

Nicol, Biographical dictionary, p. 113 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 352-353 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 304, p. 320 .

٢- محمدر سعيد عمران . معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ص٢٤٦

حينذاك ، كذلك فإن المصادر العربية حرصت- بصفة عامة- على المبالغة في أرقام القوات المعادية وتقليل عدد قوات السلاجقة لإظهار عظم شأن النصر الذي حدث على الرغم من قلة عدد الطرف الإسلامي، وإن لاحظنا- بصفة عامة- أن هناك قارقاً واضحاً في عدد قوات السلاجقة مقارنة بأعدادهم دون إمكانية تحديد الأمر في صورة واقعية واضحة للإعتبار المشار إليه .

على أية حال: جرت معركة مانزكرت الحاسمة في يوم ١٦ أغسطس ١٠٧١م<sup>(١)</sup> . وهناك من

#### ٦- عن معركة مانزكرت أنظر:

ابن القلاسي، ذيل تاريخ دمشق . تحقيق أمبروز ، ط. بيروت ١٩٠٨م، ص ٤٠- ص ٤٤ ، البيهقي، المعاضة في الحكاية السلجوقية ، ت. عبد النعم محمود ، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص ٤٧.

Psellus, Chronographia, in Ashour and Rabie, Fifty documents in Medieval History, Cairo 1971, pp. 58-60.

Cahen, " la Campagne de Mantzikert d'apres des Sources musulmaus ", B., vol. IX, p. 934, pp. 613-642, Id. " The Turkish Invasion", in Setton, A History of the Crusades, vol. I, pp. 148-149.

Charanis, "The Byzantine Empire in the eleventh Century ", in Setton, A History of the Crusades, vol I, pp. 19-192.

Friendly, The dreadful Day: The Battle of Manzikert 1071, London, 1981.

France, Victory in the East, A military History of the First Crusade, Cambridge 1996, pp. 152-153.

Holt, The Crusader States and Their Neighbours, London 2004, p. 11

فايز نجيب إسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد (١٠٧١-١٤٦٣هـ) في محصف نفقور برينبيوس دراسة مقارنة للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص ٧- ص ١٠ ، أنست نجيم، «معركة مانزكرت في ضوء وثائق بيسالوس» . مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨١م، شاكرو مصطفى، «دخول الترك الغز إلى الشام ضمن كتاب مؤرخ تاريخ بلاد الشام» . ط. عمان ١٩٧٤م، ص ٣٥٨- ص ٣٥٩ ، أرشيد يوسف ، سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين ٤٣٥- ٥٢٧هـ، ط. الرياض ١٩٨٨م، ص ٥١- ص ٥٤ ، سهيل زكار ، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط. دمشق ١٩٨١م، ص ١٤٥- ص ١٥١ ، سعيد عاشور ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ٤٤ ، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ، ت. بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط. بغداد ١٩٥٤م، ص ١٧٢ ، روبرتس ، موجز تاريخ العالم، ت. فارس قطان، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص ٣٤٥ . وتصور خطأ حدوث المعركة عام ١٠٧٢م.



يقرر أن عناصر الاحتياط البيزنطية كان على رأسها قائد يدعى أنثرونيكوس ابن يوحنا دوكاس الذي وصف بأنه من أشهر من عادوا الإمبراطور رومانوس الرابع، وقد أشاع لدى القوات البيزنطية نأ هزيمتها على نحو أدى إلى بحث الاضطراب فيها<sup>(١)</sup>؛ مما انعكس سلباً على مصير المعركة، كذلك لا تغفل حساسة السلاجقة للقتال، وتأجج روح الجهاد في نفوسهم على نحو كان له الأثر الأكبر في الانتصار على البيزنطيين.

وأخيراً : تحقق الانتصار السلجوقي الخامس ، وسقط الجيش البيزنطي الضخم بين قتييل وجريح ، وأسير . ووقع الإمبراطور نفسه في الأسر على نحو مهين ، وتكرر التكرار في التاريخ البيزنطي ، وهو يذكرنا بموقف حدث بعد ذلك بـ ١١٦ عاماً عندما أسر الملك الصليبي جى لوزيتيان في حطين ١١٨٧ م . وكذلك فيما بعد ذلك بقرابة ١٨٠ عاماً ؛ عندما أسر الملك الفرنسي لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) بعد هزيمته في المنصورة عام ١٢٥٠م<sup>(٢)</sup> . حيث شهدت تلك البقعة إذلال فرنسا في العصور الوسطى على أرض النيل الخالد

على أية حال ؛ من الملاحظ أن القائد المسلم المتحضر ألب أرسلان أحسن معاملة أسيريه البارز . وأود هنا أن أقدم نصاً مصدره من جانب المؤرخ البيزنطي ميخائيل بلطرس Mi-chael Psellus واصفاً تلك اللحظة التاريخية الفاصلة حيث قال : « إن قائد جيش السلاجقة بدلاً من أن يصيبه الغرور ، وبالعكس في مظاهر السعادة نظراً لفتح الإمبراطور الروماني أسيراً غلب عليه التواضع واحتفل بنصره بصورة غير متوقعة في اعتدالها ، فقد واصل الإمبراطور

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٤٨

٢- عن ذلك أنظر :

Jean de Joinville, The life of St. Louis, in Chronicles of The Crusades, Trans. by M. R.B. Shaw, Penguin Book, London 1976 . p. 259

جوزيف نيسم يوسف . هزيمة لويس التاسع على صفات النيل، ط. القاهرة - بيروت ، ص ١١٦ . العبدان الصليبي على مصر . ط. الاسكندرية ١٩٦٧ م . ص ٢٨٥ ، حسن حسنى ، الشرق الأوسط بين شقي الرحى . ط. القاهرة ١٩٤٩ م . ص ١٠٩ . محمد مصطفى زيادة ، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة . ط. القاهرة ١٩٦٦ م . ص ١٠٩

والدراسة الأخيرة من أفضل ما كتب المؤرخ الراحل البارز . وبعد أربعة عقود من صدورهما لا تجد نظيراً لهما بالعربية في موضوعه

الواقع في الأسر، بل دعاء إلى مشاركته الطعام، وعامله كضيف يليق به التكرم، وخصص له مجموعة تتولى حراسته، بل فلك أغلال بعض رفقائه، وأخيراً؛ قام قائد السلاجقة بتحرير رومانوس ذاته، وعقد معه معاهدة صداقة وأخذ منه إيماناً بالولاء، وقد أطلق سراحه سامحاً له بالرجوع إلى بلاده<sup>(١)</sup>.

والسطور السابقة؛ شهادة بيزنطية لاتقبل الشك، لأن شهادة الأعداء لها شأنها البارز في كل عصر خاصة خلال العصور الوسطى، حيث ترك العداء الديني والسياسي آثاره البارزة على الكتابة التاريخية حينذاك، وهي تعكس الكفاءة العسكرية والرقى الحضاري الذي تمتع به ذلك القائد المسلم البارز، وأهمية ذلك السلوك؛ أنه حدث في عصور اشتهرت بالتنكيل بالأعداء.

ومن المفهم هنا؛ عقد مقارنة بين ذلك السلوك المتحضر من جانب ألب أرسلان، والسلوك المنهبر الذي اقترفه من قبل الإمبراطور باسل الثاني من قبل مع أسراء البلغار، وهو الإمبراطور الذي حلل له الباحثون الغربيون من خلال زاوية تعصبية تعجب بكل قيادة قوية تسفك الدماء<sup>(٢)</sup> وفي تقديرى؛ أن القائد السلجوقي-دوغا ميالفة أو شيفونية جرفاء- يشفوق على ذلك الإمبراطور البيزنطي في مجالى الحرب والتسامح معاً<sup>(٣)</sup>، ومع ذلك لم ينل أدنى تقدير من مؤرخي الدراسات البيزنطية الغربيين ومنهم من هم أصحاب المعايير المزدوجة، ولم تكن له نهمه سوى أنه يدين بالإسلام<sup>(٤)</sup>

على أية حال، نتج عن معركة مانزكورت نتائج بالغة الأهمية على مسار التاريخ البيزنطي من القرن الحادى عشر حتى القرن الخامس عشر الميلادى دوغما ميالفة، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

-١- Psellus, Chronographia, in Ashour and Rabie, p. 60.

وأنظر أيضاً ترجمة مهمة لدى: سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص ٧٢٢ وقد أفادت من الترجمة المذكورة ونجد نص وصف بسلوس للمعركة لدى:

Hollister, Medieval Europe A Short Source Book, U.S.A. 1992, pp. 38-40.

-٢- بصفة عامة؛ تعامل المسلمون مع أسراهم معاملة أفضل من غيرهم سراً من البيزنطيين أو الصليبيين وذلك دون الوقوع في مآذق التعصب أو الشيفونية، ومن الممكن الرجوع لإحدى الدراسات المهمة الفريدة في هذا الشأن، أنظر: فاطمة الشناوى، معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر ١١٢٧-١٢٩١م / ٥٣١-٦٩١هـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٧م.

والواقع أن المرحلة المذكورة هي امتداد طبيعي للمرحلة السلجوقية المبكرة

أولاً أدت المعركة المذكورة إلى فتح آسيا الصغرى Asia Minor أمام النفوذ السلجوقي، وهناك من يقرر أنه إذا كانت معركة البرموك عام ١٠٣٦م قد حسنت مصير بلاد الشام وخضوعها للمسلمين، فإن معركة مانزكرت قررت- هي الأخرى- مصير آسيا الصغرى لهم<sup>(١)</sup>، وهكذا؛ عُدت نقطة تحول أساسية في تاريخ السلاجقة؛ إذ ظهروا يظهر المجاهدين الذين أنزلوا الهزيمة النكراء بالبيزنطيين، وهم بمثابة العدو التقليدي للمسلمين من قبل ظهور الصليبيين في آخريات القرن الحادي عشر الميلادي، ولأرب، في أن السلاجقة من الآن فصاعداً؛ صاروا عنصراً فاعلاً ومؤثراً في موازين القوى الدولية في ذلك العصر، ولاتفعل هنا؛ الإشارة إلى أنه بعد سبع سنوات من المعركة المذكورة؛ استولى السلاجقة على دوة شمالي بلاد الشام، وأعنى بها أنطاكية عام ١٠٧٨م.

ثانياً؛ لاتفعل أنه نتج عن تلك المعركة؛ تقلص أملاك الإمبراطورية البيزنطية في أرمينية، وآسيا الصغرى، ولم يعد لها سوى بعض المناطق المعزولة الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ولم يعد لها القدرة على استعادة ما فقدته<sup>(٢)</sup> وعلى نحو خاص بعد أن وجه السلطان ألب أرسلان ابن عمه سليمان بن قتلش نحو الاستيلاء على سهول وسط آسيا الصغرى وبلاد الشام والجزيرة الفراتية دون أن يواجهوا أية قوة عسكرية توقف توسعهم. من ناحية أخرى؛ انتشرت في أعقاب تلك المعركة داخل الامبراطورية البيزنطية الحروب الأهلية وتدهورت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية على نحو جعلنا نقرر أن مانزكرت جاءت لتكشف الوضع المتردي الذي وصلت إليه تلك الامبراطورية، ولاتفعل أن وعابها من الأرمن عملوا على إنشاء إمارات مستقلة لهم في المنطقة كما قرر البعض<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً؛ افتقدت الامبراطورية البيزنطية من جراء تلك الهزيمة الفادحة المناطق التي كانت تدها بعناصر المرتزقة، وهي عناصر أساسية للجيش البيزنطي<sup>(٤)</sup>، ولم تعد تستطيع تعويض

١- حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٩٠.

٢- محمود محمد الربيضي ومحمد نايف العاصم، معركة ملاذكرد، جانب من العلاقات السلجوقية البيزنطية، الكرك الأردن، ٤، ٢٠٠٤م، ص ١٨.

٣- محمود الربيضي ومحمد نايف العاصم؛ معركة مانزكرت، ص ١٩.

٤- حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٩١.

وعن الجيش البيزنطي أنظر طارق منصور، الجيش في الامبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الزقازيق فرع بنها عام ١٩٩٢م وزبدة عطا، المقاتل البيزنطي، ط. ليبيا، ١٩٨٢م.

ذلك النقص في الإمداد البشري وإن اتجهت من بعد عام ١٠٧١م إلى محاولة الاستفادة من قدرات عناصر الاسكندنافيين، والآنجلوسكسون، غير أن ذلك بالنسبة لها حلاً جزئياً لم يكن ليعيد لها وضعها قسماً قبل معركة كارثة مانزكوت التي حلت بها.

رباعاً لا ننكر أن تلك المعركة وتداعياتها المستقبلية قد أدت إلى حرمان الإمبراطورية البيزنطية من الأنهار العديدة التي توافرت بكثرة وغزارة في آسيا الصغرى، ولاتشكك في أن آسيا الصغرى مثلت أهمية خاصة فيما يتصل بالأمن المائي البيزنطي، وإذا كانت الإمبراطورية قد فقدت في القرن السابع النبل، والعاصي، وقسم من نهر الفرات بالإضافة إلى الأنهار اللبنانية<sup>(١)</sup> فإنها الآن وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر فقدت السيادة السياسية على أنهار أخرى في آسيا الصغرى على نحو كان له تأثيره السلبي المؤكد عليها

ولاتفعل كذلك؛ أن الطرق التجارية المارة بتلك المنطقة، قد خضعت لسيطرة قوة عسكرية وسياسية جديدة ستجيب الأموال الطائلة من وراء ذلك الوضع الجديد على حساب خزائن الامبراطورية البيزنطية بطبيعة الحال.

خامساً: جدير بالذكر؛ قامت دويلات تركمانية مستقلة قسماً بعد عامي ١٠٧١م، ١٠٨٧م، تحت قيادة زعماء من الأتراك في أنحاء مختلفة من آسيا الصغرى، ويلاحظ أن الحضارة الإسلامية بدأت تحدث تأثيرها في تلك المناطق التي كانت من قبل متأثرة بالحضارة البيزنطية<sup>(٢)</sup>، ولاتفعل أن عمليات تنريك الأناضول هذه استغرقت زمناً طويلاً ويقال أنها اكتملت من الوسط إلى السواحل خلال القرنين ١٣، ١٤م<sup>(٣)</sup>، وفي تقديري أن ذلك كان أخطر ما نتج عن تلك المعركة الخامسة.

١- مثل: اللطاني، الزيداني، المصاني، الأولى، أسطون، الجز، البارد، ابراهيم، الكلب، بيروت، أبو علي، عرقة، الفاسر، الزهراني، أنظر سامر مخيسر وخالد حجازي، أزمة الماء في المنطقة العربية الحفائق والبدائل الممكنة، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت ١٩٩٦م، ص٣٩-٣٧ ونجد خريطة تلك الأنهار في ص٣٦

٢- عبد الحميد حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٥٨، دولة السلاجقة، ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص٥٢

٣- عن موضوع تنريك آسيا الصغرى بعد مانزكوت انظر: Brice, "The Turkish Colonization of Anatolia", B.J.R.L., vol XXXVIII, 1955- 1956, pp. 18-44.

Vryonis, The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the eleventh Through the fifteenth Century. Berkeley, Los Angeles 1971

سادساً : أحدثت تلك المعركة تغييراً سياسياً مهماً ، فى الإمبراطورية المجرية فى شرفها العسكرى ؛ حيث تم إقصاء الإمبراطور المهزوم ، ووصل إلى السلطة إمبراطور آخر عقدت عليه بيزنطة الآمال العريضة؛ وهو ميخائيل السابع Michael VII Doukas ، وهو أمر يؤكد لنا أن الانتصار فى ساحة المعارك ، كان يؤدى - أحياناً - إلى تمكين القائد المنتصر من اعتلاء العرش ، والعكس صحيح تماماً ، وهو ما نجده على نحو واضح فى أعقاب مانتزكرت حيث كانت بمثابة إعلان نهاية رومانوس الرابع سياسياً .

سابعاً : لاتفعل ؛ أن ذلك الانتصار السلجوقي البارز ، أكد عجز بيزنطة عن القيام بدورها الذى قامت به على مدى أربعة قرون (من القرن السابع حتى القرن الحادى عشر م) ، وهو الخاص بحماية المسيحية الشرقية من هجمات المسلمين ، وكذلك فى حراسة الباب الشرقى لقارة أوروبا من غزو الآسبريين<sup>(١)</sup> ، وهناك تصور قائم يفيد بأنه عقب تلك المعركة ، بدأت بيزنطة فى الاستغاثة بالغرب الأوروبى على نحو أدى فيما بعد إلى حدوث الحروب الصليبية Crusades, Croisades, Kreuzzuge

أما بالنسبة للقوة الثانية المؤثرة فى التاريخ البيزنطى حينذاك فهى فى صورة النورمان؛ الذين لعبوا دوراً بارزاً فى تاريخ أوروبا العصور الوسطى على مدى القرن الحادى عشر الميلادى على نحو خاص ، لىلاحظ أن زعماءهم من أسرة هوتفيل Hauteville تمكنوا فى نفس العام أى ١٠٧١م من الاستيلاء على بارى Bari بجنوب إيطاليا<sup>(٢)</sup> ، وكانت حينذاك آخر الأملاك البيزنطية هناك ، وقد حدث ذلك التطور الاستراتيجى بقيادة الزعيم النورمانى روبرت

وهى أهم دراسة فى موضوعها ، وأيضاً: عثمان توران ، الأناضول فى عهد السلاجقة والإمارات التركمانية . ت . على عمدة الفاعلى . ط . الرياض ١٤١٨ هـ ، ص ٤٠ . حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ط . القاهرة ١٩٨٧م ، ص ١٩٢

١- سعيد عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط . بيروت ٢٠٠٣م . ص ٤٤

٢- عن التوسع النورمانى فى أملاك الدولة البيزنطية حينذاك أنظر: Holmes (ed.), The Oxford History of Italy, Oxford 1997 , p. 48 .

وعن سقوط بارى أنظر:

Brook, A History of Europe 911 to 1198, London 1938 , p. 223

نبذة مقامية ، العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان فى جنوب إيطاليا وصقلية من ١٠١٥ - ١١٩٧م . رسالة دكتوراه - غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٩م ، ص ٥٦ =

جويسكارڊ Robert Guiscard<sup>(١)</sup> ويدعم من البابوية التي كانت تناصب الإمبراطورية البيزنطية العداء، المستمر خاصة بعد الانشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م السالف الذكر.

وهكذا؛ يتأكد لنا أن الإمبراطورية التي كانت من قبل في عهد أبائتها المؤسسين الكبار تسيطر على مناطق عديدة؛ تعرضت مكانتها السياسية إلى هزة عنيفة بعد هزيمتها في مانزكرت، وسقوط باري في عام واحد، دون أن تتمكن من مواجهة زحف الأتراك السلاجقة من الشرق، والنورمان في الغرب

على أية حال؛ من الملاحظ أن الحدث المعسوري في تاريخ بيزنطة والغرب الأوربي في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي تمثل في اندلاع الحرب العالمية في العصور الوسطى وتعنى بها الحروب الصليبية؛ تلك الظاهرة التاريخية ذات التأثير الكاسح في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في تلك العصور.

والواقع توجد هناك عدة تعريفات لها؛ منها أنها تلك الحملات العسكرية التي شنّها الغرب الأوربي في أخريات القرن ١١م مستتركا بالدين، والرغبة في السيطرة على الأماكن

= ميمبره بونس، النورمان والدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي، ط. القاهرة ١٩٩٥م. ص ٧٩.  
 . سيد الناصري، الروم والشرق العربي، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ٣٧٣، جمعه المجتدي، حكم النورمان في صقلية ٤٨٤ - ٥٨٦ هـ / ١٠٩١ - ١١٩٤م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٨م، ص ٤٤.

١- روبرت جويسكارڊ Robert Guiscard (١٠١٥-١٠٨٥م) زعيم نورمانى، وكلية جويسكارڊ تعنى «الناشطة». خلف أخاه كدوڤن لأبوليا Apulia عام ١٠٥٧م، وفي عام ١٠٧١م أخضع باري Bari آخر المراكز البيزنطية في الغرب. وحاول أن يكون سبقا على الإمبراطورية البيزنطية بأن دافع عن قسطنطين دوكاس ابن ميخائيل السابع خاصة بعد زواج قسطنطين هنا من ابنة روبرت جويسكارڊ. وقد فكن من هزيمة الإمبراطور الكيسريوس كومنين. واحتل كورفو ودريازو عام ١٠٨٢م، وزحف على القسطنطينية إلا أنه انظر للعودة إلى إيطاليا لمعاونة البابا جيورجى السابع ضد عفوه الإمبراطور هنرى الرابع بعد أن ترك قيادة قواته وابنه برهيند وقد توفي روبرت جويسكارڊ عام ١٠٨٥م. عنه أنظر:

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by Sewier Penguin Book, London 1982, p. 53.

(O.D.B., vol 3, p. 1799.

Chiball, The Normans, Oxford 2000, p. 77-78. p. 118-119.

Van Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000, p. 243.

المقدسة المسيحية في فلسطين بينما أخفى من وراء ذلك عدة دوافع سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية لا يمكن إنكار تأثيرها الجاوز حينذاك ، كذلك هناك من يعتقد أنها السياسة الخارجية للبابوية The foreign Policy of the Papacy<sup>(١١)</sup> ، أو أنها حركة الانحمار الأوربي في العصور الوسطى، The European Colonialism in the Middle Ages<sup>(١٢)</sup> . مع ملاحظة أن الرأي الأخير يفهم - من جانبي - على اعتير أن «الاستعمار» بمعنى «الاستعمار» ، والنهب المنظم لثروات المسلمين وتحويلها إلى الغرب الأوربي .

كذلك هناك من يعتقد أنها جزء من المسألة الشرقية<sup>(١٣)</sup> The Eastern question وفيما يتعلق بدوافع تلك الحركة التاريخية ؛ هناك الدافع الديني ورغبة الغرب الأوربي في إخضاع المناطق التي ارتبطت بذكرىات المسيحية المبكرة في فلسطين<sup>(١٤)</sup> - كما أسلفت الإشارة- ويلاحظ أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله قد أمر بهدم كنيسة القيامة بيت المقدس عام ١٠٠٩م<sup>(١٥)</sup> . وقد أحدث ذلك أثراً عنيفاً في الغرب الأوربي مع ملاحظة أنه تم إعادة بنائها؛ إذ قام الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثالث Romanus III (١٠٢٨-١٠٣٢م ، بالإنفاق مع الدولة الفاطمية من بعد عهد الحاكم ؛ من أجل إعادة بنائها ، وبالفعل قام الإمبراطور قسطنطين IX Constantine IX (١٠٤٢-١٠٥٥م) بإرسال عماله للمشاركة في عمليات

Barker , The Crusades, London 1949 , p. 3 .

١- عن ذلك انظر : Prawer, The Latin kingdom of Jerusalem , European Colonialism in the Middle Ages , London 1979 .

Marriot , The Eastern question, Oxford 1958 , p. 1 .

٤- Riant , " Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades" A.O.L., T.I, Au- née 1880 , p. 2 .

٥- عن ذلك انظر :

Canard , " La destruction de l'Eglise de la resurrection par le Calife Hakim et l'Histoire de la descente du Fen Sacre" , B. XXXV , Année 1965, pp. 16-43 .

أيضاً إشارة فازيليف للتحديد الزمني المذكور؛

Vasiltiev, History of the Byzantine Empire. p. 311 .

البناء، ويلاحظ أن حركة الحج المسيحي امتدحت عبر الثغور الواقعة على الحدود بين مناطق المسلمين والبيزنطيين<sup>(١)</sup>؛ مما عكس أن الحادثة السالفة الذكر تعد استثناءً وسط الطابع التسامح العام للمسلمين تجاه تلك الأماكن المقدسة للمسيحيين ومن المهم هنا الإقرار بأن سياسة الحاكم بأمر الله - وهو الذي عرف بتنقض سياساته - تعد استثناءً تاريخياً في سياسة المسلمين التسامحة بصفة عامة تجاه أهل الخدمة ولا يمكن اتخاذ سياسة ذلك الخليفة الفاطمي في أساسات للعلاقة بين الإسلام ورعاياه من غير معتنقيه<sup>(٢)</sup>.

وقد أقر مؤرخون أوروبيون محدثون ومن أمثلتهم ، هانز أ. ماير Hans E. Mary بعدم حدوث ما يوصف باضطهاد ديني ضد المسيحيين الشرقيين أو الحجاج الأوروبيين فيما قبل

Runciman, " The Pilgrimage to Palestine before 1095", in Setton (ed.) A History of -١  
the Crusades, vol . Pennsylvania 1969, p. 74 .

محمد مؤنس عيسى ، الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٢٢

وانظر أيضاً هذه الدراسة المهمة التي تجري عدداً من الرحلات التي قام بها الحجاج الأوروبيون إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين وقت ترجمتها إلى الإنجليزية  
Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before the Crusades, London, 1977 .

٢- عن الحاكم بأمر الله وسياسته تجاه أهل الذمة أنظر : ابن الأثير ، الكامل، ج٧، ص٢٤٠ ، ابن حنبل ، أخبار ملوك بني عبدة وسيرتهم، تحقيق التهامي نقره وعبد الحليم عيسى ، ط. القاهرة ١٤٠١هـ، ص٩٩- ص١٠٠ ، المقرئ ، إنعاش الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حطس ، ط. القاهرة ١٩٩١م، ج٢، ص٩٤

Vatikiotis, " Al- Hakim Bi- Amrillah : The God - king Idea realised", I.C., vol . XXIX , No . 1 , January 1955, pp. 6-10 .

عبد النعم ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي عليه، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٩٩- ص١٠٠ ، ظهور خلافة الفاطميين وبقوتها في مصر، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص٣٥٧- ص٣٦٠ ، محمد علي القطب ، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ ، ط. صيدا ٢٠٠٢م، ص٥٨- ص٩٢ ، إبراهيم أيوب، التاريخ الفاطمي السياسي، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص١٠٩- ١١٠ ، ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ت. حسن جشي، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص٥٦- ص٥٧ ، علي حسني المروجلي، الإسلام وأهل الذمة، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص١٧٥ ، دافيد صوبل مرجليوت ، القاهرة وبيت المقدس، ودمشق ، ت . خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سيانز، ط. دمشق ٢٠٠٠م، ص٦٥



إندلاع آتئين الحروب الصليبية<sup>(١١)</sup>، مما دلّ على أن كافة ما قيل عن ذلك ما هو إلا جزء لا يتجزأ من الدعاية Propaganda للمشروع الصليبي التي لم تكن قائمة على سند من الواقع التاريخي مع عدم اغفال أن الصراع الفاطمي - السلجوقي - فيما بعد جعل طريق الحج المسيحي ليس في السياق السابق<sup>(١٢)</sup>. أما الدافع السياسي؛ فنلاحظ أن ملوك وأمرأ أوروبا حينذاك أرادوا دعم نفوذهم السياسي في أملاكهم من خلال الانشراك في تلك الحروب<sup>(١٣)</sup> ضد الشرق الإسلامي وبالتالي؛ فالحروب الصليبية تعبر عن التنافس السياسي بين الدول الأوروبية مثل فرنسا، وإنجلترا، وألمانيا والمدن الإيطالية مثل جنوة وبيزا والبندقية كذلك لانغفل أن البابوية - على الرغم من أنها في الأصل مؤسسة دينية - إلا أنها مارست السياسة من رأسها إلى أخمص قدميها من خلال مشروع الصليبيات وغبية في تحقيق مصالحها الخاصة بإحكام قبضتها على ملوك الغرب الأوربي وكذلك إخضاع الكنيسة الشرقية لبطريرك الكنيسة الكاثوليكية الأم في روما<sup>(١٤)</sup>.

---

Mayer, The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford 1987, p.6.

-١-

وعن الباحث الديني بمصنف عامة أنظر: عبدالله الربيعي، «الدوافع الدينية للحركة الصليبية» ضمن ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية، اتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٢٩ - ص ١٢٢

محمد صابر منصور، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، ط. بنى غازي، ١٩٩٦م.

٢- عن ذلك انظر سليمان المراهشة، الصراع الفاطمي - السلجوقي في بلاد الشام ٤٤٧ - ٥٦٦ هـ / ١٠٥٥ - ١١٧٠م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٠م، ص ٢٠٩ - ص ٣١٧

٣- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٠

٤- نفسه، ج ١، ص ٢٤ - ص ٣٧

وعن دور المدن التجارية الإيطالية في الحروب الصليبية أنظر:

Byrne, " Genoese Trade with Syria in The Twelfth Century ", A.H.R., vol. XXV, 1919-1920, pp. 191-219 .

شارل دبل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ت. أحمد عزت عبد الكريم وولفرين اسكندر، ط. القاهرة ١٩٤٨م، عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠م، مصطفى الكناشي، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي ١١٧١ - ١٢٩١م / ٥٦٧ - ٦٩٠ هـ.

وفيما يتصل بالدافع الاقتصادي؛ نلاحظ أهميته الخاصة؛ حيث أرادت أوروبا القضاء على دور المسلمين كوسطاء تجاريين بين الشرق والغرب، وهكذا رغب المدن التجارية الإيطالية التي شاركت في ذلك المشروع العدواني على الشرق - رغب في المال وكان البنادقة - على سبيل المثال - يقولون «نحن تجار أولاً ثم مسيحيون من بعد ذلك»؛ مما عكس طبيعتهم البرجائية المتأصلة، من زاوية أخرى؛ أرادت البندقية القضاء على منافسة بيزنطة التجارية، وهو أمر تحقق لها في أوائل القرن ١٣م كما ستوضحه الصفحات التالية.

أما من الناحية الاجتماعية؛ نجد أن الحروب الصليبية هي إفراز صادق للنظام الإقطاعي حيث احتوى على الفرسان أو الذين يحاربون، ورجال الكبة أي الذين يشيدون، ثم الأتقان وهم الذين يزرعون، وعانى الأخيرون من سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ولذلك؛ إندمعوا للمشاركة في الصليبيات لتحسين أوضاعهم المعيشية المتردية. ولرب في أنهم دفعوا الشمن فادحاً من خلال اشتراكهم في آتونها<sup>(١)</sup>.

على أية حال؛ قامت الحروب الصليبية من القرب الأوربي، ومن كنيسة روما حيث أن تلك الحروب توصف بأنها فعلية كنيسة Action d'Eglise وقد أرادت تلك الكنيسة الأم إخضاع كنيسة القسطنطينية المارقة بأية وسيلة لسيطرتها.

١- ط. الاسكندرية ١٩٨١م، عفاف صبرة، العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة ١١٠٠ إلى ١٤٠٠م، ط. القاهرة ١٩٨٣م. أحمد عبدالله، التجارة في الساحل الشامي في القرنين ١٢ و١٣م، رسالة ماجستير غير منشورة. دراسة أكاديمية قيسة بالعربية عن الجانب التجاري عصر الحروب الصليبية وقد أشرقت عليها بالاشتراك مع أ.د. أحمد رمضان، سبيل نعيم، «العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية». ومصر والشام في القرنين ١١ و١٢ الميلاديين في ضوء الوثائق التاريخية، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير علي أحمد السبه وإبراهيم خبش، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٣٢٨-٣٧١.

٢- عن النظام الإقطاعي في القرب الأوربي في العصور الوسطى أنظر: Coulton (ed.) Feudalism in History, Princeton 1956.

كوبلاند وفينوجرادوف، الإقطاع في العصور الوسطى بقرب أوروبا، ت. محمد مصطفى زادة، ط. القاهرة ١٩٤٥م، إسحق عبيد، الفرسان والأتقان في مجتمع الإقطاع، ط. مبنى غازي ١٩٧٥م.  
وعن الباعث الاجتماعي للحروب الصليبية أنظر: -

جدير بالذكر : فكر البابا جريجوري السابع Gregory VII<sup>(١١)</sup> (١٠٧٣-١٠٨٥م) في الدعوة إلى الحروب الصليبية ، ويلاحظ أن دوره كان بارزاً في التمهيد لقيامها وهناك من يقرر أنه قام بجهود واضحة في إحداث تغيرات جوهرية تجاه الموقف المسيحي من حمل السلاح وبالتالي بوصف بأنه مهد السبيل لقيام المشروع الصليبي ولا تغفل أنه عمل على جذب العناصر المعادية، وحاول إكسابها إلى صف خدمة الكنيسة<sup>(١٢)</sup>

ومع ذلك ؛ فمن المقرر أن صراع ذلك البابا مع الإمبراطور الألماني هنري الرابع Henry IV (١٠٥٦-١١٠٥م) أعاقه عن تنفيذ مشروعه في شن الحروب الصليبية<sup>(١٣)</sup> تاركاً ذلك الأمر لمن أتى من بعده من البابوات .

= قاسم عبده قاسم ، المراجع الاجتماعية في الحركة الصليبية ، نثرة التاريخ الإسلامي والوسط ، م (٢٢) ط . القاهرة ١٩٨٢م ، ص ١٨٩ - ٢٣٢

١- جريجوري السابع ؛ بابا ، وقديس تولى المنصب البابوي خلال المرحلة المتعددة من ٢٢ أبريل ١٠٧٣م إلى ١٥ مايو ١٠٨٥م خلفاً للبابا هونوريوس الثاني الذي تولى المنصب البابوي من ٢٨ أكتوبر ١٠٦٦ إلى ٣١ مايو ١٠٧٣م ، وقد آمن جريجوري السابع بسيادة البابوية المطلقة على الامبراطورية ، وتنسب له الأوامر البابوية Dictatus Papae التي تنعكس ذلك ، عنه أنظر :

Kelly , Oxford dictionary of Popes, pp. 154-156 . Ullmann , History of Political Thought ,

The Middle Ages, London 1978, pp. 106-107 , pp. 112-113 .

Keen , The Pelican History of Medieval Europe, London 1976, pp. 77-80 .

ومن المهم هنا النظر إلى ذلك البابا على أنه افرأز لأوضاع الغرب الأروبي حينذاك وعن تلك الأوضاع انظر: عادل زيتون ، تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، ط . دمشق ١٩٨٢م ، ص ١٦٠

٢- هنر البابا جريجوري السابع في خدمة فكرة الحرب الصليبية ، أنظر :

Cowdrey , " Pope Gregory VII and The Bearing of Arms, " in Kedar , Riley - Smith and Hierstand (eds.) , Montjoie Studies in Crusade Hisory in Honour of Hans Eberhard Mayer, Aldershot 1997 , pp. 21-35 .

وبعد كودري من أهم من تخصص في دراسة ذلك البابا ، ولتناز كتاباته بالعمق والتحليل لمواقف البابوية حينذاك .

٣- عن الصراع بين جريجوري السابع وهنري الرابع أنظر : =

على أية حال؛ وصل إلى المنصب البابوي البابا أوربان الثاني Urbanus II<sup>(١)</sup> (٨٩١-٩٠١م) الذي تخرج مثل سابقه من دير كلوني Cluny بفرنسا ، واتجه إلى دعم النفوذ البابوي ، وقد عقد مجمعاً كسبياً في بياكنازا Piacenza بإيطاليا من أجل الدعوة إلى المشروع الصليبي . غير أنه لم يوفق وفكر في عقد مجمع آخر في وطنه فرنسا وبالتحديد في كليرمونت Clermont وفي ذلك المجمع أشعل البابا نيران الحرب العالمية في العصور الوسطى من خلال الدعوة إلى المشروع الصليبي . وبصفة عامة : لا يمكن أن نقبل ما ذهب إليه المؤرخ الأمريكي مايكل هارت عندما تصور أن ذلك البابا من العظماء المائة الذين صنعوا التاريخ فالعظماء التاريخيين يصنعون التاريخ من خلال روح التسامح لا التعصب وسفك الدماء<sup>(٢)</sup>.

تجدر الإشارة : ألقى البابا أوربان الثاني في يوم ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م. خطاباً في المجمع المذكور<sup>(٣)</sup> لم يستغرق إلا وقتاً قصيراً دعا فيها إلى الذهاب إلى الشرق لتخليص

La due . The Chair of Saint Peter, A History of the Papacy , p. 100-101 .

سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ص ٢٥٢-٢٥٧ . نعيم فرح ، تاريخ أوروبا المسياسي في العصور الوسطى ، ص ٢٠٩ ، هارتمان وماركلاف ، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى ، ص ٥٠

١- البابا أوربان الثاني؛ ولد في شاتيون سيرمارين Chatillon - Sur- Marine ، ولد تولى المنصب البابوي من ١٢ مارس ١٠٨٨ إلى ٢٩ يوليو ١٠٩٩م. وذلك خلفاً للبابا فيكتور الثالث Victor III السني تولى المنصب المذكور من ١٠٨٦ إلى ١٠٨٧م عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 158-160 . Cowdrey, " Pope Urban II and the Idea of Crusade .. S.M., 36 . 1995, pp. 721 -742 .

محمود الرويعي ، «قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية» ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة النجف العدد (٤١) ، يوليو ٢٠٠١

٢- مايكل هارت، الأوائل المائة، ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سباتو، ط. دمشق، ٢٠٠٣

ص ٥٦٨

٣- عن خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian, Tennessee 1967 , pp. 62-65

الأساكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين من قبضة السلاجقة ، وإدعى أنهم قتلوا المسيحيين الشرقيين، وذكر أن دماهم المرافقة تنادى وتستصرخ القرعجة ؛ من أجل نجاتهم، وكل ذلك جاء محض افتراء تام- وقدم البابا بإغراءات اقتصادية . من أجل ضمان نجاحه واكتساب ذكر قاعدة مزيده له . كذلك تعرض لمدينة القدس باعتبارها هدف رحلة الحج المسيحي، وتحدث عنها باعتبارها الجنة الأرضية التي شهدت ذكريات المسيحية في عهدها الباكر.

وقال صراحة للحاضرين « اذهبوا إلى أرض كنعان التي تفيض لبنا وعسلاً » كذلك قدم الغفران الكنسى للمشاركين في المشروع المرتقب ، وفور انتهاء البابا من خطابه ؛ صالح الحاضرون صبيحة واحدة هي "Deus Vult" : أى « الله يريد ذلك » ، وكانت صبيحة المسيحية في حربها ضد الإسلام . ومن المرجح أن ذلك المجمع كان أشبه شئ بمسرحية مدبرة من جانب البابا والحضور على نحو أدى إلى مثل تلك الاستجابة الفورية الجماعية ونجاح المجمع المذكور بعد فشل مجمع بياكترا السالف الذكر على أية حال؛ قامت الحملة الشعبية أو ما عرف بحملة

Robert The Monk , in Peters (ed.), *The First Crusade , The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials*, Philadelphia (1971) , pp. 1-4 .

Guilbert of Nogent , in Peters, pp. 6-10 .

جوزيف نصيم يونس ، الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية»، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م (١١١) عام ١٩٦٩م، ص١٩٨ - ص٢٠٥

Munro , "The Speech of Pope Urbanus II at Clermont ", A.H.R., vol III. 1905, pp. 2310 242 .

وهى لاتزال أهم مقالة حتى الآن عن الموضوع المذكور

Asbridge, *The First Crusade , A New History , Roots of Conflict between Christianity and Islam*, Oxford 2004, pp. 32-36 .

والواقع أن المؤلف لايقدم « تاريخاً » جديداً كما يدل على ذلك العنوان الذى يغلب عليه الطابع الدعائى بما يتعارض مع قواعد الكتابة التاريخية المزمرة

الفلاحين التي غلب عليها الإنديلاخ العاطفي ، وعدم الدراية بالقوة السلجوقية ، وظهر فيها دور بارز لرجل يدعى بطرس الناسك<sup>(١١)</sup>. ويلاحظ أن أولئك الفلاحين إندفعوا من الغرب الأوربي إلى بيزنطة ووصلوا إلى القسطنطينية وذلك في عهد الإمبراطور الكيسوس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨٠-١١١٨م)<sup>(١٢)</sup>، ومن المهم إدراك أن بيزنطة عندما طلبت مساعدة الغرب الأوربي كانت تريد عناصر عسكرية محترفة من المرتزقة ، ولم يمكن بدر في خد قادتها البتة أن يصل إليها الآلاف من الفلاحين الذين لا يفقهوا شيئاً في فن القتال ضد السلاجقة الذين كانوا فرساناً أشداء ، باعتراف المصادر الصليبية ذاتها ، وقد أوردت المؤرخة البيزنطية أنا كومنيننا Anna Comnena<sup>(١٣)</sup> وصفا لعناصر الحملة الشعبية فكشفت لنا عن انضمام اللصوص ، وقطاع الطرق والمجرمين في صفوفها ، وهؤلاء هم الذين وصفتهم المؤرخات الصليبية بأنهم جند المسيح !!

وقد طالبوا الإمبراطور الكيسوس كومنين بالسماح لهم بعبور البسفور ؛ ليصلوا إلى آسيا الصغرى ويحاربوا السلاجقة ، وعندما رفض محقراً لهم من خطورة عدوهم ، وراعبته العسكرية ؛ قاموا بسلب ونهب الأملاك الإمبراطورية؛ ولذلك اضطر إلي السماح لهم بالعبور ، وعندما عبروا إلى هناك تلقفتهم سيوف السلاجقة ، وأجهزت على عدد كبير منهم ، ويلاحظ أن الغرب الأوربي اعتقد أن السبب الرئيسي لفشل الحملة الشعبية<sup>(١٤)</sup> يتمثل في

١ - عنه أنظر دراسة هينماير القديمة والجديدة في أن واحد

Hagenmeyer, Peter der Ermit, Leipzig 1879

٢ - عنه أنظر: عبد الغنى محمود عبد العاطي، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الكيسوس كومنين ، ط. القاهرة ١٩٨٣م.

٣ - Anna Comnena, The Alexiad Trans. by Sewter Penguin Book, London , 1979

وأنظر الترجمة العربية الرائعة التي قام بها حسن حبشي، أنا كومنيننا ، الكساد ، ت. حسن حبشي ، الشروع القومي للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.

عن الحملة الشعبية، وفسلها أنظر:

Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana in R.H. C., T.V, Paris 1879, p. 284-289 .

Hagenmeyer, Peter der Ermit, Leipzig 1879. Runciman, A History of The Crusades, vol . 1, p. 121-133 .

بيزنطة دون إدراك أن عناصر تلك الحملة لم تكن تصلح للقتال ولكن ميراث الكراهية والشك كان دائماً يظهر على السطح لكي يفسر كافة السياسات البيزنطية من خلال تصورات خاصة بالغرب الأوربي وضد مصلحة بيزنطة بطبيعة الحال، ولا ريب في أن مرحلة الحروب الصليبية شكلت المرحلة التي تصادمت فيها القوتان الصليبية والبيزنطية .

نتج عن إخفاق الحملة الشعبية : أن قام الغرب الأوربي بتكوين حملة من الأمراء البارزين لكي يقاوموا السلاجقة، وبالفعل شارك فيها كل من بوهيموند Bohemond<sup>(٢١)</sup> ابن روبرت جوريسكاره Rober Guiscard<sup>(٢٢)</sup> الزعيم النورمانى ، وتانكره Tancred وروبنود كونت تولوز Raymond of Toulouse<sup>(٢٣)</sup> وجودفرى دي برون Godfrey de Bouillon<sup>(٢٤)</sup> ، وشقيقه بلدين، كذلك كان هناك المندوب البابوي أدهمار Adhmar، وعندما وصلت حملة الأمراء إلى بيزنطة: تجددت الشكوك بين الطرفين . وأراد الإمبراطور الكسبوس كومنين أن يقسم له أفرادها بين الرلااء، والطاعة فقبل البعض ، ورفض البعض الآخر، واتجه إلى أن

جوزيف نعيم يوسف ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، ص١٤١-١٧٠

يقدم حالياً تلميذى محمود كامل محمد العبد بكلية الآداب- جامعة أسبوط بإعداد أطروحته للماجستير عن الحملة الشعبية ، تحت ، إشرافى بالاشتراك مع د. عز العرب محمد

٢- عنه أنظر: Fulcher of Chartres, 28-29 .

٣- عنه أنظر : Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch . Amsterdam 1970 . pp. 9-51 .

٤- عنه أنظر " Nicholson, Tancred : A study of his Career and Work in Their relation to the Latin States in Syria and Palestine . Chicago 1940 , pp. 20-102 .

٥- عنه أنظر William of Tyre, vol . I , p. 139 , Hill . Raymond IV Count of Toulouse . Syracuse 1902 .

٥- عنه أنظر: William of Tyre, vol . I , p.

سرور عبد الصم، «جودفرى برون حاكماً للكيان الصليبي في الشام» مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط، عدد (١٤) مارس عام ٢٠٠٤م، ص٢٢٩-٢٧٩

يحفظ حقوق الإمبراطورية من خلال عقد إتفاقية القسطنطينية مع الصليبيين عام ٩٧٠م<sup>(١)</sup>. وكان أهم ما ورد في تلك المعاهدة تعهد الصليبيين بأن يردوا للإمبراطورية المناطق التي كانت تابعة لها ثم استولى عليها السلاجقة وفي المقابل، تقوم بيزنطة بتقديم المؤن؛ والإمدادات، والمرشدين، والأدلاء؛ لمساعدة الصليبيين على تحقيق هدفهم المعلن بالوصول إلى الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين

جدير بالإشارة؛ تمكن فرسان الحسبة النظمية من استعادة نيقية Nicaea التي عادت إلى

#### ١- عن إتفاقية القسطنطينية :

William of Tyre, vol. I, p. 130. Mathieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (٩62-1136) avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque a 1162, ed. M.E. Dulquier, Paris 1858, p. 214.

Lilie, Byzantium and the Crusader States ( 1096-1204), Trans. by J.C., Oxford 1993, p. 23.

فتحية الشراوى، «حياة الامبراطور الكسبوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرن ١٢م»، المجلة التاريخية المصرية، م (٢٧) عام ١٩٨١م، ص٤٧- ص٤٨

عبد الغنى عبد العاطى، السياسة الشرقية، ص٢٩٣

جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين، ص٢٢٢- ص٢٢٣

ومع ذلك؛ من المهم ألا ننفل أن تلك المعاهدة نسختها معاهدة عقدت بين بيزنطة ورومينا، ١١٠٨م وفيها اعتر الأخير نفسه فصلاً تابعاً للكسبوس كومنين وكذلك ولى عهده من بعده، عن تلك المعاهدة أنظر:

Anna Comnena, p. 354 - 355

Finly, History of Greece, Oxford 1877, vol III, pp. 122-123.

Yewalde, Bohemond, pp. 127-130.

#### ٢- عن سقوط نيقية أنظر:

بقرس تودبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م، ص١١١



الامبراطورية البيزنطية، ثم تمت هزيمة السلاجقة في معركة ضورليوم عام<sup>(١)</sup> ١٠٩٧م. بعد أن ضعفت الدولة السلجوقية في أعقاب وفاة ملكشاه آخر السلاطين الكبار عام ١٠٩٢م.

على أية حال ؛ تمكن الصليبيون من تحقيق عدد من الانتصارات على المسلمين من خلال قوتهم القانية ، وكذلك الصراع السلجوقي- الفاطمي بالإضافة إلى الاستفادة من الخلافات الطائفية في بلاد الشام حيث استفادوا من دعم عناصر الموارنة في لبنان وغيرهم ؛ وتمكنوا من تكوين عدة كيانات سياسية في صورة إمارة الرها Edessa<sup>(٢)</sup>.

---

Raymond d'Aguilers, *Historia Francorum*, Trans. by John Hill and Laurita Hill, -١ Philadelphia 1968, p. 27-28.

مجهول . أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس . ت. حسن حبشي . ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ٣٨- ص ٤٢.

٢- الرها: مدينة باللم الجوزية وقعت فيما بين الموصل وشمالي بلاد الشام ما بين مرعش وشمش ، واعتبرت ذات مكانة خاصة لدى المسيحيين نظراً لوجود القديس الذي يقال أن السيد المسيح إستعمله ولذلك حظيت باهتمام الرحالة الأوروبيين الذين زاروها ، وأشاروا إليها في مؤلفاتهم كذلك عني بإيراد أسرها الجغرافيين المسلمين، عنها أنظر: أهرنفاث، تقويم البلدان، ص ٢٧٦- ٢٧٧، ابن شاهين . زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك . تحقيق بول وانيس . ط. باريس ١٨٩٧م، ص ٥٩ . الحصري، الروض المعمار في خبر الأنظار ، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٥م، ص ٢٧٣.

Eucherius, *Description of Jerusalem*, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol. III, London, 1892, p. 19.

Silvia of Aquitana, *Pilgrimage to the Holy Places*, pp. 34-35.

Segal, *Edessa, The Blessed City*, Oxford 1970.

يوسف بخدادى . والرها و المشرق، السنة (٨) . العدد (٤) . بيروت ١٩٩٥م، ص ٣٩ . شاكراً أبوبدر، الحروب الصليبية ، والأسرة الزنكية، ط. بيروت، بحث، ص ١٤٧.

ويعن إمارة الرها أنظر: عليه الجنزوري، إمارة الرها الصليبية . ط. القاهرة ١٩٨٦م. دراسة رائدة عن تاريخ تلك الإمارة لمؤرخة قديرة . محمود الرومى، إمارة الرها الصليبية . ط. مؤتة ٢٠٠٧م. دراسة مهمة، أيضاً: هنادى السيد محمودة ملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلطون الأول ٤٩٤-٥١٢هـ / ١١١٨-١١١٩م، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م، بحث اشرفى وأ.د. أحمد رمضان) ، ص ٢٠- ص ٢٢.

وإمارة أنطاكية<sup>(١)</sup> ومملكة بيت المقدس وذلك بعد أن دخل الفزاة المدينة المقدسة في يوم الجمعة ١٥ برليس ١٠٩٩م<sup>(٢)</sup>، حيث أحدثوا بها مذبحه مروعة راح ضحيتها عشرات الآلاف

١- مدينة بيسالي بلاد الشام وهي حاضرة نهر العاصي- وتقع على بعد نحو ١٢٠٠ كم تقريباً. إلى الغرب من حلب، استولى عليها المسلمون عام ١٢٥م على يدى أبو عبيدة بن الجراح، ومن بعد ذلك سيطر عليها البيزنطيون واستعادها السلاجقة، عنها انظر ياقوت معجم البلدان، ج ١، ص ٢١٢-٢١٦

أحمد وصلى زكريا، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية ط. دمشق ١٩٨٤م، ص ٩٦-١١٤، وعن تلك الإمارة الصليبية انظر: Cahen, La Syrie du nord a l'epoque des Croisades, Paris 1940.

وهي أفضل دراسة عنها حتى الآن. أنظر أيضاً: حسين عطية، إمارة أنطاكية الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م، إمارة أنطاكية والمسلمون، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م، كمال أمين محمد حسب الله، إمارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨-١٢٦٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٩٠م، وهي دراسة مهمة تناولت تلك الإمارة الصليبية من التأسيس حتى السقوط.

٢- عن تلك اللوحة انظر:

Anonymous, The deeds of The Franks and other Pilgrims to Jerusalem, Trans. by R.Hill, London 1962, p. 51, Fulcher of Chartres, p. 122.

Hagenmeyer, "Chronologie de la Premiere Croisade", R.O.L., T.VII, Année 1899, p. 477-479

ابن الفلاس، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٧، . ابن ميسر، منتخبات من تاريخ مصر P.H.C., Hist. Or., III, p. 463، ابن كثير، الاجتهاد في طلب الجهاد، ط. القاهرة ١٣٤٧هـ، ص ١٩، الصيوطي، تاريخ الخلفاء، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص ٤٢٧، البانسي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ، ج ٢، ص ١٥٤، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ، ج ٩، ص ١٠٨، رنسيان، المسيحيين العرب في فلسطين ط. اسكس ١٩٦٨م، ص ١٤، ميخائيل اسكندر

القدس عبر التاريخ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ٥٧- ٥٨، سعيد عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص ١٠، مصطفى الحباري، القدس زمن الفاطميين والغزنجة، ط. عمان ١٩٩٤م، ص ٤٤، شولي شعث، القدس العربية الإسلامية الماضي، الحاضر المستقبل، ط. الشارقة ٢٠٠١م، ص ٣٩- ٤٠

Gouen, " Contemporary Letters on the Capture of Jerusalem by The Crusaders", J.J S., vol IX, 1952, pp. 162-177

من المسلمين، وفيما بعد أقاموا إمارة في طرابلس بشمالى لبنان<sup>(١)</sup>.

وبلاحظ هنا : أن الرجوع الصليبي في بلاد الشام جعل الإمبراطورية البيزنطية أمام عدة اختيارات صعبة بل ومتناقضة في آن واحد، فهي تكره الصليبيين ولا تثق فيهم خاصة من خلال «الثراث» العدائى المتراكم السالف الذكر، وفي ذات الحين : تحتص بذلك العدو الذى ليس من صداقته بل لمواجهة الخطر السلجوقي. ومن ناحية أخرى؛ لا تريد أن يقضى الصليبيون على القوى الإسلامية المحلية البارزة حتى لا تواجه بيزنطة بعد ذلك الخطر الصليبي منفردة، وهكذا؛ لعبت تلك الإمبراطورية ذات الحيرة المربضة في التعامل مع الأعداد . وما أكثرهم ، والأصدقاء وما أقلهم؛ لعبة توازن القوى Balance of Powers . وهي لعبة خطيرة خاصة أنها تأكدت فيما بعد من أنها استعانت بلص غريب لمساعدتها في التعامل مع الأتراك السلاجقة؛ ولانفغل هنا؛ الإشارة إلى أن تلك الإمبراطورية دفعت ثمنها فادحاً خاصة مع تزايد الأطماع اللاتينية فيها

على أية حال ؛ كان القرن الثانى عشر هجرية مريرة في أمر العلاقات البيزنطية - الصليبية وشكل ميراثاً مريباً للعداء بين الطرفين .

بصفة عامة ت: توفي الكسبروس كومنين عام ١١١٨م، بعد أن قام بطور بارز في التاريخ البيزنطى ومن خلال استخفاؤه لأقصى وسائل الدبلوماسية والمحيلة والمخدر في التعامل مع الصليبيين، وتمكن من استغلال الضعف الذى حل بالسلاجقة عقب وفاة زعيمهم قلع أرسلان وشن هجوماً عليهم عام ١١١٩م<sup>(٢)</sup>، وهكذا . عندما توفي كانت الإمبراطورية تسطر على

١- عنها أنظر: Richard , la comté de Tripolis sous la Dynastie Toulousaine , Paris, 1945 .

عبد العزيز عبدالنديم، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م : نهي الجوهري بإعداد أطروحتها للماجستير عن إمارة طرابلس في القرن ١٢م . رسالة ماجستير غير منشورة عام ٢٠٠٧م، فليب حتى لبنان في التاريخ، ت. انيس فريجه . وتقولا زياده ، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص١٨٨ . أنيس فريجه . أسماء المدن والقرى اللبنانية ، وتفسير معانيها : الجامعة الأمريكية ببيروت ط. ١٩٥٦م . ص٢٠٧ . حكمت بك شريف ، تاريخ طرابلس ، الشام من أقدم أزمانها . تحقيق منى حداد بكن، وصارى عيسى خورى ، ط. طرابلس ١٩٨٧م، ص١١-٢٤

٢- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٩٢ . وعن الكسبروس كومنين أنظر بالتفصيل: =

الأناضول ، وطرابزون ، والساحل الجنوبي لآسيا الصغرى ، وكذلك ساحل البحر الأسود ، ودل ذلك ؛ على قدرته على محاولة إعادة بعض الأملاك البيزنطية التي فقدت من قبل ، وعلى الرغم من ذلك ؛ إلا أن المسار العام للتاريخ البيزنطى لم يعد إلى الصعود الذى وجدناه فى مراحل سابقة ، ويمكن اعتبار عهد آل كومنين بصفة عام بأنه «صحة» مؤقتة من بعدها كان ينتظر بيزنطة حدث جلل ؛ كما سيتضح من عرضنا التالى<sup>(١)</sup>.

من بعد الكيسوس كومنين ؛ تولى العرش حنا كومنين<sup>(٢)</sup> John Comnenus خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١١٤٣م. وقد حاول جاهداً إرجاع بعض المناطق التى فقدتها الإمبراطورية منذ

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by E.R.A.Sewter, Penguin Book, London 1979 -

عبد الفتى محمود عبد العاطى ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الكيسوس كومنين ، ط. القاهرة ١٩٨٢م. وهى أفضل دراسة عربية فى موضوعها . فتحية النبراوى ، «حياة الإمبراطور الكيسوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن الثانى عشر الميلادى» . المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٧) عام ١٩٨١م.

أمال حامد غانم زيان ، الإمبراطور الكيسوس كومنين والحملة الصليبية الأولى فى ضوء كتاب الكيساد رساله ماحسنته غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥م.

ولا يخلو كتاب عن المهروب الصليبية أو التاريخ البيزنطى بصفة عامة ، إلا ويتناول به بصورة أو بأخرى.

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٩٢

٢- حنا كومنين ؛ هو الابن الأكبر للإمبراطور الكيسوس كومنين وقد حكم خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١١٤٣ وقد توفى خلال حادثة صيد فى أبريل من العام المذكور، عنه أنظر:

حنا كومنين بالتفصيل أنظر:

Kinnaunos , Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans. by Charles M. Brand, Columbia 1976 , pp. 13-31

Nicol, A Biographical Dictionary . p. 55 .

Hussey , The Byzantine World , pp. 60-62 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, vol . II, p. 375- 376 .

Ousrogorsky . History of the Byzantine State, pp. 333-337

عبد الحفيظ محمد على ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عصر حنا كومنين ١١١٨-١١٤٣م. رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٨١م. ص ٧٣-٧٩ .

زمن بعيد ؛ غير أنه لم ينجح في حل المشكلة الأنطاكية المزمنة ؛ مما عكس أن هناك حدوداً محددة كانت تواجه أفاق السياسة البيزنطية ولم يكن من الممكن البتة أن تتجعد بيزنطة في عهده وكذلك عهد سلفه من تحقيق «الحلم الأنطاكي» البعيد النال والذي كان أشبه شيء بالمرآب ١

ومع ذلك يذكر لنا كومتين حصافته السياسية وعدم إندفاعه ووجود مستشارين أفاده في صنع قراراته السياسية<sup>(١)</sup>.

ومن بعده : تولى العرش الإمبراطور مانويل كومنين الذي حكم خلال المرحلة من ١١٤٣ إلى ١١٨٠ م<sup>(٢)</sup> في فترة من أخطر الفترات في التاريخ البيزنطي والعلاقات بين الشرق والغرب عصر الصليبيات.

---

١- وتعد الدراسة الأكاديمية الوحيدة باللغة العربية المتخصصة عن ذلك الإمبراطور البيزنطي. وقد أجاد فيها مؤرخها الراحل .

١- محمد محمد مرسى الشيخ . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. ص ٣٤٦-٣٤٧

٢- مانويل كومنين : هو مانويل كومنينوس الذي عرف بالأول وتولى العرش البيزنطي خلال المرحلة من ١١٤٣ إلى ١١٨٠ وبعد الأربعين الرابع ليوحنا الثاني كومنينوس الذي قام باختياره كولي للعهد عام ١١٤٣ م . ويلاحظ أن أمه تنحازة الأصل . عنه أنظر :

Nicol, A Biographical dictionary , pp. 78-79 .

وأفضل ، وأشمل دراسة عن ذلك الإمبراطور هي تلك التي أعدها بول ماجدالينو Paul Magdalino بعنوان إمبراطورية مانويل كومنين ١١٤٣-١١٨٠ وصدرت من جانب جامعة كامبريدج عام ١٩٩٧ م. أنظر .  
Magdalino , The Empire of Manuel I Comnenos 1143 - 1180 , Cambridge 1997

وقد وقعت في ٥٥٧ صفحة اعتماداً على غزارة بليوغرافية مصدرة ومرجعية غير مسبقة وقدره على التحليل والعرض من جانب أستاذ حقيقي خبير في الدراسات البيزنطية . وهذه هي المرة الأولى على ما أعلم التي يخصص فيها مؤرخ أديبي دراسة يمثل هذا الفروع والشمول عن ٣٧ عاماً فقط من عمر التاريخ البيزنطي القديم البالغ أكثر من ١١ قرناً كما أسلفت مراراً من قبل . وليس معنى ذلك الاتفاق التام مع كل ما ورد فيه بشأن تهميم ذلك الإمبراطور البيزنطي أنظر أيضاً

Vasilev History of the Byzantine Empire, p. 417-418 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 337-350

ويلاحظ أن سياسته الشرقية، والغربية؛ ارتبطتا معاً ارتباطاً وثيقاً؛ فنجد أنه واكب مشروعاته في تدعيم السيادة البيزنطية في الشرق اللاتيني؛ تدهور وضّاح في نفوذه في الغرب؛ إذ ثارت البندقية ضده، وقد باء مشروعه مع البابوية في توحيد الكنيستين الشرقية، والغربية بالإخفاق<sup>(١)</sup>؛ إذ أن البابا لم يكن ليتقبل أن يكون مجرد بطريرك بيزنطي في روما<sup>(٢)</sup>.

وقد شغل مانويل كومنن اهتمامه بمشاكل الغرب عن مواجهة صراعات الشرق، وهناك من يقرر من أنه خلال منتصف القرن الثاني عشر كان يحتاج فقط إلى حشد قواته لكي يقضى على سلطة قانونية السلجوقية غير أنه ابتعد عن ذلك بسبب طموحاته المتعلقة بالسياسة الغربية<sup>(٣)</sup>. وكذلك استخفافه بالخطر السلجوقي خلال تلك المرحلة.

ويأخذ البعض على ذلك الإمبراطور: إتباعه سياسة دفاعية لمدة طويلة، إذ أنه خلال الأعوام الواقعة بين عامي ١١٦٤، ١١٧٥م؛ أي على مدى أحد عشر عاماً كاملة، ألزم نفسه بإتباع تلك السياسة، واتجه إلى تحصين تخومه، وعندما أدرك الخطر متأخراً؛ اتجه إلى إتباع سياسة هجومية غير أن ذلك جاء بعد فترات الأمان، وكان ذلك من عوامل الهزيمة الفادحة المنكرة، والفضيحة، التي لقيها على يدي قلع أرسلان السلجوقي في موقعة مريكايفالون Myrioccephalon<sup>(٤)</sup> في ١٧ سبتمبر ١١٧٦م، والتي شهدها الإمبراطور نفسه بأنها مثل معركة مانزكورت التي وقعت في ١٦ أغسطس ١٠٧١م، وقد أدت معركة مريكايفالون إلى عده من النتائج يمكن إجمالها على النحو التالي:

١ - عمر كمال تولىق، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٩٨

٢ - نفسه، نفس الصفحة.

٣ - نفسه، ص ١٩٤

٤ - وقعت مريكايفالون Myrioccephalon في منطقة قريبة Phrygia في آسيا الصغرى Asia Minor إلى الشرق من كوسا Choma ويلاحظ أن كلمة مريكايفالون ذاتها تعني ألف رأس وما يذكر أن الآلاف من البيزنطيين هلكوا في ذلك الموقع أكثر من مرة !

وعن تلك المعركة انظر

Kinnamos, p. 146-147

أولاً : قضت على هيبة بيزنطة، ومكانتها السياسية والعسكرية التي كانت سلاحها الأول في مواجهة منافسيها في القرب الأوربي وكذلك الصليبيين في الشرق اللاتيني.

ثانياً : أدت تلك المعركة إلى القضاء على أى أمل بيزنطى في استعادة آسيا الصغرى من قبضة السلاجقة القوية، على نحو يجعلنا نقرر أن كيغاليون مكحلة لما تذكرت .

ثالثاً : اعتبرت المعركة المذكورة إنتصاراً كبيراً للإمبراطورية الغربية وللفردريك باربا روسا (١١٥٧-١١٩٠م) نفسه الذى توهم ذلك الإمبراطور البيزنطى أنه ند له. ولكن على الرغم من كل ما حل بالإمبراطورية؛ إلا أن قيادتها السياسية لجأت إلى الانتقام من الإمبراطور

Nicetas Choniates, O'city of Byzantium, Annales of Niketas Choniates, Trans. by = Harry Magoulas, Trans. by Harry Magoulas, Wayne State University, Detroit 1984 , pp. 101-107 .

Michael Le Syrien , Chronique, T. III, p. 371 .

O.D.B., vol . 2 , p. 1449 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 428- 429

Hussey . The Byzantine World, p. 66 .

Nicol, A Biographical dictionary', p. 79

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 649 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 119 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 347 .

على عمده الضامدى . « معركة مرياكيفاليون ١١٧٦م . » مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى - مكة المكرمة، العدد (١) ، العام الأول عام ١٤٠٩هـ، ص١٢٢- ص١٥٠ . شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص٢١١ . محمد عبد الشافي المغربي، آسيا الصغرى في العصور الوسطى دراسة في التاريخ السياسي والحضارى (القرن ١١-١٤)، ط١. الاسكندرية ٢٠٠٣م، ص٢٢٠- ص٢٢١ محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص٢٧٢- ص٢٧٣ . أند رستم، الروم، ج٢، ص١٥٧- ص١٥٨ . جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية . ص٢٣٨ . على صالح المحبسد، الفاشتمديون وجهادهم في بلاد الأناضول . ط١. الاسكندرية، ١٩٩٤م، ص٢٣٣، حاشية (١) . محمد زكى نجيب، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنن ١٠٨١-١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٨٨م، ص١٨٤

الامبراطور الألماني. وذلك من خلال تشجيع القوى الثائرة ضده في إيطاليا وامدادها بالأموال . واستمر ذلك الأمر قائماً حتى وفاة مانويل كومنين عام ١١٨٠م<sup>(١١)</sup>.

ولانتغل، أن ذلك الامبراطور توافرت لديه اهتمامات كبيرة بالسياسة الغربية . ويلاحظ أن تلك الاهتمامات شغلته عن سياسته الشرقية التي اتبع فيها الجانب الدفاعي كما أسلفت . ولانتغل أن عجزاً عن التوازن بين السباستين الشرقية والغربية كان خطأ القتال الذي وقع فيه يسبب ضعفه السياسي.

جدير بالإشارة : حاول الإمبراطور المذكور حل «العقدة المستحكمة» في العلاقات البيزنطية - الصليبية ممثلة في المشكلة الأنطاكية ، والواقع : أنه كان أضعف من أن يجد لها حلاً ؛ وعلى الرغم من استخدامه كافة الوسائل السياسية، والدبلوماسية إلا أن ذلك لم يمكنه من تجاوزها

لقد ألزم مانويل كومنين أمير أنطاكية ريموند دي بواتيه Raymond de Poitiers (١١٣٦-١١٤٩م) على الحضور إلى القسطنطينية . وقدم اعتذاره للإمبراطور بل إنه اعتبر نفسه فضلاً تافهاً له عام ١١٤٥م، ومن بعد ذلك؛ وفي عام ١١٥٨م؛ قام ذلك الإمبراطور بغزو كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى . وعامل أمير أنطاكية رينودى شاتيون Renauld de Châtillon (١١٥٣-١١٦٢م) على نحو قاس وألزمه بالخضوع له<sup>(١٢)</sup> . ويلاحظ هنا: أن انتصاره في كيليكيا رجع إلى فرار ثوروس الأرميني Thoros of Armenia<sup>(١٣)</sup> وعندما علم رينودى شاتيون بتلك التطورات اتجه إلى تقديم الاعتذار للإمبراطور شراً لمسأسته . وتوج

١- جوزيف تسيب يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٢٣٨

William of Tyre, vol. II, p. 276 .

-٢-

Schiumberger, Renauld de Châtillon Prince d'Antioch au Temps des Croisades. Paris 1933  
p. 102 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 125 .

٣- محمد مؤنس عرض. في الصراع الإسلامي - الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية . ص ١٩٢

ورينودى شاتيون: فارس فرنسي قدم إلى بلاد الشام خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩ مرفقة الملك لويس السابع . وقد تزوج من الأرملة كونستانس أميرة أنطاكية عام ١١٥٣م. وقد وقع في أسر المسلمين سبعة عشر عام . وتزوج شينغاني دي مبل في نوفمبر عام ١١٧٧م . وقد أختنع قلعة الكرك=



سانويل كومنين مكاسبه السياسية بأن دخل مدينة أنطاكية عام ١١٥٩م<sup>(١)</sup> في مركب مهيب،

= لسيطرته وبالتالي اعترض طريقه دمشق - القاهرة . وأعد حملته على الأماكن المقدسة الإسلامية عام ١١٨٢م. ولكن تم إجهاشها . وقد قتل صلاح الدين الأيوبي أرناط في ٤ يوليو ١١٨٧م في معركة حطين الحاسمة . عنه أنظر:

Ernoul , *Chronique d' Ernoul Bernard le Tresorier* , ed., Mas Latrie , Paris, 1971 , p. 69-70

أبن منكلى ، الأحكام الملوكية والضوابط النورية في فن القتال في البحر ، تحقيق عبد العزيز عبد الدائم ، رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م. ص ٨٥-٨٦ ، حصين ربيع ، البحر الأحمر في العصر الأيوبي ، ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، إشراف أحمد عزت عبد الكريم . ط. القاهرة ١٩٨٠م. ص ١٠٨-١١١ ، عائشة بنت عبد الله ، البحر الأحمر في العصر الأيوبي ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م. ص ٤١-٤٤ . حسن عبد الوهاب ، مصر وأمن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية ، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٢م. ص ٢٠٢-٢٠٦ ، عبد النعم ماجد ، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٩٧م. ص ٧٤ ، يوسف درويش غورانف ، إمارة الكرك الأيوبي ، ط. عمان ١٩٨٢م. ص ١٢٧-١٣٦ ، عبد الرحمن زكي ومحمود عيسى ، الحروب بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٤٧م. ص ٣٢ ، جميل حرب محمود ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ط. جدة ١٩٨٥م. ص ٦٨-٧٥ . محمود رزق محمود ، العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى معركة حطين ١١٨٧م. رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس .

Hamilton, "The Elephant of Christ, Reynald of The Crusades, 900-1300, in *Monastic Reform Catharism and The Crusades, 900-1300*. London 1979, pp. 90-103

Hamilton, *The Leper King and his heirs* , Baldwin IV and the Crusader Kingdom of Jerusalem Id, Cambridge 2000, p. 178-1179 . Friedman, *Encounter between Enemies, Captivity and Ransom in the latin kingdom of Jerusalem*, Leiden 2002 , pp. 85-86 .

سعيد البشراوي. الأراضي الزراعية ومستجانيها في الحلب في العصر الفرنجي ٤٩٢-٤٨٢ هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م. ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تحرير محمد مؤنس عوض . ط. القاهرة ٢٠٠٣م. ص ٦٦ حاشية (١٨)

Kinnamus, p. 142-143 .

-١

Chalandon, Jean II Comnenes et Manuel I Comnene, T. II, Paris 1912 , p. 451-452

ومعه كافة الأشعة الإمبراطورية ومن خلفه الملك الصليبي بلدوين الثالث Baldwin Renauld de Chatillon III (١١٤٤-١١٦٣م)، وريتودي شاتيون ، وقد تصور العلامة فازيليف Vasiliev : أن دخول مانويل أنطاكية بعد انتصاره بارزاً للسياسة البيزنطية وجاء نتاجاً لما زاد على الستين عاماً من الجهد البارز في ذلك النطاق<sup>(١١)</sup> . وإن كنت أتصور أنه انتصار «شكلي» يرضى طموحه كإمبراطور دون أن ينتج عنه أية نتائج سياسية حقيقية لصالح بيزنطة على الأرض .

من ناحية أخرى؛ يوجد في كنيسة الميلاد بيت لحم نقش يرد فيه اسم مانويل كومنين جنيًا إلى جنب مع اسم الملك الصليبي عموري الأول<sup>(١٢)</sup> Amaury I (١١٦٣-١١٧٤م) بمناسبة أحداث تجديدات بها شاركت بيزنطة فيها ، وقد وقع الخلاف بين المؤرخين في تحليل دلالات ذلك النقش . وهل يعنى أن الإمبراطورية البيزنطية كانت لها سبابتها على الكيان الصليبي . والمراجع أن النقش المذكور دلّ على رغبة بيزنطة في رعاية الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين حيث اتجهت إلى ترميم تلك الكنيسة ، والأمر المؤكد ؛ أن ذلك الموقف من جانب تلك الإمبراطورية استفادت منه في الدعاية السياسية لها إذ أنها تصورت وجود سيادة لها على الوجود الصليبي شرقي البحر المتوسط Levant ؛ غير أنه من الناحية العملية لم يكن هناك تأثير حقيقي بيزنطي من الناحية السياسية على الصليبيين . وفي حالة حدوث ذلك لعلّت المشكلة الأنطاكية الأمر الذي لم يحدث .

---

Hussey , " The Later Macedonians, The Comneni and The Angeli " , C.M.H., vol V, = p. 234 .

Baldwin , " The Latin States under " Baldwin III and Amari I 1143-1174 in Setton (ed.), IL, Pennsylvania 1958, p. 544

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 80 .

Corpus Inscriptionum Graecorum , vol . IV , p. 339 .

٢ - عنه أنظر

وقد شاهد النقش المذكور الرحالة اليوناني يوحنا فوكاس . عن ذلك أنظر:

Joannes Phocas, Abrief Description of the Holy land . Trans. by A. Stewart, P.P. T.S, vol V , London 1896 , p. 19

واقع الأمر : أن الصليبيين كانوا أكثر دهاءً من الإمبراطور مانويل كومنين، فقد جعلوه يتوهم أنه صاحب سيادة سياسية عليهم<sup>(١١)</sup>، لكن واقعياً لم يكن له تأثير عملي ملموس على نحو يؤكد عكس إدعاءات الإمبراطورية بأنها نالت مكاسب جديدة على الصعيد السياسي سواءً في أنطاكية أو في قلب مملكة بيت المقدس اللاتينية مثلما توحي بذلك بعض الكتابات المصدرة البيزنطية وكذلك المراجع المتحازة لذلك الإمبراطور

وقد تصور البعض: أن مانويل كومنين حقق إنجازات تاريخية كبرى وبالتالي؛ لم ينسبوا إليه أية سلبيات وذلك بعد أن وقعوا في أسر الإعجاب المفرط به وكانوا بذلك ضحية كاريزما القائد، ولرد على ذلك الانحياز نورد الآتي:

أولاً: جاءت هزيمة مراكيفالون السالفة الذكر، وعلى ذلك النحو المهين من جانب الأتراك السلاجقة، وكأنها تقرب من أن تكون بمثابة «الاحتفال الثوبى بكارثة مانزكورت»<sup>(١٢)</sup>، مع استثناء ستة أعوام فقط على الهزيمة الأولى- وقد جاء الانتصار السلجوقي على بيزنطة في أحد المعارك الجبلية بأسيا الصغرى؛ ليقضى على ما بقى للجيش البيزنطي من هيبة، وهي تذكرنا بهزيمة باسل الثاني في محر جبلي على أيدي البلغار من قبل.

١- من المهم الرجوع إلى ذلك المقال المتأخر القديم الجديد الذي أعده جون لاهوت :

La Mone, " To what extent was The Byzantine Empire The Suzerian of the Latin Crusading State, " B., vol . 1923, pp. 253-264 .

٢- ويقر المؤرخ البارز برنارد هاملتون Bernard Hamilton في معرض تناوله لمعركة مراكيفالون أنها كانت ضربة لمكانة وهبة مانويل كومنين أكثر من كونها موجبة إلى فوته العسكرية ولا تغفل أن قلع أرسلان لم يكسب مناطق جديدة على الأرض، دون أن ينكر ذلك المؤرخ أنها كانت هزيمة كبيرة على نحو جعلها تشبه معركة مانزكورت، وقد قرر أن بيزنطة كانت لديها القدرة في صورة أسطرها الذي عمل مانويل كومنين على إعادة بنائه، وكانت بيزنطة بمثابة القوة القادرة على دعم الشرق اللاتيني في مواجهة المسلمين وفي تقديرى إن ذلك رأى جانبه الصواب، فلو لم تكن ذات تأثير عسكري كبير لما شبت بكارثة مانزكورت، وهو أمر أقره ذلك الإمبراطور شخصياً والمؤرخ برنارد هاملتون نفسه، وأنصهر أن هبة مانول وهبة الجيش البيزنطي تأثرت تأثيراً كبيراً بأحداث مراكيفالون بغض النظر عن جزئية اكتساب قلع أرسلان لأراض جديدة أم لا، ولا تغفل أن تثبيت الرضخ القائم لصالح السلاجقة بعد مكسباً عسكرياً، وسبباً بكل المقاييس وهو ما أغفله المؤرخ المذكور. أنظر رأيّه :-

لقد نظر الغرب الأوربي إلى الامبراطورية البيزنطية من بعد تلك الحادثة نظرة الاستهانة والإزدراء أكثر من ذي قبل؛ إذ أن هيبة، ومكانة الإمبراطورية البيزنطية صارت موضع شك كبير، بل ولم يعد هناك من يتصور أن الجالس على خفاف السفور يمكن أن يتنادى بالسيادة العالمية التي لم تكن سوى في مخيلته فقط دون أن يملك شيئاً من الواقع خاصة بعد أحداث كارثة ١١٧٦م، ويلاحظ أنه خلال القرن ١٢م؛ نجد أن الإمبراطور فردريك بارباروسا خليفة أثير مرياكيفالون؛ كتب يازدراء لمانويل كومنين رسالة يخاطبه فيها بأنه ملك اليونان، وأنه وملكته يعدان جزءاً لا يتجزأ من إمبراطوريته الرومانية<sup>(١)</sup>.

جدير بالإشارة أن الهزائم العسكرية، والإخفاق السياسي صاحب ذلك الإمبراطور عدة مرات وكى لا يتصور البعض أن مرياكيفالون بمثابة الهزيمة المنفردة في تاريخه؛ نود الإشارة إلى مرقعين يعكسان تأصل «مفهوم» الهزيمة في سلوك مانويل كومنين على النحو التالي:

١- يكفى الإشارة إلى معركة حارم التي وقعت عام ١١٦٤م<sup>(٢)</sup>، التي حدثت بين التحالف البيزنطي- الصليبي- الأرمني ضد نور الدين محمود مؤسس الدولة النورية

Hamilton, " Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem " in Chrysostomides (ed.)  
Kathegetria, Essays Presented to Jean Hussey for her 80 th birthday, Cambridge 1988, p.  
361

١- محمد سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١١

٢- وقعت حارم ضمن إمارة أنطاكية الصليبية، وهي حالياً ضمن محافظة أدلب عنها أنظر: محمود سعيد عمران، الساسة الشرقيون، ص ١٨٥، فتح عثمان، المعهود الإسلامية- البيزنطية، ج ١، ص ٢٣٩  
وعن معركة حارم أنظر

عبدالله بن سعيد القاصدي، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عباد الدين زنكي وأبيه نور الدين محمود، جامعة أم القرى، سلسلة بحوث الدراسات التاريخية، مكة المكرمة ١٤١٦هـ، ص ٤٨

Anonymous Syriac Chronicle, p. 303.

William of Tyre, vol. II, p. 306-308.

Jacques de Vitry, History of Jerusalem, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol. XI, London 1896, p. 94.

(١١٤٦-١١٧٤م) وقد قاد القوات البيزنطية القائد قسطنطين كارلومان Constantine Car-roman ، وخلال أحداثها هزمت قوات التحالف وتم الفتح بعدد واخر من القوات البيزنطية بفضل دور بارز لقوات الموصل . ولذا؛ استحق البيزنطيون الذين شاركوا فيها وقدروا كمستلين عن إمبراطورهم؛ سحرية الصليبيين اللاذعة ١

٢- تحالف مانويل كومنين مع الملك الصليبي عمري Amaury (١١٦٣-١١٧٤م) لغزو مصر ، وقد حركت الامبراطور البيزنطي أوهام أن أرض الكتانة كانت يوماً ما من أملاك بيزنطة قبل مقدم الفتح العربي لها في القرن السابع الميلادي ، وقد قام صلاح الدين الأيوبي بتحصين بليبيس ، والقاهرة ، والاسكندرية ، وهاجم الحلف المشترك دمياط عام ١١٦٩م<sup>(١)</sup> ، على نحو أدى إلى فشل ذلك التحالف .

كل ذلك يدل على أن أعوام ١١٦٤م، ١١٦٩م، ١١٧٦م علامات مميزة في تاريخ حياة إمبراطور بيزنطي فاضل إلا أن عام ١١٧٦م عكس هزيمة بارزة لكثانة بيزنطة ذاتها حتى عند الغرب الأيوبي .

---

= ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طلبات ، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ١٢٤ ، ابن عساكر ، ترجمة محمود بن ونكي ، تحقيق نيكيتا السيوف ، مجلة الدراسات الشرقية م (٢٥) عام ١٩٧٢م B.E.O., T.XXV, Année 1972 ، ص ١٢٨ ، العصاد الأصفهاني ، البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، تحقيق كلود كاهن مجلة الدراسات الشرقية عدد عامي ١٩٣٧- ١٩٣٨م، ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشبلي ، ط. القاهرة من ١٩٥٣م، ص ١٤٣ ، ابن العصاد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط. القاهرة ١٣٥١هـ ، ج ٤ ، ص ١٨٩ ، العدوي ، الزيارات ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. دمشق ١٩٥٦ م ، ص ٤٠ ، محمدر سعيد عمران ، معركة حارم ١١٦٤م ، قصة التحالف البيزنطي الصليبي الأرمني ضد نور الدين ، مجلة المشرق العربي ، العدد (٨) عام ١٩٧٧م ، ص ٩٠ - ص ١١٢ ، السياسة الشرقية ، ص ٢٨٥ ، عليه ديب نيرزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمدر ، ط. صيدا ، ٢٠٠٣م ، ص ١١٦-١١٧

Cahen, la Syria du nord , p. 204

حيث يصفها بكارثة حارم "La desastre de Harim"

١- محمدر سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣١٧- ص ٣٢٤

حيث يقدم تحليلًا متنازاً اعتمداً على مقالته القصة عن معركة حارم

ومع ذلك : لا تتضح لنا الصورة كاملة إلا من خلال سياسة الامتيازات التجارية التي بالغ في تقديمها ماثول كرمين للبتافة، على نحو خاص ثم عاد وقام بالغائها، فلاحظ أنه أصدر مرسوماً عام ١١٤٨م ؛ جدد فيه الامتيازات التي كان قد منحها الكيسوس كرمين من قبل عام ١٠٨٢م<sup>(١)</sup>، وقد أقر ذلك المرسوم على حق البتافة في مد حدود حيزهم الخاص بهم في العاصمة البيزنطية، كما أن الإمبراطور قرر كذلك إعفائهم من الجمارك في بيزنترى قبرص، وكرمت التي لم يشملها مرسوم عام ١٠٨٢م<sup>(٢)</sup>.

جدير بالذكر: أن سياسة الامتيازات التجارية للتجار الإيطاليين التي سار عليها ذلك الإمبراطور كان لها أسوأ الأثر على بيزنطة واقتصادها ويقرر البعض ما نصه : « لا ريب في أن الامتيازات التي منحت للتجار الإيطاليين، وبصفة خاصة للبتافة ، قد ألحقت أبلغ الأضرار، وأخطرها في بيزنطة واقتصادها . وأدت إلى منافسات غير شريفة بين هؤلاء التجار الإيطاليين عبر الإمبراطورية، وخلقت الحقد، والحسد في نفوس البيزنطيين الذين نظروا إلى هؤلاء الأجانب وهم يذهبون ثرواتهم، ويسيطرون على أسواق إمبراطوريتهم، واقتصادها بقرة السيف»<sup>(٣)</sup>.

من بعد ذلك : قام الإمبراطور في ١٢ مارس ١١٧١م، باعتقال البتافة ومصادرة أملاكهم على نحو مثل نكبة حفيقية بالنسبة لهم<sup>(٤)</sup>، ومن بعد وفاته عام ١١٨٠م، قامت ثورة شنيقة

١- عن تلك المعاهدة بين الكيسوس كرمين والبتافة انظر :

Anna Comnena , pp. 146-147

Gadolin, "Alexios I Comnenus and The Venetians Trade Privileges: A New interpretation", B. 50, 1980, pp. 439-445

Adelson, Medieval Commerce, New York 1962, p. 160

عادل زينون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب، ص ٣٣٦ ، حاشية (٤)

٢- عادل زينون ، المرجع السابق، ص ٩٧ . وأنظر أيضاً هذه المقالة المهمة

Donstrup, " Manuel's Coup against Genoa and Venice in the light of Byzantine Commercial Policy" C.M., T.X, 1949, pp. 195-219 .

٣- عادل زينون ، المرجع السابق ، ص ٩٨

٤- هابد ، تاريخ التجارة، ص ٢٢٧

ضد اللاتين تفجرت عام ١١٨٢م<sup>(١)</sup> وتم فيها مهاجمة المني البندقي وقتل بهم رجالاً ونساءً وأطفالاً بعد أن ظهرت إلى السطح الأحقاد القديمة ولا تنفل هنا أن ميراث الكراهية المتبادل . وأحداث العام الأخير سيكون رد البنادقة عليها ممثلاً في ما حدث في العاصمة البيزنطية أوائل القرن الثالث عشر الميلادي .

هكذا : كان الأمر مع مانويل كومنين الذي لا ريب في تحمله أكثر من غيره نتائج ذلك . ومن الجلي البين عدم إدراكه لتنامي الخطر السلجوقي إذ تحرك متأخراً بعد أن اختلت كفة ميزان القوى لصالح المسلمين بطبيعة الحال . وهكذا : صار متشدداً بين سياسته الغربية والشرقية . وعندما اتجه إلى الشرق . كانت مريكيفالون بمثابة الدرس القاسي للإمبراطور الذي تأخر طويلاً وأراد أن يقوم بدور أكبر بمراحل من جسمه التاريخي ! وذلك بموضوعية دون التأثير بالرؤية البندقية المعادية له

ومن الأسور ذات الدلالة : أنه بعد (٢٨) عاماً فقط من تلك الهزيمة : كانت القوات الصليبية من الغرب الأوربي تعيس فساداً في القسطنطينية<sup>(٢)</sup> وتحتلها لأول مرة في تاريخها وذلك عام ١٢٠٤م . بعد أن تزايدت الأطماع اللاتينية فيها . وجاءت المعركة المذكورة تعبيراً عن الضعف الداخلي الذي لم يدرك الإمبراطور المذكور حقيقته .

ثانياً : تصور البعض أنه كان محققاً عندما تصور أمر « السيادة العالمية » . واعتبروا ذلك تقليداً بيزنطياً امتد عبر القرون . والواقع أن ذلك التصور كان أشبه بمحاولة إعادة عقارب الساعة إلى الوراء . فقد رأينا من خلال العرض السابق . كيف أن بيزنطة فقدت أملاكها تدريجياً في إيطاليا . وفي عام ١٠٧١م أي قبل تولي مانويل كومنين العرش البيزنطي بنحو ٧٠ عاماً - فقدت باري Bari . آخر أملاكها في المغرب على أيدي النورمان . وهم قوة

١ - عن أحداث المني البندقي أنظر :

حاتم الطحاوي . بيزنطة والمدن الإيطالية ١٠٨١ - ١٢٠٦ . ط . القاهرة ١٩٩٨م . ص ١٠٦ . وأرد الإشادة بهذه الدراسة العميقة المكونة من جانب باحث مثلك كالة مفومات النجاح في مجال التاريخ البيزنطي .

أنظر أيضاً : محمد مؤنس عرشي . المغرب الصليبية . العلاقات بين الشرق والغرب . ص ٢٦٥

Kaplan, " le Sac de Constantinople". H., T.LXVI, Année 1982, p. 114

٢ - عن تفاصيل ذلك أنظر أحداث أسرة أنجيليوس

لا يستهان بها في معترك السياسة الدولية حينذاك، وتصور صانويل، أنه ند لأباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة مثل فردريك بارباروسا<sup>(١)</sup> Frederick Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) وكان ذلك قصر نظر واضح تماماً؛ فالسيادة العالمية لم يكن من الممكن أن يسعى إليها إمبراطور بيزنطي وأقوى يفهم وقائع التاريخ وتعلم منها.

ثالثاً: يتحمل ذلك الإمبراطور نصيباً كبيراً في كارثة عام ١٢٠٤م على بيزنطة مع عدم اغفال العوامل الأخرى - فقد أعطى امتيازات كبيرة للبنادقة ووجه إمبراطوريته نحو وجهة غربية، بل هو نفسه كانت أمه هنغارية، وزيجاته نفسها من القرب في صورة برتا أخت زوجة كونراد ملك ألمانيا، ومن بعدها ماري الأنطاكية<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال ميوله الغربية؛ قدم إلى الإمبراطورية الكثيرون من الغربيين، على نحو أدى إلى تعميق كراهية البيزنطيين لهم وبصورة أدت إلى الصدام بين الجانبين الذي جر نتائج وخيمة على بيزنطة.

#### ١- عن فردريك بارباروسا أنظر:

Otto of Freising, *The Deeds of Frederick Bararossa*, Trans. by Charles Christopher Mircrow, Toronto 1966.

Otto of St. Blasien, *The Third Crusade 1187-1190*, from *The Chronicle of Otto of St. Blasien*, in Thatcher, *Source Book of Medieval History*, New York 1902, pp. 529-553.

Munz, *Frederick Barbarossa: A study in Medieval Politics*, London 1969.

حامد زيان، فردريك بارباروسا والحلة الصليبية الثالثة ط. القاهرة: ١٩٧٧م، كمال القسري، تاريخ ألسا، ط. القاهرة: ١٩٦٩م، ص ٣٩.

٢- ماري الأنطاكية Mary of Antioch، هي ابنة ريموند دي برانجيه Raymond de Poitiers وكونستانس Constance، ولد تزوجها مانويل كومنين بعد وفاة زوجته الأولى عام ١١٥٩م، وتم الزواج في ديسمبر عام ١١٦١م، ويلاحظ أنها كانت أختاً لبرهيمند الثالث Bohemond III أمير أنطاكية (١١٦٣-١٢٠٩م) عنها أنظر:

Garland, *Byzantine Empresses Woman and Power in Byzantium*, A.D. 527-1204, pp. 199-209.

Hill, *Imperial Woman in Byzantium 1025-1204: Power, Patronage and Ideology*, London 1999, pp. 201-204.



رابعاً : وجد من المؤرخين الغربيين من انبهر بذلك الإمبراطور فالمؤرخة البريطانية القديرة جولان هسسى J. Hussey فى كتابها المرحز القيم العالم البيزنطى The Byzantine World أورد عنه ما نصه : وخلال تلك الظروف انتقل التاج البيزنطى إلى مانويل الابن الرابع ليوحنا ، ومثله فى ذلك مثل بطل الملحمة البيزنطية ديجينيس اكرتاس Digenis Akritas سيد البر الذى يعود فى أصله إلى شعبين كان مانويل كومتستوس ينتمى لعالمين . وليس من حق الخيال أن يتصور تناقضاً كبيراً مع أباطرة الأسرة السالفة مثل جوستنيان أوقسطنطين السابع بورفير وجنتيوس ، فقد كان مانويل حاكماً مثاقفاً ، جندياً ، ودبلوماسياً ، ورجل دولة<sup>١٢١</sup> .

والواقع أن رأى السالف على الرغم من علو شأن صاحبه فى حقل الدراسات البيزنطية إلا أنه يكشف بجلاء عن الانبهار بشخص الإمبراطور ، ومن الممكن تشبيهه بجستنيان - فقط - من خلال أنهما الاثنان سارا دراهم السيادة العالية التى ولت وأدبرت غير أن جستنيان يتفوق عليه : نظراً لإسهامه القانونى السالف الذكر والذى عاش من بعد وفاته ؛ وهو أمر افتقده مانويل كومنين .

ومن الملفت للإنتباه : أن نفس المؤرخة ، بعد أن أظهرت ولعها ، وإفتنانها بذلك الإمبراطور إلى حد أوصلها إلى تشبيهه بأبطال الملاحم البيزنطية !!! وهو تشبيه إنفعالى عاطفى يتنافى مع الموضوعية التاريخية والواجبة ثم عادت وناقضت نفسها فى موضع آخر من كتابها وقالت ما نصه : « إن فى سياسة مانويل الشئ الكثير من التقليدية . ومع ذلك ؛ فقد كانت لها بعض الملامح غير العادية التى أثارت كوامن الطموح المتدفع البعيد عن الحكمة ، وخاصة فيما يتصل بمشروعاته نحو إيطاليا . ولكن يبدو أن الظروف التى أحاطت به لم تترك له مجالاً للاختبار . بل فرضت عليه ما ظهر جلياً فى سياسته صوب الغرب »<sup>١٢٢</sup> .

Hussey, The Byzantine World, p. 62 .

تقول ما نصه "It was in such circumstances That the Byzantine Crown passed to John's Fourth son Manuel . like The hero of The Byzantine epic, Digenis Akrites, The marcher Lord of double race, Manuel Comnenus was of Two World , No Greater Contrast could be imagined to the Emperors of earlier dynasties , a Justinian or a Constantine VII Porphyrogenitus. Manuel was a brilliant ruler, Soldier and diplomat and Statesman " .

ومن الجلي البين؛ محاولة تلك المؤرخة تجميل عصر مانويل كوميث ، وإتجهت إلى محاولة البحث عن الذرائع والحجج الواهية التي تبرر سياساته الخرقاء ، ووجدتها في ذلك «الحل» السهل المبسر في صورة «الظروف» ، وهو أمر يتناقض مع ألف باء المنهج التاريخي الذي يدرك أن الإنسان كفاعل تاريخي مسئول عن تصرفاته ويشارك عملياً في صنع الظروف المحيطة به ومن الممكن رفض «الظروف» إذا كانت بمثابة الشجب الذي تعلق عليه الأخطاء الغائلة .

وهكذا؛ لم تستطع جوان هسي إقناعنا بعكس تصورنا ولا ريب أن الامبراطور المذكور امتاز بفشلين مفساً في الغرب والشرق على شاكلة الملك الفرنسي لويس التاسع Louis IX (١٢٢٩-١٢٧٠م) الذي أخفق في حملته على مصر عام ١٢٥٠م. ومن بعدها على تونس عام ١٢٧٠م. ويتفق الاثنان في عدم الاستفادة من دروس التاريخ !

خامساً : من الخطأ البين - في تقديري- دراسة ذلك الامبراطور والتوقف عند عام ١١٨٠. بل الاجدى الامتداد إلى عام ١٢٠٤م إذ أن قرابة الربع قرن من الزمان التالي على مدة حكمه هي الكفيلة بأن تحكم عليه الحكم الموضوعي الموضوعية ، وبدون ذلك لا يمكن رصد دقائغ مرحلة ما قبل السقوط الأول في التاريخ البيزنطي.

على أية حال ؛ هناك رأي تقريبي مهم أوردته بنصه لما له من دلالة خاصة حيث رأى البعض : « توفي مانويل سنة ١١٨٠م بعد أن تسبب في ضياع هبة بيزنطة وهيبة الأسرة الكومننينية التي أخذت في طريق الزوال بعد ذلك بسنوات قليلة، خاصة بعد أن أدت حروب مانويل الكثيرة إلى زيادة نفوذ الإقطاعيين حتى أصبحوا دولات داخل الدولة، وأضعفوا السلطة المركزية في الوقت الذي ترددت فيه الأحوال الاقتصادية لكثرة الضرائب لتمويل الحروب

---

" Manuel's Policy There was much That was Traditional , it is certain more unusual Features which have given rise to the Charge of rashness and unwise ambitions particularly in connection with his Italian designs it was not entirely choice that directed the apparent western emphasis of Manuel's Policy . it was essential to Find Some modus vivendi With The Western Power"

Hussey, The Byzantine World , p. 63 .

بالإضافة إلى أن ما لجأ إليه مانويل من طرد التجار البنادقة ، دون ترتيب سابق ؛ أحدث هزة اقتصادية في السوق التجارية ، وأدى بالتالى إلى إنبهار مفاجئ في الاقتصاد البيزنطى<sup>(١)</sup> .

ويعكس الرأى السابق خطورة سياسات ذلك الامبراطور والنتائج السيئة التى ترتبت عليها على نحو أثر على تاريخ إمبراطورية بأكملها ويقرر أ.د. عمر كمال توفيق تعليقاً على سياسات نفس الإمبراطور ما نصه : « إن طموح مانويل عاد بنتائج وبيلة على الإمبراطورية ، فإن هذا الإمبراطور قد ورّط الإمبراطورية في مشاكل مع أوروبا الغربية بإصراره على تحقيق أحلامه هناك ، ولم ينتبه للخطر الذى يحين بالإمبراطورية . وقد أثار مانويل مخاوف اللاتين عندما أنضب موارد الإمبراطورية ، وأن الكراهية والحقد الفين أثارهما بتصرفاته ، وجشع العناصر الغربية التى سمح له بالإزدباد ؛ كانت أمور تنذر بنتائج سيئة عندما يتولى زمام الدولة حكام ضعفاء »<sup>(٢)</sup> .

أما أ.د. اسحق عبيد ؛ فقد قرر عن سياسة مانويل كومنن ما نصه « وكانت جماهير الشعب تن من وطأة الفقر الذى عم بسبب مشروعات عمانويل الباهظة الفاشلة في غرب أوروبا ، ونظر أهل العاصمة من حولهم ليروا جاليات البنادقة والبيزنين والمجنونين تعيش في رفاهية زائفة »<sup>(٣)</sup> ، والتعليق على هذا القول الموضوعي تماماً ؛ أن سياسات ذلك الامبراطور جاءت على حساب شعبه الذى كان وضعته الأولى

وترى مؤرخة بارزة عن عهد مانويل كومنن وعراقب سياسته ما نصه : « كان متأثراً إلى حد بعيد بأسلوب الفروسية الغربية ، وقد أحب العادات الغربية ، وأدخلها في تقاليد البلاط البيزنطى كما أنه تزوج من أميرتين غريبتين هما بريت الألمانية ، وصارى الفرنسية الأمر الذى أضفى على قصره مظهرًا غريبًا وجعله يختلف عما كان عليه الحال زمن أسلافه ... وقد أدى هذا الإنحياز نحو الغرب ؛ إلى إنتفاخ حدود الإمبراطورية البيزنطية أمام اللاتين الغربيين الذين

١- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٧٤

٢- تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٥٠

٣- روما وبيزنطة ، ص ٢٧٩

تدفقوا إليها وزادت أعدادهم داخل العاصمة ، وقد تقلد عدد كبير منهم بعض المناصب العليا في الدولة، مما أدى إلى قلق . وتذمر العناصر البروتانية داخل الإمبراطورية<sup>(١١)</sup> .

وهكذا : يتضح لنا من ذلك الرأي أن التذمر الذي حدث داخل أرجاء الإمبراطورية البيزنطية سيؤدي حتماً إلى الانفجار وهو ما وقع بالفعل بعد انتهاء عصر مانويل كومنين، ولا ريب أن مشكلة ذلك الإمبراطور تمثل في مياسة التغريب Westernization التي سار عليها باندفاع دون روية أو إدراك للعواقب التي ستنتج عنها

أما المؤرخ أ. د. جوزيف نسيم يوسف فقد قرر تعليقاً على سياسات ذلك الإمبراطور ما نصه : « لكن فكرة مانويل في إحياء الإمبراطورية القديمة لم تكن في الواقع إلا حلماً من أحلام الماضي البعيد، إذ لم يؤد التراضي بينه وبين البابا الكاثوليكي إلى شيء مما كان يأمله ، كذلك لم تؤد المساعدات المادية التي قدمها مانويل إلى المدن الإيطالية في نصالها ضد الإمبراطور الألماني شيئاً ، والدليل على ذلك : الصلح الذي تم بينه وبين البابا إسكندر الثالث، والإمبراطور فردريك بارباروسا سنة ١١٧٧م، الذي عرف بصلح البندقية ... وكان الاتفاق بين عاهلي المسيحية في الغرب لطفة أصابت آمال بيزنطة في الصميم»<sup>(١٢)</sup>.

ويدل الرأي السالف الذكر : على أن « أحلام » ذلك الامبراطور لم تتم بالواقعية . ثم أن مجهوداته في التحالف مع البابوية ضد فردريك بارباروسا ذهبت أدراج الرياح عام ١١٧٧م بالاتفاق المذكور، وذلك في العالم التالي مباشرة لفضيحة مرياكيفالون ١١٧٦م ، وهكذا توالى عليه الإخفاقات العسكرية والسياسية من كل حذب وصرب ، وبصورة متعددة ومتنوعة ينذر تكرارها في التاريخ البيزنطي على الأقل في العصر الأوسط منه على نحو يجعل الباحث يتساءل ما هو المجال الذي نجح فيه ذلك الامبراطور ؟ ومن الممكن القول أنه يتشابه مع الملك الإنجليزي يوحنا (١١٩٩ - ١٢١٦م) الذي وصف بأنه دخل التاريخ بسبب أخطائه<sup>(١٣)</sup>.

١- أسست غنيم. تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٤٦

٢- تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٢٢٣

٣- سعيد عاشور . أوروبا العصور الوسطى. ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص ٤٧٤ - ص ٤٧٧

والملك يوحنا : هو ابن هنري الثاني Henry II ولد حكم يوحنا خلال المرحلة من ١١٩٩ إلى ١٢١٦م

أما العلامة دونالد نيكول Donaki Nicol : فقد رأى في ذلك الإمبراطور أنه : « أخطأ في تقدير قوة خصومه ... وقد خرج في عام ١١٧٦م على رأس جيشه غير أنه هزم هزيمة فادحة في مواجهة الأتراك في مرياكيفالون غير أنه لم يلبث أن مات بعد أربعة أعوام في سبتمبر عام ١١٨٠م »<sup>(١١)</sup>.

وفي موضع آخر يقرر ما نصه « أما صورته في مخيلة شعبه فهو أنه بالغ في ميله للاتين واهجه في هذا الشأن إلى مدى أبعد مما كان ينبغي عليه ».

كذلك أقر ذلك المؤرخ البارز صراحة عن مانويل كومنين ما نصه « ترك مانويل من ورائه تركمة من الشنآن والتعصب العرقي الذي سرعاناً ما تفجر على نحو عنيف وقد شارك قريبه اندرونيكوى كومنينوس على زيادته ».

والفقرة الأخيرة - على نحو خاص - تكشف لنا عن مسئولية ذلك الإمبراطور في الأحداث الصاخبة التي وقعت فيما بعد رحيله .

أما المؤرخ هايد Heyd : فيقرر عن سياسته مانويل كومنين تجاه البنادقة ما نصه : « إن منظر الشروات الضخمة التي جمعها بنادقة القسطنطينية قد أثارت جشعه ، إذ أنه كان في حاجة إلى الكثير من المال ليواصل الحروب التي تورط فيها والإنفاق على أساليب الرشوة التي كان يستخدمها بسخاء ، وضروب البذخ التي يمارسها ، ورغم الأعباء التي كان يشغل بها كاهل رعيته ، فإن خزانة الدولة لم تكن كافية للمقابلة بطلابه »<sup>(١٢)</sup>.

---

= وكان أخيراً لريتشارد قلب الأسد Richard Lion hearted ( ١١٨٨ - ١١٩٩م ) . وفي عهده تروى عليه النبلاء على نحو أدى إلى الانشقاق المعروف بالعهد الأعظم Magna Chana ، عام ١٢١٥م ، ويصفه عامة لم يوصف ذلك الملك بالغيرة السياسية ، وقد توفي عام ١٢١٦م . عنه أنظر :

جيسس ، المانجا كارنا (العهد الأعظم) . ت. مصطفى طه . ط. القاهرة ١٩٦٥م . سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ص ٤٧٤ . عبد القادر اليوسف ، العصور الوسطى الأوربية ، ط. صيدا ١٩٦٧م . ص ١٨٤ - ص ١٨٥ ، إسحاقيل توري الريحى ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ط. عمان ، ٢٠٠٢م ، ص ١١١

وفي صرح آخر يقول ما نصه « حين أكمل استعداداته أصدر أمره بالقبض على كل البنادقة ومصادرة أسلحتهم ، واحتجاز سفنهم وكان ذلك في ١٢ من مارس عام ١١٧١ ، ومن القسطنطينية وحدها راح ١٠٠٠ من البنادقة ضحية هذا الاعتداء<sup>(١)</sup> »

وآخر شهادة تفويجية لعهد ذلك الإمبراطور تقدمها من خلال المؤرخ شارلز أومان Charles Oman صاحب الدراسة الشهيرة عن فن الحرب في العصور الوسطى<sup>(٢)</sup> ، وبالتالي من المقرر أنه على معرفة بأقدار الرجال جيداً خلال تلك العصور خاصة أولئك الذين قادوا الجيوش . وخاضوا المعارك . وفي عرضه عن الإمبراطور مانويل كومتين تحمده بقرر ما نصه « خلف جون الطيب على العرش ابنه مانويل . وقد اجتمعت فيه عناصر القوة والضعف لتكون سبباً في تسديد ضربة قاتلة إلى الإمبراطورية . وكان مانويل مجرد فائس مشجول أحب القتال لذاته . وسع لعاطفة الحساس والمخاطرة أن تكون رائدها الوحيد وكان عهده كله سلسلة طويلة من المحروب يدخلها ويخرج منها طائشاً »<sup>(٣)</sup> .

وفي صرح آخر يذكر عنه ما نصه : « لم يكن سوى سياسي خامل » . كما قرر « كانت الغلظة » ، الأساسية في حروب مانويل أنها دبرت مع إغفال الاعتبارات المالية إغفالاً يكاد يكون تاماً ، فقد أصر على إشعال الحرب بعد الحرب وملكته سائرة نحو الإفلاس ببطء . ودخلها كان يقتصر نقصاً مستمراً كما أنه كرّس كل ميزة Bezanit كان يستطيع استخلاصها من رعاياه لإغاثة الجيش وحده . فاختلعت الإدارة المدنية اختلالاً شديداً وقسدت إدارة العدل وتهدمت الطرق والجسور وأهملت المرافق والموانئ<sup>(٤)</sup> .

وأنصور أن تلك الشهادات التاريخية لكوكبة من كبار المؤرخين من الشرق والغرب من ذوي الخبرة الأكاديمية البارزة كاتبة لوضع الامبراطور مانويل كومتين في حجه الحقيقي دون مبالغة .

١ - هايد ، تاريخ التجارة ، ص ٢٢٧

من المهم هنا عدم إتهام هايد وغيره من كبار المؤرخين الأوروبيين الذين هاجموا مانويل كومتين بالاعتساء على وجهة النظر البندقية ، فالأمر يتجاوز تلك الزاوية على نحو مؤكد . ومن غير المنطقي تصور أن كافة أولئك المؤرخين وهم كبار الباحثين على المستوى الدولي والعربي في حفل الدراسات البيزنطية وقعوا أسرى الرؤية التاريخية البندقية كما يتصور البعض !!!

٢ - أنظر : Oman , A History of the art of War in the Middle Ages , 2 vols ., London 1924

٣ - شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٩٠

٤ - نفسه ، ص ٢١

مهما يكن من أمر؛ كانت الامبراطورية البيزنطية في أعقاب عهد الإمبراطور مانويل كومنين في حاجة ماسة لأن تنعم بالأمن والاستقرار وتطلب الأمر، وجود رجل قوى حازم يملك القدرة على قيادة تلك الإمبراطورية بعد الحكم «الكارثي» لمانويل كومنين، غير أن الأحداث أتت بعكس ذلك؛ إذ خلف ذلك الإمبراطور ابنًا صغيراً في صورة الكيسوس الثاني، ونظراً لصفه، تولت الوصاية عليه أمه ماري الأنطاكية خلال المرحلة من ١١٨٠ إلى ١١٨٢م وصارت صاحبة الكلمة العليا في إدارة دفة أمور الإمبراطور<sup>(١)</sup> دون أن تملك الكفاية السياسية الموهلة لذلك، وهكذا صار مصير تلك الإمبراطورية في قبضة امرأة<sup>(٢)</sup>.

ويذكر التاريخ لتلك المرأة أنها كانت تلهث وراء المظاهر الحادية، دون أن تدرك أن حب الظهور يقسم الظهور بل أطلقت العنان لقلبها كي يهوى ويعشق الكيسوس ابن أخ مانويل دون الالتفات إلى الخطر المحدق بالإمبراطورية، ولاربط في أن غرامياتها، وكونها أجنبية كل ذلك جعل البيزنطيين ينظرون إليها نظرة عدا<sup>(٣)</sup>، كانت متصلة في نفوسهم ضد كل من هو غير بيزنطي، ومن بعد ذلك تمكن أندرونيكوس الأول ابن عم مانويل من انتزاع المنصب الإمبراطوري من الكيسوس الثاني وأمه عام ١١٨٣<sup>(٤)</sup>، وكان متقدماً في السن ولم يستطع القيام بدور بارز في حكم الإمبراطورية.

ذلك أمر السياسة وجدلها المعارك وغبارها ومع ذلك؛ فمن الإنصاف أن نذكر أن هناك بعض الإنجازات الحضارية لأسرة كومنين في التاريخ البيزنطي<sup>(٥)</sup> ويمكن ملاحظتها من خلال المظاهر الآتية.

١- جوزيف نسيب يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٣٨. أيضاً: أسمت غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٦ - ص ١٤٧.

٢- جوزيف نسيب، المرجع السابق، ص ٢٣٩.

٣- أندرونيكوس الأول؛ كان قريباً للإمبراطور مانويل الأول وعندما مات مانويل عام ١١٨٠م كان أندرونيكوس في الستين من عمره بينما ترك مانويل ولده الصغير الكيسوس الثاني تحت وصاية أمه ماريه الأنطاكية، ونسباً بعد في عام ١١٨٢م؛ اتجه إلى القسطنطينية على رأس قواته ونصب نفسه في الوصاية على الصبي ووضع التاج على رأسه في عام ١١٨٣م. وتمكن من قتل الكيسوس الثاني وكذلك أمه. ويلاحظ أنه حكم خلال المرحلة من ١١٨٣ إلى ١١٨٥م عنه أنظر

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 377-379.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 350-356.

Nicol, A Biographical dictionary, p. 7

حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٢٢ - ص ٢٢٣.

٤- عن الجانب الحضاري في تاريخ أسرة آل كومنين أنظر: \*

أولاً : ظهر خلال عهد تلك الأسرة عدد من المؤرخين ومن أمثلتهم أنا كومنينيا إبنه الامبراطور الكيسرس كومنين وهي المؤرخة الوحيدة وسط الغالبية الساحقة من المؤرخين البيزنطيين المذكور التي ألقت كتابها الشهير الكيباد Alexiad<sup>(١١)</sup> ، وقد تناولت فيه أحداث عهد والدها ، والأوضاع الداخلية ، والعلاقات الخارجية حينذاك على مدى المرحلة من ١٠٨٠ إلى ١١١٨م. ويعد الكتاب المذكور مصدراً تاريخياً لاغنى عنه لمن يتصدى بالكتابة عن تلك المرحلة . ويلاحظ ، أن المؤرخة المذكورة إنبهرت برأدها ، وقدمت لنا رؤية متحيزة له من خلال افتتانها بكاريزما ذلك الامبراطور الذي كان بالنسبة لها أباً وامبراطوراً في نفس الحين مما ضاعف المشكلة لديها ولدى الباحثين أنفسهم.

ولا تغفل كذلك ظهور مؤرخين آخرين حينذاك مثل: نيكيتاس خونيئاس Nicetas Choniates<sup>(١٢)</sup> ، ويوستاش السالونيكى Eustathius of The ssalonica<sup>(١٣)</sup> من كبار المؤرخين البيزنطيين.

ثانياً : اهتم آل كومنين بالجانب المعماري سواء في صورة الأديرة أو القصور ، حيث شيّدوا عدة أديرة مثل دهر باتموس Patmos الذي شيّده القديس كريستو دولوس

= أبحاث المؤتمر الدولي العشرين للدراسات البيزنطية الذي عقد في ولاية مينشجان بالولايات المتحدة الأمريكية في ٢١ سبتمبر عام ١٩٩٤م. وشارك في تحرير أعماله أنا ماري وكار Anuemarie Weyl Carr ، وباربارا هيل Barbad Hill ، وشاولز م. براند Charles M. Brand ، وتاليا جوما بترسون Thalín Gourma Peterson ، وسارولنا آ. تاكاسي Sarolta A. Takacs وعمرانه : Komnenian Culture .

ونجد بعض أعمال ذلك المؤتمر البالغة (١٠) دراسات منشورة في مجلة (B.F.) في العدد (١٣١) ، والصادر في أستانفام بهولندا عام ١٩٩٦م. عن ذلك أنظر :

Car, Hill, Brand, Peterson and Takacs (eds.) "Komnenian Culture" at the 20 th Annual Byzantine Studies Conference , An Arbor, Michigan, on 21 Septembre 1994. (in B.F., vol - XXIII, Amsterdam 1996) .

١- عنها أنظر : المدخل الجيوجرافي .

٢- عنه أنظر: نفس المدخل .

٣- عنه أنظر نفس المدخل .



Christodulus<sup>(١)</sup> في عهد الإمبراطور الكيسريوس كومنين، كذلك تم تشييد دير بانثو كراتور Pantocrator<sup>(٢)</sup> في عهد الإمبراطور يوحنا كومنين .

ولاتفعل كذلك تشييد القصور ومن أمثلتها ، قصر بلنشيرنس Blencheres الذي وقع على رأس القرن الذهبي وقد وصف بالفخامة والأبهة<sup>(٣)</sup>، ولدنيا وصف له من جانب الرحالة اليهودي بنسامين التطيلي Benjamin of Tudela<sup>(٤)</sup> الذي زار العاصمة البيزنطية في النصف الثاني من القرن ١٢ م، حيث ذكر ما نصه «فيه الأساطير والحيطان المرشاة بالتبر الخالص والتقرش البديعة التي تصور المعارك القديمة والحروب التي خاضها هذا الملك، وفي القصر عرش من خالص الذهب مفصص بالحجار الكريمة يتدلى من أعلاه بما يحاذي هامة الرأس تاج من ذهب معلق بسلاسل من ذهب، مرصع بالجواهر النادرة الثمينة ، ولع هذه الجواهر ينير القاعة في الغسق ، فيضيها عن نور المصابيح ، وهناك عدا هذا من التحف ما يقصر عن تفصيله اللسان»<sup>(٥)</sup>؛ والعبارة الأخيرة تحوى إيجازاً يفتى عن التفاصيل

ولايوب ؛ في أن ذلك الوصف القوي الدلالة والمرجى في ذات الحق، يكشف لنا بما لا يدع مجالاً للارتياب عن مدى الثراء الذي كانت عليه تلك الأديرة، فلما عجب إذا ما أدركنا أنه خلال أحداث عام ١٢٠٤م؛ تعرضت لعمليات سلب ونهب ولاريب في أن سالبها أدركوا مدى ما عليه من ثراء عريض.

وبعد ؛ فذلك عرض عن أسرة آل كومنين، وأحداث عصرها سياسياً والإنجازات الحضارية في عصرها، أما الصفحات التالية فتعرض لأسرة أنجيلوس .

١- عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٠٣.

٢- نفسه . نفس الصفحة وعن الأديرة انظر: عبد العزيز محمد عبد العزيز، المرأة البيزنطية، ص ٢٠٢.

٣- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢٠٣.

٤- عنه انظر: المدخل البيليوغرافي.

٥- بنسامين التطيلي ، الرحلة ، دراسة وتقديم عبد الرحمن الشيخ، المجمع الشقائي بأبوظبي ، ط .

٢٠٠٦، ص ٢٢١- ٢٢٢.

وبصفة عامة عن الفن البيزنطي وهو أمر متصل بالمعاصرة اتصالاً وثيقاً أنظر

Vikan, " Byzantine Art ", in Aygeliki Laiou and Maguire (eds.) Byzantium Aword Civilization, Dunberron Oaks Research Library, Washington 1992, pp. 81-118 .

Hussey, The Byzantine World, pp. 156-165

### ثامناً : أسرة أنجيليوس والاحتلال اللاتيني (١١٨٥ - ١٢٦١م)

نتعرض في الصفحات التالية: لأسرة أنجيليوس التي تولت حكم الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١١٨٥ . ١٢٠٤م ثم الاحتلال اللاتيني لها حتى عام ١٢٦١م

وقد تولى الحكم عدد من الأباطرة هم إسحق الثاني، Issac II (١١٨٥-١١٩٥م)، والكيسوس الثالث Alexius III (١١٩٥-١٢٠٣م)، وإسحق الثاني بعد أن عادوا واشترك مع ابنه الكيسوس الرابع Alexius IV (١٢٠٣-١٢٠٤م)، ثم الكيسوس الرابع Alexius IV (١٢٠٤م) وأخير الكيسوس الخامس Alexius V (١٢٠٤م)

مهما يكن من أمر؛ لا يمكن فهم عهد هذه الأسرة على نحو خاص دون إدراك طبيعة العلاقات المتصارعة بين بيزنطة والغرب الأوربي من خلال تجربة الحروب الصليبية على نحو خاص مع عدم إغفال تراث العداء السابق بين الجانبين، وهو أمر لاحظناه منذ عهد الأسرة الأيسورية حتى أسرة أنجيليوس ذاتها.

والواقع أن الحروب الصليبية جعلت بيزنطة وجهاً لوجه مع الغرب الأوربي على أرض بلاد الشام القريبة منها، وفيما بعد على الأرض البيزنطية ذاتها .

ولاتفعل : أن خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية<sup>(١)</sup> ١١٤٧-١١٤٩م. وهي التي شارك فيها الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م) والإمبراطور الألماني

١- عن الحملة الصليبية الثانية أنظر :

Bernard of Clairvaux, *The Letters of St. Bernard of Clairvaux*, Trans. by Bruno Scott James, Institute of Cistercian Studies, Western Michigan University 1998, p. 274, p. 288 .  
William of Tyre, vol. II, pp. 163-194 .  
The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle, ed. and Trans. by A.S. Tritton and Hamilton Gibb, J.R.A.S., vol 92, 1933, pp. 298-299 .  
Odo of Deul, *De Profectione Ludovici VII in Orientem*, ed. V. Giuierick Berry, New York 1948, pp. 7-143 .

ابن الفلاس . ذيل تاريخ دمشق، ص٢٩٨ - ص٣٠٠

كونراد الثالث (Conard III) (١١٣٨-١١٥٢م) وذلك بعد أن تمكن المسلمون عام ١١٤٤م بقيادة الأتابك عماد الدين زنكى من إخضاع إمارة الرها Edessa الصليبية لسيطرتهم<sup>(١)</sup>. وقد انتزع خلالها مدى ما كتبه الغرب الأوربي لبيزنطة بل نأكد له أن تلك الإمبراطورية تناصيه العداء من خلال اختلاف المصالح السياسية بطبيعة الحال.

---

Berry, "The Second Crusade", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol. I, pp. = 463-512.

قتيبة الشهابي ، صوره دمشق أمام الحملات الصليبية، ط. دمشق ١٩٩٨م. عبد السلام زيدان ، الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة جنوب الوادي عام ٢٠٠٢م. وهي أطروحة متنازة ، نعيمة محمد إبراهيم، آسيا الصغرى والحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٧٤ - ص٢٠٩، جبرار ديجورج ، دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية، ت. محمد رفعت عماد، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص١٥٠.

وأينما هذا الكتاب

Philips and Hoch (eds.), The Second Crusade, Scope and Consequences, Manchester 2001

والكتاب المذكور بحثى على (١٠) دراسات عن الحملة الصليبية الثانية، وهي في الأصل أبحاث أقيمت في المؤتمر الدولي للعصور الوسطى الذي عقد في جامعة ليفز Leeds بالإنجلترا في ١٤ يوليو ١٩٩٨م بمناسبة مرور ٨٥٠ عاماً على الهجوم الصليبي على مدينة دمشق في ١١ يوليو ١١٤٨م ، ويلاحظ أن تلك الذكرى مرت على الباحثين العرب دون الانتباه إليها للأسف الشديد . وهكذا ، يهتم الغرب الأوربي بحدث تاريخي وقع على أرضنا ونحن عنه غافلون!

١- عن استرداد المسلمين للرها أنظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب - القسم الخاص بنراجم السلاجقة ، تحقيق على صميم، الجمعية التاريخية التركية، ط. انقره ١٩٨٦م، ص٢٧٢

ابن الفلتاسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٧٩ ، Michael le Syrien, Chronique, T.III, p. 260-262

عليه الجنزوري ، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص٣١٦-٣١٧

Gibb, "Zengi and The Fall of Edessa", in Setton, ed. A History of the Crusades , vol. I, Pennsylvancin 1952 , p. 461 .

وفي الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩-١١٩٢م؛ التي حدثت بعد أن تمكن المسلمون بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس بعد معركة حطين الخامسة في ٤ يوليو ١١٨٧م<sup>(١)</sup>. وخلالها؛ تحالفت الإمبراطورية البيزنطية مع ذلك السلطان الأيوبي المجاهد لمواجهة الحملة الألمانية بقيادة فردريك بارباروسا Frederick Barbarossa (أو اللحية الحمراء). ويلاحظ أن العداء بين الجانبين بلغ حد الصدام المسلح بين القوات الألمانية، والبيزنطية، نظراً لموقف بيزنطة المعادي له، وللشروع الصليبي برمته<sup>(٢)</sup>، وفكر ذلك الامبراطور في مهاجمة العاصمة البيزنطية غير أنه فيما بعد؛ غرق في نهر سالف Saleph من أنهار كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى Asia Minor. فتأجل مشروع غزو القسطنطينية إلى حين.

ولدينا وثيقة أوردتها المؤرخ بها الدين بن شداد مؤرخ سيرة صلاح الدين الأيوبي؛ تكشف لنا عن التحالف الذي نجح ذلك السلطان بذهاء في إقامته مع إسحق الثاني النجيبوس<sup>(٣)</sup>

١- عن معركة حطين أنظر: ابن شداد، التوادر السلطانية والمعائن البرصية، تحقيق جمال الدين الشبال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص ٧٥-٧٩. العماد الأصمهاني، الفتح القس في الفتح المقدس، تحقيق محمد صبيح، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص ٨١

Richaard, " La Bataille de Hattin , Saladin defeat l'Occident , H., T.XLVII, Année 1982 , pp. 104-111. fuller, Decisive battles of Western Europe and their Influences History ; London 1954 p. 427 .

٢- وعن العلاقات بين فردريك بارباروسا وبيزنطة أنظر: Brand, Byzantium Confronts The West 1180-1204 , Cambrige 1968 , pp. 176-188 .

قاسم عبده قاسم وعلى السيد، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٦١

٣- ابن شداد، المصدر السابق، ص ١٣٤-١٣٣. وعن علاقة صلاح الدين الأيوبي ببيزنطة خلال الصليبية الثالثة أنظر:

Braud , " Byzantium and Saladin 1185-1192, opponents of the Third Crusade" S. vol XXXVII, 1962 , pp. 167-181

على نحو ممكنه من إعاقه تقدم القوات الألمانية وتزويده بالمعلومات - وهي أخطر سلاح - من أجل متابعة تقدمها ، مما عكس حكمة مؤسس الدولة الأيوبية الذي تمكن على العزف على وتر الصراعات البيزنطية - اللاتينية لتحقيق مصالح دولته العليا على نحو يخدم قضية الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين بوجه عام ، وبالتالي استطاع أن يخطر خطرة للأمام متقدمة على السياسة التي اتبعها من قبل نور الدين محمود عندما حاول تجميع بيزنطة - قدر الامكان- على نحو انضج في الاتفاق المرقع معها عام ١١٥٩م في عهد مانويل كومنين .

من زاوية أخرى: خلال أحداث تلك الحملة الصليبية ذاتها، تمكن ملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted<sup>(١)</sup> (١١٨٩-١١٩٩م) من الاستيلاء على جزيرة قبرص

زبيده عطا ، الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٨٧-١٠٠  
 محمد أحمد محمد، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. الرياض ٢٠٠٤م ص٦٠ ، ابراهيم سعيد فهمي،  
 وحسب دولوزنيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصر الوسيط  
 كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، محرر على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط.  
 الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٣٨٣ . حاشية (٢) ، حسن عبد الوهاب، معالم التاريخ البيزنطي السياسي  
 والحضاري، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص٣٠٢

١- عن ريتشارد قلب الأسد أنظر:

= Geoffrey of Vinsauf, *Crusade of Richard Coeur de Lion*, in *Chronicles of The Crusades*, London , 1908 .

Ambroise, *The Crusade of Richard Heart of Lion*, Trans. by Hubert, New York 1943 .

Anonymous *Chronicle of the Third Crusade*, A Translation of I Tenearium Peregrinorum of Gesta Regis Recard, Trans. by Helen Nicholson, London 1994 .

Richard of Devizes, *Crusade of Richard Cour de Lion*, in *Chronicles of the Crusades* . London 1908 .

Richard, *The Crusades 1071-121*, Trans. by Jean Birrell, Cambridge 1999, pp. 218-220 .

Cyprus عام ١١٩١ م<sup>(١)</sup>، وكانت من قبل تابعة للأملاك البيزنطية ؛ على نحو كشف عن حجم المطامع اللاتينية في أملاك تلك الإمبراطورية وكأنها خطوات مرحلية يشقها الغرب الأوربي بدأت من الأطراف إلى أن يتمكن في نهاية المطاف من الإنتقاض على القلب البيزنطي.

على أية حال؛ ارتبطت الحملة الصليبية الرابعة بالبابا أنوس الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) . ويلاحظ هنا، أنه لم يكن يهدف إلا إلى توحيد الكنائس الشرقية وخاصة كنيسة القسطنطينية وإخضاعها لسيطرة كنيسة روما ، يلاحظ أن قلة من القبادات الأوربية استجابت له في صورة ثيوت كونت شامبني Thibault of Champagne ثم بلدوين الغلاندرزي Baldwin of Flanders وغيرها

وجدير بالذكر ؛ أن الشخصية ذات الدور الفعال في أحداث الصليبية الرابعة تمثت في السياسي المداية المخضرم الدوج هنري داندلو Henry Dandolo<sup>(٢)</sup> دوق البندقية Venice وكان بحركه ثار شخصي جامع ضد الإمبراطورية البيزنطية بعد أن فقد بصره من جراء الحلاف مع البيزنطيين من قبل -

= نظير حسان سمداني ، تاريخ المجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى ، ط١ : القاهرة ١٩٦٨م ، ص٩٦- ص٩٣ زينب عبد القوى ، الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩-١٢٩١ ، ط١ : القاهرة ١٩٩٦م ، ص١٢٢-١٣٧ ، محمد دسوقي محمد حسن ، العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثره على الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين ١١٣٧- / ١٢٢٣ ٥٣١-٥٣٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية فرع دمهور عام ٢٠٠١م ، ص١٨٤-٢١٦

١- Edbury, The kingdom of Cyprus and The Crusades, 1191-1374, Cambridge 1981, p. 7

عاطف مرقص، قبرص والحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩١م ، ص٩٧ ، جيس رستون (الابن) ، مقاتلون في سبيل الله صلاح الدين الأيوبي ورششارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة ، ت. رضوان السيد ، ط١ : الرياض ٢٠٠٢م ، ص٢١٥-٢١٦

٢- حنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٥٠

على أية حال ؛ توفي ثيبرت كونت شامبني عام ١٢٠١م. فتولى الأمر من بعده بونيفاس المونتفيراتي Boniface Of Montferrat<sup>(١١)</sup> . ووصلت الحملة إلى البندقية ، ولم يتمكن الصليبيون من دفع المبلغ الذي طلبه من البنادقة من أجل إستغلال سفنهم لنقل المشاركين في الحملة إلى هدفها ، وقد تم الاتفاق على نصيحة داندلو ومقتضاها أن يتم تأجيل دفع المال حتى يساعد الصليبيون البنادقة على إسترداد مدينة زارا Zara الهنغارية في دالماتيا (من قبل يوغوسلافيا) التي كانت مركزاً تجارياً كبيراً ، وكانت تخص المجر التي دخلت في صراع مرير مع البندقية ليس في نطاق الأدرياتيک فقط؛ بل أيضاً خارجه ، وقد حوصرت من جانب الصليبيين ودمرت<sup>(١٢)</sup> ، وتم نقل أهلها عام ١٢٠٢م. مما عكس أن تلك الحملة الصليبية صارت تستهدف مدناً صليبية .

بصفة عامة؛ يقال أن هدف تلك الحملة الصليبية كان صرب مصر . إلا أن سفراء البندقية عقدوا إتفاقية في عهد السلطان العادل أبو بكر الأيوبي عام ١٢٠٢م<sup>(١٣)</sup> . بمقتضاها منحهم

١- عنه وعن انتخابه أنظر:

Villeharduin, The Conquest of Constantinople , in Chronicles of the Crusades , Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book, London 1963 , p. 38 .

queller, The Fourth Crusade, The Conquest of Constantinople 1201-1204 , Leicetred 1978 , pp. 19-35 .

Nicol, Byzantium and Venice , Astudy in Diplomatic and Cultural relations, Cambridge 1995 , p. 129 .

Norwich Byzantium, The decline and Fall. pp. 168-170 .

Villehardouin, Op. cit., pp. 46-49 .

٢-

ويلاحظ أن مدينة زارا بعد تلك الأحداث ؛ لم يبق فيها حجر يساند حجراً آخر ، أنظر:

إسحق عبيد ، روما وبيزنطة ، ص ٣٢٥ - ص ٣٢٦

٣- غايد حساد عاشور . الصلابة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي . ط. الاسكندرية ١٩٨٠م. ص ١٨٠ . وعن العادل أنظر: محمود الحوريزي. العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية. ط. القاهرة ١٩٨٠م.

السلطان عدداً من الفنادق في الاسكندرية بالإضافة إلى بعض الامتيازات التجارية ، وأمام الإغراء المادى؛ سأل لعاب البنادقة وتمهلوا بعدم توجيه أية حيلة صليبية صوب مصر .

ولانغفل هنا؛ الإشارة إلى أن البندقية نقت على بيزنطة قيام الإمبراطور الكسبوس الثالث Alexius III بحرماتها من عدة امتيازات تجارية، وفي المقابل؛ قام بتقديم امتيازات للبيزانة الذين نافسوا البنادقة منافسة شديدة<sup>(١)</sup> ، وكان البنادقة يتحرقون شوقاً للشار من بيزنطة مقابل ما حدث عام ١١٨٧م عندما تم إحراق الحى البندقى فى القسطنطينية<sup>(٢)</sup>، كما أسلفت الذكر من قبل .

على أية حال ؛ قدم البيزنطيون بصراعمهم الأحق على العرش الامبراطورى الفرصة الذهبية للبنادقة للتأمر منهم وكان ذلك بمثابة الخطأ الفتاك الذى وقعوا فيه ، وكان الكسبوس الثالث قد تولى العرش باحدى الطرق المعتادة ، والتقليدية فى التاريخ البيزنطى؛ أى القيام بالثورة على أخيه إسحق الثانى، وزج به وبابنه الكسبوس الرابع فى غياهب السجن إلا أن الأخير فر من سجنه وطلب مساعدة الغرب الأوروبى لإعادته إلى العرش، والتخلص من الكسبوس الثالث وتعهده بأن يدفع للصليبيين المبلغ الذى كان ديناً للبنادقة للأخيرين واستغل الدوق داندلو كل ذلك ، وتوجه الصليبيون إلى العاصمة البيزنطية، وبالفعل تمكنوا من دخولها عام ١٢٠٣م. واسترد إسحق الثانى أنجيلوس العرش وتم تنصيب ابنه الكسبوس الرابع مساعداً للإمبراطور، ويلاحظ أن الكسبوس الرابع<sup>(٣)</sup> هذا لم يتمكن من الاقفاء بالوعد وتقديم الأمور المطلوبة للبنادقة؛ مما أدى إلى تأزم الموقف.

١- حنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٣

عن ذلك أنظر؛

حاتم الطحاوى . بيزنطة والمدن الإيطالية ، ص١٠٦ . غير كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص٢٠٧

Kaplan, Le Sac de Voonstantinople, p. 114

أنظر أيضاً عن البنادقة والحى البندقى فى العاصمة البيزنطية فى أواخر القرن ١٢م.

Brown, " The Venetians and Venetian quarter in Constantiuople in Close of the Twelfth Century " , J.H.S., vol . XL , 1920, pp. 68-88 .

٢- الكسبوس الرابع حكم خلال الفترة ما بين ١٢٠٣ - ١٢٠٦م وهرايين الامبراطور اسحق الثانى الذى =



جدير بالذكر؛ قامت ثورة في العاصمة البيزنطية أطاحت بإسحاق الثاني ، والكسيوس الرابع وقتلا بعد أن اتهمتهما الجماهير الفاضبة بالتحيانة، ومالأة أعداء الإمبراطورية وتولى العرش الكسيوس الخامس Alexius V الذي وقف مرفقاً مضاداً من الصليبيين وأيد الانجاء الشعبي الكاره لهم، وأمام ذلك التطور ، وأمام ذلك التطور : إغية الصليبيين إلى إسقاط القسطنطينية في ١٣ أبريل عام ١٢٠٤<sup>(١)</sup>.

= أودع السجن بعد الإطراب الذي قاده عمه الكسيوس الثالث عام ١٠٩٥م، وقد مات مشنوقاً عام ١٢٠٤م، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary . p. 3-4 .

Vasiliev , Hlstory of the Byzantine Empire, p. 440, p. 449 .

Ostrogorsky , History of The Byzantine State, p. 368-370 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, pp. 135-136 .

١- عن سقوط القسطنطينية أنظر:

Robert Clari, The Conquest of Constantinople , Trans. by E. H. Mc Neel, New York 1936 .

Villeharduin, The Conquest of Constantinople , in Joinville and Villeharduin, Chronicles of the Crusades , Trans. by M.R.D.. Shaw, Penguin Book 1963 .

وأنظر الترجمة العربية من جانب العلامة حسن حبشي : نظرا لتعليقاته الشريفة عن ذلك أنظر: المدخل البليغرافي .

The Register of Innocem III, in Contemporary Sources for The fourth crusade , ed. by Alfred J. Andrea and Brett E. Whalen. Leiden 2000, pp. 7-176 .

The Anonymous of Soissons . in Contemporary Sources, pp. 223-238 .

Count Hugh of Saint pol's Report to the West , in Contemporary Sources, pp. 177-202 .

Ralph of Coggeshall, Chronicle, in Contemporary Sources , pp. 277-290 .

Alberic of Trois Fontaines, Chronicle . in Contemporary Sources , pp. 291-310 .

Anonymous , The Devastatio Constantinopolitana, in Contemporary Sources , pp. 205-222 .

Bartlett, An Ungodly war , The Sack of Constantinople and the Fourth Crusade, Gloucestershire 2000, pp. 142-152 .

على أية حال؛ لا بد لنا من التعرف هنا؛ من أجل رصد سلوك الصليبيين في العاصمة الإمبراطورية التي ظلت منذ عام ٣٣٠ إلى ١٢٠٤م تتعالى على غزاتها، وتتفاخر بعصانتها الطبيعية، والصناعية التي غدت مضرب الأمثال، ويلاحظ هنا؛ أنها احترت على تحف ونفائس رائعة<sup>(١)</sup> كانت تليق بالفعل بعاصمة إمبراطورية عريقة، وعريقة، ولاشك في أنها حينذاك كانت بمثابة متحف ضخم للتحف الفنية عابر للقرون، خاصة أنها كانت ذات ثقل بارز في التجارة الدولية في نطاق البحر الأسود، والبحر المتوسط، والعلاقات التجارية فيما بين آسيا، وأوروبا، وأفريقيا، ويمكن إيجاز سلوك الصليبيين على النحو التالي:

أولاً: تعرضت المدينة إلى السلب والنهب بصورة لم تحدث على مدى تاريخها، حتى أن الجياد الأربعة التي كانت تزين ميدان السباق في العاصمة البيزنطية قام الدوق هنري داندلو بحملها إلى البندقية<sup>(٢)</sup> وهي موجودة إلى يومنا هذا تزين واجهة كاتدرائية القديس مارك St. Mark في البندقية، دليلاً على واحدة من أكبر عمليات السلب، والنهب على مدى العصور الوسطى، ولاتفعل هنا الإشارة إلى أن عدة تحف، ونفائس بيزنطية بيعت في أسواق حلب ودمشق، وبغداد، والقاهرة، مما عكس ضخامة القنصة كذلك وأرباح اللصوص الذين استولوا عليها وباعوها في أسواق مدن كبرى خارج بيزنطة.

١- شارلز أومان، الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٢٥-٢٢٦

وعن أحداث الصليبية الرابعة بصفة عامة أنظر:

Gauthier of Paris, in Allen and Ant (eds.) The Crusades Reader, Toronto 2003, pp. 236-238.

محمد مجدى حسن عبد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية ١٢٠٤م/ ٦٠٠هـ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة المنيا ١٩٨٨م.

Harris, Byzantium and the Crusades, London 2003, pp. 145-162.

٢- حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٥٧

Mayer, The Crusades, p. 191

أنظر أيضاً

كذلك تم نهب قبور الأباطرة البيزنطيين المدفونين في القسطنطينية، وقام الصليبيون بسرقة ما فيها من مذهبات وجرار، أنظر: عظام محمد شبارو، السلاطين في الشرق العربي، معالم دورهم السياسي والحضاري، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ١٧٦

ثانيًا : قتل عدد من البيزنطيين، كما تم إغتناب الرهبان في الأديرة<sup>(١١)</sup> ؛ مما عكس أن الصليبيين تجردوا من أية مشاعر إنسانية، على نحو جعلهم يفعلون ذلك مع الشقطعات للعبادة من الفتيات البيزنطيات المسيحيات !!!

ثالثًا : أحضر الغزاة الذين لعبت لهم برؤوسهم إحدى العاهرات كي ترقص أمام مذبح كنيسة أيا صوفيا التي عدت مفخرة العمارة والفن البيزنطي والتي شيدت منذ ما زاد على ستة قرون، وقامت بإنشاد الأغاني البذيئة ، وجلست على العرش البطريركي<sup>(١٢)</sup> . وقام الغزاة باحتساء الخمر، إحتفالاً بسقوط مدينة قسطنطين فلاعجب، والأمر كذلك : أن قام المؤرخ المعاصر نيكيتاس خونيئاتس Nicetas Choniates الذي شاهد تلك الأحداث المروعة ورؤية عينية ولم يكن يصدق ما يحدث أمام ناظرية من بشاعته قام برثاء القسطنطينية قائلاً

« أيتها المدينة ! يا حديث العالم ، يا منار الأرض، يا حامية الكنائس، ويا سيدة الإيمان ! يا قلعة العلم ! لقد هجر عني كأس غضب الله حتى الثمالة ! ولقد حاق بك آتون أكثر بشاعة من ذلك الذي أصاب قديماً المدن الخمس<sup>(١٣)</sup> . وهكذا جاءت عبارات ذلك المؤرخ المؤثرة لتندل على أنه وهو يكسبها كان يرثي نفسه أولاً قبل أن يرثي مدينته الأثيرة إلى نفسه !»

ولاتفعل هنا الإشارة إلى استمرار ذلك السلوك نفسه للتبرير ثلاثة أيام<sup>(١٤)</sup> . وقد تمنى

١- محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٦٧

٢- إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص ٢٤٣ وعن نهب وطلب الصليبيين للقسطنطينية أنظر: برنادين كلي، فتح القسطنطينية، ت. شكري محمود نديم، ط. بغداد ١٩٦٢م، ص ٦١

٣- Nicetas Choniates, p. 314 .

Ebeid, " Was Pope Innocent III an accomplice in the diversion of the Fourth Crusade 1204 ", E.H.R., vol XV , Cairo 1969, p. 19 .

وقد أفدت من الأسلوب الأدبي الرفاعي للأستاذ الدكتور إسحق عبيد.

Madden, Aconcise History of the Crusades, London 1999, p. 104 .

محمد مؤنس عوض، ستبداء في عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٥٢

٢- قاسم عبيد قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، الأيديولوجية ، الدوافع ، النتائج ، ط. الكويت، ١٩٩٢م، ص ١٤٨

ذلك المؤرخ أن تسقط مدينته على أيدي المسلمين وليس على أيدي برايرة الغرب الأوربي<sup>(١)</sup> ؛ نظراً لأنهم ما كانوا يفعلوا بها ما فعله اللاتين ؛ مما عكس إدراكه الكامل للفارق الحضارى بين الجانبين .

واقع الأمر ؛ من الممكن المقارنة بين غزو القسطنطينية عام ١٢٠٤م وحادثة محورية سابقة عليها فى صورة غزو بيت المقدس على أيدي الصليبيين أيضاً عام ١٠٩٩م، فيلاحظ ؛ أن العام الأخير شهد مذبحة مروعة للمسلمين فى المدينة المقدسة اعترفت بها المصادر الصليبية ذاتها مثل مؤرخ الجستا Gesta المجهول ، وفوشيه الشارترى Fulcher of Chartres ، ولهمب الصورى William of Tyre<sup>(٢)</sup> نفسه وقد بلغ عدد القتلى عشرات الآلاف وإن لم بصاحب تلك الأحداث الدموية عمليات سلب ونهب كبير . نظراً لفقرك تلك المدينة بصفة عامة، أما فى عام ١٢٠٤م، فالهدف لم يكن مدينة مقدسة بل عاصمة إمبراطورية، وصاحب غزوها سلب ونهب واسع النطاق، نظراً لثرائها العريض، كما أن الفارق الجوهرى بين عامى ١٠٩٩م، ١٢٠٤م، أن العام الأول هاجم فيه الصليبيون مدينة إسلامية أما العام الثانى فقد هاجموا فيه مدينة مسيحية<sup>(٣)</sup> ؛ مما عكس أن المشروع الصليبي أشبه بأخطبوط بأذرع متعددة يهدف إلى تحقيق مطامعه دون اعتبارات دينية . وتتفق الحادثنان من خلال تعبيرهما عن الرجة الدموى القبيح للحركة الصليبية ذات الطابع المتعصب حتى مع أبناء المسيحية ذاتها

١- حنين ربيع . دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٦ . است غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٥٨

وعن استيلاء الصليبيين عن العاصمة البيزنطية أنظر:

لىلى عبد الجواد، السياسة الخارجية للإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١م، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب- جامعة القاهرة- عام ١٩٨٠م، ص٢٢- ص٢٤ . وهى دراسة علمية فريدة لمنزلة قدره

٢- أنظر ما سبق ذكره من قبل.

٣- عن أصول وتطور الحملات الصليبية ضد المسيحيين أنظر هذه الدراسة المتخصصة

Housely , " Crusades against Christians: Their Origin and Early development 1000-1216 ", Crusade and Settlement ed. by Peter W. Edbury, Cardiff 1982, pp. 17-36 .

وبلاحظ أن المؤرخ البارز نورمان هاوسلى تخصص فى أمر الصليبيات المتأخرة.

مهما يكن من أمر؛ تم إقامة حكم لاتيني في القسطنطينية وتم انتخاب بلدوين الفلاندرزي إمبراطوراً، كذلك تم تنصيب بطريك جديد في صورة توماس ميروسيثي - Thomas Morosini<sup>(١١)</sup>، أما الفنانم ؛ فقد تم تقسيمها على كبار المشاركين في تلك الأحداث ، وعلى ذلك حصل بلدوين الفلاندرزي على جنوبي تراقيا، وخمس أثنان العاصمة البيزنطية، وبعض جزر بحر إيجه مثل ساموس، وخبوس ، ولسبوس، أما قائد الحملة يوتيفاس؛ فقد نال سالونيك ، ونجد أن نصيب الأسد حصلت عليه البندقية . ولا أدل على ذلك من استعراض حجم المناطق التي سيطرت عليها، وهي كالآتي :

- ١- ابيروس، واكارنانيا، وإيتوليا، مع مدن دورازو وارتا، وغيرها<sup>(١٢)</sup>.
- ٢- الجزر الأيونية، وعلى نحو خاص كورفو، وكيفالونيا ، وسانت مور، وزانتى.
- ٣- البليبينيز في صورة مدن بتراس ، وكالغريتا، واستروفا ، ومردون ، ولاكيدومنيا<sup>(١٣)</sup>.

#### ١- حنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٥٧- ص٢٥٨

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢١١

أنظر وصفه لدى: ليلى عبد الجواد، «البايعة والإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية (١٢٠٤-١٢٦٦م)» ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تكريماً للأستاذ الدكتور / إسحق عبيد، محرر محمد مزنس عرض، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص٤٣ ، حاشية (٢٠)

- ٢- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج١، ص٢٧٧ ، حيث يقدم تفصيلات مهمة عن توزيع الخفام والأسلاب البيزنطية، وأنظر كذلك الملحق الخامس بما سيطرت عليه البندقية
- ٣- عن ذلك بالتفصيل أنظر هذه الدراسة المتميزة.

Lock, The Franks in the Aegean, 1204-1500, London 1995, pp. 35-66, pp. 68-104 .

ويلاحظ اعتماد هذه الدراسة القيمة على حولية المودة The Chronicle of Morea. عنها أنظر المدخل الجليلي لمراني.  
ولم هذا الشأن أنظر،

Longnon , " The Frankish in Greece ( 1204- 1311) , in Setton (ed.) A History of the Crusades, vol . II, Wisconsin 1989 , pp. 235- 274 .

Topping , " The Morea 1374-1470", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . II, m Wisconsin 1989, pp. 141-166 .

- ٤- جزر جنوبي وغربي بحر ايجه، ومنها ناكسوس وأندروس وجزيرة بويه، خاصة مدينتي اوربوس وكارمستوس
- ٥- مجموعة من المدن متراصة على طول الشاطئ الأوربي لضيق الدردنيل، وبحر مرمرة أهلها جاليبولي، وروستو، وهيراقليا.
- ٦- بعض مدن داخل تراقيا أكبرها أندريونيل بالإضافة إلى جزيرة كريت (١١).
- ويقرر العلامة هايد Heyd في دراسته القديمة الجديدة عن تاريخ التجارة في العصور الوسطى : أن أغلب تلك المناطق كانت خصبة وتصل إليها السفن على نحو ميسر، وكلها على نهر تقريبي، وقعت على الطريق البحري الكبير الذي يصل البندقية بالقسطنطينية.
- وقد يتساءل البعض عن موقف البايوية من كافة تلك الأحداث . وفي الواقع أنها مشكلة في أنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) كانت تدرك إدراكاً يقينياً أن الصليبية الرابعة استهدفت الهجوم على القسطنطينية كما أنه تواطأ في إدانة الهجاء الصليبيين نحو مدينة زارا Zara الهنغارية العاصمة البيزنطية . وبذلك يكون قد سح لقادة تلك الحملة الصليبية بالانجاء قدماً في مخططاتهم العدوانية (١٢).

= مدوح مغايز ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في إمارة الليرة الصليبية في عهد أسرة فيليباردين ١٢٠٥-١٣١٠م. رسالة غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا، عام ٢٠٠٠م.

١- هايد ، تاريخ التجارة، ص ٢٧٨

٢- أفضل دراسة كشفت الثقب عن تواطؤ البايوية في أحداث الصليبية الرابعة أعدها أ.د. اسحق عبيد ، انظر روما وبيزنطة ، ط. القاهرة ١٩٧٠م وأيضاً:

Ebdid. " Was Pope Innocent III an accomplice in The diversion of the Fourth Crusade 1204" E.H.R., vol XV , 1969, pp. 2-19 .

إنوسنت الثالث، هو البابا الذي تولى منصبه خلال المرحلة من ٨ يناير ١١٩٨م إلى ١٦ يوليو ١٢١٦م خلفاً للبابا كلستين الثالث Cletin III (١١٩١-١١٩٨م) . وهو في الأصل من لوتاريو Lotario. وله حوالي عام ١١٦٠م ودرس اللاهوت في باريس والقانون الكنسي في بولونيا . وصار كردينالاً عام ١١٩٠م. وقد ألف عدة مؤلفات ، وأظهر مهارة إدارية . ومن أعماله الدعوة إلى شن حملة صليبية ضد العناصر الأليجنسية في جنوبي فرنسا . كما يذكر له عقده لمجمع كنسي في نوفمبر عام ١٢١٥م وهو ما عرف بمجمع =

من ناحية أخرى؛ من الممكن إدراك كارثة ما حدث للعاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤م، إذا ما قارناه بما حدث ليقنّاد قبما بعد بأربعة وخمسين عامًا وتحديدًا عام ١٢٥٨م، في نفس القرن الثالث عشر على أبدي المغول (١)؛ إذ أن السلوك المتبرير هو نفسه وإن اختلفت وجوه القاتنين به. إذ الأمر المؤكد أن ما حدث في المدينتين والأول عاصمة إمبراطورية عريقة، والثانية عاصمة الخلافة العباسية التي عُدّت مدينة عالمية إزدهر فيها العلم، والتجارة وقد دفعت

= اللاتيران الرابع The Fourth Lateran Council وهناك من يقرر أنه من أكبر المجالس في أوروبا  
المعصور الوسطى، عن البابا انوسنت الثالث انظر بالتفصيل

Roger of Wendover, The Chronicle of Roger of Wendover, in Peters, Christian Society and the Crusades 1198-1229, Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Padenborn, Pennsylvania 1971, pp. 37-40.

Binns, Innocent III, London 1931. Luchaire, Innocent III, 6 vols., Paris 1905- 1908.

وهي أشمل وأوسع دراسة بالفرنسية في موضوعها

Roscher, Papst Innocenz III und die Kreuzzüge, Göttingen 1969, Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 186-188.

١- عن ذلك أنظر:

ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٤٨-٥٣، بيبس الدردارى، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة  
محقق زبيدة عطا، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ج ٩، ص ٦٤-٦٧، ابن أبيك الدردارى، الفرة الذكبة في الدولة  
التركية، محقق أولرخ هارمان، ط. القاهرة ١٩٧١م، ص ٣٤-٣٧، ابن الوردي، تنمة المختصر في أخبار  
البشر، ط. النجف ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٢٧-٢٨، السيد الباز العرينى، المغول، ط. بيروت ١٩٨٦م،  
ص ٢١٦-٢٨، فزاد عبد المعطى الصبياد، المغول في التاريخ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص ٢٤٩-  
ص ٢٨٦، مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من يقنّاد على أبدي المغول،  
ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٤٦-١٨٦، محمد نصر مهنا، الإسلام في أسيا من الفزو المغولى دراسة في  
تاريخ العلاقات الدولية والاتليسية، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ٣١-٣٥، أحمد مختار العبادى، قيام  
دولة المالك الأولى في مصر والشام، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ١٤٧-١٤٩، سيد أمير على، مختصر  
تاريخ العرب، ت. عفيفى البطيكن، ط. بيروت ١٩٩٠م، ص ٣٤٩

الكتب، والتحف والنقائس - وهي مبرات حضارى لا يقدر بشئ وملك للإنسانية جميعاً، الشمن فادحاً فى كل من العاصمتين الأوروبية والآسيوية. والفارق الزمنى بينهما لا يتجاوز ٥٤ عاماً فقط من عمر الزمان، وبالتالي يكون القرن المذكور . قد شهد أكبر حادثتى سلب ونهب ، وتدمير فى تاريخ كل من البيزنطيين والعباسيين الذين كثيراً ما تصارعوا فى حروب متعددة خاصة خلال العصر العباسي الأول والآن انفقروا فى المصير المأساوى الواحد ١ وتلك من مفارقات التاريخ التى تدعو المرء للتأمل بإمعان .

ويقرر رنسيمن - وهو الذى وصف الحروب الصليبية بأنها آخر الغزوات الشهيرة Last of the Barbarian Invasions<sup>(١)</sup> وما كانت تلك العبارة الفريدة الصادرة من مؤرخ بيطاني مسيحي إلا تعقيباً على الصليبية الرابعة- يقرر تعقيباً على آثار تلك الصليبية : « من العبر علينا المبالغة فى الأثر الذى أحدثه نهب القسطنطينية فى الحضارة الأوروبية، فإن كنوز المدينة، والكتب، والآثار الثمينة التى احتفظ بها منذ دهور سحيقة قد بادت جميعاً، ودمر معظمها . ثم إن الإمبراطورية تلك الحصن العظيم المنيع لعالم المسيحية قد قصت كدولة كما أن تنظيمها الشديد المركزة دمر وقضى عليه، واضطرت الولايات، والمقاطعات إلى التحول عن الدولة؛ لتنفذ نفسها، وكانت ثمرة جريمة الصليبيين تمهيد السبيل، وتسهيل الأمر أمام الفتح العثماني<sup>(٢)</sup>، وهكذا ؛ أوجز ذلك المؤرخ حجة العراسات البيزنطية فأعوى ! ومن المفترض أنه لو لم يكن مؤرخاً بيزنطياً ما أدرك فداحة ما حدث . وما وصف الصليبيين ذلك الوصف التاريخي<sup>(٣)</sup> الذى لم نسمعه من مؤرخ غربي مسيحي آخر

Runciman , A History of the Crusades, vol. I, The Prefare. -١

جدير بالذكر أن العلامة أ.د. إسحق عبيد وصف الحركة الصليبية وصفاً ذكر ما نصه « قتل الحروب الصليبية نقطة سوداء فى تاريخ العلاقات بين الغرب الأوروبى المسيحى والشرق الإسلامى فى العصور الوسطى . فلقد هاجم مفلس الفلاح الإقطاعية ، وتطاع الطرق وأرباب السجون، والقتلة، بل ونفر من بنات الهوى من كل فجوع أوروبا الأفرنجية شمرب الشرق الأدنى الأمتين للنهب، والسلب، والتدمير، والقتل وذلك بتحريض من البابا أوربان الثانى سنة ١٠٩٥ م.». أنظر:

ريون استانبولى، مفاتيح أورشلیم القدس، حملتان صليبيتان على مصر (١٢٠١-١٢٥٠) . ت عاية الباجورى. مراجعة وتقديم إسحق عبيد، ط . القاهرة : ٢٠٠٤م، ص٩ . من مقدمة المراجع والمقدم.

وهي شهادة موضوعية تذكر لذلك المؤرخ الكبير

Runciman , Byzantias Civilization, p. 46 .



نأى الآن إلى زاوية مشيرة للجدل في صورة مسئولية توجه الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية .

والواقع أنه وفقاً لما قرره مؤرخ متخصص في العلاقات اللاتينية البيزنطية فإنه حتى عام ١٨٦٠م؛ إعتقد كثير من المؤرخين في صحته أنه أورد المؤرخ فيلهاردوين الذي ذكر أن إنحراف الحملة إلى القسطنطينية كان من قبيل المصادفة . وهكذا : لم يشر إلى أية خطة متممة في هذا الشأن، غير أنه في عام ١٨٦١م ، إنهم المؤرخ ماس لاتير Mass-Latier البندقية بعقدها لاتفاق سرى مع الأبريين مما جعلها تضغط على الصليبيين لتوجيه مسار الحملة صوب العاصمة البيزنطية<sup>(١)</sup>، ومن بعد ذلك أقر المؤرخ الألماني كارل هوف Karl hoph بأن الاتفاق المذكور وقع بالفعل وحده زمنياً ببرم ١٣ مايو عام ١٢٠٢م<sup>(٢)</sup>.

مهما يكن من أمر: فإن المؤرخ الفرنسي هانوتو Hanotaux في عام ١٨٨٧م : يرفض ما ذهب إليه المؤرخان السابقان ولم يؤيد فكرة الاتفاق السري، بل رأى أن البندقية تصرفت خلال الأحداث من خلال مصلحتها الاقتصادية العليا التي كانت تقتضى إسقاط تلك العاصمة المنافسة<sup>(٣)</sup>

وفيما بعد من خلال أطروحة الدكتوراه التي أعدها أ.د. إسحق عبيد بإشراف المؤرخ الإنجليزي الشهير برنارد هاملتون Bernard Hamilton من جامعة نوتنجهام Nottingham عن العلاقة بين روما وبيزنطة من قطيعة قرشيدس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين ١٢٠٤م<sup>(٤)</sup>، تؤكد للدارسين أن تحول مسار الحملة الرابعة لم يكن من خلال الصدفة ، بل نتج

١- عادل زبون، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٩-٣

وقد أبد ذلك الاتجاه كل من جمال الدين الشبال ومحمود الحبري أنظر: جمال الدين الشبال ، تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، العصران الأيوبي والسلطاني، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م، ص ٩٩

محمود الحبري، العادل الأيوبي، ص ٨٣

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، ص ١٠٣- ٣٠٢

٤- ناقش الرسالة المذكورة كل من المؤرخين البارزين السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runcima وجوان هسي Joan Hussy . ووصفت بأنها مصححة Corrective لتصورات المؤرخين السابقين عليها

عن خطة مسبقة مدبرة<sup>(١)</sup>، كما أن البابا أنوسنت الثالث يحتل جانباً من المسئولية، وفي إحدى رسائله إلى رئيس أساقفة مدينة تور Tours ذكر البابا مبلغ سعادته بإذلال كنيسة القسطنطينية والقضاء على عجرفة البيزنطيين، ويعلق ذلك المزوخ قائلاً: «على ضوء الوثائق سالفة الذكر: يتضح موقف البابا أنوسنت الثالث تجاه غزو القسطنطينية دون لبس أو غموض، وليس من باب الصدفة أن نجد كثيراً من المعاني التي وردت في هذه الرسائل مطابقة تماماً لما كان البابا ذاته قد كتب إلى السلطات البيزنطية في عام ١١٩٨م حينما كان يهددها باتخاذ إجراءات عنيفة لإخضاع كنيسة القسطنطينية المنشقة».

من جهة أخرى؛ لا تغفل أن أحداث التاريخ تحدثت من خلال دوافع متعددة وجزئية المصادفة ليس من الممكن تصورها في حالة تلك الحملة، وفي تقديري أنه في حالة افتراض المصادفة - وهو أمر مرفوض أصلاً، ما تم تنفيذ مخططات البابوية يمثل ذلك الاحكام. ويعلق البعض على ذلك بقوله «هجمت القوى الإيطالية في حل المسألة البيزنطية عن طريق احتلالها بعد محاولات تمتد أكثر من قرن إلى الوراء»، محاولات بدأها روبرت جويسكارد عام ١٠٨٦-١٠٨٥م وابنه بوهيند عام ١١٠٧-١١٠٨م وروجر الثاني عام ١١٤٧-١١٥٠م ووليام الثاني عام ١١٨٥م<sup>(٢)</sup>، من الممكن التقرير بأن مسئولية سقوط العاصمة البيزنطية موزعة بين البيزنطيين أنفسهم والبابا أنوسنت الثالث، والبنادقة، وقد يتصور البعض أن البيزنطيين هم الضحية في كافة تلك الأحداث التي وقعت على أرض إمبراطوريتهم غير أن الواقع التاريخي يؤكد أن بيزنطة سقطت من الداخل قبل أن تسقط من الخارج وهي في ذلك، تتشابه مع روما التي سقطت على أيدي الجرمان من قبل القسطنطينية، بما زاد على السبعة قرون وتجديد عام ١٤٧٦م<sup>(٣)</sup>، ولا تغفل أن الصراع على المنصب الإمبراطوري الذي سمح بالتدخل الأجنبي:

١- وفي ذلك يقول ما نصه: «إن الغزو الصليبي لبيزنطة سنة ١٢٠٤ لم يكن وليد «إنحراف» أو «صدفة» كما يذهب الكثيرون. ولذا كان لزاماً على الكاتب الرجوع إلى جذور المشكلة من عام ٨٩٩م. عام القطيعة الدينية بين روما القديمة وروما الجديدة، ولذلك لتقصي الحقائق الكافية وراء هذا الصراع الذي انتهى بسقوط مدينة قسطنطين العظمى سنة ١٢٠٤ في أيدي جنود البابا أنوسنت الثالث. أنظر: إسحق عبيد، روما وبيزنطة، التمهيد.

٢- عادل زنتون، العلاقات السياسية والكنسية، ص: ٢٠٠.

٣- أنظر ما تم إيراده من قبل.

مثل فرصة ذهبية أمام الغرب الأوروبي أحسن استغلالها : من أجل توجيه ضربة قاضية لبيزنطة . ثم أن الضعف العام لتلك الإمبراطورية شجع أعداءها على الإنتقاض عليها في غير هوادة.

إن الإمبراطورية التي استدعت الغرب الأوروبي من أجل مواجهة الأتراك السلاجقة في النصف الثاني من القرن الحادى عشر ، دفعت الثمن فادحاً من حريتها في أوائل القرن الثالث عشر م . وبذلك تأكد للقاضى والدانى أن تلك الإمبراطورية التى لعبت بمهارة فائقة - ولعدة قرون خلت- لعبة توازن القوى ، واستطاعت عبور كافة الأزمات التى واجهتها ، إلا أنها الآن تقع فى مأزق مراجعة العدو الذى استعانت به يوماً ، وتلك مفارقة ساخرة فى التاريخ البيزنطى ينذر أن نجد لها مثيلاً فى العصور الوسطى!

ومن الملفت للإتباه : أن أطماع الغرب الأوروبى فى بيزنطة كانت واضحة للعيان على مدى القرن ١٢ م . غير أن البيزنطيين لم يتحدوا من أجل مراجعة تلك الأطماع السافرة .

ولانفعل كذلك؛ أن عصر الأباطرة الكبار قد ولى وأدبر ، ولم يعد فى جعبة بيزنطة أباطرة على شاكلة هرقل ، وليو الثالث الأيسورى ، وباسل الثانى، والآن ؛ لم يكن لدى تلك الامبراطورية إلا أباطرة صفار والأحداث كبارا وبعبارة أخرى لقد عمق الرحم البيزنطى حينذاك عن إنجاب إمبراطور يواجه كافة تلك العواصف والأثواء التى أقسمت على اقتلاع بيزنطة من جذورها

وهكذا ؛ أدت أحداث تلك الحملة الصليبية إلى تغيير جذرى فى خريطة توزيعات الجغرافيا السياسية لشرقى أوروبا إلى درجة غير مسبوقة ، وإذا كانت بيزنطة قد نجحت من قبل من مصير روما فى القرن الخامس الميلادى ، ولم يسقطها عندئذ الجرمان إلا أن حفدة أولئك الجرمان نجحوا فى ذلك الأمر بعد ما زاد على السبعة قرون !!!

جدير بالإشارة؛ أن أحداث عام ١٢٠٤م ؛ أدت إلى التمهيد - بصورة أو بأخرى - لمذبذب الإنهيار البيزنطى النهائى على أيدي الأتراك المماليك فى ١٤٥٣م<sup>(١)</sup> فى عهد قسطنطين الحادى عشر (١٤٤٩-١٤٥٣م) على نحو سيتم تفصيله فيما بعد.

---

١- اعتقد المؤرخ سيدنى بيستر من ليل: أن المرحلة الواقعة من القرن الحادى عشر الميلادى . وعلى نحو خاص عام ١٠٥٧م إلى القرن الخامس عشر الميلادى وبالتحديد ١٤٥٣م مثلت أربعة قرون من الضعف =

ذلك أمر كارثة عام ١٢٠٤م ؛ وهي بالتأكيد حدث محوري ليس في تاريخ بيزنطة فقط ، بل في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى بصفة عامة ، ولانغفل ؛ أن العدوان الصليبي الذي كان يضع نصب عينيه المسلمين إنحرف الآن عنهم ، وإتجه إلى وجهة مغايرة ، كذلك فإن تلك الحملة جعلت الكثيرين من الصليبيين في بلاد الشام يقدمون إلى الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، بحثاً عن غنائم لهم على نحو أضعف الكيان الصليبي هناك <sup>(١١)</sup> ، وبصورة أفادت - بالضرورة - المسلمين ، ولا ريب في أن ذلك كله مثل نوعاً من إنتحار الصليبيات ، ولذا لم يكن غريباً أن اعتبر البعض تلك الحملة الصليبية الرابعة قد جاءت لتندثر بإخفاق المشروع الصليبي برمته <sup>(١٢)</sup> ، مع ملاحظة أن التدرج الأولى الدالة على فشل ذلك المشروع بدأت منذ بداية الدعوة له من خلال كونه مشروعاً متعصباً يرفض الحوار بين الحضارات وقائم على سفك الدماء ، دون تقديم أية رسالة حضارية للآخرين .

---

= والتدهور البيزنطي إلى أن تم إسقاطها على أيدي الأتراك العثمانيين ، ومعنى ذلك أن يرجعه إلى ما قبل عام ١٢٠٤م ، انظر قوله :

" The last four centuries of the empire's existence , from 1057 to 1453 , was a period of gradual decadence in power , Enemies from both east and west cut her provinces way one by one until The great capital , Constantinople , was finally overwhelmed by the Ottoman Turks "

أنظر رأيه

Painter , A History of the Middle Ages 284-1500 , New York 1954 , p. 35 .

ومع رجاعة ذلك التصور إلا أن عام ١٢٠٤م وما حدث فيه يظل نقطة تحول فارقة في التاريخ البيزنطي رعن بعدما تزايدت ظاهرة الضعف البيزنطي إلى أن حست عام ١٤٥٣م .

١- سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة .

ويقرر رينه جروسيه René Grousset تعليقاً على سقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤ ما نصه : « سب مضاراً خطيرة لسورية الفرنجية ، فقد حرمتها من تعزيزات لم يكن بالإمكان الاستغناء عنها ، كما أدت بعثرته لقوى الفرنجية في الأرض المقدسة ، حتى أن يجبرز لنا أن نقول بأن قيام هذه الإمبراطورية اللاتينية قد أفضى إلى تجميد الحياة في سورية الفرنجية » .

عن ذلك أنظر : =

على أية حال: هناك من يعتقد أن كثيراً من المؤرخين لا يعترفون بالفترة البيزنطية فيما بعد حكم اللاتين ، وأن عام ١٢٠٤م ، يمثل نهاية لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية حيث سقطت على أيدي اللاتين<sup>(١)</sup>.

وواقع الأمر : أن أهمية التاريخ البيزنطي - في أحد جوانبه بظبيحة الحال - القفوة على الاستمرار على الرغم من الكوارث، والمعن التي واجهت تلك الإمبراطورية . وهكذا : فإن المرحلة الواقعة من ١٢٠٤ إلى ١٤٥٣م على الرغم من العنف الذي شابها : إلا أنها جزء لا يتجزأ من مسار التاريخ البيزنطي وهي بالتالي تحتل مكانة بارزة فيه وليس في الإمكان إسقاطها تحت أي مبرر وإذا وجد هناك من المؤرخين من ثورقوا بدراساتهم عن عام ١٢٠٤م مثل نورمان بينز Norman Paynes - على سبيل المثال - فإن ذلك لا يلزمنا بالضرورة ، والعصر الذي كان يكتب فيه ذلك المؤرخ الرائد كانت التصورات تجاه ذلك التاريخ ليست بنفس الاتساع المتوافر حالياً مع الأخذ في الاعتبار الزخم المعرفي الكبير الحادث حالياً وانعكس بالضرورة على دراسته .

تلك ملاحع عهد أسرة أنجيلوس التي حكمت الإمبراطورية المتناقضة التاريخ بين صفحات القوة وصفحات السقوط إلى الخضم ، لقد استمر عهد تلك الأسرة ١٩ عاماً فقط ولاريب في أنها قصيرة في تاريخ إمبراطورية امتد بها العصر إلى نحو ١١٢٣ عاماً غير أنها تعد

" وينيه جروسه، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ت. أحمد أبيش، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص ٨١  
ويفر أمين معلوف ما نصه " بدلاً من أن توطد حملة "قسطنطينة الجيونة دعائم المنشآت الفرنجية في بلاد الشام : فقد أصابها بضربة قاصمة".

أنظر: أمين معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ت. عفيف دمشقية، ط. بيروت ١٩٩٣م، ص ٢٧٧

١ - محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٩

وقد أنهى كتابه عند عام ١٢٠٤م، ولم يواصل عرض أحداث التاريخ البيزنطي المتتمة من ذلك العام حتى ١٤٥٣م . واتخذ نفس التحليل الذي ذهب إليه من قبل نورمان بينز ، ومع تقديرى لجهد ذلك المؤرخ البارز فإنني أختلف معه في الرأي

وعن نفس تلك الزاوية أنظر جوزيف نيسم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٤٧

فاصلة، وفارقة في التاريخ البيزنطي، خاصة المرحلة التالية عليها على نحو يجعلنا لاتبالغ إذ ذكرنا أنه فيما قبل عام ١٢٠٤م كان التاريخ البيزنطي له نقط محدد أما بعد العام المذكور فنلاحظ تغيراً جوهرياً واضحاً ظهر فيه حيث بدأ العد التنازلي البطيء لذلك الكيان الذي صارع الزمن لقرون طويلة .

والواقع : أن تقدير المسؤولية التاريخية عن تلك الأحداث يجعلنا نركز تصوراتنا على ثلاثة أباطرة فقط هم إسحق الثاني ، والكسيوس الثالث ، والكسيوس الرابع، ومع ذلك ، فمن الإنصاف التقرير بأن تاريخ تلك الأسرة بغض النظر عن مواقف أباطرتها من مسار الأحداث السياسية وما عرفوا به من ضحالة الخبرة السياسية في التعامل مع الغرب الأوروبي المتخسر بالامبراطورية أثر فيها إمبراطور سابق كان بوجه تاريخ تلك الأسرة ، وما حكم أباطرتها إلا الحصاد الحقيقي لسياساته في صورة مانويل كومنين، وهكذا؛ فعند الحكم التاريخي على أسرة أنجيلوس من الأهمية بكان : إدراك أنها أسرة جاءت في ظروف بالغة التعقيد ، وكانت مقدمات الانفجار في العلاقات البيزنطية - اللاتينية قد وجدت من قبل توليها السلطة :

منطقي أن السطور السابقة لا يفهم منها إبعاد المسؤولية عن أولئك الأباطرة وصراعات العرش البيزنطي في عهدهم ، بل أنهم يتحملون جانباً مهماً منها .

ومع ذلك : فإن تلك الامبراطورية المتصارعة مع الزمن أبت إلا أن تواصل الاستمرار ، فبلا حظ قيام عدة إمارات بيزنطية منها ما عمل على استعادة القسطنطينية أو القلب السليب، ففي طرابيزون قامت إمارة انتسبت إلى آل كومنين، وقد مدت نفوذها ليشمل الشريط الساحلي للبحر الأسود من هرقلية إلى القرقاز<sup>(١)</sup>، ولجما بعد امتد عمر تلك الإدارة حتى عام ١٤٦١م؛ أي حتى بعد السقوط النهائي لبيزنطة عام ١٤٥٣م.

١ - عن إمبراطورية طرابيزون أنظر بالتحصيل

Michael Panaretos , *Chronicle of the Empire of Trebizond*, ed. O. Lampsides , Athens 1958 .

Vasiliev , " The Foundation of The Empire of Trebizond (1204- 1222) " , S., vol . XI, 1936 , pp. 3-37

Id , *The Empire of Trebizond in History and literature*, " B., vol . XV, 1940- 1941 , pp. 316-326 .

Osrogorsky , *History of the Byzantine State*, p. 378 .

أما في إبيروس Epirus فقد أقام ميخائيل الأول كومنينوس دوكاس - Michael I Komnenos Ducas (١٢٠٤-١٢١٥م) إمارة امتدت من ليبيا إلى دوزانو<sup>(١)</sup>

وفي نيقية Nicea استطاع تيودور لاسكاريس Theodore Lascaris صهر الكيسرس الثالث أن يجمع عدداً من أفراد الطبقة الأرستقراطية ، وتوج كإمبراطور للرومان عام ١٢٠٨م<sup>(٢)</sup>. دون إغفال كيانات بيزنطية صغيرة في رودس وقيلادلقيا

هنا - بركات. التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى سقوطها ١٤٦١م. وسالة مجتمعية غير منشورة . كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٨م.

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢١١ - ص ٢١٢

Osrogorsky , p. 452

١- عن إمبراطورية إبيروس أنظر

Nicol, A Biographical dictionary , p. 92 .

عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢١٢

وميخائيل الأول كومنينوس دوكاس كان قد فر إلى شمال شرقي بلاد اليونان بعد الفخرو اللاتيني للقسطنطينية عام ١٢٠٤م وهناك في جبال بندوس Pindus صار قائداً لمجاهدات إبيروس Epiros وإكارتانيا Akanania وما. بحماية تلك المناطق من جيوش الصليبيين. وقد تمكن من مد أملاكه إلى تساليا Thessaly في الشرق وحتى دوزانو Onrazzo وجزيرة كورفو Corfu في الشمال. وقد توفي عام ١٢١٥م تاركاً الأمر من بعده لتيودور كومنينوس دوكاس Theodore Komnenos Ducas

Nicol, op. cit., p. 92

عنه أنظر:

٢- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢١٢

Dicht , History of the Byzantine Empire, p. 143 .

أيضاً

وتيودور لاسكاريس؛ هو إمبراطور نيقية خلال المرحلة من ١٢٠٨ إلى ١٢٢٢م. وكان قد ولد عام ١١٧٥م. تقريباً وتزوج من أنا Anna ابنة الإمبراطور الكيسرس الثالث أنجيلوس وفي عام ١٢٠٨م ترجمه البطريرك ميخائيل الرابع كإمبراطور وتمكن من أن يفسم إمبراطورية ذات اقتصاد قوى وجهاز إداري ودعائى متنامك على نحو كان له دوره في إعادة الحكومة البيزنطية إلى القسطنطينية . ولما يذكر له هزيمته للسلاجقة عام ١٢١١م. كذلك إرغامه إمبراطور القسطنطينية اللاتيني هنري أوف فلاتوز على احترام حدود ووحدة إمبراطورية نيقية . وقد توفي عام ١٢٢٢ دون أن يترك من يرثه. عنه أنظر : Nicol , Op. cit., pp. 121- 122 .

Vasilev, History of the Byzantine Empire, pp. 507-508

Osrogorsky , History of the Byzantine State, pp. 378-385 .

ويكشف ذلك عن تحول الكيان الإمبراطوري الكبير إلى شذرات متناثرة مؤقتة إلى أن تعود إلى حضن القلب السليب .

من ناحية أخرى: تكونت- كما أسلفت الإشارة من قبل- إمبراطورية لاتينية في القسطنطينية وقد قامت على أصول إقطاعية<sup>(١)</sup>، وعاشت في ظل التصارع الداخلي وكذلك مع جيرانها ، وبصفة عامة؛ حدث التصارع بين الإمبراطور، والأمراء التاهيين له الذين تظلموا إلى زيادة نفوذهم على حساب سلطانه ، وسال لعاب الجميع من أجل نهب ثروات بيزنطة التي كانت بمثابة عروس وقعت في قبضة من يريدون اغتصابها جماعياً !!

ويجدر بنا : أن نلقى نظرة موجزة على أوضاع تلك الإمبراطورية اللاتينية الاستثنائية في التاريخ البيزنطي. ويلاحظ أن بلدين أوف فلاتندز الذي حكم من ١٢٠٤-١٢٠٥ م . وهو أول الأباطرة كان قليل الكفاءة ، ولم يزد عن أن يكون بمثابة الأول بين أقرانه Primus inter Parus<sup>(٢)</sup> وقد قتل في عام ١٢٠٥م في صدام وقع بينه وبين الهنغار ومن بعد رحيله تولى الحكم شقيقه هنري (١٢٠٥-١٢١٦م)<sup>(٣)</sup>.

#### ١- عن ذلك بالتفصيل أنظر:

عبد الحافظ البناء، النظام الإقطاعي في المملكة اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٩٤م، وهي الدراسة الأكاديمية العربية الوحيدة في الموضوع المذكور.

#### ٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢١٣

وعن بلدين أوف فلاتندز أنظر:

Wolff . " Baldwin of Flanders and Hainaut first Latin Emperor of Constantinople his life, death and resurrection", S., vol XXVII, 1952 , pp. 281 - 322 .

Lock, The Franks in Aegean, pp. 43-45 .

Runciman, Byzantine Civilization , p. 46 .

-٣-

Diehl . History of the Byzantine Empire, p. 142 .

عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص٢١٥



وقد سعى جاهداً إلى استمالة البيزنطيين إلا أن غالبيتهم اتجهت صوب امبراطورية نيقية بقيادة تيودور لاسكاريس بحثاً عن الحرية التي تاقّت إليها نفوسهم بعد كارثة الاحتلال اللاتيني، ومات عام ١٢١٦م<sup>(١)</sup>

بعد أن فشل في إيجاد أدنى قدر من التعايش بين البيزنطيين والغزاة اللاتين، وخلفه على العرش أخته يولند Yolande وزوجها بطرس دي كورتناي Peter de Courtenay غير أن القتل كان مصيره قبل الوصول إلى القسطنطينية عام ١٢١٧م<sup>(٢)</sup>، وقامت يولند بحكم البلاد على مدى المرحلة من ١٢١٧م إلى ١٢١٩م<sup>(٣)</sup>، وتنازلت من بعد ذلك لابنتها روبرت التي تم خلعها نظراً لحدودية خبرته السياسية<sup>(٤)</sup> عام ١٢٢٨م، ومن بعده : تولى الحكم بلدوين الثاني تحت وصاية حنا أوف برين ملك مملكة عكا الصليبية John of Birene (١٢٢٨-١٢٣٧م)<sup>(٥)</sup>، ثم تولى الحكم منفرداً خلال المرحلة من ١٢٤٠ إلى ١٢٦١م.

١- Dikal , History of the Byzantine Empire, p. 143 .

٢- Runciman, Byzantine Civilization, p. 47

٣- يولند Yolande : أميرة لاتينية للقسطنطينية خلال المرحلة من ١٢١٧م إلى ١٢١٩م ، وهي أخت بلدوين الفلاندرزي Baldwin of Flanders . وهنري أوف هينوت Henry of Hinault ، وبعد زوجها بطرس كورتناي Peter of Courtenay : حكمت الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، وأثبتت أنها حاكمة قوية ، وقد زوجت اثنين من بناتها زيجات تحالف الأولى : وهي أجنيس Agnes التي تزوجها هودفري الثاني فلهاردين Godfrey II Villehardouin ، والثانية : وهي ماري Marie التي تزوجها تيودور الأول لاسكاريس Theodore I Laskaris . وقد أثارت وفاتها مسكّة خلافاتها إلى أن تولى من بعدها ابنها الأكبر روبرت أوف كورتناي ثم من بعد : ابنها الأصغر بلدوين الثاني . عنها أنظر

Norwich , Byzantium, The decline and Fall, pp. 191-193 .

O.D.B., vol III, p. 2215 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 282, p. 284 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 519- p. 520

Runciman, Op.cit ., p. 47

٤- حنا أوف برين هو ملوك مسكّة بيت القدس خلال المرحلة ما بين عامي ١٢٢٠م ، ١٢٢٥م وامبراطور

وهكذا : نلاحظ أن تلك الإمبراطورية لم يتول حكمها من يوصف بالحنكة السياسية أو الخبرة التي تمكنه من توطيد أركانها ولاتزاع في أنها منذ يومها الأول عجزت عن تحقيق الأمن والاستقرار لها وللبيزنطيين الذين نظروا إليها نظرة عدائية وقاموها بكل وسيلة ممكنة

بصفة عامة : لم تعمر تلك الإمبراطورية طويلاً بل تعد أقصر إمبراطورية شهدتها العصور الوسطى. إذ لم يتجاوز عمرها المرحلة من ١٢٠٤م إلى ١٢٦١م<sup>(١)</sup>. من الممكن إدراك العوامل التي وقفت لتضع نهاية لذلك الجنين المشوه الذي خرج إلى الدنيا سقاً في صورة الإمبراطورية اللاتينية المذكورة من خلال الأتي

أولاً كان الأمراء، اللاتين وكذلك البنادقة - وهم الذين اشتركوا في الصليبية الرابعة لتحقيق مصالحهم الشخصية - أقل نفعا لتلك الإمبراطورية ، وقد حدث التناحر، والتصارع بين 'الإمبراطور، والأمراء، الثابعين: على نحو أضعف ذلك الكيان السياسي الهش والدخيل على الأرض البيزنطية ، وبذلك : وجدت عوامل الإنهيار الداخلي قبل العوامل الخارجية ، وتفاعلت تلك العوامل معاً في توافق مشير للدهشة : من أجل الإجهاد عليها بعد مرور ٥٧ عاماً فقط من ميلادها

ثانياً من الملاحظ أن تلك الإمبراطورية : لم تتمكن من صنع أية جسور للتفاهم ، والتواصل ، والتعايش مع البيزنطيين الذين صاوت كارثة عام ١٢٠٤م حبة في عقولهم،

= القسطنطينية فيسا بين عامي ١٢٢٨م ، ١٣٤٧م. وقد تلقى تاج ملكة عكا عندما تزوج ماري دي مونتفورت Montferrat عام ٢١٠م وفقد عام ١٢٢٥م عندما تزوجت ابنته إيزابيلا Isabella فردريك الثاني Frederick II ويلاحظ أن هنا دي برين يشتهر في تاريخ الحروب الصليبية بقيادته الحملة على مصر بالاشتراك مع المندوب البابوي بلاجيوس وهي التي عرفت بالحملة الخامسة. عنه انظر Oliver of Paderborn , The Capture of Damietta, Trans. by Joseph J. Cavigan in Peters, Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn, Pennsylvania 1971 , p. note (3)

محمود محمد عمران . الحملة الصليبية الخامسة ، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م.

١- من المفيد الإشارة إلى أن من المؤرخين المسلمين من أشار إلى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين . ومن أمثلتهم ابن الفرات : حيث أشار إلى أن البيزنطيين استردوا عاصمتهم عام ٦٩٠هـ وهي تقابل عام ١٢٦١م. ما نسبته . لم نزل في أبدي الفرع إلى سنة ستسائة وستين فاستعادها الروم. عن ذلك انظر ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م (١٥) ج ١ . تحقيق حسين محمد السباع ، ط. البصرة . ب-ت . ص ١٧

متأجعة في نفوسهم<sup>١١</sup>، وبذلك تمكن اللاتين بسلوكهم المثير : من كسب عداة البيزنطيين منذ اللحظة الأولى التي احتلوا فيها العاصمة الإمبراطورية. - وهم يشبهون في ذلك موقف الصليبيين عندما قدموا إلى بلاد الشام وسياستهم تجاه المسلمين وجاءت أحداث العداة والكراهية القديمة عبر قرون سابقة لتدعم العداة تجاه اللاتين .

ثالثاً كانت محنة الاحتلال اللاتيني بمثابة الفرصة الذهبية لبعث الروح البيزنطية من جديد !! وإذا كانت عوامل الاختلاف الطائفي ، والعرقى ، والسياسي فرقّت مرات ومرات بين البيزنطيين من قبل؛ فإن كارثة الاحتلال المرير عادت لتجمعهم من جديد ، ومن ثم بدأ التنافس بين الإمارات المتعددة؛ من أجل تحقيق الهدف الرئيسى : وهو استرداد القسطنطينية التي لم تعد حينذاك مجرد عاصمة فقط بل رمزاً تاريخياً وسياسياً بالغ التأثير في البيزنطيين الذين تحرقوا شوقاً من أجل تخليصها من الاستعمار اللاتيني البغيض إلى نفوسهم

رابعاً لا ننكر أن القائمين على الإمبراطورية اللاتينية ارتكبوا أخطاء سياسية فائقة أفادت- دون أن يدروا- البيزنطيين ، فلاحظ أنهم لم يشعروا مع البلغار وعلى رأسهم قيصرهم جوهانيزا Johannaiza<sup>١٢</sup>، وهكذا؛ وجدنا أن إمبراطورية نيقية البيزنطية تتحالف مع البلغار ضد المحتل اللاتيني. على نحو أكسبها قوة على قوتها ؛ وبالتالي حققت مكاسب سياسية كبيرة من وراء ذلك ضد الإمبراطورية اللاتينية الوليدة.

مهما يكن من أمر؛ تأكد للباحثين أن إمبراطورية نيقية على نحو خاص كان لها دورها في استعادة القلب البيزنطي كي يتدفق بالحياة من جديد.

١- وفي هذا الشأن يقرر المؤرخ نورمان هاوسلى ما نصه

"The Sack of Constantinople by the Crusaders and Venetians has been neither forgotten nor Forgiven by the Greek World"

عن ذلك أنظر :

Housley , The Crusaders, London 2002, p. 79 .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٦٤

لقد قام تيودور الثاني لاسكارس بدور بارز في دعم قوة البيزنطيين خلال المرحلة من ١٢٥٤م إلى ١٢٥٨م<sup>(١١)</sup>، على حين كان اللاتين يمرون بمرحلة من الضعف المبكر لم يكن لهم من الممكن الخروج منها.

على أن أكبر الشخصيات البيزنطية البارزة حينذاك - بلانزاع- يتمثل في ميخائيل الثامن باليولوغوس Michael VIII Palaeologus الذي حكم خلال المرحلة من ١٢٥٩ إلى ١٢٨٢م<sup>(١٢)</sup>، وبعد صراع مرير مع قوى متعددة : لاح من جديد الأمل الذي تصارع من أجله.

وكان قد تولى حكم الإمبراطورية اللاتينية بلفيون الثاني ١٢٢٨-١٢٦١م الذي طالت مدة حكمه ، ولم يكن يستطيع مواجهة المشكلات المتعددة التي أحاطت بإمبراطوريته التي عاشت وسط نقاب بيزنطي عدائي ينظر لحظة سقوطها التاريخية ، وقد طلب مساعدة الغرب الأوربي.

جدير بالذكر : كان وضع تلك الإمبراطورية يشبه في ملامحه العامة مع وجود قوارق بطبيعة الحال وضع ملكة بيت المقدس الصليبية التي عاشت وسط محيط إسلامي يتاصبها

عنه أنظر : حنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٨٤

Nicol, A Biographical dictionary , p. 122 .

ميخائيل الثامن باليولوغوس Michael VIII Palaeologus، تولى المنصب الإمبراطوري خلال المرحلة ما بين عامي ١٢٦١ - ١٢٨٢م، وقد ولد عام ١٢٢٥م، ويلاحظ توليه الرضاعة على الطفل يوحنا الرابع لاسكارس ، وكان قد تمكن من أن يحصل لقب إمبراطور للإمبراطورية العائدة من ١٢٥٩ إلى ١٢٦١م، وفي العام الأخير تولاه في القسطنطينية ذاتها عنه أنظر:

Nicol, Op. cit. , pp. 89-90 .

Chapman , Michael Palaeologus Restaurateur de L'empire byzantine (1261-1282), Paris 1926

Greenkoylos , Emperor Michael Palaeologus and the west 1258-1282, Cambridge , 1959

أيضاً : إسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر آل باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م ، منشورات جامعة بنى غازي ، ط١ ، بيروت ب-٢

لبنى عبد الجواد - علاقة الدولة البيزنطية بسلطة السالك البحرية ٦٥٩-٧٨٤هـ / ١٢٦١-١٢٨٢م، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة المجلد (١٤٦) (١٤٧) عام ١٩٨٦م، ص ٥٧- ١٣١، أمنت غنيم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٦٨- ١٧٠

العداء المستمر وكانت بالفعل مملكة في نظر المسلمين غير شرعية ، كذلك استمر وجودها بمثابة عبء على الغرب الأوروبي الذي اتجهت إليه دوماً للحصول على حاجتها المتزايدة للرجال ، أما الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية فقد نظر إليها البيزنطيون أيضاً على أنها غير شرعية هي الأخرى ومع ذلك ينبغي أن ندرك أن هناك فوارق واضحة بين الكيانات ، ويكفي أن الكيان الصليبي عمر نحو مائتي عام في بلاد الشام؛ أي ما زاد على أربعة أضعاف المدة التي عسرتها الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، كذلك لا تغفل أن الكيان الصليبي ذاته كان كياناً أسيرياً من الناحية الجغرافية مرتبطاً بالقارة الأوروبية من خلال اتصال الصليبيين بالوطن الأم للحركة الصليبية في أوروبا عبر البحر المتوسط ، أما الإمبراطورية اللاتينية فكانت كياناً أوروبياً خالصاً ، وإن تركت تأثيرها على الكيان الصليبي كما اسلفت الذكر من قبل .

على أية حال ؛ بعد عام ١٢٦١م عاماً فارقاً في تاريخ البيزنطيين بصفة عامة ، وكذلك في تاريخ ميخائيل باليولوغوس على نحو خاص ، وقد تمكن من خلال جهد جهيد من إخضاع كافة المناطق التي سيطر عليها اللاتين خارج أسوار القسطنطينية ، وقد أدرك بشاق بصره ، عدم قدرته على مواجهة البنادقة إلا من خلال أعتاقهم التخليديين وهم في صورة الجنجيين ، وقد عقد معهم هدنة من خلال معاهدة نيمفايوم Nymphacum عام ١٢٦١م وعرض عليهم نفس امتيازات البنادقة السابقة ، ولاريب في أن ذلك العرض كان سخياً وأسأل لعابهم ووافق الجنجيون أمام يريق الذهب البيزنطي الذي طالما خلب لبهم

وفي يوم ٢٥ يوليو من عام ١٢٦١م ؛ عندما رحل الأسطول البندقي من القرن الذهبي ، وجه أحد قادة ميخائيل باليولوغوس ضربته بأن قامت قوارنه بدخول القسطنطينية<sup>(٢١)</sup> وكان الفرار من

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص. ٢٢.

وعن المعاهدة المذكورة أنظر

فايز نجيب اسكندر، دراسة لإتفاقية تجارية بين إمبراطورية طربيزون والسلاجقة سنة ١٢٦٤م، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، ص ٨.

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص. ٢٢٠.

جانب الحكومة اللاتينية العظيمة أكبر دليل وضاح دال على العجز عن مراجعة رد الفعل البيزنطي المحترم ، وفي الشهر التالي ؛ وبالتحديد في ١٥ أغسطس من ذات العام دخل ميخائيل باليرولوجوس<sup>(١)</sup> القسطنطينية منتصراً وتم تنويجه في كنيسة أبيا صوفيا Hagia Sophia بعد أن ظلت في قبضة اللاتين نحو ٥٧ عاماً هي من أصعب الأعوام في تاريخ بيزنطة بصفة عامة.

ولا مراء في أن يوم ١٥ أغسطس ١٢٦١م<sup>(٢)</sup> يعد يوماً محورياً في التاريخ البيزنطي؛ لأنه دلالة وضاحة على قدرة تلك الإمبراطورية على مقاومة أعدائها ، والتجدد رغم تكالب الأعداء ، والمحن التي عصفت بها

ومع ذلك ؛ من المهم المغفر من توهم أن تلك القيادة البيزنطية بمفردها تمكنت من تحقيق ذلك الإنجاز التاريخي إذ أن مئات الآلاف من البيزنطيين الذين لانعرف اسما هم شاركوا في صنع ذلك اليوم التاريخي ، وهناك بصفة مستمرة الحفر من نمية الإنجازات الكبرى لأفراد وأبعاد الشعوب عنها ، وعندئذ تصلق العبارة القائلة : «إن التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون للحكام».

بلا حظ أن من المؤرخين الأوروبيين ؛ ممن نظروا إلى دور ميخائيل باليرولوجوس على أنه البطل «الأسطوري» المثقف الذي أرسلته الأقدار ليقوم بذلك الدور التاريخي ، وسط مصاعب ، وضائق جمة غير مسبوقه في التاريخ البيزنطي<sup>(٣)</sup>.

٢- نفسه ، نفس الصفحة.

٣- أنظر على سبيل المثال:

Chapman , Michel Paleologue restaurateur de l'empire byzantin (1261-1282). Paris, 1926 .

وأرد أن ألفت إتيها ، الفارئ إلى المقدمة القصة التي وضعها أ.د. اسحق عبيد لكتابه عن الدولة البيزنطية في عصر باليرولوجوس ١٢٦١-١٢٨٢ ، ط. بيروت ، ب-ت ، ص ٩ ، ص ١٢ حيث انكر الدور الفردي فقط في توجيه التاريخ وأشار إلى دور العوامل الداخلية وفعاليتها وتعاونها مع القيادة الفردية.

ومع تقديري لذلك التصور جزئياً من خلال دور ذلك القائد الغد الذي قام بدوره في وقت إحتاجت فيه بيزنطة له احتياجاً ماساً وكان بالفعل رجل الساعة ، إلا أن الكيان اللاتيني ذاته كان قد دب فيه الضعف خاصة أنه كان كياناً أشبه بجزيرة منعزلة تحيطها أمواج العداء ، والكرهية وبالتالي لايملك مقومات وجوده الأصلية ، وبدون ذلك العنصر وهو عنصر حاسم بلارب- ما كان من الممكن لميخائيل باليولوغوس أن يقود البيزنطيين نحو تحقيق ذلك الإنجاز التاريخي في ١٥ أغسطس ١٢٦١م ، وبالتالي ؛ نقرر أن العوامل الداخلية والخارجية تعاونت معاً بالإضافة إلى أن الشعب البيزنطي تحت قيادته صنع معه ذلك اليوم بإنجازاته قيادته الواعية ، دون أن يفهم من تلك العبارات أي تقليل من دوره ومكانته في التاريخ البيزنطي في عصره المتأخر

وبعد ؛ فذلك كانت ملامح المرحلة العاصفة والعصبية من التاريخ البيزنطي التي امتد بين عامي ١٢٠٤م ، ١٢٦١م ، وهي بلارب مرحلة تعد استثنائية لاتطير لها على ما زاد على (١١) قرناً من عمر الزمان؛ فالإمبراطورية التي من قبل استعمرت غيرها صارت هي نفسها مستعمرة ومن جانب أعداء كانت تكن لهم الاحترار والكرهية؛ وهكذا؛ دفع البيزنطيون الثمن من حريتهم نتيجة للصراع الاحمق علي المنصب الإمبراطوري ، ناهيك عن «غيباب الوعى بالتاريخ» ، حيث لم يدرك رجال السياسة حينذاك أن الاستعانة بالغرب لن تكون في صالح أحد الأطراف المتنازعة بل سينشئ مغالبه في الجسد البيزنطي بلارب.

ذلك أمر السياسة وتقلباتها ، أما الجوانب الحضارية ؛ فنذكر خلال تلك المرحلة ظهور عدد من الأعلام البيزنطيين في مجالات متعددة ونكتفى بتقديم أمثلة فقط عنهم ، وفي مجال التاريخ ، هناك المؤرخ نيكيتاس خونيئاتس Nicetas Choniates (١١٨٥-١٢٦١م السدس يرتبط اسمه دوماً بسقوط معشوقته ؛ بيزنطة ، ولذلك تعد كتاباته مرآة صادقة لتطور أحداث تاريخها خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١٢٠٤م وخاصة كارثة العام الأخير ، ومع ذلك ينبغي ألاتصور أن اهتماماته اقتصر على الكتابة التاريخية فقط ، إذ أن هناك من يقرر تأليفه لكتاب كبير في النطق العقائدي عرف باسم «ثروة الأرثوذكسية»<sup>(١٦)</sup> ؛ مما عكس تعسدهم مواهبه التأليفية .

١- أنظر عنه المدخل البيروغرافي

وفي ذات مجال الكتابة التاريخية ، نشر إلى قسطنطين مانيسيس Constantine Ma-  
nasses (ت ١١٨٥م) وقد وصف بأنه اتجه إلى العمل في الملك الكنتسي ، وألف كتابه  
حوليات العالم بدءاً منذ الخليقة حتى عام ١٠٨٠م<sup>(١١)</sup>.

ثم هناك أيضاً : ميخائيل جليكاس Michael Glykas (ت بعد عام ١٢٠٠م) وعرف  
أيضاً باسم سيكيثيز Sikidites وهو مؤرخ عمل في ديوان مراسلات الإمبراطور مانويل الأول  
إلى سنة ١١٥٩م . وقد ألف كتاباً في التاريخ تناول الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام  
١١١٨م<sup>(١٢)</sup>.

أما في المجال الكنسي؛ فنذكر من الاعلام الذين ظهروا خلال تلك المرحلة يوحنا مباريتس  
John Mesarites، وقد ترحب في دير من الأديرة المتعددة التي وجدت في القسطنطينية،  
وقبلاً بعد؛ صار أستاذاً لتفسير الكتاب المقدس، وما يذكر عنه؛ معارضته الشديدة للكنيسة  
الرومانية وقد قام بالاشتراك مع أخيه نيكولا بالدفاع عن الأرثوذكسية من خلال محاورات مع  
مندوبي البابوية وذلك في عام ١٢٠٤م<sup>(١٣)</sup>.

وفي المجال الحربي؛ نذكر من الاعلام الكسيريوس ستراتيغيولس Alexius Strategopulos  
الذي عمل كضابط في جيش ميخائيل الثاني باليولوغروس . وقد ساهم في معركة حدثت ضد  
الحاكم ميخائيل الثاني سيد ابروس وحلفائه عام ١٢٥٩م، واشتهر في التاريخ باقتحامه  
المفاجئ للعاصمة البيزنطية في يوليو عام ١٢٦١م ؛ مما نتج عنه تخليصها من السيطرة  
اللاتينية<sup>(١٤)</sup>.

على أية حال ؛ من الأمور المؤكدة أن ظهور أولئك الاعلام في مختلف المجالات يعكس لنا  
قدرة بيزنطة والمجريه ، على أن تنجب لنا الأبناء البارعين الذين مثلت أحداث ١٢٠٤م تحدياً  
لقدرةاتهم فكانت تلك الاستجابة التي حفظها لها التاريخ ، ولارب أن وقت الخطر تستنفر  
المواهب من أجل إبرازها، وهذا ما حدث بالفعل على المستوي التاريخي حينذاك، حيث أن  
التاريخ ذاته تحدى به واستجابه.

Nicol , A Biographical dictionary, pp. 77-78 .

Ibid, p. 44 .

Ibid, p. 84 .

Ibid, p. 116 .



مهما يكن من أمر : عند مقارنة أسرة أنجيلوس مع غيرها من الأسرات البيزنطية السابقة عليها ، نجد أنها حكمت سنوات قليلة لا تتجاوز العقدين من عمر الزمان ، وهي مرحلة قصيرة لاتصل أحياناً إلى حكم إمبراطور بيزنطي واحد في عهود الأسرات الأيسورية أو المقدونية كذلك حكم خلال عهدها خمسة أباطرة فقط .

والواقع ، أنها تعد أسرة أقل شأنًا إذا ما قورنت بالأسرات السابقة من حيث السياسة والحضارة ، فلم تغرز لنا إمبراطوراً في أهمية هرقل أو ليو الثالث الأيسوري . أو باسل الثاني . ومع ذلك : من الإنصاف القول : أن مراحل التدهور والضعف البيزنطي التي لمسناها ببعلاء على مدى المرحلة المشتقة من ١٠٢٥ مع وفاة باسل الثاني حتى ١٢٠٤م تجسعت في أسرة أنجيلوس ، وبعبارة أخرى : فإن أخطاء الأسرات السابقة سواءً المقدونية - وفي قسم منها - وأسرته دوكاس وكومنين كان حصادها في تلك الأسرة دون أن يعنى ذلك تبرير أو تبرئة أباطرتها من مسئولية ما حل ببيزنطة عام ١٢٠٤م .

ومن الممكن القول بموضوعة : أن أسرة أنجيلوس هي النتاج الحقيقي لسياسات آل كومنين خاصة في صورة الإمبراطور مانويل كومنين الذي فصلت أمر سياسته وتقوعها من قبل ، ولذلك لاتتجاوز الحقيقة إذا تم التأكيد على أنها كانت مهية أكثر من غيرها من الأسرات البيزنطية السابقة ليحدث في عهدها سقوط القسطنطينية الأول .

ذلك عرض عن تاريخ أسرة أنجيلوس : أما أسرة باليولوج التالية لها فنتناوله الصفحات التالية .

## تاسعاً : أسرة باليولوج (١٢٦١-١٤٥٣م)

تعرض الصفحات التالية : الآخر الأسرات البيزنطية الحاكمة : ألا وهي أسرة باليولوج<sup>(١)</sup> التي امتد حكمها إلى أكثر من قرنين من الزمان، لرصد عوامل الإتيار النهائي التي انتضحت بجلال، في خلال تلك المرحلة أكثر من المراحل السابقة في التاريخ البيزنطي مما أعطاه طابعاً مميزاً عن غيرها من الأسرات الحاكمة .

جدير بالإشارة : تولي الحكم خلال القرنين المذكورين عدد من الأباطرة : ميخائيل الثامن Michael VIII ( ١٢٦١-١٢٨٢م) وأندرونيكوس الثاني Andronicos II بالاشتراك مع ابنه ميخائيل التاسع Michael IX ( ١٢٨٢-١٣٢٨م) . وأندرونيكوس الثالث Andronicos III ( ١٣٢٨-١٣٤١م) . ويوحنا الخامس John V ( ١٣٤١-١٣٤٦م) . ويوحنا السادس John VI كنتاكوزين Cantacuzene ( ١٣٤٦-١٣٥٥م) . وأندرونيكوس الرابع Andronikos IV ( ١٣٥٥-١٣٧٩م) ويوحنا الخامس (المرّة الثانية) ( ١٣٧٩-١٣٩١م) . ويوحنا السابع John VII ( ١٣٩٠م) . ومانويل الثاني Manuel II ( ١٣٩١-١٤٢٥م) . ويوحنا الثامن John VIII ( ١٤٢٥-١٤٤٨م) . وأخيراً قسطنطين الحادي عشر Constantine ( ١٤٤٨-١٤٥٣م)

### ١- عن أسرة باليولوج أنظر:

Head , Imperial Twilight : The Palaeologous Dynasty and the decline of Byzantium , Chicago 1977

مع ملاحظة أن الإضمحلال البيزنطي سابق على عهد تلك الأسرة

Diehl, Etudes Byzantines, Introduction a L'Histoire de Byzance, Paris 1905 , pp. 217-240 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 580-721

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 401-509 .

Browning , The Byzantine Empire, pp. 228-292

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 307-381

صلاح ضبيب، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عصر آل باليولوغوس ١٢٦١-١٤٥٣م . رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة جنوب الوادي عام ١٩٩٨م . وأرد الإشارة بالمعهد المذكور في هذه الأطروحة العلمية.

إن نظرة متأنية لأولئك الأباطرة يتضح لنا من خلالها ؛ أن هناك من حكم أعراساً طويلة مثل أندرونيكوس الثانى الذى حكم ٤٦ عاماً ، ومن بعده مانويل الثانى الذى امتدت مدة حكمه ٣٤ عاماً ، ولا تغفل أيضاً؛ أندرونيكوس الرابع الذى شغل المنصب الإمبراطورى ٢٤ عاماً، وفى المقابل هناك من الأباطرة من أدار أمور الإمبراطورية مدة زمنية قصيرة فى صورة يوحنا السابع الذى لم يحكم إلا عاماً واحداً.

وملاحظ أن الأسرة البيزنطية الأخيرة تعد مرآة - بصفة عامة - للأسرات البيزنطية السابقة على مدى القرون العديدة التى عاشتها تلك الإمبراطورية والمعصرة ؛ إذ هناك الإمبراطور المؤسس وهو ميخائيل باليولوغوس وهو أهم الأباطرة الذين حكموا خلال القرنين البيزنطيين الأخيرين ونعنى بهما المرحلة المستدة من العقد السادس من القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن الخامس عشر ، والأمير المؤكد ؛ أن الإمبراطور المؤسس حظى باهتمام المؤرخين أكثر من أى إمبراطور آخر؛ وهى ظاهرة أدركناها من خلال عرضنا السابق.

كذلك هناك ظاهرة الإمبراطور الذى يحكم بمساعدة آخر. كما لاحظنا ذلك فى حالة أندرونيكوس الثانى الذى حكم خلال الأعوام من ١٢٨٢ إلى ١٣٢٨م بالاشتراك مع ابنه ميخائيل السابع. كذلك نلمح ظاهرة أخرى من الظواهر المرتبطة بالتاريخ البيزنطى وهى اغتصاب العرش ونجد مثلاً دالاً عليها فى يوحنا السادس الذى حكم من ١٣٤٦م إلى ١٣٥٥م.

والواقع ، أن تلك الأسرة تختص بخاصية تميزها عن غيرها من الأسرات السابقة وهى أنها شهدت السقوط النهائى لبيزنطة، ولذلك كثر تصور المؤرخين بأنها المشمولة عن الإنهيار البيزنطى عام ١٤٥٣م. ولذلك فهى بالتالى من أكثر الأسرات التى من الممكن على مستوى الكتابة التاريخية أن تظلم من خلال دراسة السقوط دون البحث فى جفوره التاريخية الدفينة وهكذا؛ فإن ذلك الأمر يجعلها تمتاز بأنها شهدت حادثة المسات البيزنطى وبالتالى فهى الأسرة التى بعدها وجد الإنقطاع وعدم التواصل .

---

١- عنه أنظر: ناهد عمر صالح ، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الإمبراطور أنثونيوس الثانى باليولوجوس (١٢٨٢-١٣٢٨م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٩٩م.

على أية حال: من الملاحظ أن الأسرة البيزنطية الأخيرة حكمت كياناً محدوداً في صورة ما تمكن ميخائيل الثامن باليولوجوس في إستراده في صورة ما سيطرت عليه إمبراطورية نيقية في آسيا الصغرى، ثم هناك القسطنطينية، وترفيا، وقسم من مقدونيا، وقد صارت مدينة سالونيك بمثابة مدينة محورية، ولاتفعل كذلك عدة جزر أبرزها رودس، ومن الملاحظ عن عهد ميخائيل الثامن إشغاله بالصراع مع القوى السياسية في الغرب الأوربي مثل شارل الأنجوي Charles d'Anjou<sup>(١)</sup>، الذي وضع خطة لهاجسة الأراضي البيزنطية وكذلك الصراع بينه وبين البابوية والبنادقة؛ كل ذلك جعله لا يتفرغ لمواجهة الخطر المحدق بالإمبراطورية البيزنطية من جهة الشرق في صورة الأتراك العثمانيين، وبالتالي واجه جبهتين حربية في الشرق وسياسية في الغرب دون أن يتفرغ تماماً لأية واحدة منهما، ولاتفعل هنا: الإشارة إلى

---

١- شارل الأنجوي Charles d'Anjou (١٢٢٦-١٢٨٥م): هو شقيق الملك لويس التاسع Louis IX (١٢٢٣-١٢٧٠م) ملك فرنسا. وبعد أصغر إخوته، ويلاحظ أنه انتصر على خصمه مانفرد بن فردريك الثاني، هو هشتاوين في معركة بينفينو Benevento في ٢٦ فبراير ١٢٦٥م وأت له أملاك الصقليتين. وقد توجه البابا كليمنت الرابع Clement IV (١٢٦٥-١٢٦٨م) عام ١٢٦٦م ملكاً على نابولي Napoli، وصقلية Sicily، ويذكر عنه اعدامه لثناؤه كونرادين عام ١٢٦٨م. كما قام بانتزاع ألبانيا من الإمبراطورية البيزنطية. كذلك اشترك في حملة لويس التاسع على تونس، وهي التي توفي فيها ملك فرنسا في ٢٥ أغسطس ١٢٧٠م، عنه أنظر

محمود سعيد عمران، «شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس»، ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م. أميرة مصطفى أمين يوسف، «كونراد وعرش الصقليتين»، الموزع المصري، العدد (٢٥) يناير ٢٠٠٨م. محمد عبد العزيز، «تخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبي بعد سنة ١٢٩١م»، من كتاب بحوث في تاريخ الحصور الوسطى كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خبص، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م، ص. ٤٧. ستيفن رنيسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت السيد الباز العزني ط. بيروت ١٩٩٣م، ج ٣، ص. ٥٠٠-٥٠١، مصطفى الكناي، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠م / ٦٦٩هـ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، ص. ٢٣١-٢٣٢. ليلي عبد الحماد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك، ص. ٧٥، حاشية (١)، محمد شفيق غمزال (محرر)، الموسوعة العربية المبيرة، ط. بيروت ١٩٩٥م، (٢)، ص. ١٠٩٤.

Waley, Later Medieval Europe from St. Louis to Luther, London 1976, p. 38.

أن الإمبراطورية المذكورة على مدى تاريخها المديد ؛ واجهت خطرين من جهتين مختلفتين؛ وهو أمر لاحظناه منذ مرحلة مبكرة من عهده الأسرات البيزنطية الحاكمة منذ عهد أسرة جستنيان عندما واجه الفرس والجرمان على سبيل المثال على نحو جعلها مبعثرة الجبهود في مواجهة الخطرين في وقت متزامن .

من زاوية أخرى ؛ يذكر عن عهد الامبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس ؛ انجابه إلى المحصول على دعم البابوية لشرعية حكمه في مقابل اعترافه بتبعية الكنيسة الأرثوذكسية للبابوية من خلال مجمع ليون Lyons<sup>(١١)</sup> عام ١٢٧٤م، والواقع ؛ أنه مارس بمهارة لعبة توازن القوى Balance of Powers انتهز فرصة إنزعاج البابا جريجوري العاشر Gregory X<sup>(١٢)</sup> (١٢٧١-١٢٧٦م) من تنامي قوة شارل الأنجوي، كما أستفاد من رغبة البابوية في فرض سيادتها على كنيسة القسطنطينية وبالتالي ؛ عقد الاتفاق المذكور، وقد أفاده ذلك في أن أعطاء حرية الحركة ضد خصومه حيث قام بشن هجوم على ابيروس ضد قوات شارل الأنجوي

١- عن ذلك انظر: أمل أحمد حامد ، مجمع ليون الثاني ١٢٧٤م ، دراسة في مشروع الوحدة بين كنيسة القسطنطينية وروما في القرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة عام ١٩٩٧م. وهي الدراسة العربية الوحيدة في موضوعها

Constantinides , Byzantine Scholars and the Union of Lyons (1274) , in Beuton and Ro-  
veche , (eds.) The Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol,  
Cenre for Hellenic Studies , King's College , London 1993, pp. 86-93 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 657-659, p. 662-663 . Ostrogorecky, History of  
the Byzantine State, p. 409, p. 433 , p. 500 .

Kelly , Oxford dictionary of Popes, p. 198 .

٢- البابا جريجوري العاشر Gregory (١٢٧١-١٢٧٦م)؛ تولى المنصب البابوي من يوم ١ سبتمبر ١٢٧١ إلى ١٠ يناير ١٢٧٦م وذلك عقب وفاة البابا كليمنت الرابع Clement IV (١٢٦٥-١٢٦٨م) ويلاحظ أنه وضع نصب عينيه القيام بحملة صليبية ، كذلك يذكر عن ذلك البابا أنه مات في العاشر من يناير عام ١٢٧٦م، وقد دفن في دوسو Duomo، وأضاف بتلكت الرابع عشر Benedict XIV ، اسمه إلى سجل علم الشهداء، الروماني The Roman Martyrology . ويوافق عهده هو يوم ١٠ يناير غير أنه منذ عام ١٩٩٣م، صار ذلك يوم ٩ يناير عنه أنظر:

Kelly, Op. cit. p. 197- 199 .

كما تدخل في تساليا Thessalia كذلك حارب البنادقة في أبوليا Apolia وتوغل في أخايا التي مرت بمرحلة ضعف في أعقاب وفاة وإليام فلهااردوين بعد توقيع الاتفاق مع الهابوية بأربعة أعوام وعهداً عام ١٢٧٨م<sup>(١١)</sup>.

مهما يكن من أمر؛ من الضرورة بمكان إلقاء الضوء على نحو مرجز على الأتراك العثمانيين؛ وهم الذين شكلوا القوة الخارجية الفعالة في التاريخ البيزنطي حينذاك حتى نهايته.

وصفة عامة : فإن الأصول الأولى للأتراك العثمانيين يكتنفه الغموض ، ومع ذلك من الممكن القول بأنهم ينتمون إلى قبيلة تدعى قبيلة قباي التركية ، وهي إحدى العشائر البدوية شديدة المراس من بين عناصر الأتراك الأوغور<sup>(١٢)</sup> . وقد قدمت من أواسط قارة آسيا حيث شكل استبس وسط تلك القارة عنصراً مكوناً لشرقي وغربي أوروبا على مدى تاريخه ، ووصلت إلى أعلى منطقة الجزيرة الفراتية ، واستقرت من بعد ذلك في منطقة خلاط ، ويقال أنها

٩- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢٥

٢- عن أصل الأتراك العثمانيين أنظر:

ابن أبي السرور البكري ، الملح الرحمانية في الدولة العثمانية ، ت. ليلى الصاغ ط. دس ١٩٩٥ ، ص ٨- ص ١٨ . محمد فزاد كيريللي ، قيام الدولة العثمانية ، ت. أحمد السعيد سليمان ، ط. القاهرة ١٩٩٣م . ص ١١٩- ص ١٢٢ . وبعد أفضل من درس تلك الزاوية بالإضافة إلى جيبوزر ، إسماعيل ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، ط. الرياض ١٩٩٨م ، ص ٩- ص ١٠ ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط. الرياض ١٩٩٧م ، ص ١٤ ، أكسل الدين حسام أوغلي (محرر) ، الدولة العثمانية بتاريخ وحضارة ، ت. صالح سعداوي ، ط. استانبول ١٩٩٩م ، ص ٨- ص ١٠ ، نبيل عبد الحى وضوان ، جمهور العثمانيين لإنقاذ الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٨م ، ص ١٦- ١٧ صلاح هريدي ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ط. الاسكندرية ١٩٩٩- ٢٠٠٠م ، ص ١٧ ، رأفت الشيخ ومحمد رفعت ، آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر ، ط. القاهرة ١٩٩٧م ، ص ١٩٧

quotact. The Ottoman Empire 1200-1922, Cambridge 2000, p. 13 .

fnalok. " L'Empire Otoman ", Actx du Congres international des etudes balkaniques et Sud-est europeenne, III, Sophia 1969, p. 76-77

Gibbons, The Foundations of the Ottoman Empire, Oxford 1916 .

وبعد أفضل دراسة نى موضوعها بالإنجليزية حتى الآن وتقابلها بالتركية دراسة محمد فزاد كيريللي  
السالفة الذكر

غادرتها من بعد ذلك عام ١٢٢٩ م . ثم هبطت من بعد ذلك إلى حوض نهر دجلة ، ثم قامت بالهجرة إلى أرونجيان في آسيا الصغرى . وهكذا ندرك تمامًا : أن تلك التحركات الديموغرافية حدثت في وقت كانت فيه الإمبراطورية البيزنطية تعاني من الاحتلال اللاتيني لعاصمتها .

على أية حال : فإن ذلك التحول إلى آسيا الصغرى حدث بقيادة أرطغرل (ت ١٢٨١م) وقد حمل لقب الفازي لكثرة معركة ضد البيزنطيين<sup>١١</sup> . ومن بعده : تولى الحكم ابنه عثمان (١٢٨٨-١٣٢٦م) الذي يذكر له التاريخ تأسيسه على مدى سنوات متعددة تلك الدولة التي حصلت اسمه . وهناك من يقرر أن عهده شهد تحديد الوضع السياسي والديني والعسكري للأتراك العثمانيين<sup>١٢</sup> .

بصفة عامة : فإن تحول تاريخ العثمانيين من مجرد إمارة حدودية إلى إمبراطورية كبيرة كان بمثابة «لفز تاريخي»<sup>١٣</sup> ، في تصور البعض وفي تقديرى أن الجهاد الإسلامي مع عدم إغفال الدوافع الاقتصادية الأخرى هي المفتاح الحقيقي لفهم ذلك التطور التاريخي الفعال والمؤثر في تاريخ العلاقات الدولية حينذاك .

لقد كانت الدولة البيزنطية التي خرجت منهكة من الصراع مع اللاتين ، بمثابة الميدان الحيوي لتوسعات الأتراك العثمانيين وقد تمكن عثمان بن أرطغرل من السيطرة على مدينة بورصة في العام الأخير من حكمه أي عام ١٣٢٦م .

أي عام ١٣٢٦م<sup>١٤</sup> . ومن بعده : تولى الحكم خلفه أوروخان ؛ الذي امتد عهده من ١٣٢٦م

١- أحمد جودت باشا ، تاريخ جودت ، ت. عبد القادر الدنا ، تحقيق عبد اللطيف الحسيد .. ط. بيروت ١٩٩٩م ، ص ٩٨

سهيل طقوش ، التاريخ الإسلامي المربز ، ص ٢٤٥

٢- نفسه ، ص ٢٤٦ . وعنه أنظر : حسين مجيب المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، ط. القاهرة ٢٠٠١م ، ص ٢١١

٣- Inalcik, Op. cit , p. 76 .

٤- عن عثمان أنظر :

سعيد أحمد براجوى ، الدولة العثمانية تاريخها السياسي والعسكري . ط. بيروت ، ١٩٩٣م ، ص ٢٥

نبيل عبد الحى وضوان ، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ١٨- ١٩

زينب بيرجكلى ، شهر الثورات الداخلية في العهد العثماني . ط. عمان ، ١٩٩٩م ، ج ١ ، ص ١٧

إلى ١٣٥٩م<sup>(١١)</sup>، وقد قام بإخضاع مدينة نيقية Nicea بأسيا الصغرى بعد ٦ أعوام فقط من توليه السلطة، كما حاول جاهداً أن ينطلق من آسيا الصغرى إلى أوروبا عبر البسفور، وفيه في عام ١٣٣٧م تمكن من الوصول إلى قلب العاصمة القسطنطينية - في تطور غير مسبق - إلا أنه انسحب من جراء المقاومة البيزنطية له<sup>(١٢)</sup>، وأهمية محاولته أنها كشفت عن أن عمر محاولات الأتراك العثمانيين لإخضاع تلك العاصمة امتد من عام ١٣٣٧م إلى ١٤٥٣م فنال الأتراك العثمانيون خبرة حربية بارزة في صراعهم معها، ويلاحظ أن نفوذهم أخذ في التزايد على نحو أدى إلى ضاآة الأسلاك البيزنطية في آسيا الصغرى، بل إن الأتراك العثمانيين عملوا على مهاجمة المدن البيزنطية بصورة عكست مدى الضعف، والهوان الذي وصلت إليه تلك الإمبراطورية التي بلغت من الكبر عتياً

لانفعل هنا: أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث<sup>(١٣)</sup> بالبولوغوس Andronicos III Palaiologos (١٣٢٨-١٣٤١م) أمام تزايد خطر الأتراك العثمانيين حاول جاهداً أن يطلب من

١- وعن عهد أورخان أنظر:

Pitcher, An Historical Geography of The Ottoman Empire from earliest times to the end of the Sixteenth Century, Leiden 1972, pp. 38-40

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 339-340.

سبار الجليل. العثمانيون وتكوين العرب الحديث. ط. بيروت ١٩٨٩م، ص ٢٠٤ - ٢٠٥. أحمد عثمان، تاريخ اليهود، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٩

٢- عن ذلك أنظر:

نبيل عبد الحى رضوان، جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس، ص ١٩ - ٤٣

٣- أندرونيكوس الثالث هو الابن الأكبر ليهانيل التاسع المتوفى عام ١٣٢٠م، كما أنه بعد حفيداً لأندرونيكوس الثاني، ولد تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عام ١٣٢٨. ١٣٤١م. عنه أنظر:

Browning, History of the Byzantine Empire, p. 234. Nicol A Biographical dictionary, p. 8.

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 337-338.

Vasilev, History of The Byzantine Empire, p. 444-454



البابا بندكت الثاني عشر Benedict XII (١٣٣٤-١٣٤٢م)<sup>(١)</sup> شن حملة صليبية من الغرب الأوربي لحماية ما تبقى لبيزنطة من أملاك ؛ إلا أن ذلك المسمى أخفق لعدة أسباب رئيسية يمكن إجمالها كالآتي :

أولاً كان الاختلاف المذهبي القائم بين كنيسة القسطنطينية وروما بمثابة حجرة عثرة في مواجهة أية إمكانية للاتفاق بين الطرفين وكان الثمن الذي تطلبه البابوية بصفة عامة فادحاً وتمثل في إعلان الخضوع لها من جانب الكنيسة المنافسة لها على مدى قرون خلت أي كنيسة القسطنطينية.

ثانياً : كان الغرب الأوربي قد تغيرت أحواله السياسية وشغلت كل دولة بظروفها الخاصة. ولم يعد هناك الاهتمام البارز بأمر الدولة البيزنطية ، وهكذا ؛ فإن كل دولة شغلت بقضاياها الداخلية عن أن تقدم المساعدة لإمبراطورية تاريخها السابق حائل بالصدام مع الغرب اللاتيني.

بصفة عامة ؛ يؤكد لنا ذلك كله أوجه التشابه والاختلاف بين طلب الإمبراطور الكيسوس - من قبل- مساعدة الغرب الأوربي في آخريات القرن الهادي عشر الميلادي وقيام البابا أوربان الثاني (١٠٨٩-١٠٩٩م) بتبني ذلك الاستغاثة البيزنطية<sup>(٢)</sup> ، وانجلاء الإمبراطور أندرونيكوس الثالث إلى تكرار الأمر مع البابا بندكت الثالث عشر. إلا أن الظروف التاريخية كانت قد تغيرت إلى حد كبير

ولم تكن الروح الصليبية بنفس قوتها في القرن الرابع عشر الميلادي، مثلما كانت من قبل في آخريات القرن الهادي عشر الميلادي ؛ إذ أدركت أوروبا بعد قرنين كاملين كيف دفعت ثمناً باهظاً في صورة مشروعاتها التوسعية على حساب الشرق من أبنائها القسطنطينية ونسائها

١- حنين ربيع. دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٩٨

البابا بندكت الثاني عشر : تولى النصب البابوي خلال المرحلة من ٢٠ ديسمبر ١٣٣٤م إلى ٢٥ أبريل ١٣٤٢م. وذلك في أعقاب الباب نيقولا الخامس Nicolas V وهو بابا غير شرعي تولى بدوره مقعد القديس بطرس خلال المرحلة من ١٣٢٨ إلى ١٣٣٠م . عنه أنظر :

Kelly, Oxford dictionary of Popes, p. 210- 211

٢- أنظر ما سبق ذكره من قبل.

الأرامل<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى اختلاف نوعية البابا أوربان الثاني وبنديكت الثالث عشر حيث كان الأول نجاحاً لصحوة دير كلوني Chury على نحو لم يتأت للشاني، وهكذا ، فإن الظروف التاريخية حينذاك وتوعية القيادة الدينية لم تكن في صالح تصور الإمبراطورية البيزنطية في شن حملة صليبية مدعومة لها لصد التوسع العثماني.

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أنه خلال عهد الإمبراطور يوحنا السادس كنتاكوزين<sup>(٢)</sup> John VI Cantacuzene وتحتيداً في عام ١٣٤٧م أي العام الأول من حكمه (١٣٤٧-١٣٥٥م) تعرضت الإمبراطورية إلى جانب الخطر الخارجي، إلى كارثة طبيعية في صرورة

١- أدى ذلك إلى ظهور رأي عام مضاد للحروب الصليبية في الغرب الأوروبي عن ذلك بالتفصيل أنظر هذه الدراسة القيمة

Throop, Criticism of the Crusade : A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda, Amsterdam 1940 .

جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين، ص٣٣٩-٣٣٧

٢- يوحنا السادس كنتاكوزين : هو إمبراطور بيزنطة خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٣٤٧م، ١٣٥٣م، وانتسب إلى إحدى الأسرات البيزنطية النبيلة ذات الأملان الواحدة . ويقرر دونالد نيكول تينيه لأفكار خاصة بإحيا الإمبراطورية غير أن عامة الناس ما كانوا يشقون فيه نظراً لتسبيل الطبقة الأرستقراطية، بصفة عامة؛ اتجه إلى التأليف فألف بعض الرسائل الدينية، وتأثر بالأفكار التصوفية، كما ألف تاريخه السالف الإشارة إليه في المدخل البيوغرافي من هذا الكتاب، وقد توفي يوحنا السادس كنتاكوزين عام ١٣٥٣م، عنه أنظر:

Nicol, The Reluctant Emperor , Abiography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk , (1295-1353), Cambridge 2002, pp. 29-186 , Id , The Byzantine Lady Ten Porrait 1250- 1500 , Cambridge 1994 , p. 71 , p. 81 , pp. 84 , Id , A Biographical dictionary, pp. 57-58 .

Norwich, Byzantium , The decline and Fall, pp. 276-282 .

Browning , The Byzantine Empire . pp. 235-240 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 443 , p. 472 .

Vasiliev, History of The Byzantine Empire, pp. 584-585 .

استخدمت لتجميع: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٩٧ . سيد التامري. الروم والشرق العربي. ص ٤٦٩-

ص ٤٧٠ . حسنين وسبع دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٩٩

الطاعون الذي اشتهر في التاريخ باسم الفناء الكبير أو الموت الأسود <sup>(١١)</sup> The Black Death وقد انتقل من آسيا إلى مايتوس Maeotus (بحر أزوف Azov) <sup>(١٢)</sup> ، وامتد إلى جزر بحر إيجة، وشاطئ البحر المتوسط ، ويقدم هنا كتشاكوزين في تاريخه وصفاً مؤثراً للأثر الكبير لذلك الطاعون في الفتن بالسلطان بأعداد غفيرة على نحو بعيد للأذهان الصورة التي وصف بها المؤرخ اليوناني ثيوكوديدز Thucydides في الجزء الثاني من تاريخه للطاعون الأثيني Athenian Plague ، على نحو يدل دلالة وخاصة على حجم كارثة انتشاره <sup>(١٣)</sup> .

١- عن الفناء الكبير بصفة عامة أنظر: المقرئى : إغاثة الأمة بكشف الغصة تحقيق جمال الدين الشبال ومحمد مصطفى زيادة . ط. القاهرة : ١٩٤٠م ، ص ٣٣- ٣٥ . السلوك لعرفة دول الملوك ، ج ٤ ، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ، ص ٩٤١ - ٩٤٤ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .  
Dols , The Black Death in the Middle East , Princeton 1977 Ziegler , The Black Death , London 1960 .

على السيد على ، «الفناء الكبير» ، والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي - دراسة مقارنة بين الشرق والغرب ، المجلد الثاني بـ المصرية ، م (٣٣) ، عام ١٩٨٦م ، سعيد عاشور ، أربا العصور الوسطى ، ص ٤٨٣ ، قاسم عبد قاسم وعلى السيد على ، الأبريون والمالوك التاريخ السياسي والعسكري ، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص ١٩١ - ١٩٤ . دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المالوك ، ط. القاهرة ١٩٨٨م ، ص ١٣٣ - ١٣٥ . عصر سلاطين المالوك التاريخ السياسي والاجتماعي ، ط. القاهرة ١٩٩٤م ، ص ٥٥ - ٥٩ .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 626 .

-٢-

Ibid , p. 626 .

-٣-

وثيوكوديدز ، مؤرخ أثيني ولد عام ٤٦٠ ق.م وتشغل على أبدي مشاهير الخطباء والفلاسفة مثل أناكساغوراس وديوجانس ورومانوس وعندما نشبت حرب البلبونيز بين أثينا واسطرطه شارك فيها ، ويوصف بأنه أير النقد التاريخي ، وتنازل كتابته عن تلك الحروب بالموضوعية والدقة . كما نلاحظ أنه لا يرجع للألوهة الشبر في كل كبيرة وصغيرة في الأحداث والوقائع ، عنه أنظر:

Freedman , The Greek Achievement, The Foundation of the western World , New York 1999, pp. 205-206 .

ويضاف إلى ذلك، قدم الكاتب الإيطالي بوكاتشو<sup>(١)</sup> Boccaccio (١٣١٣م-١٣٧٥م) في قصته الشهيرة بعنوان : ديكايرون Decameron : وصفًا لنفس الطاعون وتأثيره في إيطاليا حيث إمتد إليها وكذلك فرنسا ، واسبانيا ، والترويع وإنجلترا<sup>(٢)</sup> مما عكس طابعه العالمي وليس البيزنطي فقط.

ورقًا لما أورده المؤرخ المعاصر ديمثريس كيدونيس Demetrios Kydones: نعرف أن حجم الخسائر كان كبيرًا من جراء ذلك الطاعون، وقد قرر أنه في كل يوم نذهب بأصدقائنا إلى القبور، وفي كل يوم نجد المدينة الكبيرة - بمعنى القسطنطينية - أكثر خلوًا من السكان وأعداد القبور في تزايد مستمر، وقد عجز الأطباء أن يفعلوا شيئًا في مواجهة تلك الأحداث<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ أن ذلك التأثير امتد على مدى عام ونجد أثر الطاعون في العاصمة البيزنطية، وكذلك في سالونيك، أو أدرينوبل، وهناك من يقرر أنه بلغ طرابيزون في سبتمبر ١٣٤٧م<sup>(٤)</sup>.

ولانفعل : أن الوباء المذكور أصاب أندرونيكوس Andronikos ابن حنا كيتاكروزين كذلك فتك بصديق صدوق له هو يوحنا المجيلرس John Anglos الذي عينه حاكمًا لتساليا عام ١٣٤٢م<sup>(٥)</sup>.

= فوزى مكاي ، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته ، ص ٢٥٢ ، (طلى عبد الرهاب، اليونان ، مقدمة في التاريخ الحضاري، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص ١٧١ - ص ١٧٢ حيث يتعرض لغروب البيزنطية التي وصفها ذلك المؤرخ اليوناني البارز .

١- زينب راشد ، تاريخ أوروبا الحديث، ص ٧٩

وبوكاتشو (١٣١٣-١٣٧٥م) من أعلام النهضة في إيطاليا ، نعرف أنه إنجه إلى القسطنطينية : كي يدرس الدراسات الكلاسيكية ، وبالفعل بلغ فيها شأنًا كبيرًا ، وقد برع في اللغة الإيطالية لاسيما كتابة من قرر أنه شرع في تأليفه عقب انتشار الطاعون المذكور وكان قد بلغ من العمر ٣٥ عامًا عن ذلك آنظر:

زينب راشد ، المرجع السابق، ص ٧٩

Vasiliev, Op. cit. p. 626 .

- ٢

- ٣ Demetrios Kydonies Letters , ed. R.J. Loenertz, vol I Vatican City , 1956, pp. 121-122 .

نقلا عن Nicol . The Reluctant Empir, p. 93

- ٤

Ibid . p. 93 .

Ibid. p. 93 .

وبناء على ذلك ؛ نترك أن الطاعون قد أحدث تأثيره المدمر على البنية السكانية البيزنطية على نحو هيناً للأتراك مهاجمة شمالي بلاد اليونان واحتلاله<sup>(١١)</sup>، وكذلك كافة جوانب النشاط الاقتصادي ، كذلك ترك أثره على الناحية النفسية من ناحية أخرى ؛ كانت الامبراطورية في عهد ذلك الامبراطور بطبيعة الحال. حيث عمق الشعور بالموت، والخوف منه أكثر من ذي قبل<sup>(١٢)</sup>.

من ناحية أخرى ؛ عانت الامبراطورية في عهد ذلك الامبراطور من الصراع الداخلي ، وحدثت حرب أهلية من جانب القيادات السياسية البيزنطية، فقد حدثت مؤامرات قام بها يوحنا الخامس باليولوج الخامس John V Palcolgos انتهت بطرده كئناكوزين من العرش ، كذلك تنازع يوحنا الخامس مع ابنه اندرونيكوس الرابع Andronicos IV ، كذلك حدث صراع بين الأول وحفيده يوحنا السابع John VII<sup>(١٣)</sup>.

لقد كان ذلك الصراع من أخطر ما واجه بيزنطة حينذاك؛ إذ أن الأطراف المتصارعة بحثت عن حليف ولم يتورع البعض منها عن طلب مساعدة الأتراك العثمانيين ونجد ذلك واضحاً في تحالف حنا كئناكوزين معهم<sup>(١٤)</sup>. وجاء ذلك بمثابة الفرصة الذهبية السانحة ليكون للأتراك العثمانيين القدرة على تشكيل الخريطة السياسية البيزنطية من خلال التحالف مع البعض ضد البعض الآخر؛ تعميقاً لهزة الخلاف بين كافة الفرقاء البيزنطيين .

١- عن ذلك انظر:

Nicol , The Reluctant Emperor , p. 92. Id, A Biographical dictionary p. 58 .

٢- ولعل هذا هو تعليل ما أوردته أحد المؤرخين عندما ذكر ما يفيد أن فكرة الموت تعمقت في أروبا العصور الوسطى في مرحلتها الأخيرة ، ولا شك ؛ في أن الكوارث الطبيعية كالألثة والأمراض الفتاكة ساهمت في ذلك

أنظر: يوهان هيرزيجا ، إنتمحلال العصور الوسطى، ت. عبد العزيز توفيق جاويد، ط. القاهرة ١٩٩٨م. ص١٣٧

٣- Nicol , The Reluctant Emperor , p. 45-83

أنظر أيضا Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 444-474 .

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٢٨

٤- Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 622-624 .

من ناحية أخرى ، دخل الصرب بقوة أخرى في لعبة توازن القوى بين الأجنحة البيزنطية المتصارعة ، وفي هذا الصدد تم تقديم منح كبيرة وصلت أحياناً إلى حد التنازل عن بعض مناطق الإمبراطورية مقابل الحصول على الدعم العسكري<sup>(١)</sup>.

وهكذا ؛ يمكن القول أن الغناء الكبير ، والحرب الأهلية كانتا بمثابة الجسر الذي مر عليه الأتراك العثمانيون من بعد ذلك وصولاً إلى العاصمة البيزنطية مع عدم اغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال.

لقد كشفت تلك الحروب الأهلية المذكورة عن مدى الضعف الشديد الذي وصل إليه البيزنطيون على نحو جعل أحد قياداتهم البارزة يستعين ضد خصمه بالعدو الرئيسي لبيزنطة المتمثل في الأتراك العثمانيين ، وهو يشبه في ذلك السلوك ما قام به ملوك الطوائف<sup>(٢)</sup> في الأندلس الذين وجد منهم من فضل التحالف مع القوى المسيحية التي قادت حرب الاسترداد

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢٨

٢- في أعقاب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عام ١٠٣١م ، ظهر إلى الوجود عدد من الدويلات مثل دويلة في قرطبة (بنو جهوز) ، ودويلة في أشبيلية (بنو عباد) ، ودويلة في بطليوس (بنو الأفضس) ، ودويلة في طليطلة (بنو ذي النون) ، ودويلة في غرناطة (بنو مناد) وغيرها ، في بنسبة ، وسرقطة ، والجزائر الشرقية ، عن ملوك الطوائف أنظر :

ابن عفاى ، البهائم المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ت. كروان وليقى بروكسال ، ط. بيروت ١٩٩٨م ، ص ١٥٣-٢٨٧ ، رضا هادي عباس ، الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة ، ط. قاليتا - مالطة ١٩٩٨م ، ص ٢١-٢١١ ، كمال السيد أبو مصطفى ، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة ، ط. الإسكندرية ١٩٩٧م ، ص ٢-٣٧ ، إبراهيم بيضون ، الدولة العربية في اسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢٢-٤٢٢ هـ / ٧١١-٣١١ م ، ط. بيروت ١٩٨٦م ، ص ٣٥١-٣٧٢ ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٢٢-٢٣٢ ، رجب محمد عبد الحليم ، دولة بني حمود في مالقة بالأندلس ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م ، مونتغمري وات ، في تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ص ١٠٢-١٠٥ ، خالد السامرائي وعبد الراحه ذنون وناظم صالح ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص ٢٢٤-٢٥٤ ، عصام محمد شبارو ، الأندلس من الفتح العربي المرحسود إلى الفردوس المفقود ٩١-٨٩٧ هـ / ٧١٠-١٤٩٢ م ، ط. بيروت ٢٠٠٠م ، ص ٢١١-٢٢٢ ، يوسف بن أحمد حواله ، بنو عبيد في أشبيلية ٤١٤-٤٨٤ هـ =

Reconquesta - من وجهة نظر إسبانية- ضد مناقصيه من المسلمين مفضلاً مصلحته الشخصية على الصالح العام للمسلمين؛ مما جر أسوأ الكوارث بدولة الإسلام هناك، ومهد فيما بعد لإنتصار تحالف قشتالة وأراجون وإسقاطه لملكية غرناطة في عهد بنى الأحمر عام ١٤٩٢م بعد ٢٨ عاماً فقط من سقوط بيزنطة عام ١٤٥٣م؛ مما عكس أوجه التشابه بين الكيان البيزنطي في الشرق والكيان الإسلامي في الغرب . ولاريب في أن سقوط غرناطة يشابه في خطوته العامة مع سقوط القسطنطينية . وإن اختلفت التفاصيل ، دون إغفال أن دولة المسلمين في الأندلس كانت أقصر عمراً مقارنة بالإمبراطورية البيزنطية ، ولا تغفل أن كلا منهما امتاز بالاحتضار الطويل قبل الموت.

على أية حال ؛ أدرك الأتراك العثمانيون أن عدوهم البيزنطي - أكثر من أي وقت مضى - لا يملك إلا الضعف ، والهرمان . وإن تلك هي فرصتهم التاريخية للإجهاز على كيان طال احتضاره ، ويسلك بالحياة على الرغم من عدم جدارته بها ؛ ، وأكد ذلك الكيان للقاضي والداني ، «جنارته» بالخروج من التاريخ من خلال عوامل النحر الداخلي التي كشفت عنها أحداث الصراع السالف الذكر ، مع ملاحظة أن الأتراك العثمانيين كانوا يتزايدون قوة يوماً بعد آخر ، في ظل غياب الرعي بالتاريخ الذي خيم على عقول حكام بيزنطة، وكان هذا - بالفعل- من حسن حظ أعدائهم !

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ أن الأتراك العثمانيين الذين حركتهم روح الجهاد ، مع عدم اغفال الدوافع الزخري بطبيعة الحال ولاتناقض بينهما<sup>(١)</sup> ، والذين أرادوا دعم نفوذهم السياسي على

= ١٠٢٣-١٠٩١ م دراسة سياسية وحضارية ، ط. جعة ١٩٨٩م. ص٦١- ص١١٠ ، وملاحظ أن

الشاعر أبو الحسن بن رشيق القيرواني قال في هذا الشأن:

ما يزهني في أرض أندلس أسماؤه معنده فيها ومعتقد

ألقاب ملوكه في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد

أنظر:

أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ط. الاسكندرية، ب-ث، ص٩٥

١- بشير المؤرخ التركي خليل إيتاجليك إلى رغبة الأتراك العثمانيين في الاستفادة من الثروات الطائلة التي تعود على من يتسكن من إخضاع التجارة المارة بالقسطنطينية وخاصة تجارة البحر الأسود مع أوروبا . =

حساب البيزنطيين، كان لهم هدفهم الاستراتيجي الذي ما حادوا عنه مهما تقلبت بهم الأحداث السباسبية في صورة إسقاط القسطنطينية تلك المدينة التي راودت مخيلة المسلمين منذ عهد الدولة الأموية، وذهبت كافة المحاولات لإسقاطها أدراج الرياح، ولا تغفل: أن ذلك الهدف المحوري لم يتغير بتغير السلاطين العثمانيين، وبالتالي صار كل واحد منهم صكلاً لدور الآخر في سبيل تحقيقه مهما واجههم المصاعب والمشاق.

على أية حال؛ وجه الأتراك العثمانيين ضربة للإمبراطورية العجوز وقد عملوا على اتباع سياسة حرب الاستنزاف المستمرة لإقتطاع الأطراف، وقد توسعوا في إقليم تراقيا وحاصر زعيمهم أورهان أدركه غير أن المنية أجهزت عليه، فتولى أمر الحصار ابنه مراد الأول (١٣٦٠ - ١٣٨٩م)<sup>(١١)</sup> إلى أن تمكن من الاستيلاء عليها عام ١٣٦١م، ودعم نفوذه من خلال جعله أدركه عاصمة لدولته مما أعطاها أهمية سياسية أكبر ودعم مجده للإمبراطورية البيزنطية دون أن تستطيع له دفعا.

ولانفعل زاوية لا تخلو من أهمية؛ إذ أنه مع الضعف السياسي، الذي صارت عليه الإمبراطورية البيزنطية المائدة، وجدنا أن المجتمع البيزنطي ذاته يعاني بشدة من الأمراض الاجتماعية، وقد تفتت في صفوفه معدلات الجريمة وكذلك الانحلال الجنسي<sup>(١٢)</sup>، ولاوب في أن إنهيار منظومة العادات والتقاليد في الحياة البيزنطية التي كانت قوية في عصر قوة الإمبراطورية كان مؤشراً دالاً على الإنهيار الذي أسرع به تلك الإمبراطورية.

---

= ومع تقديرنا للدافع الاقتصادي إلا أن ذلك لا يملأ الدافع الديني في صورة الجهاد والرغبة في نشر الإسلام. عن الرأي السابق أنظر:

خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ت. محمد الأرنؤاط، ط. بيروت ٢٠٠٠، ص ٨٤.

وتعد دراسته من أفضل ما كتب في مرضعها ويملك مؤلفها رؤية تاريخية خاصة به بالإضافة إلى قاعدة بليوغرافية متخصصة وثمة تهايك عن التحليل الذي يعكس الحرة بالعصر التاريخي ذاته

١- عن مراد الأول ومن بعده يزيد الأول أنظر:

Pitcher, An Historical Geography of The Ottoman Empire, pp. 41-56.

E. Is. "Murad I", vol. 3, 1993, pp. 592-594.

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 333-335

O.D.B., vol. III, p. 1741

٢- عن ذلك أنظر بصفة عامة:



بصفة عامة من الممكن أن نجد وجهًا للمقارنة بين الاتحلال الأخلاقي الذي صارت إليه من قبل ملكة عكا الصليبية في آخريات القرن ١٣م<sup>(١١)</sup>، والإمبراطورية البيزنطية في عصر تدهورها المتسارع، وذلك من أجل التأكيد على أن انهيار المنظومة الخاصة بالقيم لأى مجتمع تعد المؤشر الحقيقي للانهيار والسقوط العسكري والسياسي.

مهما يكن من أمر؛ فقد جاء آخر فصول الهرمان البيزنطي عندما إنجبه الامبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس John V Palaiologus إلى أن يطلب مساعدة البابا البابا وبلغ به الأمر أن أعلن تخليه عن المذهب الأرثوذكسي وإتجاهه صوب الكاثوليكية، إلا أن ذلك كله لم يجعل البابا يقدم له يد العون . أما داخليًا؛ فقد رفض البيزنطيون ذلك التنازل المهين الذي أقدم عليه الإمبراطور بعد أن أعبته النسل وأتعبته الحيل، ولم يجد في جمعبته إلا للعب بالورقة الأخيرة؛ غير أنه باء بالخسران المبين حيث رفضه الشعب باصرار ولم يزد مسعاه إلا إلى إلحاق المزيد من المهانة بإمبراطوريته المتهاوية . وتعمقت الهوة بين القيادة السياسية وعامة الشعب البيزنطي.

١- عن ذلك الجانب لدى الصليبيين على مدى القرنين ١٢ ، ١٣ أنظر: أسامة بن منقذ . الاعتبار، تحقيق فليبي حنى . ط. بيروت ١٩٨١، ص١٧٤ . العباد الأصفهاني- الفتح القس في الفتح القس . ط القاهرة ب-ت . ص١٧٠

Jacques de Vitry, A History of Jerusalem, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., vol. XI, London 1896, p. 64. Prundage, "Prostitution, Misogeneration and Sexual Purity in the First Crusade," in Edbury (ed.), Crusade and Settlement, Cardiff 1985, pp. 57-65.

زكى النفاش . العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص١٥٢ . جمعة الجندي ، حياة الفرنج ونظهم في الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي دراسة تطبيقية على ملكة بيت المقدس، رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٥، ص٢٩٩-٣٠٠، محمد عبد القادر أبو فارس . دروس وتأملات في الحروب الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص٨٥

جدير بالإشارة : يقوم الباحث الشاب محمد فوزي وحيل بإعداد أطروحته للدكتوراه بعنوان ملكة عكا الصليبية ١٢٥٠ - ١٢٩١م دراسة في عوامل الإتهار والسرقة وذلك في كلية الآداب- جامعة عين شمس تحت إشرافى . وأد. أحمد رمضان

٢- عن ذلك بالتفصيل أنظر: ناهد عمر صالح . الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس (١٣٥٤-١٣٧٦)، المزمع المصري العدد (٢٨) . يناير ٢٠٠٥م، ص٣١٩-٣٤١

على أية حال؛ واصل الأتراك العثمانيون إنتصاراتهم بصورة عكست التباين الشديد بين عصر قوتهم وعصر الاحتطاط البيزنطي؛ وقد وصلوا إلى نهر الدانوب عام ١٣٧٣م. بل أنهم بلغوا ساحل دالماتيا ، واضطر الإمبراطور إلى الدخول في طاعة مراد الأول عام ١٣٧٤م في خبطة غير مسبقة دليلاً على العجز التام عن مواجهة القوة العثمانية الفتية والمتنامية.

كذلك تمكن الأتراك العثمانيون من استغلال الصراع على السلطة بين الإمبراطور يوحنا كنتاكوزين، وابنه وقاموا بالسيطرة على مدينة سالونيك عام ١٣٨٢م<sup>(١١)</sup>، ثم صوفيا عام ١٣٨٥م ، ونزالي تلك الأحداث على هذا النحو السريع لا يخلو من دلالة ؛ لأنه يعكس أن الأتراك العثمانيين طرّقوا على الحديد وهو ساخن ، واغتنموا الفرصة ؛ من أجل إيجاد واقع هربى جديد على الأرض يغير خريطة التوزيعات الجيوبوليتيكية لصالحهم . ولارتباك في أنهم قاموا باتباع سياسة تحقيق الهدف النهائي من خلال إستهلاك طاقة بيزنطة في حرب استنزاف مستمرة دونما هراة.

من زاوية أخرى؛ لا يمكن الفصل بين الإنجازات التي حدثت خلال عهد مراد الثاني دون إدراك أن ذلك ما كان ليحقق دون التطور الاقتصادي حينذاك ؛ فقد تطورت التجارة وفت المدن العثمانية فزاً كبيراً ومن أمثلتها بورصة وأدرنة<sup>(١٢)</sup> ، وهناك من يقول؛ أن الرحالة برتراندون دولا بروكويه Bertrand de la bracquiere قرر أن الدخل السنوي للدولة العثمانية قد بلغ ( ٢ . ٥٠٠ . ٠٠٠ ) أوقية ، وهو مبلغ ضخم بإمكانات ذلك العصر، ويقرر باحث رفيع الشأن في الدراسات العثمانية ما نصه «وهو مبلغ لم يستغله مراد الثاني كاملاً لكن في وسعه أن يفتح أوروبا بسهولة»<sup>(١٣)</sup>؛ مما دل على أن المكاسب الاقتصادية كانت عنصرًا مهمًا في دعم طموح العثمانيين للتوسع على حساب الامبراطورية البيزنطية ، وإن كنت أتصور وجود مبالغة في هذا القول بطبيعة الحال.

١- عن إخضاع الأتراك العثمانيين لندية سالونيك أنظر:

Mazower, Salonica City of Ghost, Christians, Muslims and Jews 1430-1950, New York 2005, p. 88-31 .

٢- على سبيل المثال انظر:

Inalick , " Busra and the Commerce of the Levant ", J.E.S.H.O., vol . III, 1960, pp. 131-142

٣- خليل إينالجيک، تاريخ الدولة العثمانية ، ص٢٨

مهسا يكن من أمر؛ من بعد السلطان مراد؛ تولى الأمر، السلطان بايزيد الأول الذي عمل على إشاعة الفارقة بين كبار القيادات البيزنطية التي تصارعت من أجل بلوغ المنصب الامبراطوري الذي تحررت نفوسهم شرقاً للوصول إليه من خلال مصالح شخصية ضيقة دون أن يضعوا في الاعتبار المصلحة البيزنطية العليا.

ويلاحظ أن التناذرة حرصوا على شن حملة صليبية هي صليبية نيقوبوليس Crusade of Nicopolis في آخريات القرن الرابع عشر الميلادي وتحديدًا عام ١٣٩٦م، وقد حاصرت الحملة التي قادها ملك المجر سيجسموند Sigmund ١٣٨٧-١٤٣٧م مدينة نيقوبوليس Nicopolis<sup>(١)</sup>؛ غير أن القوات العثمانية في عهد السلطان الوافر النشاط بايزيد الأول تكثرت من إلحاق الهزيمة الفادحة بهم. وأكد السلطان انتصاره باستيلائه على شبه جزيرة المورة Morea (البليونيز) عام ١٤٩٧م.

من ناحية أخرى؛ لانغفل أن الإمبراطور مانويل الثاني Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م) طاف أنحاء الغرب الأوربي، طلباً للمساعدة ضد العثمانيين<sup>(٢)</sup> من خلال جهد دبلوماسي بارز على مدى الأعوام من ١٣٩٩م إلى ١٤٠٢م، ولكنها كانت بمثابة دبلوماسية النصف قرن الأخير التي لاجدوى من ورائها، فلم تقدم إيطاليا أو فرنسا أو إنجلترا ما يمكنه من التصدي للقوة العثمانية المتزايدة بل خذلته، ولاربط في أنه بعد إخفاق صليبة نيقوبوليس زاد حفر الغرب الأوربي عن أي تورط غير محسوب العواقب في مجال دعم بيزنطة على اعتبار أن من يتورط في عالم السياسة يدفع الثمن فادحاً

١ - عنها بالتفصيل أنظر:

Atiya, the Crusade of Nicopolis, London 1934 .

Newall, The Crusades, New York 1963- pp. 92-93 .

٢ - عن ذلك أنظر:

Jugie, " le Voyage de L'Empereur Manuel Paleologue en Occident" E.O. T. XV, 1912 , pp. 322-332 .

وأنظر أيضاً هذه الدراسة المتخصصة عن الإمبراطور مانويل الثاني بالبولوجوس.

Barker, Manuel II Paleologus (1391-1425): A study in late Byzantine Statesmanship , New Brunswick 1969 .

مهما يكن من أمر ؛ حدث تطور مهم على صعيد العلاقات الكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني من خلال وحدة الكنيستين وهو أمر حدث في ٦ يوليو ١٤٣٩م في مجمع فلورنسا<sup>(١)</sup>، وتم ذلك في عهد الإمبراطور يوحنا الثامن John VIII (١٤٢٥-١٤٤٨م) ومع ذلك ؛ حلت بأعداء البيزنطيين تطور عسكري وسياسي كان في صالحهم إذ أن العثمانيين ، قد نكبوا بالهزيمة من جانب التتار بقيادة تيمورلنك الذين دخلوا آسيا الصغرى، وفي عام ١٤٠٢، حدثت معركة أنقرة<sup>(٢)</sup> التي كانت بمثابة كارثة حلت بالعثمانيين ، وفيها وقع السلطان بايزيد الأول أسيراً في قبضة القائد المذكور المنتصر في مشهد ينذر حدوثه خلال المرحلة التاريخية التي ظهرت فيها القوة العسكرية العثمانية متصاعدة دون أية انتكاسات .

#### ١- عن المجمع المذكور أنظر:

Gill, The Council of Florence , Cambridge 1959 .

Gill, Ibid, p. 350 .

ويشير المؤلف إلى رفض الشعب البيزنطي لذلك أنظر أيضاً .  
Id, " Greeks and latins in acommon Council : The Council of Florence (1438-1439) O. Chr. p. vol . XXV, 1959 , pp. 265-287

وبعد جيل متخصصاً في العلاقات البيزنطية اللاتينية خاصة خلال العصر البيزنطي المتأخر.

#### ٢- عن معركة أنقرة أنظر:

ابن عرشاش ، عجائب القصور في نوائب تيمور، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٣١٩- ٣٣١ ، حاتم الطحاوي، «معركة أنقرة ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م مقدماتها ونتائجها» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الزقازيق دراسات خاصة ، مايو ٢٠٠١م، ص١٧- ٣٩ ، دراسة ممتازة ابن تغري بردي ، النجم الزاهر: ج١٢ ص٢٦٧ . ص٢٦٨ ، جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، ت. محمد فتحي الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص١٩٨ . ص٢٠٦ ، عبد العزيز نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص١٥- ١٦ ، إسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، تقديم ومراجعة حسن الزين ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٢٤- ٢٥ ، نزار قازان ، سلاطين بني عثمان بين قتال الاخرة وفترة الإنكسارية ، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص٢٩ . محمد فريد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص٢٣ - ٢٤ . أحمد عبد الرحمن مصطفى ، أصول التاريخ العثماني، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٥٨

ويقر المؤرخ القدير الأخير عن تقويمه لها ما نصه «معركة أنقرة ذات أهمية خاصة بالنسبة إلى التاريخ العثماني باعتبارها الهزيمة الساحقة الوحيدة التي حلت بالعثمانيين خلال القرنين الثلاثة الأولى من تاريخ الدولة، ولأنها المناسبة الوحيدة التي شهدت أسرى عاهل من آل عثمان ولكنها من ناحية أخرى ليست من »

وبلاحظ هنا: أن تلك الهزيمة تركت أثرها على الواقع السياسي والاجتماعي العثماني، إذ هناك من يقرر أنها أطلقت مرحلة من الاضطرابات والتوتر الاجتماعي السياسي والاجتماعي وظهور الحركات الدينية المعارضة في أنحاء الأراضي العثمانية وعدة انتفاضات

لقد أدى ذلك الأمر: ثم وفاة السلطان بايزيد بعد تلك المعركة بعام واحد: أدى إلى «تأجيل» نجاح العثمانيين في وضع أقدامهم على أرض القسطنطينية لعدة عقود، مع ملاحظة أن تعبير «تأجيل» هنا من قبيل الاستعارة؛ نظراً لكون أحداث التاريخ لا تتأخر بل تحدث في توقيتها المحدد لها من خلال جملة دوافع متعددة قهد لها

مهما يكن من أمر؛ حكم من بعده ابنه محمد ١٤١٣-١٤٢١م، ومن بعد وفاته تولى الحكم ابنه مراد الثاني ١٤٢١-١٥٤١م، ومن أهم «أحداث» خلال عهده: ما عرف بصليبية قسارنا The Crusade of Varna<sup>(١٧)</sup> وهي التي حدثت كنتيجة لدعوة البابا يوجينوس الرابع Eugenius IV<sup>(١٨)</sup> (١٤٣١-١٤٤٧م)؛ وذلك عام ١٤٤٠م، وقد تم تكوين جيش كبير

---

= المعارك التي غيرت مجرى التاريخ على اعتبار أنها لم تحول مجرى تاريخ التتصر والهزيم على حد سواء، أنظر نفسه، ص ٨٥

ابن عريشة، عجائب المقدور في نوابب تيسر، ط. بيروت ١٩٨٦م، وهو المصدر المخصص عن تلك الشخصية، أيضاً:

الفرمانى، أخبار الدول وآثار الأول، ط. بيروت ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٤٩٩ - ص ٥٠٦  
Manz, The Rise and Rule of Tamerlane Cambridge 1989.

وتعد أفضل ما كتب بالإنجليزية عن الموضوع المذكور.

أيضاً: محمده السيد، من تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، ص ١٤٩-١٥٠

٢- قسارنا Varna: وهي ورنه والروقة باسم أوديسوس Odessus وقد وقعت على الساحل الغربي من البحر الأسود The Black Sea، عنها أنظر:

O.D.B., vol. III, p. 2154.

٣- البابا يوجينوس الرابع: تولى الشعب البابوي خلال «ترحلة» من ٣ مارس ١٤٢١ إلى ٢٣ فبراير ١٤٤٧م، وذلك في أعقاب وفاة البابا بندكت الرابع عشر Benedict XIV وهو بابا غير شرعي، عنه أنظر: Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp 241-242.

بولندي هنغاري من نحو ٢٥.٠٠٠ رجل قاده هيونادي أوف ترانسلفانيا Hunyadi of Tran-  
sylvania، وجورج برانكوفيك الصربي George Brankovic of Serbia وتقدم في  
١٤٤٣-١٤٤٤م صوب البلقان حيث تم تحقيق عدد من الانتصارات ضد الأتراك<sup>(١)</sup>

وكان من نتائج ذلك : أن قام السلطان مراد الثاني بعقد اتفاق سلمي لمدة ١٠ سنوات مع  
القيادات السالفة الذكر في يوليو ١٤٤٤م ، وعندما سحب قواته ، لم يحترم الصليبيون  
سرايهم في غالبتهم وهاجموا العثمانيين في قارنا Varna في ١٠ نوفمبر عام ١٤٤٤م.  
وهناك تم إلحاق الهزيمة بتلك الصليبية وعن ذلك مكسباً كبيراً عسكرياً وسياسياً  
للعثمانيين<sup>(٢)</sup>.

ويقرر أحد كبار المؤرخين في مجال الدراسات العثمانية : أن معركة قارنا تعد آخر محاولة  
صليبية جصاعية ضد الأتراك العثمانيين وقد كانت أخبار النكبة التي منى بها الصليبيون  
خلالها من العارامل الأساسية التي جعلت الحكام الأوروبيين يعتقدون أن فكرة الحرب الصليبية  
لا جدوى من ورائها ، وهكذا ، لم يعد هناك أمل أمام إمبراطور القسطنطينية بعد تلك المعركة ،  
وقد تولي محمد الفاتح مهمة تربيته ضربة قاضية لآخر معقل للإمبراطور<sup>(٣)</sup>.

O.D.B., vol . 3, p. 2154 .

٢- عن صليبية قارنا : أنظر هذه الدراسة الهمة :

Halecki, The Crusade of Varna, New York 1943 .

وتعد من أفضل الدراسات المتخصصة في الموضوع المذكور.

Vasilev , History of the Byzantine Empire, p. 643 .

Ouzorgorsky , History of the Byzantine State, p. 423 .

O.D.B., vol . III, p. 154 .

Norwich . Short History of Byzantium . p 369-370

عبد العزيز نزار، تاريخ الشعوب الإسلامية . العصر الحديث، ص ٢١

٣- نفسه . نفس المرجع والصفحة .

وأوه الاشارة بكتاب المؤرخ الكبير الراحل

على أية حال ؛ لم يكن ذلك السلطان العثماني ليشرف عن تحقيق ذلك الحلم الذى طالما راود المسلمين منذ قرون خلت ، وهكذا ؛ دعم قواته البرية والبحرية وتمكن بعد ثلاثة أعوام من الانتصار على الحملة الصليبية السالفة الذكر ، وبالتحديد عام ١٤٤٧م من الإنتصار على حاكم المورة Morca قسطنطين بالبولوج الذى أعلن خضوعه للسلطان ودفع له الجزية<sup>(١١)</sup>، بعد أن وضع له الفارق الشاسع بين الضعف البيزنطى والقوة العثمانية الفتية ، ومن المهم هنا ملاحظة أن العثمانيين يحققون هدفهم النهائى على صورة مرحلية ، ولا يربى فى أن تساقط الأطراف جاء مقدمة حقيقية لترجيح الهجوم صرب القلب البيزنطى فى نهاية المطاف.

ومع ذلك ؛ لم يتمكن مراد الثانى من فتح القسطنطينية تاركاً تلك المهمة التاريخية لمن يأتى من بعده

على أية حال ؛ كان شرف فتح تلك العاصمة -التي أجهدت أعداها على مدى قرون متعددة- للسلطان محمد الثانى ابن مراد الثانى وهو الذى سيتلقب «بالفاتح» فيما بعد ؛ ويجدر بنا تسليط الأنوار عليه نظراً لدوره البارز فى صنع فصل الحتام للتاريخ البيزنطى بكفاءة غير مسبقة ومعه المسلمون بظبيعة الحال حتى لاتقع فى مأزق دور الفرد فى حركة التاريخ بمعزل عن المجموع "يشرى المتعاون معه .

وقد ولد محمد الثانى بن مراد الثانى فى ٢٠ أبريل عام ١٤٢٩م<sup>(١٢)</sup>، وتولى الحكم عام ١٤٥١م، وهو فى الثانية والعشرين من العمر

وملاحظ أن عوض صغر عمره بوجود عدد من المستشارين المعتكبين الذين قدموا له كل نصيحة صائبة أفادت تحركاته السياسية والعسكرية وجنبته الوقوع فى مواقع الذلل.

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٦

٢- لا ننقل فى مرحلة نشأة محمد الثانى دوراً بارزاً قام به إثنان من العلماء، هما: أحمد حسي الدين ، وأحمد إساعيل كوراني، ولقد حرصا على تغطية تعليقاً راقباً ، وقد وضعنا فى ذهنه ضرورة أن يكون فتح القسطنطينية على يديه على نحو عمق الهدف فى ذهنه ، عن ذلك أنظر :

محمد طه جاسر ، تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، ط. دمشق ٢٠٠٧م، ص ٤٣-٤٤

ومن المهم هنا الإقرار بأن دور الهاشمية عمومًا يحتل أهمية كبرى فى التاريخ، وكثيرًا ما أدت إلى أخطاء، فائتة عندما لم تحسن التصح أو زينت أمور الحكم للحاكم دون النظر إلى الصالح العام.

ويلاحظ أن ذلك السلطان جمع بين البراعة العسكرية ومحبة العلم واتجه إلى قراءة كتب التاريخ والتشجيع بسير كبار أعلامه، ولا تغفل إجادته لعدة لغات مما عكس أننا أمام حاكم مسلم مثقف<sup>(١)</sup>

ومن المهم إدراك بعض الزوايا فيما يتصل بدوره في فتح القسطنطينية ويمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: إنجبه ذلك السلطان إلى حصار تلك المدينة في أوائل أبريل عام ١٤٥٣ م وذلك بعد عامين فقط من توليه الحكم؛ مما عكس جديته وإدراكه لأهمية هدفه المنشود مبكراً من جهة البر بجيش قدره البعض بـ ٢٥٠ ألف رجل - وقد يكون في الرقم مبالغة - أما من جهة البحر؛ فقد حاصرها بـ ١٨٠ سفينة، كذلك أقام حول المدينة المذكورة ٢٤ بطارية مدفعية لرد دفاعاتها، ولا شك؛ في أن كافة تلك الاستعدادات استغرقت منه وقتاً طويلاً ولم يسمع في تاريخ بيزنطة أن واجهت من قبل قوة برية وبحرية بتلك الصورة منذ افتتاح العاصمة في القرن الرابع الميلادي.

ثانياً: قام العثمانيون بوضع مذايق خاصة تمكن من صنعها مهنتس مجرى اسمه أورباس<sup>(٢)</sup>، على الهضاب المجاورة للبيفور، وكذلك القرن الذهبي مهمتها تدمير السفن البيزنطية، وكان لذلك أثره في أن عرقل حركة السفن المعادية وأصابها بالشلل.

---

١- عن السلطان محمد الفاتح أنظر:

Kritovolos, History of Mohamed The Conqueror, Trans. by Charles T. Riggs, Princeton 1954 .

Bahinger, Mehmet der Eroberer und seine Zeit, Munich 1953 .

وهي أفضل دراسة بالألوانية في موضوعها

سالم الرشدي، محمد الفاتح، ط. جدة، ١٩٨٩م.

٢- عن ذلك أنظر:

Schlumberger, Le Siege, la prise, et le Sac de Constantinople par les Turcs, Paris 1914 .

زيدة عطا، الشرق في العصور الوسطى، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ١٨٨ - ص ٢٠٢، حيث تقدم عرضاً ممتازاً يكشف عن مؤرخة خبيثة وأنظر الملاحق في ختام الكتاب أيضاً من المفيد الرجوع إلى



ثالثاً : دعم جهود العثمانيون المروية تشييد قلعة ودم إبل حصار الضخمة عام ١٤٥١م على بعد لايتجاوز ٧ كم. من أبواب القسطنطينية في منطقة البسفور على الجانب الأوروبي مقابل قلعة سابقة في آسيا الصغرى عرفت باسم أناضولي حصار التي شيدها بايزيد وتمكن محمد الثاني بذلك من أن يشرف على المضيق ، واستطاع أن يمنع أية إمدادات تصل إلى العاصمة البيزنطية. وضمن أن يضع في قبضته حرية المرور بين الأناضول ، وأوروبا<sup>(١٢)</sup>.

رابعاً : أنشأ ذلك السلطان حوالي ٧٠ سفينة خفيفة وعمل على أن تحصل براك من منطقة البسفور إلى خليج القرن الذهبي وقد تم ذلك في ليلة واحدة وهو عمل عبقرى عكس براعة عسكرية غير مسبوقة ، وهدف من وراء ذلك : تشتيت جهود المدافعين عن القسطنطينية<sup>(١٣)</sup>، حتى يجعل البيزنطيين يقومون بنقل جزء كبير من قواتهم إلى شاطئ الخليج على نحو يضعف الجبهة البرية الغربية الوحيدة<sup>(١٤)</sup>.

خامساً : ظل المقاتلون المسلمون يشددون حصارهم حتى إذا لاح فجر يوم الثلاثاء ٢٩ ماي ١٤٥٣م بدأ الهجوم العام على العاصمة البيزنطية ؛ وذلك بعد حصار دام ٤٥ يوماً وكان الهجوم برياً ، وبحرياً في آن واحد ولتقلعت سقطت<sup>(١٥)</sup> المدينة، وسقط الكثيرون من المسلمين شهداء ذلك اليوم التاريخي ، وسقط الكثيرون من البيزنطيين قتلى خلال دفاعهم عنها.

١ = محمد مفيد الشوباشي، ألع ساعات المخرج في تاريخ الإنسانية، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٩١

ص ٨٧-١٠٠ ، مي علوش ، أشهر حصارات المدن في التاريخ ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ١١٩- ص ١٢٦

١- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ت. نبيه أمين فارس ومير البعلبكي ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ٤٣٠

٢- مفيد الزيدى، العصر العثماني، موسوعة التاريخ الإسلامي؛ ط. عمان ٢٠٠٣م، ص ٢٠

٣- Runciman, The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965, pp. 105-106.

٤- محمد طه جاسر ، تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب، ص ٤٢

٥- عن سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م أنظر:

Donkas, Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks, trans. by Magoulias, Detroit 1975.

أترجه بالشكر للزميل د. حاتم الطعاوي الذي قام بتزويدي بهذا المصدر التاريخي

Kritovoulos , History of Mehmed the conqueror, pp. 66-72 .

Nicola Barbaro , Diary, of the Siege of Constantinople 1453 . Trans. by J R. Jones, New York 1969

وكذلك قتل الامبراطور قسطنطين الحادي عشر<sup>(١١)</sup>، وسط جنوده المدافعين عن العاصمة .

---

= وله ترجمة قيمة قام بها حاتم الطحاوي أنظر: الفتح الاسلامي للقنطينية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.  
The Siege of Constantinople 1453 , Seven Contemporary Accounts, trans. by J.R. Jones, Amsterdam 1972 .

ويحتوي الكتاب الأخير على عدة مصادر هي : Giacomo Tedaliu , Leonicus Chalcocondylas , Michael Ducas, Christophes Riccherio , Zorzi Dolfin, Angelo Gioranni Lomellino , Leonard of Chios .

وتوجد ترجمة عربية ممتازة له مزودة بمقدمة اضافية وتعليقات ثرية من جانب المؤرخ الراحل حاتم الطحاوي، تحت عنوان: جوائز ، الحصار العثماني للقنطينية سبعة مصادر معاصرة، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

أنظر أيضاً: Nicolle, Constantinople 1453 , The end of Byzantium , London 2005 , pp. 69-82 .

Schlumberger , Le Siege , La Prise et le Sac de Constantinople par les Turcs en 1453 , Paris , 1922 .

ويعد من أهم الدراسات في موضوعه على الرغم من تأليفه في الربع الأول من القرن العشرين.

Asimov, Constantinople, The Forgotten Empire, p. 260 .

برنارد ليريس، استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ت. سيد رضوان علي ، ط. الرياض ١٩٨٢م، ص٩٥-٢٩٠ ، على محمد الصلاحي، فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية، وقاهر الروم. ط. دمشق ١٩٩٣م، ص١٢٦ ، صالح السفون، فتح القسطنطينية ، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص٨٤ .

١- عن ذلك الإمبراطور أنظر:

Mijanovich, Constantine Paleologus, The last Emperor of the Greeks, 1448-1453, Chicago 1968 .

Nicol, The Immortal Emperor , The life and Legend of Constantine Paleologus, last Emperor of the Romans, Cambridge 2002, pp. 54-128 .

Kordoses, " The question of Constantine Paleologus Coronation", in Beaton and Roueche (eds), The Making of Byzantine History Studies dedicated to donald M. Nicol, Centre for Hellenic Studies King's College , pp. 137-141 .

وواقع الأمر تعد نهاية الامبراطور البيزنطي الأخير موضعاً للتأمل فقد طلب منه محمد الثاني الاستسلام ، والخروج بسلام من القسطنطينية غير أنه أبى ذلك، وظل يقاوم إلى أن قتل على الرغم من أن الوضع العسكري القائم حينذاك يؤكد بما لا مزيد عليه أن الانتصار حتماً سيكون لصالح العثمانيين ، ومنطقي أن ذلك الامبراطور ومن بقى معه مدافعاً عن العاصمة البيزنطية كانوا يدركون ذلك تمام الإدراك.

والنساءل الذي يثار هنا : لماذا ظل يقاوم أمام قوة كاسحة بركة وبحرية لا قبل له بها ؟ ومن المفترض أنه أدرك أن الموت محيط به لا محالة ، ولذلك رأى أن يموت بشرف حتى لا يقال عنه أنه استسلم ذليلاً لأعدائه ، وهو في ذلك يذكرنا بمقاومة عناصر الاستتارية والدائرة خلال حصار السلطان الملوكي الأشرف خليل بن قلاوون لمعا عام ١٢٩١م على الرغم من عدم تقديري لتلك العناصر التي شاركت في نهب الشرق طوال قرنين كاملين هما القرنين ١٢م.

على أية حال فإن ذلك الامبراطور الذي قاتل ولم يستسلم؛ يستحق منا الاحترام، وهذا هو ما بقى منه للشاريخ ، فلتعجب والأمر كذلك أن نسجت حوله أسطورة، وهو في ذلك يتشابه مع شخصيات قيادية نسجت حولها أساطير مثل شارلمان وفردريك بارباروسا وغيرهما .

ومن المهم هنا : تناول سلوك السلطان محمد الذي لقب بالفاتح لجماء المدينة ، وسكانها والواقع أنه عامل أهلها معاملة متحضرة . وقد أمر جنوده بحسن معاملة الأسرى البيزنطيين، واقتدى من ماله الخاص عدداً كبيراً من الأسرى<sup>(١١)</sup>، وخاصة الأمراء ، ورجال الدين مكرراً ما قام به من قبل - منذ ٢٦٦ عاماً - السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما دخل بيت المقدس فاتحاً في ٢ أكتوبر ١١٨٧م<sup>(١٢)</sup> ليدخل الشاريخ من بعد من أوسع أبوابه - ويتأمل تقدير المعاصرين حتى من غير المسلمين ومن بعضهم الباحثين الأوروبيين المحدثين .

١- على محمد الصلابي: "دولة العثمانية عوامل تنبؤ وأسباب السقوط" ط. بيروت ١٩٩٩  
ص ١٧٧- ١٧٩، فاتح القسطنطينية ، ص ١٢٧- ١٢٨، سلامة البولي، صور من تسامح الحضارة الإسلامية مع غير المسلمين، ط. لشارقة ٢٠٠٣م، ص ٧٩

٢- عن ذلك أنظر: ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١، ص ٢٢٥ ، الفتح البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحيه الشراوي، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٣٨٥ ، مالكوم ليفنز جاكسون ، صلاح الدين ، ت. على ماضي ومراجعة نقولا زيادة ونهسي سمع ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص ٣٢٠ ، عزيز سوريال عطية ، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ٢٤٩ ، على عبد الحليم محمود ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط. الرياض

وهكذا : لم يحل بالعاصمة الإمبراطورية ما حل بها من قبل عام ١٢٠٤م، وهو أمر فصلته من قبل - والتعليل الوحيد يمكن في الفارق التاسع بين عدد متبرير واجهته بيزنطة عام ١٢٠٤م ، وعدو متحضر عام ١٤٥٣م ، وذلك دون شيفونية جوفاء بل بروح الموضوعية الواجبة.

وأكرر عبارة ابن بيزنطة الملكوم نيكاسي خرماتس Nicetas Choniates<sup>(١)</sup> المصاصر لأحداث الصليبية الرابعة والذي كتب وقائعها بملأ الألم . وعلى أوراق المرارة ، والحزن القتال . وقد نفى أن تسقط عاصمته الأثيرة إلى نفسه على أيدي المسلمين لا اللاتين . وبالفعل تحقق ذلك عام ١٤٥٣م<sup>(٢)</sup> . ولاريب في أن البيزنطيين منهم من رأى أنه خير لبيزنطة أن تحتلها عمائم العثمانيين الحضراء ، عن أن تحتل من جانب القبعة البابوية<sup>(٣)</sup> . أفضل إليه . وهو اعتقاد ثاني من خلال تجربة بيزنطة المرة مع الغرب الأوربي .

على أية حال ؛ وجدنا محمد الفاتح القائد الشاب لا ينتشر بخمر النصر على عكس ما حدث لعشرات المنتصرين في العصور الوسطى بصفة عامة؛ ولم يقم جنوده باغتصاب الرهبات

١ = ١٩٨٢م ، ص ١٠٦ ، كارين أرمسترونج ، الحرب الصليبية الحملات الصليبية وأثرها على العالم العربي ، ت . سامي الكفكي ، ط . بيروت ٢٠٠٤م ، ص ٣١٩ ، مصطفى الحيارى ، صلاح الدين القائد وعصره ، ط . بيروت ١٩٩٤م ، ص ٣١٩ ، محمد حسن شراب ، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، دراسة مؤتقة ، ط . دمشق بيروت ١٩٩٤م ، ص ١٣١ - ص ١٣٢

١ - عنه أنظر المدخل الجيوجرافي .

٢ - من قبل اعتقد أ . د . إسحق عبيد ؛ أن عوامل الإنهيار الداخلي التي أدت بيزنطة كانت حاسمة في سقوطها الداخلي وذكر ما نصه : « لم يكن عسيرا على السلطان محمد الفاتح في ٢٩ مايو ١٤٥٣ أن يدخل مدينة قسطنطين ويعلن زوال الإمبراطورية الرومانية الشرقية من الوجود وإلى الأبد ، لقد سقطت بيزنطة من الداخل ، ولم يكن للشرك حتى مجرد شرف الإجهاز عليها ، لقد كانت كالمخلوق الذي إنتهر » . أنظر

إسحق عبيد ، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م ، ص ١٢

والواقع إنني اختلف مع استاذنا التقدير ، لأن الإعداد لاستيلاء العاصمة البيزنطية . والجهودات البارزة التي استغرقت عدة أعوام متواصلة لاستيلاء عاصمة استمعت على الكثيرين على مدى قرون متعددة . فعملني أرى أن محمد الفاتح ومن خلفه المسلمون بالفعل صاحب شرف إسقاطها بجدارته ؛ وهو إنجاز تاريخي غير مسبوق . وأن العوامل الداخلية للضعف مهما كان تأثيرها لا تكتمل إلا بالفعل الخارجي الذي يحسن استقلالها وهو ما تم بالفعل في العام المذكور .

٣ - إسحق عبيد ، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ، ص ١٢٦

كما حدث عام ١٧٠٤م- كما أسلفت الذكر من قبل- كما اجتمع بكبار رجال الدين وطبائهم على أرواحهم وعقائدهم . وتم انتخاب بطريرك جديد ، وأحسن استقباله وكان البيزنطيون يتصورون واهمين أن القتل الجماعي سيحل بهم ، والواقع أنه بعد أيام قليلة استؤنفت الحياة العادية في أمن وسلام حرمت منه العاصمة البيزنطية طويلاً ، وهكذا تحقق على أيدي العثمانيين سقوط القسطنطينية ، حلم الاسلام المرص الكبير<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى ؛ تم إختيار كنيسة آيا صوفيا Hagia Sophia لتكون بمثابة الجامع الرئيسى للعاصمة عقب الفتح ، وحيث أن الإسلام رفض تصوير الكائنات الحية لذلك تم تغطية الفسيفساء ، والذهبية التي تمل الفن البيزنطى أفضل ثقل بطبقة كلسية. كذلك تم إقامة محراب في وسط الجناح الجنوبي للكنيسة ، وإلى اليسار منه أقيم المنبر تجاه المقصورة ؛ كذلك تم وضع لوحات النقوش الضخمة بأحرف بلغ طولها تسعة أمتار احتوت على اسم المجلاة ، والرسول (ص) والخلفاء الراشدين وذلك بما ، الذهب على لوحات مستديرة . في عهد مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٩٤) ، كذلك تم تشييد أربعة منارات إحداهما شيّدت في عهد محمد الفاتح ، والثلاث الأخريات أقيمت في عهد من حكم من بعده<sup>(٢)</sup>.

وهناك زاوية مهمة تضاف إلى ما سبق؛ إذ أن سقوط القسطنطينية في العام السالف الذكر لم يكن ليغنى انتهاؤها الوجود البيزنطى بل ظل قائماً في صورة امبراطورية طرابيزون التي ظلت قائمة بعد ذلك بسبع سنوات إلى أن استسلمت للسلطان محمد الفاتح عام ١٤٦١م<sup>(٣)</sup>.

١- أحمد فزاد سيد ، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أبوب ٥٦٧هـ / ٦٤٨ هـ . ط. القاهرة ٢٠٠٢م. ص. ١٨٠

وأرد الإشادة بهذه الدراسة التي أعدها المؤرخ الراحل الفذ د أحمد فزاد سيد ، عنه أنظر مقالتي: محمد مؤنس عوض ، عصر الحروب الصليبية ، بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م. ص٢٤٣- ص٢٥٣

٢- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية. ص٤٣٤

وعن تحويل كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد أنظر

Parker, Early Modern Tales of Orient , London 1999, p. 264 .

Norwich , Byzantium , The decline and Fall, p. 437

٣- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٤٣

تبقى هناك، ملاحظة على جانب كبير من الأهمية، إذ في تاريخ العصور الوسطى ثلاث قيادات بارزة حملت أو وصفت بلقب «الفتح» هي كالاني

أولاً: وليم «الفسانج»<sup>(١)</sup> William The Conqueror؛ دوق نورمانديا الذي هزم الأنجلوساكسون في معركة هاستنجر بالإنجلترا عام ١٠٦٦م.

ثانياً: جنكيز خان الملقب «بفتح العالم»<sup>(٢)</sup>؛ القائد المغولي الذي ضم إليه الصين ١٢١٥م، وفتح مناطق عديدة منها الدولة الخوارزمية ومناطق الاسماعيلية النزارية في شمالي إيران وتمكن أتباعه من دخول بغداد وإسقاط الخلافة العباسية عام ١٢٥٨م.

ثالثاً: محمد «الفتح»؛ مسقط بهنزلة ١٤٥٣م.

= وجدير بالذكر: أن ذلك السلطان واصل فتوحاته وأخضع صربيا عام ١٤٥٤م. وفي عام ١٤٥٦م: قام بحملة ضدها غير أنه لم يتمكن من الاستيلاء على بلغراد. عن ذلك أنظر: نجلاء حسين توفيق، سياسة الدولة العثمانية في البلقان تجاه الصرب ١٣٢٦-١٤٥٩م. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة أسيوط عام ٢٠٠١م، ص ١٢٨

أيضاً بالتفصيل أنظر:

Inalcik ~ The Ottoman Turks and The Crusades 1451-1522", Setton (ed.), History of the Crusades, vol. VI, Wisconsin 1989, pp. 311-353.

١- عن وليم الفاتح أنظر:

William of Poitiers, Deeds of Duke William, in Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000, p. 74-75.

Adams, The History of England from The Norman Conquest to the death of John (1066-1216). London 1905, p. 67-78.

Chibnall, The Normans, Massachusetts 2000, p. 29.

محمد محمد مرسى الشيخ، «الفتح التورماني لإنجلترا» - ملحمة لميدة في تاريخ إنجلترا ونورمانديا في العصور الوسطى، نقرة: التاريخ الإسلامي والوسطى (٢) - ط. القاهرة: ١٩٨٣م، ص ٢٤٧-٢٥١، سعيد السيد علي فرغلي، «إبضلال حكم الإنجليس سكسون في إنجلترا ٩٧٩-١٠٦٦م / ٣٦٨-٤٥٨ هـ»، ضمن كتاب بعثت في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٤٩٤-٤٩٥

نور الدين خاترم، تاريخ العصر الوسطى في أوروبا، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص ٦٩-٦٩٥

٢- عن جنكيز خان أنظر: عطا ملاح الجويني، تاريخ جهانكشاي، ت. محمد السعيد جمال الدين حسن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران، ط. القاهرة، ١٩٧٥م فلاذير سينوف، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية، ت. سعيد بن حذيفة القامدي، ط. الرياض ١٩٨٣م، رمزي، تلفيق الأخبار وتلفيع الآثار في وقائع قرآن، وبلغار ومعارك التتار، م. أورتوبوغ ١٩٠٨م، ص ٣٤٤، عباس إقبال، تاريخ =

وجدير بالذكر: أن المؤرخين الأوروبيين حرصوا أشد الحرص على المبالغة في تقديم ولهم الفاتح وتكفل المؤرخون البريطانيون بتأليف مئات الدراسات عنه وتصويره على أنه من الأخذاذ عسكرياً وسياسياً من خلال دعاية قومية لاجنال فيها . حقيقة أ معركة هاستنجر لاتعد مجرد معركة عسكرية بل أنها بمثابة غزو حضارى فرنسى لانهلترأ وأنهت عزلتها من القارة الأوروبية؛ إلا أنها صرحت بقدر بارز من الدعاية السياسية عندما اتجه المؤرخون البريطانيون للكتابة التاريخية عنها.

أما جنكيز خان؛ الذي أقام إمبراطوريته على جسام المسلمين ، ودمر حواضر الشرق الإسلامى التى كانت مزدهرة تجارياً وعلمياً بصورة غير مسبوقه . مثل بغداد ، ونيابور ، ومرو ، وبخارى ، وأقام المذابح فى كل مكان حل فيه . فقد لقي من المؤرخين الغربيين التقدير ، وكتابات المؤرخين الروس<sup>(١١)</sup> ، والفرنسيين خير برهان ودليل ، بل اعتبره المؤرخ الأمريكى الراهم مايكل هارت من «العظماء المائة فى التاريخ»<sup>(١٢)</sup>.

فإذا اتجهنا إلى محمد الفاتح الذى تمكن من إسقاط بيزنطة- التى حوصرت من قبل (٢٩) مرة كسا قرر البعض ، ونجح فى تحقيق ذلك وهو فى أوائل العشرينيات من عمره فهو أصغر

= المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ت. عبد الوهاب عظم . المجمع الشافعى بأبوهى ٢٠٠٠م. ص٨٧- ص١١٣ . أحمد حطيط، حروب المغول ، ط. بيروت ١٩٩٤م. ص١٨- ص١٩  
أحد عودات وجميل يهوضون وشعاده الناطور ، تاريخ المغول والمساليك فى القرن السابع الهجرى . حتى القرن الثالث عشر الهجرى . ط. أربد ١٩٩٠م. ص٢٢ ، محمدر السيد ، انتشار والمغول ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م. ص٦٠- ص٦٤ ، محمد التونجى ، بلاد الشام أبان الغزو المغولى . ط. بيروت ١٩٩٨م. ص٢٢- ص٣٨  
محمد أسد الله صفا ، جنكيز خان ، ط. بيروت ١٤٠٨ هـ . هارولد لاسب ، جنكيز خان وجيغافل المغول ، ت. مشرى أمين . ط. القاهرة ١٩٩٢م. السيد الباز العربى ، المغول ، ط. بيروت ١٩٨٦م. فؤاد عبد المعطى الصبياد ، المغول فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م. حافظ حصدى ، الدولة الخوارزمية والمغول ، ط. القاهرة ١٩٤٩م. الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى ، ط. القاهرة ١٩٤٠م قاسم عبده قاسم ، السلطان الظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت ط. دمشق ١٩٩٨م. ص٩٧- ص٩٨ ، محمد فتى أمين ، الغزو المغولى لبلاد الإسلام . ط. دمشق ٢٠٠٥م. ابرار كريم الله . من هـ المغول ، ت. رشيد رحيم . ط. القاهرة ١٩٩٤م.  
١- على سبيل المثال أنظر:

فلاديسير ستينوف ، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ت. سعيد بن حذيفة القاعدى . ط. الرياض ١٩٨٣م.

Grusset , Histoire de , Le Monde Mongol , Paris 1922 .

فاتح بارز في العصور الوسطى على الأقل، محققاً إنجازاً عسكرياً وسياسياً غير مسبوق<sup>١</sup>. فلم ينل منهم إلا العداء الشديد واتهامه في أخلاقه على الرغم من تسامحه الفريد ولكن هي المركزية الأوروبية ذات المعايير المزدوجة ، ومن المضحكات المبكيات أن يرد البعض في الغرب الأوروبي والأمريكي في مطلع القرن الهادي والعشرين أن الإسلام دين الإرهاب بعد كل تلك الصفحات الناصعة من التسامح من جانب صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م، ومحمد الفاتح عام ١٤٥٣م وغيرهما

على أية حال ؛ نؤكد المسات البيزنطية من خلال أن «القلب» تغير اسمه فصارت القسطنطينية تسمى إسلام بول أو مدينة الإسلام أو استانبول<sup>(١)</sup> ، أو الاستانة ، واختفى اسمها القديم إلى غير رجعة، ولم يعد موجوداً إلا في كتب التاريخ فقط، وظلت استانبول عاصمة للدولة العثمانية إلى أن قام مصطفى كمال أتاتورك بإسقاط الخلافة وتحولت العاصمة إلى أنقرة في مطلع عشرينات القرن العشرين ، وتحديدًا عام ١٩٢٣م<sup>(٢)</sup>.

ولايحب في أن كافة تلك التغيرات كانت بمثابة النتيجة الطبيعية لما حدث خلال عام ١٤٥٣م الذي يعد - بكافة المقاييس - عامًا محوريًا في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى وإيضاً بتحولات تاريخية لاحقة بعيدة المدى في التاريخ الحديث والمعاصر؛ مما عكس قدرة المسلمين على التأثير الواسع المدى في تاريخ القارة الأوروبية . وأن سبب ذلك حصة كبيرة في نفوس المؤرخين الغربيين الذين كتبوا مؤلفاتهم عن التاريخ البيزنطي وتعرضوا لتلك الحادثة<sup>(٣)</sup> . وهناك منهم من وصف الواقعة على أنها «رد الإسلام الكبير»<sup>(٤)</sup> ، وهو تعبير قوي الدلالة بطبيعة الحال.

١- عن استانبول أنظر : أدم الدم ، دانيال غورمان ، وبروس ماسترز . المدينة العثمانية بين الشرق والغرب ، حلب ، أزميز واسطنبول ، ت . زكي زيان ، ط . الرياض ٢٠٠٤م .

٢- عبد العزيز نزار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٢٥

٣- من أمثلة هؤلاء ، نذكر شارلز أورمان الذي أورد ما نعه «وأخيراً» وصل السلطان (بقصد محمد الفاتح) إلى سانت صوفيا حيث كانت جموع الأحرى الباكبة يوزع بين جنوده ، وقد دخل من الباب الشرقي وأمر أحد العلماء بمصمود المنبر وأن تقرأ هناك صيغة التشهد الإسلامي وهكذا ؛ دوى العصور بأنه الله أكبر محمد رسول في القبة التي أحيى فيها ثلاثون جيلاً من البطارقة العتاش ، الرباني المقدس وعرفت أوروبا كلها وأسبأ أن الصنار قد أسدل على أطول قصة وأنها المسيحية لإحدى الامبراطوريات . أنظر : شارلز أورمان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٩

٤- فرديناند بروديل ، البحر المتوسط المجال والتاريخ ، ت . يوسف شلب الشام ، ط . حصص ٢٠٠٠م ، ص ١٧٦



وهكذا : كان التاريخ البيزنطي بمثابة قصة طويلة عنيفة للصراع مع الموت عبر الزمان على مدى ما زاد على الأحد عشر قرناً ، الميلاد فى ١١ مايو ٣٣٠ ، والمات ٢٩ مايو ١٤٥٣م ، ولا تغفل أن نفس الشهر الذى ولدت فيه كان لها مع الموت موعداً وتلك من مفارقات التاريخ وما أكثر مفارقاته !!!

على أية حال : فإن السقوط البيزنطي كان مدوياً ، ويكفى أن هناك من المؤرخين من تصور أن عام ١٤٥٣م : يصلح ليكون بداية تاريخ العصر الحديث فى أوربا على اعتبار حدوث تلك الحادثة المحورية ، وكذلك نهاية حرب المائة عام بين إنجلترا ، وفرنسا فى العام المذكور<sup>(١)</sup> . مما عكس أهمية ذلك العام بأحداثه فى الشرق البيزنطي سابقاً ، والغرب الأوروبى على حد سواء .

أما نتائج عام ١٤٥٣م : فبممكن ملاحظتها من خلال إرتفاع شأن الأتراك العثمانيين الذين ظهروا فى عيون رعاياهم على أنهم قادة الجهاد الإسلامى وقد لمحوا فيما عجز عنه الحكام

١- نشبت حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا حيث حدثت نتيجة للصراع حول أملاك إنجلترا فى القارة الأوربية ، كذلك لا تغفل الصراع الاقتصادى بين الدولتين وكذلك تصادم المصالح السياسية ، ويلاحظ أن تلك الحرب لم تستمر مائة عام على نحو الدقة بل (١١٦) عاماً ، وأهم ما يميزها ثلاث مراحل هى الأولى من ٣٣٧ إلى ١٣٨٠م وخلالها انتصر الإنجليز عند كريس ، واستولوا على كاليه ثم بواتيه أما الثانية : فقد امتدت من ١٣٨٠ إلى ١٤١٥ م ولم يحدث خلالها صدامات كبيرة ، أما الثالثة : فقد امتدت من ١٤١٥ إلى ١٤٥٣م وخلالها مجددت الحرب على يدى هنرى الخامس ملك إنجلترا ، وهنرى برجنديا ، وحقق الإنجليز انتصاراً عند أزينكورت وقاموا بفوز شمالى فرنسا ، ثم قامت برجنديا بالتحالف مع فرنسا إلى أن تم طرد إنجلترا بصورة نهائية من أوربا ومن أهم أحداث تلك المرحلة قتل جان دارك عفراء أورليان أورليان حرقاً عام ١٤٣١م ، عن حرب المائة عام أنظر :

Perroy, The Hundred Years War, Trans. by D.C. Douglas, London 1951. Painter, A History of the Middle Age 284- 1500, New York 1954, pp. 16-32 .

إسحق عبيد ، « جان دارك ربة من خلال الوثائق ضمن الرسم الثقافى للجمعية التاريخية المصرية . ط . القاهرة ١٩٧٨م .

الفيلد مارسال مونتيجومرى ، الحرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ص ٢٩٧ ، سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ص ٤٩١ - ص ٥٠٥ ، مجموعة من المؤرخين الروس ، موجز تاريخ العالم ، ت . محمد عياني ، ج ١ ، ط . بيروت ١٩٨٩م ، ص ١٩٣ - ص ١٩٤ ، موريس كين ، حضارة أوربا العصور الوسطى ، ت . قاسم عبيد قاسم ، ط . القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ٢٢٤ - ص ٢٣٨ ، جلال يحيى ، التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر ، الفجر ، ط . الاسكندرية ١٩٨٣م ، ص ١٣٣ - ص ١٤١

المسلمون طوال العصور الوسطى، وهكذا : تمكن المسلمون في صورة الأتراك العثمانيين من أن يضعوا أقدامهم في القارة الأوروبية في الجزء الشرقي منها وبذلك حققوا حلمًا جاسعًا طالما دأب عقولهم منذ قرون طويلة مضت ، ليستمر ذلك الوجود حتى يومنا هذا ليرتفع شأن تركيا في القرن السادس عشر في عالم البحر المتوسط <sup>(١١)</sup>، وقبضة ذلك العمل؛ أنه بعد حدوثه بأقل من أربعة عقود - كما أسلفت - إنتهى الوجود الإسلامى من الغرب الأوروبى ، فكأن عام ١٤٥٣م؛ جاء كبديل عن الإنسحاب الذى سيحدث فيما بعد بأقل من أربعة عقود عام ١٤٩٢م من خلال اتحاد فرديناند وإيزابيلا ضد بنى الأحمر فى غرناطة<sup>(١٢)</sup>، من الجهة المقابلة ؛ واعنى بها شبه الجزيرة الأيبيرية بعد ثمانية قرون من الوجود الحضارى هناك

والأمر المؤكد : أن القرن الخامس عشر شهد تحولات جفيرة على المستوى الجيوبولوتيكي بصورة دلت على أن عصرًا تاريخيًا جديدًا إفتتح ، ولأشك فى أن المسلمين شاركوا بجدارة فى

١- فرديناند بروديل، تاريخ وقواعد الحضارات، ت حسين الشريف ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٠١

٢- فرديناند أو فرناندو : هو ابن ملك تيره خوان الأول ولد عام ١٤٥٣م ، وقد تولى عرش مملكة أرتون من عام ١٤٧٩ إلى ١٥١٦م. كذلك اعتلى عرش مملكة نابولى عام ١٥٠٤ حتى ١٥١٦م. وصقلية من ١٤٧٨م إلى ١٥١٦م وقشتالة من ١٤٧٤ إلى ١٥٠٤ م. ثم تزوج من الملكة ايزابيلا ملكة قشتالة وقاد الحرب ضد المسلمين فى غرناطة آخر معاللمهم فى الأندلس إلى أن سقطت عام ١٤٩٢م. أما ايزابيلا ، فقد ولدت فى مدريدال دى الناس ثورس عام ١٤٥١م وهى ابنة ملك قشتالة خوان الثانى، وأما هى ايزابيلا البرتغالية، وقد تزوجت من فرناند أمير أوغون وصقلية ولادت معه ما أسماه الأسيان حرب الاسترداد Reconquista . عن ذلك أنظر : مانويل جاسار رميرو، رحيل أبى عبدالله مع أسرته وكبار أتباعه ، ت. عبد الفتاح عرض ، ضمن كتابه فصول فى تاريخ الأندلس - بداية النهاية ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢٥١- ٢٧٦ . محمد عبده ، الانتفاضة السرية للتحفة بجماعة تسليم غرناطة عرض وتحليل ، ضمن كتاب بحوث ودراسات مهفاد إلى عبد العزيز النورى ، ط. عمان ١٩٩٥م، ص ٢٥٥- ٢٦٧ . سحر محمد سالم ، علاقة مصر المملوكية بقرناطه قبيل وعقب سقوطها ، المؤتمر العالمى الخامس للدراسات المورسكية الأندلسية حول الذكرى الخمسة مئة لسقوط غرناطة ١٤٩٢- ١٩٩٢ ، إشراف عبد الجليل النسيبى، ط. زغوان ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٩٣ حاشية (٤١) ، واشنطن ، أخيار سقوط غرناطه، ت. هانى يحيى نصرى ، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ص ٢٢١- ٢٢٨م ، على حسين الشططاس ، نهاية الوجود العربى فى الأندلس ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٧١- ١١٤م ، محمد حسن الصيغروس ، تاريخ العرب الحديث ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٣١- ٣٣ ، عبد العزيز نوار ، ومحمود محمد جمال الدين. التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٩. عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار ، التاريخ الأوربي الحديث، ط. القاهرة ، ص ١١

صنعه ، ولاتفعل كذلك اكتشاف الأمريكتين من خلال حركة الاكتشاف الإسبانية على نحو مثل نقطة تحول تاريخية.

ولاتفعل ناحية أخرى من نتائج ذلك الحدث ؛ إذ أن الكثيرين من العلماء البيزنطيين رحلوا إلى الغرب الأوربي من بعد دخول الأتراك العثمانيين القسطنطينية وكان لهم دورهم البارز في قيام النهضة الإيطالية قبل غيرها من الدول الأوروبية<sup>(١١)</sup> دون إغفال عوامل أخرى أدت إلى تلك الأسبقية الحضارية بطبيعة الحال.

ولاتفعل ؛ أن الدولة العثمانية من الآن فصاعداً ستغزو أكثر من مجرد آلة حربية ، لقد أقام العثمانيون بوصفهم نخبة فاتحة، وحدة من الإيمان ، وكذلك الثقافة واللغة على مساحة تهاوزت مساحة الامبراطورية الرومانية، واعتنقها أعداد هائلة من الشعوب<sup>(١٢)</sup>، وإن كان ذلك جميعه لا يقدم مبرراً كافياً لنشوء العرب الأوربي من تلك الدولة السلطنة التي وضعت أقدامها على أرض القارة الأوربية بعد جهد جهيد وكفاح حفظ التاريخ ملامحه .

لاتفعل كذلك أن سقوط العاصمة البيزنطية في التاريخ قد اعتبره البعض بمثابة انتقام أسبوري أخذت فيه آسيا بشارها من فتوحات الاسكندر الأكبر أو أنها حركة مضادة للحروب الصليبية<sup>(١٣)</sup>، وإن كنت أتصور أن القضية ليست قضية إنتقام بل غو وتطور طبيعي لقوة الاسلام كدين فاتح وعابر للقارات في توسعاته .

١- زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ج ١، ص ٧٠، شوقي الجمل، وعبدالله عبد الرازق، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ط القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٤ وعن عطا، بيزنطة الحضاري للعالم أنظر:

Diehl , Byzantium , Greatness and decline, Trans. by Naomi Walford, New Jersey 1957 . pp. 227-288 .

٢- بول كيندي ، نشر، وسقوط القوي العظمى ، ت. مالك البديري، ط. عمان ١٩٩٤م، ص ٣٢ وأود الإشارة بهذه الدراسة لفكر استراتيجي أمريكي، وأشد يجهه المترجم الذي يقل ما في وسعه لنقل ذلك الكتاب الموسع إلى العربية في لغة سليمة .

٣- نعيم فروح ، تاريخ بيزنطة السياسي ص ٣٤٧ ، هذه الفكرة نظرية للقابة وانغرد المؤرخ الفاضل بها ولا أميل إلى تأييدها

من ناحية أخرى : أثارت تلك الحادثة التاريخية المحورية جدلاً بين المؤرخين حول من يرث الامبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية ، ومن هي روما الثالثة ؟ ورأى البعض أن ذلك الوصف ينطبق على فيينا Vienne عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة؛ بينما رأى فريق آخر أن موسكو صاحبة ذلك الميراث<sup>(١)</sup>، ومنطقي أنه من الصعب حسم ذلك الأمر الجدل.

ولانغفل كذلك؛ الإشارة إلى أن تلك الإمبراطورية التي حملت لواء المسيحية الأرثوذكسية على مدى عدة قرون، غدت متاراً للسلام والدعوة لذلك الدين على الأرض الأوروبية<sup>(٢)</sup>. وتلك مفارقة من مفارقات التاريخ

والواقع أن «المسات البيزنطية» على ذلك النهر بشير قضايا ملحة وهي التوقيت الزمني ، ثم تحليل عوامل السقوط، كذلك المسئولية التاريخية عن ذلك بين الفردية، والجماعية ، أو بينهما معاً.

وفيما يتصل بالتوقيت الزمني؛ وهو عام ١٤٥٣م؛ من الملاحظ سقوط بيزنطة من قبل ذلك التاريخ بعدة قرون . وعدة مرات ! وهنا ممكن التمعج في تاريخها المديد؛ إذ أنها سقطت أوروبا عندما قامت الإمبراطورية إيريني من قبل تسميل عيني ابنها قسطنطين السادس سعيًا وراء هريق المنصب الإمبراطوري فأطفاًت هريق عيني فلذة كبدها !!!

كما أن بيزنطة سقطت أخلاقياً من خلال كم المؤامرات والدسائس والفتن الغير مسبوقه التي حدثت بين ما يمكن ، وصفه «بالصفوة» السياسية والعسكرية والواقع أنها لم تكن - غالباً - صفوة على المستوى الأخلاقي لأنها كانت تستحل فعل أي جرائم من أجل هريق السلطة الأخاد بجامع العقول والقلوب ولا شيء غيرها !

١- نعيم فرح. تاريخ بيزنطة السباسة، ص٣٤٧ ، ولشرح هذه الزاوية ، هناك من يقرر أن السبحين اللاتين نظروا لأحداث عام ١٤٣ م على أنها بمثابة عقاب إلهي حل بالبيزنطيين المهرطقين وإنفصالهم عن كنيسة روما وشارك الروس عناصر اللاتين في الفكرة المذكورة ، وأعتقدوا أن مرافقة الامبراطورية البيزنطية على مجمع فلورنسا نتج عنه أن انتزع الله منهم الرئاسة على العناصر الأرثوذكسية وبالتالي صارت موسكو- في تصورهم- القسطنطينية الجديدة أو روما الثالثة، عن ذلك انظر:

طارق مئري المسببون الشرقيون والإسلام. ضمن كتاب العلاقات الإسلامية - المسيحية ، نراة مرمجة في التاريخ والحاضر والمستقبل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط بيروت ١٩٩٤م، ص١٨٧، حاشية (٢٩)

ومع ذلك ؛ فالواقع أن عملية الإضمحلال ، والسقوط على المستوى التاريخي بصفة عامة عملية معقدة متداخلة العناصر <sup>(١)</sup> . وبالنسبة للتاريخ البيزنطي؛ تسببت فيها عدة عوامل ، والأمر المؤكد ؛ أن معركة مانزكورت عام ١٠٧١ م ؛ أحدثت زلزالاً عنيفاً في الجسد البيزنطي، أو كما وصفها طومسون J.K.J. Thomson بأن مفتاح الهزيمة قمتل في تلك المعركة <sup>(٢)</sup>

وجدير بالذكر أن آسيا الصغرى مثلت - على مدى التاريخ البيزنطي - خط الدفاع الشرقي البالغ الاعتماد عن القلب البيزنطي في صورة القسطنطينية ، ومثلت الرئة التي تتنفس من خلالها الامبراطورية ، ناهيك عن دورها التجاري الممتاز . وهكذا فإن أحداث ١٠٧١ م وما تلاه مثل نقطة تحول محورية في تاريخ تلك الإمبراطورية نظراً لتأثيرها على آسيا الصغرى، على نحو خاص ولانفغل كذلك؛ أن الحركة الصليبية ذاتها جاءت بمثابة اختيار-عسير للإمبراطورية التي دفعت الثمن فادحاً من خلال لعبة توازن القوى التي مارستها ببراعة من قبل، ثم سقطت ضحية لها فيما بعد؛ كما حدث في عام ١٢٠٤ م ومن الممكن القول أن القرنين ١٢ ، ١٣ م، شاركا بفعالية في الأحداث النهائية التي جرت في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي .

من جهة أخرى؛ لانتكر تأثير عوامل الاضمحلال الداخلية ، وقد تزايدت على نحو جلي في عهد أسرة باليولوج دون أن تفصل بين ما حدث في عهد تلك الأسرة والخط البيباني الهابط لغير صالح تلك الإمبراطورية من قبل.

١- عن الاضمحلال في التاريخ بوجه عام أنظر: آرثر هيرمان، فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي ت طلعت الشايب، تقديم رمضان بسايس ، المشروع القومي للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

ويغلب على الكتاب الطابع الفلسفي النظري ويعدد أحياناً عن «التطبيق» العلم التاريخي.

٢- عن ذلك أنظر:

Thomson , Decline in History The European Experience , Cambridge 1998, p. 8 .

وفي ذلك يقول ما نصه

“ A key defeat was the battle of Manzikert in 1071, following which the Turks advanced to the very walls of Constantinople” p. 8 .

وقد درس المؤلف أمر الإضمحلال البيزنطي على مدى الفصل الرابع من دراسته القيمة عن ذلك انظر Thomson , pp. 3-9

وبصفة عامة ، تعد دراسته متميزة.

والمؤكد ؛ أن الحرب الأهلية والصراع على العرش الامبراطوري قد أجهد تلك الامبراطورية خاصة أنها استمرت عدة أعوام وهناك من يقرر أن تلك الحرب أدت إلى نشر الخراب في أنحاء الامبراطورية، وخلال ذلك وجدنا الانقسام بين البيزنطيين إلى فريقين<sup>(١١)</sup>، كل فريق يؤيد أحد الساعين إلى ذلك المنصب وكل ذلك في وقت كان البيزنطيون أحوج ما يكونوا إلى الوحدة والتماسك في مواجهة الخطر الخارجي .

أما إذا اتجهنا صوب الجانب الاقتصادي والاجتماعي- وهو يحتل أهمية خاصة - نجد أن الخزانة الامبراطورية حينذاك صارت تعاني من نقص شديد . خاصة أن الخراب قد انتشر من خلال الحرب الأهلية . وتضائل شأن الرسوم الجمركية ؛ نظراً لاستئثار البنادقة والجنوية بجانب وافر من التجارة الخارجية وحصولهم على امتيازات كبيرة، ولذلك اضطرت الحكومة إلى خفض قيمة العملة وبل استدان الأباطرة ووصل بهم الأمر إلى حد رهن جواهر التاج<sup>(١٢)</sup>؛ مما عكس الوضع المالي المتردى الغير مسبق

أما من الناحية الاجتماعية ؛ نلاحظ أنه منذ أواسط القرن الرابع عشر الميلادي ظهرت مرحلة من الثورة الاجتماعية فالعناصر الغفيرة ثارت ضد الطبقة الاستقراطية ، وفي مدينة سالونيك - على سبيل المثال- وهي التي وصفت بأنها المدينة الثانية في الأهمية عنها القروى وقامت فيها حكومة ذات طابع جمهوري<sup>(١٣)</sup> ووجدت السلطة الامبراطورية مشقة بالغة في إخضاعها في عهد حنا كنتاكرزين ولم يحدث ذلك إلا بشق الأنفس وبعد جهد جهيد<sup>(١٤)</sup>

أما على الصعيد الديني؛ فلاربط في أن مسألة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية قد أجهد الامبراطورية البيزنطية وأدخل أهلها في جدل وتصارع لم يكن من ورائه صغيم . ومن الأمور ذات الدلالة أنه في عام ١٤٥٢م، وهو العام السابق مباشرة على الفتح العثماني نشبت

---

Diehl, The Byzantine Empire, p. 18

- ١

Ibid, p. 19

Ibid, p. 17

- ٣

Ibid, p. 17

- ٤

مظاهرات صاحبة عند كنيسة أيا صوفيا نتيجة لتلك القضية ، واستمر الأمر موضوعاً للخلاف حتى عندما كان العثمانيون يحاصرون العاصمة البيزنطية<sup>(١)</sup>.

وإذا نظرنا صوب الجيش والأسطول نجد أن الأول بلغ درجة كبيرة من الضعف ، وثارت عناصر المرتزقة بل إن قرفة المرتزقة التي عرفت باسم جماعة الكاتلان الكبرى Catakan، انتزعت غاليبولي Gallipoli ثم حاصرت القسطنطينية لمدة عامين<sup>(٢)</sup> على نحو عكس الوضع المتردي الذي بلغه الجيش البيزنطي حينذاك.

أما الأسطول البيزنطي ، فقد حاول ميخائيل الثامن إعادة تنظيمه إلا أن من حكم من بعده من الأباطرة البيزنطيين وأوا أن الاحتفاظ بذلك الأسطول يمثل عبئاً مالياً كبيراً ، ولذلك أهملوه ، وهكذا ؛ ثم ترك حماية مصالح الإمبراطورية في القسم الشرقي من البحر المتوسط لأساطيل المدن التجارية الإيطالية<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يتأكد لنا أن الاحتضار البيزنطي تزايد بصورة واضحة فيما قبل الفتح العثماني للقسطنطينية ، ويتضح لنا بالفعل أن الانهيار شمل كافة المرافق والمؤسسات في الامبراطورية ، فإذا أضفنا ذلك أن الشخصية البيزنطية أصبحت في الصميم من جراء محنة ما بعد ١٢٠٤م ، أدركنا أن حجم الانهيار كان كبيراً

ومن الممكن الإقرار بأن السقوط كفكرة قديمة ومشكورة على مدى التاريخ البيزنطي ذاته ، كما أنها في عام ١٢٠٤م سقطت لأول مرة ، غير أن الفارق الجوهرى بين أحداث عامى ١٢٠٤م ، ١٤٥٣م ؛ أنها استمرت بعد العام الأول ، وانتهت إلى غير رجعة بع العام الثانى ، وبالتالي بعد عام ١٤٥٣م ؛ هو الأكثر بقاء ، ولالة في التاريخ مقارنة بالأول حتى هذه اللحظة !! ولا تغفل ، أن المرحلة الواقعة ما بين عامى ١٢٦١م حتى ١٤٥٣م يمكن أن توصف بأنها والاحتضار البيزنطي طويل الأجل ، ومن الممكن الافتراض - كنوع من الرياضة الفنية لا أكثر حيث أنه لا يوجد لو فى التاريخ ، أنه لولا حدوث كارثة أنقرة عام ١٤٠٢م ؛ لكان من

Ibid, p. 158 .

Ibid , p. 159 .

Dichl, Rhe Byzantine Empire, p. 160 .

الممكن أن يسقط الأتراك العثمانيون بيزنطة قبل عام ١٤٥٣ بعدة عقود، في عهد بابزید الأول وليس في عهد محمد الفاتح ، وهكذا : فإن عاملاً خارجياً في صورة انتشار بقيادة تيمورلنك ساعد على إطالة عمر تلك الإمبراطورية إلى أن سقطت في العام المحدد لذلك ويلاحظ أن صراعات أعداء بيزنطة مع بعضهم البعض - على مدى تاريخها- أی في أحيان متعددة أدت إلى «إطالة» عمرها وهر أمر تكرر مرات متعددة؛

نخلص من ذلك؛ أن عام ١٤٥٣م في الواقع تحديد زمني ينبغى ألا يوهننا بأن الإمبراطورية البيزنطية قد سقطت فيه بينما -نظرياً- سقطت من قبل ذلك عدة مرات في ظروف متباينة.

ونفس الأمر نجده لدى كيانات سياسية أوربية ، وإسلامية معاصرة لتلك الإمبراطورية في مرحلة العصور الوسطى ومن أمثلة ذلك: مملكة بيت المقدس الصليبية ، والدولة الفاطمية والدولة الأيوبية . فقد تصور الكثيرون أن الأولى سقطت من جراء حطين عام ١١٨٧م، بينما سقطت من قبل ذلك أدبياً من خلال طبيعة الحركة الصليبية ذاتها كحركة متعصبة عنصرية ودم-سربة<sup>(١)</sup> . وتمثل المرحلة من ١١٧٤ - عام وفاة الملك عموري آخر الملوك الصليبيين الأقوياء- حتى عام ١١٨٧م احتضار ما قبل النهاية العسكرية في صورة حطين وأعقابها ونفس الأمر يقال عن الدولة الفاطمية التي لم تسقط عام ١١٧١م بل من قبل ذلك من خلال الصراع الشيعي السني معضري التشكيك في نسب الفواطم من جانب العباسيين في عهدي الحاكم والمستنصر على نحو أدى إلى هوانهم في نفوس رعاياهم ثم التصارع على السلطة بين الوزراء العظام كل ذلك جعل تلك الدولة تعيش نوعاً من الاحتضار الذي طال بها منذ عهد المستنصر (١٠٣٦-١٠٩٤م) خاصة منذ الشدة المستنصرية حتى عهد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مصر ناهيك عن العجز عن مواجهة الفزو الصليبي. أما الدولة الأيوبية قد

عن ذلك بالتفصيل محمد مؤنس عوض، عوامل إخفاق المشروع الصليبي في القرن ١٣ م / ص ٧٧ .

نمن كتاب الحروب الصليبية الساسة . المباء . العقيدة . ط. القاهرة ١٩٧٠م . ص ٤١-٦٧

وتقدم حالة تلمبذتي صفاء عثمان بإعداد أطروحتها للدكتوراه في نفس الموضوع وتحدد بعنوان.

عوامل فشل المشروع الصليبي في القرن ١٣م



سقطت أديبا بمعاهدة يافا ١٢٢٩<sup>(١)</sup> والتفريط في القدس على يد الكامل الأيوبي قبل أن تسقط في عهد تورانشاه ١٢٥٠م.

أما العوامل التي أدت إلى المصاعب البيزنطية فيمكن إجمالها في صورة عوامل داخلية وخارجية .

وفي تصوري: أن العوامل الداخلية لعبت دوراً فعالاً لا يقل عن العوامل الخارجية ، ولا تغفل أن الاثنين معاً تعاوناً

وفيما يتعلق بالعوامل الداخلية: هناك من المؤرخين الأوروبيين من عمل على تركيز نظرتهم صوب آل البيلوج فقط، وبالتالي تصور أن ضعف تلك الأسرة البيزنطية الحاكمة على نحو

١ - عن معاهدة يافا ١٢٢٩ م . أنظر:

Philip of Novara , The Crusade of Frederick II from Philip of Novara , in Peters (ed.) , Christian Society and the Crusades 1198-1229, Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 . pp. 157-158 .

ابن العديم ، زبدة الخطب ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ ؛ ابن تظف المصوري ، التاريخ النصارى - تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو العبد دودو ، ط. دمشق ١٩٨٧م . ص ١٢٦ ؛ ابن أبيك الفواداري ، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٧٢م . ص ٢٩٢ . المغريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٣٠ - ٢٣٢ ، ذكرى عزيز محمد صالح الصانع ، عصر الملك الكامل الأيوبي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الموصل عام ١٩٨٨م . ص ١١٣ - ١١٤ . وأود الاشارة بالجهد المبذول في هذه الرسالة ، محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٩١ - ٣٠٠ . أحمد رمضان ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، الحروب الصليبية . ط. القاهرة ب-٢٠٠٠ . ص ١٧٩ ، نظير حسان سعداوي ، الحرب والسلام زمن العبدان الصليبي . ط. القاهرة ١٩٩٦م . ص ٩٦ - ٩٧ ، رأفت عبد الحميد ، الملك الكامل بين الانقراض والتفريط ، في مواجهة الصليبيين ، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٨م . ص ١٢٥ - ٢٠١ . فوزي وضرائن العربي ، ديبات المقدس تحليل تاريخي ، النشرة الدولية القدس التاريخ والمستقبل تقديم أ.د. يوسف درويش غوراني ، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج ، ط. عمان ١٩٩٥م . ص ٦٨ - ٦٩ . سعيد عاشور ، الامبراطور فردريك الثاني والشرق العربي ، المجلة التاريخية المصرية - عام ١٩٦٣م محمد مصطفى زيادة ، مصر والحروب الصليبية ، رسائل الثقافة العربية ، منشورات وزارة الدفاع الوطني . ط. القاهرة ١٩٥٤م . ص ١٢ باسليم التكريشي ، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ، عام ١٩٨١م . ص ٢٠٤

خاص هو السبب المباشر وراء سقوط الامبراطورية، وهو أمر غير منطقي لأنهم في هذه الحالة لا يبحثون عن أصول وجذور الاضمحلال، والواقع أن ذلك الاضمحلال عميق الجذور. وقد لاحظنا أن المنصب الإمبراطوري كان هدفاً لكل طامع خاصة من جانب المؤسسة العسكرية وكانت الوسيلة المثلى متشعبة في المؤامرات والانتقالات

وقد وصل إلى ذلك المنصب في الكثير من الأحيان أشخاص غير جديرين به. وبالتالي كان الضعف مصاحباً لهم، ومن بين عشرات الأباطرة لا نجد إلا أقل القليل منهم من لديه القدرات الفعلية لتولي القيادة البيزنطية بكفاءة تاريخية حقيقية.

ولا تغفل كذلك: الخلافات الدينية والمذهبية، ودورها الفعّال في استهلاك طاقات الإمبراطورية وتفكيك روابطها، كما أن سياسة الأباطرة تجاه القضايا الدينية كانت متغيرة وقضية الصراع على عبادة الأيقونات خير دليل على نحو إنعكس بدوره على مسار التاريخ البيزنطي ذاته.

من ناحية أخرى: نجد أن الجيش البيزنطي على نحو خاص، قد أصابه الوهن من قبل الأسرة البيزنطية الأخيرة، ومن بعد عام ١٠٧٨م مع حدوث معركة مانزكورت وهزيمة الامبراطورية على أيدي السلاجقة. نلاحظ إفتقاد بيزنطة للمقاطعات التي كانت تحصل منها على عناصر المرتزقة، وهكذا: صار الجيش البيزنطي في عصور الضعف لا يملك إمكانية الدفاع عن الامبراطورية خاصة مع تكالب الأعداء عليها من كل حذب وصرب.

كذلك لا تغفل أهمية الناحية الاقتصادية، وإذا تعرضنا لأمر الإقطاع البيزنطي<sup>١١</sup>، ملاحظ البعض أن الإمبراطور ميخائيل باليولوغوس حاول أن يرضى العناصر المؤيدة له من العناصر العسكرية وكذلك أصحاب الضياع الكبيرة من الطبقة النبيلة. وبعد أن كانت الإقطاعيات الزراعية الكبيرة المسماة برونيا Pronoia يتم منحها لمدة محدودة وهي غالباً مدى الحياة دون أن تورث صارت وراثية. وصار لأصحاب البرونيات حق توريثها إلى أبنائهم منذ صغر أعمارهم، وتزايد عدد البرونويات كنتيجة لأمر التوريث وقد صاحبها الاعفاء من الخدمة الحربية

١ - عن أمر الإقطاع البيزنطي أنظر:

Ostrogorsky, Pour L'Histoire de la Féodalité byzantine, Trans. by H. Kazdan and Epstein, Change in Byzantine Culture in The Eleventh and Twelfth Centuries, pp. 56-73

واضطرت الامبراطورية إلى استخدام عناصر المرتزقة ، على نحو زاد من أعبائها المالية المتهكة أصلاً، كذلك نلاحظ أن أباطرة أسرة باليولوغوس قاموا باعفاء الضياع الكبيرة من العناصر المدنية من الضرائب ، على نحو أدى إلى ضعف الموارد المالية ناهيك عن نقص الخدمات الحربية<sup>(١)</sup>.

فإذا أضفنا إلى ذلك كله: اختفاء بيزنطة للعديد من أملاكها وسيطرة البندقية عليها عقب الصليبية الرابعة؛ أدركنا كيف أن الضعف الاقتصادي قد رسم ملامح قضية الاضمحلال والسقوط البيزنطي.

وفي معرض تناولنا للعوامل الداخلية؛ قد يتصور البعض أن الامبراطور قسطنطين الحاد عشر آخر الأباطرة البيزنطيين يتحمل أكثر من غيره مسئولية سقوط بيزنطة ، وكأن الأمر ارتبط بسياسة شخص واحد فقط وهو أمر غير منطقي لأن عهده كان نتاجاً لمرحلة ضعف طرية سابقة عليه وبالتالي فهو نتيجة أكثر من كونه سبباً.

واقع الأمر ، لا يتحمل الامبراطور الأخير الذي وقع في عهده السقوط منفرداً ذلك بمصفى عامة وينطبق ذلك على الخليفة الأموي مروان بن محمد عام ٧٥٠م. والخليفة الفاطمي العاضد عام ١١٧١م، والسلطان الأيوبي تورانشاه عام ١٢٥٠م. والخليفة العباسي المستعصم عام ١٢٥٨م. وطومانباي عام ١٥١٧م. ومثلما نقول دوماً أن التاريخ يصفه الفرد القائد ومعه شعب فإن ذلك ينطبق على السقوط في التاريخ أيضاً بنفس الدرجة.

أما العوامل الخارجية؛ فيمكن إبراز أهمها في صورة البابوية ، والبنادقة والأتراك العثمانيين. فيلاحظ بالنسبة للأولى أنها ناصبت بيزنطة العدا على مراحل تاريخها المديد من قطيعة فوشيرس مروراً بالإنشقاق الأعظم ١٠٥٤م. إلى الدور المتآمر للبابا أنوسنت الثالث

١- حسين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص ٢٩٦

ومن البروتيا في عهد آل كومنين أنظر

Osuogorsky , " Die Pronoia unter den Komnenen", Z.R.V.I., 1970, pp. 41-57

وتعد دراسات أوستروجرسكي أفضل ما ظهر في موضوع الإقطاع البيزنطي

حسين ربيع ، المرجع السابق، ص ٢٩٧

٢- عن تلك الأملاك أنظر الملحق الخاص بها

خلال الصليبية الرابعة، ثم عدم الاستجابة للاستغاثات البيزنطية في مرحلتها المتأخرة للغاية حتى بعد أن تحول إمبراطورها يوحنا كانثاكوزين عن الأوثوكسية على نحو مهيئ. لقد كان ميراث العدا، بين الجانبين أكبر من إمكانية تناسبه مع استفحال الأخطار على الإمبراطورية التي ظلت درعاً للصليبية الشرقية عدة قرون.

وبالنسبة للبندقية: نجد أن منافستها التجارية لبيزنطة جعلتها تتأمر عليها في ظروف أحداث عام ١٢٠٤م ولاشك أن بيزنطة قدّمت الأتراك العثمانيين متحركة القوى بعد ما حدث لها في خلال الصليبية الرابعة. وفي تصوري أن الموقع الجغرافي الفريد لبيزنطة وتحكمها في تجارة البحر الأسود وقسم فعال من تجارة البحر المتوسط قد جنى عليها أحياناً، وجر عليها صراع البندقية معها التي أثبتت إلا أن تقضى على مكانتها التجارية الرفيعة المنافسة لها، وينبغي ألا يتصور أحد: أن الإمبراطورية البيزنطية قد تعرضت لمؤامرة خارجية قضت عليها في النهاية: أن تلك الإمبراطورية تأمرت داخلية على نفسها أولاً من خلال الصراعات السياسية التي استمرت حتى النهاية، وبالتالي: تعاونت مؤامرة الداخل، والخارج معاً؛ لتخط آخر فصول المسرحية البيزنطية البالغة الطول، والتي شارك في أحداثها قوى سياسية عديدة على مسرح العلاقات الدولية بين الشرق والغرب (١)

أما الأتراك العثمانيون: فالملاحظ أنهم مثّلوا دماءً مجاهدة شابة جديدة وقادت إلى المنطقة، والواقع أن بيزنطة لم تكن في عصر تدهورها وهوانها نداءً لمواجهة تلك الفترة الفتية الجديدة التي تحسّن التخطيط بدقة وتجيد تنفيذ ما خطّطت له

بصفة عامة؛ من الملاحظ أن الأتراك العثمانيين إمتازوا بوضوح الهدف، والسعي له بكل وسيلة نحو تحقيقه، ولانغفل، براعة التخطيط على أساس علمي من خلال سلاح المعلومات التي توافرت لهم عن العدو البيزنطي، ثم الإعداد العلمي العسكري الفذ سراً؛ من خلال الجيش أو الأسطول على نحو صنع الانتصار الأخير؛ للفعال الذي لا يزال يعيش حياً بيننا من خلال دولة تركيا حاليّة على الخريطة الأوروبية بالإضافة إلى آسيا الصغرى أو الأناضول.

والآن؛ نبرز قضية خاصة بالمسئولية التاريخية عن سقوط بيزنطة، هل فردية أم جماعية، والواقع أن القول بالجانب الفردي من خلال سلوكيات الأباطرة أنفسهم، ليس إلا نصف التفسير الواقعي لما حدث، فليس من المنطقي: تصور أن مجموعة من الأفراد أيّاً كانت سلطاتهم المطلقة يمكن أن يزدوا - بمنزلة إلى سقوط كيان سياسي كبير في حجم الإمبراطورية البيزنطية.

واقع الأمر : أن «الأغلبية الصامتة» من الشعب البيزنطي، تتحمل جانباً كبيراً من المسؤولية التاريخية، فمن غير المتصور أن يتم تصير الأمر من خلال مسئولية فردية وترك الشعب البيزنطي ذاته دون أن يتحمل قسماً بارزاً فيها. وقد يرد البعض بأن العصور الوسطى لم تكن بها شعوب تشارك في صنع القرار السياسي كما في العصر الحديث، إلا أن ذلك لا يبرر الأمر، ولانسى أن القبادات السياسية البيزنطية هي إقرار حقيقي من الشعب البيزنطي ذاته بإيجابياته وسلبياته .

وبعد : فلا مراء في أنها رحلة طويلة شاقة قطعتها بيزنطة : كي تتكيف مع الأحداث الدولية . وصراعات القوى الدولية المتعددة التي كانت تتقلب في محالفاتها وعداواتها بين الحين والآخر، ولارب: في أنه بين يوم ١١ مايو ٣٣٠م - ٣٠ مايو ١٤٥٣م : أي بين الميلاد والمات عاشت تلك الإمبراطورية تصارع الزمن بين مد وجزر لكن لم يكن من الممكن البتة أن تفري على منطق التاريخ الذي وأبناء لدى كافة الكيانات السياسية الأخرى في العصور القديمة والوسطى والحديثة عندما تضعف وتشيخ ويكون بالتالي الخروج من التاريخ، وكان ذلك على أيدي المسلمين من الأتراك العثمانيين الذين دخلوا التاريخ بجداره مثلما خرجت منه بيزنطة بجدار موازية؛ وأعنى بها جداره الضعف والهوان ثم الإنسحاب : لأن التاريخ لا يصنعه إلا الأقوياء !

تبقى زاوية أخيرة ، تتعلق بعض مقارنة موجزة بين إسقاط القسطنطينية عام ١٤٥٣م في أيدي العثمانيين ، وإسقاط الوجود الصليبي في عكا من قبل في عام ١٢٩١م بأيدي المماليك.

واقع الأمر : أن هناك مشروعية للمقارنة ، على اعتبار أن الحدثين التاريخيين الكبيرين حدثا خلال مرحلة العصور الوسطى وضمن نطاق العلاقات بين الشرق والغرب ، كما أن الفارق بين الحادثتين ١٦٢ عاماً فقط.

ومع إدراكنا الأولى لوجود اختلافات بين مملكة بيت المقدس الصليبية التي تمتد مملكة عكا الصليبية بعد عام ١١٨٧م ، والدولة ذات طابع اقتصادي تجاري على نحو خاص، وكذلك العاصمة البيزنطية، ولم يكن غريباً والأمر كذلك: أن ذكر الرحالة الأندلسي البارز ابن جبير عندما زار عكا عبارته ذات الدلالة « المشبهة في عظمتها بالقسطنطينية »<sup>(١)</sup>.

١- الرحلة ، بيروت ب-ت ، ص ٢١١ ، برنارد ليريس، اكتشاف المسلمين لأوروبا ، ت. ماهر عبد القادر، ط القاهرة ١٩٩٦م، ص ١١٥

كذلك نلاحظ أن كلاً من التاريخين كان يعنى نهاية كيان مسيحي - بغض النظر عن عن مذهبه، وذلك لمصلحة التوسع السياسى للإسلام كدين، وهكذا . فإن عام ١٢٩١م شهد نهاية الوجود الصليبي من بلاد الشام، وعام ١٤٥٣م شهد نهاية البيزنطى من القسطنطينية وانتهاء تلك الامبراطورية ذاتها

من جهة أخرى؛ تتشابه الحادثتان من حيث أن من قام بالانحياز فى صورة المالك ومن بعدهم العشانيون التزموا أنفسهم بالجهد وهو ذروة سنام الإسلام، وبالتالي احتلت الدولتان مكانة بارزة من بين الدول الإسلامية فى العصور الوسطى.

ولاتفعل كذلك أن المرحلة العصرية لكل من الأشرف خليل بن قلاوون ومحمد القاق العثماني كانت شابه على نحو عكس أن التاريخ من الممكن أن يصنعه الشباب صغير السن إذا ما كان مهياً أصلاً لصنعه بجدارة!

أما أوجه الاختلاف فتذكر منها ، أن الكيان الصليبي فى عكا كان أسيرياً بينما كان الكيان البيزنطى أوروبياً ، كذلك لم يكن لعكا ذات الموقع العبرى الذى كان للقسطنطينية ، ناهيك عن قصر عمر مملكة عكا مقارنة بالقسطنطينية واسعة المدى الزمنى، كذلك لاتفعل أن سقوط عكا الصليبية لم يكن يعنى بداية عصر تاويغى جديد ؛ إذا استمرت مرحلة العصور الوسطى قائمة أما بالنسبة لسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م؛ فقد اعتبره البعض بداية لما عرف بالعصر الحديث، ونستدل من ذلك ؛ أن التاريخ الأخير يعد أكثر محورية مقارنة بالأول لاسيما فى النطاق الأوروبى.

على أية حال ؛ أياً كانت أوجه التشابه والاختلاف فالأمر المؤكد أن الحادثتين تمثلان نقطتي تحول فى مرحلة العصور الوسطى ومنها ما كان فى قصورها الأخيرة:

نخلص من وراء ذلك كله أن الإضمحلال البيزنطى كانت له على المستوى الداخلى صور وأشكال مختلفة ومتعددة منها السياسى، والحربى، والاقتصادى وتناوبت معاً فى تزامن متكامل على نحو أدى إلى النهاية المعروفة وبالتالي لم يكن الأمر نتاجاً لعامل واحد بل عوامل مشتركة وفعالة فى نفس الحين

على أية حال ؛ إذا كان ذلك شأن السبابة والحرب ، فيلاحظ أن الامبراطورية البيزنطية فى عصرها المتأخر أنجبت عدداً من الأعلام فى مجالات متعددة وكأنها تنقل للتاريخ أن لديها القدرة على إعجاب المبدعين فى كافة المجالات حتى وهى فى النزاع الأخير ؛ ومن الممكن تقديم العديد من الأمثلة والنماذج فى هذا الشأن.

ففى مجال التاريخ : نجد هناك جريجوريوس باخميريس<sup>(١١)</sup> Pachimeres (١٢٤٧-١٣١٠م) ويعد مصدراً أساسياً عن عهد كل من ميخائيل الثامن ، واندرونيكوس الثانى .

كذلك نشير إلى ميخائيل كريستوبوليس Michael Kerstoboulos والذي انحصر من أسرة عريقة من جزيرة إيمبروس Imbros، وقد تمكن من الوصول إلى شروط محددة مع الأتراك العثمانيين بعد عام ١٤٥٣م وعلى أساسها جعلوه يتولى إدارة جزيرته منذ عام ١٤٥٦م وقد ألف تاريخاً يتناول الأحداث ما بين عامى ١٤٥١م . ١٤٦٧م ، وقام باهتائه للسلطان محمد الفاتح ووصفت كتاباته بالبلبل إلى الأتراك العثمانيين، وبعد ما كتبه مهماً خاصة فيما يتصل بالنهاية البيزنطية عام ١٤٥٣م<sup>(١٢)</sup>.

أما فى مجال اللاهوت : فنشير إلى جريجورى القبرص Gregory of Cyprus الذى تولى بطريركية القسطنطينية خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٢٨٣-١٢٨٩م وقد تولى ذلك المنصب فى عهد أنطرونيكوس الثانى، وقد ألف كتابين فى الإيمان ، وفى «الانشاق» ، وهناك من يقرر عنه أنه كان خطيباً لا يشق له غبار وألف رسائل كثيرة<sup>(١٣)</sup>.

وهناك أيضاً جنادوريوس Gnadus Scholarius ، ويوصف بأنه أول بطريرك يتولى منصبه بعد الفتح العثمانى للقسطنطينية ، وكان قد اشترك فى مجمع فلورنسا، وقد أيد الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية ، غير أن فيما بعد عدل عن رأيه وصار من أشد خصوم الاتحاد بينهما ، ومن أهم مؤلفاته كتابه «المرائى» ويحتوى على مادة تاريخية مفيدة خاصة عن أوضاع الكنيسة الأرثوذكسية فى ظل الوجود العثمانى<sup>(١٤)</sup>.

١- عنه أنظر المدخل الجليوغرافى

دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ت. حسن جنى . ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٥١

٢- نفسه ، ص ٢٥١

٣- أسد رستم، الروم، ج ٢، ص ٢٧١

Nicol , A Biographical Dictionary , p. 45 .

٤- أسد رستم، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥١

ومن أعلام اللاهوت: ديميتريوس كيدونيس Demetrius Cydones (١٣١٠ - ١٤١٠م) وقد قام بترجمة أحد مصنفات توماس الاكوينى إلى اليونانية وهناك من يقرر أن أفضل ما كتب مراسلاته مع ماثوئيل الثانى، ويوحنا كنتاكوزين، وغيرها<sup>(١)</sup>.

كذلك لانغفل بيساريون Bessarion الذى تعرف أنه ولد فى طرابيزون حوالى عام ١٣٩٥م، وعم صوب العاصمة البيزنطية لتابعة دراسته وقبلا بعد انهاها على مدى بليثون الفيلسوف فى ميسترا فى المورة Morea ، مما يذكر عنه : مرافقته يوحنا الثامن إلى مجمع «فلورنسا»<sup>(٢)</sup>، وبعد سقوط بيزنطة عام ١٤٥٣ هجى إلى إيطاليا وقد تمكن من جمع ٦٠٠ مخطوط دفع ثمنًا باهظًا لها وصارت فيما بعد نواة مكتبة البندقية<sup>(٣)</sup>.

ثم تسبر إلى ابوجنيكوس Eugenicos والذى وصف بأنه من أشد من تمسك بالأرثوذكسية وقرارات المجامع المسكونية ، وقد حضر مجمع فلورنسا ورفض توقيع قراراته، واشتهر بمؤلفاته فى تنفيذ العقيدة اللاتينية ، كذلك هناك مراسلاته<sup>(٤)</sup>.

وفى مجال الفلسفة والأدب وقفه اللغة تشير إلى عدد من الأعلام ومنهم: جيمستوس Geomistis (ت ١٤٥٠م) الذى درس فى القسطنطينية وعشق الفكر الكلاسيكى وهناك من يقرر ترويجه لفكرة انشاء أكاديمية أفلاطونية فى فلورنسا ، وقد صنف مؤلفًا فى المفاضلة بين اثنين من أعلام الفكر الفلسفى اليونانى هما أفلاطون وأرسطو<sup>(٥)</sup>.

ومن أعلام البلاغة ، والمخطابة خلال تلك المرحلة :خمنوس Chumnos وقد ترك عشرات الرسائل فى مجالات الأدب وكذلك اللاهوت والفلسفة<sup>(٦)</sup> مما عكس موسوعية معارفه وتعمدها بين علوم مختلفة .

١- أمد رستم ، الروم، ج ٢ ، ص ٢٧٠

٢- نفسه ، نفس الصفحة.

٣- زينب راشد، تاريخ أوروبا الحديث، ج ١ ، ص ٧٠

٤- أمد رستم ، المرجع السابق، ص ٢٧٠- ٢٧١

٥- أمد رستم ، الروم، ج ٢، ص ٢٧٢

٦- نفسه، ص ٢٧٣



ويضاف إليه ؛ بلانديوس Planudes الذي كان عالماً لغوياً ، وعاصر ميخائيل الثامن ، وأندرونيكوس الثاني ومن أهم مؤلفاته رسائل في جرامتيكا اللغة اليونانية كذلك ساهم في أمر الترجمة فقام بنقل عدة مؤلفات لاتينية إلى اليونانية <sup>(١)</sup>.

وفي مجال الأدب نشير إلى يوحنا خورتا سمبينوس John Chortasmpnos (ت ١٤٣٦م - ١٤٣٧م) ، ووصلت إلينا رسائله التي وجه أغلبها إلى الامبراطور مانويل الثاني كذلك نظم عدداً من القصائد ، وما يذكر عنه شكواه الدائمة من شطف العيش <sup>(٢)</sup> ومع ذلك فيصرف بعض الكتب التي كانت له - على ما يبدو - خير عزاء عما عاناه على المستوى المادي.

كما لا ننفل من الأعلام الذين تألق مجسمهم خلال تلك المرحلة مانويل خريسو لوراس Ma-nuel Chrysoloras (ت ١٤١٥م) الذي قام بتدريس اللغة اليونانية في فورنسا عام ١٣٩٩م. كما قام بأدوار دبلوماسية نشطة عام ١٤٠٨م من خلال سفره إلى باريس ، ولندن ، والبندقية. كذلك شارك في مجمع كونستانس عام ١٤١٤م.

على أية حال ؛ يذكر عنه سعيه إلى إحياء اللغة اليونانية في إيطاليا ، ومن بين أهم مؤلفاته كتابه عن قواعد اللغة اليونانية الذي كان له تأثيره البارز وعنوانه "Ennemata" <sup>(٣)</sup>

كذلك نشير إلى جورج ميتروخيتس (ت ١٣٢٨م) الذي عمل رئيساً للشمامسة وكانياً ويذكر عنه بلاغته الجلية خلال المفاوضات التي جرت بين ميخائيل الثامن مع البابوية وكان نائباً عن الامبراطور المذكور خلال مجمع ليون ١٢٧٤م. وقد ترك بعض المؤلفات العقائدية التي يقرر دونالد نيكول أنها كانت تنشر نحر المذهب اللاتيني <sup>(٤)</sup>.

أما إذا أردنا عقد مقارنة مرجزة بين أسرة باليولوج ، والأسرات البيزنطية السابقة عليها ، نجد أنها حكمت قرابة قرنين من الزمان (٩٢٢عاماً) فهي بالتالي من أطول الأسرات الحاكمة

على مدى ذلك التاريخ المديد وبالتالي فافت في ذلك الأسرة المقدونية (١٩٠) عامًا على سبيل المثال . غير أنه من الواضح أن الفارق الزمني محدود بين الأسترين.

من جهة أخرى، نلاحظ أن تلك الأسرة تفرقت زمنياً على الأسرة السابقة عليها وهي أسرة المجيلوس إذ حكمت نحو عشرة أضعاف مدة حكمها، ومع ذلك : تنشق الأستران في نوعية الأباطرة الضعاف، فلم تعد بيزنطة بقيادة على إنجباب أباطرة مثل مؤسسي الأسرات السابقة، بل من يشجع بيزنطة إلى مشاها الأخير ١ وإن تشابهت معها في زاوية أن كلا من الأسترين شهدت السقوط البيزنطي كما حدث عام ١٢٠٤م، ١٤٥٣م مع ملاحظة أن الأول استمرت من بعده قرنين من الزمان ، أما الثاني فكان يعنى النهاية.

ولانفسل أنه إذا كانت أسرة قسطنطين (٣٢٤-٣٧٨م) توصف بأنها أسرة البداية والتأسيس فإن أسرة باليولوغوس - في المقابل- توصف بأنها أسرة النهاية ، وتعد الأسرات الأخرى بمثابة حلقة الوصل بين الأسترين المذكورتين .

من زاوية أخرى، يتطلب الأمر منا الاقرار بأن أسرة المجيلوس تتشابه مع الأسرة الهرقلية، وكذلك الأسرة الابيسورية في التعامل مع الضغط العسكري للمسلمين في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين والسلالات العثمانيين وإذا كانت الأسرة الابيسورية نجحت في المواجهة إلا أن الأسترين الهرقلية وأسرة المجيلوس فشلتا . وإذا كانت الأستران الأولى والثانية نجحتا في المواجهة إلا أن الأخيرة أخفقت فكانت أحداث ١٤٥٣م.

كذلك لا ننكر : أن أسرة باليولوج انتضت خلالها تأزم العلاقة مع الغرب الأوربي على الرغم من التنازلات البيزنطية الغير مسبقة ، وبالتالي : يمكن القول أن ما حدث في عهد الأسرة العسورية من خلال قطيعة فوشبوس، وكذلك ما وقع في عهد الأسرة المقدونية من الإنتشقان الأعظم . انتضت آثاره السلبية على بيزنطة في عهد أسرة باليولوج التي كان من عوامل سقوطها : الصراع الطويل بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني .

ذلك عرض عن أسرة باليولونج آخر الأسرات البيزنطية الحاكمة

## الخاتمة

نتجت عن هذه الدراسة عدة نتائج مهمة يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: إن هناك إشكالية متعددة الأوجه في دراسة التاريخ البيزنطي، لعل من أبرز معالمها : الاتساع الزماني والمكاني الخاص بالإمبراطورية البيزنطية، ثم الدور الكاسح لمؤسس الأسرات البيزنطية الحاكمة مقارنة بالأدوار التاريخية الأخرى للأباطرة الثانويين ، وما أكثرهم ! . ثم هناك «كاريزما» البطل ودورها في معالجة المؤرخ للأحداث التاريخية، كذلك لا تغفل الطابع الرسمي للمصادر ، ثم زاوية الدعاية في النصوص المصدرة وانعكاسها على المعالجات الحديثة ، ولا تغفل مشكلة أساسية في صورة المركزية الأوربية التي كان لها تأثيرها الواضح في معالجة بعض المؤرخين العرب من تأثر بها بصورة أو بآخرى .

ولا تغفل : أنه في حالة إدراك المؤرخ لمظاهر تلك الاشكالية ، فبالثألي تتزايد مصاعب دراسة تاريخ تلك الامبراطورية ويتحول هو نفسه جزءاً منها

ثانياً : حاولت الدراسة تقديم تصور لأعمال عدد من الأباطرة البيزنطيين من عملت المركزية الأوربية على إبراز أدوارهم بنوع من الدعاية، ولكن من خلال استعراض تلك الأعمال التي قاموا بها : من الممكن التوصل إلى اكتشاف إيجابياتها وكذلك ما فيها من سلبيات تركت أحياناً أسراً الأثر على مسار التاريخ البيزنطي بوجه عام، ويبقى الأمر مجرد وجهات نظر، ولكل مؤرخ تصورات طالما أنها مدعومة بمنطق الأحداث التاريخية لا من خلال رؤية شيغونية أو من زاوية اعتساف الأحكام أو القربلة إلى نحو ذلك من التصورات التي تتعارض مع الموضوعية التاريخية الواجبة ومن الطبيعي أن تختلف التصورات والرؤى لأن ذلك يمثل طبيعة الدراسات التاريخية ذاتها

ثالثاً : أكدت الدراسة على فعالية العوامل الداخلية ودورها البارز في سقوط بيزنطة أول مرة عام ١٢٠٤م خلال أحداث ما عرف بالصلبية الرابعة، المرة الثانية : عندما سقطت إلى غير رجعة من خلال فعاليات الأتراك العثمانيين في عهد محمد الفاتح عام ١٤٥٣م ، وبالتالي كان السقوط من الداخل قبل الخارج، وتفاعلت العوامل الداخلية، والخارجية معاً : لتضع النهاية «الواقعية» لتاريخ بيزنطة أطول الإمبراطوريات عمراً في تاريخ العصور الوسطى قاطبة دون منازع ؛ وينبغي ألا تخدع بقسرة الاشارات المصدرة والمرجعية من فعاليات العامل الخارجي فقط بمعزل عن تأثير العوامل الداخلية .

رابعاً : انضج من خلال الصفحات السابقة ! الطابع البرجماني ، « والبيكيايلي » في التاريخ السباسي البيزنطي ، وبالتالي ، فإن حوادث الاغتتيال ، والحيانة والغدر تمثل جزءاً لا يتجزأ من ذلك التاريخ على نحو لا يستطيع المؤرخ الموضوعي تجنبه مهما كانت درجة تعاطفه مع أبطاله التاريخيين

ومن الممكن القول : أن بيزنطة الإمبراطورية بعد رحلة دامت أكثر من ١١ قرن من الزمان عجزت عن تقديم نموذج أخلاقي رفيع يتمثل في أحد أباطرتها الكبار إلا ما ندر ، وظل تاريخها تشويه الدساتس ، والمؤامرات على مستوى ما سعى بالنخبة العسكرية ، والسياسية على الأقل ، وبالتالي : فإن رؤية المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون Edward Gibbon حيالها التي أوردها في كتابه عن إضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية منذ زمن بعيد لم تنشأ من فراغ بل من خلال استقراء تاريخي يحمل جانباً من الواقعية ، دون أن تغفل ما كان لتلك الإمبراطورية - في المقابل - من جوانب حضارية مشرقة لا بد من الإشادة بها لأنها جزء من التراث الحضاري الانساني عموماً

خامساً : تأكد لنا من خلال العرض السابق : أن النطاق الزمني الطويل لبيزنطة على غير المألوف في أعمار القوى السباسبية في العصور الوسطى : لم يكن يرجع إلى قدرات بيزنطية ذاتية فقط بل إن القرنين الأخيرين من عمرها كانت تعيش خلالها مرحلة احتضار طويل الأجل ، وقد أثرت أحداث فعالة لدى أعداء بيزنطة في « تأخير » سقوطها ، خاصة أنها في مرحلتها الأخيرة لم تكن تمثل عنصراً فاعلاً بل كانت الإمبراطورية الصدى : أي تعبر عن ردود الأفعال على قوة العثمانيين التي تنبرص بها من خلال تناميها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، ناهيك عن الغرب المترص بها كنصب . ثم هناك الضعف البيزنطي بعد أن شاخت وهرمت ولم تعد تستطيع التفاعل بجدارة تاريخية مع تلك « القوة العثمانية الشابة » كانت تعرف هدفها بجلال ، وتسعى له بقوة ودائماً التاريخ للأقوى والأصلح .

سادساً : انضج لنا من خلال العرض السابق : أن التاريخ البيزنطي على الرغم من أن وقائعته ذات معالم واضحة من خلال معالجة المصادر التاريخية المختلفة إلا أن قراءته اختلفت من مدرسة تاريخية غربية إلى أخرى ، ويكفي أن نذكر : أن معالجة المؤرخين المحدثين الروس ، واليونانيين نظرت إلى ذلك التاريخ على اعتبار أنه جزء لا يتجزأ من التاريخ القومي الروسي ، واليوناني ، وإنعكس ذلك بالضرورة على معالجاتهم والمواقف الفكرية التي اتخذوها ،

ونجيبهم لأباطرة معيّنين، خدمة لأهداف تاريخهم القومي. وهكذا؛ يشأكد لنا أن هناك عدة أشكال مختلفة لقراءة وكتابة التاريخ البيزنطي في داخل المركزية الأوروبية الواحدة - وهو أمر غير موجود في المدرسة التاريخية العربية لإتعدام وجود مركزية بديلة أصلاً للأسف الشديد - وبالتالي؛ من الضرورة بمكان الحذر عند التعامل مع إسهامات أولئك المؤرخين الأوروبيين، وضرورة إدراك دوافعهم للكتابة التاريخية في المجال المذكور

سابعاً : ومن الجوانب المهمة التي حرصت الدراسة على إبرازها ؛ ضرورة إيجاد مركزية عربية إسلامية في مراجعة المركزية الأوروبية كنوع من التعبير عن الهوية . ولتجنب التبعيه الفكرية للغرب الأوربي، والأمريكي الذي يقدم لنا تصورات، وللأسف هناك من المؤرخين من يأخذها دون ملاحظة أن هناك دوافع لتصورات أولئك الباحثين الغربيين لاتنفصل عن تطور مراحل الكتابة التاريخية في أوطانهم ذاتها، كما أنها لاتنفصل عن النظرة الاستعمارية الغربية.

كذلك : لاتنفل أن مراجعة الاستشراق تكون من خلال « الاستغراب » - كما نادى بذلك المفكر المصري حسن حنفي فيدون ذلك ؛ بظل الأمر في صالح الطرف الآخر، وتكون الكتابة التاريخية العربية في المجال البيزنطي - كشال فقط- تعبر عن توجهات الغرب الأوربي أكثر من توجهاتنا العربية والإسلامية ذاتها !!! عما عبر عن أزمة هوية حقيقية !!!

ثامناً : على الرغم من الطابع الذكوري لمصادر التاريخ البيزنطي ذاتها، وكذلك مسار حكم أسرته بصفة عامة؛ إلا أنه من العسير كتابة معالمة دون المرأة التي كانت الأم والزوجة والابنة، والعشيقة ، وقد كان لها دورها في معترك السياسة . وكذلك الحياة العامة بكافة أشكالها وصورها، وينبغي هنا الإشادة بالدراسة الرائدة بالعربية لـ أ.د. علي المجنوري عن المرأة البيزنطية . وهي مؤرخة رائدة في التاريخ البيزنطي، كما تعد أول مؤرخة عربية حديثة للعروب الصليبية

ولاتنفل في هذا الشأن ؛ أن التعطش للسلطة الإمبراطورية المطلقة جعل أحياناً المرأة البيزنطية تدخل معترك المؤامرات لتصل إلى قمة عالم السياسة وكان ضحيتها الفضلة الرجل! ونصل إلى تصور واقعي، وهو أن التاريخ البيزنطي ذاته هو حصاد تاريخ كل البيزنطيين الرجال والنساء، دون التعصب لطرف عل حساب الآخر، على نحو يضر بالرؤية التاريخية الموضوعية.

تأسفاً على الرغم من القرون العديدة التي عاشتها تلك الإمبراطورية ، إلا أنها امتازت بوجود أيام محددة حساسة ومكتشفة تركز فيها تاريخها بصورة غير مسبقة ما بين لحظتى الميلاد والمات، ومن أمثلتها دون حصرها

- ١١ مايو ٣٣٠م الميلاد

- ١٦ أغسطس ١٠٧١م: معركة مانزكورت

- ١٣ أبريل ١٢٠٤م : الغزو اللاتينى.

- ١٥ أغسطس ١٢٦١م: استرداد البيزنطيين للقسطنطينية

- ٢٩ مايو ١٤٥٣ : المات.

ومن الملفت للانتباه : أن الأيام المذكورة كان نتاجاً لمرحلة زمنية سابقة عليها قد تطول لتصبح عدة قرون، وبالتالي فهي تعد بمثابة أيام الحصاد . المفترض أن شهر الصيف (أبريل، مايو ، أغسطس) كانت من أكثر شهور العام تأثيراً على مسار التاريخ البيزنطى . وأن «وقف الشتاء» أحياناً إلى جوار بيزنطة كما حدث بالنسبة لشتاء ٧١٧-٧١٨م أسلفت الإشارة من قبل فى عهد الاسرة الأيسورية

وفىما يتصل بفكرتى الميلاد والمات فى التاريخ البيزنطى؛ نلاحظ أن تلك الإمبراطورية - على نحو خاص- ظلت تكافح شبح الموت بكل وسيلة ممكنة سياسية وعسكرية وتنصيرية على الرغم من كثرة الاعناء من كافة الاتجاهات بصورة غير مسبقة . إلا أن الموت كان «ضرورياً» على المستوى التاريخى لوضع نهاية لاحتضار طويل بلا فعالية تاريخية حقيقية خاصة خلال المرحلة الأخيرة من تاريخها

ومن مفارقات التاريخ : أن مشهد لحظة الميلاد الامبراطور قسطنطين . ومن عاصر لحظة النهاية حمل نفس الاسم ولكنه قسطنطين الحادى عشر . كذلك فإن شهر الميلاد كان عبئه شهر المات وأعنى شهر مايو حيث ولدت فى ١١ مايو ٣٣٠م . وماتت فى ٢٩ مايو ١٤٥٣م . ولاتفعل أن البيزنطيين أنفسهم اعتقدوا فى نبوة تقول أن العدو الذى سيجهز على إمبراطوريتهم سيأتى من الشرق وهو ما حدث فعلاً !! ولاتفعل هنا تأثير الجانب الغيبى فى الشخصية البيزنطية بصفة عام

هكذا تاريخ بيزنطة، صراع بين الميلاد والمات ومفارقات تدعو للتأمل .

عاشراً : تأكد لنا من خلال الصفحات السابقة : أن طول عمر الامبراطورية البيزنطية ساهمت فيه إلى حد كبير عدة عوامل مشتركة مثل سياسات بعض الأباطرة الأقوياء . وكذلك كفاءة الجيش والأسطول البيزنطيين عندما كانا قادرين على صنع الانتصارات بركاً وبحراً . ثم الدبلوماسية والأخيرة ذات دور مزدوج التأثير فعندما كانت الإمبراطورية ذات القدرة على الفعالية التاريخية؛ كانت دبلوماسيتها تعبر بوجه عام عن تلك الفترة ، أما عندما كانت تمر بمرحلة ضعف لجأت إلى الدبلوماسية كحل مؤقت لكسب الوقت وتجنب فتح جبهات متعددة في وقت واحد

وبصفة عامة؛ من الممكن مقارنة القسطنطينية في مراحلها الأخيرة بفرنطة في الأندلس حيث لجأت العاصمتان إلى طرق بوابة الدبلوماسية رغبة في سلام شاحب حفر . وكان ذلك حلاً خادعاً لأنه كان يعنى تأخير المصير المحتوم الأخير . ويخلق حلماً جميلاً وودياً يستيقظ صاحبه على ضربات الموت !

من جهة أخرى : لا تغفل أن من أسلحة تلك الدبلوماسية تمثلت جزئياً في . التنصير حيث تمكن المنصورون البيزنطيون من تحقيق ما عجزت عن تحقيقه قدرات القادة العسكريين أحياناً ، ولاتنسى أن بيزنطة تمكنت من اجتياح روسيا كاملة بفضل ذلك السلاح الفعال . وإذا أضفنا إلى ذلك كله عنصر المصاهرات السياسية الذي أوجد واقعاً تحالفياً جديداً لصالح الإمبراطورية وكانت تدرك أهميته وفعاليته في تحقيق مصالحها العليا . وهكذا : تأكد لنا أن بيزنطة « حاربت » بالدبلوماسية كما حاربت بقواتها العسكرية والتقى الأسلابان معاً لينتم تدعيم الوجود التاريخي لتلك الإمبراطورية، ولاربط في أن تعاملها مع عدد كبير من القرى السياسية المعاصرة لها في الشرق والغرب : أدى إلى إثراء خبراتها الدبلوماسية بصورها المتعددة على نحو أفادها تماماً في التعامل مع تقلبات الظروف الدولية المعقدة التي واجهتها مع ملاحظة : أن تلك الدبلوماسية لم تكن لتمنع المصير النهائي المحتوم لبيزنطة .

حادى عشر : تأكد بالأدلة التاريخية الجلية: أن المسلمين كانوا عنصرًا فعالاً في صنع وقائع التاريخ البيزنطي على مدى تسعة قرون كاملة من جولة أحد عشر قرناً هي عمر ذلك التاريخ ، وهكذا : لا يمكن بأى حال من الأحوال كتابة معائه دون التعرض لفعاليات المسلمين الحربية والسياسية والمضاربة على مدى عهود الأسرات البيزنطية الحاكمة منذ عهد الأسرة الهرقلية حتى عهد أسرة باليولوج ، ومن الخطأ البين إبراز وجه العلاقات بين الطرفين على

الصعيد الحرشي فقط و اغفال الجوانب الأخرى التي عكست حضارة الاسلام في القرون الوسطى ،  
ولاتفعل أن إبراز الجانب الحرشي فقط في كتابات المؤرخين الغربيين يساعد على تكريس الطابع  
العدائي لحركة الجهاد الإسلامي وتصويرها على أنها للسلب والنهب ولم تكن مصاحبة بدور  
حضاري واضح المعالم

ومن الممكن التقرير بأن هناك ثلاثة من قادة المسلمين في العصور الوسطى ساهموا مساهمة  
عسكرية بارزة في إيصال بيزنطة إلى مشاها الأخير في صورة خالد بن الوليد عام ٦٣٦ م ،  
وألب أرسلان عام ١٠٧١ م ، ومحمد الفاتح العثماني عام ١٤٥٣ م ، ومن الخطأ البين تصور  
العام الأخير منفصلاً عن الرحلة الطويلة والشاقة التي قطعها المسلمون من القرن السابع وصولاً  
إلى القرن الخامس عشر الميلادي من أجل تحقيق الحلم الإسلامي الكبير بفتح القسطنطينية ،  
وهكذا ؛ فإن التركيز على المرحلة العثمانية على اعتبار أنها شهدت تحقيق ذلك الحلم بصورة  
نهائية قد يؤدي إلى عدم الموضوعية والنظرة الاعتمادية الجزئية . لأن المقدمات السابقة أكدت  
النتيجة الحتمية عام ١٤٥٣ م.

ولم يخفر الباحثون الغربيون للإسلام وأهله: ذلك الدور ، ومن ثم وجدنا التحامل من خلال  
دوافع استشراقية لاتخفى على أحد ويستثنى من ذلك قلة قليلة ، ونبرة نادرة من المستشرقين  
المنصفين .

وجدير بالملاحظة : أن التاريخ دوماً يكتبه الأقوياء . وفي الوضع الدولي الراهن ، ومن  
خلال وهم «الاسلاموفوبيا» الذي يسيطر على الذهنية الأوروبية والأمريكية ، من المفترض دونما  
مبالغة أن ذلك كله سينعكس بصورة أو بأخرى على مجالات الكتابة التاريخية عن العلاقات  
الأوروبية - الإسلامية في القرون الوسطى - والجانب البيزنطي أحد عناصرها . من أجل مواصلة  
إثارة المواجهات الماضية واشعار القارئ بأن الإسلام دائماً وأبداً دين العنف والدعوة!! وهو  
أمر مغلوط نظراً لكون الإسلام نفسه حضارة كما وصفه العلامة الراحل حين مؤنس .

إن الوضع السابق؛ يجعلنا في مفتقر الطرق ، وبدون التنبيه إلى ضرورة أن نكتب تاريخنا  
بأقلامنا ، ومن حصاد جهلنا القرمية ، والدينية سيظل « الآخرون » يكتبونه لنا وخطورة ذلك الآن  
أكبر على نحو ينعكس كله على تاريخنا الذي هو أفضل ما نملك ومن المؤكد أن العلاقات  
العربية البيزنطية ، ومرحلة الحروب الصليبية على نحو خاص سيتم التركيز عليها في الغرب  
تحقيقاً لتصورات وأهمة هي نتاج ما يوصف بأنه عصر العولمة ؛ والتي في حقيقتها اذابة  
الثقافات خدمة للغرب والغرب فقط!



وبعد : فمثلك أهم الملاحظات الختامية التى أمكن الخروج من الدراسة، وما زال التاريخ البيزنطى يحمل فى طياته الجذبد طالما أمكن التعامل معه من خلال رؤية تاريخية نقدية وأعبه لمشاكل دراسته ؛ وهى أساسية من الناحية المنهجية . والأمل معقود على غيرى من الباحثين الجادين من ذوى الخبرة من أجل تسليط الأضواء الكاشفة على تلك الحقبة المحيرة فى تاريخ العصور الوسطى.

ذلك عرض لأهم النتائج التى نتجت عن الدراسة .



## فهرس الملاحق

- ١- الأسرات البيزنطية الحاكمة (٣٣٠-١٤٥٣م)
- ٢- الخلفاء الفاطميون فى مصر (٩٧٢-١١٧١م)
- ٣- السلاطين العثمانيون (١٢٩٩-١٥٢٠م)
- ٤- الترتيب الزمنى لأهم أحداث التاريخ البيزنطى
- ٥- أبيات من القصيدة الأرمينية التى أرسلها  
الامبراطور نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسى  
المطيع لله متهدداً ومتوعداً
- ٦- المستعمرات البيزنطية التى خضعت للبندقية بعد  
عام ١٢٠٤م



## ملحق رقم (١)

## الأسرات البيزنطية الحاكمة

أسرة قسطنطين (٣٢٤ - ٣٧٨ م)

- قسطنطين Constantine (٣٢٧-٣٢٤ م)

- قسطنطين الثاني Constantine II (٣٢٧ - ٣٤٠ م)

- قنسطانز Constance (٣٢٧ - ٣٥٠ م)

- قسطنطيوس Costantius (٣٢٧-٣٦١ م)

- جوليان المرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣ م)

- جوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤ م)

- فالنز Valenz (٣٦٤-٣٧٨ م)

أسرة ثيودوسيوس (٣٧٩-٥١٨ م)

- ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩-٣٩٥ م)

- أركاديوس Arcadius (٣٩٥-٤٠٨ م)

- ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠ م)

- مارقيان Maracian (٤٥٠ - ٤٥٧ م)

- ليو الأول الكبير Leo I The Great (٤٥٧ - ٤٧٤ م)

- ليو الثاني Leo II (٤٧٤ م)

- زينون Zeno (٤٧٤ - ٤٩١ م)

- أناسناسيوس Anastasius (٤٩١ - ٥١٨ م)

أسرة جستنيان (٥١٨-٦١٠ م)

- جستن الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧ م)

- جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥ م)

- جستين الثاني Justin II (٥٦٥ - ٥٧٨ م)

- تيجيريوس الأول (Tiberius I ٥٧٨ - ٥٨٢ م)
- موريس (Maurice ٥٨٢ - ٦٠٢ م)
- فوكاس (Phocas ٦٠٢ - ٦١٠ م)
- أسرة هرقل (٦١٠ - ٧١٧ م)
- هرقل (Heraclius ٦١٠ - ٦٤١ م)
- قسطنطين الثالث (Constantine III ٦٤١ م)
- قنسطانز الثاني (Constance II ٦٤٢ - ٦٦٨ م)
- قسطنطين الرابع (Constantine IV ٦٦٨ - ٦٨٥ م)
- جستنيان الثاني (Justinian II ٦٨٥ - ٦٩٥ م)
- ليونتيوس (Leontius ٦٩٥ - ٦٩٨ م)
- تيجيريوس الثاني (Tiberius II ٦٩٨ - ٧٠٥ م)
- جستنيان الثاني (عودته) (Justinian II ٧٠٥ - ٧١١ م)
- فيليبيكوس (Philippicus ٧١١ - ٧١٣ م)
- اناستاس الثاني (Anastas II ٧١٣ - ٧١٥ م)
- ثيودوسيوس الثالث (Theodosius III ٧١٥ - ٧١٧ م)
- الأسرة الأيسورية (٧١٧ - ٨٢٠ م)
- ليو الثالث (Leo III ٧١٧ - ٧٤١ م)
- قسطنطين الخامس (Constantine V ٧٤١ - ٧٧٥ م)
- ليو الرابع (Leo IV ٧٧٥ - ٧٨٠ م)
- قسطنطين السادس (Constantine VI ٧٨٠ - ٧٩٧ م)
- إيرين (Irene ٧٩٧ - ٨٠٢ م)
- خلفاء الأيسوريين
- نقفور الأول (Nicephorus I ٨٠٢ - ٨١١ م)

- ستور اكيوس Stauracius (٨١١م)
- ميخائيل الأول وانجاب Michael I Ranagab (٨١١-٨١٣م)
- ليو الخامس الأرميني Leo V (٨١٣-٨٢٠م)
- الأسرة العمورية (٨٢٠-٨٦٧م)
- ميخائيل الثاني Michael II (٨٢٠-٨٢٩م)
- ثيوفيلوس Theophilus (٨٢٩-٨٤٢م)
- ميخائيل الثالث (الكبير) Michael III . The Drunkard (٨٤٢-٨٦٧م)
- الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٧م)
- باسل الأول Basil I (٨٦٧-٨٨٦م)
- ليو السادس (الحكيم) Leo VI The Philosoph (٨٨٦-٩١٢م)
- الكسندر Alexander (٩١٢-٩١٣م)
- قسطنطين السابع بروفيروجنيئس Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩م)
- شاركة في الحكم رومانوس الأول Ramanus I Lecapcus (٩١٩-٩٤٤م)
- رومانوس الثاني Romanus II (٩٥٩-٩٦٣م)
- نقفور فوكاس Nicophorus Phocas (٩٦٣-٩٦٩م)
- يوحنا الأول تزيمسكس John I Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦م)
- باسل الثاني (سفاح البلغار) Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦-١٠٢٥م)
- قسطنطين الثامن Constantine VIII (١٠٢٥-١٠٢٨م)
- زري Ziri (١٠٢٨-١٠٥٠م)
- شاركتها في الحكم أزواجها
- رومانوس الثالث Romanus III (١٠٢٨-١٠٣٤م)
- ميخائيل الرابع Michael IV (١٠٣٤-١٠٤١م)
- ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢م)

- قسطنطين التاسع (مروماخوس) Constantine IX (١٠٤٢ - ١٠٥٤م)
- ثيودورا (عزدها) Theodora (١٠٥٤ - ١٠٥٦م)
- ميخائيل السادس Michael VI (١٠٥٦ - ١٠٥٧م)
- أسرتى دوкас وكومنين (١٠٥٧-١١٨٥م)
- إسحق الأول كومنين Issac I Comnenus (١٠٥٧ - ١٠٥٩م)
- قسطنطين العاشر (دوكاس) Constantine X Ducas (١٠٥٩ - ١٠٦٧م)
- رومانوس الرابع (ديرجينيس) Romanus IV Diogenes (١٠٦٧ - ١٠٧١م)
- ميخائيل السابع (دوكاس) Michael VII Ducas (١٠٧١ - ١٠٧٨م)
- نقفور الثالث (بوتانياس) Nicephorus III Botaniates (١٠٧٨ - ١٠٨١م)
- الكيسوس الأول (كومنين) Alexius I (١٠٨١-١١١٨م)
- يوحنا الثاني (كومنين) Johan II (Comnenus) (١١١٨-١١٤٣م)
- مانويل الأول (كومنين) Manuel II Comnenus (١١٤٣ - ١١٨٠م)
- الكيسوس الثاني (كومنين) Alexius II Comnenus (١١٨٠ - ١١٨٣م)
- أندرونيكوس الأول (كومنين) Andronicus I Comnenus (١١٨٣ - ١١٨٥م)
- أسرة أنجيلوس (١١٨٥ - ١٢٠٤م)
- إسحق الثاني Issac II Angelus (١١٨٥-١١٩٥م)
- الكيسوس الثالث أنجيلوس Alexius III Angelus (١١٩٥-١٢٠٣م)
- إسحق الثاني Issac II (١٢٠٣-١٢٠٤م)
- الكيسوس الرابع Alexius IV Angelus (١٢٠٤م)
- الكيسوس الخامس Alexius V Angelus (١٢٠٤م)
- الأباطرة اللاتين فى القسطنطينية (١٢٠٤ - ١٢٦١م)
- برلدين الأول أمير فلاندرز Baldwin I of Flanders (١٢٠٤-١٢٠٥م)
- هنرى أمير الفلاندرز Henry of Flanders (١٢٠٥ - ١٢١٦م)
- بطرس كورتناوى Peter of Courtenay (١٢١٧م)



- يولاندا (Yolande) (١٢١٧-١٢١٩م)
- روبرت الثاني (كورتناي) (Rober II de Courrenny) (١٢٢١-١٢٢٨م)
- بلدين الثاني (Baldwin II) (١٢٢٨-١٢٦١م)
- تحت وصاية حنا دي برين ثم منفرداً من (١٢٤٠-١٢٦١م)
- أباطرة ثيقيّة البيزنطيين (١٢٠٤-١٢٦١م)**
- ثيودور الأول لاسكاريس (Theodore I Lascaris) (١٢٠٤-١٢٢٢م)
- برحنا الثالث لاسكاريس (John III Vanatzes) (١٢٢٢-١٢٥٤م)
- ثيودور الثاني لاسكاريس (Theodore I Lascaris) (١٢٥٤-١٢٥٨م)
- برحنا الرابع لاسكاريس (John III Vanatzes Vanatzes) (١٢٥٨-١٢٥٩م)
- ميخائيل الثامن باليولوج (Michael VIII Paleologus) (١٢٥٩-١٢٦١م)
- أسرة باليولوج (١٢٦١-١٤٥٣م)**
- ميخائيل الثامن (Michael VIII Paleologus) (١٢٦١-١٢٨٢م)
- أندرونيكوس الثاني (Andronicus II) (١٢٨٢-١٣٢٨م)
- أندرونيكوس الثالث (Andronicus III) (١٣٢٨-١٣٤١م)
- برحنا الخامس (John V) (١٣٤١-١٣٩١م)
- يوحنا السادس كنتاكرزين (John VI Cantacuzene) (١٣٤٧-١٣٥٤م)
- أندرونيكوس الرابع (Andronicus IV) (١٣٧٦-١٣٧٩م)
- يوحنا السابع (John VII) (١٣٩٠م)
- مانويل الثاني (Manuel II) (١٣٩١-١٤٢٥م)
- يوحنا الثامن (John VIII) (١٤٢٥-١٤٤٨م)
- قسطنطين الحادي عشر (Constantina XI) (١٤٤٩-١٤٥٣م)<sup>(١)</sup>.

---

١- عن ذلك أنظر

Osirogorsky , History of the Byzane State, p. 516 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 725-726 .

عمر كمال ترفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٤٧ - ٢٥٢

## التعليق

عند إمعان النظر فى قوائم الأباطرة البيزنطيين يمكن الخروج بعدة دلالات تبرز فى الآتى:

١- من بين عشرات الأباطرة الذين حكموا من عام ٣٣٠ إلى ١٤٥٣م، مع استثناء المرحلة الواقعة بين عامى ١٢٠٤-١٢٦١م على اعتبار أنها تمثل احتلالاً لاتينياً، نلاحظ أن أبرز الأباطرة البيزنطيين من خلال أعمالهم السياسية أو الحربية أو العمرانية أو القانونية هم

١- قسطنطين الأول ٣٢٤-٣٣٧م

٢- ثيودوسيوس الأول ٣٧٩-٣٩٥م

٣- جستنيان ٥٢٧-٥٦٥م

٤- هرقل ٦١٠-٦٤١م

٥- ليو الثالث الأيسورى ٧١٧-٧٤١م

٦- ميخائيل الثانى العمورى ٨٢٠-٨٢٩م

٧- باسل الثانى ٩٧٦-١٠٢٥م

٨- الكسبوس كومنين ٨٩١-١١١٨م

٩- ميخائيل الثامن ١٢٦١-١٢٨٢م

من الملاحظ، أن الصفة الغالبة على أولئك الأباطرة أنهم من مؤسسى الأسرات البيزنطية الحاكمة، وينطبق ذلك؛ على الأباطرة أرقام (١)، (٢)، (٤)، (٥)، (٦)، (٨)، (٩)، أما الاستثناء، فيرتبط برقمى (٣)، (٧)

٢- فى حالة جمع مدد الأعوام التى حكمها أولئك الأباطرة نجد أنها حوالى (٢٦٦) عاماً، ونستطيع القول؛ أنها الأعوام الأكثر فعالية فى التاريخ البيزنطى، وقد أثرت فى كافة القرون التالية، ومن الممكن القول أن مدة استمرارية التاريخ المذكور والتى بلغت (١١٢٣) عاماً؛ أى أحد عشر قرناً وقرابة ربع القرن، لم تكن فيها فعالية تاريخية حقيقية مؤثرة داخلياً وخارجياً إلا فى ٢٦٦ عاماً مع عدم اغفال بعض الاستثناء، أحياناً بالطبع، أما الأعوام الأخرى؛ فقد تولى أمرها أباطرة ثانويون، ومرة أخرى - لمراجعة جلد مشرق فى هذه الناحية على نحو خاص- فإن الامبراطور الثانوى فى تصورى هو ظل لأباطرة فاعلين سابقين، أو الامبراطور المهزوم عسكرياً وسياسياً أو الذى أثبتت وفائعه التاريخ البيزنطى قصر نظره أو حدوث عراقب

وخيمة لسياسته في المرحلة التالية لوفاته ، ولذلك : تم إعتبار الامبراطور مانويل كومنين ١١٤٣ - ١١٨٠ م من أولئك الأباطرة <sup>(١)</sup>.

٣- ليس معنى وجود أباطرة ثانويين ، أنهم بلا قيمة للتاريخ البيزنطي ، إذ أنهم كانوا جسوراً عبر عليها الأباطرة النشيطون في ذلك التاريخ ، ويعتبرهم ما كان لنا أن ندرك حجج فعاليات المؤثرين في ذلك التاريخ ، ويعتبرهم ما كان لنا أن ندرك حجم فعاليات الأباطرة السالفي الذكر سواءً المؤسسين للأسرات الحاكمة أو غيرهم من خلال المقارنة التاريخية الموضوعية التي وحدها من شأنها الاقتراب - قدر مكان - من الحقيقة .

٤- إن دلالة القول بأن (٢٦٦) عاماً هي تركيز لفعاليات بيزنطة تاريخياً من بين (١١٢٣) عاماً يدل دلالة وضاحة على أن العمر الطويل لتلك الامبراطورية لم يكن كله وجود بيزنطي فاعل في التاريخ ب؛ لكان أشبه ببيات شتوي طويل الأمد ، ومن بين ما زاد على أحد عشر قرناً من الوجود الزمني ، هناك فقط قرنان وقرابة ثلاثة أرباع قرن فقط من الهيرمية التاريخية ، ومن الخطأ البين تصور أن البقاء في التاريخ بقاء زمني بل البقاء ، يعني الدور التاريخي ، وهو ما لا يجده بجلاء إلا لدى قلة من الأباطرة من بين عشرات آخرين كما اتضح من العرض السابق

وقد يتساءل البعض : ما تحليل تلك الاستمرارية إذ أن بيزنطة عُدت إمبراطورية معمرة في عالم العصور الوسطى ؟ والإجابة ليست عسيرة المثال : إذ أن عبقرية المكان وأعنى به القسطنطينية : كان بمثابة العامل الرئيسي وراء ذلك الوضع دون إغفال تأثير العوامل الأخرى ، مجتمعه ، ولاتفعل : أن الأعوام الـ (٢٦٦) كانت بمثابة مقويات فعالة للتأثير في الجسد الامبراطوري <sup>(٢)</sup> على نحو ضمن لبيزنطة الاستمرار يمثل تلك الصورة ، ولانذكر أن الغلاتات

١- أرد الإشارة هنا إلى أن تأليف دراسات متخصصة عن مانويل كومنين مثل دراسة ماجد ولينر التي أشادت بها من قبل ، وغيرها لا يخفى أنه من الأباطرة الرئيسيين الكبار في التاريخ البيزنطي ، بل أن الأمر مرتبط بالجدل الذي ثار بين المؤرخين حول جدوى سياساته ومسئوليته عن الأحداث التالية لده حكمه وبالتالي يتبنى عدداً من الخطأ بين الدور التاريخي الفعلي ، والجدل الذي ارتبط بالامبراطور ما من الأباطرة البيزنطيين.

٢- ولا أدل على ذلك من أن أ. د. إسحق عبيد قرر عن الامبراطور ميخائيل باليولوجوس ما نصه

الحادة التي كانت تقع في صفوف أعدائها ساعدت على إطالة عمرها ، وقد كان هناك أعداد على جانب كبير من الخطورة في صورة الروس ، والمدن التجارية الإيطالية وعلى نحو خاص البندقية والمسلمين ، والعدو الأول وجدت السبيل لاختراقه من خلال التنصير والثاني وقف وراء كارثة ١٢٠٤م ، بالنسبة للمسلمين فقد امتلكوا القنطرة على وضع سطور النهاية في المسرحية البيزنطية البالغة الطول التي جلبت الملل على مشاهديها خاصة في مشاهدتها المتأخرة المتهاوية .

وهكذا : يمكن القول أن ما زاد على ثمانية قرون ونصف وبالتحديد حوالي (٨٥٧) عاماً كانت بيزنطة فيها تسير في تاريخ غطي وتقليدي توقفه بين الحين والآخر مزاهرة هنا وهناك تصل بأحد السياسيين والقادة العسكريين إلى السلطة التي كان لها يرتقها الأخاذ في ذلك العصر

٥- وقد يختلف الباحثون فيما بينهم حول من هو أكثر الأباطرة الصالفي الذكر فعالية وحسناً في التاريخ البيزنطي ، ومنطقي أن يتحس كل باحث لمن درس من الأباطرة ، وأن يركز الاختيار في أعمال الامبراطور مريض الاختبار ، ومع ذلك : فهناك شخصيتان بارزتان من داخل وخارج بيزنطة كان لها دورها الفعال في تاريخها في صورة قسطنطين الأول المؤسس البارز ومفتتح القسطنطينية ، أما من الخارج فهناك محمد الفاتح العثماني ، الذي لم يقهره المسلمون كما يجب ، وراح ضحية المركزية الأوروبية المتعصبة ، مع ملاحظة ، أنه وضع نهاية لكيان متحدر بضعفه الداخلي ، وتعاونت عوامل الداخل والخارج لتصنع إنجاز عام ١٤٥٣م التاريخي ومن الملفت للانتباه : أن عامي ٣٢٠م ، ١٤٥٣م يعدان أكثر الأعوام فعالية في التاريخ البيزنطي وكفى للدلالة على ذلك إرتباطه بالمئات بعد قرون الاحتضار .

يبقى أن أشير إلى أن كل مؤرخ له اجتهاداته وتصورات وإمكانياته ووجود تصورات مغايرة أمر وارد ومتوقع تماماً

٦- من بين عشرات الأباطرة الذين أشار إليهم الملحق المذكور : لا يظهر دور سياسي لحواء البيزنطية سري في حالات قليلة ، مثل ثيودورا Theodora زوجة جستنيان ، وإيريني Irene

---

= « لقد حقن بالبولوغوس بيزنطة بجرعة من الدم الجديد مدت من عمرها مائتي عاماً تقريباً » انظر : وسحق عبده . الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م ، منشورات جامعة بنى غازى ط . بهروت ب-ت ص ١٢

(٧٩٧-٨٠٢م) من الأسرة الأيسورية ، وزوي Zoe (١٠٢٨-١٠٥٠م) من الأسرة المقدونية التي حكمت بمعاونة أزواجها . وهي سنوات قليلة بين أكثر من (١١) قرناً من عمر الزمان . وذلك كله بعكس - بلاريب - الطابع الذكوري للتاريخ البيزنطي ، ولانفضل أيضاً ؛ أن المؤرخين كانوا من الرجال باستثناء حالة واحدة نادرة في صورة الأميرة أناكومينا . ومع ذلك ، من الممكن الإقرار بأن النساء في أحيان متعددة ؛ حكمن من وراء الستار ، وكان لهن دورهن في توجيه دفة السياسة خدمة لمصالحهن الخاصة بغض النظر - أحياناً - عن الصالح البيزنطي العام .

٧- على الرغم من تعدد أولئك الأباطرة البيزنطيين؛ إلا أن هناك عنصراً مشتركاً في الكثير منهم إذا عدواً كبيراً منهم وصل إلى العرش من خلال مؤامرة أو تم التخلص منه من خلال أخرى . والمتأمررون في الغالب من رجال الجيش أو الأسطول والتادر من رجال الادارة . وهناك عدة أمثلة على الأباطرة الذين تم قتلهم غيلة، ومن أمثلتهم: موريس (٥٨٢-٦٠٢م) وفوكاس (٦٠٢-٦١٠م) . وجستيان الثاني (٦٨٥-٦٩٥م) . (٧٠٥-٧١١م) . وتيبيريوس الثاني (٧٩٨-٧٥٥م) . وميخائيل الثالث الكبير (٨٤٢-٨٦٧م) . ونقفور فوكاس (٩٦٣-٩٦٩م) ويوحنا تزيكس (٩٦٩-٩٧٦م) . والكيسوس الثاني كومنين (١١٨٠-١١٨٣م) ، وأندرونيكوس الأول كومنين (١١٨٣-١١٨٥م) ، والكيسوس الرابع أنجيلوس (١٢٠٣-١٢٠٤م)

ولانفضل ؛ أن القتل كان مصيراً لعدد من الأباطرة في ساحات المعارك التي هزموا فيها مثل فالنز (٣٦٤-٣٧٨م) الذي هزم في معركة أدونة عام ٣٧٨م ضد القوط الشرقيين ، ونقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) الذي هزم في معركة ضد البلفار عام ٨١١م ، ورومانوس الرابع ، يوجنيوس (١٠٦٧-١١٧١م) وهزم هو الآخر في معركة مانزكرت ضد السلاجقة عام ١٠٧١م وأخيراً قسطنطين الحادي عشر باليولوج (١٤٤٩-١٤٥٣م) وهو صاحب الهزيمة الأخيرة في مواجهة الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م . مما دل على تعدد القتل من الأباطرة البيزنطيين .

٨- هناك عدد من الأباطرة البيزنطيين أنهروا حباتهم السياسية بالجور إلى الأديرة والابتعزال عن المجتمع وجاء ذلك بعد عزلهم عن السلطة والصدمة النفسية عقب الإخفاق السياسي، ومن أمثلتهم : أناستاسيوس الثاني (٧١٣-٧١٥م) وثيودوسيوس الثالث (٧١٥-٧١٧م) ورومانوس الأول ليكابينوس (٩٢٠-٩٤٤م) واسحق الأول كومنين

١٠٥٧-١٠٥٩م) والكيسيرس الثالث أنجيلوس (١١٩٥-١٢٠٣م) ، وأندرونيكوس الثانى باليرلوج (١٢٨٢-١٣٢٨م)

٩- لا تغفل زاوية لها أهميتها وهى تتمثل بالناحية النفسية والعقلية لدى عدد من الأباطرة البيزنطيين ومن المؤكد أنها أثرت بصورة أو بأخرى على قراراتهم السياسية ومن أمثلة ذلك أن الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) بعد وفاة زوجته ثيودورا صار رجلاً يفضل الوحدة ، والعزلة واعتقد القدرة على الابتكار - كما لاحظ دونالد نيكول - ومن المفترض أصابته بإكتئاب نفسى كما أن باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) بعد وفاة ابنه الأكبر قسطنطين عام ٨٧٩ يقال ذلك أثر سلبياً على نفسيته وعلى فواء العقلية على مدى الثمانى سنوات الأخيرة من حكمه ، كما تكرر ذات الأمر على باسل الثانى (٩٧٩-١٠٢٥م) الذى تعرف أن حالات من الاكتئاب أصيب بها والواقع أن التفسير النفسى للتاريخ لا يلقى التقدير على الرغم من أهميته ، مع عدم اغفال أن نقص الاشارات المصدرة ومن بعدها المرجعية لا تجعل الباحث يتعمق فى تلك الزاوية .

١٠- هناك عدد من الأباطرة تم الانتقام منهم ببشاعة من خلال تسميل أعينهم. ومن أمثلتهم: غليجكوس، بردانس (٧١١-٧١٣م) وقسطنطين السادس (٧٨٠-٧٩٧م) وميخائيل الخامس كالافانس (١٠٤١-١٠٤٢م) ، ورومانوس الرابع ديوجينيس (١٠٦٨-١٠٧١م)

وقد حدث ذلك كعقاب من جانب خصومهم السياسيين ، أما أشهر حادثة لتسميل العيون فى التاريخ لبيزنطى فهو تلك التى قام بها باسل الثانى ضد البلفار التى أسلفت الإشارة إليها من قبل . ولارب فى أن ذلك يعكس لنا أن هناك طابعاً «ساذماً» على المستوى الفردى أو الجماعى فى ذلك التاريخ لا يمكن إنكاره أو تبريره من خلال تصورات العصر . ومثل تلك المزامرات التى استهدفت اغتيال عدد من الأباطرة ، وكذلك عمليات التسميل هى التى دفعت إدوارد جيبون Edward Gibbon لتبني تصورات السالفة الذكر فى الأخرى مع تحفظنا لمازق التصميم الذى يفرض تصور مسبق انتقائى دون إدراك كافة الجوانب الأخرى لاسيما الحضارية المتصلة بتاريخ بيزنطة .

## ملحق ( ٢ )

الخلفاء الفاطميون فى مصر<sup>(١)</sup>

- العزيز لدين الله ٩٥٢-٩٧٥م
- العزيز بالله ٩٧٥-٩٩٦م
- الحاكم بأمر الله ٩٩٦-١٠٢١م
- الظاهر لإعزاز دين الله ١٠٢١-١٠٣٦م
- المستنصر بالله ١٠٣٦-١٠٩٤م
- المستعلى بالله ١٠٩٤-١١٠١م
- الأمر بأحكام الله ١١٠١-١١٣٢م
- المحافظ لدين الله ١١٣٢-١١٤٩م
- الظاهر لدين الله ١١٤٩-١١٥٤م
- الفائز بنصر الله ١١٥٤-١١٦٠م
- العاضد لدين الله ١١٦٠-١١٧١م

---

١- مابيه محسود، دأرد ، السكوكات الفاطمية بجمهورية متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، دراسة أثرية

وقنية، ط. القاهرة ١٩٩١م، ص ١٣

ملحق رقم (٣)  
السلطان العثمانيون  
(من ١٢٩٩ إلى ١٥٢٠م)

- عثمان الأول بن أرطغرل ١٢٩٩-١٣٢٦م
- أورخان بن عثمان ١٣٢٦-١٣٦٠م
- مراد الأول بن عثمان ١٣٦٠-١٣٨٩م
- بايزيد الأول بن مراد الأول ١٣٨٩-١٤٠٣م
- محمد بايزيد الأول ١٤١٣-١٤٢١م
- مراد الثاني بن محمد الأول ١٤٢١-١٤٥١م
- محمد الثاني (الفاتح) ١٤٥١-١٤٨١م
- بايزيد الثاني بن محمد الثاني ١٤٩١-١٥١٢م
- سليم الأول بن بايزيد الثاني ١٥١٢-١٥٢٠م

التعليق

الأمر المؤكد : أن السلطان محمد الثاني ١٤٥١-١٤٨١م، الملقب بالفاتح بعد أكبر سلاطين العثمانيين تأثيراً في التاريخ البيزنطي، إذ وضع له النهاية التي تأخرت كثيراً وملاحظ أن قيامه بهجامة القسطنطينية بعد عامين فقط من توليه السلطنة يؤكد بما لا يدع مجالاً لارتياب مرتاب ، أن إسقاط العاصمة البيزنطية كان هدفاً استراتيجياً للسلاطين العثمانيين وصا دور محمد الفاتح إلا تكلمة لأدوارهم في جهادها، ثم أنه يعكس لنا حرصه الشديد على أن يدخل بوابة التاريخ «مبكراً» من خلال ذلك العمل الفذ الذي فصلت أمره فيما سبق من عرض تاريخي؛ وذلك دونما قولته أو اعتصاف في الأحكام.

من المهم ملاحظة : أن السلاطين الذين سبقوا محمد الثاني وهم ستة من كبار الحكام العثمانيين ، مهدوا لذلك السلطان بتحقيق إنتصاره التاريخي الذي قلب الموازين الدولية بصورة غير مسبقة في العلاقات بين عالمي الإسلام والمسيحية في أواخر العصور الوسطى ومطلع الحديثة .



## ملحق رقم (٤)

## الترتيب الزمني لأهم أحداث التاريخ البيزنطي

- ١١ مايو ٣٣٠م. إفتتاح القسطنطينية;  
 ٩ أغسطس ٣٧٨م معركة أدرنة وهزيمة القوط الشرقيين لغالترز  
 ٣٨١م مجمع القسطنطينية.  
 ٤٣٨م إصدار مجموعة ثيودوسيوس القانونية.  
 ٤٥١م مجمع خلقدونية الكنسي الرابع.  
 ٤ سبتمبر ٤٧٦م سقوط الإمبراطور رومولوس أوجستولوس آخر إمبراطور روماني في الغرب.  
 ١ أغسطس ٥٢٧م جستنيان يتولى العرش.  
 ١١-١٩ يناير ٥٣٢م ثورة النصر Nika .  
 ٢٧ ديسمبر ٥٣٧م إفتتاح كنيسة أيا صوفيا.  
 ٥٤١-٥٤٤م وباء الطاعون يجتاح القسطنطينية  
 ٢٨ يونيو ٥٤٨م وفاة ثيودورا زوجة جستنيان  
 ١٤ نوفمبر ٥٦٥م وفاة جستنيان  
 ٦١٥م غزو الفرس لحصر .  
 ٦٢٧- هرقل يلحق الهزيمة بالفرس.  
 ٣٠ أغسطس ٥٧٠م ميلاد محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام .  
 ١٨ يوليو ٦٢٢م الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة  
 ٦٢٩م معركة مؤتة بين المسلمين والبيزنطيين.  
 ٢٢ أغسطس ٦٣٦م. معركة اليرموك وانتصار المسلمين بقيادة خالد بن الوليد على جيش الامبراطور هرقل .  
 ٦٣٧م الخليفة عمر بن الخطاب يدخل بيت المقدس  
 ١١ فبراير ٦٤١م وفاة الإمبراطور هرقل

٦٤٢ م فتح العرب لمصر

٦٤٩ م المسلمون يفتحون قبرص Cyprus

٦٥٤ م المسلمون يفتحون رودس Rhodes

٦٥٥ م معركة ذات الصراري وانتصار المسلمين على البيزنطيين.

٦٦٩ م المسلمون في عهد معاوية بن أبي سفيان يحاصرون القسطنطينية دون جدوى.

٧١٧-٧١٨ م المسلمون في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك يحاصرون القسطنطينية خلال حكم الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري.

١٨ يونيو ٧٤١ م وفاة ليو الثالث الأيسوري.

٧٥٤ م عقد مجمع كنسي في مدينة هيرا على خليج البسفور في عهد قسطنطين الخامس.

٨ سبتمبر ٧٨٠ م وفاة ليو الحزري.

٢٥ ديسمبر ٨٠٠ م شارلمان يخرج من جانب البابا ليو الثالث في كنيسة القديس بطرس في روما

٢٥ ديسمبر ٨٢٠ م وفاة ليو الخامس الأرمني

٨٦٧ م قطيعة فوشيرس بين كنيسة القسطنطينية وروما.

٨٧٠ م المسلمون يفتحون جزيرة مالطة Malta

١١ مايو ٩١٢ م وفاة ليو السادس.

٩٠٤ م المسلمون يفتحون سالونيك Thessalonica

٩٨٦ م هزيمة الإمبراطور باسل الثاني من جانب البلغار بقيادة زعيمهم صموئيل في معركة  
Tragan

١٠١٤ م الإمبراطور باسل الثاني يحقق انتصاراً على البلغار في معركة مر كيبالونجو  
Kembalongo.

١٠١٩-١٠١٩ م إخضاع بلغاريا وضعا في عهد باسل الثاني.

١٠٤٥ م إعادة تنظيم جامعة القسطنطينية في عهد قسطنطين التاسع.

١٠٥٤ م الإنشقاق الأعظم بين كنيسة القسطنطينية وروما

- ١٦ أغسطس ١٠٧١م هزيمة بيزنطة في مانزكرت على أيدي السلاجقة .
- ١٠٨٠م الكسيوس كومنين يتولى العرش البيزنطي.
- ١٠٨٢م الكسيوس كومنين يقدم امتيازات للبنادقة.
- ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م البابا أوربان الثاني (١٠٨٩-١٠٩٩م) يدعو للحروب الصليبية في كليرمونت .
- ١٠٩٧م عقد اتفاقية القسطنطينية بين الامبراطور الكسيوس كومنين وأمرأه الحملة الصليبية الأولى.
- ١١٠٨م عقد معاهدة بين الامبراطور الكسيوس كومنين وبوهيمند
- ١١١٨م وفاة الكسيوس كومنين وتولى حنا كومنين .
- ٨ أبريل ١١٤٣م وفاة حنا كومنين
- ١١٤٧-١١٤٩م الحملة الصليبية الثانية.
- ١٧ سبتمبر ١١٧٦م معركة مرياكفالون وهزيمة مانويل كومنين
- ٢٤ سبتمبر ١١٨٠م وفاة مانويل كومنين .
- ١١٨٢م ملهجة اللاتين في القسطنطينية .
- ١١٨٥م النورمان يستولون وينهبون سالونيك
- ٤ يوليو ١١٨٧م - ٢ أكتوبر ١١٨٧م معركة حطين وسقوط مملكة بيت المقدس الصليبية
- ١٣ أبريل ١٢٠٤م سقوط القسطنطينية في أيدي اللاتين في الحملة الرابعة
- ١٥ أغسطس ١٢٦١م البيزنطيون يستردون القسطنطينية .
- ١٢٦٦-١٢٨٢م محاولات شارل الأعرجي الاستيلاء على القسطنطينية
- ١٢٧٤م انعقاد مجمع ليون
- ١٣٠٨م العثمانيون يستولون على المرسس Ephesus .
- ١٣٢١-١٣٢٨م الحرب الأهلية بين أندرونيكوس الثاني وأندرونيكوس الثالث
- ١٣٢٦م العثمانيون يستولون على بورصة
- ١٣٣١م العثمانيون يستولون على نيقية .

- ١٣٤١-١٣٤٧م الحرب الأهلية بين يوحنا الخامس ويوحنا كنتاكوزين
- ١٣٤٧م الفناء الكبير The Black Death
- ١٣٥٤م العثمانيون يستولون على جالينبولي Gallipoli .
- ١٣٦٥م العثمانيون يؤسسون عاصمتهم في أدرينابول Adrianople .
- ١٣٧٦-١٣٧٩م الحرب الأهلية بين البيزنطيين .
- ١٣٨٧م العثمانيون يستولون على سالونيك .
- ١٣٨٩م معركة كوسوفو
- ١٣٩٣م العثمانيون يستولون على تساليه Thessaly
- ١٤٠٢م معركة أنقره وهزيمة العثمانيين على أيدي التتار بقيادة تيمور لنگ
- ١٤٠٣-١٤١٣م الحرب الأهلية بين أبناء السلطان يزيد على السلطة.
- ١٤٢٣-١٤٣٠م الحرب العثمانية البندقية على سالونيك .
- ١٤٢٥م العثمانيون يستولون على أزمير Izmir
- ١٤٣٩م العثمانيون يستولون على غربي الأناضول
- ١٠ نوفمبر ١٤٤٤م صليبية نافار Navarre وفشلها
- ٢٩ مايو ١٤٥٣م الفتح العثماني للقسطنطينية بقيادة محمد الثاني بن مراد الثاني ومقتل قسطنطين الحادي عشر.
- ١٤٦٠م سقوط ميسترا Mistra
- ١٤٦١م سقوط طرابزون Trebizond

---

١- اعتمدت في إعداد الترتيب الزمني المذكور على: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ت. حسن جيسى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٨٩-٢٨٤

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص ٢٥٣-٢٦٤

Browning, The Byzantine Empire, Washington 1997, pp. 295-296 .

## ملحق ( ٥ )

أبيات من القصيدة الأرمينية التي أرسلها  
نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسي المطيع  
لله (٩٤٦ - ٩٧٤م) متهدداً ومتوعداً

من الملك الظاهر الميحي مالك      إلى خلف الأملاك من آل هاشم  
إلى الملك الفضل المطيع أخى الملا      ومن يرجئ للمعضلات العظام  
أما سمعت أذنك ما أنا صانع      ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم  
فإن تك عما تقلدت نائمًا      فبأنى عما همنى غير نائم  
ثغورك لم يبق نسبها لوهنكم      وضعفكم إلا رسوم المعالم  
فتحتا الثغور الأرمينية كلها      بفتيان صدق كالليوث الضراغم  
ويقول أيضًا

أسير بجندى نحو بصرتها التي      لها بحر عجاج رابع متلازم  
إلى واسط وسط العراق وكوفة      كما كان يومًا جندنا ذو العزائم  
وأخرج منها نحو مكة سرعنا      أهر جيوشًا كاللبالى السواجم  
فأملكها دهرًا عزيزًا مملنا      أقسم بها للحق كرسى عالم  
واحوى لجدنا كلها وتهامها      وسط واتهام مذبح ومخاصم  
وأغزو يانا كلها وزبيدها      وصنعاها مع صعدة والتهائم  
فأتركها أيضًا خرابًا بلائعًا      خلاه من الأهلين أهل مغانم  
وأحرى أموال البانبة كلها      وما جمع القرماط يوم محارم  
أعود إلى القدس "تى شرقت بها      بهز مكين ثابت الأصل قائم  
وأعلم سريرى للعبود معظما      وتبقى ملوك الأرض مثل خرازم  
هتالك تخلص الأرض من كل مسلم      لكل نقي الدين أغلف زاعم

## التعليق

من الجلى البين من خلال مطالعة تلك الأبيات الشعرية عدة دلالات :

أولاً : تخير ذلك الامبراطور البيزنطى استخدام الشعر: من أجل إرسال رسالة تهدد ووعيد للخليفة العباسى المطيع وهو أمر يعكس تفضيله الشعر على النشر لتحقيق ذلك الهدف. كذلك تدرك أن ورودها فى عدد من المصادر العربية يدل على انتشارها ومن المحتمل أن أبياتها ذاعت وانتشرت بحكم كون الشعر أيسر فى الحفظ من النشر بصفة عامة

ثانياً : لاتفغل : أن ورود عدة مدن عربية إسلامية مثل بغداد ، والبصرة ، وواسط ، ومكة فى القصيدة المذكورة بالإضافة إلى بيت المقدس؛ يدل على أن ذلك الإمبراطور البيزنطى لم يخصص الحديث عن المدينة الأخيرة فقط ، مما يتفق فى الأصل فكرة قيامه بحرب ذات طابع صليبي : من أجل استردادها

ثالثاً : تعكس تلك القصيدة : أن الإمبراطورية البيزنطية خلال عهد نقفور فوكاس : أدركت بجلأ أهمية سلاح الدعاية من أجل تحقيق أهدافها السياسية ضد أعدائها ، وهكذا : لم تجد أفضل من الزاوية الدينية والعرف على وتر مدينة بيت المقدس؛ من أجل إثارة المعاصرين دون أن يكون ذلك من خلال مفهوم مستقر ومحدد عن الحرب المقدسة.

رابعاً : تكشف تلك القصيدة لنا كيف أن الضعف السياسى لدى المسلمين فى العصر العباسى الثانى: جعل ذلك الإمبراطور يتجراً على الخليفة المطيع ويهدده فيها بالوصول إلى مكة المكرمة ، وهو تهديد أروع من كان من الممكن أن يحققه لأنه واقعياً لم يتمكن إلا من دخول بعض المناطق فى بلاد الشام ، ولم يستمر بها طويلاً . وهكذا؛ فإن تلك القصيدة لاتدرس إلا من خلال الأوضاع السياسية المتردية عامة التى كانت تعيش خلالها الدولة العباسية على نحو أدى إلى تطاول الدولة البيزنطية حينذاك إلى هذا الحد الغير مسبوق فى لغة الدعاية السياسية والحربية المتبادلة بين البيزنطيين والعباسيين . وهو أمر لم يحدث خلال عهده الراشدين والأميريين والعباسيين فى عصرهم الأول؛ مما عكس تفرد الحادثة فى تاريخ العلاقات البيزنطية- العربية .

خامساً : نظراً لكون ذلك الإمبراطور من القادة العسكريين الذين بلغوا التنصب الامبراطورى ، لذلك رفع مثل تلك الشعارات الدعاية الحربية الخاصة باسترداد بيت المقدس. ومن المفترض فى حالة كونه خارج نطاق النخبة العسكرية؛ ما فكر فى الأصل فى استغلال العلم الجماعى المرتبط بالحق إلى المحارم المسيحية المقدسة ليكون فى مشروعه السياسى.

## ملحق ( ٧ )

## المستعمرات اليزنطية التي خضعت للبندقية عام ١٢٠٤م

- ١- مودون من ١٢٠٦ - ١٥٠٠م
- ٢- كورون من ١٢٠٦ - ١٥٠٠م.
- ٣- أرجوس من ١٣٨٨ - ١٤٦٣م.
- ٤- نوبليا من ١٣٨٨ - ١٥٤٠م.
- ٥- موفغاسيا من ١٤٦٤ - ١٥٤٠م
- ٦- ليبانتو من ١٤٠٧ - ١٤٩٩م.
- ٧- ليجرو بونت من ١٢٠٩ - ١٤٧٠م.
- ٨- پتليون من ١٣٢٣ - ١٤٧٠م.
- ٩- إيجينا من ١٤٥١ - ١٥٣٧م
- ١٠- تينوس من ١٣٩٠ - ١٧١٥م.
- ١١- ميكونوس من ١٣٩٠ - ١٥٣٧م.
- ١٢- شمالي سهراديز من ١٤٥٣ - ١٥٣٨م.
- ١٣- كورفو من ١٢٠٦ - ١٢١٤م / ١٣٨٦ - ١٧٩٧م.
- ١٤- كيبالونيا من ١٤٨٣ - ١٤٨٥م / ١٥٠٠ - ١٧٩٧م.
- ١٥- زانتى من ١٤٨٢ - ١٧٩٧م.
- ١٦- سرجو من ١٣٦٣ - ١٧٩٧م.
- ١٧- سانتامافرا من ١٥٠٢ - ١٥٠٣م.
- ١٨- أثينا من ١٣٩٤ - ١٤٠٢م
- ١٩- پاتراس من ١٤٠٨ - ١٤١٣م / ١٤١٧ - ١٤١٩م.
- ٢٠- ناكسوس من ١٤٩٤ - ١٥٠٠م / ١٥١١ - ١٥١٧م.

- ٢١- انوروس من ١٤٣٧ - ١٤٤٠ م / ١٥٠٧ - ١٥١٤ م  
 ٢٢- پاروس من ١٥١٨ - ١٥٢٠ م / ١٥٣١ - ١٥٣٦ م .  
 ٢٣-  $\frac{1}{6}$  أهورجوس من ١٣٧٠ - ١٤٤٦ م  
 ٢٤- ماينا من ١٤٦٧ - ١٤٧٩ م  
 ٢٥- قوسترا ١٤٧٠ م<sup>١١</sup>

---

اسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١ - ١٢٨٢ م، منشورات جامعة بنغازي .  
 ط. بيروت ب- ت . ص ١٣٦-١٣٧



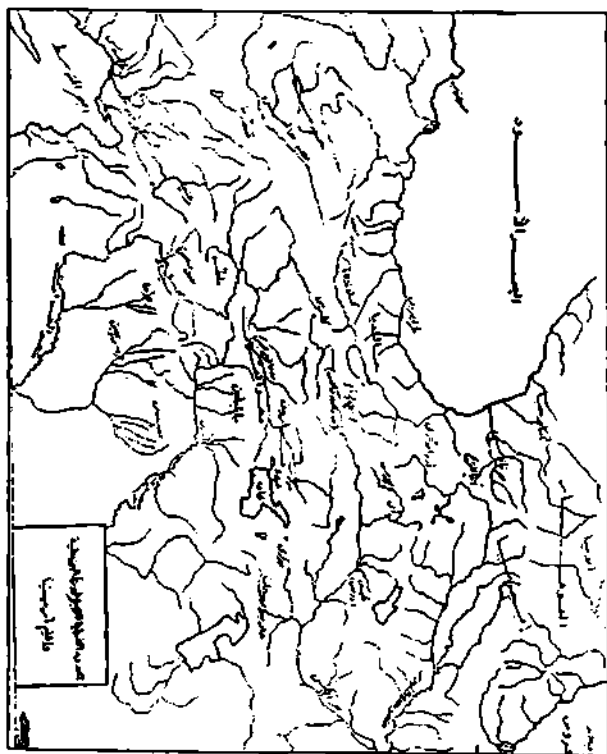
## الخرائط<sup>(١)</sup>

---

« إعتدافاً على محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية مدخل إلى التاريخ السياسي والحربي . ط . الاسكندرية ١٩٦٢ . است غنيم ، امبراطورية جستنيان . ط . جدة ١٩٧٧م . نعيم فرج ، تاريخ بيزنطة السياسي . ط . دمشق ١٩٩٤ .

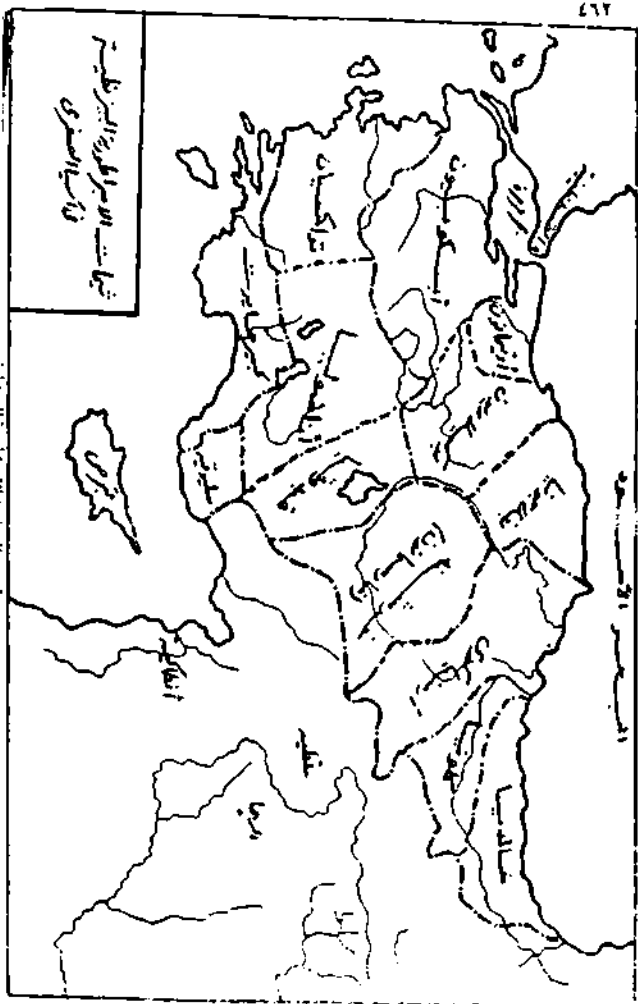


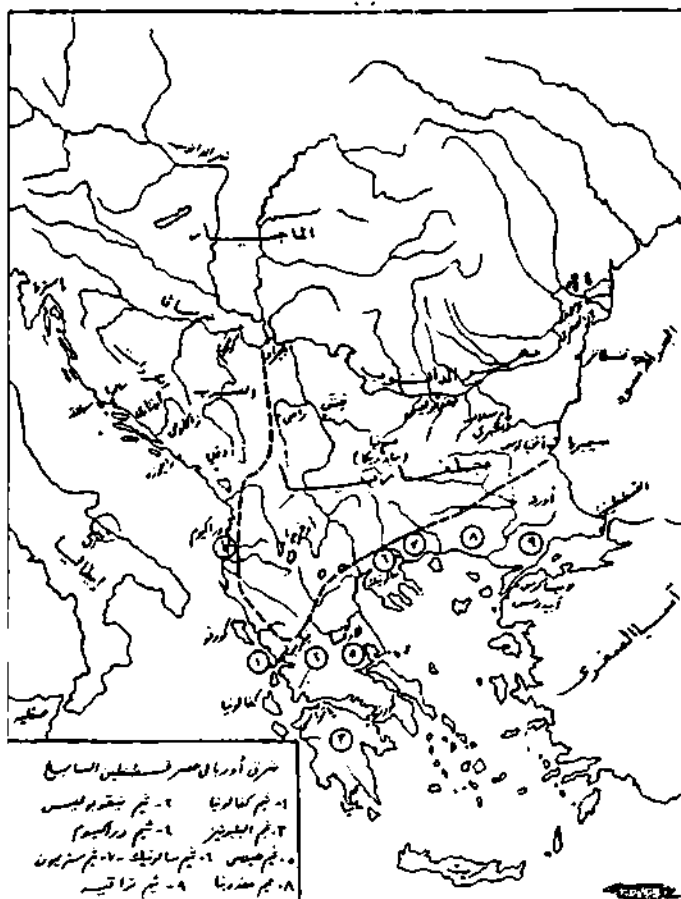




مصدر: سعيد عمران، معالم تاريخية الاصلية الجغرافية





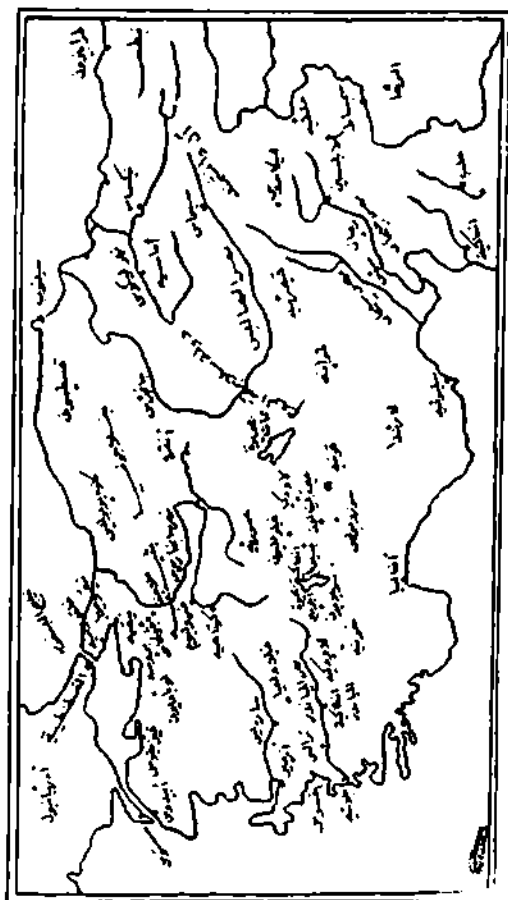


محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية



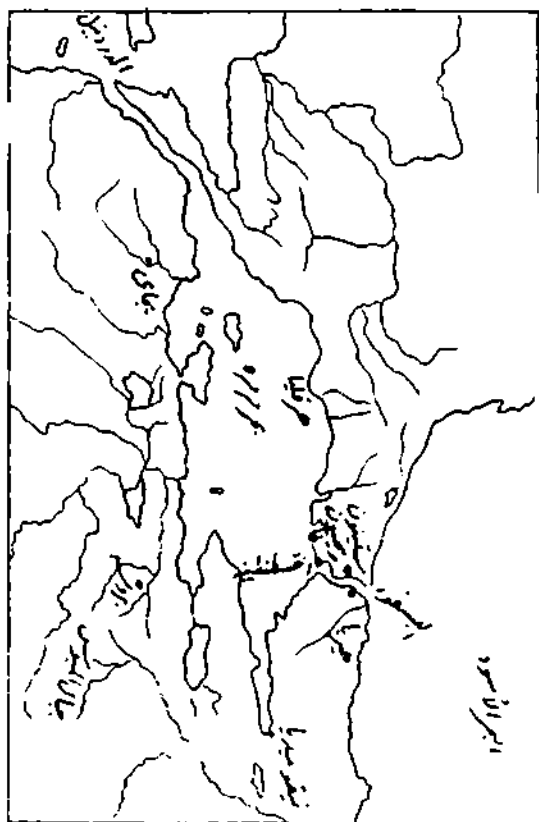
محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية





## آسيا الصغرى

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية



منطقه بندر ماهشهر  
و بندر عباس و بندر بوشهر  
معمود سید عمار، سال تألیف: ۱۳۵۷ هجری قمری

## بيزنطة وإبرك في القرن السادس



نعم فرج، تاريخ بيزنطة السياسي





الحدود المبرمطة والتسجمات لإدارية في القرن الخامس



## قائمة المختصرات

- A.B.: Analecta Bollandiana.
- A. H.R.: American Historical Review.
- A.O.L.: Archives de L'Orient Latin.
- B.: Byzantion.
- B.B.O.M.: Birmingham Byzantine and Ottoman Monographs.
- B.F.A.A.U.: Bulletin of The Faculty of Arts Alexandria University.
- B.J.R.L.: Bulletin of the John Rylands library.
- B.E.O.: Bulletin des Etudes Orientales.
- B.F.: Byzantinische Forschungen.
- B.Z.: Byzantinische Zeitschrift .
- C.H.A.: Collection des Historiens Armeniens.
- E.I.: Eretz. Israel.
- E.W. W.R.: Encyclopedia of World Woman and Religion.
- C.I.G.: Corpus Inscriptionum Graecorum.
- C.S.H.B.: Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.
- C.M.: Classica et Mediaevalia .
- C.M.H.: Cambridge Medieval History.
- D.O.S. : Dumberton Oaks Studies.
- D.O.P.: Dumberton Oaks Papers.
- D.T.C.: Dictionnaire de Theologie Catholique.
- E.H.R.: Egyptian Historical Review.
- E.H.R.: English History Review.
- E.Isl: Encyclopedia of Islam.
- E.W.WR.: Encyclopedia of Women and World Religions.
- Ency. Jud. Encyclopedia Judeca.
- E.O.: Echos d'Orient .
- E.R.: Encyclopedia of Religion.
- H.: L'Histoire.
- H.Z.: Historich Zeitschrift.

- J.E.S.H.O.: Journal of Economic and Social History of The Orient .
- I. C.: Islamic Culture.
- I.J.T.S.: International Journal of Turkish Studies.
- J.H.S.: Journal of Hellenic Studies.
- J.J.S. : Journal of Jewish Studies.
- J.O.A.S. : Journal of Oriental and African Studies.
- J.M.I.H.: Journal of Medieval and Islamic History
- J.R.A.S.: Journal of Royal Asiatic Society.
- H.U.C.A.: Hebrew Union College Annual.
- L.C.L.: The Loyh Classical Library
- O. chr. P.: Orientalia Christiana Periodica.
- O.D.B.: Oxford dictionary of Byzantium .
- P.G.: Patrologia Graeca.
- P.L.: Patrologia Latina.
- P.O.: Patrologia Orientalis.
- P.P.T.S.: Palestine Pilgrims Text Society.
- M.E.R.J.: Middle East Research Journal.
- M.G.H.: Monumenta Germaniae Historica.
- Med.S.: Medieval Studies.
- N.P.N.F.: Niciene and Post Niciene Futhers.
- R.A.: Revue Archaeologique.
- R. Af. : Revue Afrique.
- R.H.: Reveue Historique.
- R.H.C.: Recueil des Historiens des Croisades.
- R.O.L.: Revue de L'Orient Latin .
- S. : Speculum.
- S.C.H.: Studies in Church History
- S.M.: Studi Medievali.
- Z.R.V.I: Zbornik Radova Vizantoloskog Instituta.



## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً : المصادر البيزنطية واللاتينية والأرمينية والسريانية

- Agathias, The Histories Trans. by J.O. Frendo , New York 1975 .
- Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana , in R.H.C., Hist . Occ. T.V , Paris 1879
- Albert of Trois Fontaines, Chronicle of Albert of Trois Fontaine, in Andrea and Whalen (eds.) , Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Ambroise , The Crusade of Richard Heart of Lion , Trans. by Hubert , New York 1948
- Anonymous Syriac Chronicle , Trans. by A. S. Tritton and H. Gibb, J.R.A.S., vol . 92 , 1933 .
- Anonymous , The Chronicle of the Third Crusade Atranslation of Itenerarium Peregrianorum et Gesta Regni Recardi , Trans. by Helen Nicholson , London 1997
- Anonymous , Devastatio Constantinople , in A.J. Andrea and E.W. Whalcn (eds.), Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anonymous. The Deeds of Franks and The other Pilgrims to Jerusalem, Trans. by R. Hill, London 1962 .
- Anonymous , The Anonymous of Soissons in Andrea and Whalen (eds.) Contemporary Sources for the Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anonymous, The Deeds of Bishops Halberstadt, in A. J. Andrea and B. E., Whalen (eds.), Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anna Comnena, The Alexiad , Trans. by E.R.A. Sewier , Penguin Book , London 1979 .
- Baldric of Dol , in Peters (ed.) , The Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials , Philadphie 1971

- Bernard of Clairvaux, *The Letters of St. Bernard of Clairvaux*, Trans by Bruno Scott James, Institute of Cistercian Studies , Western Michigan University , 1988 .
- Constantine Porphyrogenitus , *De Administrando Imperio*, Trans by Jenkins , Washongton 1967 .
- *Corpus Juris Civilis* , ed T. Mommsen , p. Kruger, R. Scholl, W. Kroll, 3 vols., Berlin 1945- 1963 .
- Count Hugh of Saint Dol , *Report to The West* , in A.J Andrea (A.J.), and Brette (E.W.) eds.), *Contemporary Sources for The Fourth Crusade*, Leiden 2000 .
- Daniel , *Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land*, Trans by Wilson, P.P.T.S., vol. IV , London 1895 .
- Diogenis Akritis, ed. and Trans. by J. Mavrogordate , Oxford 1926 .
- Doukas, *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, trans. by Magoulias, Detroit 1975 .
- Einhard, *Vita Caroli Magni*, in Lewis thorpe (ed.) *Two lives of Charlamagne by Einhard and Notker the Stammerer* , Penguin Book, London 1969
- Ernoul, *Chronique d'Ernoul et Bernard le Tresorier*, ed. Par Mas Laterie, Paris 1971
- Evagrius Scholasticus, *The Ecclesiastical History*, Trans by Michael Whitby , Liverpool 2000 .
- Eucherius, *Description of Jeruslaem*, Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol III, London 1892 .
- Eusebius, *Extraits from Eusebius life of Constantine* , Trans. by John Bernard, P.P.T.S., vol . I, London 1896 , *The Ecclesiastical History* Trans. by Kirsopp Lake, L.C.L., London 1930-1940 .
- Euphrosine , *Pelerinage en Palestine* “, Trans by by De Khitrowo”, R.O.L., T. III, Année 1895 .

- Geoffrey of Vinsauf, *Crusade of Richard Coeur de Lion* , in *Chronicles of The Crusades*, London 1908 .
- Guilbert of Nogent , in Petrs (E), (ed.), *the First Crusade, The Chronicles of Fulcher of Chartres and other Source materiales*, Philadelphia 1971
- Gunter of Paris , in Allen (S.T.) and Ant (A.) (eds.), *The Crusades*, Toronto 2003 .
- Innocent III, *The Register of Innocent III* , in Andrea (A.J.) and whalen (B.E.) (eds.), *Contemporary Sources for the Fourth Crusade*, Leiden 2000 .
- Jacques de Vitry, *History of Jerusalem*, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol IX , London 1896 .
- Jean de Joinville, *The life of St. Louis*, in *Chronicles of The Crusades*, Trans. by M.R.B. Shaw , Penguin Book , London 1976 .
- Joannes Phocas , *A brief Description of the Holy land*, Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol V , London 1896 .
- John Bishop of Nikou, *Chronicle of John Bishop of Nikou* , Trans from Ethiopcan by Zotenberg , Paris 1883, English Trans . by R.M. Charls London 1916 .
- John Malalas, *The Chronicle of John Malalas*, Trans. by Elezabeth Jeffrys and Michael Jeffrys, R.Scott, *Byzantina Australiensia*, Australian Association for Byzantine Studies, University of Sidney 1986 .
- John Moschos, *the Spiritual Meadow ( Pratum Spiritual )*, Trans. by John Wortley, Kalamazoo, Michigan 1992 .
- John of Wurzburg, *Description of the Holy land* . Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol . V London 1896 .
- Julian , *Julian letters and Works*, trans. by W.C. Wright, 3 vols , London 1913 .

- Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus, Trans. by Charles M. Brand, Colombia 1976 .
- Kritovoulos, History of Mehmed The Conqueror , Trans. by C.T. Riggs, Princeton 1954 .
- Life of St. Mary / Marinos , Trans by Nicholas Constat, in Talbot (A.M.) , (ed.), Holy Women in Byzantium , Ten Saints' Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Matrona of Perge , in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Mary of Egypt, Trans. by Maria Kouli, in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St Theoktiste of Lesbos, Trans. by Angela C. Hero, in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St Elisabeth The Wonderworker , Trans. by Valerie Karras, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Athanasia of Aegina, Trans. by Lee Francis Sherry, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St Theodora of Thessalonike , Trans. by Alice- Mary Talbot, in Holy Women, Dumbarton Oaks , Washington 1996 .
- Life of St. Mary The Younger , Trans. by Angeliki E. Luion in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St Theodora of Arta, Trans. by Alice- Mary Talbot, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Thomais of Lesbos, Trans. by Paul Hulsall, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodosia of Constantinople , Trans. by Nicholas Constas, in Talbot (A.M.) (ed.), Byzantine , defenders of images Eight Saints, Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1989
- Life of St. Stephen The Younger , Trans. by Alice - Mary Talbot, in Byz-

- antine defenders , Dumbarton Oaks, Washington 1989 .
- Life of St. Anthousa of Mantineon, Trans. by Alice - Mary Talbot , in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks , Washington 1989
- Life of St. Anthousa, daughter of Comstantine V, Trans. by Nicholas Constatas, in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks, Washington 1989 .
- Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople, Trans. by Elizabeth A. Fisher, in Byzantine defenders , Dumbarton Oaks , Washington 1989 .
- Life of Sts. David, Symeon, and George of Lesbos , Trans. by Dorothy Abraham and Douglas Domingo- Forasté, in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks, Washington 1998 .
- Mathieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136) , avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque 1162, ed . M.E. Bulquier , Paris 1858 .
- Michael le Syrien, Chronique du Michael le Syrien Patriarche Jacobite d' Antioche (1166-1199) ed . Par J.B. Chabot , Paris 1899-1905
- Michael Panaretos, Chronicle of the Empire of Trebizond , ed. O lamp-sides, Athens 1958 .
- Nicola Barbaro , Diary of the Siege of Constantinople 1453, Trans by J.R. Jones, New York 1969 .
- Notker The Stammerer, in Tow Lives of Charlemagne , Trans. by Lewis Thrope , Penguin Book , London 1969 .
- Nicetas Choniates, O'City of Byzantium , Annals of Nicetas Choniates, Trans. by Harry Magolias, Wayne State University Detroit 1984 .
- Odo of Deul, De Profectine Ludovici VII in Orientem, ed. by Ginyerich Berry , New York 1948 .
- Oliver of Paderborn , The Capture of Damietta, Trans. by Joseph J. Cav-

- igan, in Peters, (E.) (ed.) *Christian Society and the Crusades 1198-1229* , Sources in Translation including *The Capture of Damietta* by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 .
- Otto of Freising , *The deeds of Frederick Barbarossa*, Trans. by Charles Christopher Microw , Toronto 1966 .
  - Otto of St. Blasien, *The Third Crusade 1187-1190* , in Thatcher , *Source Book of Medieval History* , New York 1905 .
  - Philip of Novara, *The Crusade of Frederick II From Philip of Novara* , in Peters (E.) (ed.), *Christian Society and The Crusades 1198-1229* , Sources in translation including *the capture of Damietta* by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971
  - Photius, *The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople* , Trans. by Cyril Mango, D.O.S., 3, Harvard 1958 .
  - Pierre des vaux de Cernay , *The Historia Albigensis*, in Peters (ed.) *Heresy and Authority in Medieval Europe*, Pennsylvania 1980 .
- Procopius of Caesarea, *The Buildings* , Trans. by H.B. Deaving and G. Downey , London 1940 , *Secret History* , Trans. by Richard Atwater , Michigan 1961 , *The Wandalic War* , Trans. by Dewing, Cambridge 1968 , and also in, Evans, *Procopius*, New York 1972 .
- Psellus , *Fourteen Byzantine Rulers* , *The Chronographia* of Michael Psellus, Trans. by Sewter , Penguin Book , London 1966 , also , Ashour (S.) and Rabie (H.) , (eds.) , *Fifty documents in Medieval History* Cairo 1971
  - Rainier Sacconi , in *Medieval Europe*, Pennsylvania 1980
  - Ralf of Cageshall, *Chronicle of Ralf of Coggeshall*, in Alfred J. Andrea and Brett F. Whalen , *Contemporary Sources for the Forth Crusade*, Leiden 2000
  - Ramond d' Aguiliers, *Historia Francorum* , Trans. by John Hill and Lau-

rita Hill, Philadelphia 1948 .

- Robert of Clari, The Conquest of Constantinople, Trans. by E.H. Mc Neal, New York 1936 .
- Robert the Monk, in Peters (E.) (ed.), The First Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials, Philadelphia 1971
- Roger of Wendover, The Chronicle of Roger of Wendover , in Peters (E.) (ed.), Christian Society and the Crusades 1198- 1229 , Sources in Translation including the Capture of Damiatta by Oliver of Paderborn . Pennsylvania 1971
- Silvia of Aquitana, Pilgrimage to the Holy Places, Trans. by , P.P.T.S., vol . I, London .
- Tacitus, Tacitus on Britain and Germany , Trans. by H. Mattingly , The Penguin Book, London 1954 .
- The Chronicle of Solomon Bar Simson , in Eidelberg (ed.), The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of The First and Second Crusaders, Wisconsin 1977
- Theophanes, The Chronicle of Theophanes , An English Translation of anni mundi (6095-6305 A.D. 602-813), with introduction and notes by Harry Turtledove , Pennsylvania 1982 .
- The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous, in Edilberg, The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades , Wisconsin 1977
- The Song of Roland Trans. by Sayer, Penguin Book. London 1977
- Villeharduin , The Conquest of Constantinople , in Chronicles of The Crusades, Trans. by M. R. B. Shaw , Penguin Book. London 1963 .
- William of Poiriers, Deeds of Duke William , in Houts, (ed.) The Normans in Europe, Manchester 2000 .
- William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea Trans. by Bab-

## ثانيًا المصادر العربية :

القرآن الكريم .

- ابن الأثير : ( عز الدين محمد ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م ) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليسات ، ط. القاهرة ١٩٦٣م .  
الكامل في التاريخ ، ط. بيروت ١٩٩٦م . ط. القاهرة ١٩٩٩م )
- ابن أبيك الدوادري : ( أبو بكر عبدالله ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م ) الدعوة الزكية في الدولة التركية ، تحقيق أولرخ هارمان ، ط. القاهرة ١٩٧١م . الدر المطلوب في أخبار بني أيوب تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٧٢م .
- ابن بطوطة : ( محمد بن عبدالله ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م ) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط. بيروت ب-ت .
- ابن تغري بردي : ( جمال الدين يوسف ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٩م ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط. القاهرة ١٩٦٣م .
- ابن جبير ( محمد بن أحمد ت ٦١٤ أو ٦١٦ هـ ) الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار في اتفاقيات الأسفار ، ط. بيروت ١٩٨٤م .
- ابن الجوزي : ( أبو الفرج عبد الرحمن ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ٩ ، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
- ابن الفرات : ( ناصر الدين محمد ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م ) تاريخ الدول والملوك م ( ٥ ) ج ( ١ ) ، تحقيق حسن محمد الشماع ، ط. البصرة ب-ت .
- ابن حماد ( أبو عبدالله محمد ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١م ) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس ط. القاهرة ١٤٠١ هـ .
- ابن حوقل ( أبو القاسم ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م ) صورة الأرض ، تحقيق دى جويه ، ط. بيروت ١٩٦٧م ، ط. بيروت ١٩٩٢م .
- ابن خرداذبة ( أبو القاسم عبدالله ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢م ) المسالك والممالك ط. القاهرة ب-ت
- ابن خلدون : ( عبدالله بن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م ) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط.



بيروت ب-ت ، المقدمة تصحيح وفهرسة ، أبو عبدالله الصميد المنده ، ط.  
بيروت ٢٠٠٥م.

- ابن خياط : (أبو عمر خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ / ٨٥٠م) تاريخ خليفة بن خياط ،  
تحقيق مصطفى نجيب نوار وحكمت نوار ، ط. بيروت ١٩٩٥م.

- ابن رسته : (أبو علي أحمد ت ٤٤هـ / ١٠٠م) الأعلاق النفيسة ، ط. لندن ١٨٩٢م.

- ابن الساعي : تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب ج ٤ / ٢ ، تحقيق مصطفى  
جواد ط. بغداد ١٩٦٧م.

- ابن شاهين : (غرس الدين خليل ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق  
والممالك ، تحقيق بول رافيس ، ط. باريس ١٧٩٧م.

- ابن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م) الطبقات الكبرى ، ط. بيروت ١٩٥٨م.

- ابن شداد (القاضي بهاء الدين ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) النوادر السلطانية والمحاسن  
اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.

- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبدالله ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م) ، فتوح مصر والمغرب ،  
تحقيق عبد المنعم عامر ط. القاهرة ١٩٩٩م.

- ابن العبري (غريغوريوس ت ٦٨٥هـ / ١٢٥٦م) تاريخ مختصر الدول ، ط. بيروت  
١٩٥٨م ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- ابن العديم : (كسالم الدين أبو القاسم ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) زبدة الطلب من تاريخ  
حلب ، تحقيق سامي الدخان ، ج ١ ، ط. دمشق ١٩٥١م ، بغية الطلب في تاريخ  
حلب - القسم الخاص بتاريخ السلاجقة ، تحقيق علي سويم - الجسمية  
التاريخية التركية ، ط. أنقرة ١٩٧٦م ، الدراري في ذكر الفراري ، تحقيق  
علاء عبد الوهاب ، ط. القاهرة ١٩٨٤م.

- ابن عفران (ت بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب  
تحقيق ج. س. كولاند وليش بروثسال ، ط. بيروت ٩٤٨م ، ط. بيروت  
١٩٩٨م.

- ابن عريشة (أبو العباس شهاب الدين ، عجائب المقدر في نوائب تيسر ، ط. بيروت  
١٩٨٦م)

- ابن عساكر (أبو القاسم علي ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م) . ترجمة محمود بن زكريا تحقيق نيكيتا اليسيف مجلة الدراسات الشرقية . B.E.O., XXV Année 1972 .
- ابن العباد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحى ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . ط. القاهرة ١٩٥١م.
- ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن عباس ت ١٠هـ / ١٠م) رسالة ابن فضلان . تحقيق سامى الدهان ط. بيروت ١٩٨٧م
- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن علي ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م) كتاب البلدان . تحقيق يوسف الهادى . ط. بيروت ١٩٩٦م)
- ابن الفرطى (كمال الدين أبو الفضل ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) المحررات الج معة والتجارب النافعة فى المائة السابقة . تحقيق مصطفى جواد ط. بغداد ١٣٥١هـ
- ابن القلاسى (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق . تحقيق أميدروز . ط. بيروت ١٩٠٨م
- ابن كثير (الحافظ عماد الدين اسماعيل ت ٧٤٤هـ / ١٣٧٢م) . البداية والنهاية . ط. القاهرة ب.ت . الاجتهاد فى طلب الجهاد . ط . القاهرة ١٣٤٧هـ .
- ابن منكلى ( محمد بن منكلى ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٦م) الأحكام الملوكية والضوابط النموسية فى فن القتال فى البحر . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الأدب- جامعة عين شمس . تحقيق عبد العزيز عبد الدايم . عام ١٩٧٤م.
- ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) منتخبات من تاريخ مصر R.H.C., Hist. Or., T.III
- ابن نباته (أبو يحيى عبد الرحيم ت ٣٧٤هـ / ٩٨٤م) . ديوان ابن نباته . ط. بيروت ١٣١١هـ.
- ابن نظيف الحموى (أبو الفضائل محمد ت ٧هـ / ١٢م) التاريخ المنصورى- تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان . تحقيق أبو العبد دودو . ط. دمشق ١٩٨٣م.
- ابن واصل (جمال الدين محمد ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) مفرج الكروب فى أخبار بنى أبوب ج ١ . تحقيق جمال الدين الشبال . ط. القاهرة ١٩٥٣م.

- ابن وردان (القرن ١٠هـ / ١٦م) تاريخ الأغالبة ، تحقيق محمد زينهم ، ط. القاهرة ١٩٨٨م.
- ابن الرودي : (أبو حفص زين الدين ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) نشأة المختصر في أخبار البشر. المعروف بتاريخ ابن الرودي . ط. النجف ١٩٦٩م.
- أبو الفداء : (إسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) تقييد البلدان ، تحقيق ريتو ودي سلان ط. باريس ١٨٤٠م، المختصر في أخبار البشر ، ط. بيروت ١٩٩٠م.
- أبو تمام : (ديوان أبو تمام ط. بيروت ب-ت .
- أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد ت ٦٥٥هـ / ١٢٦٧م) القبل على الروضتين ، ط. القاهرة ١٣٩٦هـ.
- أسامة بن منقذ : (مزيد الدولة أبو المظفر ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ط. بيروت ١٩٨١م.
- إسحق بن الحسين : (ق ٤هـ / ١٠م) أكام المرجان المشهورة في كل مكان ، باعتناء فخرى سعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- الإدريسي : (الشرف الإدريسي ت ٦هـ / ١٢م) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- بيبيرس الدواداري : (ركن الدين بيبيرس ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٦م) ، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- البلاذري (أبو أحمد بن يحيى ت ٧٧هـ / ٨٩٢م) فتوح البلدان . ط. بيروت ١٩٨٨م.
- الحسيني (صدر الدين علي بن ناصر القرن ٦هـ / ١٢م) ، أخبار الدولة السلجوقية تحقيق عباس إقبال ، ط. بيروت ١٩٨٤م.
- الحسبري (محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) الروض المعطار في خبر الأنظار. تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٥م.
- الدمشقي (شمس الدين بن أبي عبد الله ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق مهران ط. لوزن ١٩٢٣م.
- الذهبي (الحافظ الذهبي ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) العبر في خبر من غير ، تحقيق

- أبو هاجر محمد السعيد ، ط. بيروت ١٩٨٥م ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط. بيروت ١٩٩٣م.
- الطبري (أبو جعفر بن جرير ت ٣١٠هـ / م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- العدوي : (القاضي العدوي ت ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م) الزيارات ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. دمشق ١٩٥٦م.
- عطا ملك الجويني (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) تاريخ جهانكشاي ت. محمد السعيد جمال الدين ، ضمن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م.
- عماد الدين الأصفهاني (القاضي عماد الدين ت بعد عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م) البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، تحقيق كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية B.E.O., T. VII-VIII Années 1937-1938 .
- العماد الأصفهاني (الكاتب) (ت بعد عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م) الفتح القس في الفتح القدي ط. القاهرة ب-ت
- الفتح البنداري (الفتح بن علي بن محمد ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) سنا البيوق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي ، ط. القاهرة ١٩٧٩م ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ط. بيروت ، ط. القاهرة ١٩٠٠م.
- القرمانلي : (أحمد بن يوسف ت ١٠٠٩هـ / ١٦١٠م أخبار الدول وأخبار الأول في التاريخ ، ج ١ ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- القزويني : (زكريا بن محمد ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) آثار البلاد وأخبار العباد ، ط. بيروت ٩٩٨م.
- القلقشندي (أبو العباسي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ط. القاهرة ١٩٣٠-١٩٤٣م .
- الكندي : ولاية مصر ط. بيروت ١٩٥٩م
- المتنبي أبو الطيب ت ق ٤هـ / ١٠م) ديوان المتنبي ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، ط. بيروت ١٩٨٠م.

- مجهول (رحالة مراكشي معاصر للقرن ١٢م / ١٢م) الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أضرائها وحملهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- المسعودي (أبو الحسن على ت ٢٤٦هـ / ٩٥٧م) التنبيه والإشراف ، ط. بيروت ١٩٦٨م، أخبار الزمان ومن أباداه المحدثان وعجائب البلدان والغامر بالما، العمران ، ط. بيروت ١٩٩٦م.
- مسكويه (أبو علي أحمد ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) مخارج الأمم ، ط. القاهرة ب-ت
- المقدسي : (شمس الدين أبو عبد الله ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط. بيروت ب-ت .
- مغلطاي (علاء الدين مغلطاي ت ٧٦٢هـ / ١٣٦٣م) مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق آسيا كليبان على البارح ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- المقرئزي : تقي الدين أحمد ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) اتماظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج ٢ ، تحقيق محمد حلمي أحمد ، ط. القاهرة ، ب-ت ، إغاثة الأئمة بكشف القصة ، تحقيق جمال الدين الشبالي ومحمد مصطفى زيادة ، ط. القاهرة ١٩٤٠م، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٤ ، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة
- ناصر خسرو (ناصر خسرو علوي ق ٥هـ / ١١م) سفرنامه ت. يحيى الخشاب ، ط. بيروت ١٩٨٣م .
- البانفي (أبو محمد عبد الله ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) مرآة الجنان وغيره البيهقان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ج ٣ ، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٤٨م.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين ت ٨٧٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان ، ط. بيروت ب-ت ، ط. بيروت ١٩٩٧م، المشترك وضعاً والمفترق حقاً ، تحقيق وستفيلد ، ط. بيروت ١٩٨٦م.
- البزدي (محمد بن أحمد ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) العراضة في الحكاية السلجوقية ت. عبد النعيم حسين ، ط. بغداد ١٩٧٩م.

## ثالثاً : المصادر المعربة :

- ٢٩- أنا كورمينا ( ق١٢م / ٦هـ) الكسباد ت. حسن حبشى ، المشروع القومي للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.
- بطرس نوديبود ( ت ق ١٢م / ٦هـ) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ت . حسين عطيه ، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م.
- بروكويرس (٦م) التاريخ السرى ت. صبرى أبو الخير ، ط. القاهرة ٢٠٠١م (ت ق١٢م / ٦هـ) . عزرا حداد ، ط. بغداد ١٩٤٥م ودراسة وتقديم عبد الرحمن عبدالله الشيخ . المجتمع الثقافي أبوظبى ٢٠٠٢م.
- بنيامين التطبلى (ت ق١٢م / ٥هـ) الرحلة ، ت. عزرا حداد ط. بغداد ١٩٤٥م، ودراسة وتقديم عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، ودراسة المجتمع الثقافي أبوظبى، ٢٠٠٢م.
- ثيودريش ( ق١٢م / ٦هـ) وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريش، القرن الثاني عشر الميلادى / السادس الهجرى ، ت . سعيد عبدالله البيشاوى ورياض شاهين ، ط. عمان ٢٠٠٣م.
- دانيال الروسى (ت ق ١٢م / ٦هـ) رحلة الحاج الروسى دانيال الراهب ، ت. سعيد عبدالله البيشاوى ط. عمان ١٩٩٢م .
- روبرت كلارى : (ت ق١٢م / ٧هـ) فتح القسطنطينية . ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- فوشيه الشارتري ( ت ق ١٢م / ٦هـ) تاريخ الحملة إلى القدس ، ت. زياد العلى، ط. عمان ١٩٩٥م.
- فلهاردوين (ت ق ١٢م / ٧هـ) من مذكرات فلهاردوين فتح القسطنطينية . ت. حسن حبشى ، ط. جدة ١٤٠٣هـ.
- قسطنطين السابع بروفيروجنييتس : إدارة الامبراطورية البيزنطية ت. محمد سعيد عمران، ط. بيروت ١٩٨٠م.
- مجهول (ت بعد عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ) أعمال الفرغبة وحجاج بيت المقدس، ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

- مجهول (مزور سرى مجهول الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية ، ضمن كتاب الحروب الصليبية ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٨٤م.
- مجهول : قصة حملة الأمير إيفور خميس حرج . ط. موسكو ١٩٨٩م
- مجهول: ( ق ٤هـ / ١٠م) حدود العالم من الشرق إلى الغرب ت. عن الفارسية. وتحقيق يوسف الهادى، ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- نيقولا باربارو : (القرن ١٥ م ٩هـ) الفتح الاسلامى للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثمانى ١٤٥٣م ت. حاتم الطحاوى ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- يوحنا النقيوسى : ( عاصر القرن ٧م / ١هـ) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى ، ت. عمر صابر عيد الجليل ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- يوساب القيسارى : تاريخ الكنيسة ، ت مرقس داود ، ط. القاهرة ١٩٧٩م .

## رابعاً : المراجع العربية والمعرية :

- إبرار كريم الله من هم التنار ١ ت. رشيدة رحيم الصيروتي، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- إبراهيم أبو جابر (د.) القدس ومستقبلها في القرن الحادى والعشرين، دراسات (٢٤) ، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ٢٠٠٢م.
- ابراهيم العدوى (د.) «إفريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى»، المجلة التاريخية المصرية م (٣) ، العدد (٢) عام ١٩٥٠م، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ط. القاهرة ١٩٥١م، الدولة الأموية والبيزنطيون ط. القاهرة ١٩٥٣م «قوانين الإصلاح الزراعى فى الامبراطورية البيزنطية»، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العددان (٣) ، (٤) يونيو ١٩٧٣م.
- إبراهيم أيوب (د.) التاريخ الفاطمى السياسى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- إبراهيم بيضون (د.) الدولة العربية فى أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢- / ٧١١- ١٠٣١م، ط. بيروت ١٩٨٦م ، «حلمة مؤته مقارنة للمشروع السياسى الأول للدولة الإسلامية فى بلاد الشام»، ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام إشكالية المرفع الدور فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- إبراهيم خميس (د.) «الأوبنة والأمراض التى تفشت بين الصليبيين فى الشرق الأدنى الإسلامى وأثرها ٩٨- ١٠٩٨م» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران محرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- ابراهيم خورى : الشريف الإدريسى نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مركز زايد للتراث والتاريخ ط. أبوظبى ٢٠٠٠م.
- ابراهيم سعيد فهم (د.) «جى دو لوزينيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- إبراهيم طرخان (د.) الحركة اللا أيقونية فى الدولة البيزنطية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م.



- تاكيتوس والشعوب والجرمانية ط. القاهرة ١٩٥٩ م، المسلمون في أوروبا في  
العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.
- إبراهيم عبد الفتاح المتناوى (د.) فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية ، ط.  
طنطا ٢٠٠٢م.
- إحصان عباس (د.) جنون الخطر الأخضر وحملته تشويه الإسلام، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- إحصان عباس (د.) العرب في صقلية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م.
- أحمد إبراهيم الشريف (د.) دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول  
والثاني للهجرة ط. القاهرة ١٩٦٨م.
- أحمد إسماعيل عى (د.) تاريخ بلاد الشام في العصر العباسى ١٣٢ - ٤٦٣هـ /  
٧٤٩ - ١٠٧٠م دراسة اجتماعية ، ط. دمشق ١٩٨٣م ، أحمد الببلى (د.)  
حياة صلاح الدين الأيوبي ط. القاهرة ١٩٤٦م.
- أحمد الحرفى (د.) الطبرى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- أحمد الحشاش (د.) التفكير الاجتماعى ط. بيروت ١٩٨١م.
- أحمد جردت (باشا) تاريخ جردت ت. عبد القادر الدنا، تحقيق عبد اللطيف الحميد، ط.  
بيروت ١٩٩٩م.
- أحمد عطيط (د.) حروب المغول ، ط. بيروت ١٩٩٤م.
- أحمد رضا : خيبة السياسة الغربية في الشرق ت. بورقييه والصادق ، ط. تونس  
١٩٧٧م.
- أحمد رمضان (د.) شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٧٨م ،  
العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - الحروب الصليبية ، ط.  
القاهرة ب-ت
- أحمد زكى : أنزعوا فتاع بولس عن وجه المسيح ، ط. الرياض ١٩٩٥م.
- أحمد سوسه : الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية. ط. تونس ١٩٧٤م.
- أحمد عامر (د.) اليهود وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية حتى النصف الأول من  
القرن العاشر الميلادى ، التاريخ والمستقبل يناير ٢٠٠٣م.

- أحمد عبد الرازق (د.) تاريخ مصر الإسلامية وأثارها من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي ، ط. القاهرة ١٩٩٣م.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى (د.) أصول التاريخ العثماني ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- أحمد عبد الكريم سليمان (د.) «رسالة من البطريك نيقولا مستيكوس إلى الخليفة العباسي» ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٨) ، (٢٩) ، عام ١٩٨١م.
- ١٩٨٢م.
- أحمد عبدالله أحمد : التجارة في الساحل الشامي في القرنين ١٢ ، ١٣م رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م تحت إشرافى بالاشتراك مع أ.د. أحمد ومضان).
- أحمد عثمان (د.) تاريخ اليهود، ج ٣ ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- أحمد على عجيبة (د.) الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- أحمد عودات (د.) وجميل بهضون (د.) وشعاده الناظور (د.) تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجرى حتى القرن الثالث عشر الهجرى ، ط. إربد ١٩٩٠م.
- أحمد فزاد سيد (د.) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين - بلاغ الدعوة ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، الحكم الإسلامي لفلسطين في ظل دولة الخلافة الإسلامية ١٥هـ - ٤٩٢هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب ٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- أحمد فزاد متولى (د.) تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- أحمد كامل محمود الحاكم بأمر الله وعصره رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.
- أحمد كمال الدين حلى (د.) السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ط. الكويت ١٩٨٦م.
- أحمد محمد عدوان (د.) موجز تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ، ط. الرياض ١٩٩٨م.
- أحمد مختار العبادي (د.) في التاريخ العباسي والفاطمي ، ط. بيروت ب-ث ، في

التاريخ العباسي والأندلسي، ط. بيروت ب-ت، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط. الاسكندرية ب-ت، قسام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ط. بيروت ١٩٨٦م.

- أحمد وصفي زكريا : جولة أثرية في بعض البلاد الشامية وصف طبغرافى تاريخى أثرى عمرانى للبقاع والبلدان الممتدة من شالى الاسكندرونه إلى أبواب دمشق، ط دمشق ١٩٨٤م.

- أدهم الدم ودانبال غورقان وبروس ماسترز : المدينة العثمانية بين الشرق والغرب حلب، أزمير -اسطنبول ت- زلى ذبيان، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

- إدوارد جيبيون : إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ج١، ت. محمد على أبريدة، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

- آرثر كريشمس : إيران في عهد الساسانيين ت- يحيى الخشاب، مراجعة عبد الرههاب عزام، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- آرثر هيرمان : فكرة الإضمحلال في التاريخ الغربى، ت. طلعت الشايب تقديم رمضان ببطاوىسى الشروع القومي للترجمة، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م) ت. محمد أحمد عيسى، ط. القاهرة ١٩٩٠م.

- أرشيد يوسف (د) : سلاجقة الشام من ٤٣٥- ٥٧٠ هـ، ط. الرياض ١٩٨٨م.

- إرنست باركر : الحروب الصليبية ت. السيد الهاز العرنى، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

- أرنولد توينبى . الفكر التاريخى عند الانغريق، ت. لمى المطيعى، ط. القاهرة ١٩٩٠م.

- أسامة زكى زيد (د) : صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٨١م.

- اسير زيتو : التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ؟ ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ٢٠٠٩م.

- اسحق عبيد (د) : روما وبيزنطة من قطيعه فوشيبوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين، ط. القاهرة ١٩٧٠م. الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية

ط. القاهرة ١٩٧٢م ، الفرسان والأقنان في مجتمع الانقطاع ط. بنى غازى  
 ١٩٧٥م ، الدولة البيزنطية في عصر آل باليولوغوس ١٢٦٦-١٢٨٢م . ط.  
 بيروت ب-ت ، الذات والموضوع في كتابات مؤرخي العصور الوسطى قراءة  
 في بوسايوس وبروكريوس ، ضمن كتاب الدراسات التاريخية للحقبة  
 النقاشية (السمتار) - جامعة الكويت ، ط. الكويت ١٩٩٥م ، «جان دارك رؤية  
 من خلال الوثائق» الموسم الثقافي للجمعية التاريخية المصرية ، ط. القاهرة  
 ١٩٧٨م ، من الارك إلى جستنيان ط. القاهرة ١٩٧٧م . «شمس العرب تسطع  
 على أرض النيل» ، ضمن كتاب أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة  
 العربية الاسلامية ، ط. القاهرة ١٩٩٩م . محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها ،  
 ط. القاهرة ١٩٧٨م .

- أسد رستم (د.) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ،  
 جزآن ، ط. بيروت ١٩٢٥-١٩٥٠م ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، ج ٢ ،  
 ط. بيروت ١٩٨٨م .

- إسرائيل شاحاك : التاريخ اليهودي ، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة ، ت.  
 صالح على سوداح ، ط. بيروت ١٩٩٩م .

- إسرائيل والفنسون (د.) : موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ، ط. القاهرة ١٩٩٣م .  
 - إسماعيل سرهنك تاريخ الدولة العثمانية ، تقديم ومراجعة حسن الزين ، ط. بيروت  
 ١٩٨٨م .

- إسماعيل نوري الربيعي (د.) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ط. عمان ٢٠٠٢م .  
 - إسماعيل ياغي (د.) العالم العربي في التاريخ الحديث ط. الرياض ١٩٩٧م ، الدولة  
 العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، ط. الرياض ١٩٩٨م . تاريخ أوروبا  
 المعاصر ، ط. الرياض ٢٠٠٣م .

- أسمت غنيم (د.) امبراطورية جستنيان ، ط. جدة ١٩٩٧م ، «معركة مانزكرت في  
 ضوء وثائق بسطرس» كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨٩م ،  
 الامبراطورية البيزنطية وكرت الإسلامية ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م . تاريخ  
 الامبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م

- اكمل الدين حسان أوعلى (محرر) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ت. صالح سعداوى ط. استانبول ١٩٩٩م.
- ألفريد بتلر : فتح العرب لمصر ، ت. محمد فريد أبرحيد ، سلسلة تاريخ المصريين . ط. القاهرة ١٩٨٩م.
- أنفونس مارييا شيندر «قبور الصحابة في القسطنطينية» ، ضمن كتاب المتنقى من دراسات المشرقين ، ج ١ ، ت. صلاح الدين المنجد ، ط. القاهرة ١٩٩٠م.
- اليكسى جورافسكى الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ت. خلف محمد الجراد ، ط. دمشق ٢٠٠٠م.
- أميرة مصطفى أمين يوسف (د.) «كونرادين وعرش الصليبيين» المؤرخ المصرى. العدد (٢) يناير ٢٠٠٢م.
- أمين معلوف : المحروب الصليبية كسا وأها العرب ت. عفيف دمشقية ، ط. بيروت ١٩٨٩م، ط. بيروت ١٩٩٣م.
- آمال حامد غانم زيان : الإمبراطور الكيسوس كومنن والمحلة الصليبية الأولى فى ضوء كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠٠م.
- أمل أحمد حامد : مجمع ليون الثانى ١٢٢٧م دراسة فى مشروع الوحدة بين كنيستى القسطنطينية وروما فى القرن الثالث عشر الميلادى. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة المنصورة عام ١٩٩٧م.
- أمل سعيد الجابرى : محمد الفاتح وفتح القسطنطينية . ط. الشارقة ٢٠٠٠م.
- أنور محمد الزناتى : زيارة جديدة للاستشراق ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- الأمين أبوسعده (د.) «هيزنطة فى الملاحم العربية قراءة فى سيرة الأميرة ذات الهمة» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- أنور عبد العليم (د.) : الملاحمة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٧٩م.

- أنيس فريحه (د.) : أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها. الجامعة الأميركية ببيروت . ط. بيروت ١٩٥٦م.
- أمين فزاد سيد (د.) الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد . ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- إيناس أحمد السيد عباس (د.) صراع القوى في البحر المتوسط بين البيزنطيين والعرب في الفترة من ٢٥ - ٢٣٢ هـ / ٦٤٥ - ٨٤٦م رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد دراسات البحر المتوسط ، جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠٥م ، الترك في آسيا الوسطى ، ت. أحمد السعيد سليمان ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- بارو : الرومان ، ت. عبد الرازق يسرى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م .
- برنار لازار : مناهضة السامية تاريخها وأسيابها ، ت. ماري شهرستاني ، ط. دمشق ٢٠٠٤م
- برنارد كلى : فتح القسطنطينية ، ت. شكرى محمود نديم ، ط. بغداد ١٩٦٢م .
- برنارد لويس : استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ت. سيد خزان على ، ط. القاهرة ١٩٨٢م. اكتشاف المسلمين لأوروبا ت. ماهر عبد القادر ، ط. القاهرة . ١٩٩٦م.
- برنادين كلى : فتح القسطنطينية ، ت. شكرى محمود نديم ، ط. بغداد ١٩٩٢م.
- بريس راوشباخ : «تعميد كييف» مجلة رسالة اليونسكو. العدد التذكاري بمناسبة مرور ألف عام على تعميد كييف رقم (٣٢) ، نوفمبر عام ١٩٨٨م.
- بول بومار : الفانيكان عاصمة الكشلكة في العالم ت. أنطران الهاشم ، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- بول كيندى: نشر، وسقوط القوى العظمى ، ت. مالك البديرى ، ط. عمان ١٩٩٩م.
- بول وليمان : ثيودورا ، جزآن ، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- بمرل سمابلى : الموزخون في العصور الوسطى ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- ترتون أهل الذمة في الإسلام، ت. حسن حبشى ط. القاهرة ١٩٩٧م
- تركى مسير العتيبي : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية الإسلامي . ط. الرياض ١٩٨٧م.

- حاسم بزنس الحريري (د.) « دور القيادة الكارزمية » ، مركز الدراسات للإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط. أبو ظبي ٢٠٠٣م.
- جان جنبير : المسيحية نشأتها وتطورها ت. عبد الحليم محمود ، ط. القاهرة ١٩٨٨م.
- جان فلوري : الحرب المقدسة ، الجهاد والحرب الصليبية العنف والدين في المسيحية والإسلام ، ت. غسان مايسو. مراجعة د. جلال شحاده ط. دمشق ١٩٩٩م.
- جلال حسنى سلامة (د.) : عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، ط. نابلس ١٩٩٨م.
- جلال يحيى (د.) : التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م.
- جلوب : الفتوحات العربية الكبرى، ت. خيرى حماد ، ط. بيروت ب-ت
- جمال الدين سرور (د.) : تاريخ الدولة الفاطمية ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- جمال الدين الشبال (د.) تاريخ مصر الإسلامية ج٢، العصران الأيوبي والملوكي، ط الاسكندرية ١٩٩٧م.
- جمال فاروق الوكيل : تطور استراتيجية الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلاد في ضوء كتاب مارينو ساندو ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ٢٠٠٠م.
- جمال فوزي محمد عمار (د.) : التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- جمعه الجندي (د.) حكم النورمان في صقلية ١٠٩١-١١١٩ م. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٠ م. حياة الفرنج ونظمهم في بلاد الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين - دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م.
- جميل حرب محمود (د.) : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ط. جدة ١٩٨٨م.
- جوستاف لويون : حضارة العرب ت. عادل زعبيتر ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- جورج عطية « الأثر السرياني في الحياة الفكرية والعلمية في بلاد الشام » ضمن كتاب بلاد الشام في العهد البيزنطي، الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولي الرابع

لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البيهت، ومحمد عصفور ، ط. عمان ١٩٨٨م.

- جروج يونز : معجم الحضارة المصرية القديمة ، ت. أمين سلامة مراجعة سيد توفيق ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- جوزيف كوسي : تاريخ الثورة الفرنسية ط. بيروت ١٩٨٩م.

- جوزيف داهموس : سبعة مؤرخين في العصور الوسطى ت. محمد فتحي الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٨٩م. ، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى ت. محمد فتحي الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٩٢م.

- جوزيف نصيم يوسف (د.) «دراسات في المخطوطات العربية بدير القديسة كاترين في سيناء» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٨م، ١٩٩٩م، «الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية» ، مجلة كلية الآداب- ، جامعة الاسكندرية م (١) ، عام ١٩٦٩م، نشأة الجامعات في العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م ، «أنشودة رولان فيبستها التاريخية وما أثير حولها من نقاش» ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م. ، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤ - ١٤٥٣م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م ، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها ، ط. بيروت ١٩٨٧م. دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م.

- جودفري ريتمان «بحرنا ... البحر المتوسط» ، ضمن كتاب البحر والتاريخ تحديات الطبيعة واستجابات البشر، تحرير أ. رابن ، ت. عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، أبريل ٢٠٠٠م.

- جونز (ج.ر) الحصار العشوائي للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة ، ت. حاتم الطحاري، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- جونز مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ت إحسان عباس ط عمان ١٩٨٨م.

- جيرارد ديمورج : دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية ت. محمد رفعت عواد ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.



- جيمس : الماجنا كارتا (العهد الأعظم) ت. مصطفى طه حبيب. ط. القاهرة ١٩٦٥م.
- جيمس تيتلي : اكتشاف الكتاب المقدس قيام المسيح فى سيناء ، ت. آسيا محمد الطريحي ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- جيمس رستون (الابن) مقاتلون فى سبيل الله صلاح الدين الأيوبي وربشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة ، ت. رضوان السيد ط. الرياض ٢٠٠٢م.
- جيهان عبد المقصود فهمى : السنرات الأخيرة للأسرة المقلونية ، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢م.
- حاتم الطحاوى (د.) بيزنطة والمدن الايطالية ، العلاقات التجارية (٨١-١٢٠١م) ط. القاهرة ١٩٩٨م. ٥٠ جون ل. اسبرزيتو التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ؟ ترجمة قسم عبده قاسم ٢٠٠١ م. J.Esposito, the Islamic Threat . Oxford 1999 Myth or Reality حولية التاريخ الإسلامى والوسيط م (٣) ، عام ٢٠٠٣م. «كريستوفر كوليس يدعو فرديناند وايزابيل لشحن حملة صليبية والاستيلاء على القدس ١٥٠١م» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى مجموعة أبحاث مهدد إلى الأستاذ قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عاماً تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- حازم عبد القهار الرابى : الروح المعنوية للجيش العربى الإسلامى فى صدر الإسلام . ط. بغداد ١٩٩٨م.
- حافظ حمدى (د.) الدولة الخوارزمية والمغول ، ط. القاهرة ١٩٤٩م ، الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى ، ط. القاهرة ١٩٥٠م.
- حامد زيان (د.) : فردريك بارباروسا والحملة الصليبية الثالثة ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.
- حبيب جاماى : تهوديرا المشلة المتوجه ، ط. القاهرة ب-ت .
- حسان حلاق (د.) تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى. الحياة المالية والاقتصادية والإدارة ، ط. بيروت ١٩٨٨م .
- حسن ابراهيم (د.) : الفاطميون فى مصر ، ط. القاهرة ١٩٣٢م ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ط. بيروت ٢٠٠١م.
- حسن الياسا (د.) العنيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، ط. دمشق ٢٠٠١م.

- حسن الساعاني (د.) «منهج أبي الفداء في البحث» ، مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م. ط. دمشق - حماء ١٩٧٤م.
- حسن حبشى (د.) نور الدين والصليبون حركة الإنفاقة الإسلامية فى القرن السادس الهجرى ط. القاهرة ١٩٤٨م ، الشرق الأوسط بين شقى الرعى ، حملة لوبس على مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٤٩م، الحرب الصليبية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- حسن حنفى (د.) مقدمة فى علم الاستغراب ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- حسن صبرى بكري (د.) الاغريق والرومان والشرق الاغريقى الرومانى ، ط. الرياض ١٩٨٥م.
- حسن ظاظا (د.) الفكر الدينى اليهودى ، ط. دمشق ب-ت .
- حسن عبد الوهاب (د.) قيسارية الشام فى التاريخ الاسلامى ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، «مصر وأمن البحر الأحمر فى عصر الحروب الصليبية» ضمن كتاب مقالات للحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، معالم التاريخ البيزنطى السياسى والحضارى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م .
- حسن محمود (د.) : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- حسين ربيع (د.) «البحر الأحمر فى العصر الأموى» ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، إشراف أ.د. أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ط. القاهرة ١٩٨٧م ، ط. القاهرة ١٩٩٥م.
- حسين أحمد أمين (د.) الحروب الصليبية فى كتابات المؤرخين المعاصرين لها ، ط. القاهرة ١٩٨٣م.
- حسين السيد متولى النحال (د.) الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس فى أواخر العصور الوسطى ( ١٣٦٥ - ١٤٠٧م ) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م.

- حسين العرودات : العرب النصارى عرض تاريخي ، ط. دمشق ١٩٩٢م.
- حسين عبد الحسيد الأثرم : دواصات في تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربي ، ط. بي غازي ١٩٩٦م.
- حسين عطية (د.) إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة ، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م ، إمارة أنطاكية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـ) ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م.
- حسين مؤنس (د.) تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الأراض السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م ، فجر الأندلس ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- حسين مجيب المصري (د.) الصلات بين العرب والفرس والترك ، ط. القاهرة ٢٠٠١م
- حكمت شريف (بلد) تاريخ طرابلس الشام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيام ، تحقيق منى حداد يكن وصارون عيسى خوري ، ط. طرابلس ١٩٨٧م.
- حمدي شاهين (د.) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م
- خليل السامرائي (د.) وعبد الواحد ذنون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط. بيروت ٢٠٠٠م.
- خليل إينالجييك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحذار ، ت. محمد الأرنؤوط ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- خليل رستم : القديس بوحنا اللهي الفم ، ط. دمشق ١٩٨٣م.
- داوئي : أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير ، ت. ألبرت بطرس ، ط. بيروت ١٩٦٨م.
- دمترى ميكولسكي المسعودي هيرودوت العرب ، ت. عادل إساعيل مراجعة نوفل ينف ط. دمشق ٢٠٠٦م.
- دنلوب : تاريخ يهود الخزر ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٩٠م.
- دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية ت. حسن جيش ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- دونالد كوانتز : الدولة العثمانية ١٧٠٠-١٩٢٣م ، ت. أين الأرمنادي ، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

- ديفيد سوثير : جغرافية الأديان ت. أحمد غسان سبانو ، ط . دمشق ١٩٩٩م.
- ديفيد صمويل مارجليرث : القاهرة وبيت المقدس ودمشق ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو ، ط. دمشق ٢٠٠٠م. دراسات عن المؤرخين العرب ت. حسين نصار ، ط. القاهرة ٢٠٠١م .
- ديفز أوروبا في العصور الوسطى ت. عبد الحميد حمدي محمود ط. الاسكندرية ١٩٥٨م، شارلمان، ت. السبد الباز العريضي ط. القاهرة ١٩٥٩م.
- ديمتري غوتاس الفكر اليوناني والثقافة العربية حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر، القرن الثاني - القرن الرابع هـ / القرن الثامن - القرن العاشر م . ت. نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط. بيروت ٢٠٠٣م.
- ذكرى عزيز محمد صالح الصائغ : عصر الملك الكامل الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الموصل عام ١٩٨٨م.
- رأفت الشيخ (د) ومحمد رفعت (د) أسيا في التاريخ الحديث والمعاصر ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- رأفت عبد الحميد (د) « كنيسة بيت المقدس في العصر البيزنطي » المجلة التاريخية المصرية م (٢٥) عام ١٩٧٨م. «الملكية الأثينية بين الوراثة والانتخاب في العصور الوسطى» ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسط، م (٢) ، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٣م . الدولة والكنيسة ج٢، قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ط. القاهرة ١٩٩٩م. «مصر والعرش البيزنطي» ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم رؤوف عباس، ط. القاهرة ١٩٨٦م ، «سوزيين المزرع الغراوى» ضمن ندوة فلسطين عبر التاريخ إعداد حامد غانم زيان ، مركز البحوث والدراسات التاريخية - جامعة القاهرة ، ط القاهرة ١٩٩٦م ، «بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة ط. القاهرة ١٩٩٧م » «الثورة الشعبية في القسطنطينية ٥٣٢م» ، ضمن كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م ، «مصرع حوليان الفيلسوف الإمبراطور» ضمن كتاب قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعي ، ط. عمان ١٩٩٧م. «الملك الكامل بين

- الإقراط والتفريط ، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ط.  
القاهرة ١٩٩٨م. الإمبراطورية البيزنطية العنيدة والسياسة ط. القاهرة  
٢٠٠٠م. الفكر المصري في العصر المماليكي ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م. الدولة  
والكنيسة المسيحية الجديدة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- رجب محمد عبد الحليم (د.) دولة بني حمود في مالع بالأنلس، رسالة ماجستير، كلية  
الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م.
- وشتر فترز : تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادى، ت. زكى على  
ومحمد سليم سالم، ج ١ ، ط. القاهرة ١٩٥٧م.
- رشاد خميس (د.) سيرة سيد بطل غازى فى القصص الشعبى التركى وأثر الصراع  
الإسلامى البيزنطى فيها، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب، جامعة  
عين شمس عام ١٩٨٨م.
- وشدى الأشهب : المعالم الأثرية فى فلسطين ، ط. القدس ١٩٩٧م.
- رضا هادى عباس (د.) الأنلس محاضرات فى التاريخ والحضارة ط. قاليتا- مالطه  
١٩٩٨م.
- رمزى : تلفيق الأخبار وتلفيق الآثار فى وقائع غازان وملوك التتار ، م (١١) . ط.  
أورنورغ ١٩٠٨م .
- روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ت. صالح العلى ، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- وهرنس (ج.م) موجز تاريخ العالم ج ١ . ت فارس قطا ، ط. دمشق ٢٠٠٤م.
- وويرت لوبيز : ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠ - ١٣٥٠ ت. محمود أبو صوة ،  
ط. قاليتا- مالطه ١٩٩٧م.
- وعون استانبولى مفاتيح أورشليم القدس ، حملتان صليبيتان على مصر ١٢٠٠ -  
١٢٥٠ ، ت. عابدة الباجورى تقديم ومراجعة أ.د. اسحق عبيد ط. القاهرة  
٢٠٠٤م.
- رنبه جروسبه : الحروب الصليبية ، صراع الشرق والغرب ، ت. أحمد أبيش ، ط.  
دمشق ٢٠٠٢م.
- زاكبة رشدى (د.) «تاريخ الأدب السرمانى» مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس ،  
م (١٧) عام ١٩٧٣م.

- زاهر رياض (د.) شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٨١م.
- زيدة عطا (د.) الترك في العصور الوسطى بينزطة وسلاجقة الروم والعثمانيين ، ط. القاهرة ب-ت ، ط. القاهرة ١٩٧٧م. المقاتل البيزنطي ، ط. المنيا ١٩٨٢م.
- الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- زكى النقاش (د.) العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٥٨م.
- زهرة الببلي التاريخ يصنعه المرضى ، ط. القاهرة ١٩٨٥م مدينة القدس وجوارها خلال الفترة ١٢١٥هـ / ١٢٤٥هـ / ١٨٠٠-١٨٣٠م ط. عمان ١٩٩٦م.
- زينب بيده چكلى شعر الشروات الفاخلة في العهد العثماني ، ط. عمان ١٩٩٩م. ذات السواري ط. الشارقة ٢٠٠٦م.
- زينب عبد القوى (د.) الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩-١٢٩١ ط. القاهرة ١٩٩٩م. «جامعة أكسفورد في العصور الوسطى» حولية التاريخ الإسلامي والوسطى م (٣) ، عام ٢٠٠٣م. اليهود في إنجلترا العصور الوسطى، ١٠٦٦-٢٩٠م ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.
- زينب عصمت راشد (د.) تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ط. جدة ١٩٨٩م.
- سالم مخيمر (د.) وخالد حجازى أزمة المياه في المنطقة العربية الحقائق والبدائل الممكنة سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٦م.
- ستيفن رنسيان المحاصرة البيزنطية، ت. عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة زكى على ، ط. القاهرة ١٩٦٤م ، المسيحيون العرب في فلسطين ، ط. اسكس ١٩٦٨م.
- تاريخ الحروب الصليبية ت. السيد الباز العريش ، ط. بيروت ١٩٦٧-١٩٦٩م. ط. بيروت ١٩٩٣م.
- سر الحتم عثمان (د.) مدينة صور في القرنين ١٢ ، ١٣ م. رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.
- سرور عبد النعم (د.) السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك

فولك الأنجوى ١١٣١-١١٤٣ / ٥٢٦ - ٥٣٨ هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠ م . وجود فرى دى بويون حاكماً للمكيان الصليبي ١٠٩٩ - ١١٠٠ م ، مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس عدد عام ٢٠٠٤ م .

- سعد ماهر (د.) البحيرة فى مصر الإسلامية وأثارها الباقية ، ط. القاهرة .
- سعد رستم ، الشرح فى الأنجيل الأربعة وفى رسائل القديسين بولس ويوحنا ط. دمشق ٢٠٠٢ م. الفرق والمذاهب المسيحية من ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية ، ط. القاهرة ٢٠٠٤ م.
- سعد السعدى : معجم الشرق الأوسط ط. بيروت ١٩٩٨ م.
- سعد زغلول عبد الحميد (د.) الاسكندرية قاعدة عسكرية فى القرن الأول من تاريخها العربى وموقعة الصواري، ضمن كتاب سواحل مصر عبر العصور، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠١ م.
- سعيد أحمد براجوى ، الدولة العثمانية تاريخها السياسى والعسكرى ، ط. بيروت ١٩٩٣ م.

- سعيد عبدالله البيشارى (د.) نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠ هـ / ١٠٩٩-١٢٩١ م ط. عسّان ١٩٩٠ م. المشكلات الكنسية فى ملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١ م / ٤٩٢-٦٩٠ هـ ط. الاسكندرية ١٩٩٠ م . والأراضى الزراعية ومنشجاناتها فى الحليل فى العصر الفرنجى ٤٩٢-٥٨٣ هـ / ١٠٩٩-١١٨٧ م ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصر الوسطى ، تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٣ م ، والاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق المحيطة بها (١٠٩٩-١١٨٧ م ، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصر الوسطى ، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خفيس ، ط . الاسكندرية ٢٠٠٤ م .

- سعيد السيد على فرغلى (د.) وإضحلال حكم الأنجلوسكسون فى إنجلترا ٩٧٩-١٠٦٦ م / ٣٦٨ - ٤٥٨ هـ . بحث ضمن كتاب بحوث فى تاريخ

العصور الوسطى ، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ط.  
الاسكندرية ٢٠٠٤م.

- سعيد عاشور (د.) أوروبا العصور الوسطى - التاريخ السياسي ط. القاهرة ١٩٩٢م، ط  
القاهرة ١٩٧٢م، ط . القاهرة ١٩٨١م. «الامبراطور فردريك والمشرق العربي»  
المجلة التاريخية المصرية ، عدد عام ٩٦٣م الحركة الصليبية صفحة مشرقة في  
تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٣م. أضواء جديدة  
على الحروب الصليبية . ط. القاهرة ١٩٩٤م. تاريخ العلاقات بين الشرق  
والغرب في العصور الوسطى ، ط. بيروت ٢٠٠٣م.

- سعيد عاشور (د.) ومحمد أنيس (د.) النهضة الأوروبية في العصور الوسطى وبداية  
الحديثة ط. القاهرة ١٩٥٦م.

- ساري بالحاج صالح (د.) المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع  
الهجري / العاشر الميلادي ، ط . بيروت ١٩٩٧م.

- سليم شعشوع . صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس ، شفا عمرو-  
فلسطين ١٩٩٠م .

- سليم عرفات المبيض النصرانية وآثارها في غزة وما حولها ط. غزة - فلسطين ١٩٩٨م.

- سليمان الخرابشة ، الصراع الفاطمي- السلجوقي في بلاد الشام ٤٤٧ - ٥٦٦ هـ /  
١٠٠٥ - ١١٧٠م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين

شمس عام ١٩٩٠م.

- سليمان الرحيلي (د.) العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهد  
الخليفة هارون الرشيد والامبراطور شارلمان ط. الرياض بـت .

- سميرة يونس (د.) النورمان والدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر ط. القاهرة  
١٩٩٥م .

- سها إبراهيم منصور ، جامعة اكسفورد نشأتها وتطورها ، رسالة ماجستير غير منشورة  
كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.

- سهير نعيم (د.) والعلاقات التجارية بين المدن الإيطالية ومصر والشام في القرنين  
١١ ، ١٢ الميلاديين في ضوء الوثائق التاريخية ضمن كتاب بحوث في تاريخ



- العصور الوسطى كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير  
على أحمد السيد وإبراهيم خيس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- سهيل زكار (د.) «أبو الفداء» ، ضمن مؤرخ المزيخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حواء  
فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣ - ١٣٣١م ط. دمشق - حواء  
١٩٧٤م ، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ط. دمشق ١٩٨١م ، الحروب  
الصليبية ، ت. سهيل زكار ط. دمشق ١٩٨٤م ، الموسوعة الشامية عدة أجزاء  
، ط. دمشق ١٩٩٣ - ١٩٩٥م.
- سهيل زكار (د.) ووفاء جرنى (د.) واكتساح إسماعيل (د.) حروب الفرنجة  
(الصليبية) ، ط. دمشق ٢٠٠٥م .
- سيار الجميل (د.) العثمانيون وتكوين العرب الحديث ، ط. بيروت ١٩٨٩م .
- السيد الياز العيسى (د.) أجناد الروم ، ط. القاهرة ١٩٥٦ ، الدولة البيزنطية ٣٢٣ -  
١٠٨١م ط. القاهرة ١٩٦٠م ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٢م ،  
الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ط. القاهرة ١٩٦٣م.
- سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب ت. عفيف البعلبكي ، ط. بيروت ١٩٩٠م .
- سيد الناصرى (د.) تاريخ الامبراطورية الرومانية الساسية والحضارى ط. القاهرة  
١٩٧٥م ، الروم والشرق العربى ط. القاهرة ١٩٩٣م .
- السيد عبد العزيز سالم (د.) التاريخ والمؤرخون العرب ط. الاسكندرية ١٩٧٦م ، تاريخ  
المحاصرة الإسلامية ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، طرابلس الشام فى التاريخ  
الاسلامى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م.
- سيد كاشف (د.) مصر فى عصر الولاة ، ط. القاهرة ب-ت .
- شارل دبل ، البندقيّة جمهورية أوستراطية ت. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ،  
ط. القاهرة ١٩٤٨م.
- شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ت. مصطفى طه بدر ، ط. القاهرة ١٩٥٣م . ط.  
القاهرة ١٩٦٠م.
- شاهر أبويدر ، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ط. بيروت ب-ت .
- شاهر مصطفى (د.) «دخول الترك الفز إلى الشام» ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام من

- القرن السادس إلى القرن السابع عشر المؤرخ العربي لتاريخ بلاد الشام ط. بيروت ١٩٧٤م ، التاريخ العربي والمؤرخون ط. بيروت ١٩٨٠م.
- شعاده على الناطور (د) تاريخ صدر الإسلام وفجره ، ط. عمان ٢٠٠١م.
- شهبان محمد خلف هشاريا والحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢١٨م / ٤٨٩-٦١٤هـ) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة المنيا عام ٢٠٠٤م.
- شكرى فيصل (د) حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى ط. بيروت ١٩٧٤م.
- شمس الدين الكيلانى ، صورة أوروبا عند العرب فى العصور الوسطى ، ط. دمشق ٢٠٠٤م.
- شوقى الجمل (د) وعبدالله عبد الرازق (د) تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- شوقى شعث ، القدس العربية الإسلامية الماضى الحاضر المستقبل ، ط. الشارقة ٢٠٠١م.
- صابر دياب (د) المسلمون وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والشغور الجزيرة والشامية خلال القرن الرابع الهجرى ، ط. القاهرة ١٩٨٤م .
- صبرى أبو الخير (د) تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- صالح السعدون ، فتح القسطنطينية ط. دمشق بـت . العلاقات الخارجية للأندلس فى عهد الإمارة ط. الرياض بـت .
- صبحى عبد الحميد ، معارك العرب الحاسمة ، ط. بيروت ١٩٨٢م.
- صلاح الدين المنجد (د) المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ق (٢) ، ج (١) عدد مايو ١٩٥٦م . معهد المؤرخين الدمشقيين ، ط. بيروت ١٩٧٤م .
- صلاح الدين بحيرى (د) أشكال الأرض ، ط. دمشق ١٩٧٩م .
- صلاح الدين المنجد (د) الشرق فى نظر المفاراة والأندلسيين فى القرون الوسطى . ط. بيروت ١٩٦٢م .
- صلاح ضبيع (د) العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية فى عصر

- آل باليولرغوس ١٢٦١-١٤٥٣م رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي عام ١٩٩٨م.
- صلاح هريدي (د) دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ط. الاسكندرية ١٩٩٩-٢٠٠٠م.
- ضيف الله بظاينه (د) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط. عمان ١٩٩٩م.
- طارق منرى (د) «المسيحيين الشرقيين والإسلام» ضمن كتاب العلاقات الاسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ط. بيروت ١٩٩٤م.
- طارق منصور (د) الجيش في الامبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادي رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة الزقازيق فرع بنها عام ١٩٩٣م. الروس والمجتمع الدولي ٩٤٥-١٠٥٤م ط. القاهرة ٢٠٠١ م ، قطوف الفكر البيزنطى أولاً: الأدب ط. القاهرة ٢٠٠٢م. «ساربا المصرية فتوح للقصص الديني في العصور الوسطى». ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى أولاً: الأدب ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م. «الملحة البيزنطية ديجنيس اكريتيس رؤية أدبية » ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى أولاً: الأدب ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م. بيزنطة والعالم الخارجى ج٩، البيزنطيون والعالم الإسلامى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «فن القتال عند البيزنطيين دراسة في الاستراتيجية في ضوء تكتيكا ليو الحكيم» ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى أبحاث مهبدة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عاماً تحرير حاتم الطحاوى ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «النار الاغريقية - قراءة جديدة في ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية» ، حولية التاريخ الإسلامى والوسطى ، م (٤) ، عام ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥ م.
- طارق منصور (د) ووافقت عبد الحميد (د) مصر في العصر البيزنطى ٢٨٤-٦٤١م ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- طارق منصور (د) ومحاسن الرقاد (د) النفط واستخدامه وتطوره عند المسلمين ٦٤-٩٢٣هـ / ٦٨٤-١٥١٧م ط. القاهرة ٢٠٠٦م
- عائشة بنت عبد الله ، البحر الأحمر في العصر الأموى ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م.

- عائشة سعيد أبو الجدايل (د.) الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي / الأول الهجري دراسة التطورات والتغيرات ط. الرياض ١٤١٥ هـ .
- عادل زيشون (د.) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ط. دمشق ١٩٨٠م . العلاقات الاقتصادية في العصور الوسطى ط. دمشق ١٩٨٠م . تاريخ العصور الوسطى الأوروبية ، ط. دمشق ١٩٨٢م ، ملاحظات على أطروحة هنري بيريمن من خلال كتاب ومحمد وشارلمان ، ضمن الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السنار) ، قسم التاريخ - كلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٩٣-١٩٩٤م .
- عارف تامر (د.) الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين - الحاكم بأمر الله ، ط. بيروت ١٩٨٠م .
- عاطف مرقص (د.) قبرص والحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م .
- عبد الحفيظ محمد علي (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عصر حنا كومنين ١١١٨-١١٤٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م .
- عبد الحميد البطريق (د.) وعبد العزيز سليمان نوار (د.) التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ، ط. القاهرة ١٩٩٧م .
- عباس إسماعيل الصايغ (د.) تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية ، الحرب والسلام بين العثمانيين والصغريين ، ط. بيروت ١٩٩٩م .
- عباس إقبال ، تاريخ المغول ضد حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، ت. عبد الرهاب عروب ، المجمع الثقافي ، ط. أبو ظبي عام ٢٠٠٠م .
- عباس عزادي ، التعريف بالمؤرخين ، ط. بغداد ١٩٨٧م .
- عباس عمار : المداخل الشرقي لمصر ، ط. القاهرة ١٩٤٦م .
- عباس فاضل السعدي (د.) ياقوت الحسري دراسة في التراث الجغرافي العربي مع التركيز على العراق في معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٩٢م .
- عباس محمود العقاد عبقرية خالد ، ط. القاهرة ١٩٩٩م .

- عباس التكروري ، موسوعة الخلفاء الراشدين ، ط . عمان ٢٠٠٣ م.
- عبد الجبار الجومرد (د) هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلاته ، ط. بيروت ١٩٩٩ م.
- عبد الجبار السامرائي (د) الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة ، الفصيل ، العدد (٥٥) ، محرم ١٤٠٢ هـ / نوفمبر ١٩٨١ م.
- عبد الحافظ البنا (د) النظام الاتفاقي في المملكة اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤ - ١٢٦١ م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الزقازيق عام ١٩٩٨ م.
- عبد الرحمن حميدة (د) «أبواب الفداء» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافي أبو القداء صاحب حساء - في ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته عام ١٢٧٣ - ١٣٣١ م ط . دمشق - حساء ١٩٧٤ م. وطريق التحرير بين ابن بطوطة وماركوبولو مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق السنة (١٢) ، العددان (٣٩) كانون الأول ١٩٩١ م.
- عبد الرحمن زكي (د) ومحمود عيسى المغرب بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٤٧ م.
- عبد الرحمن سامي القول الحق في بيروت ودمشق ، ط. بيروت ١٩٨١ م.
- عبد الرحمن العبد الغني (د) دفرتيوس والقطيعة بين كنيسة روما والقسطنطينية في القرن التاسع الميلادي ، عالم الفكر، العدد (٣) أوتير - ديسمبر ١٩٨٩ م.
- عبد الرازق محمد أسود ، موسوعة الأديان والمذاهب ، ط. بيروت ٢٠٠٠ م.
- عبد السلام الزمانيني (د) «أزمة التاريخ الإسلامي ج ١ ق ٢» ، ط. الكويت ١٩٨٢ م.
- عبد السلام زيدان (د) الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧ - ١١٤٩ م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي عام ٢٠٠٠ م.
- عبد السلام عبد العزيز فهمي (د) السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، ط. دمشق ١٩٩٣ م.

- عبد الشافي محمد عبد اللطيف (د.) العالم الإسلامي في العصر الأموي ٤١ - ١٣٢ هـ / ٦٦١ - ١٧٥٠ م. ط. القاهرة ١٩٨٤م.
- عبد العزيز الدوي (د.) العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي . ط. بغداد ١٩٩٧م . نشأة علم التاريخ عند المسلمين . مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط. أبوظبي ٢٠٠٠م.
- عبد العزيز رمضان (د.) العلاقات البيزنطية - اللاتينية في عهد الامبراطور مانويل الأول كومنينوس ١١٤٣ - ١١٨٠م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م . المرأة البيزنطية من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي رسالة دكتوراه - كلية الآداب ، جامعة عين شمس عام ٢٠٠٣م . «مدخل إلي مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الانترنت» حولية التاريخ الإسلامي والوسط . م (٣) عام ٢٠٠٣م .
- عبد العزيز عبد الغايم (د.) إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي . رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.
- عبد العزيز سليمان نوار (د.) التاريخ الحديث أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية- البروسية ١٧٨٩ - ١٨٧١ . ط. القاهرة ب-ت . تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- عبد العزيز سليمان نوار (د.) ومحمود محمد جمال الدين (د.) التاريخ الأوربي الحديث عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- عبد الغنى محمود عبد العاطي (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الكسبروس كومنين . ط. القاهرة ١٩٨٣م .
- عبد الفتاح الغنيمي (د.) معركة بلاط الشهداء في التاريخ الاسلامي والأوربي ، ط. القاهرة ١٩٩٦م . الاسلام والثقافة العربية في أوروبا . ط. القاهرة ١٩٧٩م.
- عبد القادر اليوسف (د.) الإمبراطورية البيزنطية . ط. بيروت ١٩٦٦م . المصور الوسطى الأوروبية . ط. صيدا ١٩٦٧م علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، ط. صيدا ١٩٦٩م.
- عبد القادر طليمات (د.) ابن الأثير المزيخ ، ط. القاهرة ١٩٦٩م .

- عبد اللطيف حمزة (د.) أدب الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٩م .
- عبد اللطيف عبد الهادي السيد (د.) «دراسة نقدية لتهج الكتابة التاريخية عند جاك دي فستري» ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تحرير محمد مؤنس عوض . ط. القاهرة ٢٠٠٣م .
- عبد الله بن سعيد الفامدى (د.) مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عباد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود ، جامعة أم القرى- سلسلة بحوث الدراسات الإسلامى، مكة المكرمة ١٤١٤هـ .
- عبدالله الربيعي (د.) «الدوافع الدينية للحركة الصليبية ضمن ندوة الاطار التاريخي للحركة الصليبية وإتجاه المؤرخين العرب» ط. القاهرة ١٩٩٦م .
- عبدالله عتان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ط. القاهرة ١٩٧٣م .
- عبدالله محمد عبد الرحمن (د.) علم اجتماع التنظيم ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م .
- عبد المنعم ماجد (د.) الحاكم بأمر الله الخليفة المقتدر عليه ، ط. القاهرة ١٩٥٩م .
- العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٦٦م .
- التاريخ السياسى للدولة العربية ج٩ ، ط. القاهرة ١٩٦٧م . ط. القاهرة ١٩٧٩م .
- العصر العباسى الأول أو القرن الذهبى فى تاريخ العباسيين التاريخ السياسى ، ط. القاهرة ١٩٧٣م . ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، ط. القاهرة ١٩٨٥م ، الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٩٧م .
- عبد النعيم حسنين (د.) سلاجقة إيران والعراق ، ط. القاهرة ١٩٧٠م ، دولة السلاجقة ، ط. القاهرة ١٩٧٥م .
- عبد الواحد داود الاشورى ، الانجيل والصليب ، قدم له وعلق عليه محمد على سلامة ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م .
- عثمان تيزان ، الأناضول فى عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ت. على عروء الفامدى. ط. الرياض ١٤١٨هـ .
- عرفان شهيد ، روما والعرب مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب ت. محمد فهمى عبد الباقي محمود ، ط. القاهرة بـت

- عرفان عبد الحميد فتاح (د.) النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، ط. عمان ٢٠٠٠م.
- العروسي المطري ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، ط. تونس ١٩٥٤م .
- عزت زكي حاصد قادوس (د.) الحملات اليونانية والهيلينية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م .
- عزيز أحمد (د.) تاريخ صقلية الاسلامية ، ت. أمين توفيق الطيبي ، ط. بيروت ١٩٨٠م.
- عزيز سوريال عطية (د.) العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ت. فيليب صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٢م. الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ت. فيليب صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، تاريخ المسيحية الشرقية ، ت. إسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.
- عصام الدين عبد الرؤف (د.) بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، ط. القاهرة ب.ت.
- عصام محمد شبارو (د.) السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري ، ط. بيروت ١٩٩٤م. الأندلس من الفتح العربي المرسود إلى الفردوس المفقود ٩١-٨٩٧هـ / ٧١٠-١٤٩٢م ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- عطية القوصي (د.) اليهود في ظل الحصار الإسلامية ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- عفاف صبره (د.) العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة ١١٠٠-١٤٠٠م ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. والجزيرة الفراتية بين الصراع الفارسي البيزنطي من القرن الرابع الميلادي إلى الفتح الإسلامي ما قبل ٨-٦٦١هـ / ٦٦٩-٦٨٢م ، المجلة التاريخية المصرية م (٤٣) ، عام ٢٠٠٥م.
- علاء الدين حسين مكى ، فن الحرب عند العرب دراسة في الفتوحات الكبرى في العصر الراشدي ، ط. بغداد ١٩٩٩م.
- على أبو عساف وطريق الحرير والطرق التجارية الأقدم مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق السنة (١٢) ، العددان (٣٩) ، (٤٠) كاتون الأول ١٩٩١م.
- على أحمد السيد (د.) التحليل والحرم الابراهيمي في عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩-



١١٨٧م / ٤٩٢ - ٥٨٣هـ ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- على السيد على (د.) «الفناء الكبير» والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي - دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، المجلة التاريخية المصرية م (٣٣) عام

١٩٨٦م، المجلة التاريخية المصرية عدد ( ) عام ١٩٩٠م.

- على السيد على (د.) وقاسم عبده قاسم (د.) الأبريون والماليك التاريخ السياسي ، ط. القاهرة ١٩٩٦م .

- على العواجي (د.) مواقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية في الفترة من ١٠٩٥هـ / ١٠٩٥م إلى ١٢٩١هـ / ١٢٩١م. رسالة دكتوراه غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٩م.

- على الفسراوي (د.) ملحمة البطولة الجرمانية ، ط. القاهرة ١٩٧٢م والمصادر الهجيرية جرافية قبل النهضة الكارولنجية ، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت ، العدد (٤) عام ١٩٧٢م. «المؤلفات الدينية في أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس حتى القرن الثامن» ، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، عدد ديسمبر كانون الأول ١٩٧٤م. مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبي الوسيط ، ط. القاهرة ١٩٧٥م ومعالم ألمانيا التاريخية Monumenta His-torica مجسومة مصادر التاريخ والتراث الألماني في العصور الوسطى ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عدد عام ١٩٨٦م .

- على بكر حسن (د.) الطبري ومنهجه في التاريخ ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م .

- على بن ابراهيم النملة (د.) التنصير في المراجع العربية دراسة ووصد وواقى للمطبع ، ط. الرياض ٢٠٠٣م.

- على حسنى الخربوطلى (د.) الإسلام وأهل الذمة ، ط. القاهرة ١٩٦٩م .

- على حسين الشطشاط (د.) نهاية الوجود العربي في الأندلس ، ط. القاهرة ٢٠٠١م

- على صالح محييد (د.) الفزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ط. الرياض ١٩٨٢م .

- على عبد العظيم تعليل (د.) الحركات الحديثة للقشرة الأرضية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م .

- على عرود الغامدي (د.) «معركة مرياكيفالون ٥٧٢هـ / ١١٧٦م» مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى، العدد الأول، السنة الأولى، مكة المكرمة عام ١٤٠٩هـ.
- على محمد الصلاحي (د.) الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، ط. بيروت ١٩٩٩م، الشرف والتصامى بحركة الفتح الإسلامى، ط. القاهرة ٢٠٠١م. فنانح القسطنطينية، السلطان محمد الفاتح، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، الدولة الأموية، عوامل الإزدهار وتفاعلات الإنهيار، ط. الشارقة، ٢٠٠٦م.
- عليا، ديب تيريزي، المخطوط الأعظم لتحرير القدس، نور الدين محمد، ط. صيدا ٢٠٠٣م.
- عليه الجنزوري (د.) المرأة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٠م، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧-١٠٥٦م، ط. القاهرة ١٩٨٩م، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ط. القاهرة ١٩٨٦م. الإمبراطورة إيريني، ط. القاهرة ١٩٨١م. هجمات الزوم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- عماد الدين خليل (د.) الإشارات الأرتقية فى الجزيرة الفراتية ١٠٧-١٤٠٩م / ٤٦٥-٨١٢هـ، ط. بيروت ١٩٨٠م. عماد الدين زنكى، ط. بيروت ١٩٨٢م. «فلسطين فى الأدب الجغرافى العربى»، ضمن كتاب دراسات تاريخية، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- عمر عبد السلام تدمرى (د.) «دار العلم فى طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجرى» مجلة عالم الفكر، م (١٢)، الكويت عام ١٩٨١م لبنان من الفتح الإسلامى حتى سقوط الدولة الأموية ١٣-١٣٣٢هـ / ٦٣٤-٧٥٠م، ط. طرابلس ١٩٩٠م، لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية ١٣٢-٣٥٨هـ / ٧٥٠-٩٦٩م، ط. طرابلس ١٩٩٢م لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٣٥٨-٥١٨هـ / ٩٦١-١١٢٤م، ط. طرابلس ١٩٩٤م. «مدينة صرر فى كتابات المزرخين والرحالة من الفتح الإسلامى حتى التحرر من الصليبيين» ضمن كتاب صرر من العهد الفينيقى

إلى القرن العشرين. منتدى صدر الثقافي ١٥-١٦ حزيران ١٩٩٧ م . ط. صدر ١٩٩٧ م.

- عمر فروخ (د.) «أبو الفداء وتعليل التاريخ» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافي أبو الفداء صاحب حماء في ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٢١ م . ط. دمشق ١٩٧٤ م.

- عمر كمال توفيق (د.) الامبراطور نقفور لوكاس واسترجاع الأراضي المقدسة ، ط. الاسكندرية ١٩٥٩ م. مقدمات العدوان الصليبي الامبراطور يوحنا ترميسكوس وسياساته الشرقية ، ط. الاسكندرية ١٩٦٦ م. المؤرخ ولیم الصوري ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م (٢١) عام ١٩٦٧ م . تاريخ الدولة البيزنطية . ط. الاسكندرية ١٩٩٧ م . ط. الاسكندرية ١٩٩٥ م .

- عبيد علي الحفاف (د.) ومحمد أحمد عقله المومني (د.) دراسات في التراث الجغرافي العربي الإسلامي ، ط. عمان ١٩٩٩ م .

- الفزى ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط. حلب ١٩٤٢ م.

- الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ط. بيروت ب-ت .

- فاروق عز الدين (د.) القدس تاريخياً وجغرافياً ، ط. القاهرة ١٩٨١ م .

- فاروق عمر قزوى (د.) العباسيون الأوائل ١٣٢-٣٤٧ هـ / ٧٤٩-٨٦١ م الثورة - الدولة المعارضة ، ج ٢ ، ط. عمان ٢٠٠٣ م.

- فاروق عمر قزوى (د.) ومحسن محمد حسين (د.) الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الاسلامي الوسيط ، ط. رام الله ١٩٩٨ م

- فازيليف ، العرب والروم ت. محمد عبد الهادي شعيرة ، ط. القاهرة ب-ت .

- فاطمة الشناوى (د.) معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر ١١٣٧-

١٢٩١ م / ٥٣١ - ٦٩١ هـ) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب -

جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٧ م.

- فاطمة مصطفى عامر (د.) تاريخ أهل اللغة في مصر الاسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي ، ط. القاهرة ٢٠٠٠ م.

- فايد حماد عاشور (د.) العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م.
- فردريك يو البراكين والزلازل ت. الدمرداش سرحان ، ط. القاهرة ١٩٧٩م.
- فرديناند بروديل تاريخ وقواعد الحضارات ت. حسين شريف ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، البحر المتوسط المجال والتاريخ ت. يوسف شلب الشام ، ط. حصص ٢٠٠١ م .
- فايز نجيب إسكندر (د.) دراسة لانقالية تجارية بين إمبراطورية طرابيزون والبندقية سنة ١٣٦٤م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م نيكثاس خونيانس واعترافه بشامح المسلمين ومبررة الصليبيين قراءة نقدية لشجاذات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. المنصورة بـت ، الفشرحات الاسلامية لأرمينية (١١-٤٤٠ / ٦٣٢-٦٦١م) ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م وبنى الرهاى والحملة الصليبية ١٠٩٢-١٠٩٩م / ٤٨٨-٤٩٢هـ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط. المنصورة بـت ، البيزنطيين والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد (١٠٧١-٤٦٣هـ) في مصنف تقيفرد يرتينوس مقارنة للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م. أسرة برنيسوس ودورها في التاريخ البيزنطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م. استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية أنى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م ، مصر فى كتابات المهجاج الروس فى القرن الرابع عشر ، والخامس عشر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م. بنيامين الأول البطريرك الثامن والثلاثون بين نهاية العصر البيزنطى ونهاية الفتح الإسلامى لص ٦٢٣-٦٦٢م) ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ج ١ ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- فضى عثمان (د.) الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحرسى والاتصال الحضارى، ٣ أجزاء ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.
- فتحة النبراوى (د.) «حياة الإمبراطور الكيسوس كوستين كصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن ١٢م» المجلة التاريخية المصرية م (٢٧) عام ١٩٨١م ، علم التاريخ دراسة فى مناهج البحث، ط. القاهرة ١٩٩٦م
- فزاد عبد المعطى الصياد (د.) المغول فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م.

- فوزى رضوان العربى (د.) «بيت المقدس تحليل تاريخى» ضمن الندوة الدولية القدس التاريخ والمستقبل تقديم أ.د. محمد رأفت محمود لمحرر محمد إبراهيم منصور ، ط. أسبوط ١٩٩٧م.
- فوزى مكوى (د.) تاريخ العالم الاغريقى وحضارته من أقدم عصوره حتى عام ٣٣٢ق.م. ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- فلاديمير سينفر ، حياة جنكيز خان الإدارية والمباسبية والعسكرية ، ت. محمد بن حذيفة الغامدى ، ط. الرياض ١٩٨٣م.
- فيصل السامر (د.) ابن الأثير ، ط. بغداد ١٩٨٦م.
- فيليب حتى (د.) لبنان فى التاريخ ت. أنيس فريحه ونقلوا زيادة ، ط. بيروت ١٩٥٩م.
- قاسم عبده قاسم (د.) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٧٩م.
- «الشعر والتاريخ دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٨) ، (٢٩) عام ١٩٨١-١٩٨٢م.» والدوافع الاجتماعية فى الحركة الصليبية « ندوة التاريخ الإسلامى والوسطى م (٢) لمحرر قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، الخلفية الأيدولوجية للحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٣م . دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، ط. القاهرة ١٩٨٨م ، ماهية الحروب الصليبية ، الأيدولوجية - الدوافع ، النتائج ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٠م ، عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسى والاجتماعى ، ط. القاهرة ١٩٩٤م . السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- قتيبة الشهابى وصمود دمشق أمام الحملات الصليبية ، ط. دمشق ١٩٩٨م .
- قسطنطين زريق (د.) « ما ساهم به المؤرخون العرب فى المائة السنة الأخيرة فى دراسة التاريخ العربى عن فترة الحروب الصليبية» مجلة الأبحاث - الجامعة الأمريكية بيروت السنة (١٢) ، ج ٤ يونيو ١٩٥٩ م ، «عبرة من عصر أبى الفداء» ضمن مؤتمر المؤرخ والمجترافى أبو الفداء صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م ، ط. دمشق - حماء ١٩٧٤م .

- ٤ - كارول بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ت. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط. بيروت ١٩٩٨ م .
- كارولين جولر ، مستشرق المدرسة الإيطالية ت. رانيا قرداحي ، ط. دمشق ٢٠٠٥ م .
- كارين أرمسترونج ، الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم ، ت. سامي الكعكي ، ط. بيروت ٢٠٠٤ م .
- كامل عباد ، « المؤرخ أبو الفداء ومنزلته العلمية » ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣ - ١٣٣١ م ، ط. دمشق - حماء ١٩٧٤ م .
- كرانسكو فسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ت. صلاح الدين هاشم ، ط. القاهرة ١٩٥٧ م .
- كريستوفر دوسن تكوين أوروبا ، ت. محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٦٧ م .
- كمال أمين محمد حسب الله ( د .) إمارة أنطاكية الصليبية (١٠٩٨ - ١٢٩٨ م) رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٩٠ م .
- كمال الدسوقي ( د .) تاريخ ألمانيا ، ط. القاهرة ١٩٦٩ م .
- كمال السيد أبو مصطفى ( د .) دراسات أندلسية فى التاريخ والحضارة ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧ م .
- كويلاد وفينوجرادوف الإقطاع فى العصر الوسطى بغرب أوروبا ، ت. محمد مصطفى زيادة ، ط. القاهرة ١٩٤٥ م .
- لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ت. بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط. بغداد ١٩٥٤ م .
- لطفى عبد الوهاب ( د .) وبعض المصادر البيزنطية لتاريخ سوريا فى العصر البيزنطى . بحث ضمن أعمال المؤتمر الدول الرابع لتاريخ بلاد الشام م (١١) تحرير محمد عدنان البهيث ومحمد عصفور ، ط. عمان ١٩٨٦ م . «حولية ثيوفانيس مصدر بيزنطى عن بلاد الشام فى العصر الأموى» ، المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد

الشام في العصر الأموي، عمان ٢٤-٢٩ تشرين الأول عام ١٩٨٧م، اليونان  
مقدمة في التاريخ الحضاري، ط. بيروت ١٩٩٦م.

- ليلي عبد الجواد (د.) السياسة الخارجية للإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية  
١٢ ١٢٦١م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة  
عام ١٩٨٠م علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية ٦٥٩-٧٨٤  
هـ / ١٢٦١-١٢٨٢ م، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة، العدد (٤٦)،  
(٤٧)، عام ١٩٨٦م، والقسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة  
المسلمين، مجلة المورخ المصري، العدد (٣) (٤)، ط. القاهرة ١٩٨٩م، تاريخ  
الروس من خلال المصادر العربية، ط. القاهرة ١٩٩٠م، « حملات مانويل  
كومنين على المجر (١١٥١-١١٦٧م) في ضوء كتابات حنا كيناموس »،  
المجلة التاريخية المصرية العدد (٣٧)، عام ١٩٩٠م « أضواء جديدة على  
تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطي ١٠١٨-١٠٩٧م » المورخ المصري، العدد  
(١٤) يناير ١٩٩٥م، « البابوية والإمبراطورية البيزنطية، ضمن كتاب  
دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصر الوسطى) تكميلاً  
للأستاذ الدكتور إسحق عبيد نمر محمد مؤنس عرض، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.  
- مأمون كيران، اليهود في الشرق الأوسط الخروج الأخير من الجيتو الجديد، ط. عمان  
١٩٩٦م.

- ماجدة حسن صدقي، العلاقات البيزنطية التركية في ضوء كتاب الكسياد، رسالة  
ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م.  
- مانفرد ليدرر معجم المعبودات في مصر القديمة ت. صلاح الدين رمضان مراجعة الدكتور  
محسود ماهر، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.  
- مانويل جاسبارومير «رحيل أبي عبدالله مع أسرته وكبار أتباعه» وضمن كتاب فصول  
في تاريخ الأندلس بداية النهاية، ت. عبد الفتاح عوض، ط. القاهرة ٢٠٠١م.  
- مایسة محسود داود (د.) المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة  
دراسة أثرية وفنية، ط. القاهرة ١٩٩١م.  
- مايكل هارت، المائة الأرائل ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، ط. دمشق  
٢٠٠١م.

- مالكوم ليونز وجاكسون ، صلاح الدين ت. على ماضى ، مراجعة نقولا زيادة ، وفهسي مسعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- مجدى غنيم ، الحرير ، ط. القاهرة ١٩٩٣م.
- مجموعة من الباحثين العرب والأوربيين، ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩- ١٣٩٩هـ وزارة التعليم العالي السورية ، ط. دمشق ١٩٧٩م.
- مجموعة من المؤرخين الروس موجز تاريخ العالم ، ت. محمد عيتاني ، ج ١ ، ق ١ ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- مجيد خوري ، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان ، ط. بغداد ١٩٣٩م.
- محسن محمد حسين (د) «مثنوية صلاح الدين في فشل حصار صور» المجلة العربية للعلوم الإنسانية م (٧) ، العدد (٢٦) ، ط. الكويت ١٩٨٧م.
- محمد أحمد أبو الفضل (د) «قضاة ثوار في الأندلس» نواة التاريخ الإسلامي والوسيط ، م (٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م.
- محمد أسد الله صفا ، چنكيز خان ، ط. بيروت ١٤٠٨هـ .
- محمد التوتيجي (د) بلاد الشام إبان الغزو المغولي ، ط. بيروت ١٩٩٨م .
- محمد الزحيلي (د) الإمام الطبري ، ط. دمشق ١٩٩٠م.
- محمد السيد الزكييل (د) العصر الذهبي للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لنظرة الدولة ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- محمد السيد محمد عبد الغنى (د) لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان ، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م
- محمد الصابر ، عبادة ميخائيل في روما رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م.
- محمد الطالبي (د) الدولة الأغلبية التاريخ السياسي ت. المنجي الصيادي ، ط. بيروت ١٩٨٥م.
- محمد الهمشري والسيد أبو الفتح وعلى إسماعيل موسى ، إنتشار الإسلام في أوروبا



١ ج ١ الرياض ١٩٩٧م.

- محمد بحر عبد المجيد (د) اليهود في الأندلس ، ط. القاهرة ١٩٧٠م .
- محمد ثابت توفيق ، ذات الصوارى ، ط. الرياض ٢٠٠١م
- محمد جاسم حسادي المشهداني (د) سوارذ البلاذرى عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف ، ط. مكة المكرمة ١٩٨١م
- محمد حرب (د) العثمانيون في التاريخ والحضارة ، ط. دمشق ١٩٩٩م.
- محمد حرب قرزات (د) «حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين وبلاد الشام» . مجلة الدراسات التاريخية جامعة دمشق ، السنة (٢٢) العددان (٣٩) ، (٤٠) . كانون الأول عام ١٩٩١م.
- محمد حسن العبدروس (د) تاريخ العرب الحديث ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- محمد حميد الله (د) مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي والحلقة الرابعة ، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- محمد خالد المومني (د) الفقهاء وثورة أهل الرياض في الأندلس (٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٥م.
- محمد دسوقي محمد حسن ، العلاقات السياسية الفرنسية والانجليزية وأثرها على الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين ١١٣٧-١٢٢٣ / ٥٣١-٩٢٠هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية فرج دمنهور عام ٢٠٠٦م.
- محمد زايد عبدالله عيد ، العلاقات البيزنطية الألمانية ٩٦٢-١٠٥٩م. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م.
- محمد زكي زليجيب (د) علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين ١٠٨١-١١٨٥م. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٥م.
- محمد سهيل طقوش (د) تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠١م. تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠٢م التاريخ الإسلامي الوجيز ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.

- محمد شاكر محمود ، الجرمان ونظمتهم وعلاقاتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عا ١٩٩٣م.
- محمد شفيق غريمال (محرر) ، اموسوعة العربية الميسرة م (٢) ، ط. بيروت ١٩٩٥م.
- محمد صالح منصور (د.) أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية ، منشورات جامعة قاريونس، ط. بنى غازى ١٩٩٦م.
- محمد صفى الدين (د.) جيسور فولوجية قشرة لأرض ، ط. بيروت ١٩٧١م.
- محمد صلاح سالم (د.) القنص الحق التاريخ والمستقبل ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- محمد طه جاسر (د.) تركيا ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، ط. دمشق ٢٠٠٢م.
- محمد عبد الحفيظ المناصير، الجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢هـ / ٢٣٢هـ ، ط. عمان ٢٠٠٠م.
- محمد عبد الشافى المغربى (د.) آسيا الصغرى في العصور الوسطى دراسة في التاريخ السياسى والمضارى القرن ١١ - ١٣م ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م. مملكة الحزير اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م. العصور الوسطى الأوروبية رؤية في المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- محمد عبد العزيز عزيز (د.) وتخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبي بعد سنة ١٢٩١م. ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى كتاب تفكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خبيس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- محمد عبد القادر أبو فارس (د.) دروس وتأسلات في الحروب الصليبية ، ط. عسّان ٢٠٠٢م.
- محمد عبد النعم ، الاسكندرية المكتبة الاكاديمية فى العالم القديم، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمد عبيد حاتم (د.) والاتفاقيات السرية الملحقة بمعاهدة تسليم غرناطة عرض وتحليل. ضمن كتاب بحوث ودراسات مهناه إلى عبد العزيز اللورى ، ط. عسّان ١٩٩٥م.

- محمد عثمان عبد الجليل (د.) ثورة توماس الصقلي في الامبراطورية البيزنطية ٨٢١-٨٢٣ هـ ٢٠٥- / ٢- رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة طنطا عام ١٩٩٢م. ، السامريون في فلسطين وعلاقاتهم بالدولة البيزنطية ٣٠٥ - ٦٣١ م. ، المؤرخ المصري، العدد (٢٨) يناير ٢٠٠٥م.
- محمد علي القطب، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ، ط. صيدا ٢٠٠٢ م.
- محمد علي المغربي ، الهزات الزلزالية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- محمد فزاد كوبريللي ، صيام الدولة العثمانية ت. أحمد الصعيد سليمان ، ط. القاهرة ١٩٩٣ م.
- محمد فتحي الشاعر (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي عصر جستنيان ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٨٥م.
- محمد فريد ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط. بيروت ١٩٧٧م.
- محمد كامل عياد (د.) تاريخ البرتغال، ط. دمشق ١٩٩٣م.
- محمد كرد علي ، خطط الشام ، ط. دمشق ١٩٥٦م.
- محمد لقمان الأعظمي ، السيرة النبوية ، ط. جلة ب- ت.
- محمد مؤنس عوض (د.) «جغرافية الحروب الصليبية- المراجع العربية والمصرية» ندوة التاريخ الإسلامي والوسط . م (٣) عام ١٩٨٥م ، الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩- ١١٨٧ ميلادية ، ط. القاهرة ١٩٩١ م . الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٥م ، ولیم الصوري مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية المرحلة من ١١٣٧- ١١٥٠م ٥٣٢- / ٥٤٥ هـ سلسلة دراسات شرق أوسطية ، مركز بحوث الشرق الأوسط - جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م ، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ط . القاهرة ١٩٩٦م. فصل بيليوغرافيا في تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م . في الصراع الإسلامي الصليبي معركة أرسوف ١١٩١م، ط. القاهرة ١٩٩٧م، في الصراع الإسلامي الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩ هـ / ١١٤٦-

١١٧٤، ط. القاهرة ١٩٩٨م، الحروب الصليبية، دراسات تاريخية ونقدية،  
 ط. رام الله ١٩٩٩م، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في  
 القسرين ١٢، ١٣، ك / ٦، ٧ هـ، ط. القاهرة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م،  
 الاضطهاد الصليبي لليهود في حوض الرابن عام ١٠٩٥م من خلال حولية  
 الربى البعازر بارتانان - مركز بحوث الشرق الأوسط - سلسلة دراسات شرق  
 أوسطية عام ٢٠٠٠م، الحروب الصليبية السياسة، المياه، العقيدة، ط.  
 القاهرة ٢٠٠١م، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصر  
 الوسطى)، ط. القاهرة ٢٠٠٢م (تحرير)، إشارات أسراب الجراد وأثرها في  
 بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م / ٥٠٩-٥٥٤ هـ، ط.  
 القاهرة ٢٠٠٢م، «أضواء على تاريخ موانئ لبنان عصر الحروب الصليبية ضمن  
 كتاب دراسات في تاريخ العصر الوسطى، أبحاث مهناء إلى أ.د. قاسم عبده  
 قاسم بمناسبة بلوغه الستين» تحرير حاتم الطحاوي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.  
 «أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية في القرنين ١٢-١٣م /  
 ٦-٧ هـ حولية التاريخ الإسلامي والوسطى» م (٣)، ط. القاهرة ٢٠٠٣م،  
 «الرحالة الأوربيون في العصر الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، التنظيمات  
 الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية في القرنين ٦، ٧ هـ / ١٢، ١٣  
 م، ط. را الله ٢٠٠٤م «فكرة الجهاد الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب  
 الصليبية» ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصر الوسطى كتاب تذكاري  
 للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خيس،  
 ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، مؤرخون مصريون رواد لمرحلة العصر الوسطى، ط.  
 القاهرة ٢٠٠٧م، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، ط. القاهرة  
 ٢٠٠٦م «أ.د. حسن جيش مؤرخ مصرى رائد للعصر الوسطى»، ضمن كتاب  
 عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.

- محمد متولى (د.) وجه الأرض، ط. القاهرة ١٩٧٧م.
- محمد مجدى حسن عبد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط اقسطنطينية ١٢٠٤م /  
 ٦٠٠ هـ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة النيل عام ١٩٨٧م.
- محمد محمد مرسى الشيخ (د.) الممالك الجرمانية في أوروبا العصر الوسطى، ط.  
 الاسكندرية ١٩٧٥م، «سياسة الامبراطور البيزنطى ثيوفيلوس تجاه الخلافة

- العباسية مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية العدد (١٣) عام ١٩٧٩م. «الحزب وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد (٤) ، عام ١٩٨٠م «الفتح النورمانى لإنجلترا - ملحمة فريفة فى تاريخ إنجلترا وتورمندا فى العصور الوسطى» ندوة التاريخ الإسلامى والوسطى تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م.
- محمد مفيد آل ياسين (د.) الحياة الفكرية فى العراق فى القرن السابع الهجرى ، ط. بغداد ١٩٧٩م .
- محمد مصطفى زيادة (د.) مصر والحروب الصليبية ، وسائل الثقافة العربية رقم (٢٩) ، منشورات وزارة الدفاع الوطنى ، ط. القاهرة ١٩٥٤م ، حطلة لويس التاسع على مصر وهزيمة فى المنصورة ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.
- محمد فريد الشرباشى ، ألمع ساعات المرح فى تاريخ الانسانية ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- محمد فتحى أمين (د.) الغزو المغولى للديار الاسلام ، ط. دمشق ٢٠٠٥م.
- محمد نصر مهنا (د.) الإسلام فى أسبيا من الغزو المغولى دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م .
- محمود إسماعيل (د.) الأغالبة ١٨٤ - ٢٩٩ هـ سياساتهم الخارجية ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمود الحويرى (د.) العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية ، ط. القاهرة ١٩٨٠م ، رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م ، اللومبارديون فى التاريخ والحضارة ٥٦٨ - ٧٧٤م ، ط. القاهرة ١٩٨٩م مصر فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- محمود السيد (د.) تاريخ عرب الشام فى العصر المملوكى ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ط . الاسكندرية ٢٠٠٠م، التتار والمغول ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، الفتوحات الإسلامية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م

- محمود المقفاد (د.) تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ، سلسلة عالم المعرفة ، ط.
- الكويت ١٩٩٢م .
- محمود رزق محمود (د.) العلاقة بين أرنأط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى معركة حطين ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٧٣م .
- محمود سعيد عمران (د.) «مهرجة حارم ١١٦٤ م قصة التحالف البيزنطي الصليبي الأرمني ضد نور الدين محمود ، المؤرخ العربي، العدد (٨) ، بغداد ١٩٧٧م.
- الحملة الصليبية الخامسة ، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م «أركولف روحلته إلى الشرق» ندوة التاريخ الإسلامي والوسط م(٣) تحرير قاسم عبده قاسم وزأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م . نيقولا مستيكوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامي من خلال مراسلاته ، ط. بيروت ب-ت . السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل كومنين ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م «شارل كونت أنجير بين القسطنطينية وتونس والقدس» ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م ، ملكة الوندال في شمال أفريقيا ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م ، «محصينات مدينة القسطنطينية في مواجهة الغزوات الخارجية بحث ألقى في ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحر - إتحاد المؤرخين العرب ، ط. القاهرة ٨٠٦ نوفمبر ١٩٩٣م . معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى . ط. الاسكندرية ١٩٩٨م ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية مدخل إلى التاريخ السياسي العربي ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩٢ ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م . الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ط . بيروت ٢٠٠٢م.
- محمود شاكر ، موسوعة تاريخ اليهود ، ط. عمان ٢٠٠٢م .
- محمود محمد الرويضي «تقاررات البابية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة اثيا العدد (٤١) يوليو ٢٠٠١م . إمارة الروا الصليبية ، جامعة مؤته ٢٠٠٢م.
- مرمرجي الدومنيكي ، بلدانية فلسطين العربية منشورات المجمع الثقافي ، ط. أبوظبي ١٩٩٧م.

- مصطفى الحاج إبراهيم «الأفاق الجغرافية عند أبي الفداء» وكتاباه «تقويم البلدان» ضمن مؤتمر المذبح والجغرافى أبو الفداء، صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعين سنة عام على ولادته ١٢٧٣ - ١٣٣٩ م ، ط. دمشق - حماء ١٩٧٤م
- مصطفى الحبارى (د.) ، القنس زمن الفاطميين والفرجة . ط. عسّان ١٩٩٤م . صلاح الدين القائد وعصره .. ط. بيروت ١٩٩٤م .
- مصطفى الشكعة (د.) سيف الدولة الحمداني مملكة السيف ودولة الأقاليم . ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- مصطفى الكنانى (د.) العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١ - ١٢٩١م / ٥٦٧ - ٦٩٠ هـ . ط. الاسكندرية ١٩٨١م. حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠م / ٦٦٨ - ٦٦٩ هـ . ط. الاسكندرية ١٩٨٥م .
- مصطفى طه بدر (د.) محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول ، ط. القاهرة ١٩٩٩م .
- مفيد رائف محمود العابد (د.) معالم تاريخ الولة الساسانية عصر الأكاسرة ٢٢٦ - ٦٥١م ط . دمشق ١٩٩٩م .
- مفيد الزيدى (د.) موسوعة الحروب الصليبية ، ط. عسّان ٢٠٠٤م .
- محمود الزوى ، الموسوعة العربية الميسرة ، الأدبان - الملاحب المعتققات المصطلحات الدينية . ط. دمشق ب-ت .
- محمود درويش مصطفى (د.) التاريخ الرومانى من أقدم العصور حتى بداية العصر الامبراطورى، ط. الرياض ٢٠٠٤م.
- محمود مخازى ، الحياة السياسية وبعض مظاهر الحضارة فى إمارة المورة الصليبية فى عهد أسرة فيلهاردين ١٢٠٥ - ١٣١٠م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة طنطا عام ٢٠٠٠م .
- محدودة محمد سلامة (د.) الكارزمية - القدرة على التأثير على الآخرين « مجلة علم النفس العدد (١٤) ، أبريل مايو - يونيو ١٩٩٠م .
- منى البرى العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين فى صقلية وجنوبى إيطاليا زمن الأسرة المقدونية ٢٧٣ - ٤٣٢ هـ / ٨٨٦ - ١٠٤٠م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م .

- منى حسن محمود (د.) المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجية ٩٢-١٢٦ هـ / ٧١٤-٨١٥ م. ط. القاهرة ١٩٨٦م
- منى حماد (د.) «وليم الصوري والصراع الفرنجي الإسلامي ١٠٩٩-١١٨٤م» ضمن كتاب أبحاث ودراسات في التاريخ العربي مهداة إلى ذكرى مصطفى الحباري تحرير صالح الحمارنة - الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠١م.
- منى محمد بدير محمد (د.) أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العثم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- موريس كين ، حضارة أوروبا العصور الوسطى ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول ت. إساعيل العيسى ، ط. الدار البيضاء ١٩٩٠م.
- موسى ميلاد العصور الوسطى ت. عبد العزيز توفيق جاويد ومراجعة السيد الباز العرينى ط. القاهرة ١٩٦٧م. ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- مونتجومرى (الفيلد مارشال) ، الحرب عبر التاريخ ت. عبد المنعم النمر ، ط. القاهرة ١٩٧١م.
- مونتجومرى وات، في تاريخ أسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا) ت. محمد رضا المصري ، ط. بيروت ١٩٩٤م
- ميخائيل اسكندر ، القدس عبر التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٧٢م
- ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق ت. إلياس شاهين ، ط. موسكو ١٩٨٦م.
- مى علوش ، أشهر حصار المدن في التاريخ ، ط. بيروت ١٩٩٤م.
- ميشيل جحا (د.) الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ط. بيروت ١٩٨٢م.
- ميشيل جرجس ، الكنيسة المصرية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- ميشيل مان موسوعة العلوم الاجتماعية ت. عادل مختار الهراوي وسعيد عبد العزيز مصلوح ، ط. الكويت ١٩٩٤م.
- ميكيلي أنزى ، تاريخ مسلمي صقلية ، ط. ت. محب سعد إبراهيم وسوزان اسكندر. ط. فلورنسا ٢٠٠٣م.



- ميلاد المقرحى (د.) تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م ، منشورات جامعة قارونوس، ط. بنى غازى ١٩٩٦م .
- نادية حسن صقر (د.) السلم فى العلاقات العباسية البيزنطية فى العصر العباسى الأول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواصل بالله ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٥م .
- ناصر عبد الحميد زبدان : الدولة البيزنطية فى عهد الامبراطور جستين الثانى وتيبريوس ٥٦٥- ٥٨٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.
- ناهد عمر صالح (د.) السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الامبراطور أنطونيوس الثانى باليولوغوس (١٢٨٢-١٣٢٨م) . رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٩٩م ، والاتحاد الكنسى فى عهد الامبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس (١٣٥٤-١٣٧٦م) ، مجلة المزيخ المصرى، العدد (٢٨) يناير ٢٠٠٥م .
- نبيل عبد الحميد رمضان (د.) جهود العثمانيين لإتفاذ الأندلس واسترداده فى مطلع العصر الحديث ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٨م .
- نبيل لوقا بباوى (د.) إنتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- نبيلة ابراهيم (د.) سيرة الأميرة ذات الهمة دراسة مقارنة ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- نبيلة ابراهيم مقامى (د.) العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان فى جنوب إيطاليا وصقلية ١٠٢٥-١١٩٧م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٩م .
- نبيلة عاقل (د.) الإمبراطورية البيزنطية ، ط. دمشق ١٩٩٩م. تاريخ خلافة بنى أمية ، ط. دمشق ١٩٧٥م.
- نجلاء حسين توفيق ، سياسة الدولة العثمانية فى البلقان تجاه الصرب ١٣٢٦-١٤٥٩م . رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة أسيوط عام ٢٠٠١م.
- نجيب المعقبى (د.) المستشرقون ، ج ١، ط. القاهرة ١٩٨٠م. الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، ط. القاهرة ١٩٦١م . تاريخ إنجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م .

- نعمان محمود جبران (د) «محاولات القول بالسيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج» مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة (١٩٩٢)، العددان (٣٩) - (٤٠) كانون الأول عام ١٩٩١م.
- نعم شقير (بلك) تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلاقات التجارية والحربية وغيرها عن طريق سينا من أول عهد التاريخ إلى اليوم.
- نعيم زكي فهمي (د) «العلاقة بين إمارة أنطاكية الصليبية والدولة البيزنطية في عهد الحملة الصليبية الأولى» ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- نعيم فرح (د) «ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العهد البيزنطي» الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور، ط. عسّان ١٩٨٦م. تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٩٥م. الحضارة البيزنطية، ط. دمشق ٢٠٠٢م. تاريخ بيزنطة السياسي، ط. دمشق ٢٠٠٤م.
- نعيمة إبراهيم (د) اسيا الصغرى والحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ٢٠٠١م.
- نقولا زيادة (د) «سوريا زمن الصليبيين المقتطف عدد يوليو ١٩٣٥م. وواد الشرق العربي في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ط. بيروت ١٩٨٦م، الجغرافيون والرحلات عند العرب، ط. بيروت ١٩٨٢م
- نور الدين حاطوم (د) المدخل إلى التاريخ، ط. دمشق ١٩٦٥م. تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ج ١، ط. دمشق ١٩٨٢م.
- نورمان بنيتز، الإمبراطورية البيزنطية ت. حسين مؤنس ومحمود زابد ط. القاهرة ١٩٥٧م.
- نورمان كانثير التاريخ الوسيط ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- واشنطن إيفرنج، أخبار سقوط غرناطة ت. هاني يحيى نصري، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- وديع فتحي (د) العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي

(٧٤١-٨٢٠م / ١٢٤-٢٠٥هـ) ط. الاسكندرية ١٩٩٠م. بيزنطة ومسلمو جنوب إيطاليا وصقلية في عهد باسيل الأول المقدوني (٨٦٧-٨٨٦م ٢٥٣/-٢٧٣هـ) ، ط. الاسكندرية ١٩٩٣م ، العلاقة بين الدولة والكنيسة في عصور نفسور الأول (٨٠٢-٨١١م) ، مجلة الموزع المصري العدد (٢٨) عام ٢٠٠٥م.

- وسام عبد العزيز فرج (د) العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م . «الإمبراطور باسيل الثاني (سقاج البلغار) ٩٧٦- ١٠٢٥ المراحل التي أثرت على السياسة في عصره ندوة التاريخ الإسلامي والوسط ، ط. القاهرة ١٩٨٢م. «قوانين الملكية الزراعية في الامبراطورية البيزنطية دراسة تحليلية ندوة التاريخ الاسلامي والوسط ، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية من ٣٢٤- ١٠٢٥م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م ، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس ٨٨٦- ٩١٢ ، ط. الاسكندرية ١٩٩١م . «السلالات الصقلية في شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها (٥٩١- ١٠١٨م) ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والاداري ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م. «التجارة في العصر البيزنطي الأوسط (من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- وفاء عبدالله المزروع (د.) جهاد المسلمين خلف جبال البرنات من القرن الأولي إلى القرن الخامس الهجري ط . القاهرة ب-ت .

- وفاء محمد ، الامبراطور موريس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس .

- ول ديورانت ، قصة الحضارة ج٩٤ ، ت. محمد بدران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م .

- وليم سليمان قاده (د.) «العلاقات الإسلامية المسيحية في الواقع المصري ، الفهم الأساسي الماضي والحاضر والمستقبل» ضمن كتاب العلاقات الإسلامية - المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط. بيروت ١٩٩٤م .

- وولتر فيشبل . جهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الاسلامية ، العباسية - الفاطمية اللاحقة، ت. سهيل زكار ط. دمشق ٢٠٠٥م
- هبة الزحيلي (د) . الإسلام وغير المسلمين ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- هارغان وباركلاف ، الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ت. جوزيف نسيم يوسف، ط. الاسكندرية - ١٩٩٧م. ط. الاسكندرية ١٩٨٤م.
- هارفي بوتر ، موسوعة مختصر التاريخ القديم ، ط. القاهرة ١٩٩١م.
- هارولد ايدرس بل مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ت. عبد اللطيف أحمد على ومحمود عواد حسن ، ط. القاهرة ١٩٥٤م
- هارولد لاسب ، جنكيز خان وجحافل المغول ، ت. منرى أمين، ط. القاهرة ١٩٦٢م
- هاري ألز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية - ج ١ ت. محمد عبد الرحمن برج ، ط. القاهرة ١٩٨٤م
- هاملتون جب «تاريخ دمشق» ، ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبي ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، ت. يوسف أبيش ، ط. بيروت ١٩٧٣م.
- هاني عبد الهادي البشير (د) . العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية ودولة البلفار الأولى ٩٨١ - ١٠٨١م. رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٩م. «البالصة في أسيا الصغرى في ضوء مصنف بطرس الصقلي» المؤرخ المصري. العدد (٢٤) يناير ٢٠٠٦م. «تقفور بطريك القسطنطينية (٨٠٣- ٨١٥م) ، ومؤلفه التاريخ المختصر ، المؤرخ المصري. العدد (٢٦) يناير ٢٠٠٣م.
- هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ، ط. ت أحمد محمد رضا، ط. القاهرة ١٩٨٥م.
- هيربرت فشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ت. محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ، ط. القاهرة ١٩٥٧م.
- هسي ، العالم البيزنطي ت. وأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٩٧م
- هنادي السيد محمود ، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلطوين الأول ٤٩٤-

٥٢٢هـ / ١١٠٠-١١١٨م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م.

- هناء بركات ، التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى سقوطها ١٤٦١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٨م.

- هنرى كتن ، القدس الشريف ت. نيز الدين كنانه ، ط. عمان ١٩٨٩م.

- ياسر عبد المعبد ، جامعة باريس ودورها في النهضة الفكرية في العصر الوسيط ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣م.

- ياسين التكريتي ، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة رسالة د:تواه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

- يسرى الجوهري (د.) جغرافية البحر المتوسط ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م.

- يحيى أحمد عبد الهادي (د.) أهل الذمة في العراق في العصر العباسي الأول الفترة السلجوقية نموذجاً ٤٤٧- ٥٩٠هـ / ١٠٥٥-١١٩٤م ، ط. إربد ٢٠٠٤م.

- يورى ميخايلوفتش كويسانوف، الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسطى المبكرة وعلاقاتها بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع ، ت. صلاح الدين عثمان هاشم ، ط. عمان ١٩٨٨م.

- يوسف أحمد ياسين (د.) بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية (٥٧١-١٢٢٦هـ / ١١٧٨-١٢٢٩م) مركز زايد للتراث ، ط. أبوظبي ٢٠٠٤م.

- يوسف العشي، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ط. دمشق ١٩٩٨م.

- يوسف بغدادي، والرها ، مجلة المشرق ، السنة (٨) العدد (٤) ، عام ١٩٠٥م .

- يوسف بن أحمد حواله ، بنو عباد في أشبيلية ٤١٤- ٤٨٤هـ / ١٠٢٣-١٠٩١م دراسة سياسية وحضارية ، ط. جدة ١٩٨٩م .

- يوسف درويش غوانقه (د.) إمارة الكرك الأيوبية ، ط. عمان ١٩٨٢م ، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنجة ، ط. عمان ١٩٩٥م .

- يرشع براور ، عالم الصليبيين ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ، ط. القاهرة ١٩٨١م.
- يوغوليو يسكى « رحلة السائح الروسي دانيال إلى الأراضي المقدسة في أول عهد الصليبيين مجلة المشرق ، العدد (٩) السنة (٢٤) ، عام ١٩٢٦م.
- يوهان فولك ، تاريخ حركة الاستشراق العراسات العربية والاستشراق في أوربا حتى بداية القرن العشرين ت عمر لطفى العالم ، ط. بيروت - ٢٠٠م.
- ٥ - يوهان هريزنجا ، إضمحلال العصر البسليط. عبد العزيز توفيق جاويد ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

## خامساً : المراجع الأجنبية

- Adams (G.B.) , The History of England from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216), London 1905 .
- Adelson (H.L.), Medieval Commerce, New York 1962 .
- Allen, "The Justinian Plague", B., 49, 1979 .
- Amelineau (E.), " La Conquete de L'Egypte par les Arabes ", R.H.I. vol CXIX , 1915 .
- Anastos (M.V.), " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies: a personal account ", in Laion and Magnice (eds.), Byzantium A world Civilization , Washington 1992 .
- Angold (M.) , Byzantium The Bridge from Antiquity to the Middle Ages, London 2001
- Arnold (T.), The Spread of Islam in The World , A History of Peaceful Spreading , India 2001
- Asbrighie (T.), The First Crusade , New History , The Roots of Conflict between Christianity and Islam, Oxford 2004 .
- Asimov (I), Constantinople the Forgotten Empire , Boston 1970 .
- A'tiya (A.S.) The Crusade of Nicopolis , London 1934 , The Crusade, Historiography and Bibliography , London 1962 .
- ATwater (D.) The Penguin dictionary of Saints, London 1977
- Awad (M.M.) " Highlights on the Medical Contribution of Musa Ibn Maïmun (1135-1204 A.P.525- 602 A.H.) during the Ayyubide Rule in Egypt ", M. E. R. J., vol 12, March 2003 .
- Babinger (F.), Mehmet der Eroberer und Seine Zeit, Munich 1953 .
- Baldwin (M.) " Mission To the East in the Thirteenth and Fourteenth centuries", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol V, Philadelphia 1985 ., " The latin States under Baldwin III and Amalric I 1143-1174", in Seton (ed.), A History of the Crusades , vol II Pennsylvania 1958 .

- Barisic (F.) (ed.) *Melanges Georges Ostrogorsky* , Beograd 1963 .
- Barker (ed. (ed.) , *Relations between East and west in the Middle Ages*  
Edinburgh 1973
- Barker (E.), *The Crusades*, London 1949
- Barker (J.) *Justinian and the Later Roman Empire* , Wisconsin 1966
- Manuel II Paleologns (1391- 1425) *A study in later Byzantine Statesmanship* , New Brunswick 1969
- Barth (H.), *Constantinople*, Paris 1906
- Bartlett (W.B.), *An ungodly war The Sack of Constantinople and the Fourth Crusade*, Gloucestershire 2000 .
- Baynes (N.) "The death of Julian the Apostate in a christian legend , in  
*Byzantine Studies and other Essayes*, connecticut 1974.
- Bynes (N.) and Moss (L.B.) (eds.) *Byzantium* , Oxford 1948 .
- Beatan (R.) and Ricks (D.) (eds.) , *Digenes Akrites*, New approaches to  
*Byzantine Heroic Poetry* , Lodon 1993
- Becher (M.), *Charlemagne* , Trans. by David S. Bachrach, London 03 .
- Beer (J.M.), *Villehardouin : Epic Historian*, Geneva1968 .
- Berry (V.G.), " *The Second Crusade* , in Setton (ed.) , *A History of the Crusades*, vol . I , Pennsylvania 1950.
- Binns (L.E.) , *Innocent III* , London 1931
- Bosworth (C.E.) , " *The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab incursions*" , *Proceedings of The Second Symposium on the History of Bilad al- Sham during the early Islamic Period up to 40 A.H., A.D. 640* , the Fourth international Conference on the History of Blad al- Sham ed. by M.A Bakhit , vol I , French and English Papers, Amman 1987
- *Byzantium and the Syrian Frontier in the Early Abbasid Perios (132-A.L/ 750-45), A.H. / A. D 1059)*, *Proceedings of the Fifth international*



conference on the History of Bilad al- Sham , ed. M.A . Bakhit (English and French Section ) , Amman 1991 " Byzantium and the Arahs War and Peace between Two World Civilizations " J.O. A.S., 3-4 , Athens, 1991-1992 .

- Bowersock (G.W.) , Julian the Apostate, London 1978 .
- Brand (C.M.), " Byzantines and Saladin 1185-1192 , Opponents The Third Crusade", S. vol . XXXVII, 1962 , Byzantium confront the west 1180-1204 , Cambridge 1968 .
- Brehier (L.), La Schism Orientale du XI Siecle, Paris 1899 , L'Eglise et L'Orient au Moyen age , Paris 1928 ., Vie et Mort de Byzance, Paris 1946 .
- Brice (W.C) , " The Turkish Colonization of Anatolia , B.J.R.L., vol XXXVIII, 1955 .
- Bridge (R.) , " The History ", in Daniel (G.) (ed.), The Byzantines, London 1962 .
- Brook, A History of Europe 911 to 1198, London 1938 .
- Brooks (E.W.), " The Campaigne of 717-718 from Arabic Sources", J.H.S., vol . XIV, 1899 ., " Byzantium and Arabs in the time of the Early Abbasids", E.H.R., vol . XV , 1900 . " Arabic lists of the Byzantiune, Themes", J.H.S., vol XXI, 1901 . , " The Arab Occupation of Crete", E.H.R., vol . XXVIII, 1913 .
- Brown (H.F.) The Venetians and Venetian quarter in Constantinople to Close of the Twelfth Century ", J.H.S., vol . XL , 1920 .
- Browning (R.), The Emperor Julian , London 1975 . History of the Byzantine Empire , New York 1980, Justinian and Theodora, London 1987
- Brubacker (L.), Haldon (J.) Byzantium in the Iconoclast Era (Ca 680-850): The Sources . An annotated Survey , B.B.O.M., Birming-ham2001.

- Brundage (J.) (ed.), *The Crusades, motives and achievements* , Boston 1964 , " Holy war and The Medieval Lawyers", in *The Crusades motives and achievements* , Boston 1964 .
- Bryer (A.) and Herrin (J.), (eds.), *Iconoclasm* , Birmingham 1971 .
  - Buckler (G.), *Anna Comnena*, London 1929 ., Harunl Rashid and Charles The Great , Massachusetts 1931
  - Bury (J.B.), *A History of the Eastern Roman Empire*, London 1952  
The treatise *De Administrando Imperio*", B.Z., vol. XV, 1906 .
  - Byrne (E.), " Genoese Trade with Syria in the Twelfth century " , A.H.R., vol . XXV, 1919
  - Cahen (C.), " La Campagne de Mantzikert d'apres les Sources musulmans", B., T IX , 1934 , *La Syrie du nord a l'epoque des Croisades* , Paris 1940 ., " The Turkish Invasion " Setton (ed.), *A History of the Crusades* , vol . I , Pennsylvania 1952, Pre- Ottoman Turkey , a general Survey of the matercy and Spiritual culture 1071-1330, Trans. by J.J. Jones, New York 1968 .
  - Cameron (A.), *Procopius and The Sixth century* , Oxford 1989 , Los Angeles 1985 .
  - Canard (M.) , *Sayf al Daula*, Alger 1934 ., *Histoire de la dynastie des Hamadanides de Juzira et de Syrie* , T.I , Paris 1953 ., " La Guerre Sainte dans le monde Islamique et dans le monde Chretien " , R. Af., T. LXXXIX , Année 1956, " La destruction de l'eglise de la resurrection par le Calife Hakim et L'Histoire de la descente du feu Sacre " , B. XXXV, Année 1965 .
  - Cantor (N.), *Medieval History* , The life and death of Civilization, New York 1969
  - Carr (A.), Hill (B.) , Brand (C.) Peterson (T.) and Takacks (S.) (eds.) *Komnenian Culture, Papers From the Session at the 20 th Annual*

Byzantine Studies conference , Ann Arbor , Michigan , on 21  
September 1994 (B.F. vol. XXIII, 1996).

- Chalandon (F.) , Les Comnènes, Jean II et Manuel I Comnène, Paris 1912
- Chapman (C.) Michael Paleologue restaurateur de L'Empire Byzantine  
(1261-1782) , Paris 1926 .
- Charanis (P.), " The Byzantine Empire in the eleventh Century", in Setton  
(ed.), A History of the Crusades, vol . I, Pennsylvania1958 .
- Cheira (M.A.), la lutte entre les Arabes et Byzantines : La Conquete et  
L'Organisation des Frontieres aux VII et VIII Siecles, Alex-  
andrie 1947 .
- Chibnall (M.), The Normans , Massachosents 2000 .
- Ciggaar (K.) , Western Travellers to Constantinople, The West and By-  
zantium 962-1204 , Cultural and Political Relations , Leiden  
1996 .
- Clot (A.), Mehmed II le Conquerant de Byzance (1432-1481), Paris 1990.
- Colomans (C.B.), Constantine The Great and Christianity , New York  
1914 .
- Colish (M.L.), Medieval Foundations of the Western intellectual Tradition  
400-1400, London 1998 .
- Collins (R.), " Visigothic Spain , 409-711, " in Carr (D.) (ed.) Spain A  
History , Oxford 200 .
- Conrag (L.), The Plague in Early Medieval Near East , Unpublished . D.  
diss in Near Eastern Studies , Princeton university 1981 .
- Constantinides (C.C.). " Byzantine Scholars and the Union of Lyons  
1274", in Beaton (R.) and Roneche (C.) , (ed.) the Making of  
Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol, cen-  
tre for Hellenic King's College, London 1993

- Coulbora (ed.), *Feudalism in History* Princeton 1950 .
- Cowdrey (H.E.), "Pope Urban II and the Idea of Crusade", *S.M.* 36, 1995.,  
     "Pope Gregory VII and the Bearing of Arms" in kedar , Riley -  
     Smith and Hierstand (eds.) *Montjoie Studies in Crusade His-*  
     *tory in Honour of Hans Eberhard Mayer*, Aldershot 1997  
     *The Carthusians and their Contemporary World : The Evidence*  
     *of Twelfth- Century Bishops, Vitae ."* in *The Crusades and latin*  
     *Monasticism, 11 th - 12 th centuries*, Great Yarmouth 1999
- Crampton (R.I.), *A concise History of Bulgaria*, Cambridge 1997  
     Dargon (G.), *Emperor and Priest , The imperial office in Byzantium*,  
     Trans. by J. birrell, Cambridge 2003 .
- Dastrup (J.), " Manuel's Coup against Genoa and Venice in the light of  
     Venice Commercial Policy ", *C.M.T.X*, 1949
- Davis (e.) " William of Tyre", in Barker (ed.) , *Relations between East and*  
     *West in the Middle Ages*, Edinburgh 1973
- Diehl (C.) , " Etude Byzantines, Introduction a' L'Histoire de Byzance ,  
     Paris 1905 , *History of the Byzantine Empire*. Trans. by George  
     B. Ives, Princeton 1925 .
- *Byzantium, Greatness and decline , Trans. by Naomi Walford , New Jersey*  
     1957  
     *Theodora "Empress of Byzantium*, Trans. by Samuel R. Rosenbaum, New  
     York 1972.
- Dols (M.W.) *The Black Death in The Middle East , Princeton* 1977.  
     Doney (D.) , *Earthquakes at Constantinople and vicinity (324-1453)*, S.,  
     vol XXX, 1955 .
- Dowins (N.), *Basic Documents in Medieval History , New Jersey* 1959 .
- Doyle (W.), *Origins of The french Revolution , Oxford* 1999
- Dvornik (F.), *The Photian Schism History and Legend*, Cambridge 1948
- Ebeid (E.), " Was Pope Innocent III an accomplice in the diversion of the  
     Fourth Crusade 1204", *E.H.R.* vol XV, 1969

- Edbury (P.) , The Kingdom of Cyprus and the Crusades 1191-1374 , Cambridge 1981 " William of Tyre , A Historian of the Crusades and The Kingdom of Jerusalem ( 1130-1148) " , B.F.A.A.U., 1988 .
- Edbury (P.) and Rowe, William of Tyre Historian of the latin East , Cambridge 1988 .
- El - Azhari (T.K.), The Saljuqs of Syria during the Crusades 463-549 A.H. / 1070-1154 A.D, Berlin 1997 .
- Emereau (C.) , " les Origins et la Formation de Constantinople" R.A., T.XXXI , 1925 .
- Enan (M.A.), Decisive moments in the History of Islam, New Delhi 2001
- Evans (G.R.), Bernard of Clairvaux, New York 2000 .
- Evans (J.A.S.) , Procopius , New York 1972 , The Nika Rebellion and the Empress Theodora", B. LIV, 1984 ., The Age of Justinian, The Circumstances of imperial Power, London 1996 , The Empress Theodora Partner of Justinian, Texas 2002 .
- Fahmy (A.M.), Muslim Sea - Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth century A.D., Cairo 1966 .
- Farag (W.A.), Byzantium and its Muslim Neighbours during the reign of Basil II, 976- 1025, ph . D., University of Birmingham 1979
- Finly (G.) , History of Greece vol . III, Oxford 1877
- Fouracre (D.), The Age of Charles Martel, Essex 2000.
- France (J.) , Victory in the East, A Military History of the First Crusade Cambridge 1996 .
- Freedman (Ch.) , The Greek Achievement , the Foundation of the Western World, New York 1999
- Friedley (F.A.) Julian The Apostate and the Rise of Christianity, London 1937
- Friedman (Y.) Encounter between enemies in Captivity and Ransom in the Latin kingdom of Jerusalem, leiden 2002 .

- Friendly (A.) the Dreadful ful Day The Battle of Manzikert 1071 , London 1981
- Fuller (J.F.), Decisive battles of Western Europe and their influences upom history , London 1954
  - Gadolin (A.R.), " Alexios I Comnenus and the Venetians Trade Privileges: A New interperatation" B., 50, 1980 .
  - Gardiner (L.), Byzantine Emperors Woman and Power in Byzantium A.D. 527-1204 , London 1999
  - Geanokoples (G.J.), Emperor Michael Paleologus 1282-1298, Cambridge , 1959
  - Gero (S.) , Byznatine Iconoclam during the Reign of Leo III with Particular attention to the Oriental Sources , Louvain 1999 .
  - Gibb (H.), " Zengi and the Fall of Edessa", in Setton (ed.), A History of the Crusades , vol .I , Pennsylvania 1952 .
  - Gibbon (E.), The decline and Fall of the Roman Empire , vol III, New York 1995
  - Gibbons (G.A.), The Foundations of The Ottoman Empire, Oxford 1916 .
  - Gill (J.) The Council of Florence , Cambridge 1959 ., " Greek and Latin in acomnon council, The Council of Florence ( 1438-1439), O. chr. P. vol XXV, 1959
  - Goodwin (G.) , A History of the Ottoman Architecture, Oxford 1997
  - Graber (A.), " Byzantine Architecture and Art ", C.M.H., vol. IV Cambridge 1967
  - Grant (R.M.), Eusebius as Church Historian, Oxford 1980 .
  - Goitein (S.), " Contemporary letters on the Capruc of Jerusalem by The Crusaders ", J.J.S., vol X, 1952 . , " Saladin and the Jews", H. U.C.A., vol XXVII , 1956 .
  - Gregoire (H.), Le Communique arabe sur la prise de Thessalonique 904", B. 22, 1952 .

- Grousset (R.), *Histoire d'Asie , le monde Mongol*, Paris 1922 .
- Hagenmeyer (H.) , *Peter der Ermitte*, Leipzig 1879 , " Chronologie de la Premiere Croisade", R.O.L. , T. VII, Année 1899 .
- Halden (J.F.), *Byzantium in the Seventh Century , The Transformation of aculture*, Cambridge, 1997, "Blood and Ink : Some Observations on Byzantine attitudes Toward Warfare and diplomacy " , in Shepard (J.) , and Franklin (S.), (eds.), *Byzantine Diplomacy , Papers from The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine studies*, The Promotion of Byzantine Studies, Hampshire 2003 .
- Halecki (O.), *The Crusade of Varna*, New York 1943 .
- Hamilton (B.) , " The Elephant of Christ : Regnald of Chatillon" in *Monastic Reform , Catharism and the Crusades, 900-1300*, London 1979 , "Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem" in J. Chrysostomides (ed.), *Kathemytria, Essays Presented to Jean Hussey for her 80 th birthday* , Cambridge 1988 , " The Cathars and the Seven Churchs of Asia", in J. Howard Johnstone (ed.) Amsterdam 1988 , " Wisdom from the East: The Reception among the Cathars of Eastern Dualist Texts, in Biller (P.) and A. Hudson (eds.) , *Heresy and literacy , 1000-1530*, Cambridge 1994 .
- Harris (J.) *Byzantium and the Crusades*, London 2003 .
- Havighurst (A.), *The Pirenne Thesis Analysis Criticism and Revision*, Boston 1958 .
- Hammad (M.), *Latin and Muslim Historiography of the Crusades, A Comparative Study of William of Tyre and izz Addin Ibn Al Athir*, ph . D. University of Pennsylvania 1987.
- Head (C.) *Justinian II of Byzantium*, Madison 1972 , *Imperial Twilight : The Palaeologos Dynasty and the decline of Byzantium*, Chi-

cago 1977, Imperial Portraits, Byzantine Portraits , A verbal and graphic gallery , New York 1982 .

- Hergentother (J.), Photius Patriarch von Constantinople Seine Leben , Seine Schriften und das griechirliche Schisma , 3 vols, Regensburg 1897- 1869
- Herrin (J.) Women in purple , Rylers, of Medieval Byzantium , Princeton 2001
- Hillenbrand (C.) The Crusades. Islamic Perspectives, illinois 1999
- Hades (R.), Whitehouse (D.), Mohammed , Charlemagne and the Origins of Eyrope, Archaeology and The Pirenne Thesis, New York 1983.
- Hollister (C.W.) Medieval Enrope: A Short Source Book, U.S.A. 1992 .
- Holt (P.M.), The Crusader States and their Neighbours , London 2004
- Housely (N.), Crusades aganest Chirtians Their Origins and early develop- ment 1000-1216", in Peter W Edbury(ed.), Crusade and Settle- ment, Cardiff 1982 , The Crusades, London 2002
- Houts (ed.) The Normans in Europe, Manchester 2000 .
- Higgins (M.J.), The Persian war of the Emperor Maurice I , Washington 1939.
- Hill (G.H.), History of Cyprus , 3 vols , Cambridge 1948
- Hill (J.H.), Raymond IV Count of Toulouse , Syracuse 1967
- Holmes (W.G.), The Age of Justinian and Theodora, 2 vols ., London 1912 .
- Holmes (G.), (ed.) The Oxford History of Italy, Oxford 1997
- Hunt (J.) The French Revolution, London 1998 .
- Hussey (J.), " Michael Psellus" S., vol X , 1935 , " The Later Mac- edonians the Comneni and The Angeli," C.M.H., vol V, Cam- bridge 1979, The Byzantine World, New York 1961
- Hutton (W.H.) , Constantinople, The Story of the Old Capital of The Em- pire , London 907



- Inalick (H.), "Busra and the Commerce of The Levant ", J.E.S.H.O ., vol III, 1960 , " L'Empire Ottoman", Actes du 1er Congres International des Etudes balkaniques et Sud - est europeennes, III, Sophia 1969 , " The Ottoman Turks and the Crusades 1451- 1522", in Setton (ed.) , A History of the Crusades vol . VI , Wisconsin 1989 ., " The question of the Emergence of the Ottoman State ", L.I.T.S., vol . II, 1980 .
- Inalcik (H.) and quataert (D.) , (eds.), An Economic and Social History of the Ottoman Empire , vol . II , 1600-1814 , Leiden 1972 .
- Janin (R.), Constantinople byzantine: development Urbain et repertoire Topographie, Paris 1950 .
- Jarry (D.) and Jary (J.) Collins dictionary of Sociology, Glasow 1995 .
- Jeffreys (E.), Croke (B), and Scott (R.) (eds.) Studies in John Malalas, Sydney 1990 .
- Jenkins (R.J), " The Supposed Russian attack on Constantinople in 907', A., 1949.
- Jones (A.H.M.) , The Later Roman Empire 284-602, Baltimore 1986 .
- Jones (J.R.M.), The Siege of Constantinople 1453 , Seven Contemporary accounts , trans . by J.R. M. Jones, Amsterdam 1972 .
- Jugue (M.), Le Voyage de L'Empereur Manuel Paleologue en Occident" E.O., T.XV, 1912 , " Michael Psellus", D.T. C.T. XIII, 1936 .
- Kaegie (W.), Byzantium and The Early Islamic Conquests, Cambridge 2000 , Heraclius Emperor of Byzantium , Cambridge , 2003 .
- Kamil (J.) , Coptic Egypt, History and Guide Cario 1990 .
- Kaplan (S.), The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, New York 1960 .
- Kazhdan (A.P.) (ed.), Oxford dictionary of Byzantium, Oxford, 1991.
- Kazhdan (A.P.) and Epstein (A.W), Change in Byzantine, Culture in The Eleventh and Twelfth centuries, los Angeles 1985 .

- Kedar (B.), *Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims*, Princeton 1988 .
- Keen (M.) *The Pelican history of Medieval Europe*, London 1976 .
- Kelly (J.N.D.), *The Oxford dictionary of Popes*, Oxford 1996 .
- Kleinbauer (E.), *Saint Sophia at Constantinople*, Dublin 1999.
- Kleinbauer (E.), White (A.) Muthews (H.), *Hagia Sophia*, Istanbul 2004 .
- Kordses (M.), "The Question of Constantine Palaiologos" Coronation", in Beuton (R.) and Roveche (C.) (eds.) *The Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol*, Centre for Hellenic Studies, King's College , London 1993
- Krey (A.C.) , " A Neglected Passage in The Gesta and its Bearing on the literature of the First Crusade", in *The Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his former Students*, New York 1928 , " William of Tyre, The making of an historian in the Middle Ages", S., vol XVI , 1941
- Kuelzer (A.), *Byzantine and early Post Byzantine Pilgrimage to the Holy land and Mount Sinai in Byzantine World* , Burlington 2002.
- La Due (W.J.) , *The Chair of Saint Peter , A History of The Papacy* , New York 1999
- La Monte (J.) , " To what extent was the Byzantine Empire the Suzerian of The Latin Crusading state", B., vol VII, 1932 , *The World of The Middle Ages*, New York 1949
- Lethaby and Swainson , *The church of Sancta Sophia Constantinople Astudy of Buzantine building*, London 1894 .
- Lewis (A.), *Naval Power and Trade in the Mediterranean 500-1000 A.D.*, Princeton 1954 .
- Lewis (B.), " Maimonides, Lionheart and Saladin", E.I., vol VIII, Jerusalem 1964 ,
- Lille (D.) , *Byzantium and the Crusader States 1096-1204*, Trans. by J.C. Morris and Tean Ridings , Oxford 1993 .

- Little (W.) and Coulson (F.) , The Shorter Oxford English dictionary of Historical Principles, vol . II, Oxford 1950 .
- Lock (P.) The Franks in The Aegean 1204-1500 , London 1995 .
- Longnon (J.) , " The Frankish States in Greece (1204-1311) , in Setton (ed.) A history of the Crusades, vol. II , Wisconsin 1989 .
- Lopez (R.) , " Silk Industry in the Byzantine Empire, " S., vol . XX . 1945.
- Lopez (R.) and Raymond (L.W.) , Medieval trade in the Mediterranean world, New York 1961 .
- Luchaire (A.), Innocent III, 6 vols, Paris 1905-1908.
- Maas (M.), John Lydus and the Roman Past , London 1992 .
- Maddan (TF) A Concise History of the Crusades, London 1999.
- Magdalino (P.) , The Empire Manuel I Komnenos 1143-1180, Cambridge 1997
- Mainston (R.J.), Hagia Sophia Architecture , Structure and liturgy of Justinian's Great Church , Hungary 1997
- Mango (C.) Byzantium the Empire of New Rome, New York 1980 .
- Maniatis (G.C.), " Organization, Market Structure and Modus Operandi; of the Private Silk industry in the 10 th Century Byzantium" D.O.P., 53 , 1999
- Manz ( B.F.), The Rise and Rule of Tomerlane, Cambridge 1989 .
- Marriot , The Eastern question , Oxford 1958 .
- Martin (E.G.) A History of the Iconoclastic Controversy , London 1978
- Mayer (H.E.) Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge , Hannover 1960, " Literat urbericht uber die Veroffentlich , Ungem 1958-1967 , H. Z., 3, 1969 ., The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford1987
- Mayer (H.E.) & Mclellan (L.), " Select Bibliography of the Crusades" in Setton (ed.) A History of the Crusades, vol VI Wisconsin 1989 .

- Mazower (M.), *Salonica City of Ghost , Christians, Muslims and Jews*, 1420-1950 , New York 200 .
- McKitterick (R.) and quiault (R.) (eds.) *Edward Gibbon and Empire*, Cambridge 1997
- Mcycendorf and Baynes (N.), *The Byzantine Inheritance in Russia*" in Baynes and Moss (eds.) *Byzantium An Introduction to the East Roman civilization*, Oxford 192 .
- Mijotovitch (G.) *Constantine Paleologus , The last Emperor of the Greeks 1448-1453* , Chicago 1968 .
- Mohammad (T.M.), *Ibn Mangali between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidences*", J.M.I.H., vol . III 2003 .
- Mohammed (O.N.) , *Muslim Christian Relations , Past , present , Future* , New York 1999
- Mundy (J.H.), *Europe in the High Middle Age 1105-1309* , London 1973.
- Moorhead, *Justinian* , London 1994 .
- Munro (D.) , " The Speech of Pope Urbanus II at Clermont" A.H.R. , vol II , 1905 "Did The Emperor Alexius I ask for aid at the Council of Piacenza", A.H.R., vol. XXVII , 1922 .
- Nelson (R.S.) *Hagia Sophia 1850-1950, Holy wisdom modern monuments* , Chicago 2004
- Newhall (R.A.), *The Crusades*, New York 1963 ,
- Niavis (P.G.), *The Reign of The Byzantine Emperor Nicephor I*, Athens. 1987
- Nicholson, *Tancred: Astudy of his Career and work in Their reation to the First Crusade and the establish ment of the Latin States in Syria and Paestine*, Chicao 1940 .
- Nicol (D.), *Biographical Dictionary of The Byznitine Empire*, London 1991, *The Byzantine Lady: Ten Portrit 1250-1500*, Cambrige 1994 , *Byzantium and Venice A Study in Diplomatic and Cul-*

- tural Relation Cambridge 1995 , The Reluctant Emperor A biography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk 1295-1383, Cambridge 2002 , The Last Centuries of Byzantium 1261-1453, Cambridge 2002 .
- Nicolle (D.) , Yarmuk ad 636, The Muslim Conquest of Syria, Oxford 1994, Constantinople 1453- The end of Byzantium, London 2005 .
- Noouan (T.), " Byzantium and khazars a special relationship ", in Shepard (J.), and Frankin (S.), (ed.) , Byzantine Diplomacy , Papers from the Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine studees. Cambridge , March 1996, Hampshire 1997 .
  - Norwich (J.J.), A Short History of Byzantium , Penguin Book, London 1998 , Byzantium , The decline and Fall, New York 2000 .
  - Oman (C.) , A History of the art of war in the Middle Ages, London 1924 .
  - Ostrogorsky (G.), Pour L'Histoire de Feodalite byzantine, Trans. by H. Gregoire, Brussels 1954 , History of the Byzantine State, Trans . by J. Hussey Oxford 1956 , " De Pronoia unter den Komnenen", Z.R.V.I, 1970 .
  - Painter (S.) , A History of the Middle Ages 284-1500, New York 1954 .
  - Parker (K.), Early Modern Tales of Orient , London 1999 .
  - Perroy (E.), The Hundred Years War , Trans. by D.C. Dauglas , London 1951 .
  - Peters (E.) (ed.), Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 , Heresy and Authority in Medieval Europe, Pennsylvania 1980, Europe and the Middle Ages, New Jersey 1997 .
  - Pirenne (H.), Mohammed and Charlemagne, London 2001 , Medieval Europe Economic and Social History of Medieval Europe, Economic and Social History of Medieval Europe, London 1972 .
  - Pitcher (D.E.) , An Historical Geography of the Ottoman Empire From

- earliest Times to The end of The Sixteenth Century Leiden 1972.
- Pazhdan (A.) (eds.) Oxford dictionary of Byzantium , Oxford 1991
  - hilips (J.), and Hoch (M.) (eds.) The Second Crusade , Scope and Consequences, Manchester 2001
  - Prawer (J.) , The Latin Kingdom of Jerusalem , European Colonialism in The Middle Ages, London 1979 .
  - Prundage (J.) " Prostitutions , Miscegenation and Sexual Purity in the First Crusade", in Edbury (ed.) Crusade and Settlement , Cardiff, 1985 .
  - quataert (D.) , The Otoman Empire 1700-1922, Cambridge 2000
  - Raaflaub (K.), " The Transformation of Athens in the fifth century " , in Boedeker (D.) and Raaflaub (K.) eds.), Democracy , Emire and the Arts in fifth century's Athens, Cambridge 1998 .
  - Rand (E.K.), Founders of the Middle Ages, New York 1975
  - Rashdall (H.), The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford 1936 .
  - Regan (G.), The First Crusades Byzantine's Holy Wars, New york 2003
  - Peinink (G.I) and Stolte (B.H.) (eds.) The Reign of Heraclius (616-641), Crisis and confrontation , Paris 2002 .
  - Riant (C.), " Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades " , A.O.L., T.I, Année 1880
  - Riasauovsky (N.) , A History of Russia , New York 2000
  - Richard (J.) La Comte de Tripolis Sous la Dynastie Toulousaine , Paris 1945 , " La bataille de Hattin, Saladin defeat L'Occident " , H.T. XLVII, Année 1982 , The Crusades 1071- 1291, Trans, by Jean Birrell, Cambridge 1999
  - Ridley (F.A.), Julian The Apostate and the Rise of Christianity, London 1937
  - Ringrose (K.), " Eunuchs as cultural Mediators", in B. F., vol XXII, 1996
  - Roscher (H.), Papst innocent III und die Kereuzzuge, Gottingen 1969

- Roth, Ashort History of the Jewish People, London 1953 .
- Ruhrich (R.), Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heligen Landes Bezuglichen Literatur, vol 333 Bis 1878, Berlin 1878 .
- Runciman (S.), A History of the First Bulgarian Empire, London 1930 , The Byzantine Civilization , New York 1956 , The Eastern Schism , Astudy of the Papacy and the eastern churches during The XI and XII centuries, Oxford 1956 , The Emperor Romanus Lecapenus and his reign , Cambridge, 1963 , The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965 , " The Pilgrimage to Palestine before 1095" , in Setton, A History of the Crusades, vol . 1 , Pennsylvania A History of the Crusades, Penguin Book, London 1978 .
- Rybarov , Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 .
- Schlumberger (G.), Un Empereur Byzantine au Dixieme Siecle Nicephor Phocas, Paris 1890, le Siege , la prise , et le Sac de Constantinople par les Turcs , Paris 1922 , Renauld de Chaillon Prince d'Antioch au Temps des Croisades, Paris 1932 .
- Segal (J.B.), Edessa, The Blessed City, Oxford 1970 .
- Sharf (A.), Byzantine Jewry from Justinian to the Fourth Crusade, New York 1971
- Shepard (J.) and Franklin (S.) (eds.) , Byzantine Diplomacy, Papers from The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies , The Promotion of Byzntine Studies , Hampshire 2003 .
- Siegfried (A.), The Mediterranea , Trans. by Hemming , London 1948 .
- Skinner , Physical Geography , New York 1974 .
- Spuller (C.A.) , L'Eclogue des Isaurians Texte, Traduction et Histoire , Cernaurzi 1929 .
- Stephenson (C.) , Medieval History, New York 1943 .
- Stephenson (P.) , Byzantium's Balkan Frontier A Political Study of the Northern Balkan 900-1204 , Cambridge 2000 ., The Legend of

- Basil The Bulgar- Slayer , Cambridge 2003 .
- Steigler , Dictionary of earth sciences , London 1976 .
  - Stein (E.), Studien zur Geschichte der byzantinischen Reiches vornehmlich unter den Kaisern Justinus II und Tiberius, Stuttgart 1919 .
  - Swainson (H.), Lethaby (W.R.) The Church of Sancta Sophia Constantinople , A Study of Byzantine building , London 2003 .
  - Sumption (T.), The Albigensian Crusade, London 1988 .
  - Sybel , The History and literature of the Crusades, Trans. by . Duff Gddon, London 1861 .
  - Thomson (J.K.T.) , Decline in History , The European Experience , Cambridge 1998 .
  - Throop, (P.A.) Criticism of the Crusade A study of public opinion and crusade propaganda, Amsterdam 1940 .
  - Tobler (T.) , Bibliotheca Geographica Palestinae , Leipzig 1876 .
  - Topping (P.) , " The Morea 1374-1470", in Setton (ed.) , History of the Crusades, vol . II, Wisconsin 1989 .
  - Tougher (S.) The Reign of Leo VI (886-912) , Politics and People, Leiden 1997
  - Tout (T.F.), The Empire and the Papacy 918-1273, London 1914 .
  - Toynbee (A.), Constantine Porphyrogenitus and his world , London 1977
  - Treadgold (W.) , History of the Byzantine state and society , California 1997 , A Concise History of Byzantium , New York 2001
  - Turk (E.L), The History of Germany , London 1999 .
  - Umann (W.), History of Political Thought , The Middle Ages. London 1978 .
  - Ure (P.N.) , Justinian and his age , London 1951 .
  - Van Houts (E.), The Normans in Europe , New York 2000 .
  - Vasiliev (A.), " The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II A.D. 721",



- D.O.P., Nos. 9-10 , Massachosies 1956 , " The Foundation of the Empire of Trebizend (1204-1222) , S., vol XI, 1936 , " The Empire of Trebizond in History and Literature" B.vol XV, 1940-1941 , History of the Byzantine Empire , Madison 1952 .
- Vatikotes (P.T.), " Al Hakim BI Amrilla The God King idea realised", I.C., vol XXIX , No . I, January 1955 .
  - Vikan (G.), " Byzantine Art" in Angeliki E. Laiou and Henry Maguire (eds.) Byzantium Aworld Civilization D.O.S., washington 1992.
  - Vissey (D.) , " William of Tyre and The art of Historiography", Med . S., vol XXXV, 1973 .
  - Vogot (A.) Basile Ier Empereur de Byzance (807-886) et la Civilisation Byzantine à la fin du Ixe Siecle, Paris 1908 .
  - Vryonis (S.), The decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the eleventh through The Fifteenth century , Berkely , los Angelos 1971 .
  - Waley , Later Medieval Europe from St Louis to Luther, London 1976 .
  - Walker (P.) "The Crusade of John Tzimisces in the light of New Arabic evidence" B. XLVII, 1977
  - Weitzmann (K.), The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai , the Icons , vol . I, Princeton 1976 .
  - Whitow (M.) , The Making of Byzantium 600-1025 , los Algelos 1996 .
  - Wilkinson (J.) Jerusalem Pilgrims before the Crusades , London 1977
  - Wolfran (H.) , History of the Goths , Trans. by Thomas J. Dunlop, Berkely 1990 .
  - Wolff (R.K.), "Baldwin of Flanders and Hainaut , First latin Emperor of Constantinople, his life and resurrection," S., vol XXVII, 1952 .
  - Wright (W.), Early Travels in Palestine, London 1848 .
  - Yewdale (R.B.), Bohemond I Prince of Antioch, Amsterdam 1970 .

- Yecel (E.) Hagia Sophia , Istanbul 1986 .
- Ziegler (C.B), The History of Russia, London 1999 .
- Ziegler (P.) The Black Death London, 1960 .

- مواقع على شبكة الانترنت :

- مركز الداهرتين أوكسي

Dumbarton Oaks

WWW. doaks. org.

مركز دراسات المصرد الوسطى والتاريخ البيزنطى - جامعة نوردهام

Fordham University , Center for Medieval Studies

WWW . Fordham . edu.

- جمعية الرقي بالدراسات البيزنطية

- Society for the Promotion of Byzantine Studies.

WWW byzantium . uk sp Bs.

جامعة نوتردام

University of Notre Dame

WWW. byzantine , nd. edu.

- جامعة شمالى فلوريدا

University of North Florida

WWW Unf. edu .

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٣٤٨٢

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-322-207-1

مطبعة صحوة

٧ شارع اسماعيل رمضان - الكوم الأحمر - فيصل

تليفون وفاكس / ٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠١٠٠٩٦٧٨